جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

إنباء الغمر بأنباء العمر

لشيخ الإسلام
الحافظ ابن حجر العسقلاني
٧٧٣-٨٥٢ هـ

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق
الدكتور حسن حبشي

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

القاهرة
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

الكتاب
السادس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بيـــان

ما أحسب أن هذا الجزء فى حاجة إلى تصدير جديد ، إذ هو امتدادٌ للجزئين السابقَيْن له من حيث المادة والنُّسخ التى روجع المتن عليها ، وأرجو أن يتم ظهور البقية من الكتاب قبل موعد الاحتفاء بمرور ستمائة سنة على مولد مؤلفه : « ابن حجر » ، فإن ظهوره مساهمة فى هذه الذكرى .

أما الكشاف التفصيلى فسيكون فى الجزء الختامى أجزاء الإنباء المطبوعة .

ومن الله استمد العون والتوفيق .

حسن حبشى

سنة ست عشرة وثمانمائة

فى المحرم غلا الكتان جدا حتى بيع الرطل بثلاثين درهماً ، وغلا بسبب ذلك صنف القماش .

وفيه ثار أهل حلب على يشبك بن أزدمر ، فقُتل من الفريقين جماعة ، وانكسر يشبك وتوجّه إلى نوروز بدمشق ، فكاتب أهلُ حلب دمرداش فدخل حلب وملكها .

وفيه مات الأمير تَغْرِى بَرْدِى نائبُ الشام إذ ذاك ، وكان من خيار الأُمراء فى العدل مع أنه كان كثير الإسراف على نفسه ؛ وكان يحب العلماء والعلم ، ويعرف مسائل عديدة أتقنها ، مع التواضع ؛ وهو من قدماء الأُمراء : أُمِّر رأس نوبة كبيراً فى أيام الظاهر ، ثم ولى نيابة حلب ، ثم ولى أتابك العساكر فى أواخر دولة الناصر فرج .

وفى العشرين منه توجّه قرقماس فى[1] عسكره ليأْخذ الشام بزعمه ، فلما بلغ ذلك أخاه تغرى بردى فارق نوروز وتوجّه إلى صفد وانتمى إلى المؤيد ، ودخل قرقماس غزة فملكها ووصل إليه أخوه ، وقد قرّره المؤيد فى نيابة حماة فسار ومعهما ألطنبغا العثمانى بالعساكر ، فبلغهم عوْدُ نوروز من حلب إلى دمشق فأَقاموا بالرملة ، وكان نوروز توجّه إلى حماة ليقاتل دمرداش ، ففرّ دمرداش إلى حلب فتبعه نوروز وملك حلب وقرّر فى نيابتها طوخ ، وفى نيابة طرابلس قمش ، ورجع إلى دمشق فى أواخر صفر فسار دمرداش إلى حلب بعد عوْدِه فقاتله النوروزية ، فدام الحصار إلى أن بلغ دمرداش أنّ العجل ابنَ نعير وافى لنصر نوروز ففر دمرداش إلى العمق[2] ثم إلى أعزاز : وكان ماسنذكره بعد ذلك .

---

(١) « فى عسكره » ساقطة من ك .

(٢) وتنطق بفتح العين وضمها ، وهى كورة بنواحى حلب ، انظر ياقوت ٣/٧٢٧ ، ومراصد الاطلاع ٢/٩٦٢ ، Dussaud : Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, pp. 228 et suiv. ؛ أما أعزاز — وقد يقال لها عزاز — فتقع إلى الشمال من حلب وعرفت بقلعتها ، انظر Dussaud : op. cit., pp. 434. حيث يتكلم عن الطريق الموصل بينها وبين حلب .

وتوجّه نوروز إلى الرملة ففرّ قرقماس بمن معه إلى أن وصل إلى الصّالحية بطرف الرملة ، فرجع نوروز إلى دمشق .

وفيه شُدِّد على صدر الدين بن العجمى فى بقية المال الذى تأخّر عليه فباع موجوده وأورد نحو ثلاثمائة دينار وعجز عن الباقى ، ثم قُرِّر فى نظر المواريث على أن يحمل مايُتحصل منه إلى الخزانة ثم صُرِف فى شعبان وأُضيف ذلك إلى مرجان ، ثم قُرِّر فى مشيخة التربة الظاهرية وصُرِف عنها زين الدين حاجى فقيه فى سادس رجب ، ثم صُرِف مرجان وأُعيد النظر لصدْر الدين فى أواخر شوّال .

وفيه[1] فشا الطاعون بمصر وكان أكثره فى الأطفال ، وكان الحرّ أزيد من العادة ، فبلغ مَن يموت كل يوم أكثر من مائة نفس .

وفيه ثار بالمؤيد وجع المفاصل فى رجليه فلم يزل يعاهده إلى آخر عمره .

وفى صفر تزايد الطاعون وبلغ الموتى كل يوم مائةً وعشرين ، وعزّ البطيخ الصيفى حتى بيعت واحدة بخمسمائة درهم .

وفى رابع عشر المحرّم نُقل فتح الله من بيت ناظر الخاص إلى بيت التاج الوالى فأُمر[2] له بدارٍ فأُقام فيها وحيداً فريداً يُقاسى ألم العقوبة ويترقّب الموت . فلما كان فى ثانى عشر ربيع الأول مُنع خَدَمه من الدخول إليه ، ثم خُنِق فى ليلة السادس منه وأُخرِج من الغد فدُفن بتربته ولم يجسر أحدٌ على تشييع جنازته ؛ وكان فى يوم الجمعة قد توجّه إليه قاضى الحنفية صدر الدين بن الأدمى وهو من أعظم المؤلّبين عليه فأشهد عليه أنه رجع عن وقفه وصيّره موقوفاً على أولاد المؤيد وذرّيته وأثبت ذلك وحَكَمَ به ، فقدّر الله تعالى أنه أُعيد إلى شرطه الأول بعد تسعة أعوام سواء فى ربيع الأول سنة خمس وعشرين ، وحُكم بإبطال ما حَكم به صدْرُ الدين المذكور ، ولم يُمْهَل صدر الدين هذا حتى أخذه الله قريباً .

وفى سادس ربيع الأول وقع الحريق بالقلعة فعظم[3] أمره واستمرّ إلى تاسعه .

---

(١) أمام هذا فى هامش ث : « تاريخ طاعون سنة ست عشرة ، وفيه بدأ يدخل المؤيد الألم » .

(٢) فى ك « فأنزل له بدار » .

(٣) « فعظم أمره » ساقطة من ك .

وفى سابع ربيع الآخر سُجن الأمير قصروه بالإسكندرية ، ووُسّط فارس المحمودى تحت القلعة وكان نَمّ على طوغان أنّه يريد الوثوب على المملكة ، فحاققه طوغان فأنكر فقتله السلطان .

وفى ثانى عشر ربيع الآخر استقرّ شهاب الدين الأُمويّ المغربى فى قضاء المالكية بالقاهرة وعُزِل شمس الدين المدنى .

* * *

وفى تاسع عشرى ربيع الأول قُتل العجل بن نعير أمير العرب من آل فضل وذلك أنه حضر لنصر النوروزية ، وكان طوخ بعث عسكراً إلى سرمين وبها دويدار دمرداش فكسره فثار عليه[1] فأسر منهم كثيراً ، فسَجن[2] دمرداش منهم طائفة وجَدع طائفة وقَتل أخرى ، فركب طوخ وقمش إلى تل السلطان فالتقيا بالعِجْل فسألاه أن يرافقهما لحرب دمرداش فأجاب إلى ذلك ، فرحلا بالعسكر وتأخّر العجل ، فبلغهما أنّه اتفق مع دمرداش فاستعدّا له ، فلما ركبا أرسلا إليه فى ضيافةٍ فحضر ، فثار به جماعة منهم فقتلوه ورحلوا إلى حلب وكتبوا إلى نوروز فى طلب النجدة ، فجمع حسين بنُ نعير العربَ وجاء إلى دمرداش فحضروا جميعًا إلى حلب وحصروها ، وتحصّن طوخ وقمش بالقلعة فلم يثبت دمرداش ورجع .

* * *

وفى ربيع الأول ظهر الخارجى[3] الذى ادّعى أنه السفيانى ، وهو رجل عجلونى يسمى عثمان ، اشتغل بالفقه قليلا بدمشق ثم قدم عجلون فنزل إلى قرية الجيْدور[4] ودعا لنفسه فأطاعه بعض الناس ، فأقطع الإقطاعات ونادى أن مغل هذه السنة مسامحة ولايؤخذ من أهل الزراعة بعد هذه السنة — التى سومح بها — سوى العُشر ، فاجتمع عليه خلق كثير من عرب وعشير وترك وعمل له ألويةً خضراء ، وسار إلى وادى إلياس وبثّ

(١) فى ك « عليهم » .

(٢) العبارة من هنا حتى « إلى تل السلطان » ساقطة من ك .

(٣) فى هامش ث : « ظهور الخارجى المدعى أنه السفيانى » .

(٤) الجيدور من أعمال دمشق شمالى حوران واسمها العربى Iturée أو Ituraea ، انظر ياقوت : المعجم ٢/١٥٩ ، Dussaud : op. cit. p. 323; Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 34.

كتبه إلى النواحى ، ترجَمَتُها بعد البسملة : « السفيانى : إلى حضرة فلان: أن يجمع فرسان هذه الدولة السلطانية الملكية الإمامية الأعظمية البهائية[١] المحمدية السفيانية ، ويحضر بخيله ورجله مهاجراً إلى الله ورسوله ومقاتلا فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا » . فثار عليه - فى أول ربيع الآخر - غانم الغزاوى وجهز إليه طائفةً فطرقوه وهو بالجامع بعجلون فقاتلهم فقبضوا عليه وعلى ثلاثة من أصحابه ، فاعتُقِل الأربعة وكُتب إلى المؤيد بخبرهم فأمر بنقلهم إلى قلعة صرخد .

* * *

وفى خامس ربيع الآخر قُبض على الوزير وناظر الخاص ، وقُرر فى نظر الخاص بدرُ الدين بن نصر الله عوضاً عن ابن أبى شاكر ، وقُرِّر فى نظر الجيش علمُ الدين بن الكُوَيْز عوضاً عن ابن نصر الله ، وقُرر تاج الدين بن الهَيْصم فى الوزارة عوضاً عن ابن البشيرى ، وصُودر البشيرى وابن أبى شاكر على مال كثير[٢].

فأما الوزير فتسلمه ابن الهيصم ثم تسلمه الأُستادار وصولح على مال كثيرٍ شرع فى تحصيله . وأما ابن أبى شاكر فعوقب بين يدى المؤيّد ثم أطلقه وتقرّر عليه مالٌ يحمله ، فباع موجوده واقترض ثم سار يطالب بالأوراق حتى سَدَّ ما طُلب منه ؛ فلما كان فى تاسع عشرى رجب خُلع عليه واستقر أُستادار الذخيرة .

وبدْرُ الدين هذا هو حسن بن نصر الله بن حسن[٣]، أصله من فوّه ، وذكر أن جدّه

---

(١) فى ك « الربانية » .

(٢) فى هامش ث جاء مايلى : « تاريخ ولاية الوزارة ونظر الخاص ونظر الجيش لابن الهيصم وابن نصر الله وابن الكويز » .

(٣) أمامها فى هامش ث : « إنما هو حسن بن نصر الله بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد السلام بدر الدين ابن ناصر الدين بن مجد الدين بن شرف الدين بن كمال الدين بن كريم الدين بن زين الدين كان جده خطيباً بأدكو ونشأ ناصر الدين نصر الله بغزة وتعانى المباشرة وتعلم الحساب وباشر عند سيف الدين الكيلانى متولى فوة وولد له ابنه حسن فنشأ بنوه ، ثم إن والده دخل إلى الإسكندرية وزوجه من بنت ألطنبغا الناظر بها وسار هو مثل فخر الدين بن غراب ثم تنقل فى المباشرات إلى أن ولى معه إسكندرية ثم الخاص والوزارة والجيش والأستادارية الكبرى فى آخر عمره وولى كتابة السر ولده صلاح الدين لما توفى ثم عزل عن قرب واستمر فى بيته إلى أن مات » .

كان خطيب إدكو[١]، وأن أباه وُلد بفُوّه[٢] وتعانى المباشرة وتعلّم الحساب ، ووُلد له ابنه حسن هذا فى ربيع الآخر سنة ست وستين ونشأ بفوّة ، وتنقّل فى المباشرات بها ثم بالإسكندرية ثم استقرّ فى نظر الخاص بالقاهرة عوضاً عن ابن البقرى فى جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثمانمائة واستمر بالقاهرة ، ثم ولى الوزارة فى شوال منها ، ثم عُزِل عن نظر الخاص سنة سبع وثمانمائة بالفخر بن غراب ، ثم صُرف عن الوزارة فى جمادى الأُولى منها ، ثم استقرّ فى نظر الجيش عوضاً عن علم الدين يحيى الذى يقال له « أبوكُم » فى جمادى الآخرة ، ثم أُضيف إليه الخاص والوزارة فى شعبان منها ، ثم صُرِف عن الوزارة فى رمضان وعن نظر الخاص فى صفر سنة ثمانٍ ، واستمر فى نظر الجيش إلى أن عُزل عنها فى هذه السنة واستقرّ فى نظر الخاص إلى أن عُزل منها فى آخر دولة المؤيّد ، وولى الأستادارية بعد ذلك ، ثم انقطع فى منزله فى دولة الأشرف[٣] إلى أن ولى كتابة السر بعد موت ولده صلاح الدين وذلك فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ، ثم صُرف فى ربيع الآخر سنة ٤٣ واستمرّ فى عزله[٤] مقيماً .

* * *

وفى حادى عشر ربيع الآخر ضُرب محمد بن شعبان المحتسب أكثر من ثلاثمائة عصا بين يدى المؤيّد وأُشهد عليه أن لايسعى فى الحسبة ، وأُضيفت الحسبة إلى صدْر الدين بن الأدمى وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة ، ثم صُرف فى العشرين منه وقُرِّر منكلى بغا الحاجب وهو أول تركىٍّ ولى الحسبة فيما نعلم .

* * *

---

(١) ورد التعريف بها فى القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٢ ، ص٢٩٨ — ٢٩٩ ، وذكر أن اسمها القديم « إتكو » وأنها وردت فى معجم البلدان بفتح الهمزة ، وهى بليدة قديمة قرب رشيد ، وأن جوتييه ذكرها فى قاموسه باسم Tekebi أو Thkobi ، وأن أميلينو قال عنها فى جغرافيته إن اسمها القديم Tkôou ، وأنها وردت فى كشف الأسقفيات إتكو .

(٢) من القرى القديمة قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ ، واسمها القديم Poel ، وقد قلبت الباء فاء ، انظر القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٢ ، ص ١١٣ — ١١٥ .

(٣) جاء فى هامش ك « وولى الأستادارية الكبرى وكتابة السر فى دولة الأشرف برسباى » .

(٤) فى ك « منزله » .

وفيه وصل ألطنبغا العثمانى وجانبك الصوفى إلى القاهرة ، واستمر قرقماس وتغرى بردى بقطيا ، واستقر جانبك رأس نوبة عوضًا عن سودون الأشقر ، واستقر سودون الأشقر أمير مجلس .

* * *

وفى جمادى الأولى أراد طوغان الوثوب على المُلك فوُشِىَ به إلى المؤيّد فاحترز منه ، فلما كانت ليلة السادس عشر من الشهر كان طوغان قد واعَدَ من اتّفق معه على الحضور إليه ، فمضى عامّةَ الليلة ولم يحضر إليه أحد ، فلما قَرُب الفجر هرب فى مملوكين فاختفى بمصر عند ابن بنت الملكى كاتب الجيش وكان قد تزوّج ابنته ، وجرى عليه منه مالا خير فيه فإنّه زعم أنه وجدها ثيبا فأغرم والدها مالاً كثيراً ، فلما نزل به ما أمكنه ردّه بل آواه ثم تحيّل فى الإعلام به ، فأصبح المؤيد فعرف بذلك فأمر بالنداء بالأمان ، فلما كانت ليلة الجمعة وشى بطوغان فأُخِذَ من مكانه وأُرْسِل إلى الإسكندرية مقيَّدا فبقى معتقَلاً إلى المحرم سنة ثمانى عشرة ، فمات فى الحبس .

وفى الحادى والعشرين منه قُبض على جماعةٍ ممن كان اتفق مع طوغان ، منهم : سودون الأشقر وكمشبغا العيساوى ، فتوجّه بهما برسباى إلى الإسكندرية ومعهما مغلباى وثلاثة معه وُسِّطُوا .

واستقر قجق حاجباً بدلاً عن إينال الصصلانى ، واستقر الصصلانى كبير مجلس عوضاً عن سودون ؛ وكان مِمَّن اتُّهم بممالأةِ طوغان : شاهين الأفرم ، فخلع عليه خلعة رضاً وبُرِّئتْ ساحته ، واستقر جانى بك المؤيّدى دويداراً كبيراً وكان ثانى الدويدارية .

وفى سلخ جمادى الآخرة صُرف ابن محبّ الدين عن الأُستادارية واستقر فخر الدين ابن أبى الفرج وأُضيف إليه الكشف ، واستقر ابن محبّ الدين مشير الدولة ولُقِّبَ من يومئذ « المشير » حتى صار لايُعرف ــ إذا ذكر ــ إلا بها مدّة طويلة .

وفى رجب تزوج إبراهيم بن المؤيّد بنتَ الناصر التى كانت زوجة بكتمر جلق ودخل بها فوجدها بكرا ، وعُمل له مُهمٌّ كبير[1] .

وفيه عُزل قرقماس عن نيابة الشام وقُرّر فى نيابة صفد عوضاً عن ألطنبغا القرمشى وأُحْضِر القرمشى إلى القاهرة ، وهرب جارقطلو أتابك الشام من نوروز إلى القاهرة فأكرمه المؤيّد وأمّره تقدمةً ، وقُرِّر تغرى بردى — أخو قرقماس — فى نيابة غزّة عوضاً عن ألطنبغا العثمانى .

وفى نصف رجب خرج نوروز إلى صفد فرحل قرقماس إلى الرملة ، ثم وصل إلى القاهرة فأكرمه المؤيّد وأقام أخوه بقطية ، وكان من شأنهما وعادتهما أن لايجتمعا بموضع واحد بل يكون أحدهما غائباً فإذا قُبض على أخيه سعى هو فى تخليصه[2] .

فلما كان يوم السبت أول رمضان قدّم دمرداش — عمُّهُما[3] — تقدمة ، فأجل المؤيد مقدمه وخلع عليه وكان قد تحيّر فى أمره بعد هزيمته من حلب ، فأشار عليه أكثر أصحابه أن يتوجّه إلى نوروز ،وكان بَعث إليه ذهباً كثيراً والتمس منه أن يحضر إليه فلم يوافقهم لأجْل حضور أجله ، فركب البحر إلى أن وصل إلى دمياط ثم استأذن على المجئ إلى القاهرة فأُذن له فوصل فأكرمه المؤيّد .و أرسل[4] فى ثانى عشر رجب عسكراً مقدمهم قجقار القردمى وأظهر أنهم يريدون كبس عرب الشرقية أهل الفساد ، وأسرّ إليهم بالقبض على تغرى بردى من قطية ، ثم استدعى دمرداش وابن أخيه قرقماس وجميع الأُمراء ليلة السبت سادس عشر منه فأفطروا عنده ، فلمّا انقضى السماط أمر بالقبض عليهما وبعثهما من ليلته إلى الاسكندرية .

ثم قدم قجقار ومن معه وصُحْبتُهم تغرى بردى فى العاشر فسُجن بقلعة الجبل

---

(١) أمامها فى هامش ث : « زواج إبراهيم بن المؤيد ببنت الناصر وزوجة بكتمر جلق » .

(٢) فى ك : « تحصيله » ثم فى الهامش « لعله تخليصه » .

(٣) فى ز « عنهما » ، لكن انظر س ١٦ فى هذه الصفحة .

(٤) فى ك : « وأرسل فى سابع رمضان » ، ثم فى الهامش : « أصله رجب يحرر » ، وفى نسخة هـ : « أرسل سابع رجب » ثم فى الهامش « لعله رمضان » أنظر س ١٧ من هذه الصفحة .

ثم قُتل ، وسكن كثير من الفتن بعد قتْلِ هؤلاء الثلاثة ، وكان دمرداش من قدماء الأُمراء فى هذا الوقت : أُمِّرَ من زمن الظاهر وناب فى عدّةٍ من البلاد مراراً ، وكان فصيحاً وله فى قلعة حلب آثار حسنة من الإصلاح بعد التخريب الذى وقع من اللنكية ، وكان حسن الفهم قد جرّب الأُمور وحنّكته التجارب ، اجتمعْتُ به وكان من رجال العالم إلاَّ أنه لم يكن ميمون النقيبة ؛ وقد مضى كثير من أحواله فى الحوادث .

* * *

وفيه[1] ـ أعنى شهر رجب فى أواخره ـ ثار بالناس السعال والنزلات والحمّيات وغيرها من الأَمراض ولكنها كانت سليمة وكذلك بدمشق ، وغلا سعر السكر النّبات حتى عزّ وجوده وكذلك الزيت الحلو ؛ وكان الطاعون ببلاد الروم وامتد إلى حلب وحماة .

وفى[2] عاشر رمضان قُرّر ناصر الدين بن العديم فى قضاء الحنفية عوضاً عن صدر الدين الأدمى بحكم موته .

وفى ثالث عشره قرر قنباى فى نيابة الشام ، واستقر ألطنبغا العثمانى فى وظيفة أمير آخور ، وقرر إينال الصصلانى فى نيابة حلب وسودون قراصقل فى نيابة غزة .

وفى[3] ثامن شوال قُرر بدر الدين بن محبّ الدين فى نيابة الإسكندرية عوضًا عن خليل الجشارى وصُرف عن المشورة .

وفى ذى القعدة توجّه السلطان إلى الربيع فألزم التاجُ الوالى مَن بالقاهرة من اليهود النصارى بحمْل الخمور فوُزّعت على الأَسارى[4] وغيرهم ، وكانت قضيةً فاحشة جدًّا .

---

(١) أمام هذا الخبر فى هامش هـ : « مطلب : السعال والنزلات والحميات التى جرت بدمشق فى سنة ... . فى التعليق ، وذكر فى هذا التاريخ » .

(٢) فى هامش ث : « ولاية ناصر الدين بن العديم القضاء » .

(٣) فى هامش ث : « ولاية قانباى » .

(٤) فى ك « النصارى » .

ورجع السلطان من السرحة فى حادى عشرى ذى القعدة .

وفيه أُرسل الجاليش ومعه العسكر وفيهم نائب حلب إينال الصصلانى ، ونائب الشام قانباى ونائب حماة تانى بك البجاسى ، ونائب طرابلس سودون مِن عبد الرحمن ، وطرباى نائب غزة ومعهم جمع كبير .

وفى سابع عشر ذى الحجة خُلع[1] المستعين من الخلافة وكانت مستمرة باسمه من يوم عُزل من السلطنة ، فلما عزم المؤيد إلى الشام طلب داود بن المتوكّل بحضرة القضاة فألبس داود خلعة سوداءِ وأجلسه بينه وبين القاضى الشافعى البلقينى ، وقرّره فى الخلافة عوضاً عن أخيه المستعين ولقَّبَه « المعتضد » .

وفى هذا الشهر قُرّر شمس الدين بن التبّانى فى قضاءِ الحنفية بدمشق ، وأُنْفق على المماليك السلطانية لكل نفر مائة دينار ناصرية .

وفى السابع والعشرين منه نُصب الخام السلطانى بالريدانية ، وضُرب الوزير تاج الدين ابن الهيصم بالإسطبل السلطانى وطيف به على جملٍ فى الإسطبل منكّسا إلى أن كاد يهلك ثم خلع عليه خلعة الرضا ، وقدم فخر الدين الأُستادار من الصّعيد — وقد أباد أهلَه — وصحبته من العبيد والإماءِ والذهب والحلىّ والسلاح والغلال ما يفوق الوصف ، وشرع فى رمى الأصناف التى أحضرها ، فعظم البلاءُ به إلَّا أنه على أهل الريف أكثر منه على أهل البلد .

* * *

وفيها فى جمادى الآخرة دخل الشريف رميثة بن محمد بن عجلان مكة فى جمْعٍ من أصحابه فأقاموا بها إلى الظهر ولم يُحدِث شراً ، فدخل عمه عتبة وحسن بن عجلان فى عسكره فاطمأن الناس .

وفيها مات من الأكابر : عمر بن السلطان المؤيد وله عشر سنين أو دونها ، و [مات]

---

(١) فى هامش ث : « خلع المستعين وخلافة داود المعتضد بالله » .

تاج الدين رزق الله ـ ويقال له عبد الرزاق ـ ناظر الجيش بدمشق : تقدّم[1] من زمن تنم فى الولايات إلى أن مات .

و[مات] مبارك شاه الظاهرى ، ولى كشف الصعيد ونيابة الإسكندرية والوزارة والاستدارية والحجوبية ، وكان فى بداية أمره يخدم الملك الظاهر وهو جندى ، فلما تـأمّرَ ثم تسلطن رقّاه ، وتنقّل فى الدول إلى أن مات فى رمضان .

* * *

وفى هذه السنة وقعت بمكة كائنة عجيبة وهى أن جمّالا يقال له حسن الفاروقى كان يكرى من مكة إلى المدينة ، فرآى بعض جماله قد أسَنَّ فأراد بيعه وأن يشترى بثمنه غيره ، فباعه للجزار فاعتقله بالمجزرة لينحره ، فانفلت والناس فى صلاة العشاء فدخل المسجد الحرام ، فأرادوا أن يخرجوه فعجزوا عنه ، فرفعوا الأمر للقاضى جمال الدين ابن ظهيرة فأمرهم بحفظ الطوّاف منه ، فباتوا يحرسونه ويمنعونه من المطاف ، فلما كان الثلث الأخير [من الليل] هجم هجمة فطاف ثلاثة أشواط ثم ذهب فى الثالثة إلى جهة مقام الحنفية فسقط ميتاً وحفرت له حفرة فدفنوه بها[2] .

* * *

ذكر من مات فى سنة ست عشرة وثمانى مائة من الاعيان .

١ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن خضر الصالحى الحنفى ، وُلد فى رمضان سنة أربع وأربعين ، واشتغل على أبيه وناب فى القضاء بمصر ، ودرّس وأفْتى وولى إفتاء دار العدل وكان جريئاً مقداماً ثم ترك الاشتغال بأخرة وافتقر ومات فى ربيع الأول وكانت وفاة[3] أبيه فى سنة ٧٨٥ .

---

(١) فى ك « تنقل » .

(٢) راجع الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ....

(٣) « وفاة أبيه » ساقطة من ك . أما عن أبيه فراجع إنباء الغمر بأنباء العمر ، ج ١ ص ٢٨١ ، ترجمة رقم ٧ ، وأمام هذا فى ث : « وفاة أبيه فى سنة ٧٨٥ وبعده . سبقت ترجمته فى سنة ٧٨٥ » .

٢ - إبراهيم[1] بن محمد بن بهادر بن عبد الله بن أحمد الغَزى المعروف بابن زُقَّاعَة - بضم الزّاى وقد تُجْعل سينا مهملة وتشديد القاف - كان يدّعى أنه من بنى نوفل بن عبد مناف ، وأنه وُلد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ؛ سمعْتُ كلاًّ منهما من لفظه ، وذكر لى من أثق به عنه غير ذلك فى مولده ، وكان أعجوبة زمانه فى معرفة الأعيان واستحضار الحكايات والماجريات ، مقتدراً على النظم ، عارفاً بالأوفاق وما يتعلّق بعلم الحرف ، مشاركا فى القراءات والنجوم وطرف من الكيمياء ، وقد عظّمه الظاهر جدًّا ثم الناصر حتى كان لايسافر إلاّ فى الوقت الذى يحدّده له ، ثم نقم عليه المؤيد ونالته منه محنةٌ يسيرةٌ فى أوّل دولته ، وشهد عليه عنده جماعة من الطواشيّة وغيرهم بأمور منكرة فأغضى عنه .

وكان فى بداية أمره قد تجرّد وتزهّد وساح فى الجبال ثم رجع إلى غزة . اجتمعْتُ به غير مرة وأخذْتُ عنه مِن نظمه ، وأجازنى قبل ذلك بالقاهرة ؛ ثم سكن القاهرة من بعد سنة ثلاثٍ وثمانى مائة ، وجاور فى هذا العشر سنةً بمكة ، ونظمه كثيرٌ وغالبهُ وسط ويندر له الجيد وفيه السفساف .

مات فى العُشر الأوسط من ذى الحجة بمنزله بمصر على شاطئ النيل ودُفن بخارج باب النصر ، وغلط مَن أرّخه سنة ثمانى عشرة[2] .

٣ - أحمد بن أبى بكر بن يوسف بن عبد القادر بن يوسف بن خليل بن مسعود[3] ابن سعد الله الخليلى ثم الدمشقى الحنبلى ، وُلد سنة [ستٍّ[4] وثلاثين وسبعمائة أو التى بعدها]

---

(١) فى هامش ث : « ترجمة ابن زقاعة ، رحمه الله تعالى » .

(٢) إزاء هذا فى هامش ز بخط الصيرفى « أرخه المقريزى فى ثامن عشرى ذى الحجة سنة ١٦ » ، واكتفى الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٠ بذكر الشهر والسنة دون تحديد اليوم نقلا عن ابن حجر فى الإنباء .

(٣) « سعود » فى ز .

(٤) فراغ فى جميع النسخ والإضافة من الضوء اللامع ج ١ ص ٢٦٤ .

وسمع من [ابن القيّم وأبيه وابن عبد الهادى والجزرى] . أجاز لى وكانت وفاته فى ليلة الأربعاء ثانى[1] عشر المحرّم .

٤ ـ أحمد بن أبى أحمد بن الشُّنْبُل ـ بضم المعجمة وسكون النون ، بعدها موحّدة مضمومة ، وهو مكيال القمح بحمص ـ أبو العبّاس الحمصى ، اشتغل ببلده وولى قضاءها وقدم القاهرة مراراً ونُزِّل فى خانقاه سعيد السعداء ، ثم سعى فى قضاء دمشق فوليه فى آخر سنة ستٍّ وثمانمائة ثم عُزِل عن قرب ، وكان نبيها فى الفقه مع طيْش فيه .

٥ ـ أحمد بن الجوبان الذهبى ، شهاب الدين الدمشقى الكاتبُ المجوّد ، كان كثير المداخلة للدولة بسبب التجارة وكانت له دنيا ، واعتنى به المشير[2] فأرْسله إلى صاحب اليمن بكتاب المؤيد فلم ينلْ منه غرضاً فرجع إلى مكة فمات بها فى ثانى عشر ذى الحجة ، وكان حجَّ معنا من القاهرة فى سنة خمس عشرة وتوجّه من ثمّ إلى اليمن .

٦ ـ أحمد[3] بن حجىّ بن موسى بن أحمد بن سعيد بن غشم بن عزوان بن على بن سرور بن مشرف بن تركى الحسبانى ، شهابُ الدين بن علاء الدين ، وُلد فى رابع المحرّم سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وتفقّه على أبيه وجماعةٍ غيره ، منهم : شمس الدين بن أبى الحسن الغزّى وابن قاضى شهبة وأبو البقاء السبكى ، وسمع الحديثَ من جماعة من أصحاب الفخر ، منهم : العماد بن السيرجى وأحمد بن إسماعيل بن محمد بن محمود بن أميلة والصلاح بن أبى عمر ، وكتب الكثير وتميَّز وتقدّم فى الفقه والحديث مع الدّين والصّيانة والانجماع ، وجمع نكتاً على الألغاز للإسنوى ، وجمع تاريخاً مفيداً ودرّس وأفتى ، وولى خطابة

---

(١) « ثامن عشر » فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٦٤ ، على أنه يستفاد من الجدول الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٨ أن أول المحرم من سنة ٨١٦ كان يوم الاثنين (وهو يوافق ٣ ابريل ١٤١٤ م) .

(٢) يقصد بذلك ابن محب الدين الملقب بالمشير كما جاء فى ص ١٢ س ٢٠ ، وانظر أيضاً ص ٣٢ ، س ٦ .

(٣) فوق كلمة « أحمد » فى ز إشارة إلى إضافة فى الهامش هى « ابن موسى » .

الجامع الأمَوىّ ونظر الجامع مراراً ، وآخر ما علق من تاريخه[١] إلى ذى القعدة سنة خمس عشرة ، وقدم القاهرة مراراً آخرها فى الرسلية عن الملك المؤيّد قبل سلطنته سنة ثمان . وحصّل نسخة من « تعليق التعليق » وشهد لى فى عنوانها بالحفظ ، وكتب خطه فى أصلى[٢] .

وأُريد على قضاء الشافعية مراراً فامتنع ، وولى أخوه الأصغر نجم الدين وهو حىٌّ ، وانتهتْ إليه فى آخر وقته رئاسة العلم بدمشق . عاش خمساً وستين سنة .

وجمع أسماء شيوخه على حروف المعجم ، وكان أشياخه ونظراؤه يثنون عليه ، وقد شرح قطعةً من « المحرّر » لابن عبد الهادى ، وله نكت على « المهمّات » وعلى « الألغاز » ، وكان ديّناً خيّراً له حظّ من عبادة .

رأيْتُ[٣] فى تاريخه فى ترجمة والده قال : رأيْتُ أبى فى النَّوم فى أواخر شهر رجب سنةَ ثلاثٍ وثمانين وسبعمائة فى الأسديّة[٤] فقمْتُ خلْفه فقلتُ : كيف أنتم ؟ فتبسّم وقال : طيب ، فمشيتُ معه إلى الباب ؛ وكان من جملة ماسألْتُه : أيهما أفضل الاشتغال بالفقه أو الحديث ؟ فقال : الحديث بكثير ، قال : فقلت له ادْعِ لى ، فدعا لى بثلاث : بوفاء الدين وخاتمة الخير ، ونسيت الثالثة ، ثم التفت إلىّ كالمودّع فقال إنهم يشكرونك فقلتُ : من؟ قال : الملائكة ، فقلت : باالله؟ ، قال : نعم ، قال : فأستيقظت مسروراً » .

قال القاضى تقىّ الدين الشهبى : « وُلد فى المحرّم سنة إحدى وخمسين ، وحفظ « التنبيه » وسمع الحديث فأكثر ، واستجيز له من بلادٍ شتّى ، وجمع لنفسه معجماً

---

(١) الوارد فى السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٧٠ أنه بدأ تاريخه من سنة ٧٤١ ، هذا ويلاحظ أن أبا المحاسن أهمل فى المنهل الصافى ١/٢٤٥ – ٢٤٦ الإشارة إلى ما يستفاد منه أن صاحب الترجمة – ابن حجى – كتب فى التاريخ .

(٢) أى فى مسودة كتاب « تعليق التعليق » لابن حجر .

(٣) من هنا حتى نهاية الترجمة غير وارد فى ظ .

(٤) من مدارس دمشق للشافعية والحنفية ، وتنسب إلى مؤسسها أسد الدين شيركوه ، انظر النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١/١٥٢ وما بعدها .

مجرداً للتراجم ، وأخذ الفقه عن أبيه وابن قاضى شهبة وأبى البقاء وعن الأذرعى والحسبانى وابن قاضى الزبدانى وابن خطيب يبرود وتاج الدين السّبكى وشمس الدين الموصلى والعنّابى ، وأذن له فى التدريس والإفتاء ، وناب فى الحكم مدّة ، وجمع « الدارس فى أخبار المدارس » وهو كتاب نفيس دَلّ على اطّلاع كثير ، وذيّل على تاريخ ابن كثير بدأ فيه من سنة إحدى وأربعين ، وشرح المحرّر لابن عبد الهادى ولم يكمل ، وله نكت على الألغاز للإسنوى » .

٧ ـ أحمد بن على بن السيس[1] الحنفى ، تقدّم فى فقه الحنفية وشارك فى فنون ، وُلد سنة ٤٠ ومات سنة ٨١٦ وكان يؤمّ بالمسجد الأقصى .

٨ ـ أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن المقدسى الناصرى الباعونى[2] ـ وناصرة من عمل صفد ـ القاضى شهاب الدين الباعونى نزيل دمشق ، ـ وباعونة قرية بالقرب من عجلون ـ ، وكان أبوه حائكاً ثم اتّجر فى البزّ ، ووُلد له أحمد وإسماعيل ، وكان إسماعيل الأكبر فنشأ يصاحب الفقراء وسكن صفد

(١) « المقدسى » فى الضوء اللامع ٢/٩٠ ، والشذرات ٧/١١٨ ؛ لكنها « النقيب » فى ه ، ك .

(٢) أمامها فى هامش ث : « الباعونى هذا هو والد شيخنا الشيخ برهان الباعونى إبراهيم بن أحمد كان مولده فى سابع عشرين شهر رمضان سنة سبع وسبعين وسبعمائة ونشأ بدمشق وكان من متولى أبيه لجميع ما ذكره المقر ـ رحمه الله تعالى ـ فى ترجمة أبيه أحمد يكاد أن يكون منصفاً ولده هذا من قوة الذكاء متصفاً بالفقه وإسماع الحديث وكتابة الشعر الجيد وجودة النظم والقدرة عليه وعلى النثر وله اليد الطولى فيهما ، وكان خطيباً كما كان والده ، غير أنه لم يل القضاء وعين له مراراً ، وأرسل له بالولاية فامتنع ، وأخذ العلم عن جماعة من مشايخ أبيه وأخذ عن السراج البلقينى ، وسمع منه من زين الدين العراقى والنور الهيثمى وولى خطابة الجامع الأموى ومشيخة الباسطية بدمشق وبها كان يسكن إلى أن مات فى يوم الخميس رابع عشرى ربيع الأول سنة سبعين فيما رأيته وقد عمر ، وكان بشوشاً حسن الملتقى كثير الأفضال ، عين علماء دمشق ورئيسها وعالمها ، ولى منه إجازة عند الأمير الوالد وأطنب فى إجازته له ولولا الخوف من الإطالة لذكرت شيئاً من كلامه ونظمه . وله تخميس ألفية ابن مالك فى النحو تخميساً غاية ، يشتمل من الفوائد العجيبة الغريبة . وأما أخوه القاضى جمال الدين فهو أيضاً من محاسن الدهر فهو من متولى أخيه البرهان أيضاً ، لكنه تولى القضاء بدمشق رحمهما الله تعالى » ثم إمضاء الكاتب وهو غير مقروء .

ثم جاء تعليق آخر على هذا التعليق هو : « ومن غريب ما حكاه لى الحافظ السخاوى عن البرهان الباعونى بعد ذلك أن الزين عبد الباسط ناظر الجيش قدم إلى دمشق فى بعض قدماته فنزل بقاعته التى قال بأنها بخط الجسر الأبيض بدمشق فى طريق الصالحية فهرع الناس للسلام عليه وكان ممن سلم عليه الشيخ برهان الدين هذا فلما دخل عليه إلى القاعة أكرمه وعظمه فبقى متحيراً فى هذه القاعة ، قال : فحدثته نفسه أنه هل يجد فى الجنة له سكنا يشبه هذه القاعة أو مثلها ، ثم إنه قام من عنده ، فلما كان بالباب قبل أن يتوجه وإذا بالباب من جماعته عبد يقول له : أبشرك يا سيدى الشيخ ببشارة تسرك ، فقال له : ما هى؟ فقال له إن القاضى حول قاعته هذه لله مدرسة وولاك مشيختها وجعل لك السكنى بها ، فقال : فعجبت من ذلك » .

وتصّوف وناب فى الحكم بالنّاصرة فتخرّج به أخوه أحمد ، وحفظ « المنهاج » ولازم الاشتغال ، وكان قوىّ الذكاء ، عرَض محفوظاته على تاج الدين السبكى وابن خطيب يبرود وابن قاضى الزبدانى وابن قاضى شهبة وغيرهم وأخذ عنهم وانتفع بهم ، وأخذ النحو عن العنّابى وأجاز له .

وكان مولده فى سنة إحدى وخمسين تقريباً ، واشتغل بالفقه وسمع الحديث ، وكان ذكيًّا فطنا ، فقال الشعر وكتب الخط الجيّد ، ثم وقعت له كائنة مع أهل صفد لكوْنه مدح منطاش وغضّ من برقوق فخرج منها خائفاً يترقّب حتّى قدم القاهرة ونزل بخانقاه سعيد السعداء ، وكان السّالمىّ يعرفه من صفد فنَوّه به عند الظاهر حتى أحضره عنده وقرّبه وعامله معاملة أهل الصّلاح وولاّه خطابة جامع دمشق . وولاّه القضاء بدمشق فى ذى الحجة فباشر بحرمةٍ وافرة .

وكان عريضَ الدعوى كثير المنامات التى يشهد سامعها بأنها باطلة .

ثم عُزِل وحصل له إهانة فسُجِنَ ، ثم أُطلق ولزم داره ثم ولى خطابة بيت المقدس ، ثم ولاّه الناصر قضاء دمشق سنة اثنتى عشرة فباشره مباشرةً حسنةً بعفة ونزاهة ومداراةٍ وحرمة ، وعُزِل وبقيت معه وظائف فاستمر فيها ؛ ونظم كتاباً فى « التفسير » .

وهو الذى أثبتَ المحضر المكتتب على النّاصر بالعظائم الشنيعة ، ثم لمّا توجّه المستعين إلى القاهرة أقام الباعونى بدمشق إلى أن مات بها .

وكان طوالاً مهاباً فصيح العبارة جميلَ المحاضرة حسنَ المذاكرة سريعَ الدّمعة جدًّا مقتدراً على ذلك حتى حكى لى مَن شاهَدَه يبكى بعيْنٍ واحدة . وكان عفيفاً نزهاً لايُحابى ولايداهن ولايعاب إلاّ بالإعجاب والمزيد فى الكلام والمنامات ؛ ثم كان مِمّن قام فى خلع النّاصر فولاّه المستعين قضاء الديار المصرية ، ثم صُرِف بعد استقرار الأمْر من غير أن يباشره ولم يُرْسِل إلى القاهرة نائباً ، ثم ولى الخطابة بجامع دمشق ثم صُرف ؛ وقد اجتمعْتُ به ببيت المقدس .

وأنشدنى من نظمه ، وسمعْتُ عليه جزءًا سمعه من أحمد بن محمد الأيكى صاحب الفخر ، ثم اجتمعت به بالقاهرة . وهو القائل :

ولمّا رأتْ شَيْبَ رأسِى بكَتْ وقالَتْ عَسىَ غير هـذا عَسَى

فقلْتُ : البياضُ لباسُ المُلوكِ وإن السَّوَادَ لباسُ الأَسَى

فقالت : صـدَقْتَ ولـكنّه قليلُ النَّفَـاق بسوُقِ النِّسَا

وله قصيدة فى العقيدة أوّلهـا :

إثْبِتْ صِفَاتِ العُلَا وانْفِ الشَّبيهَ فَقَدْ أخْطَا الّذين على ماقـدْ بَدَا جمدوا[1]

وضلَّ قوْمٌ عَلَى التأْويل قد عَكَفُـوا فعُطِّلوا وطَرِيقُ الحقِّ مقْتَصِـدُ

قال القاضى تقى الدين الشُّهْبِىْ : « كان يكاتِب السلطان فيما يريده فيرجع الجوابُ بما يختار ، وانضبطت الأوقاف فى أيّامه ، وجعل[2] للفقهاء مالاً كانوا لايَصِلُون إليه قبْله ، وانتزع شيخة الشيوخ من ابن أبى الطيب كاتب السر » ، وقال أيضاً : « وقعَتْ له أمورٌ تَغيّر خاطر برقوق عليه منها - وكان طلب منه اقتراض مالٍ للأيتام فامتنع - فعُزل فى جمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وتسعين بعدما باشر سنتين وشهراً ، وعُقِدَت له بعد عزْله مجالس ولفَّقُوا عليه قضايا ، فلم نسمع عليه - مع كثرة مَن تعصّب عليه - أنّه ارتشى فى حكمٍ ولاأخَذ من قضاة البرّ شيئاً ، ثم إنه بعد ذلك ولى خطابةَ القدس مدّة ، ثم ولاّه الناصر خطابة دمشق والمشيخة ، ثم أضاف إليه القضاء فى صفر سنة اثنتى عشرة ، ثم صرفه [المؤيد] شيخ بعد ثلاثة أشهر » ، قال[3] : « وكان خطيبا بليغاً له اليد الطولى فى النظم والنثر والقيام التّام فى الحقِّ ، وكتب بخطّه كثيراً وجمع أشياء » . مات فى رابع المحرّم .

٩ - أحمد الخالدى أحد القراء بصفد ، وكانت عنده عبادةٌ وخيرٌ وله شهرة ؛ مات بصفد فى ذى القعدة .

---

(١) فى ك « عمدوا » .

(٢) فى هـ ، ك « وحصل » ولعلها أدق .

(٣) المقصود بذلك ابن قاضى شهبة .

١٠ – أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبى الفخر بن نجم بن طولو العثمانى المراغى نزيل المدينة ، زين الدين بن حسن الشافعى ، وُلد سنة ثمان أو تسْع وعشرين ، واشتغل بالقاهرة فسمع الحديث من صالح بن مختار وعبد القادر بن الملوك وأحمد بن كشْتَغْدى ، وأخذ عن الشيخ تقى الدين السبكى والشيخ جمال الدين الإسنوى ، ثم دَخل المدينة فاستوطنها ، وأجاز له قديماً – فى سنة تسع وعشرين – أبو العبّاس الحجار وأحمد بن مزيز والبرزالى والمزّى وآخرون ، خرَّجْت له عنهم أربعين حديثاً عن أربعين شيخًا ، وخرّج له الحافظ جمال الدين بن موسى مشيخةً عن شيوخه بالسّماع والإجازة وحدَّث بها ، وتفرّد بالرواية عن أكثر شيوخه ، وعمل « شرحا على المنهاج » واختصر « تاريخ المدينة[1] » .

سمعْتُ عليه بمنىً وبالمدينة وبمكة ، وولى قضاء المدينة وخطابتها سنة تسعٍ وثمانمائة ، ثم عُزِل بزوْج بنته أبى حامد بن المطرى ، ومات فى سادس[2] عشر ذى الحجة . وكان بعض من يتعصّب عليه ينسبه إلى الخرف والتغيُّر ولم يقع ذلك فقد سمعْتُ منه بمكة سنة خمس عشرة وهو صحيح ، وأخبرنى من أثق به أنه استمرّ على ذلك . عاش دون تسعين سنة إلاَّ سنتين .

١١ – أبو بكر بن يوسف بن أبى الفتح العدنى ، رضىّ الدين بن المستأْذن ، حجّ كثيراً وقدم القاهرة وتعانى النظر فى الأدب ومهر فى القراءات وتكلّم على الناس بجامع عدن وخطب ولم يُنْجِبْ . سمعْتُ من نظمه وسمع منّى كثيرا . مات وقد جاوز السبعين .

١٢ – جابر بن عبد الله الحَرَاشى – بمهملتين مفتوحتين وبعد الألف معجمة – وُلد سنة ست وخمسين باليمن[3] ونشأ بها وتعانى التجارة ، ثم خدم الشريف حسن بن عجلان وكان نظير الشّادّ له فى أمور مكة ، واشتهر بالأمانةِ والحرمةِ وبحُسْن المباشرة حتى قرّر

---

(١) يعنى بذلك كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة .

(٢) لم يأخذ السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص٣٠ بهذا التاريخ وعده وهما ، وإنما أشار إلى أن وفاته كانت فى مستهل ذى الحجة من السنة ذاتها بالمدينة المنورة .

(٣) كلمة « اليمن » ساقطة من هـ ، ك .

لبنى حسن الرسوم وزادها ، وبنى بجدّة فرضة ، ثم تغيّر على مخدومه حسن بن عجلان ووالى أصحاب ينبع وباشَرَ لهم وعمل لهم قلعةً ولمدينتهم سوراً[1] ، وكان السبب فى ذلك أن حسن بن عجلان تنكّرَ عليه فى رمضان سنة تسع فقبض عليه، ثم أفرج عنه فتوجّه إلى اليمن، ثم قدم مصر مُؤَلِّبًا على حسن [بن عجلان] فما أفاده ذلك شيئًا فرجع ، وكان قد دخل مصر أيضا فثار عليه النّاصر وصادره وحمله فى الحديد إليه[2] فتسلّمه ثم أفرج عنه وأعاده إلى ولاية جدّة فباشرها على عادته ، فاتّهمه حسن بموالاة ابن أخيه رميثة بن محمد بن عجلان ، وكان رميثة قد هجم على مكة فى جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة وهجم على جدّة ، فقام جابر فى الصلح فلم يفده ذلك عند حسن إلاّ التهمة بموالاة رميثة ، ثم ظفر به حسن فشنقه على باب الشبيكة .

وكان [جابر] داهيةً ماكراً داعيةً إلى مذهب الزيدية ، أرسَل به الناصر إلى حسن ابن عجلان سنة ثلاث عشرة ، فقتله بعد ذلك فى هذه السنة[3] فى النصف من ذى الحجة .

١٣ - حسام الدين حسام بن عبد الله الصفدى ، كان مِمَّنْ يُعتقد ببلده وله زاوية بحارة يعقوب بصفد . مات فى شهر ربيع الأول .

١٤ - حسن بن على بن [حسن[4]] بن أحمد الأبيوردى ، حسام الدين الشافعى الخطيب نزيل مكة ، كان عالماً بالمعقولات ثم دخل اليمن واجتمع بالنّاصر ففوّض إليه تدريس بعض المدارس بتعزّ فعاجلته المنية ؛ وكان قد أخذ عن الشيخ سعد الدين التفتازانى مع الدين والخير والزهد ، وله من التصانيف « ربيع[5] الجنان فى المعانى والبيان » ، وله غير ذلك .

---

(١) يستفاد من ذيل الدرر ص ١٣٥ أن هذا السور كان حول القلعة لا المدينة .

(٢) أى إلى مخدومه ابن عجلان ، راجع الضوء اللامع ٣/١٩٧ .

(٣) يعنى سنة ٨١٦ وليس سنة ٨١٣ .

(٤) الإضافة من السخاوى : الضوء اللامع ٣/٤٣٢ .

(٥) الظاهر أن السخاوى فى الضوء اللامع ٣/٤٣٢ لم يكن يعرف هذا الكتاب وإنما ذكره نقلا عن ابن حجر .

١٥ ـ رزق الله بن فضل الله بن يونس القبطى ، تاج الدين بن أبى الكرم ، أول ما باشر ديوان النائب ثم ولى نظر الجيش فباشرها مدة وعُزِل فى أثناء ذلك بسبب تغيّر الدول ، وكان رئيسًا محتشما كثير المداراة إلى الناس والعصبية لمن يقصده . مات فى رجب .

١٦ ـ عائشة بنت محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف ابن محمد بن قدامة ، المقدسى الأصل أبوها ، الصالحية ، وُلدت سنة أربع[1] وعشرين وسبعمائة ، وأُحضرت فى الرابعة على الحجار سنة ستٍّ وعشرين وسمِعَت عليه « أربعين الطائى » و « أربعين الحجّار » وغير ذلك ، وأُسْمِعَت « صحيح مسلم » على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظمَ « السيرة » على عبد القادر بن الملوك ، وشاركت أُختهَا فاطمة فى كثير من المسموعات والمجازات وتفرّدت .

وممّن أجاز لها إبراهيم[2] بن صالح بن العجمى من حلب ، والشيخ شرف الدين البارزى من حماة ، والبرهان الجعبرى من بلد الخليل ، وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس ، وتفرَّدَتْ بالسماع من الحجّار ومن جماعة ، وسمع منها الرّحالةُ فأَكْثَرُوا ، وكانت سهلةً فى الإسماع سهلةَ الجانب ، ومن العجائب أن ستَّ الوزراء [بنت[3] عمر بن أسعد بن المنجا] كانت آخر مَن حدّث عن ابن الزبيدى بالسّماع ، ثم كانت عائشةُ آخر مَنْ حدّث عن صاحبِه الحجّارِ بالسماع ، وبيْن وفاتِهما مائة سنة . ماتت فى ربيع الأوّل .

١٧ ـ عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم العمرانى الحرازى المكى ، عفيفُ الدين ابن القاضى تقىّ الدين بن الشيخ شهاب الدين ، عَنِىَ بالعلم وتَنَبَّه فى الفقه ومات بمكة وله بضع وستّون سنة .

---

(١) جاء فى الضوء اللامع ١٢/٤٩٥ وشذرات الذهب ٧/١٢١ « سنة ثلاث وعشرين » وهو الأصح لما يذكره ابن حجر نفسه من أنها أحضرت فى الرابعة سنة ٧٢٦ على الحجار .

(٢) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ١/٦٦ .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن حجر : الدرر الكامنة ٢/١٨٠٠ تمييزاً لها عن ست الوزراء بنت أبى الفضل يحيى الثعلبى ، انظر نفس المرجع ٢/١٨٠١ .

١٨ ــ عبد القويّ بن محمد عبد القويّ البجائي[١] المغربيّ المالكي الفقيه نزيل مكة ، تفقّه وأفادَ ودرّس وأعاد وأفْتى ، وكان خيِّرًا ديِّنًا . مات في شوال وقد جاوز الستين .

١٩ ــ عثمان بن إبراهيم بن أحمد ، فخر الدّين البَرْمَاوي ، اشتغل كثيراً ومَهر في القراءات ووَلِىَ تدريس الظاهرية[٢] فيها بعد الشيخ فخر الدين إمام الجامع الأزهر ، وكان نبيهًا في العربيَّة وسمِع الحديثَ كثيراً ورافقنا في بعض ذلك ، واستملى بعض مجالس عند شيخنا العراقي ، وناب في الحكم . مات فجأةً عند خروجه من الحمام في تاسع[٣] عشر شعبان ولم يكمل الستين[٤] ، وكان أبوه[٥] قد عمّر فمات[٦] قبله بعشر سنين .

٢٠ ــ العجل بن نعير بن حيار بن مهنّا ، يقال اسمه يوسف بن محمد ، وُلد بعد الثمانين ونشأ في حجر أبيه ، ثم لما بلغ العشرين فارقه ومال مع جكم ، ولمّا وقع بين جكم وبين ابن صاحب الباز حضر نعير في نصر ابن صاحب الباز ، والبازُ وابنه مع جكم ، فلما كسر جكم نعيراً وأسره أحضر إليه ابنه العجل فقبّل يده فأعرض عنه وذلك سنة ثمان .

ثم هرب من جكم فقرّر جكمُ في إمرة العرب فَضْلَ بن عليّ بن نعير ، ثم حاصر العجلُ حماة فجاء إليه نوروز من دمشق فأوقع به وكسره ونُهب له شئٌ كثير ، ثم اتّصل العجل بشيخ وحَضر معه حصار حماة ونوروز بها ، فلما ولى شيخُ نيابة حلب فرّ منه العجل فخرج شيخ إلى تلّ السلطان ليَمنع العجلَ من قسم إقطاعات العرب وقسّمها هو ، ثم إن نوروز تصالح مع العجل وردّ عليه إقطاعه بعد قتل الناصر[٧] .

---

(١) « العجائى » في ز ، لكن انظر الضوء اللامع ٨١٢/٤ ، وشذرات الذهب ١٢١/٧ .

(٢) هى المدرسة الظاهرية برقوق الجديدة .

(٣) « سابع عشر » في الضوء اللامع ٤٣٦/٥ .

(٤) « الخمسين » في ك . وإلى هنا تنتهى الترجمة بها .

(٥) إكتفى الضوء اللامع ج ١ ص ١٦ بذكر اسمه ثم الإشارة إلى أن ابن حجر ذكر أنه مات قبل ولده صاحب الترجمة بعشر سنين .

(٦) في هـ « فاستقبله » بدلا من « فمات قبله » .

(٧) جاء في هامش هـ أمام هذه الترجمة : « حدثنى العلامة قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة أن شخصاً من أهل حلب تخوف على نفسه من أهل الدولة فهرب إلى العجل هذا فأجاره ، وكان لذلك الشخص مملوكان كان قد أحسن إليهما حتى عظما =

ثم لمّا ولى نوروز يشبك بن أزدمر بحلب وطردوه عنها واختاروا دمرداش — وكان بقلعة الروم بطّالا — حضر نوروز[١] إلى حلب فهرب دمرداش وفرّ نوروز بحلب إلى طوخ، فلما رجع نوروز طرق دمرداش حلب بغتة فاستنجد طوخ بالعجل فحضر ورحل دمرداش، ثم فهم طوخ من العجل عدم المناصحة ، واتفق أن العجل طلبه لضيافةٍ عملها له فتعلّل، فركب العجل إلى طوخ فى عشرة أنفس ، فلاقاه طوخ فى نحو العشرين، فلمّا التقيا وتصافحا أمسك طوخ بيد العجل وأشار إلى بعض أتباعه فقتله وذلك فى تاسع عشر ربيع الأوّل، ويقال إنه كان حينئذ سكرانا .

وكان[٢]شهما فتّاكا محبا للخمر شديد السطوة والجرأة، فلما قَتل من أغضبه بغير موجبٍ قُتل ، وبقتله انكسرت شوكة آل مهنّا .

٢١ — على بن عبد الله المصرى نور الدين القرافى الحنفى ، ناب فى الحكم ومهر فى ذلك وشارك فى مذهبه . مات فى رمضان .

٢٢ — على بن محمد بن محمد الدمشقى صدر الدين بن أمين الدين بن الأدمى الحنفى ، وُلد سنة سبعين[٣] ، واشتغل بالأدب ونَظَرَ فى الفقه وكَتَبَ الخطّ الحسن ، وناب فى الحُكْم ،

= فصارا أميرين فى حلب ، ثم إنهما كانا بعد هروب سيدهما يؤذيان أصدقاءه ويكذبان عليهم بأن عندهم ودائع له ونحو ذلك حتى عظم . وكان أصحابه يرسلون إليه يشتكون إليه من مملوكيه فشق ذلك عليه ، فشكاهما إلى العجل هذا فقال: إذا قدمت إلى حكمت بقتلهما ، فقدم حلب فتلقاه أمراؤها وأكابرها على عادة تلقيهم الأمراء إلا نعير ، ثم أنزلوه فى مكان وجاء الناس للسلام عليه ومنهم المملوكان ، فلما دخلا قال لهما سيدهما . . . وهو منه على سنة العرب . . بين يديه ومعهما سيفاهما قال لهما إنهما شجيعان ، فقال منذ ابن لسبعين فقال لأستاذهما نعم وهما شجاعان ، فقال لأحدهما : أرنى سيفك ثم للآخر كذلك ثم اعتقلهما وجعل ثلاثين من جماعة على رءوسهما وقال لكل واحد منهما غمس (؟) أمامه ، ثم قال : ارحلوا فرحلوا وتركوهما على حالهما ، ولم ينتطح فيهما عنزان ، والله المستعان » .

(١) العبارة من هنا حتى « طرق دمرداش » س ٣ غير واردة فى هـ .

(٢) المقصود بذلك العجل بن نعير صاحب الترجمة .

(٣) تردد السخاوى فى الضوء اللامع ٦/٢٥ بين جعل مولده سنة سبع أو ثمان وستين لكنه جزم فيما أورده فى ذيل رفع الاصر ص ١٨٦ بأنه ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وخطأ من قال سنة ٧٧٠ هـ .

وولى كتابةَ السرّ ونظر الجيش بدمشق ، واشتغل بالقضاء بدمشق ثم بالقاهرة ، وجُمِع له القضاءُ والحسبة فى دوْلة المؤيدّ كما تقدّم ، وقد أُصيب مرارًا وامتُحِن . ودَخل القاهرة مع المؤيّد فقيراً جداًّ بحيث أنه احتاج إلى نزْرٍ يسيرٍ للنَّفقة فاقترضه مِن بعض أصْحابه ، ولمَّا مات خلَّف من المال جملةً مستكثرة ، وكان لا يتصوّن ولا يتعفَّف سامحه الله . مات فى رمضان بعلّة الصرع القولنجى وبها مات أبوه ؛ ومِن نظْمه ما أنشدنى لنفْسه وكنتُ اقترحْتُ عليه أن يعملَ على نمط قَوْلى :

نَسِيمُكُم يُنْعِشُنِى والدُّجَى ... طَالَ ، فمَنْ لى بِمَجِئ الصَّبَاحْ
وياصِبَاحَ الوجْـهِ فارَقْتُكُمْ ... فشِبْتُ همًّا إذْ فَقَدْتُ الصَّبَاحْ

فعمل ذلك فى سنة سبع وتسعين وأنشدنيه عنه جماعة ، ثمّ لقِيتُه فأنشدنى لنفسه :

يَا مُنْهِمِى بالصَّبْرِ كُنْ مُنْجِدِى ... وَلاَ تُطِلْ رفْضِى فـإِنِّى عَاسِيلْ
أَنْتَ خَلِيـلِى فبِحَقِّ الهَـوَى ... كنُ لشُجُونِى راحمًا يا خَلِيلْ[١]

٢٣ ــ عمر[٢] بن الشيخ خلف الطوخى ، سقط من سطح جامع الحاكم فمات ، وكان خيِّراً حسن السَّمْت .

(١) وردت فى هامش ه إضافة بخط البقاعى هى « على بن على الحسينى الشريف الجرجانى صاحب التصانيف المشهورة فى العقليات والأدبيات ومحقق زمانه ، كذا رأيت اسمه ونسبه بخطه مع تلميذه الشيخ محمد الكريمى فدله ، أخذ عنه شرح المفتاح والمواقف وغيرهما وحاشية على الكشاف والتجريد والشمسية وغير ذلك فى غاية الشهرة . وكان يبارى الشيخ سعد الدين التفتازانى وكان فصيحاً علامة محققا ، يقصد تسهيل العبارة ليفهم علمه ، رحمه الله . بلغنى أنه مات فى سنة ست عشرة هذه ولم يخلف بعده من يقاربه ، وسيأتى على حاشية ترجمة العلامة الرومى سنة إحدى وأربعين يذكر فيه ، ثم أخبرنى الأوحد المفنن جمال الدين محمد بن الناصر محمد بن السابق الحموى الحنفى أن العلامة شهاب الدين بن عربشاه الحنفى فارق السيد هذا فى بلاد العجم سنة تسع عشرة ثم بلغه عن قرب أنه مات فى تلك السنة ، وكان شيخاً كبيراً جداً فالظاهر أن مولده فى حدود سنة أربعين وسبعمائة ».

(٢) الواقع أن إيراد هذه الترجمة فى هذه السنة سهو من ابن حجر ذلك أن عمر بن الشيخ خلف الطوخى هذا مات فى مستهل ربيع الأول سنة ٨٥٦ ، أى بعد وفاة ابن حجر نفسه بأربع سنوات ، وقد تنبه لهذا السخاوى فأشار فى الضوء اللامع ٢٨٢/٦ إلى ذلك فى قوله « وفى سنة ست عشرة من إنباء شيخنا : عمر بن خلف الطوخى سقط من سطح جامع الحاكم فمات وهو وهم فالذى سقط هو أخوه محمد » ، وعلق الصيرفى بخطه أمام هذه الترجمة فى هامش ز بقوله « .... والذى سقط إنما هو محمد لا عمر ، وأما عمر فتأخر حتى مات بعد وفاة المصنف ، وكان شيخنا ظن أنه هو ، وقد رأيته فى طبقة سماع البخارى على ابن أبى المجد محب الدين محمد فهو هذا » . ونضيف إلى هذا أن ابن حجر كان متين الصداقة بعمر « وكان كل منهما يجل الآخر » ، هذا ولم أجد لأخيه « محمد » ترجمة فى الضوء اللامع رغم إشارة السخاوى إلى أنه سيوردها .

٢٤ ـ فتح الله[1] بن معتصم بن نفيس الداوُدى التبريزى [البغدادى المولد] ، فتح الدين الحنفى ، وُلد سنة تسع وخمسين وقدم مع أبيه إلى القاهرة فمات أبوه وهو صغير فكفله عمّه بديع بن نفيس فتميَّزَ فى الطِّبِّ وبرع ، وقرأ « المختار فى الفقه » ، وتردّد إلى مجالس العلم وتعلّم الخطّ ، وباشر العلاج وصحب بيبغا السابقى فى أيّام الأشرف واختُصّ به فرافقه من مماليكه الأمير شيخ الصفوى ؛ وكان بارعَ الجمال فانتزعه برقوق لما قَبض على السابقى وصار مِن أخصّ المماليك عنده ، فزوّج فتح الله أُمّه وفوّض إليه أمورَه وأسكنه معه فاشتهر حينئذٍ وشاع ذِكره ؛ واستقر فى رئاسة الطبّ بعد موت عمّه بديع ثم عالج برقوقًا فأعجبه .

وكان يدْرى كثيراً من الألسنة ومن الأخبار فراج على الظّاهر واختُصّ به وصار له مجلس لا يحضر فيه غيره ، فباشر رئاسة الطّب بعفّة ونزاهة ، فلما مات [محمود] الكلستانى قرّره الظاهر فى كتابة السرّ بعد أن سعى فيها بدْرُ الدِّين بن الدمامينى بمالٍ كثير فلم يُقْبِل عليه الظّاهر ، وباشر [فتحُ الله] بعفّةٍ ونزاهةٍ وقُرْبٍ من الناس وبشاشة وجدّ ، وجعله الظاهرُ أحدَ أوصيائِه واستمرّ فى كتابة السرّ بعده ولم يُنكَبْ إلاّ فى كائنةِ ابن غراب ثم عاد .

وكانت خصاله كلها حميدة إلاّ البخل والحِرْص والشّح المفرط حتى بالعارية وبسبب ذلك نُكِب ، فإن يشبك لما هرب من الوقْعة التى كانتْ بينه وبيْن النّاصر ترك أهله وعياله بمنزلٍ[2] بالقرب منه فلم يُقْرِهم السلام ولا تَفَقَّدَهم بما قيمته الدرهم الفرْد فحقد عليه ذلك، وكان ذلك أعظم الأسباب فى تمكين ابنِ غرابٍ مِن الحطّ عليه ، فلما كانت النكبة المشهورة لجمال الدين كان هو القائم بأعبائها وعظُم أمرُه عند النّاصر من يومئذٍ وصار كل مباشِر ـ جَلَّ أو حقر ـ

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « أخبرنى الفاضل عز الدين محمد بن أحمد التكرورى الكتبى أن جماعة أخبروه أن فتح الله هذا كان ذا باع طويل فى الغيب حتى إنه مر يوماً فى سوق الكتبيين فرآى شخصا ينسخ فى كتاب وليس به مرض فتأمله وقال : هذا يموت اليوم . فكان كذلك » .

(٢) فى الضوء اللامع ٦/٥٥٦ « بمنزله » .

لا يتصرّف إلاّ بأمْره ، فلما انهزم النّاصر وغلَب شيخ استمرّ به وقام بالأمر على عادتِه إلى أن نكبهُ فى شوال سنة خمس عشرة وثمانى مائةٍ واستمرّ إلى أن مات .

قرأت بخط الشيخ تقى الدين المقريزى : « كان لفتح الله فضائل جمّة غَطَّاها شُحّه حتى اختلق عليه أعداؤه معايب فبرّأه الله منها، فإنّى صحبْتُه مدةً طويلة تزيد على العشرين ورافقْتُه سَفَراً وحضراً فما علمْتُ عليْه إلاّ خيْراً ، بل كان مِن خَيرْ أهْل زمانه رصانةَ عقلٍ وديانةً وحسنَ عبادةٍ وتألُّهٍ ونُسْكٍ ومحبّةٍ للسّنَّةِ وأهلها وانقيادٍ إلى الحق، مع حُسْن سفارةٍ بيْن النّاس وبين السلطان والصّبْر على الأذى وكثرةِ الاحتمال والتؤدة وجوْدة الحافظة ، وكان يُعابُ بالشحّ[1] بجاهه وبماله فإنّه كان يخذُلُ صديقه أحوجَ ما يكون إليْه ، وقد جوزِىَ بذلك فإنّه لما نُكِب هذه المرّة تخلّى عنه كلُّ أحدٍ حتى عن الزيارة فلم يجِدْ معينًا ولا مغيثًا ، فلا حوْل ولا قوّة إلاّ بالله » .

٢٥ — فضْلُ بن عيسى بن رمْلة بنْ جماز أمير آلِ علىّ ، كان مِمّنْ نَصر برقوق لما خرجَ من الكرك فصار وجيهًا عنده ولم يزلْ إلى أن قَتلَهُ نوروز فى ذى القعدة ، ووَلِىَ الإمرةَ خمسًا وثلاثين سنة .

٢٦ — محمد بنُ إبراهيم بن عبد الحميد بن على المرغانى[2] نزيلُ مكّة ، اشتغلَ بالأدب ونظْمِ الشِّعر وفاق ، وكان به صَمَمٌ ؛ وكان لذكائه يُدْرِكُ ما يُكتب له فى الهواءِ وما يُكتب فى كَفِّه بالإصبع ليلاً . مات بمكة وقد جاوز السّتين ؛ وقد حاكاه فى ذلك صاحبنا عبد الرحمن[3] بن على الحلبىّ الأصل سبْطُ الشيخِ أبى أُمامة بن النّقاش .

---

(١) فى ه « بالشح بماله »

(٢) فى ه ، ك « الموغاتى » ، وفى ز « الموعانى » ، ولكنه الموغانى فى الضوء اللامع ج ٤ ص ٩٤ س ٢٦ ، ثم « الموغاتى » فى نفس المرجع ٨٧٧/٦ ، والوارد فيه أنه مات سنة ٨١٠ .

(٣) هو عبد الرحمن بن على بن أحمد بن عثمان الأنصارى الخزرجى ، سبط ابن النقاش ، ولد بالقاهرة سنة ٧٨٤ ، ودرس الحديث والنحو والفقه ، ولما بلغ مرض مرضا خرج منه بالصمم ، وذكر عنه السخاوى فى الضوء اللامع ٢٧٨/٤ أنه « لم يكن يسمع ألبتة ، بل كان من أراد تحديثه يحرك له بإصبعه على كمه أو على كفه من داخل كمه بحيث لا يرى، أو على ظهره بملامسته الإصبع لجسده ، كل ذلك كهيئة من يكتب فيفهم به مراده » ، وكان موته سنة ٨٥٥ .

٢٧ — محمد بن أحمد بن خليل المقرى[١] ، شمسُ الدين الغَرَّاقى[٢] — بالمعجمة وتشديد الرّاء وبعد الألف قاف — اشتغَلَ كثيراً وتَمهَّر فى الفرائض وشَغلَ النّاسَ فيها بالجامع الأزهر وكثُر طلبَتُه وأَمَّ بالجامع المذكورِ نيابةً ، معَ الدِّين والخيْر وحُسْنِ السَّمْتِ والتَّواضع والصَّبْر على الطلبة ، وكان يقسِّم « التنبيه » و « المنهاج » فيقرِّر[٣] عنهما جميعًا فى مدّةٍ لطيفة ؛ وقد سمع من عزِّ الدين بنِ جماعة بمكة وحدّث وجاور كثيرًا ، وكان يعتمر فى كل يوم أربع عمرات ويختِم كل يوم ختمة . مات فى خامس شعبان .

٢٨ — محمد بن عبد الله الحجبى[٤] الحنفى الملقّب « القطعة » ؛ كان من أكثر الحنفيّة معرفة باستحضار الفروع مع جمود ذهْنِه ، وكان خطه رديئاً للغاية ، وكان رثّ الهيئة خاملاً . مات فى رمضان .

٢٩ — محمد بن عُمر العَوَارِى[٥] — بفتح المهملة والواو الخفيفة — الفقيه جمالُ الدّين التعزى ، اشتغل ببلده وشغل الناس كثيراً واشتهر وأفتى ودرّس ونَفعَ الناس وكثُرَتْ تلامذتُه ،

---

(١) « المصرى » فى ه ، ك .

(٢) « العراق » فى شذرات الذهب ١٢٢/٧ وليس ذلك عن تصحيف فيه إذ قال « بفتح المهملة وتشديد الراء وبعد الألف قاف : نسبة إلى بعض قرى الديار المصرية » فإذا صح هذا صح نعته « بالمصرى » ، انظر الحاشية السابقة ؛ وبالرجوع إلى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق٢ ، ج٢ ، ص ١٨٦ نجد الإشارة إلى قرية « العراقية » — مؤنث عراق بكسر العين — وذكر أن اسمها الأصلى منية القرعان ، وأنها ظلت بهذا الاسم إلى زمن متأخر عن زمن صاحب الترجمة حيث طلب الأهالى تسميتها بالعراقية نسبة إلى الشيخ محمد بن عراق صاحب المقام الموجود بها ، ولعل صاحب الشذرات : ابن العماد الحنبلى — وقد مات سنة ١٠٨٩ — يشير إلى هذا الأمر ، فقد ورد فى كتاب در الحبب فى تاريخ أعيان حلب لإبراهيم بن الحنبلى — وهو الكتاب الذى نعده للنشر محققاً — الإشارة إلى سيدى محمد بن عراق . على أن السخاوى عاد فى قسم الأنساب من كتابه الضوء اللامع ، ج ١١ ص ٢١٦ فقال : « الغراقى نسبة لغراقة — بمعجمة مفتوحة ثم راء مهملة مشددة بعدها قاف — قرية من القرى البحرية من الشرقية » ثم ذكر اسم صاحب الترجمة ، وجاء فى التعريف بها فى القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج١ ص ١٦٩ ، أنها من القرى القديمة ، ولكن ذكر أنها من قرى الدقهلية لا الشرقية ؛ هذا وقد ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ١٠٢١/٦ كما أثبتناه بالمتن وكرر بهذا الرسم أيضاً فى ترجمته ، والضبط أعلاه من نسخة ه .

(٣) فى الضوء اللامع ١٠٢١/٦ ، وفى ك « فيقرن بينهما جميعا » .

(٤) فى ه « العجمى » ، وفى الشذرات ١٢٣/٧ « الحجى » وفى ك « الحجبى » ، وقد تعذرت قراءته فى نسخ الإنباء ، أنظر أيضا الضوء اللامع ٢٧٥/٨ .

(٣) بالدال فى ه ، وبالراء فى الشذرات ١٢٣/٧ ، وكذلك فى الضوء اللامع ٦٧٣/٨ وذلك نسبة إلى قرية تحت جبل بعدان ، وقد جاء فى مراصد الاطلاع ٩٦٩/٢ « عوار — بضم العين — جبل » .

ثم ولى القضاء ببلده فباشر بشهامة وتَرَكَ مراعاةَ أهلِ الدولة فتعصّبوا عليه حتى عُزِل ، وقد أراقَ فى مباشرته الخمور وأزال المنكرات وألزمَ اليهودَ بتغيير عمائمهم ، ثم بَعْد عزْلِه أقبل على الاشتغال والنَّفع للناس إلى أنْ مات .

٣٠ — محمد بن محمد بن سلّام[1] الاسكندرانى ثم المصرى نزيل جزيرة الفيل ، ناصرُ الدين ، أحدُ التجار الكبار بالقاهرة صَاهرَ البرهان المحلّى[2] على ابنته فعَظُم أَمْره ، ثم لمّا مات خلّف أموالاً عظيمة فتصرّف فى أكثرها محبّ الدين المشير وغيره وتمزّقت أمْواله ؛ وكان عمّر دارًا جليلة بجزيرة الفيل فاستأْجرها القاضى[3] ناصر الدين البارزى وشيدّها وأتقنها وأضاف إليها مبانِىَ عظيمةً إلى أن صارت دار مملكةٍ أقام بها الملكُ المؤيّدُ مدّة ، ثم بعد ذلك عادَتِ الدار إلى أصحابها وفرق بين المساكن ، ومات فى أول هذه السنة .

٣١ — محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى ، القاضى شمس الدين الإخنائى السّعدى ، كان يذكر أنّه من ذرّية شاور وزير الفاطميين ؛ وُلد سنة سبعٍ وخمسين واشتغل قليلاً وناب فى الحُكم عن البرهان بن جماعة بدمشق[4] فى بعض البلاد ثم ناب بدمشق ، ثم ولى قضاء حلب — فى سنة سبع وسبعين — عوضًا عن ناصر الدين خطيب بَعْرين نحو سنتين ، ثم[قَضاء] دمشق فى الأيّام الظاهرية ثم النّاصرية ، ثم وَلِىَ قضاء الديار المصرية مراراً ، ثم أَخْرَجَه جمال الدين الأُستادار إلى دمشق فوَلِى قضاءها مراراً ثم امتُحن مراراً .

وكان شكلاً ضخْما حسنَ الملتقى كثيرَ البِشْر والإحسانللطَّلبة ، عارفا بجمْع المال ، كثيرَ البذْل على[5] الوظائف والمدارة للأكابر ، وكان قليلَ البضاعة فى الفقه وربما افتُضِح فى بعْض المجالس لكنه كان يَسْتُر ذلك بالبذْل والإحسان . اجتمعْتُ به عند [يلبغا] السالمى وعند

---

(١) وردت مضبوطة هكذا فى ه ، وكذلك فى الضوء اللامع ٩/٢٣٣ .

(٢) راجع الجزء الثانى من إنباء الغمر ص ٢٧٠ ، ترجمة رقم ١ .

(٣) ساقطة من ه .

(٤) لعله يريد « الشام » .

(٥) من هنا حتى ص ٣٦ ، س ١٥ ساقط من نسخة ك .

[قطلوبغا] الكركى ولم يتّفق أنّنى اجتمعْتُ به فى منزله لا بدمشق ولا بالقاهرة ، وكنتُ بدمشق سنة اثنتين وثمانمائة وهو قاضيها فلم أجتمع به وما كنْتُ حينئذٍ أُدْمِنُ الاجتماعَ بأحدٍ من الرؤساء ، ولكنّنى اجتمعْتُ به فى مجلسِ الحديث فى بيْتِ قطلوبغا الكركى ومرةً أخرى فى بيْت يلبغا السالمى ، وكان يقول : « أنا قاضٍ كريمٌ ، والبُلقينى قاضٍ عالم » عفا الله عنه.]
مات فى رجب ولم يُكْمِلِ السبعين .

٣٢ ـ محمّد بن محمّد بن محمّد بن مُسَلَّم بن علىّ بن أبى الجود ، ناصر الدين بن الغرابيلى الكركى[1] ، وُلد بها[2] سنة ٥٣ ، وكان أبوه مِن أعيانها فنشأ فى نعمة واشْتغَل بالعِلم والآداب وصَاهَر العماد الكركى على ابنتِه ، وسكن القاهرة سنين ، ثم ولِى نيابةَ قلعة الكرك ، ولما عُزِل سكن القدس إلى أن مات فى شعبان[3] وكان فاضلاً يرجع إلى دين ، وأنجب ولده الحافظ تاج الدين الغرابيلى الذى مات فى سنة خمسٍ وثلاثين .

٣٣ ـ موسى بن أحمد بن موسى الرّمشاوى[4] ثم الدمشقى الشافعى ، شهابُ الدين ،

---

(١) أمام هذه الترجمة فى هامش ه بخط البقاعى ، ورد التعليق التالى وبعض كلماته مطموسة : « قرأت بخط ولده تاج الدين أبى الجود السالمى الكركى : حفظ القرآن وصحب البرهان الصوفى بالكرك وأخذ عنه التصوف ، وتوجه إلى مصر صحبة صهره القاضى عماد الدين فقرأ على العلامة . . . . أصول ابن الحاجب ، وبحث فى دروس صهره ومدح وأثنى على ذكائه وحسن إشكاله ، ولم يزل مقيما بالقاهرة إلى حدود سنة خمس وثمانى مائة أو ست فتوجه على نيابة القلعة بالكرك فأقام بها مدة، ثم توجه إلى الديار المصرية من قبل نائبها شاهين السلارى فوجد جمال الدين الأستادار فأقبل عليه إقبالا كليا وأتحفه بالإقطاع المليح ببلاد غزة والخليل والقدس ، وعينه على تجديد سماط الخليل عليه السلام لما انقطع ، وبعد ذلك عرض عليه نظر الجيوش فأبى وامتنع وصمم لما رأى من سرور أهل بلد الخليل ، ثم بعد ذلك انقطع ببيت المقدس على تلاوة القرآن والانجماع عن الناس إلى أن توفى ليلة الجمعة سابع عشر رجب سنة ست عشرة وثمانى مائة، وحمل إلى ماملا فدفن بها على قارعة الطريق فى خشخاشة حفرها قبل موته نقراً فى حجر ؛ وربما كان يختم القرآن بها فى حياته ولم يفعلها حتى دفن فيها . رحمه الله » . أما ولده تاج الدين الذى يشير إليه البقاعى فهو محمد أيضاً المولود بالقاهرة سنة ٧٩٦ ، ثم انتقل به أبوه إلى الكرك ثم تحول به إلى القدس سنة ٨٢٧ ، وأخذ نفسه بعلم الحديث ، كما اتصل بابن حجر فى هذا الفن ، وكانت وفاته سنة ٨٣٥ .

(٢) أى ولد بالكرك .

(٣) بعد أن أشار السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/٧ إلى موته فى شعبان ـ نقلا عن إنباء الغمر ـ قال « يقال إنه مات فى رجب وهو المكتوب على عمود قبره » .

(٤) فى ز « الرشاوى » ، وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ١٠/٧٥٧ ، وشذرات الذهب ٧/١٢٣ ، وكذلك نسخة ه من الإنباء ، راجع ترجمة الرمشاوى هذا فى النعيمى ؛ الدارس فى تاريخ المدارس ١/١٥٥ ـ ١٥٦ .

وُلد سنة ستّين تقريباً واشتغلَ فأخذ عن الشيخ شرف[1] الدين الغزّى ولازمه وأذِن له فى الإفتاء ، وأخذ الفرائض عن محبّ الدين المالكى وفضُل فيها ، وأخذ بمكة عن ابن ظهيرة ؛ وأخذ طرفًا من الطب عن الرئيس جمال الدين ؛ وكتب بخطه ومَهر وتعانى الزراعة ، ثم تزوّج بنت شيخه[2] فماتت معه فورث منها مالاً ؛ ثم بذَل مالاً حتى ناب فى الحكم واستمر ، ثم ولى قضاء الكرك سنة أربعٍ وعشرين ؛ قال ابن قاضى شهبة فى تاريخه : « كان سّيىء السيرة ، فَتَح أبوابًا من الأحكام الباطلة فاستمرّتْ بعده ، وكان عنده دهاء ، ومات بدمشق فى ربيع الأوّل وقيل إنه سُمّ ، وصاهر [شمس الدين] الإخنائى ، وقد امتحن مرة » .

(١) هو الشيخ عيسى بن عثمان الغزى ، درس على ابن قاضى شهبة والحسبانى وابن حجى من علماء الشام ، وتصدى للإفتاء ، وله عدة مؤلفات كما ذكر ابن حجر فى الدرر الكامنة ٣١١٩/٣ ، هذا وقد تزوج صاحب الترجمة ثلاث نساء ، وكان موته فى رمضان ٧٩٩ ، راجع أيضا إنباء الغمر ٥٣٨/١ ترجمة رقم ٣٨ .

(٢) يعنى بذلك زوجته الأولى ابنة شيخه الشيخ شرف الدين الغزى ، انظر الحاشية السابقة .

سنة سبع عشرة وثمانى مائة

استهلّت وقد صمّم السلطان المؤيّد على سَفر الشام لقتال نوروز فخرج فى رابع المحرّم من القلعة إلى الرّيدانية فى قليلٍ من العسكر ، واستناب ألطنبغا العثمانى فى باب السلسلة ، وقرّر للحُكم قجق الحاجب ، وفى القلعة صُمَاى وبردبك ، وقرّر صدر الدين بن العجمى فى نظر الجيش بدمشق ، وصُرِف من التُّربة الظاهرية وأُعيد إليها حاجّى فقيه ، وأُعيدت المواريث لديوان الوزارة .

وفى هذا اليوم هبّت ريح شديدة تلاها رعدٌ عظيمٌ وبرقٌ ومطرٌ غزير وبرْدٌ مَلَأَ وجْه الأرض كل واحدة قدر . . . . [1] . . . . وأكبر من ذلك وخربت عدة دور ، وجُمِع منه الكثير حتى بيع فى الأسواق بستّةٍ كلُّ رطلٍ ، وأحضروا للسلطان منه ـ وهو معسكِرٌ بالريدانيّةِ ـ فى طبقٍ فأعجبه ذلك واستبشر به ، وأنه يدكُّ بلاد الثلج وكان ذلك فى بشنس[2] من الأشهر القبطيّة ، وقد وقع[3] قريبٌ من ذلك فى سنةٍ تسعٍ وتسعين وسبعمائة فى سلطنة الظاهر برقوق .

* * *

واستمر [السلطان] متوجّها فى تاسع المحرم ومعه الخليفة الجديد والقضاة وأربابُ الدولة إلاّ الأُستادار فإنّه توجّه إلى الوجه البحرىّ ثم عاد بعد أيام بأجمال موقرة ذهباً ولحق بالسلطان ؛ ودخل المؤيد غزةَ فى العشرين من المحرّم وأقام بها أيّاماً ، ثم رحل فنزل على قبة يلبغا ثامن صفر ، وكان سبب تباطيه فى السير الاحتراز على نفْسه من أعدائه وممّن معه ، وفى غصون ذلك كان يحضر إليه جماعةٌ بعد جماعةٍ من الظاهرية والناصرية يفرّون من نوروز وأكثرُهم ممّن كان يؤثر الإقامةَ بالدّيار المصرية ، ومن أسباب ذلك أنه كان وَقع الغلاءُ فى الشام .

---

(١) فراغ فى نسخ المخطوطة .

(٢) يوافق بشنس إذ ذاك شهر ربيع الأول (= مايو ويونيو ١٤١٤) من هذه السنة ، انظر جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٩ .

(٣) راجع إنباء الغمر ج ١ ص ٥٢٧ س ١٢ــ١٣ .

ثم التَقتْ طلائع الفريقَيْن فرجحَتْ طليعةُ نوروز ، وكان شيخ بِشَقْحَب فركب إليهم فداهمهم،فانهزم أصحاب نوروز واستعدّ نوروز للحصار وحَصَّنَ القلعة ،فبعَث إليه المؤيّدُ مجدَ الدين قاضِيَ الحنابلة فى طَلبِ الصلح فامتنع فوقعت الحرب ، ووصل كزل نائبُ طرابلس فحمل بمَنْ معه فانهزم نوروز كعادته وامتنع بالقلعة،ومَلكَ المؤيّدُ البلدَ فنزل بالميدان وحاصَرَ القلعةَ إلى أنْ ضاق بنوروز الأمرُ ومال إلى طلبالصلح ، فأرسل قمش فقرّر له الصلح ونزل هو ويشبك بن أزدمر وسودون كسا وبرسنبغا وإينال وغيرهم فقُبض عليهم جميعاً وقُتِلوا فى ليلتهم ، وبَعث برأس نوروز إلى القاهرة فوصلوا بها فى جمادى الأُولى فعُلقَتْ على باب القلعة صحبةَ جرباش[1] قاشق ، وكان يومئذ أميرَ عشرة ، وكان أوّلَ ما تقدّم نوروز تقدمةً فى صفر سنة سبع وتسعين فى اليوم الذى تأمَّر فيه شيخٌ طبلخاناه ؛ ثم توجّه المؤيّدُ إلى جهة حلب فى ثامن جمادى الأُولى ثم توجّه منها فى آخر جمادى الآخرة إلى الأبلستين ودَخل إلى ملطية وقرّر قواعدَ البلاد ، ووافاه نوّابُ القلاع فقرَّر مَن أراد وصَرف مَن أراد صَرْفه ، وقتل طوغان نائبَ قلعة الروم وقرَّر فيها جانبك الحمزاوى ورَجع إلى القاهرة .

واستناب فى ملطية كزل ، وفى حلب إينالَ الصصلانى ، وفى حماة تنبك البجاسى ، وفى طرابلس سودون مِن عبد الرحمن ، وفى الكرك يشبك وقد صارت خراباً من الفتن ؛ ثم قدم دمشق فوصل فى ثالث رجب فاستناب فيها قانباى[2]، وسار إلى القدس فوصلها فى أوّل شعبان ومضى إلى غَزّة فاستناب فيها طراباى ،وسار منها فدَخل سرياقوس فى رابع عشرى شعبان وأقام إلى آخر الشهر ، وعمل أوقاتاً بالقرّاء والمغنِّين والسماعات وفرّق على أهل الخانقاه مالاً . ورَكب يومَ الأربعاء سلخ شعبان فبات بالرّيدانية وأصبح يوم الخميس فعسكر وطَلع إلى القلعة فانتَفَض عليه ألمُ رِجله من ضربات المفاصل فانقطع به مدّة .

---

(١) فى ه « شرباش قاشوق » ويلاحظ أن السخاوى فى الضوء اللامع ٢٧٢/٣ نص على أنه يعرف بجرباش عاشق ، وهذا وقد امتد به العمر حتى مات سنة ٨٦١ وقد شاخ . هذا وقد جاء فى هامش ث التعليق التالى : « جرباش عاشوق هذا هو الأمير جرباش الكريمى أصله من مماليك الظاهر برقوق أعتقه فى سلطنته الأولى قبل واقعة منطاش والناصرى ، وتأمر عشرة فى دولة الناصر وصار من جملة رءوس النوب الصغار ، ثم رقاه المؤيد شيخ إلى إمرة طبلخاناة ثم قدمه فجعله من جملة الأمراء مقدمى الألوف ، ثم نقله الأشرف برسباى إلى الحجوبية الكبرى عن جقمق الدوادار » .

(٢) إلى هنا تنتهى الأوراق الساقطة من نسخة ك ، راجع ما سبق ص ٣٢ حاشية رقم ٥ .

وفى ثامن رمضان نُفى جرْباش كباشه وأرغون إلى القدس ، واستقرّ ألطنبغا العثمانىّ أتابكَ العساكر بالقاهرة بعد موْت يلبغا الناصرى، وكان قد مات فى حال رجوعهم من الشام .

وفى ثانى عشره قُبض على قجق ويلبغا المظفرى وتَمَنْتمِر(١) آق وسُجنوا بالإسكندرية . وعُزِل الأُمَوىّ من قضاء المالكيّة وأُعيد جمال الدين الأَقفاصى ،وقُرِّر صُماى فى نيابة إسكندريّة وأُحْضِر ابن محبّ الدين وكان قد ظَلم فيها وعَسف فى غيبة المؤيد فوصل فى أواخر الشهر فقَدَّمتقدمةً قُوِّمَتْ بخمسة(٢)وعشرين ألف دينارٍ فخُلع عليه وأُعيد إلى الأُستادارية ، وكان ابنُ أَبِي الفرج قد هَرب(٣) إلى بغداد لأَمرٍ بلغه من السلطان فخاف منه علىنفسه ، فسَدَّ تقِىّ الدين بنُ أَبى شاكر متعلقات الأُستادارية فى هذه المدّة إلى هذه الغاية .

* * *

وفيه ضُيِّقَ على الخليفة المستعين وكانَتْ قد أُفردت له بالقلعة دارٌ فأَقام فيها هو وأَهْله وخدمُه ، ثُمَّ نُقل إلى البرج الذى كان الظاهرُ برقوق سَجن فيه والدَه الخليفةَ المتوكِّل فأَقامفيه فى ضيقٍ شديدٍ إلى(٤) أن أخرجه فىذىالحجة منالسنة المقبلة إلى الإسكندريّة.

وفى خامس عشر رمضان استقر سودون القاضى حاجباً كبيراً عوضاً عن قجق ، واستقرّ قجقارُ القردمىُّ أميرَ مجلس ، وجانبك الصوفى أميرَ سلاح عوضاً عن شاهين الأَفرم بعْد موْته ، واستقرّ تانى بك ميق رأسَ نوبةٍ عوضاً عن جانى بك الصّوفىّ ، واستقر كزل العجمى أميرَ جندار عوضاً عن جرباش كباشة ، واستقر أقباى الخازندار فى الدويدارية الكبرى عوضاً عن جانبك الدويدار وكان(٥) قد مات فى هذه السّفرة مِن سهمٍ أصابه فى حصار دمشق فضعُف منه إلى أن مات بحمص .

* * *

وكان سعرُ الغلال فى هذا الشهر من هذه السنة فى غايةِ الرخص حتّى صار ثمن كلّ

(١) فى ه ، ك « تمنتمر أرق » .
(٢) فى ك « بخمسةعشر ألف دينار » .
(٣) فى ز ، ه « فى جماعة » .
(٤) فى ك : « إلى آخر ذى الحجة من السنة المقبلة نقل إلى الإسكندرية » .
(٥) يعنى بذلك جانبك الدويدار المؤيدى .

ثلاثةِ أرادب من القمح ديناراً واحداً ؛ هذا فى البلد ، وأمّا فى الريف فكان يصبح بالدينار الواحد أربعةُ أرادب وخمسةُ أرادب ، وكثُر حَمْل النّارنج حتىّ بيع كل مائة وعشر حبّات بدرهم واحد بندقىّ ، ثمنه من الفلوس إثنا عشر .

وفى شوّال سُجن سودون الأسندمرى وقَصْرُوه وكمشبغا الفيسى وشاهين الزردكاش ، وأُحضر كمشبغا العيساوى مِن دمياط .

وفيه أمَر المؤيّد بضرْب الدراهم المؤيّدية فشرع فيها ، وكان ما سنذكره فى السنة المقبلة.

وفيه جلس المؤيّد فى الحكم بين الناس بالإسطبل واستمرَّ ذلك فى يوم السبت والثلاثاء أوّل النهار . وفى يوم الجمعة ــ بعد الصلاة ــ كان يَسمع الحكومةَ ويردُّها غالباً إلى القضاة إذا كانت[1] شرعيّة .

وفى ليلة الخميس رابع عشر شوّال خُسف القمر وظلَّ مختفياً قدْر أربع ساعات .

***

وفيه راجَتِ الدّراهم البندقيّة وحَسُن موقعها بين النّاس وحضَّ المؤيّدُ الأُستادارَ وغيرَه من المباشرين على مصادرة أهلِ الظُّلْم من البردداريّة والرّسل والمتصرّفين وكانوا قد كَثُرُوا جدًّا فى أيام جمال الدين يوسف وتزايَدتْ أموالهم بحيث أنَّ واحداً منهم يقال له « سعد » أنشأ ببركة[2] الرّطلى داراً صَرف عليها نحو الخمسين[3] ألف دينار ، فمال عليهم ابن محبّ الدّين وصادر أكثرهم . واشتدّ المؤيّد ــ فى جلوسه للحكم ــ على طائفة القبط وأسمَعهم ما

(١) أمام هذا فى هامش ه بغير خط الناسخ « ليت شعرى ما فائدة هذا الشرط وهل شئ من الأحكام عن غير الشرع ؟ لا يخفى أن بعض الأحكام تجور على العرف القائم » .

(٢) أشار المقريزى فى السلوك ٧٦٤/١ إلى أنها تسمى أيضا ببركة الطوابين ، كما أشار فى خططه ٣٥٠/٢ إلى أنها تعرف ببركة الحاجب ، كما أنه جاء فى نفس المرجع ١٦٢/٢ أنها من جملة أرض الطبالة وكانت تعرف ببركة الطوابين لعمل الطوب بها ، وكانت فى شرقيها زاوية لصانع يصنع الأرطل الحديد التى يزن بها الناس ومن ثم سميت ببركة الرطلى ، وأصبحت بعد زمن قليل من أماكن اللهو والمتنزهات فى القاهرة ، ويخرج إليها الناس على الأخص يوم الجمعة والأحد ، وقد أشار المرحوم محمد رمزى فى تعليقه عليها فى النجوم الزاهرة ١٧١/١١ حاشية رقم ١ إلى أنها كانت فى المنطقة المحدودة بشارع الظاهر وأبى الريش .

(٣) فى ك « عشرة آلاف دينار » .

يكرهون، وضَرب جماعةً منهم بالمقارع وحَطَّ من قدْرهم ، وأوقَع التنكيل باليهود والنَّصارى حتَّى أُلزموا بحمْل عشرين ألف دينار مصالحةً عمَّا مضى من الجزية ، واستقرّ زين الدين قاسم البشتكى فى تحصيل ذلك منهم وفى نظر الجوالى .

وفى سلخ شوال أُضيفت حسبةُ القاهرة ومصر إلى التاج الوالى ، وقُبض على منكلى بغا الحاجب المحتسب فوُكِّلَ به أياماً ثم أُطلق .

وفى أوّل ذى القعدة توجّه السلطان إلى أوسيم[1] بالجيزة ، ثم توجّه إلى تروجة[2] ، وقرّر كمشبغا العيساوى[3] فى كشف الوجه البحرى .

وفى شوال سعى القاضى ناصر الدين بنُ البارزى كاتب السرّ فى إحضار القاضى علاء الدين بن المغلى قاضى حماة فأُذِن له فأُحْضِر فى ذى القعدة ، فوَجد [ابنُ المغلى] السلطانَ فى سفرة تروّجة فأقام عند كاتب السّر إلى أن قدم السلطان ، ثم كان ما سيأتى ذكره فى السنة المقبلة .

وفى هذه السنة كثر الوباء بكورة البهنسا[4] فمات خلقٌ كثير .

وفى خامس ذى الحجة كان أمير الحاج -وهو جقمق الدويدار- قدْ مَنَع عبيدَ أهل مكة من حَمْل السّلاح فى الحرم ، فاتّفق أنّ واحداً دخل ومعه سيفه ولم يسمع النداء فأحضروه إلى جقمق فقيَّده وضربه ، فبلغ ذلك رفقَتَه فأرادوا إثارةَ الفتنة ، فبادر جقمق فأغلق أبوابَ المسجد وأدخل خيلَهُ فيه ومشاعِليّتَه ، فهجم عبيدُ مكة بالسِّلاح ركوباً على الخيل إلى المسجد ، فمشى إليه أهلُ الخير وأشاروا بإطلاق ذلك العَبْدِ تسكيناً للفتنة فأطلقه

---

(١) راجع عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٥٧ .

(٢) أمامها فى هامش ك بخط الناسخ « أى بدمنهور الوحش بالبحيرة » هذا وقد عرف بها القاموس الجغرافى للبلاد المصرية المندرسة ، ق ١ ، ص ١٩٠ بأنها - بناء على ما ورد فى معجم البلدان - من البلاد المصرية القديمة ، وأنها كورة بالبحيرة من أعمال الإسكندرية ، وقد اندثرت ومكانها اليوم كوم تروجة بمركز أبو المطامير .

(٣) فى ك « الفليوسى » .

(٤) هناك أكثر من واحدة بهذا الاسم ، غير أن البلدة المقصودة فى المتن هى التى فى مركز بنى مزار ، انظر عنها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٣ ص ٢١١ ، ٢١٩ .

فسكنت ، وكان[1] الشريف حسن قد قام فى إطفائها ومَنع القوّاد من القتال بعْد أن وَقع بنهيم الشرّ ، وحصَل لبعض الحاجّ عنْد الدّفع من عرفة نهْبٌ وجِراح ، وقُتِل فى المعركة جماعةٌ ولم يحجّ أكثرُ أهل مكة خوْفاً على أنفسهم .

وفيها مات يَعمر[2] بنُ بهادر الدكرى من أمراء التركمان هو وولده بالطاعون فى أوّل ذى القعدة .

وفيها تواقع قرا يوسف وشاه رخ بن تمرلنك ثم اصطلحا وتصاهرا .

وفى أواخر السنة عَيَّد شاه رُخ عيدَ النَّحر بمدينة قزوين ، وأرسل إلى قرا يوسف يلتمس منه أموراً ذكرها ، فكان ما سنذكره فى العام الآتى .

* * *

وفيها مات — غيْر مَن تقدّم — من الأُمراء : سليمانُ[3] بن هبةِ الله بن جُماز بن منصور الحسينى مسجوناً فى آخر ذى الحجة وقَدْ وَلى إمرة المدينة مرة ،

وفى أوّلها مات طوغان .

* * *

وفى هذه السنة جُددت مئذنةُ جامع الأزهر وكانَتْ أُصْلِحَتْ فى سنة ثمانمائة فكملَت فى هذه السنة ، فأمر المؤيد بتجديد ما انهدم منها وأعيدت بحجرٍ منحوت ، وجُدِّدت تحتها بوّابةٌ جديدةٌ وكُتب عليها اسمُ السلطان ، وكان تكميلُ ذلك فى أوّل السنة المقبلة .

* * *

وفيها أخذ الفرنج سبتة ، وكان السبب فى ذلك أن أحمد بن سالم المرينى نزل عنها لابن الأحمر صاحب غرناطة ، فانتقل ما كان فيها من العُدد والأسلحة والذخائر إلى غرناطة ، ثم اتفقت الفتنة المقدّم ذكرها فى سنة أربع عشرة بين السعيد وقريبه أبى سعيد إلىْ أن

---

(١) وردت هذه العبارة فى هـ ، ك على الصورة التالية « وقام الشريف حسن فى إطفاء الفتنة » .

(٢) فى الأصول « يغمور » والتصحيح من الضوء اللامع ١١٢٧/١٠ .

(٣) لم يكن إذ ذاك قد أكمل الأربعين ، راجع الضوء اللامع ١٠٢٢/٣ ، ويلاحظ أن السخاوى يسميه « بن هبة ابن جماز » .

قُتِل السعيد ، وأعقَبَ ذلك الوباءُ والغلاءُ بمدينة فاس والمغرب كلِّه ، فولى السعيد على فاس رجلاً سامهم سوءَ العذاب ، ثم أرسل أبو سعيد إليها رجلاً من أقاربه يُقال له « صالح ابن صالح » فتناهى فى الظلم ، وفشا فيهم الموت وبلغ ذلك الفرنج فعمروا عليهم عدّة مراكب ، فجَيَّش[1] صالح أهل الجبال وأنزلهم على البلد ، فرجع الفرنج إلى جزيرةٍ بيْن سبتة وجبلِ الفتح تسمّى «طرف القنديل » فأقاموا بها ،وطال الأمر على أهل الجبال وظنّوا أن الفرنج رجعوا إلى بلادهم ، وقلّت على أهْل الجبال الأزوادُ فتفرّقوا ، فبلغ ذلك الفرنج فنازلوا أهْل سبتة فقاتلوهم فغَالَبَهم بالكثرة وملكوا منهم الميناء ، فخرج المسلمون بأهلهم وأموالهم وما قدروا عليه ، فدخل الفرنج البلد فى سابع شعبان من هذه السنة ونقلوا ما كان بها حتّى الكتب العلمية وكان بها منها شيءٌ كثيرٌ إلى الغاية ، ونقلوا ما وجدوا بها مِن الرخام والآلات والأمتعة حتى الأَنْوال وتركوها قاعاً خراباً ومع ذلك فهى بأيديهم ، فلا قوّة إلاّ [2] بالله.

* * *

ذكر من مات فى سنة سبع عشرة وثمانمائة من الاعيان

١ ــ أحمد [3] بن أحمد المقرئ الحلبي[4] ، اعتنى بالقرآن وكان يقرئ بمسجدٍ يجاور الشاذبختية بحلب مدّة ، ثم تحوّل من حلب إلى القدس قبْل الوقعة العظمى وانتقل

(١) فى ه ، ك « فحصر » .

(٢) أمام هذا الخبر فى هامش ه ما يلى : « أرسل أهل سبتة قصيدة يستنجدون فيها أهل الإسلام من أهل مصر وغيرهم أولهـا :

حماة الهدى سبقا وإن بعـد المدى فقد سـألتكم نصرها ملة الهـدى

وهى فى غاية الجزالة والبلاغة ، فأجيبوا بقصيدة لا بخيل ولا رجال ولا سلاح ولا مال : وياليتها مثلها ، فإنها من نظم التقى ابن حجة المزوق الذى قل القصد فيه بألفاظ ومعانى مالها معنى ، فعاليه سفساف ، فلا قوة إلا بالله » .

هذا وقد ورد الشطر الأول من البيت أعلاه على الصورة التالية : حماة الدين سبقا وإن بعد المدى .

(٣) قبل هذا فى نسخة ز ، ك « أحمد بن أحمد بن على بن أبى بكر بن أيوب بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس المازنى الكردى أبو اسحق فخر الدين . ذكره المؤلف فى معجمه » ، وهى من إضافات الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى أثناء نسخه للإنباء ، وهى ليست الوحيدة مما أضافه ولكنا سننص على كل واحدة فى مكانها ، أما فيما يتعلق بابن درباس هذا فراجع الضوء اللامع ١/٢١٧ ، هذا وقد خلت ظ أيضا من هذه الترجمة .

(٤) ورد اسمه فى كل من نسخة ه ، والضوء اللامع ١/٢٢٦ « أحمد بن أبى أحمد الحلبى » .

إلى دمشق وأقام بها ، ثم [انتقل] إلى طرابلس فأقام بها ، واستمر إلى أن مات فى شوال سنة ٨١٧ . أثنى القاضى علاءُ الدين فى تاريخه على خيْره ودينه .

٢ ــ أحمد[1] بن عبدالله المالقى النّاسخ ، كان شافعىَّ المذهب إلاَّ أنه يحبّ ابن تيميّة ومقالاته ، وكان حسنَ الخطِّ ، كتب ثلاثمائة مصحف وعّدة نسخ من « صحيح البخارى » وأشياء غير ذلك . مات فى شوّال مطعوناً ، وأرّخه القاضى تقىّ الدين بن قاضى شهبة فى جمادى الأُولى سنة خمس عشرة [2] فليحرّر هذا .

٣ ــ أبو بكر بن على بن سالم بن أحمد الكنانى ، تقىّ الدين العامرىّ[3] بن قاضى الزبدانى ، وُلِد فى ذى الحجّة سنة خمسين ، واشتغل بدمشق فبرع فى الحساب وشارك فى الفقه وقرأ فى الأُصول ، وولى قضاء بعلبك وبيروت ، وقدم القاهرة بعد الفتنة الكبرى وكان قد أُسر مع التمريّة ثم خلص ، وأخبر عن بعْض مَن أَسَرَهُ أنه قال له : « علامة وقوع الفتنة[4] كثرة نباحِ الكلاب وصياحُ الديكة فى أوّل الليل » قال : « وكان ذلك قد كثر بدمشق قبل مجئ تمرلنك » .

وكان يقرأ فى المحراب جيِّداً وولِّىَ قضاء كفرطاب[5] وتقدم فى معرفة الفرائض والحساب ، وكان ديّنًا خيّراً يتعانى المتجر . مات بدمشق فى ذى الحجة .

---

(١) هذه أول ترجمة استهل بها ابن حجر وفيات هذه السنة فى نسخة ظ ، ويلاحظ أنه أمام هذه الترجمة فى هامش ه ، ك بخط الناسخ « عليه صورة ضرب » .

(٢) عبارة « فليحرر هذا » أضافها ابن حجر بخطه فى هامش ٢٥٦ ب من نسخة ظ مما يدل على أن هذه النسخة هى المسودة ؛ على أنه قد وردت هذه العبارة أيضا فى الضوء اللامع ، ج ١ ص٣٧٣ حيث نقل الترجمة أعلاه من الإنباء ، كما أنها وردت فى بقية النسخ الأخـرى .

(٣) ورد فى هامش ه « نسبة إلى كفرعامر من قرى بلاد الزبدانى » ، أما الزبدانى فقد عرفها ياقوت : المعجم ٢/٩١٣ ، ومراصد الاطلاع ٢/٦٥٧ بأنها كورة بين دمشق وبعلبك ومنها مخرج نهر دمشق ، وهى مضبوطة فيهما بفتح الزاى والباء وكذلك فى Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 39, 553. على حين أنها بكسرها فى كتاب ديسو Dussaud : Topographie Historique de la Syrie.

أما ابن قاضى الزبدانى ــ وهو الجد الأعلى للمترجم ــ فهو محمد بن حسين بن محمد بن عمار المتوفى سنة ٧٧٦ ه ، الذى سبق أن ترجم له المؤلف فى انباء الغمر ١/٩٠ ترجمة رقم ٦٦ ، وفى الدرر الكامنة ٤/٦٣٤٧ . على أنه يلاحظ أن السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٥٢ ترجمة رقم ١٤١ قال عن المترجم إنه « ابن عم » قاضى الزبدانى .

(٤) أمامها فى هامش ه : « علامة وقوع الفتن » .

(٥) كفرطاب بلدة بين المعرة وحلب ، انظر Le Strange : op. cit. p. 473 والمراجع العربية الواردة به منها .

٤ – حسن بن موسى بن إبراهيم[1] بن مكيّ المقدسى الشافعى ، بدْر الدين قاضى القدس ، سَمع مِن الميدومى[2] « جزء ابن عرفة » و« جزء البطاقة » وغير ذلك ، وحدّث عنه ، وولى قضاء القدس مراراً ، وكان مزجِيّ البضاعة فى العلم . مات عن ستّين[3] سنة .

٥ – سعد[4] بن على بن إسماعيل الهمذانى الحنفى ثم العينى سعد الدين نزيل حلب ، كان فاضلاً عاقلاً ديّناً له مروءة ومكارم أخلاق ، وله وقعٌ فى النفوس لخيْرِهِ ونفْعِهِ للطلبة وإحسانه إليهم بعلْمه وجاهه . مات فى أوّل شعبان وخلّف ولده سعد الدين سعد الله ولم تطل مدّته[5] بل مات فى سنة ٢١ [ولم[6] يكتهل] .

٦ – شاهين[7] الأفرم [الظّاهرى برقوق ويعرف بشاهين كَتُك] مات فى الرّملة عند توجههم إلى قتال نوروز ، وكان مشهوراً بقلّة الدين بل كان بعض الناس يتّهمه فى إسلامه ، وذكر لى الشيخ برهان الدين بن زقاعة شيئاً من ذلك ، وقال العينتابى : « كان مدمناً على الخمر واللواط ولم يشتهِر عنه خير ولا معروفٌ مع كثرة أمواله » .

٧ – عبد الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن أبى المعالى الشيبانى المكّى ، سمع من عثمان بن الصفىّ الطبرى والفخر النويرى[8] والسّراج الدمنهورى وغيرهم وتفرّد بالرواية عنهم بمكة ، وكان خطيباً بجدّة . مات فى ربيع الآخر وقد جاوز[9] الثّمانين ، وقد تقدم ذكر أخيه[10] جار الله بن صالح .

---

(١) « ابن ابراهيم » ساقطة من ﻫ ، ك .

(٢) « الزفتاوى » فى الضوء اللامع ٣/٥٠٣ .

(٣) فى ك « سبعين » .

(٤) لم ترد هذه الترجمة فى ظ .

(٥) المقصود بذلك الإبن سعد الدين سعد الله ، انظر الضوء اللامع ٣/٩٢٥، وإنباء الغمر ج ٢ ص ١٧٧ ترجمة رقم ١٢ .

(٦) ساقطة من ز ، ﻫ ولكنها فى ك ، والضوء اللامع .

(٧) هذه الترجمة كلها غير واردة فى ظ ولكنها فى بقية نسخ الإنباء تحت هذه السنة ، وأمامها فى هامش ز « بعضهم يسميه شاهين كتك » أما الإضافة والتصويب فن الضوء اللامع ٣/١١٢١ .

(٨) « التوزرى » فى الضوء اللامع ٥/٧٦ .

(٩) فى ﻫ ، ك ، والشذرات ٧/١٢٥ « قارب » .

(١٠) راجع إنباء الغمر ، ج٢ ، ص ٥٢٧ ترجمة رقم ١٠ ، والضوء اللامع ٣/٢٠٣ .

٨ ــ عبد الله بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح الكنانى العسقلانى الحنبلى[١] بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله ، جمالُ الدين سبطُ [أبى الحرم] القلانسى ، وُلد سنة خمسين [وسبعمائة] وأُحْضِر عنْد الميدومى وأُسْمِع على القلانسى والعرضى وابن الملوك وحدّث بالكثير فى آخر أمره ، وأحبّ الرواية فأكثروا عنه ، وكان أبوه قاضى القضاة ، وكان هو بزىّ الجند مع الدين والعبادة وعلى ذهنه مسائل فقهيّة . مات فى نصف السنة بالقاهرة .

٩ ــ عبد الرحمن بن حيدر بن على[٢] بن أبى بكر الشيرازى الدهقلى التّاجر [السَفار] سمع من أحمد بن محمد الجوخى وغيره بدمشق ، وكان أبوه من طلبة الحديث فأسمعه الكثير ثم ضاعتْ أسْمِعَتُه . لقيتُه بزبيد فحدّثنى عن ستّ[٣] العرب بنت محمد بن الفخر ، ثم لقيتُه بعدن فحدّثنى عن ابن الجوخى وأجاز لى ، ومات فى جزيرةٍ[٤] من جزر الهند وقد قارب السبعين .

١٠ ــ عبد الرحمن بن على بن يوسف بن الحسن بن محمود الزَّرَنْدِى[٥] ، زين الدّين الحنفى المدنى ابنُ القاضى نور الدين ، وُلِد قبل[٦] سنة خمسين واشتغل [فى الفقه[٧] وغيره] وسمع من العلائىُ ، وولى قضاء المدينة بعد أخيه أبى الفتْح سنة أربعٍ وثمانين[٨] إلى أنْ مات

---

(١) عبارة « بن هاشم بن اسماعيل بن ابراهيم بن نصر الله » ساقطة من هـ ، ظ .

(٢) فى هـ « بن أبى بكر بن على » .

(٣) فى ك « ست العز » ولكن الصحيح هو الوارد بالمتن إذ أنها ست العرب بنت محمد بن على حفيدة الفخر بن البخارى ، انظر عنها الدرر الكامنة ١٧٨٥/٢ .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٢٢٠/٤ أنه مات ببعض جزائر كنباية من بلاد الهند .

(٥) نسبة إلى زرند من إصفهان ، وكانت من المدن العامرة زمن المقدسى فى القرن الرابع للهجرة ، ويحمل منها إلى العراق وفارس بطانة عرفت بها ، انظر فى ذلك لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ ، ومراصد الاطلاع ٦٦٤/٢ . هذا وقد ورد أمام هذه الترجمة فى هامش هـ بغير خط الناسخ « لعله على بن يوسف بن المسعود ، وذلك لأنه أورده على بن سفره » .

(٦) نص الضوء اللامع ٢٩٧/٤ والشذرات ١٢٥/٧ على أنه ولد فى ذى القعدة سنة ٧٤٦ بالمدينة .

(٧) فراغ فى الأصول بقدر أربع كلمات ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٢٩٨/٤ .

(٨) الوارد فى الضوء اللامع ، نفس الجزء والترجمة ، أنه وليه سنة ٧٨٣ هـ .

إلاّ أنّه عُزِل مرةً[١] سنةَ أربع وثمانى مائة ثمّ أُعيد ، وولى حسبةَ المدينة أيضا ، وحدّ ثنا « بمسلسل التمر »[٢] بالمدينة ولم أضبط ذلك عنه ، وتفرّد بالإجازة من الزبير بن علىّ الأسوانى راوى « الشفا » . مات فى ربيع الأوّل .

١١ ــ عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن المهاجر زين الدين ، وُلد سنة ....[٣]وولى مشيخة خانقاه الصالح بحلب ، ثم ولى كتابة السّر بها ، ثم وَلى نظر الجيش، وكان حسنَ البشر[٤] . مات فى شعبان بعد أن ارتفع الطاعون .

١٢ ــ عبد الرحمن بن محمد الحضرمى الزبيدى[٥] ، وجيه الدين [اليمانى] ، سمع من خاله عيسى بن أحمد بن أبى الخير الشماخى وعلى بن شدّاد ، وأجاز له [خالاه] عبد الرحمن وإبراهيم إبنا أحمد بن أبى الخير ، وكان يحفظ كثيراً من أحاديث الأحكام ويذاكر بأشياءَ حسنةٍ وأشعار . مات فى أوّل المحرّم وله ثلاثٌ وثمانون سنة .

١٣ ــ محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عبد الله بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن سليمان المخزومى المكى الشافعى ، جمالُ الدين أبو حامد ، وُلد[٦]سنة خمسين تقريباً ، ثم[٧] تحرّر لى أنه وُلِد فى شوال سنة إحدى وخمسين . وعَنِىَ بالحديث فرحل فيه إلى دمشق وحلب وحماة ومصر والقدس وغيرها ، وحصّل الأجزاء والنسخ وكتب الكثير بخطّه الدقيق الحسن ، وبرع فى الفقه والحديث ، وشَغَل النّاس وأفادهم نحواً من أربعين سنةٍ بمكّة .

---

(١) فى ز « من » .
(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصول ، وقد اعتمدنا فى الإسم على السخاوى ، ج٢ ص ١٠٦ س ٤ .
(٣) فراغ فى ظ ، وفى جميع النسخ ، ولم يرد فى الضوء اللامع ٢٩٩/٤ إشارة إلى سنة ولادته .
(٤) فى ه « الصبر » وفوقها « يحرر » « وفى ك : « السيرة » .
(٥) أخطأ الضوء اللامع ٤٠/٤ إذ سماه بالزبيرى .
(٦) جزم السخاوى فى الضوء اللامع ١٩٤/٨ بأن المترجم ولد ليلة عيد الفطر سنة ٧٥١ ، ولكن شذرات الذهب ١٢٥/٧ اكتفت بجعل سنة ٧٥٠ عام مولده .
(٧) عبارة « ثم تحرر لى أنه ولد فى شوال سنة إحدى وخمسين » غير واردة فى ظ .

ومن[1] شيوخه فى الحديث بدمشق ابن أميلة وابن الهبل وابن أبى عمر صلاح الدين من أصحاب الفخر وجَمْعٌ من أصحاب التقىّ سليمان ومنْ بَعْدَهم ؛ ومن شيوخه فى الفقه بمكّة عمُّه أبو الفضل النويرى ، وبدمشق البهاءُ السُّبكى وقرأ عليه الحديث بمصر ، والأذرعِىُّ بحلب ، والبلقينى بمصر ؛ ولازم شيخنا العراق فى الحديث . وقد خرّج له صاحبنا غرسُ الدين خليل معجماً عن[2] شيوخه بالسماع والإجازة فى مجلدة ، وشرح هو قطعةً من «الحاوى». وله[3] عدّة ضوابط نظماً ونثراً،وله أسئلة تدلُّ على باعٍ واسعٍ فى العلم اسْتَدْعَى الجوابَ عنها من شيخنا البلقينى فأجاب عنها وهى معروفة بلقب « الأسئلة المكية » ؛ ومن ضوابطه فى المواطن الذى يزوّج فيها الحاكم ، أنشدها عنه رفيقه برهان الدين بحلب ، وذكر أن شيخنا البلقينى لمّا سمعها أعجبَتْه وبالغ فى شُكْرِه لقوله فيها « أسلام أم الفرع وهى[4] لكافر »،

عدم الولى وفقده ونكاحه ... أسلام أم الفرع وهى لكافر

وحدّث بكثيرٍ من مروياته بالمسجد الحرام ،وقد سمعتُ منه وحدّثنى مِن لفظه ، وهو أوّلُ شيخٍ سمعْتُ الحديث بقراءته بمصر فى سنة ستٍّ وثمانين ، وقد وَلى قضاءَ مكة سنة ستٍّ وثمانمائة وعُزِل وأُعيد مراراً ومات وهو قاضٍ فى شهر رمضان ؛ وكان كثير العبادة والأوْراد مع السَّمْتِ الحسن والسُّكون والسلامة . رحمه الله تعالى .

١٤ ـ محمد بن عزيز[5] بن الواعظ الحنفى ، كان فاضلاً ذكياً ، ولى مشيخة اليُونسية[6]

---

(١) عبارة « ومن شيوخه . . . . .شيخنا العراق فى الحديث » س ٤ غير واردة فى ظ .

(٢) عبارة « عن شيوخه بالسماع والإجازة فى مجلده » غير واردة فى ظ .

(٣) من هنا حتّى آخر البيت ، س ١٠ غير وارد فى ظ .

(٤) أورد الضوء هذه الأبيات وهى :

عدم الولى وفقده ونكاحه ... وكذاك غيبته مسافة قاصر
وكذاك إغماء وحبس مانع ... أمة لمحجور برأى القادر
احرامه وتعذر مع عضله ... أسلام أم الفرع وهى لكافر

كذلك وردت فى ك .

(٥) وردت فى ظ بلا تنقيط ، وجاءت فى هـ « عرير » والتصحيح من السخاوى ٨/٧٥٤ والدارس فى تاريخ المدارس ١/٥٥٠ ، وإن قال السخاوى « وما علمت ضبط أبيه » هذا وقد ذكر النعيمى أن صاحب الترجمة درس فى عدة مدارس منها المعظمية والعزيزية التى أنشأها بدمشق الملك العزيز عثمان بن الملك العادل ، كما تولى مشيخة اليونسية .

(٦) هذه الخانقاه من إنشاء الأمير يونس الدوادار المتوفى سنة ٧٨٤ وكانت بأول الشرف الأعلى الشمالى من دمشق ، وكان من شرط الواقف « أن يكون الشيخ بها والصوفية حنفية أفاقية » ، انظر النعيمى : الدارس ، ٢/١٨٩ وما بعدها .

ودرّس بغير مكان ، وكان حسن الخطّ والعشرة كريمَ النّفْس ، كتب بخطّه كثيراً ، ومات فى جمادى الآخرة .

١٥ — محمد بن محمد بن محمد المخزومى الإسكندرانى ، فتح الدّين ، سمع من ابن نباتة « سيرة ابن هشام » وحدّث بها عنه بمكة ، وكان يتعانى التجارة فنُهب مرّة وأملق وأقام بزبيد ينسخ للملك الأشرف ثم حسنت حالُه وتبضّع وربح ، ثم وَالَى الأسفار إلى أن أثْرى وجاور بمكة ثم وَرَدَ فى البحر قاصداً[1] القاهرة فمات بالطُّور فى أوائل شعبان .

١٦ — محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازى[2]، الشيخ العلّامة مجد الدين أبو الطّاهر الفيروزبادى ، كان يرفع نسبه للشيخ أبى إسحق الشُيرازى صاحب « التنبيه » ويذكر أن بعد « عمر » : « أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله بن الشيخ أبى اسحق» ، ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون فى ذلك مستندين إلى أن « أبا إسحق » لم يعقِب ؛ ثم ارتقى الشيخ مجدُ الدين درجةً فادّعى — بعد أن وَلِى القضاء باليمن مدّة طويلة — أنّه من ذرّية أبى بكر الصّدّيق ، وزاد إلى أنْ قرأت بخطه لبعض نوّابه فى بعض كُتُبه : « محمد الصديقى » ولم يكن مدفوعاً عن معرفةٍ إلاَّ أن النفس تأْبى قبول ذلك .

وُلِد الشيخ مجدُ الدين سنة تسعٍ وعشرين وسبعمائة بكازرون[3] وتفقّه ببلاده وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندى[4] المدنى « صحيح البخارى » وعلىَ بعْضِ أصحاب الرشيد ابن أبى القاسم ، ونظَر فى اللغة فكانَتْ جُلّ قصدِه فى التحصيل فمهر فيها إلى أنْ تمهّر وفاق

---

(١) « قاصدا القاهرة » غير واردة فى ظ .

(٢) فى ذيل دول الإسلام للسخاوى « السرارى » لكن راجع الضوء اللامع ١٠/٢٧٤ ، وانظر عنه أيضا Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 2437; Brockelmann; GAL., II, 181.

وأمام هذه الترجمة فى ك « ترجمة صاحب القاموس رحمه الله » .

(٣) « كازرون » غير واردة فى ظ ؛ هذا وقد عرفها مراصد الاطلاع ٣/١١٣٤ بأنها مدينة بفارس بين البحر وشيراز ويعمل بها الكتان على شبه القصب وكلها قصور وبساتين ونخيل ، وقد جمع لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٠٢–٣٠٣ أقوال المؤرخين المسلمين فيها ووصفهم إياها .

(٤) هو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندى المدنى الحنفى ، وقد اختلف فى سنة وفاته ما بين سبع وأربعين وثمان وأربعين وبضع وخمسين ، انظر الدرر الكامنة ٥/٤٦٧٧ .

أقرانه ، ودخل الدّيار الشامية بعد الخمسين فسمع بها وظهرت فضائله وكثر الآخذون عنه ، ثم دَخل القاهرة ثم جال فى البلاد الشمالية والشرقية ، ودَخل[1] الهندوعاد منها على طريق اليمن قاصداً مكّة ، ودخل زبيد[2] فتلقّاه الملك الأشرف إسماعيل بالقبول وكان ذلك بعد وفاةِجمال الدين الريّمى[3]قاضى الأقضية باليمن كلّه ، فقرّره الملك الأشرف مكانه وبالغ فى إكرامه فاستقرّت قدمُه بزبيد واستمرّ فى ذلك إلى أن مات ؛ وقدم فى هذه المدّة مكة مراراً وأقام بها وبالطائف ثم رجع .

وصنّف « القاموس المحيط » فى اللغة لا مزيد عليه فى حُسْن الاختصار ، وميّز فيه زياداته على « الصحاح » بحيث[4]لو أُفرِدَت لكانت قدْر « الصحاح »،وأكثر فى عدد الكلمات وقرئ[5] عليه ؛ وكان ابتدأ أوّلاً بكتابٍ كبيرٍ فى اللغة سمّاه « اللاّمع والعلم العجاب ، الجامعُ بيْن المحكم والعباب » وكان يقول : « لو كان يكمل لكان مائة مجلدة » . وذكر عنه الشيخ برهان الدّين الحلبى بأنّه تتبعَ أوهام « المجمل » لابن فارس فى ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظّم ابنَ فارس ويثنى عليه ، وقدْ أكثر المجاورةَ بالحرميْن ، وحصّل دنيا طائلة وكتباً نفيسةً لكنّه كان كثير التبذير ، وكان لا يسافر إلاّ وصحبَتُه عدّةُ أحمال من الكتب ويُخْرِجُ أكثرها فى كلِّ منزلة : فينظر فيها ويعيدها إذا رحل ، وكان إذا أملق باعها .

وكان الأشرفُ كثيرَ الإكرام له حتّى إنه صنّف له كتاباً وأهداه له على أطباقٍ فملأها له دراهم ؛ وصنّف للناصر كتابا سمّاه « تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول » و « الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد » فى[6]أربعة أسفار ، وشرع فى شرح مطوّل على « البخارى » ملأهُ بغرائب المنقولات ، وذكر[7]لى أنّه بلغ عشرين سفراً ،

(١) عبارة « ودخل الهند . . . . وبالطائف ثم رجع » س ٦ غير واردة فى ظ .

(٢) كان دخوله إياها سنة ٧٩٦ هـ كما جاء فى كل من الضوء اللامع ١٠/٢٧٤ وشذرات الذهب ٧/١٢٧ .

(٣) فى ك « الرسمى » .

(٤) عبارة « بحيث لو أفردت لكانت قدر الصحاح » ساقطة من ك .

(٥) عبارة « وقرئ عليه . . . . إذا أملق باعها » س ١٤ غير واردة فى ظ .

(٦) عبارة « فى أربعة أسفار » غير واردة فى ظ .

(٧) عبارة « وذكر لى أنه بلغ عشرين سفرا » غير واردة فى ظ .

إلاَّ أنه لمّا اشتُهِرَت باليمن مقالةُ ابن العربى ودَعى إليها الشيخ إسماعيل الجبرتى وغَلب علَى علماءِ تلك البلاد صار الشيخ مجدُ الدين يُدخِل فى « شرح البخارى » من كلام ابن العربى فى « الفتوحات » ما كان سبباً لشَيْنِ الكتاب المذكور فلم[1] يشتهر ، ولم[2] أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة إلاَّ أنه كان يحبّ المداراة ، وكان الناشرى يناضل الفقهاء بزبيد ويبالغ فى الإنكار على إسماعيل ، وشَرحُ ذلك يطول . ولمّا اجتمعتُ بالشيخ مجْد الدين أظهر لى إنكارَ مقالةِ ابن العربىّ وغضَّ منها ورأيْتُه يصدّق بوجود روين الهندى ويُنكِر على الذهبىّ قولَه فى الميزان « إنه لاوجودَ له » ، وقال لى الشيخ مجد الدين إنه دخل قرْيَتَه ورآى ذرّيته وهم مطبقون على تصديقه ؛ وقد أوضحْتُ ذلك فى ترجمة رتن فى كتاب « الإصابة » .

ومن تصانيفه : « شوارق الأَسرار فى شرح مشارق الأَنوار » و « الروض المسلوف فيما له اسمان إلى أُلوف » و « تحبير الموشّين فيما يقال بالسين و الشين » ؛ وكان يقول : « ما كنتُ أنام حتى أحفظ مائتى سطر » ؛ ولم يُقَدَّر له قط أنه دخل بلداً إلاَّ وأكرمه متولِّيه وبالغ فى إكرامه مثل شاد شجاع صاحب تبريز والأَشرف صاحب مصر والأَشرف صاحب اليمن وابن عثمان صاحب الروم[3] وأحمد بن أُويس صاحب بغداد وغيرهم ، ومتَّعه الله بسمعه وبصره إلى أن مات .

سمع الشيخ مجْدُ الدين من ابن الخبّاز وابن القيّم وابن الحموى وأحمد بن عبدالرحمن المرداوى[4] وأحمد بن مظفرّ النابلسى[5] والشيخ تقىّ الدين السبكى ويحيى بن علىّ بن

---

(١) عبارة « فلم يشتهر » ساقطة من ك .

(٢) عبارة « ولم أكن اتهم . . . . رتن فى كتاب الإصابة » س ٩ غير واردة فى ظ .

(٣) فى ك « التركية » .

(٤) فى ز « المردانى » ، والصحيح ما أثبتناه بالمتن ، إذ انه أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المرداوى قاضى حماة ، وكانت وفاته سنة ٨٧٧ هـ ، انظر الدرر الكامنة ٤٢٩/١ ، وإنباء الغمر ، ج ١ ص ٣٠٤ ترجمة رقم ٣ ، وهو منسوب إلى مردا التى عرفها مراصد الاطلاع ١٢٥٦/٣ بأنها قرية قرب نابلس .

(٥) هو أحمد بن مظفر بن أبى محمد بن بكار النابلسى ، اشتغل بعلم الحديث وإن كان منجمعا عن الناس نفورا منهم ، مات فى سنة ٧٥٨ هـ ، انظر الدرر الكامنة ٧٩٩/١ .

مجلى بن الحداد[١] وغيرهم بدمشق فى سنةِ نيِّفٍ وخمسين ، وبالقُدس من العلائى والتبّانى ، وبمصر من القلانسى ومظفّر الدين وناصر الدّين التُّونسى وابنِ نباتة والفارق والعُرَضى والعزِّ بنِ جماعة ، وبمكة من خليل المالكى والتقىّ الحرازى ، ولقى بغيرها من البلاد جمعًا جمًّا من الفضلاء وحمل عنهم شيئا كثيراً ، وخرّج له الجمال المراكشى مشيخةً ، واعتنى بالحديث . اجتمعْتُ به فى زبيد وفى وادى الخصيب ، وناولنى جُلَّ « القاموس » وأذن لى مع المناولة أن أرويه عنه ، وقرأْتُ عليه مِن حديثه عدَّةَ أجزاء ، وسمعْتُ منه « المسلسل » بالأولية بسماعه من السبكى ، وكتب لى تقريظاً على بعْض تخريجاتى أَبْلَغَ فيه ، وأنشدنى لنفسه فى سنة ثمانى مائة بزبيد[٢] بيتيْن كتبهُما عنه الصّلاح الصفدى فى سنةٍ سبع وخمسين بدمشق ، وبيْن[٣] كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة .

أَخِلَّانَا الأَماجِدَ إنْ رَحَلْتُمْ[٤] ولمْ ترعُوا لَنَا عَهْدا وإلاَّ
نُوَدِّعُكُمْ ونُودِعُكُمْ قُلُوبــاً لَعَلَّ الله يَجْمَعُنَــا وإلاَّ

مات فى ليلة العشرين من شوّال وهو متمتّعٌ بحواسّه ، وقد ناهز التسعين .

١٧ - نوروز[٥] ، كان من مماليك الظاهر وأوّل ما رقّاه خاصكيًّا ثم أمير آخور عوضًا عن بكلمش سنة ثمانى مائة ، وكان قبل ذلك أمّره رأس نوبةٍ صغيراً فى شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، ثم رامَ القيام على السلطان فنمّ عليه بعضُ المماليك فقَبض عليه فى صفر سنة إحدى وثمانى مائة وقُيِّد وَحُمِل إلى الإسكندرية فسُجِن بها ثم نُقل إلى دمياط ، ثم

---

(١) كان دمشقى المولد ، وقد ولى حين كبر التوقيع بطرابلس ثم سكن القاهرة وباشر بها نظر الوكالة ، ورجع إلى دمشق فأقام بها حتى مات سنة ٧٥٧ ، انظر الدر الكامنة ٥/٥٠٣٢ .

(٢) ساقطة من هـ .

(٣) عبارة « وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة » غير واردة فى ظ .

(٤) هكذا أيضا فى الضوء اللامع ١٠/٢٧٤ ، ولكنها « رحلنا » فى ز ، هـ ، ك .

(٥) هذه الترجمة غير واردة فى ظ ؛ على أنه ويوجد فوقها إشارة فى هـ حيث قال فى الهامش « لعله نوروز ابن عبد الله الحافظى » ، وهو هو ، راجع الضوء اللامع ١٠/٨٧١ .

أفْرِج عنه فى سنة اثنتين وثمانى مائة واستَقَرَّ رأسَ نوبةٍ كبيراً ثم استقر فى نظر الشيخونيّة[١]، وحضر قتال أيتمش ثم وقعة اللنك ، ورَجع مَع مَنْ انهَزم واستقرّ[٢] رأس نوبة كبيراً ، واستمر يتنقَّل فى الفتن على ما مرّ فى الحوادث إلى أن قُتِل فى ربيع الآخر .

وكان متعاظماً سفَّاكاً للدماء عبوساً مهاباً شديد البأْس ، وكان مشئوم النقيبة[٣] ما كان فى عسكرٍ قطُّ إلاَّ انهزم ، ولا حُفِظَ له أنه ظفر فى وقعة قطّ ، وهو الذى عمّر قلعة دمشق بعد اللنك ، قال العينتابى : « كان جباراً ظالماً غشوماً بخيلاً » كذا قال ؛ وقد سمعْتُ[٤] الشيخَ تقىَّ الدين المقريزى يقول : « سمعْتُ نوروز هذا يقول ما معناه إنى لَيَشُقُّ علىَّ ألا يكون فى مماليك أُستاذى الملك الظَّاهر رجلٌ كاملٌ فى أُمور المملكة وتدبير الرعية والرفق بهم » .

١٨ ــ يشبك[٥] بن أزدمر ، كان مشهوراً بالشجاعة والفروسية ، وقال العينتابى : « كان ظالماً لم يشتهر عنه خير » كذا قال ، وقد باشر نظر الشيخونية ورأَيْتُ أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه .

١٩ ــ يلبغا[٦] النَّاصرى كان من خيار الأُمراء ، مات ليلةَ الجمعة فى شهر رمضان .

* * *

(١) جاء فى هامش ث بخط السخاوى : « فى قوله نظر الشيخونية نظر فإنه أنشأ بها القبة الطريفة التى على فسقيتها وهو أتابك العساكر فى سنة سبع وثمانى مائة . . . . . على القبة بالشيخونية الكبرى » ، ثم جاء بخط شخص آخر علق عليها قوله « أقول كان الداعى ينكر أن يقال له أتابك العساكر ، فإن أتابكية العساكر بالمعنى الذى هو اليوم ما وليها نوروز أصلا » ثم إمضاء الكاتب وهى غير واضحة .

(٢) عبارة « واستقر رأس نوبة كبيرا » ساقطة من ك .

(٣) فى ز « العقيبة» .

(٤) الضمير هنا عائد على ابن حجر .

(٥) لم ترد هذه الترجمة فى ظ ، لكن راجعها مطولة فى الضوء اللامع ١٠/١٠٧٤ .

(٦) فى نسخة ك فى الهامش جاءت هذه الترجمة : « يغمر بن بها در الدكرى من أمراء التركمان ، مات هو وولده بالطاعون أول ذى القعدة » .

سنة ثمانى عشرة وثمانمائة

فى الثانى من المحرم قدم المؤيّد من البحيرة بعد أنْ قرّر على مشايخها أربعينَ ألفَ دينار، فكانت مدّة غيبته شهرين .

وفى عاشره أفرج عن يلبغا المظفرى وبكتمر اليوسفى من سجن الإسكندرية .

وفيها استعدّ قرا يوسف للحرب بينه وبين شاه رخ بن تمرلنك ، وذلك أن ابن تمرلنك استناب فى فارس بعد أن غلب عليها وانتزع من متملكها ابن أخيه[1] إسكندر بن مرزا بن تمرلنك أخاه رستم وأمر بالإسكندر فكحّل ثم أُطلق ، فجمع الإسكندر جمعا وحارب أخاه فانهزم الإسكندر فأسره[2] عمّه فقُتل ، وتسلّم شاه رخ السلطانية[3] وتفرّغ وجه شاه رخ لقرا يوسف وكان أرسل يطلب منه قريتين عَيَّنَهُما وامرأةَ أخيه وابنةَ أخيه ، وكان قرا يوسف قد أسرهما ، ويقال إنّه تزوجهما ، ويلتمس منه أن يلتزم بديات مَن قتل من إخوته ورَدِّ ما وصَلَ إليه من أموالهم ، وأن يضرب السكة باسمه ويخطب له فى بلاده ؛ فلم يفعل قرا يوسف ذلك . واستعدّ للحرب من أواخر العام الماضى وأرسل إلى ابنه محمد شاه من بغداد وينبه عساكره المتفرّقة فى البلاد .

وفيه قدم كتاب فخر الدين بن أبى الفرج من بغداد بأنه مقيم بالمستنصرية وإنّما هرب خوفاً على نفسه ويسأل العفو ويطلب الأمان ، وكان استشفع بالشيخ محمد بن قديدار[4] بن الدمشقى فأرسل كتابه قرينَ كتابه ، فأُجيب بما طيّب خاطره .

---

(١) فى ث : « واقعة شاه رخ مع أخيه ومع قرا إسكندر » .

(٢) فى ه « فأمر به » .

(٣) هى من المدن التى أنشأها المغول فى عهد أرغون خان وأصبحت عاصمة الدولة الإيلخانية وكانت من أزهى المدن حتّى القرن الثامن الهجرى ، كما أصبحت مركزا للطرق التجارية ، انظر ذلك بالتفصيل فى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ، ٢٦٣ .

(٤) ورد اسمه فى ز « قديد » والصواب ما هو ثابت بالمتن . وهو محمد بن أحمد بن عبد الله الدمشقى الشافعى ، وكان يغلب عليه التصوف ، وكان كثير العبادة والصلاح وكانت له منزلة كبيرة عند المؤيد منذ كان نائبا بالشام حتى إنه بنى له زاوية بدمشق ومات بها سنة ٨٣٦ .

وفيه وصل كتاب آقبغا النظامى من جزيرة قبرص ـ وكان قد توجّه [من القاهرة] فى العام الماضى لفكّ أسارى المسلمين ـ فإنّه وجد هناك ـ خمسمائة أسير فافتكّهم بثلاثة عشر ألف دينار ، وأنه أوصل للفرنج المبلغ الذى كان جُهّز معه وهو عشرة آلاف دينار ، وسمح له متملّك قبرص بالباقى ، وحمل منهم[1] إلى جهة مصر مائتى أسير وفرّق الباقى فى سواحل الشام .

وفيه قُتل[2] طوغان الدويدار وسودون المحمّدى ودمرداش المحمدى وأَسَنْبُغَا الزردكاش بسجن الإسكندرية وأُقيم عزاؤهم بالقاهرة .

وفيه هَزَم إينال الصصلانى نائبُ حلب كردى[3] بنَ كندر التركمانى وانتهب من غنمه شيئاً كثيراً ، واستعان عليه بعلىّ بن ذلغادر فدخل بينهما فى الصلح حتى رجع إينال عنه إلى حلب .

وفى المحرَّم من هذه السنة ابتدأ الطاعون بالقاهرة وتزايد فى صفر حتى بلغ فى ربيع الأول كل يوم ثمانين نفساً ، ثم ارتفع فى ربيع الآخر .

وفى مستهل صفر صُرف مجد الدين سالم الحنبلى عن قضاء الحنابلة وأُمر بلزوم بيْته .

وفى الثانى عشر منه قُرِّر فى منصبه علاءُ الدين على بن محمود بن مغلى الحموى وكان قد قدم من حماة فى أواخر السنة الماضية والسلطان بالبحيرة ، واستقرّ قضاءُ حماة بيده وأُذِن له أن يستنيب عنه من شاء ، وسعى مجْدُ الدين عند أقباى الدويدار فقام معه فى ذلك قياماً كليا ولم يفد ذلك شيئاً .

---

(١) أى من الأسرى .

(٢) فى هامش ث : « قتل طوغان ومن معه بالإسكندرية » .

(٣) ويعرف بكردى باك ، وكان أمير التركمان بالعمق من أعمال حلب ، وكان مقتله على يد ططر الذى أمر بشنقه فشنق تحت قلعة حلب .

وفيه عُزِل شهاب الدين بن سفرى[١] عن قضاء العسكر ، وقُرِّر فيه تقى الدين أبو بكر ابن عمر بن محمد الحبتى الحموى الحنفى ، وكان قدم صحبة ابن مغلى المذكور .

* * *

وفى صفر كثر ضرب الدراهم المؤيّدية ، ثم استدعى المؤيدُ القضاةَ والأُمراءَ وتشاوروا فى ذلك ، وأراد المؤيد إبطال الذهب الناصرى وإعادته إلى الهرجة ، فقال له البلقينى : « فى هذا إتلاف شيءٍ كثيرٍ من المال » ، فلم يعجبه ذلك وصمّم على إفساد النّاصرية[٢] وأمر بسَبْك ما هو حاصلٌ عنده وضَرْبِه هرجة ، فذكر لنا بعد مدّة أنه نقص عليه سبعة آلاف دينار ، وأمر القضاةَ وغيرهم أن يدبِّروا رأيهم فى تسعير الفضّة المضروبة ، فاتفقوا على أن يكونَ كلُّ درهم صغيرٍ بتسعةِ دراهم ، وكلُّ درهمٍ كبير بثمانية عشر ، على أن يكون وزنُ الصغير سبعة قراريط فضة خالصة ، ووزْنُ الكبير أربعةَ عشر قيراطاً ، واستمر ذلك وكثُرَتْ بأيدى الناس وانتفعوا بها ، ونودى على البندقية[٣] كل وزنِ درهمٍ بخمسة عشر .

* * *

وفى صفر وَقع الشروع فى حفْر الرمل الكائن بيْن جامعى الخطيرى ببولاق والناصرىّ المعروف بالجديد بمصر ، وكانت الرمال قد كثرت هناك جدا بحيث كان ذلك أعظمَ الأسباب فى تخريب منشأة المهرانى ومنشأة الكتان وموردة الجبس وزريبة قوصون وحكر ابن الأثير وفم الخور ، وكانت هذه الأماكن فى غاية العمران فلما انحسر عنها النيل ودام انحساره خربت ، فاتفق أن السلطان ركب إلى هذه النواحى وكان عهده بها عامرة ، فسأل عن سبب خرابها فأُخْبِر به فأراد حَفْر مابيْن الجامِعَيْن ليعود الماءُ إليها شتاءً وصيفاً . وشُرع حينئذ فى الأمر بعمارتها فابتدأ ذلك فى عاشر صفر ، فنزل كزل العجمى — وهو يومئذ أمير جندار — فعلّق مائة وخمسين رأساً من البقر لتجرف الرمال ، ثم تلاه سودون القاضى ، فاستمرّ العمل بقيةَ من صفر وربيع الأول ، فلما كان فى اليوم

(١) أورد السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠١ واحدا باسم « أحمد بن سفرى الإمام شهاب الدين » ، وذكر أنه سمع على ابن حجر ولم يشر إلى أحداث حياته ووظائفه ومطالعاته ولا سنة وفاته .

(٢) أى إفساد الدنانير الناصرية .

(٣) أى الدنانير البندقية .

الثانى من ربيع الأَول ركب السلطان ومعه الأُمراءُ وغيرهم إلى حيث العمل فى حفر البحر ونزل فى خيمةٍ نُصِبَتْ له ، ونودى بخروج الناس إلى الحفر فخرجت جميع الطوائف وغُلِّقَت الأَسواق ، وعَمل فيه حتى الأُمراءُ وأَربابُ الدولة والتجارُ واستمرّ العمل ، ثم دخل الناس فى العمل حتى الصوفية الذين بالظاهرية بين القصرين فإنهم توجّهوا لتوجّه ناظرهم أمير آخور ثم أُعفوا من العمل ، ثم صار يخرج إليه كل يوم أمير كبير ومعه طوائف لاتُحصى ، وتكرر النِّداءُ فى القاهرة بالخروج إلى العمل ، واستمر [الحفر] طول هذا الشهر فما أَفاد شيئاً بعد طول العناء .

وفى صفر قُبض على شاهين الأَيدكارى بحلب وسُجن بالقلعة ، ومات سنقر الرومى بسجن الإسكندرية .

وفيه سأَل حسين بن بشارة أن يستقرّ فى مشيخة العشير ويَحمل ثلاثين أَلف دينار فأُجيب إلى ذلك ، وأُرسلت إليه خلعةٌ مع يشبك الخاصكى فأَعطاه ثلاثة عشر [أَلف دينار] وأُحيل عليه أَرغون شاه أُستادار الشام بالباقى ، فبلغ ذلك أَخاه محمداً فغضب واقتتلا ، فانكسر محمد وانهزم إلى جهة العراق

وفى المحرّم تسلَّم محمد بن رمضان مدينة طرسوس عنوةً بعد أن حاصرها سبعة أَشهر وسبى أَهلها وخطب فيها للمؤيّد ، وأَرسل إلى نائب حلب فأَعلمه بذلك .

وفيه أَرسل حسين بن نعير ملك العرب يسأَل قرايلك أن يشفع له إلى السلطان وإرسال قَوْده[1] وكتابه ، فأُجيب إلى ذلك .

* * *

وفى هذه الأَيام حارب كرشجى[2] بن أَبى يزيد بن عثمان بن محمد بن قرمان صاحب قونية ، فانكسر محمد وانتزعت منه بلاده سوى قونية .

---

(١) أمامها فى هـ : « أى تقدمته » .

(٢) فى هـ « كراشى » .

وفى صفر[١] ـ وذلك فى تاسع[٢] بشنس فى وسط الربيع ـ حدث بمصر برق ورعد هائل لم يُعهد مثله فى هذا الزمان وأعقبه مطر كثيرٌ جدا بحيث سالت الأودية سيلاً كثيراً تغيّر منه ماءُ النيل .

وفى ربيع الأول عُزل حسن بن عجلان عن إمرة مكة وقُرِّر ابن أخيه رميثة بن محمد ابن عجلان ، فبلغ ذلك ابن عجلان فصادر التجارَ المقيمين بمكة وأخذ منهم أموالاً عظيمة.

وفيه فى أوائل ربيع الأول أنكر المؤيّد على القضاة كثرةَ النوّاب فخففوا منهم كثيراً ، فاستقرّ للحنفى ستّة ، وللشافعىِّ أربعة عشر بشرط أن لايرتشوا .

وفيه قُبض على آق بلاط نائبِ عينتاب ، وعلى شاهين الزردكاش وسُجنا بقلعة حلب .

وفيه استقرّ محيى الدين المدنى الموقع فى كتابة السرّ بدمشق ، وكان أقام بالقاهرة مُدةً طويلة وباشر التوقيع بها ، ثم نُقل فى هذا الشهر إلى دمشق .

وفيه أمر السلطان أستاداره ووزيره وناظر خواصّه بمصادرة المباشرين فصودروا على خمسين ألف دينار ، فقُرِّرَت[٣] عليهم على مراتبهم وشرعوا فى جبايتها .

* * *

وفيه ابتُدئ بعمارة المدرسة المؤيّدية داخل باب زويلة ، وسببهُ أن المؤيّد كان حُبس فى خزانة شمائل فى أيام فتنة منطاش ، فنَذَر لئن اللهُ نجّاه ومَلّكه القاهرة أن يبنى مكانها جامعاً يُقام فيه ذِكرُ الله فابتدأ بالوفاء بِنَذره ، فأوّل شئ بدئ به أخْذُ القيسارية المعروفة بسنقر الأشقر مقابل سوق الفاضل ، فنزل التاج الوالى وجماعةٌ من أرباب الدولة وابتدئ بالهدْم فيها وما بجوارها وانتقل السكان بها ، فلما كان فى الرابع من

(١) هذا الخبر وارد فى هـ بعد الخبر التالى .

(٢) إذا أخذنا بجدول السنوات الهجرية والقبطية والجريجورية الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٠٩ كان تاسع بشنس ١١٣١ يعادل الثالث والعشرين من صفر ويطابقه الرابع من مايو سنة ١٤١٥ .

(٣) فى ز « فوزعت » .

جمادى الآخرة ابتدئ بحفر الأساس وشرع فى العمل ، وقُرِّر الأمير ططرشاذًّا على العمارة وبهاء الدين البرجى - الذى كان محتسباً قبل هذا الوقت - فى النظر على العمارة المذكورة ، وكان صديق ططر فسعى له فى ذلك فاستمرّ .

* * *

وفى أواخر ربيع الأول قدم على المؤيّد شمس الدين بن عطاء الله الرازى المعروف بالهروى وكان من أعوان تمرلنك ، فأرسله إلى جهةٍ من جهاته فخانه فهدّده ففرّ منه إلى بلاد الروم ، والتمس من ابن قرمان أن يجمع بينه وبيْن عالم بلادهم شمس الدين الفنارى ، فامتنع ابن قرمان من ذلك وقال : « هذا رجل منسوب إلى العلم والفنارى عالمنا فلا يَسْهُل بنا أن يغلب عالمنا ولا أن ينكسر خاطر هذا الغريب » فأكرمه بأنواع من الكرامات وغير ذلك وصرفه عن بلاده ، فدخل الشام وحجَّ ثم رجع إلى القدْس فانتزع الصلاحية - بعناية نوروز - من القمنى واستمرّ بها مدرّساً ، ثم سعى عليه القمنى فى دولة المستعين فعُزل واستمر القمنى ولم ينفذ ذلك لغلبة نوروز على البلاد الشامية .

فلما توجّه المؤيد إلى قتال نوروز لقيه الهروى فقرّره فى الصلاحية ، ولمّا رجع إلى القاهرة لقيه أيضاً فاستأْذنه أن يحضر إلى القاهرة فأَذن له فحضر ، وخرج إلى لقائه جماعةٌ وتعصب له كثيرٌ من مشايخ العجم ، وشاع عنه أنه يحفظ إثنى عشر ألف حديث ، وأنه يحفظ « صحيح مسلم » بأسانيده ، ويحفظ متون « البخارى » فاستعظم الناس ذلك ، ودار القمنى على الأُمراء يلتمس أن يسأَلوا المؤيد أن يُحْضِر الهروى ويَعْقد له مجلساً بالعلماء ليظهر له أنه مزجىّ البضاعة فى العلم ، فلم يزل يسعى فى ذلك إلى أن أجاب السلطان - وكان الهروىّ قد اجتمع به - وأحضره المولد[1] الخاص ، وأرسل إلى القاضيَيْن البلقينى وابن مُغْلى فتكلموا بحضْرته ولم يُمْعِنُوا فى ذلك[2] . وكان من جُمْلة ما سُئِل عنه

(١) فى ز « الديوان » .

(٢) جاء فى هامش ث بخط السخاوى قوله : « ذكر قاضي القضاة العينى فى تاريخه حين قدوم الهروى [خلاف] ما ذكره شيخ الإسلام هنا ونحن ناقلوه برمته ، قال العينى بعد أن ذكر مجيئه : عظمه السلطان ورتب له أموراً ولم يطب مافعله السلطان معه على خاطر كاتب السر ناصر الدين بن البارزى ومن تبعه فإنهم [نقموا] عليه خوفاً من أن يتولى منصبا ، فيحصل لهم =

الهرويّ حينئذ : « هل ورد النصّ على أن المغرب لايقصر فى السفر ؟ » ، فقال : « نعم ، جاء ذلك من حديث جابر فى كتاب الفردوس لأبى الليث السمرقندى » ، فلما انفصلوا روجع « الفردوس »[1] لأبى الليث فلم يوجد فيه ذلك ، فقيل له فى ذلك ، فقال : « للسمرقندى لهذا الكتاب ثلاث نسخ : كُبرى ، ووُسطى ، وصُغرى ؛ وهذا الحديثُ فى الكبرى ، ولم تدخل الكبرى هذه البلاد » ، فاستشعروا كذبه من يومئذ .

وأنزله السلطان داراً حسنةً بالقاهرة ورتّب له رواتب جميلة ، وهاداه أهْلُ الدولة فأكثروا من فاخر الثياب وغيرها ، فلمّا كان يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر أحضر المؤيدُ الهرويَّ المذكورَ وأمَرَ القضاةَ الأربعةَ ومشايخَ الفنون من العلماء بالحضور ، وكان مجلساً حافلاً بالمنظرة التى داخل الحوش السلطانى ، فكان أوّل شئ سئل عنه الهرويّ : « على مَن سمع صحيح البخارى ؟ » فاختلق فى الحال إسناداً إلى أبى الوقت زعم أن أباه حدّث به عن شيخ يُقال له « أحمد بن عبد الكريم البوشنجى » عاش مئةً وعشرين سنة ، عن آخر يقال له « أبو الفتح الهروى » عاش أيضا مائة وعشرين سنة عن أبى الوقت ، فقال له كاتبه[2] : « أولادنا يروون الصحيح[3] إلى أبى الوقت بمثل هذا العدد برجال أشهر من هؤلاء » ، وكان المذكور قد ضبط عنه الرجالة أوّل ماقدم بيت المقدس – منهم صاحبنا الحافظ جمال الدين[4] محمد بن موسى المراكشى ثم المكى – أنّه يروى «الصحيح»

=بذلك منه تشويش فأرادوا إبعاده عنه ، ثم أشاعوا عنه عند السلطان أنه قد ادعى أنه يحفظ إثنى عشر ألف حديث ويحفظ صحيح مسلم بأسانيده ، وطلبوا من السلطان أن يعمل فيه وقتا ويجيء مشايخ القاهرة كلهم [يناقشون] معه علم الحديث وغيره ، فلما عمل الوقت حضر هو وحضر معه الشيخ همام الدين العجمى – شيخ الجمالية – فوقع منهم أبحاث كثيرة وكلام كثير أدى ذلك إلى أن سفه الشيخ همام الدين على القاضى جلال الدين البلقينى ووقع منهم كلام شوش حتى سمع من بعضهم أنه ينسب الشيخ همام الدين إلى الكفر ، فلم يحصل فى ذلك المجلس طائل ، وكان هذا سبباً لتأكيد العداوة بينهم ، ثم لما نزلوا كتبوا محضرا وذكروا فيه ما جرى بينهم مما فيه نسبة التكفير إلى همام الدين والتنقيص فى حق الهروى ، فبلغ ذلك السلطان فاغتاظ عليهم وأمر لكاتب السر ناصر الدين البارزى أن يمشى بينهم فى الصلح ، فنزل البارزى وذهب إلى همام الدين وأخذ الهروى معه وذهب معهما إلى بيت القاضى جلال الدين البلقينى وأصلح بينهم حتى انقطع هذا الشر وسكنت الفتن ؛ إنتهى كلامه » .

(١) فى ه « البستان » وفوقها كلمة « كذا » .

(٢) اى ابن حجر نفسه .

(٣) يعنى بذلك صحيح البخارى .

(٤) هو محمد بن موسى بن على بن عبد الصمد المراكشى الأصل ، ولد سنة ٧٨٩ ﻫ بمكة وأخذ عن كثير من شيوخها وكان كثير الرحلة فى طلب العلم حتى إنه ترجم لشيوخ رحلته فى مجلدة ، وكانت وفاته سنة ٨٢٣ .

عن عليّ بن يوسف بن عبد الكريم عن ناصر الدين محمد بن إسماعيل الفارقى عن ابن أبى الذكر الصقلى عن الزبيدى عن أبى الوقت ، وهذا الإسناد أيضاً أظنه مما اختلق بعضه ، وذلك أن الكرمانى ــ الذى شرح البخارىّ ــ هو[1] محمد بن يوسف بن عبد الكريم ، وهو ذكر فى مقدمة « شرح البخارى » أنه سمع « البخارى » من جماعة منهم الفارقى المذكور بالإسناد المذكور ، فإنْ كان الهروىّ صادقاً فيكون أَخَذَه عن أخيه . على أنه كان للكرمانى أخ اسمهُ علىّ .

ثم قال بعضُ خواصّ السلطان : « ينبغى أن يفتح السلطان المصحف فأوّل شئ يخرج يقع الكلام فيه » فأحضر مصحفاً فتناوله السلطان بيده ففتحه فخرج قوله تعالى[2] : « وَلَوْ يواخِذُ اللهُ الناسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ على ظهرها مِنْ دابة ولكن يُؤَخِّرُهمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى » الآية ، فتكلّموا فى معانى « لو » ، فبدر من الشيخ همام الدين الخوارزمى شيخ الخانقاه بالجمالية ــ وكان قد حضر مع الهروىّ ــ حمية له لأنه كان يذكر أن الهروىّ قرأ عليه وكان الهروىّ قد صاهرهُ على ابنته ، فتعصّب الهمام للهروى على البلقينى ، وكان عزْمهم[3] أنهم إذا أغضبوه[4] يتغيّر مزاجُه لما عرفوا مِنْ سرعةِ انْفعاله وعدم صبْرِهِ على الضَّيْم ، فتواصوا على أن يغضبوه ، فكلّمه الهمام بكلام أزعجه فقال[5] : « مثلك يقول لمثْلى هذا ؟ » فقال : « نعم ، أنا أفضل منك ومن كل شئ » فبدر كاتبه[6] وقال :

---

(١) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى « فى المسألة الثامنة لشيخنا صاحب هذا التاريخ أنه محمد بن يوسف بن على وهو الصواب » .

(٢) قرآن كريم ، سورة فاطر ٣٥ : ٥٤ . ثم جاء أمام هذا الخبر فى هامش ث تعليقة هى : « قال الفقير الحقير الراجى رحمة ربه عفى الله تعالى عنه قد [يستفاد] من كون هذه الآية الشريفة خرجت فى أول فتح السلطان المصحف الشريف ، وهو أحد من ظلم منهم فى هذا المجلس شر وبه فسر هذه الآية ، فإن كان العالم المصريون كما يومى إليه كلام العينى فيما تقدم عبرة يمتحن بها ، ثم كونهم ظلموا هذا الرجل الفريد العالم الوارد عليهم أو كان العالم هو بما ذكر عن نفسه وتكلف ولم يظهر خشوع الغرباء وخضوعهم واستكانتهم ودعوى مالا يحل فيه مما ليس فيه ولا هو فيه على عادة العجم كله يقرب إليه بل يصرح به كلام شيخ الإسلام العينى رحمه الله . والله أعلم بذلك » .

(٣) فى هـ « غرضهم » .

(٤) أى إذا أغضبوا البلقينى

(٥) أى البلقينى .

(٦) أى ابن حجر .

« يا شيخ : هذا الإطلاق كفر » فجحد أن يكون قال ذلك ؛ وكان السلطان قد سمعه لأنه كان جالساً إلى جانبه فأظهر مع ذلك انزعاجاً على كاتبه فى مقالته لكونه خالفه ، فقال : « انشد الله رجلاً سمع ما سمعت إلاّ شهد به » ، فشهد تقى الدين الجيتى وآخر فقال :[1] « ما قصدْتُ بهذا الإطلاق إلاّ الحاضرين » فقيل له : « إذا سلم ذلك ففيه دعوى عريضةٌ وإساءةُ أدب » ، واشتدّ انزعاج البلقينى من ذلك حتى قال : « ما أساء أحدٌ علىّ الأدب منذ بلغْتُ الحلْم مثل اليوم » ، وصار لاينتفع بنفسه بقية يومه ، فتم لهم ما أبرموه إلاّ أنهم خُذلوا بهذه السقطة .

وكانوا قد رتبوا على الشيخ شرف الدين التّبّانى ــ على ما أخبر به بعد ذلك ــ أن يسأل الهروىّ فى المجلس عن حديث الوضوء بالنبيذ ومَنْ خرّجه ، فسأله[2] عن ذلك مع أنّه لاتَعَلُّقَ له بما كانوا فيه فبادر بأن قال :« رواه الترمذى ، قال ثنا هناد بن السرى ، ثنا شريك ، ثنا أبو فزارة عن أبى زيد عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ورواه ابنُ ماجه قال ثنا العباس ابن الوليد الدمشقى ، ثنا مروان بن محمد ، ثنا قاسم بن عبد الكريم عن حنش الصنعانى عن ابن عبّاس عن عبد الله بن مسعود » ؛ فقال له كاتبه[3]: « هذا الإسناد الذى سُقْتَه لابن ماجة غلط وليس فى ابن ماجة ولاغيره من الكتب الستة أحدٌ اسمه قاسم بن عبدالكريم وأيضاً فليس فى سياق ابن ماجة أن الحديث لابن عباس عن ابن مسعود ، وليس لفظه مطابقاً للفظ سياق الترمذى » ، فقال الهروى : « فما الصواب فى هذا الإسناد ؟ » فقال له : « تكتبُ ما قلتَ وأنا أُعيّن موضع الغلط ونُحضر ابنَ ماجه فإن كان كما قلتَ وإلاّ تَبَيَّن خطؤك ! » ، فلم يجسر أحدٌ أن يكتب ذلك حتى أشار السلطان إلى تقىّ الدين الجيتى فكَتب ذلك ، فظهر الصواب مع كاتبه فى جميع ما قال فى ذلك ، وظهر أنه درس إسناد ابن ماجة فسقط عليه راوٍ وأبدل واحداً بآخر ، والساقطُ ابنُ لهيعة شيخُ مروان بن محمد ، والمبدولُ : قيسُ بن الحجاج ، فجعله الهروىّ « قاسمَ بن عبد الكريم » ووضحت مجازفة الهروىّ

---

(١) أى الهروى .

(٢) عبارة « فسأله عن ذلك » ساقطة من هـ .

(٣) يعنى ابن حجر نفسه .

حينئذ ، ومال السلطان إلى كاتبه وصار يغمزه بعيْنه تارة ويُرْسِل إليه من يسرّ إليه مِن خواصّه أن لايترك منازعةَ الهرويّ ، فقوى قلبه بذلك وقال حينئذ : « ياشيخ شمس الدين : أنت تدّعى إنك تحفظ إثنى عشر ألف حديث وقد ارتابَ مَن بلغه عَنْك ذلك فى صحته ، وأنا أمتحنك بشىء واحد وهو أن تسرد لنا فى هذا المجلس إثنى عشر حديثاً ، من كل ألفِ حديثٍ : حديثاً واحداً بشرْط أن تكون هذه الأحاديث الإثنا عشرة متباينةَ الأسانيد ، فإنْ أمْلَيْتَها علينا إملاءً أو سردْتها سرداً أقررْنا لك بالحفظ وإلاَّ ظهر عجْزُك » فقال : « أنا ما أستطيع السّرد ولكن[1] أكتب » فقال له : « والإملاءُ نظير الكتابة » فقال : « لاأسرد ؛ أنا أكتب » فأُحْضر له فى الحال دواةٌ وورق فشرع يكتب فلم يستتم البسملة إلاَّ وهو يرعد ولم يكتب بعدها حرفاً وقال : « لاأستطيع أكتب إلاَّ خالياً » ، فيأْمر السلطان أن أختلى فى بيتٍ وأنت فى بيت ، ويكتب كلٌّ منّا مِن حفظه مايستطيع ، فمَن كتب أكثر كان أحفظ » ، فقال له كاتبه : « إنا[2] لم نحضر امتحاناً فى سرعة الكتابة » ، مع أن شهرةَ كاتبه بسرعة الكتابة غيرُ خفيّة ولكِنْ أراد إظهار عجز الهرويّ عمّا ادّعاه من الحفظ .

والتمس منه أن يكتب فى المجلس حديثاً واحداً ليتبين للحاضرين خطؤه فيه فلم يستطع فضلاً عن أن يمليه ، فطال الخطب فى ذلك وكل أحدٍ ممّن يتعصّب عليه يقصد أن ينصره بكلامٍ وكلُّ أحدٍ ممن يتعصّب عليه يدفع مايقول القائل ، وكلما فتُرَتْ همتهم فى ذلك أو كادَتْ يرسل السلطان بعض خواصّه لكاتبه يجذف عليه إلى أن قرب وقت الصلاة للظهر ، وكانَ ابتداؤ الحضور ضُحى النهار ، فقُمْنا إلى صلاة الظهر ثم تحوّلنا إلى البستان على شاطئ البركة الكبرى ، فقال السلطان للشيخ زين الدين القمنى : « مالك لم تتكلم فى هذا المجلس مع الهرويّ ؟ » فقال : « نعم ، أتكلّم معه فى مسائل الوضوء فإنه لايعرف شيئاً » ، وشرع فى خطابته على عادة شفاشقة فلم ينجع شيئاً .

---

(١) عبارة : « ولكن أكتب » ساقطة من هـ .

(٢) فى هـ « إنا لم نحضر لنتخابر فى سرعة الكتابة » .

ومُدَّ السماط فأكلت الجماعة ، ثم جئ بالحلوى ثم بالفاكهة فقرأ قارئ « مَثَلُ[1] الجَنَّةِ الّتى وُعِدَ المُتَّقُون تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّها » الآية . فقال الشيخ نور الدين التلوانى[2] ــ وهو ممَّنْ حضر المجلس ــ « الظل لايكون إلاَّ عن ضوء ، والجنة لاشمس فيها ولاقمر » فأجابه بعض الحاضرين ؛ وانجر الكلام إلى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم (سبعة يظلهم الله بظله أو فى عرشه يوم لاظلّ إلا ظله) الحديث . فقال كاتبه : « هل منكم من يحفظ لهذه السبعة ثامنا ؟ » فقالوا : « لا » ، فقال : « ولاهذا الذى يدّعى أنه يحفظ إثنى عشر ألف حديث ؟ » وأشار إليه فسكت ، فقال له بعضهم : « فهل تحفظ أنت ثامناً ؟ » فقال : « نعم ، أعرِفُ ثامنا وتاسعاً وعاشراً ، وأعجبُ من ذلك أنه فى صحيح مسلم ــ الذى يدّعى هذا الشيخ أنه يحفظه كله ــ ثامنُ السبعة المذكورة » ، فقيل له : « أفدْنا ذلك » ، فقال : « المقام مقام امتحانٍ لامقام إفادة ، وإذا صرْتم فى مقام الاستفادة أفدْتُكم » ؛ ثم جَمعَ كاتبهُ بعد ذلك ما ورد فى ذلك فبلغَ زيادةً على عشر خصال زائدة على السبعة المذكورة فى الحديث المذكور ، وكان أبو شامة قد نظم السبعة المشهورة فى بيتين مشهوريْن ، فجمع كاتبه سبعةً وردت بأسانيد جياد فنظمها فى بيْتَيْن ، ثم جمع سبعةً ثالثة بأسانيد فيها مقال ونظمها فى بيتين آخرين ؛ وانفضَّ المجلس لصلاة العصر ، فلما أرادوا القيام قال كاتبه للسلطان : « ياخوند ، أدَّعى عَلَى هذا أنَّ لى عنده دَيْناً » فقال : « ما هو ؟ » فقال : « إثنا عشر حديثاً » فتبسّم وانصرف .

فلما كاد كاتبه أن يخرج من باب الحوش طُلب[3] فعاد فوَجد السلطان قام ليقضى حاجته فوقف مع خواصّه إلى أن يحضر ، فقال له كاتب السر : « إن السلطان قال قد استَحْيَيْتُ من فلانٍ كيف يتوجّه بغير ثواب ، فقلتُ[4] إنه كان شيخ البيبرسيّة وانتزعها

---

(١) سورة الرعد ١٣ : ٣٥ .

(٢) هو على بن عمر بن حسن المغربى الأصل ، وينسب إلى تلوانة إحدى قرى المنوفية ، وكان شديد الا لتصاق بالبلقينى ، ورغم درسه الكثير إلا أن ابن حجر نال منه فى ترجمته إياه الواردة فى إنباء الغمر وفيات سنة ٨٤٤ .

(٣) يعنى أن السلطان طلب ابن حجر .

(٤) ضمير المتكلم هنا عائد على كاتب السر .

منه أخو جمال الدين ظلماً » ، فلما استَتَّم كلامَه حضر السلطانُ فأشار إلى كاتب السرّ أن يُعْلِم كاتبَه بما تقرّر مِن أَمْر البيبرسيّة فقال له : « إن السلطان قد أعادَ لك مشيخة البيبرسية » ، فشكرْتُ له ذلك ، ثم قلتُ له : « قرّرْتنى فى مشيخة البيبرسيّة ونظرها وعَزْل مَن هو مقرّر بها بحكم أنه انتزعها بغير صحة ؟[1] » فقال : « نعم » ، فأَشْهَدْتُ عليه بذلك مَن حضر .

وفى غداةِ غدٍ لبسْتُ بها خلعةً وحضرْتُها ، وصُرف أخو جمال الدين منها ، ثم عُوِّض بعد سنتين[2] بمشيخة سعيد السعداء بعد موت البلالى[3] ــ كما سيأتى ــ بعناية الأمير ططر الذى ولى السلطنة فى سنة أربع وعشرين .

وكان أخو جمال الدين قد استعانَ على كاتبه بتنبك ميق ، فاستعان تنبك بأقباى الدويدار الكبير وبططر المذكور وكلّموا السلطان مراراً فى ذلك فامتنع ، فلما أيسوا منه عدلوا إلى المخادعة فلم يزل ذلك فى نفس ططر إلى أن قرّر المذكورَ[4] فى الخانقاه السعيدية بعد موت البلالىّ ، وكفى الله شره .

وأمّا الهروى فإنّ طائفةً من العجم وغيرِهم سعوا عند الأمير وسألوا السلطان أن يُنعم عليه بما يجبر به خاطرَه وخاطرَ صهره ، فأحضره يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الآخر وخَلع عليه جبّة سمّور وأركب فرساً مسروجاً ورجع إلى منزله ومعه طائفة من الأُمراء وغيرهم ، وأُشِيع بأنها خلعة استقرارٍ بتدريس الصالحية ، فسقط فى يد القمنى وانزعج من ذلك لأنه كان أعظم الأسباب فيما وقع للهروى ، وإنما سعى فى ذلك لينزع منه الصلاحية لكونها كانت بيده قبل ذلك ؛ فدار على الأُمراء وغيرهم فما أُجيب إلى ذلك ، فلما يئس سَأَل أن يُعَوَّض عنها بمسموحِ مركبٍ فى البحر لا يُؤْخذ منه ــ على مايحضر فيها ــ

(١) « صحة » فى هـ .

(٢) فى ز « ستين » .

(٣) هو محمد بن على بن جعفر العجلونى ، وكانت وفاته سنة ٨٢٠ هـ ، ومما يذكر عنه أن نائب السلطنة سودون الشيخونى ولاه مشيخة سعيد السعداء سنة ٧٩٠ وظل بها ثلاثين عاماً حتى موته ، راجع عنه الضوء اللامع ٤٣٩/٨ .

(٤) أى أخو جمال الدين .

مكس ، فكُتِب له بذلك واطمأَنَّت نفسه ، واستمرّ هو يؤجّرها بأجرةٍ بالغةٍ فى الزيادة وبتوفّر دواعى التجار على ركوبها ، فإذا وصلوا أخذ المستأْجِرُ من التجار الأُجرةَ مضاعفةً بسبب رفع المكس ، واستمرّ الهروى بعد ذلك مقيماً بالقاهرة إلى أن خرج صحبةَ ركابِ السلطان إلى الشام فقرّره فى نظر القدس والخليل زيادةً على مشيخة الصالحية ، كما سيأْتى .

* * *

وفى هذه السنة قَبض أقباى الدوادار على الشيخ شرف الدين التبانى بسبب الكسوة التى عُمِلت فى هذه السنة وأغرمه مالاً كثيراً باع فيه داراً — وقد استجدّها فى دولة المؤيد — وعُزِل عن نظر الكسوة، وردَّ السلطانُ أمرَها إلى ناظر الجيش علم الدين بنِ الكُوَيْز ، وأمدّه بألف دينارٍ مضافاً إلى ما يُتَحَصَّل من أوقافها ، فعُمِلت فى السنة المقبلة فجاءت فى غاية الحُسْن .

* * *

وفى جمادى الأُولى عصى أقباى نائبُ الشام على السلطان وزيّن له الشيطانُ أن يستبدّ بالملك ، وكان السلطان لمّا بلغه طَرَفٌ من ذلك عزَله من نيابة الشام وقرّر فيها ألطنبغا العثمانى ؛ وفى أثناء ذلك فى رجب عُثِرَ بالقاهرة على كتابٍ من أقباى إلى جانبك الصوفى ، فأُحضر جانبك وسُئِل عن ذلك فأنكر فعوقِب عقوبةً عظيمة وعُصِرَتْ رجلاه ليقرّ على مَن وافق أقباى على العصيان والمخامرة .

واستقرّ ألطنبغا القرمشى أميراً كبيراً عوضاً عن العثمانى ، واستقر تانى بك ميق أمير آخور عوضاً عن القرمشى ، واستقرّ سودون قراسقل حاجب الحجاب عوضاً عن سودون القاضى ، واستقر سودون القاضى رأْس نوبة عوضاً عن سنقر ، وأُرسل إلى قنباى

جلبانُ أميرُ آخور لإحضاره إلى القاهرة واستقراره فيها أميراً ، فوصل جلبان[١] فى أوّل جمادى الآخرة وبلّغه الرسالة فأظهر الامتثال وأخذ فى نقل حريمه من دار السعادة إلى بيت الغرس الأُستادار بطرف القبيبات[٢] . فبيْنا جلبان المذكور ومعه أرغون شاه ويَلْبغا المظفر ومحمد بن منجك ويشبك الأيتمشى يسيرون تحت القلعة إذْ وصل يلبغا كماج الكاشف إلى داريا[٣] ، فخرج إليه قانباى فاتفقا على محاربة المؤيّدية فبلغهم ذلك

(١) جاء فى هامش ث التعليق التالى : « جلبان أمير آخور هذا هو نائب الشام وكان يعرف بجلبان أمير آخور ، واختلف فى معتقه وجنسه ، فقيل أعتقه سودون طاز وقيل إينال حطب وقيل قانى بك أمير آخور الظاهرى برقوق فهو من السيفية بلا خلاف ، وأما جنسه فقيل جركسى ، وقيل غير ذلك ، والصحيح أنه جركسى الجنس ، وكان تنقل فى خدم الأمراء ، فكان فى خدمة جركس المصارع ثم خدم للأمير تغرى بردى كأتابك نائب الشام ، ثم خدم شيخ المؤيد فى أيام إمرته ، فلما تسلطن رقاه أمير آخور ثالثا ثم ثانيا وبها اشتهر . ثم صيره مقدما بالديار المصرية ثم خرج مع الأمراء المجر دين إلى البلاد الشامية صحبة ألطنبغا القرمشى أتابك العساكر ، وقبض عليه مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدية إلى أن أطلقه الأشرف برسباى وأمره تقدمة بدمشق ، ثم نقله منها إلى كفالة حماة بعد ولاية نائبها جارقطلو بك نيابة حلب ، بعد انتقال نائبها قانى بك من نيابة الشام عن تانى بك ميق بعد وفاته ، وكان ذلك فى رجب سنة ست وعشرين وثمانمائة ، فبقى بها نحوا من اثنتى عشرة سنة أو أزيد فإنه نقل إلى طرابلس فى شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، تولى نيابتها بعد موت تمرباى وولى حماة بعده قانباى الحمزاوى ، فلما حدث ما جرى لتغرى برمش ولاه الظاهر جقمق نيابة حلب فى سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، وتولى بعده نيابة طرابلس قانباى الحمزاوى أيضاً ثم نقل من حلب إلى نيابة الشام بعد موت كافلها آقبغا التمرازى أتابك كان ، وكانت ولايته لدمشق فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، وتولى بعده حلب قانباى الحمزاوى أيضاً فلم يزل فى نيابة الشام إلى أن توفى بها فى يوم الثلاثاء سادس عشر صفر سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكنت بها إذ ذاك والوالد متول بها ، وكان بينه وبين جلبان صحبة أكيدة ومحبة بحيث كان فى كل قليل يحضر إلى دار الوالد ويسلم عليه ويقف على باب الستارة بقربه يبعث بالسلام إلى « أصيل » أخت الخوند جلبان جهة الوالد ، بل إنها كانت تخرج وتجلس وراء الستارة ويشافهها بالسؤال عن حالها ويوصيها على الوالد فإنها كانت شريفة الأخلاق ولها مع الوالد وقائع عجيبة ، وكانت كثيرة الغيرة عليه ، وكان له سرارى بسبب ذلك كانت تشوش عليه ، وكان يسأل من الوالد ما يشكل عليه من الأمور : دينية كانت أو دنيوية لأنه كان من أجل [من] كتبوا التوراة والفرقان ، وكان قصيراً جسيما عليه سمت الملوك . طالت مدته فى السعادة وعظم قدره فى الدول فى نيابة دمشق خمسة عشرة سنة ، ولم يقع لمن تقدمه من نواب الشام غير الأمير تنكز الناصرى أنه لم ينتقل من كفالة بلدة إلى أخرى إلا ويعقبه عليها الأمير قانباى الحمزاوى فى هذه المدد الطوال التى تزيد على ثلاثين سنة ، على أن الحمزاوى لم تطل مدته فى الولايات فإنه حضر إلى القاهرة أسيرا وأقام بها ، ثم عاد إلى حلب بعد أن وليها غير واحد بعده ، واتفق فى عوده إليها موت جلبان المذكور بدمشق فوليها عنه ، وهذا أمر غريب الاتفاق ، ولعله لم يقع لغيرهما فى مثل هذه المدة (من) السنين المطولة والولايات المتعددة حتى الولاية عقبه بعد موته ، رحمهما الله تعالى » ثم إمضاء غير مقروء .

(٢) عرفها ياقوت فى معجمه وابن عبد الحق البغدادى فى مراصد الاطلاع ١٠٦٦/٣ س ٩ بأنها حاضر من حواضير دمشق من جهة القبلة ، ونقل هذا التعريف بها مع شىء من التحوير Le Strange : Palestine Under the Moslems p. 488.

(٣) داريا قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، وبها قبر أبى سليمان الدارانى ، انظر مراصد الاطلاع ٥٠٩/٢ ، ومحمد كرد على : غوطة دمشق (الفهرست) ص ٢٦١ ، Le Strange : op. cit. ، هذا وتشتهر داريا بأعنابها انظر أيضاً Dussaud : op. cit. p. 297.

فتأهّبوا للحرب ، ثم وقع القتال من بكرة النهار إلى العصر فانهزم المؤيّدية وفرّوا على وجوههم إلى صفد ، واستمرّ محمد بن منجك فى هزيمته إلى القاهرة .

ودخل قانباى دمشق فنزل دار السعادة وحاصر القلعة وتراموا بالسهام والمجانيق، فاستظهروا على قانباى فتحوّل إلى خان السلطان ، ووصل إليهم طرباى نائبُ غزة مطاوعاً له على العصيان وانضمّ إليه تنبك البجاسى نائبُ حماة وسودون من عبد الرحمن نائب طرابلس وجماعة ؛ وكاتَبَ نائبَ حلب إينال الصصلانى فوافقه على العصيان أيضاً ، وخرج فى عسكره مِن حلب لملاقاته ، فخرج قانباى بمَن أطاعه إلى جهة حلب .

ولما بلغ قانباى خروجُ المؤيّد إلى حرْبه توجّه إلى جهة حلب من طريق البريّة ، وكان نائبُ حماة ـ لمّا أظهر العصيانَ ـ اتّفق أنّه خرج إلى جهة المعرّة[١] ـ فلمّا أراد دخول حماة منعه أهلها فوافاهم[٢] نائبُ حلب ، وكان لمّا أظهر العصيان أنكر عليه شاهين ـ دويدار المؤيّد ـ وهو يومئذٍ بحلب فبادر إلى القلعة فحصرها ، فحاصره إينال مدّة ثم اجتمع بقانباى ومن معه .

وأمّا السلطان فإنّه لما بلغه الخبر جهّز أقباى الدويدار ويشبك شادّ الشربخاناه قبله فى جماعةٍ فى عسكرٍ بخلعةٍ لنائب الشام ، فتوجّه فى حادى عشر رجب وجدّ فى السير إلى أن وصل دمشق وبلغ ألطنبغا العثمانى ، فلما وصل قانباى إلى تلك الجهة انضمّ إليه واجتمعوا كلُّهم بحلب ، وكان شاهين الدويدار بحلب خالف إينال الصصلانى فى العصيان وطلع إلى القلعة وحصّنها واجتهد فى قتال المخالفين ، فحاصرهم إينال نحو شهرين ونصف ، فبلغ ألطنبغا العثمانى ـ الذى استقرّ نائبَ الشام ـ خبرُ قانباى ومَن معه فتوجّه إلى جهتهم ومعه العسكر المندوب من القاهرة والذين كانوا انهزموا إلى صفد إلى أن وصلوا برْزة[٣]

---

(١) المعرة من إحدى المدن الكبرى بالشام بين حلب وحماة ، انظر مراصد الاطلاع ١٢٨٨/٣ و Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 244 et suiv.,

(٢) عبارة « فوافاهم نائب حلب . . . . وبلغ ألطنبغا العثمانى » من ١٥ ساقطة من هـ .

(٣) برزة قرية فى غوطة دمشق ، وهى بفتح الباء والزاى ، وهذا هو الرسم الذى اختاره لكتابتها Le Strange : op. cit. p. 420. ، وقد جاء رسمها Berzé بكسرها فى Dussaud : op. cit. Index, راجع عنها أيضا محمد كرد على : غوطة دمشق ٢٤ حيث قال إنها سريانية الأصل ومعناها بيت الأرز .

فوجدوا قانباى قد تقدّم فتبعوه فأخذوا من ساقته أغنامًا ، ووصل قانباى إلى سَلَمْيَة[1] فى سلخ رجب ، ثم رحل من حماة فى ثانى عشرى شعبان فوافاه إينال نائبُ حلب وسودون من عبد الرحمن نائبُ طرابلس وكثُرَ جمعُهم .

ووَصل إلى القاهرة محمد بن إبراهيم بن منجك[2] فى ثالث عشر رجب ، فحقّق للسلطان عصيانَ قانباى وأخبره بالوقعة التى انهزم هو فيها معه ، فلم يكذب السلطان خبراً وأصبح منزعجاً فأنفق فى العسكر وعيّن مَن يسافر معه منهم ، وأعفى القضاة والخليفة عن السفر معه ، لكن سافر معه القاضى الحنفى ناصرُ الدين بنُ العديم باختياره ، وسار جريدةً[3] بعد وصول ابن منجك بأيّام يسيرة وذلك فى ثانى عشرى رجب ؛ وقَرَّر فى نيابة الغيبة ططر ، وقرر سودون صقل حاجب الحجاب ، وقطلوبغا التنمى نائب القلعة ، وعُزل ابنُ الهيصم عن الوزارة فى تاسع عشرى رجب ، وشغرت الوزارة فقرر أبوكم فى نظر الدولة ليسد المهِمّات فى غيبةِ السلطان بمراجعة الأُستادار .

واستمرّ السلطان فى سفره فدخل دمشق فى سادس شعبان ، وكان قد دخل غزة وخرج منها يومه ، ثم خرج من دمشق فى ثامن شعبان .

فلما كان فى ثانى عشر شعبان – قبْل أن يصل السلطان بعسكره – التقى عسكر قانباى وإينال ومَن معهما وعسكر السلطان ، فالتقى العسكران فانكبس أقباى الدويدار وأُسر منهم جماعة من العسكر وانهزم بعضهم ، فاتفق موافاة السلطان فى صبيحة ثانى يوم الوقعة قد نزل العسكر واشتغلوا بالنّهب واطمأنوا ، فطلعت أعلامه عليهم من وراء أكمة فولّوا

---

(١) الضبط من مراصد الاطلاع ٢/٧٣١ حيث عرفها بأنها بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة فى الطريق منها إلى حمص ، وقد سماها سلمية بكسر الميم ، أنظر أيضا Dussaud : op. cit. Le Strange : op. cit. p. 528. حيث ضبطها بفتح السين واللام وكسر الميم وتشديد الياء .

(٢) نشأ ابن منجك هذا بدمشق حتى صار من جملة أمرائها زمن الناصر فرج ، لكنه كان شديد الالتصاق بالمؤيد حتى امتحن بسببه ، وأنعم عليه المؤيد بتقدمة بدمشق وبإقطاع فى مصر ، وكان كارها لمظاهر المـلوكية والإمرة والسيادة حتى إن السلطان المؤيد كان يهدده – إذا غضب عليه – بأن يوليه نيابة دمشق وهى أعلى النيابات ، وكانت وفاته سنة ٨٤٤ هـ .

(٣) عليها علامة بقلم الناسخ فى ك ، وفى الهامش بها « أى الطليعة وهو الجاليش » .

الأَدبار ولم يَلْوِ أَحدٌ على أَحد ، فقبض المأْسورون فى الحال علَى مَن أَسروهم واستعادوا مانُهب منهم ، ورَجع الناهب منهوبًا والغالب مغلوبًا ، وأُسر إينال الصصلانى وجرباش قاشق وتمنتمر واقبغا النظامى وجماعةٌ ، واستمر السلطان إلى حلب والأَسارى بين يديه مشاة فى الأَغلال والقيود فطَلع القلعة . واستمرّ قانباى فى هزيمته إلى جهة أَعزاز ، فلقيه بعضُ التركمان فأَمّنه وأَنزله عنده ثم غدر به وقَبض عليه وأَحضره إلى السلطان ، فأَمر به وبإينال الصصلانى وبكباشة وتَمنتَمر فقُتِلوا وأُرْسِلتْ رءُوسهم إلى القاهرة فعلّقَتْ على باب زويلة ، ثم أُرسل بها إلى الإِسكندرية فطيف بها ، وفرّ سودون مِن عبد الرحمن وطرباى وغيرهما فنجوا ؛ وقَرّر السلطانُ آقباى الدويدار نائب حلب ، وجار قطلى فى نيابة حماة ، ويشبك ــ مشدّ الشربخاناه ــ فى نيابة طرابلس

وفى مدة إقامة السلطان بحماة قدم عليه أَبو يزيد بن قرايلك بهديّةٍ من أَبيه وتهنئة له بالنّصر على أَعدائه ، فأَكرم مورده وردّه إلى أَبيه ومعه هدية مكافأَةً على هديته .

* * *

وفيها فرَّ كزل نائبُ ملطية إلى التركمان خوفًا من السلطانِ ، فإنّه قد وافق قانباى على العصيان عليه ؛ وعَزَم السلطانُ على الإقامة بحماة بقية السّنة لحسْم مادّةِ الفِتنَ والقبْضِ على مَنْتسحّب من النوّاب الذين خامروا وهم : كزل نائبُ ملطية وسودون من عبد الرحمن نائب طرابلس وطرباى نائب غزة ، ثم فَتُر عَزْمه عن الإقامة وأَرْسل طوغان نائب صفد إلى القاهرة على تقدمة أَلف ، وأَذِن له فى سفر البحيرة لتحصيل شئٍ يكون عوْنًا له على تجديد ما نُهِب له فى الوقعة .

وكانت الوقعة فى رابع عشر شعبان ، واستمرّ المؤيّد يقفو أَثر المنهزمين إلى قلعة الأثارب[1] فبات بها ثم أَصبح فدَخل إلى حلب وأَقام بحلب إلى ثانى عشرين شوّال .

* * *

---

(١) أجمع الجغرافيون العرب على أنها من القلاع الحصينة ببلاد الشام وهى على بعد ثلاثة فراسخ من حلب ، وتقع فى الطريق بينها وبين أنطاكية وإن كانت إلى الأولى أقرب منها إلى الثانية ، وكانت تعرف عند الصليبين باسى Cerep ، راجع فى ذلك Le Strange : op. cit. p. 403. وقد تعقب الطوبوغرافى الفرنسى Dussaud : op. cit. p. 219 et suiv. تطور اسمها فى التاريخ فهى Tirabou عند الفراعنة القدامى زمن الأسرة الثامنة ، وهى Litarbe فى العصر الرومانى ، ومعنى هذا أنها بوتقة لحضارات مختلفة .

وفى رمضان — ليلة الجمعة ثالثه — أُخِذَ رجلٌ سكران وهو يشرب الخمر بالنهار فضُرب الحدَّ وطيف به ، فثار به عامّة الصليبة فقتلوه ثم أجّجوا ناراً فألقوه فيها حتى مات حريقًا .

* * *

وفى شوال — ليالى تَوَجُّهِ الحجاج — ابتدأ الغلاءُ العظيم فى القاهرة مع وجودِ الغلال وزيادةِ الماءِ وكثْرَةِ الزرع ، وكان أول السنة فى الغلال مِن الرّخْص شئٌ عجيب بحيث أن القمح الذى هو فى غاية الجودة لايتجاوز النِّصفَ دينار: كلُّ إردب ، ودونه قد يباع بالدينار ثلاثة أرادب وذلك فى كثيرٍ من الأوقات . وأعظم الأسباب فى هذا الغلاء كثرةُ الفتن بنواحى مصر من العرب وخروج العساكر إليهم مرة بعد مرة ، وفى كل مرة يحصل الفسادُ فى الزرْع ويقلّ الأَمْنُ فى الطرقات فلا يقع الجلب كما كان .

وفى آخر ذلك توجّه الأُستادار لدفْع العرب المفسدين فى وقْت قبْضِ المغل ، فعاث مَن معه فى الغلال وأفسدوا وعادوا بُخُفَّىْ حنين ، واتفق وقوع القحط بالحجاز والشام فكثر[1] التحويل فى الغلال من نواحى أراضى مصر وصعيدها ، واتُّفق أن بعض الناس — ومِمّن له أمرٌ مُطاعٌ فى غيبة السلطان — أرادَ التجارة فى االقمح فصار يحجر علىمَن يصل بشئٍ منه أن يبيعه لغيره ، فعزَّ الجالبُ فِراراً منه ، فوقع فى البلد تعطيلٌ فى حوانيت الخبّازين ، ووقع الفساد من ذلك قليلاً قليلاً بحيث لا يُتَنَبَّه له ، إلى أن استحكم فبلغ الإردبُّ من القمح إلى ثلاثمائة وكذلك الحِمْل من التِّبنْ ، وتزاحم الناس على الخُبز فى الأَسواقِ إلى أن فُقد من الحوانيت وصار الذى من شأْنه أن يكتفى بعشرةِ أَرْغفة لوْ وَجد مائةً لاشتراها لِمَا قُذِف فى قلوبهم من خشْيَة فقْدِه ، وصار مَن عنده شىءٌ من القمح يحرص على أن لا يُخْرِج منه شيئًا خشيةَ أن لا يجد بَدَلَه ، فتزاحم الناس على الأفران إلى أن قُفِلَتْ وصاروا يبيعونه من الأسطحة ، وآل الأمر إلى أن فُقِد القمح وبلغ الناس الجهد وانتشر الغلاءُ فى بحرىِّ مصر وقبليِّها .

---

(١) جاءت هذه العبارة فى ث على الصورة التالية : « فكثر التحويل فى الغلال إلى النواحى من أراضى مصر وصعيدها » .

واتّفق أن الوجْه البحرى كان مُقِلاً من الغلال بسبب الفأْر الذى تسلّط على الزرع فى هذه السنة ، فاحتاجوا إلى جلْبهمن الصعيد ، فأَمسك أهلُ الصعيد أيديَهم عن البيع لما يبلغهم مِن مَنْع المحتسب من الزيادة فى السعر ، واشتد الأمْر وعمّ البلاء .

ولما رآى التاج الوالى ــ وهو المحتسب يومئذ ــ ذلك استعفى مِنَ الحسبة ، فقرّر نائبُ الغيبة فيها القاضىَ شمسَ الدين محمدَ بن يوسفالحَلاوى[1] فى العشرين من شوال فباشر أيّاماً قلائل ؛ فلمّا أهلّ ذو القعدة تزايدت الأَسعار واشتدّ الزحامُ بالأَفران ، فخشى المحتسب على نفسه فاستعفى وأُعيد أمرُ الحسبة إلى الوالى ــ وهو التاج الشوبكى ــ وذلك فى حادى عشر ذى القعدة ؛ وقد امْتَدّت الأَيْدى للخطف واجتمع مَن لا يُحصى ببولاق لطلب القمح ، وتعطّل غالبُ الأَسواق من البيع والشراء بسبب اشتغالهم بتحصيل القوت لأَنَّ بعضهم كان يتوجّه إلى الأَفران من نصف الليل ليحصل له شئٌ من الخبز ، وبعضهم يتوجّه إلى السواحل ليحصل له شئٌ من القمح ، فمنهم من يجد ومنهم من يرجع خائباً ، فقلّتْ أَصناف المأْكل وعظُم الخطب ، وصارت المركب من القمح إذا وَصَلَتْ إلى السّاحل تُرْبَطُ وسَط النّيل خشيةً من النهب بالسّاحل ويتوجّه الناس إليها فى الشخاتير ليشتروا منها .

ثم وقع التحجيرعلىمن يشترى زيادةً على إردب ، فصارمعظم الواصليقسّم على الطحّانين ليطحنوه للفرانين ويُحمل إلى حوانيت الخبّازين ، ومع ذلك فالزحام عليه شديدٌ حتى مات جماعةٌ من الزحمة ، وغرق جماعةٌ فى البحر عند التوجّه إلى المراكب الواصلة .

وخَرج الناس فى ثامن عشر ذى القعدة إلى الصحراء يستكشفون هذا البلاء ، ومقدّمهم

(١) هو محمد بن يوسف بن أبى بكر بن صلاح الدمشقى ثم القاهرى الحنفى ، وقد اختلف فى لقبه « الحلاوى » فنسبه بعضهم للمدرسة الحلاوية بحلب وهذا قول ضعيف ، وأما الأكثرية فتقول إن أباه كان يبيع الحلوى الناطف فى طبق فسمى بهذا الاسم ، والظاهر أنه كان مشئوم الطليعة على من عرفه ، حتى لقد قال بعضهم فيه :

إن الحلاوى لم يصحب أخاثقة ... إلا محا شؤمه منه محاسنهم

السعد والفخر والطوخى لازمهم ... فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

انظر عنه الإنباء وفيات سنة ٨٤٠ ، والضوء اللامع ٢٩٢/١٠ ، ونزهة النفوس والأبدان ، ورقة .

القاضى جلال الدين البلقينى فوقفوا قريباً من قبّة النصر فضجّوا ودعوا بغيرِ صلاة ؛ واتفق أن القاضى واجه التاج الوالى فأشار عليه أن يختفى خشيةً عليه مما اتفق لأبيه النشو فى أواخر القرن الماضى على ما تقدم شرحه ، لأنَّ الألسنة كانت انطلقت فى حقه أنَّ سبب الغلاء منه فرجع مختفيا .

ورجع بعد ذلك الموقفُ وقد تيسّر وجودُ الخبز قليلا، ثم فُقِد أشدّ مما تقدّم ، فركب التاج الوالى إلى البلاد الغربية ، وتتبعّ مخازنَ القمح وألزم أصحابها بالبيع ، وقسَّم على الطحّانين مقادير احتياجهم فبلغت البطةُ الدقيق مائة درهم ، ثم زاد الأمر فانتهَتْ إلى مائتين ، وبلغ القمحُ إلى ثمانمائة درهم كل إردب ، وبَلغ الفول إلى ثلاثمائة ، والأرزُ إلى ألفٍ وثمانين ؛ وتزايَد فى غضون هذه الأيّام سعْرُ الذهب إلى[1] أن بلغ سِعرُ المرجة مائتين وثمانين كل مثقال ، ونَدب نائبُ الغيبة إلى كل فرنٍ طائفةً مِن الترك لمنْع مَن يَنهب ، وقَعَد حاجب الحجّاب بنفسه على بعض الأفران واجتهد فى ذلك حتى رآى الخبزَ على الحوانيت.

وكان من اللُّطف الخفىّ فى هذه المدّة طلوعُ الزرع ، فاستغنى الناس لبهائمهم بالربيع، ثم استغنوا لأنفسهم بأكل الفول الأخضر ثم فريك الشعير ، وخرجَ الناسُ من ابتداء ذى الحجة أفواجاً أفواجاً إلى الأرياف ، ثم استشعر مَن عنده قمح مِن أهل الصعيد قرب الحصاد فأطلقوا أيديهم فى البيع، وكثر الجلّابة من التجّار فكثر الواصل ، ومع ذلك فالغلاءُ مستمرٌّ والطّالِبُ للقمح غيرُ قليل .

* * *

وفى هذه السنة قدم فخر الدين بنُ أبى الفرج من بغداد ، فالتقى بالسلطان فأكرمه وعفى عنه ذنْبَه الماضى وولاه كشف الشرقية والغربية والبحيرة وقطيا ، فقدم القاهرة فى أواخر شوّال وأقام بها قليلاً وخرج إلى عمله لتحصيل الأموال على عادته .

وخرج السلطان من حلب فى أوائل ذى القعدة وقَبض على سودون القاضى وسجنه بدمشق ، واستقر بردبك عوض رأس نوبة .

---

(١) عبارة « إلى أن بلغ . . . الغيبة إلى كل فرن » فى السطر التالى ساقطة من هـ .

وخرج إبراهيم ولدُ السلطان من القاهرة لملاقاة أبيه فى أواخر ذى القعدة وصحبته كزل العجمى وغيره ، ووصل السلطانُ إلى سرياقوس فى نصف ذى الحّجة فعمل هناك وقتاً حافلاً بالقراء والسّماع على العادة ،ووَهب صوفيَّةَ الخانقاه شيئاً كثيراً ، وأصبح فى السادس عشر فنزّل الريدانية بكرةً ومَدَّ السّماط وخلع على مَن له عادة بذلك ، وطلع القلعةَ من يومه ، ونُودى مِن الغد بالأمان وأنْ لا يتكلم أحدٌ فى سعْر الغلال فإن الأسعار بيد الله ، ومَن زاحم على الأفران فُعِل به كذا وكذا ، وتصدّى [السلطانُ] للنظر فى أمرْ القمح بنفْسه ، وجهَّز مرجان[1] الخازندار وعبدَ الرحمن السمسار بمالٍ جزيل إلى الصّعيد ليشتروا به قمحاً ويحضرونه بسرعة ليكثر بالقاهرة وتبطل المزاحمة على الخبز .

وانسلخت السنة والأمْر على ذلك .

* * *

وفى خامس عشرى ذى الحجة استقر جقمق الدويدارُ دويداراً كبيراً عوضاً عن أقباى ، واستقرّ يشبك دويداراً ثانيا موضع جقمق .

وفى أواخر السنة نودى على الذهب أن تكون الهرجة بمائتين وخمسين بعد ما كان بلغ مائتين وثمانين ، وشدّد السلطانُ فى ذلك وتوعّد عليه ، واستقر إبراهيم – المعروف بخرز[2] فى ولاية القاهرة عوضاً عن التاج ، ونُقل التاج إلى أُستادارية الصحبة .

وفيها فى صفر استقرّ رميثة[3] بنُ محمدّ بن محمد بن عجلان فى إمرة مكة عوضا عن عّمه حسن بن عجلان فلم يتهيأ له الدخولُ إلى مكة إلا مع الحجاج ، فدخلها فى ذى الحجة

---

(١) هو مرجان الزين الهندى المسلمى – بتشديد اللام – جعله المؤيد خزنداره ثم ناظر الخاص له .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله الشامى المهمندار ويلقب بخرز ، ولى المهمندارية من ناحية المؤيد شيخ ، هذا وقد أورده الضوء اللامع ج ١ ص ٧٢ براءين ولم يضبطه ، وسيرد فيما بعد بضم الخاء والراء التى تليها نقلا عن نسخة إنباء الغمر .

(٣) المعروف عنه أنه لم تحمد سيرته أثناء إمرته مكة مما أدى إلى عزله ، وكان مقتله فى وقعة مع بنى إبراهيم فى رجب سنة ٨٣٧ .

ونزع عنها حسناً وأولاده وحاشيته واستقرّ أميراً بها إلى أن كان ما سنذكره فى السنة الآتية .

وفيها فى ربيع الآخر أهين اليهود والنصارى إهانةً بالغةً فى استخراج الذهب الذى قُرِّرَ عليهم فى وفاءِ الجزية الماضية ، ونالهم من الأعوان كُلَفٌ كثيرة .

* * *

وفى هذه السنة كثر عيث العربان بالوجه القبلى والبحرى واشتدَّ بأْسهُم ، وثارت الأَحامدةُ[1] من عرب الصعيد، وهم قافلةٌ من أراضى الحجاز من آل بلى سكان«دامة» فما فوْقها إلى جهة ينبع ، فتحوّلوا إلى الصعيد الأعلى فنزلوا فيه واتخذوه وطناً، ووثبوا على والى قوص فقتلوه وقتلوا خلقاً معه .

وفيها فى ربيع الآخر توجه يلبغا المظفَّرى إلى دمشق فاستقرّ بها أميراً كبيراً ، ونُقل طوغان من نيابة صفد إلى حجوبيّةِ دمشق ، ونُقِل خليل الجشارى[2] من حجوبيّة دمشق إلى صفد ، وكان المتوجّه من القاهرة إينال الأزعرى .

وفيه توجّه محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد إلى ششتر[3] فحاصرها وفيها بقية آل أويس فقاتلوه ومنعوا البلد منه .

وفى جمادى الأولى استقر أقبردى المنقار فى نيابة الإسكندرية عوضًا عَنْ صُمَاىْ[4] .

وفى ربيع الآخر توجّه نائب حلب إينال الصصلانى ونائبُ طرابلس سودون التركمانى ـ قبْلَ المخامرة ـ على جرائد الخيل فى طلب كردى بن كَنْدَرْ التركمانى ففرّ منهم فأخذوا

---

(١) هم فى الأصل بطن من طى ، انظر فى ذلك القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٣ ، أما دامة فقد وردت فى نفس المرجع ، ص ٤٥ ، بصورة « داما » وعرفها بأنها ماء دون عيون القصب .

(٢) ورد فى الضوء اللامع ٧٧٥/٣ التعريف بواحد اسمه خليل التوريزى ويعرف بالشجارى (بتقديم الشين على الجيم)، وذكر أنه انفصل عن نيابة الاسكندرية فى سنة ٨١٦ أو فى التى بعدها .

(٣) هكذا فى جميع نسخ المخطوطة على أنه ورد فى العزاوى : العراق بين احتلالين ٤١/٣ أن محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد توجه فى ربيع الآخر ٨١٨ إلى « سيس » فحاصرها .

(٤) ورد فى الضوء اللامع ١٢٤٢/٣ « صوماى الحسنى : الحسنى الظاهرى برقوق» ، وقال إنه مات فى حدود سنة ٨٢٠ .

أعقابه واستولوا على كثير من أغنامه وأبقاره ، ثم توجهوا إلى قلعة دربساك فحاصروها ثلاثًا فأخذوها ، وفرّ عن كردى أكثر أصحابه فتسحّب إلى مرعش وانضمّ إليه فارس بن مرد خان بن كندر .

وفيه توجّه نائب ملطية كزل فى طلب حسين بن كبك وأخيه سولو ، وكانا قد نازلا جرباص من أعمال ملطية وأحرقاها فأدركهما فتحصّنا بقلعة كَركر[1] ، فقَتَل من جماعتهما خلقًا ورجع إلى ملطية ، فخرجا وجمعا عليه من التركمان والأكراد جمعًا كبيراً فرجعوا عليه فقاتلهم وهزمهم .

* * *

وفيها سقطت دار من الدور القديمة التى أُخِذَت لتضاف إلى المدرسة التى ابتدأ السلطانُ فى إنشائها داخل بابى زويلة ، فمات تحت الردم منهم أربعة عشر نفسًا .

وفى جمادى[2] الآخرة طرق سودون القاضى الجامع الأزهر – وهو يومئذ حاجب الحجاب وبيده نظر الجامع – بعد عشاء الآخرة ومعه كثيرٌ من أعوانه ، وكان بلغه أنّه حدث بالجامع من الفساد بمبيت الناس فيه مالا يُعَبّر عنه ، فأمر بعدم المبيت فيه فلم يرتدعوا فطرقهم ، فوقع من أعوانه النّهْبُ فى الموجودين فامتنعوا بعد ذلك من المبيت ، وأخرج بعد ذلك ما بالجامع من الصناديق والخزائن للمجاورين لأنها ضَيَّقَتْ على المصلّين .

* * *

وفيها – فى أوّلها – كانت كائنة الشيخ سَليم – وهو بفتح السين – وذلك أنه كان بالجيزة بالجانب الغربى من النيل كنيسةٌ للنصارى ، فقيل إنهم جددوا فيها شيئا كثيراً ، فتوجه الشيخ من الجامع الأزهر ومعه جماعة فهدموها ، فاستَعَان النصارى بأهل الديوان من القبط فسعوا عند السلطان بأنّ هذا الشيخ افتات فى المملكة وفعل ما أراد بيده بغير حكم حاكم ، فاستُدْعِيَ هذا المذكور فأُهين ، فاشتدّ ألمُ المسلمين لذلك ، ثم توصّل

(١) جاء فى مراصد الاطلاع ١١٥٩/٣ بأنها قرب ملطية وعلى الطريق منها إلى آمد ، انظر أيضا بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٠١ .

(٢) أمام هذا الخبر فى هامش هـ : « إخراج المجاورين بجامع الأزهر » .

النصارى ببعض قضاة السّوء إلى أن أذن لهم فى إعادة ما تهدّم ، فجرّ ذلك لهم أنْ شيّدوا ماشاءوا بعلّة إعادة المتهدّم الأوّل ؛ فللّه الأمر .

* * *

وفيها صُرف حسين بن نعير عن إمرة العرب ،واستقرّ حديثة بن سيف فى إمْرة آل فضْل، فوقع بينهما حرب فغلب حديثةُ بن سيف ، وتوجّه حسين إلى الرَّحْبَة فأفْسد زرعها ، ثم التقيا فى أواخر رجب فقُتِل حسين فى المعركة وبعث برأسه إلى القاهرة[1] .

وفيها قدم رسولُ صاحب البندقية من الفرنج إلى القاهرة بهديةٍ وكتابٍ من صاحبه ، فعُرِّبَ الكتاب وقُرِئَ على السلطان فقُبِلَت الهدية وأمَر السلطان ببَيْعها وصُرف ثمنها فى العمارة التى أحْدثَها ، وقرّر كذلك كل هديّة تصل إليه من كل جهة .

وفيها أوقع آل لبيد[2] — من عُربان الغرب الأدْنى من نحو برقة — بأهل البحيرة بحرىّ مصر وكسروهم ونهبوا منهم زيادةً على ثلاثة آلاف بعير وأضعافها من الأغنام ، وانهزم أهلُ البحيرة إلى الفيّوم ، ثم رَجع أولئك[3] وأيديهم ملآى من الغنائم .

وفى رجب نُقل سودون القاضى من الحجوبية وصار رأس نوبة كبيراً ، ونُقِل رأس

---

(١) من العجيب أن السخاوى لم يترجم فى الضوء اللامع ٣/٦٠٥ لحسين بن نعير إلا بقوله « أمير العرب . مات سنة ثمانى عشرة » كما أهمل ترجمة حديثة ، ولقد اعتمد العزاوى فى العراق بين احتلالين ٣/٤١ — ٤٥ على نص ابن حجر هذا وإشارته إلى غانم بن زامل ، وأضاف قوله : « وهؤلاء أصحاب نفوذ كبير على العشائر الطائية فى العراق ولهم سلطة مباشرة على عشائر سورية » ؛ أما آل فضل فهم من ربيعة ،ونبع منهم آل عيسى وهم أرفعهم قدراً « وأميرهم أعلى رتبة عند الملوك من سائر العرب » كما جاء فى قلائد العقيان ، ص ٧٦ — ٧٧ ، وانظر أيضا غوطة دمشق لمحمد كرد على ص ٣٢ حيث ذكر أن بعضهم نزل الغوطة ، وجعل آل فضل « عرب الشام وديارهم مرج دمشق » .

(٢) لبيد بطن من سليم وكانت مساكنهم أرض برقة ، انظر نهاية الأرب فى أنساب العرب ص ٤١٠ ، وهذا وقد أشار القلقشندى : قلائد الجمان ص ١٢٦ إلى هذا الحادث لكن بصورة أخرى فقال : « . . . وقد أجلى السلطان المؤيد عرب البحيرة من زنارة وغيرها عن بلادهم لتغير أدركه عليهم سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، وأسكنها عرب لبيد، استدعاهم من بلادهم فأقاموا بها وعمروها ، وهم مقيمون بها إلى الآن » ويعنى بذلك أنهم مقيمون بالبحيرة حتى وقت وفاته سنة ٨٢١.

(٣) يقصد بذلك عرب لبيد .

* * *

نوبة وهو تانى بك ميق فصار أمير مجلس ، واستقر سودون قراصقل حاجبًا بدل سودون القاضى .

وفيها عُزِل صدْرُ الدين العجمى عن نظر الجيش بدمشق وأُهين وصُودر ، واستقرّ ابن الكشك قاضى الحنفية فى وظيفته .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثمانى عشرة وثمانى مائةمن الاعيان(١)

١ — إبراهيم بن بركة المصرى ، سعد الدين البشيرى ، وُلد فى ذى القعدة سنةَ ستّ وستين ، وخدم — لمّا ترعرع — فى بيت ناظر الجيش تقى الدين بن محبّ الدين ، ثم تنقّل فى الخدم عند الأُمراء وغيرهم إلى أن ولى نظر الدولة ، وباشر عند جمال الدين واعتمد عليه فى أمر الوزارة، ثم استَقَلّ بالوزارة بعد(٢) جمال الدين إلى أن قُبض عليه فى الدولة المؤيدية كما تقدّم(٣) فى سنة ست عشرة ولزم منزله إلى أن مات فى صفر من هذه السنة ، ولم يتّفق له عند القبض أن يُضرب ولا مكنت منه أعداؤه.

وكان جيّد الإسلام ، وهو الذى جدَّد الجامعَ بالقرب من منزل سكنه ببركة الرطلى ، وكان عارفًا بالمباشرة ، يسلك طريق الوزراء السالفين من الحشمة والترتيب .

٢ — أحمد بن محمد بن أحمد بن عَرَنْدة المحلّى ، شهاب الدين الوجيزى(٣) الناسخ ، وُلد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بالمحلّة ، ثم قدم القاهرة فحفظ « الوجيز » فعُرف به

---

(١) يلاحظ فى وفيات هذه السنة فى نسخة ظ أمران أولهما عدم ترتيب أعلامها أبجديا وثانيهما أن ابن حجر ترك بعد انتهائه من ذكر أحداثها بقية ورقة ٢٦٦ ب ، ٢٦٧ ا فراغاً وكتب « ذكر من » فقط ، أى من مات فى هذه السنة .

(٢) فى ش « بعدهما » .

(٣) انظر أيضا الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣ ، ورغم تاريخه الطويل فقد ترجم لهأبو المحاسن فى المنهل الصافى ٤٤/١ — ٤٥ فى ثلاثة أسطر فقط ، راجع أيضا Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 23.

(٣) أمامها فى هامش ز : « صاحب هذه الترجمة والد الجلال عبد الرحمن الوجيزى » . وهو الذى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ١٧٦/٤ ؛ أما الوجيزى فنسبة لحفظ الأب الوجيز للغزالى .

وأخذ عن علماءِ عصره ، ولازم القاضى تاج الدين السبكى لمّا قدم القاهرة، وكَتب من[١] الكتب له ولغيره[٢] شيئًا كثيراً جدا ، وكان صحيح الخطِّ ويذاكر بأشياء حسنة ، ثم حصل له سوءُ مزاجٍ وانحراف ولم يتغيّر عقله ، وكان عارفًا بالحساب . مات فى جمادى الأُولى .

٣ ــ أسنبغا الزردكاش ، كان أصله من أولاد حلب فباع نفسه وتسمّى «أسنبغا» وتوصّل إلى أن خدم النّاصر فحظى عنده وارتفعت منزلته حتى زوّجه أُخته واستنابه لمّا خرج إلى السفرة التى قُتِل فيها ،فجرى من أسنبغا ما قدم شرحه إلى أن قُبض عليه وحُبس بالإسكندرية فقُتل بها ؛ قال العينتابى : «كان ظالما غاشما لم يشتهر عنه إلاّ الشر » .

٤ ــ إينال بن عبد الله الصصلائى كان[٣] من الظاهرية وتنقّل فى الخدم إلى أن ولى الحجوبية الكبرى بالقاهرة ، ثم كان مِمّن انضمّ إلى شيخٍ فولاّه نيابة حلب فى سنة ستّ عشرة ، وكان فيمن حاصر معه[٤] نورور إلى أن قُتل نوروز ورَجع[٥] إلى ولايته بحلب . وكان شكلا حسنا عاقلاً[٦] شجاعًا عارفاً بالأُمور قليل الشرّ ، ثم كان مِمّن عصى على المؤيّد هو وقانباى نائبُ الشام ونائب طرابلس ونائب حماة فآل أمرهم إلى أن انهزموا وأُسِروا ، وقُتل إينال بقلعة حلب فى شعبان من هذه السنة ؛ ورأَيْتُ الحلبيين يثنون عليه كثيراً ؛ ولما[٧] خامَر علَى المؤيدّ لم يحصل لأَحدٍ من أهل بلده منه شرّ بل طَلَب أَخْذَ القلعة فعصى عليه نائبها فحاصره أيامًا ثم تركه وتوجّه إلى الشام . ذَكرَه القاضى علاء الدين فى تاريخه .

---

(١) «من» ساقطة من ز ، هـ .
(٢) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٢٣٢ أن المترجم نسخ لابن حجر كتابه «تعليق التعليق» .
(٣) عبارة : «كان من الظاهرية» غير واردة فى هـ .
(٤) أى مع المؤيد شيخ .
(٥) المقصود بذلك إينال بن عبد الله نفسه .
(٦) لم ترد كلمتا «عاقلا شجاعا» فى هـ ، ولكن جاء بدلهما «عالمـا» .
(٧) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

٥ ـ أيوب بن سعد[1] بن علوى الحسبانى الناعورى[2] الدمشقى ، وُلد سنة تسع وأربعين ، وحفظ « التنبيه » وعرضه على ابن جملة[3] وطبقته ، وأخذ عن العماد الحسبانى وذويه ، ثم فتر عن الطلب واعتذر بأنه لم يحصل له نيّة خالصة ، وكان ذا أورادٍ من تلاوةٍ وقيام وقناعةٍ واقتصادٍ فى الحال وفراغٍ عن الرئاسة مع سلامة الباطن . مات فى صفر .

٦ ـ حاجى بن عبد الله زين الدين الرومى المعروف بحاجى فقيه ، شيخ التربة الظاهرية خارج القاهرة ، كان عريًّا من العلم إلاّ أنّ له اتصالاً بالترك كدأب غيره . مات فى شوّال فاستقرّ فى مشيختها الشيخ شمس الدين البساطى[4] بعناية الأمير ططر نائب الغيبة ، وكان السبب فى ذلك أن نائبَ الغيبة كان لا يحبّ القاضى جلال الدين البلقينى ، فاتّفق أن البلقينى أفتى فُتْيا فخالفه فيها كاتبه[5] والبساطى المذكور ، فنمّ إليه بعض أهل الشر بذلك فوقف على ماكتَبنا وتغيّر منه واحتشم مع كاتبه ، وتقوّى على جانب البساطى لضعفه إذ ذاك ، فأرسل إليه وأحضره وأسمعه ما يكره وبالغ فى إهانته ، فخرج وهو يدعو عليه فطاف علَى مَنْ له به معرفة يشكوه ، فبَلَغ ذلك الأميرَ ططر فغضب من ذلك ، واتفق موت حاجى فقيه فعيّنه فى المشيخة مراغمًا للبلقينى ، ولم يستطع البلقينى تغيير ذلك بل

---

(١) « سعد » وأحيانا « سعيد » وسيرد هذا الرسم الثانى فى ترجمة ابنه رقم ٣٢ فى وفيات السنة التالية فى هذا الجزء من الإنباء ، وانظر أيضا الضوء اللامع ١٠٩٠/٢ ، ويلاحظ أنه لم ترد هذه الترجمة فى ظ .

(٢) « الساغورى » فى ه ؛ و « الباعونى » فى الضوء ١٠٩٠/٢ ، و « الشاغورى » فى الشذرات ١٣٢/٧ .

(٣) « ابن جميلة » فى الضوء اللامع ١٠٩٠/٢ ، وهناك اثنان يعرفان « بابن جميلة » أحدهما يوسف بن إبراهيم العجمى وكانت وفاته سنة ٧٣٨ كما جاء فى الدرر الكامنة ٥٨٦٩/٥ ؛ أما ثانيهما فهو المقصود فى المتن وهو محمود بن إبراهيم العجمى المتوفى سنة ٧٦٤ كما جاء فى الدرر الكامنة ٤٧٦٨/٤ وشذرات الذهب ٢٠٣/٦ ، ومعنى هذا أن المترجم عرض عليه حفظه التنبيه وهو دون الخامسة عشرة من عمره .

(٤) نقل الضوء اللامع ٣٤١/٣ هذه الترجمة عن الإنباء حتى هذه الكلمة ؛ أما الشمس البساطى هذا فهو محمد بن أحمد بن نعيم (بالفتح فالكسر) المالكى ويعرف بالبساطى نسبة إلى بساط قروص التى قال عنها السخاوى فى الضوء ج ٧ ص ٥ ترجمة رقم ٥ ، ج ١١ ص ١٩٠ إنها قرية بالغربية ، على حين أشار محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٢ ق ٢ ص ٨٥ أنها بالدقهلية مركز طلخا وقال عنها : « إنها تعرف ببساط النصارى لكثرة عددهم بها » ، ثم ذكر اسمها عند الأوربيين ، وقد اهتم البساطى بالفقه وفروعه والعربية ، وأكثر من القراءة لكنه لم يطلب الحديث أصلا وإنما وقع له اتفاقاً ، وولى التدريس بالشيخونية والصالحية والجمالية ومشيخة التربة الناصرية فرج بن برقوق ومات سنة ٨٤٢ ، انظر ترجمته بالتفصيل فى السخاوى : ذيل رفع الإصر ص ٢٢٠ — ٢٣٩ .

(٥) يعنى ابن حجر بذلك نفسه .

استدعى البساطى وأظهر الرضى عليه وخلع عليه فرجية صوف من ملابسه واسترضاه لما علم من عناية الأمير ططر به . فالله المستعان .

٧ – خلف بن أبى بكر النحريرى المالكى ،أخذ عن الشيخ خليل فى « شرح ابن الحاجب » ، وبرع فى الفقه وناب فى الحكم ،وأفتى ودرّس ثم توجّه إلى المدينة[1] فجاورها مُعْتنِيا بالتّدريس والإفادة والانجماع والعبادة إلى أن مات بها[2] فى صفر عن ستين سنة[3] .

٨ – دمرداش المحمّدى الظاهرى ، كان من قدماء مماليك الظاهر [برقوق] ، ولمّا جرت فتنة منطاش كان خاصكيًّا وكان معه فى الوقعة ففرَّ مع مَن انهزم إلى حلب ، فلمّا استقرت قدمُ الظاهر فى السلطنة حضر إليه فولاّه نيابة طرابلس ثم نقله إلى الأتابكية بحلب فأقام مدّة ،ثم ولاّه نيابة حماة ،ثم مات الظاهر وهو نائبها فحاصره ،ثم لما أراد أن يتسلطن أطاعه ووصل صحبته إلى غزة ، ففرّ إلى الناصر فولاّه نيابة حلب بعد قتْل تنم وذلك فى رمضان سنة اثنتين وثمانمائة ، ففى تلك السنة غزا التركمانَ فكسروه الكسرةَ الشنيعة ، ثم كان من شأن اللنكية ما كان ، فيقال إنه باطَنَهم وفى الظاهر حاربهم وانكسر . ثم أمسكه اللنك من القلعة واستصحبه إلى الشام بغير قيْدٍ ولا إهانة ، فلمّا قرُب من الشام هرب إلى الناصر . فلما فرّ الناصر ومَن معه مِن اللنكية توجّه هو إلى جهة حلب ، فلما نزح اللنك ومَن معه دخل دمرداش إلى حلب فى جَمْعٍ جمَعه وذلك فى شعبان سنة ثلاثٍ فأقام حاكمًا بحلب ، فولّى الناصرُ دقماقَ نيابة حلب فواقع دمرداش ففرَّ إلى التركمان ، ثم بعد مدّة ولاّه نيابة طرابلس فاستمرّ بها إلى سنة ستٍّ ثم نقله إلى نيابة حلب فى رمضان منها ؛ ثم واقعه جكم فى سنة سبع فانهزم إلى أياس ، ثم ركب البحر ووصل إلى القاهرة ثم نكص راجعًا إلى التركمان ، ثم هجم على حلب بغتةً فاستولى عليها فى سنة ثمان ، ثم أخرجه منها نوروز فتوجّه إلى حماة فهجم عليها بغتةً ثم أُخرج منها فتوجّه إلى دمشق فأقام عند نائبها شيخ الذى تسلْطن بعد ذلك.

---

(١) أمامها فى هامش ش : « على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام » .

(٢) أى بالمدينة المنورة .

(٣) فى ش بعدها « رحمه الله تعالى » .

ثم كان معهم فى وقعة السعيدية ووُجِّه نائبًا بحلب مِن قِبل الناصر، ووصل الناصر إلى حلب سنة تسعٍ وهو فى خدمته، ثم رَجع إلى مصر واستصحبه وقَرَّر فى نيابة حلب جركس المصارع، ثم تولَّى دمرداشُ نيابةَ صفد، ثم نُقِل إلى نيابة حلب فأَخرجه منها شيخ ففرّ إلى أنطاكية، فلمّا توجّه الناصر فى طلب شيخ فرّ منه إلى الأَبلستين فسار دمرداش فى خدمة النَّاصر إلى أنْ قرّره بمصر أتابكًا، ثم كان فى خدمة النَّاصر إلى أن حضر بدمشق فاستأْذنه فى أن يتوجّه إلى جهة حلب ويجمع له عسكراً كثيراً فأَذن له فتوجّه إلى حلب، فلما بلغه قتْلُ الناصر واستقرارُ نوروز بالمملكة الشاميّة خرج من حلب لما بلغه توجُّهُ نوروز إليها فوصل إلى قلعة الروم فأَقام بها؛ فلما بلغَتْه سلطنة شيخ وأَظهر نوروز مخالفته مَالَ أَولاً إلى نوروز وكاتبه أن يقرّره فى حلب ففعل، وبها يومئذٍ من جهته يشبك بن أزدمر، فورَدَتْ مكاتبات المؤيّد لمن بحلب أن يعاوِنوا دمرداش على الركوب على ابنِ أزدمر ففعلوا وكسروه، وذلك فى ذى الحجة سنة خمس عشرة.

ودخل دمرداش إلى حلب حاكمًا ووصلت إليه الخلعة من مصر، ثم بلغه فى صفر سنة ستّ عشرة خروج نوروز من دمشق طالبًا البلاد الحلبية فتوجّه نحو العمق، فدخل نوروز إلى حلب فى صفر وقرّر فيها طوخ نائبًا، ورجع نوروز إلى صفد فحاصره دمرداش فاستنصر طوخ بالعرب فنكص دمرداش إلى العمق، ثم كانت بينه وبيْن طوخ وقعة عظيمة انكسر فيها دمرداش وذلك فى ربيع الآخر سنة ستّ عشرة، وفرّ دمرداش إلى أنطاكية وغيرها، ثم ركب البحر إلى القاهرة فتلقّاه المؤيّد بالإكرام وأعطاه تقدمة. وكان قرقماس وتغرى بردى[1] - ابنا أخى دمرداش - صحبةَ المؤيّد لما دخل مصر فأَعطى كلاًّ منهما تقدمة وَوَلَّى قرقماس نيابة الشام، فخرج هو وأخوه، ثم رجع من غزة وأقام أخوه هناك فجهّز المؤيّد عسكراً إلى الإيقاع بالعرب، وتقدّم إليهم بالقبض على تغرى بردى فى وقتٍ عيَّنَه لهم، ثم قبض هو على دمرداش وقرقماس فى رمضان سنة سبع عشرة واعتقلهما بالإسكندرية، وكانت وفاة دمرداش بها فى المحرّم سنة ثمانى عشرة.

---

(١) كان تغرى بردى يعرف بسيدى الصغير. وقرقماس بسيدى الكبير.

وكان دمرداش مهيباً عاقلاً مشاركًا فى عدّة مسائل، كثيرَ الإكرام لأهْل العلم والعناية بهم، اجتمعْتُ به فوجَدْته يستحضر كثيراً من كلام الغزالى وغيره . قال القاضى علاءُ الدين الحلبى فى تاريخه : « كان لا يواجه أحداً بما يكره ، وقد بنى جامعًا بحلب وأوقف عليه أوقافًا كثيرة ؛ وله زاوية بظاهر طرابلس لها أوقاف كثيرة » وهذا بخلاف قول العينى : « ليس له معروف » .

٩ — طوغان الحسنى قُتل بمحبسه بالإسكندرية فى المحرم ، وكان أصله من جلبان الظاهر برقوق ثم ترقّ إلى أن ولى الدويدارية الكبرى للناصر ثم للمستعين ثم للمؤيد ، ثم قُبض وحُبس كما تقدّم فى الحوادث وخلّف أموالاً جمّة ؛ وهو صاحب الصهريج والسبيل فى رأس حارة[1] برجوان .

١٠ — عبد الله بن أبى عبد الله الفَرْخاوى ، جمال الدين الدمشقى ، عنى بالفقة والعربية والحديث ودرّس وأفاد ، وكان قد أخذ عن العنابى فمهر فى النحو ، وكان يعتنى بـ « صحيح مسلم » ويكتب منه نسخا ، وقد سمع من جماعة من شيوخنا بدمشق . وفرخا — بالفاء والخاء المعجمتين[2] بينهما راءٌ ساكنة — قرية من عمل نابلس . مات فى عمل الرملة[3].

١١ — عبدالله بن أبى عبدالله العُرْجانى الدمشقى — بضمّ المهملة وبعد الراء جيم — كان من أتباع الشيخ أبى بكر[4] الموصلى ونشأ فى صلاح وعبادة ، وكان سريع الدّمعة وعنده نوعٌ من الغفلة وخشوعٌ وسرعة بكاء ، باشر أوقاف الجامع الأُموىّ مدة ولم يكن يعرف شيئًا

---

(١) جاء فى ث فى الهامش « وهما بالدار المجاورة لبيت الباقينى ، وكان جميل الصورة طويلا عريضا محتشما يراعى العلماء ويعتقدهم ، متعصبا مع من يلوذ به ، ولكنه كان مشتغلا بالشرب والمغانى أيام الناصر ، ثم انصرف عن ذلك فصار يسمع من العلوم ويجالس العلماء ، رحمه الله» وهذا الكلام للعينى كما هو وارد فى الضوء اللامع ٤/٤٠ .

(٢) « المفتوحتين » فى ث ، ش .

(٣) بعده فى جميع النسخ « فى . . . . » ثم بياض . ولعله أراد السنة .

(٤) ربما كان المقصود به أبا بكر بن على بن يوسف المدنى الموصلى حيث كان فقيراً ملازماً للصلاة .

من حاله[1] ، مات راجعاً من الحج بالمدينة النبوية[2] ويقال إنّه كان يتمنىّ ذلك ، وقد غبطه الناس ببلوغ أمنيته فى موطن منيّته وذلك فى ذى الحجة . رحمه الله تعالى .

١٢ – على[3] بن أحمد بن على بن سالم الزبيدى : موفق الدين ، أصله من مكة ، وُلد بها سنة سبع وأربعين ، وعنى بالعلم وبرع فى الفقه والعربية ، ورحل إلى مصر والشام وأخذ عن جماعة ، ثم رجع إلى مكة وتحوّل إلى زبيد فمات بها فى ذى القعدة .

١٣ – قانباى : كان من مماليك [الظاهر[4] برقوق] وتنقلت به الأحوال إلى أن قدم مع المؤيّد فى سنة خمس عشرة واستقرّ دويدارًا كبيراً ، ثم نُقل إلى نيابة الشام كما تقدم فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ، ثم عصى كما شرح فى الحوادث ، فلما هُزِم هو ومَن معه فرّ إلى شمالى حلب فنزل عند بعض التركمان فغدر به وأحضره إلى السلطان فى رابع عشر شعبان فحبسه بالقلعة فكان آخرَ العهد به ، فيقال قُتل فى سلخ شعبان .

وكان حسن الصورة[5] جميل الفعل ، بنى برأس سويقة[6] العزّى مدرسةً فقرّر بها مدرّسين للشافعية والحنفية ووقف لها وقفا جيدا .

١٤ – محمد[7] بن أحمد بن محمد بن جمعة بن مسلم الدمشقى الصالحى الحنفى ، عزيز الدين المعروف بابْن خضر ، وُلد سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة واشتغل ومهَر ، وأُذن له فى الإفتاء ، ونَاب فى الحكم وصار المنظورَ إليه فى أهل مذهبه بالشام . مات فى شوال .

---

(١) أى من حال الجامع الأموى .

(٢) بعدها فى ش « على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام » ويلاحظ أن ناسخ ش دأب على كتابة هذه العبارة كلما ورد فى المتن ذكر المدينة المنورة ، وسنكتفى بهذا دون الإشارة إليها كلما تعدد ورودها فيما بعد .

(٣) ورد فى الضوء اللامع ٥/٦٢٨ ضمن جده محمد بن سالم بن على ، وترجمته هناك أوفى مما هى بالمتن أعلاه ، وقد نقلت شذرات الذهب ٧/١٣٣ الترجمة أعلاه دون الإشارة إلى أخذها منه .

(٤) فراغ فى بعض النسخ ، أما فى ش فهو « المؤيد » وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٦/٦٦٦ حيث سماه « الظاهرى برقوق » ، وكان يعرف بقانباى المحمدى الظاهرى وبقانباى الصغير أيضا .

(٥) فى ز « الصوت » .

(٦) فى هامش ز « لعلها منعم » ، ولكنها فى الضوء اللامع ٦/٦٦٦ « سويقة منعم » . وجاء فى تعليق بهامش « ث » : « هذا الكلام فيه نظر ، فإن المدرسة القانبائية ليست برأس سويقة العزى بل بسويقة عبدالمنعم بالقرب من الرميلة والصليبية وليس بها مدرس للشافعية بل فيها مدرس للحديث النبوى ولا يشترط أن يكون شافعياً ، وكان العجب كيف غفل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن مثل هذه الحقيقة مع أن شيخه شيخ الإسلام العراقى كان مدرس الحديث بها » .

(٧) هذه الترجمة منقولة بنصها فى الضوء اللامع ٧/١٣٢ ، والشذرات ٧/١٣٣ .

١٥ — محمد بن جلال بن أحمد بن يوسف، التركمانى الأصل ، شمس الدين بن التبّانى[(١)] الحنفى ، وُلد فى حدود السبعين وأخذ عن أبيه وغيره ، ومهر فى العربيّة والمعانى وأفاد ودرّس ، ثم اتّصل بالملك المؤيّد ـ وهو حينئذ نائب الشام ـ فقُرّر فى نظر الجامع الأموى وفى عدّة وظائف وباشر مباشرةً غيرَ مُرْضِية ، ثم ظَفر به النّاصر فأهانه وصادره فباع ثيابه واستَعْطَى باليد فساء ، وأحضره إلى القاهرة ثم أفرج عنه ، فلما قدم المؤيّدُ القاهرةَ عَظُم قدرُه ونزل له القاضى جلال الدين البلقينى عن درس التفسير بالجمالية واستقرّ فى قضاء العسكر ، ثم رحل مع السلطان فى سفرته إلى نوروز فاستقرّ قاضى الحنفية بها ودرّس بأماكن . وكانت له فى كائنة قانباى اليد البيضاء ، ثمّ لمـّا توجّه السلطان إلى حلب استدْعاه وأراد أن يرسله إلى ابْنِ قرمان فاستعفى ، ثم رجع لدمشق فمات فى تاسع[(٢)] عشرى رمضان ، وكان جيّد العقل وباشر قضاء الحنفية مباشرةً لا بأْس بها ، ولم يكن يتعاطى شيئًا من الأحكام بنفسه بل له نواب يفصلون فى القضايا على بابه بالنْوبة .

١٦ — محمد بن محمد بن محمد الشافعى الحموى ، ناصر الدين بنُ خطيب نقرين[(٣)] الشافعى وُلد ... [(٤)] ... ... واشتغل قليلاً ، وترامى[(٥)] على الدخول فى المناصب إلى أن ولى قضاء حلب سنة اثنتين وتسعين[(٦)] فباشرها مباشرة غير مرضية فعُزل بعد سنة ونصف بأبى[(٧)] البركات الأنصارى ، وتوجّه إلى القاهرة ليسعى فأعاده الظاهر إلى تغرى بردى نائب حلب فحصلت له محنة وأهانهُ وحَبَسَهُ بالقلعة ، ثم عاد إلى القضاء فى سنة ست

---

(١) ذكر الضوء اللامع ٧/٥٢٤ أن ذلك نسبة إلى نزلة التبانة ظاهر القاهرة ، وقالت شذرات الذهب ٧/١٣٣ إنها نسبة إلى بيع التبن .

(٢) « رابع عشرى » فى الضوء اللامع ٧/٥٢٤ ، ولكنه كما فى المتن فى شذرات الذهب ٧/١٣٤ .

(٣) انظر ترجمته فى ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، وإن كانت نقلا عن إنباء الغمر لابن حجر .

(٤) فراغ فى جميع نسخ المخطوطة وقد حذفت ش كلمة « ولد » .

(٥) عبارة « وترامى على الدخول فى المناصب إلى أن » ساقطة من هـ، ش .

(٦) فى هـ « وأربعين » وهو خطأ .

(٧) عبارة « بأبى البركات الأنصارى » غير واردة فى هـ، ث .

وتسعين فباشرها قليلا ، ثم صُرف[1] بعد سنة بالإخنائى فسافر عنها واستمر يتنقل فى البلاد بطَّالا إلى أن عاد إلى ولاية قضاء حلب فى أيام نيابة شيخ بها فى أواخر دولة الناصر ، ثم عُزِل لما عزله المؤيد عنها ، ثم عاد ـ بعْد قتْلِ النَّاصر واستقرار[2] شيخ بتدبير المملكة للخليفة المستعين إلى قضائها ؛ ـ وفى غضون ذلك ولى قضاء دمشق مرة وطرابلس أُخرى .

ولمـا قام نوروز بدمشق ـ قبْل الناصر ـ قرّبه ، فلمّا قتل نوروز قبض عليه شيخ فى سنة ثمانى عشرة [وقد] وجده جقمق الدويدار باللجون[3] فقبض عليه وحبسه بصفد بإذن السلطان ، فلمّا وصل السلطان إلى دمشق فى فتنة قانباى أخرج ابن خطيب نقرين من حبس صفد ميتا ، ويقال إن ذلك كان بدسيسةٍ من كاتب السرّ ابن البارزى لأنَّه كان يعاديه فى الأيّام النَّاصرية والنوروزية ، ولمـا بلغ السلطانَ موتُه أنكر ذلك ونقم على ابن البارزى وكان يتهدّده به كل حين .

وكان ابن خطيب نقرين قليلَ البضاعة ، كثيرَ الجرأة ، كثيرَ البذْل والعطاء ، إلاَّ أنه يتعانى التزوير بالوظائف وبالدور ينتزعها من أهلها بذلك ؛ والله يسامحه .

١٧ ـ نجم بن عبد الله القابونى أحد الفقراء الصالحين ، انقطع بالقابون[4] ظاهر مدينة دمشق مدةً مُقبلاً[5] على العبادة ، وكان صحِب جماعةً من الصالحين الزُّهاد ، وكان ذا اجتهاد وعبادة ، وتؤثر عنه كرامات وللناس فيه اعتقاد . مات فى صفر .

❊ ❊ ❊

---

(١) فى هـ : « ثم صرف الإخنائى » .

(٢) عبارة « واستقرار شيخ بتدبير المملكة للخليفة المستعين » غير واردة فى هـ ، ش

(٣) اللجون كما ورد فى مراصد الاطلاع ٣/١٢٠٠ بلدة بالأردن فيها صخرة مدورة فى وسط المدينة عليها قبة زعموا أنها مسجد سيدنا إبراهيم ، وتحت الصخرة عين غزيرة الماء دخلها حين خرج إلى مصر ؛ وتعرف فى المصادر الغربية باسم Legio ، انظر فى التعريف بمكانها جغرافيا Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 492 - 3 وذكر المقدسى أنها تقع فيما بين الخوابى ورفنية ، انظر فى ذلك Dussaud : op. cit., p. 140 et note 2.

(٤) عرفه ياقوت ٤/٥١ ومراصد الاطلاع ٣/١٠٥٤ بأنه موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق فى وسط البساتين ، ثم قالا « وهى قرية بها سوق وخان تنزله القوافل » ، وقد نقل هذا التعريف الجغرافى بالقابون عنهما Le Strange : op. cit. p. 467. ؛ هذا وقد جاء فى Dussaud : Op. Cit. p. 308 أن القابون الواقعة غرب حرستا البصل مشهورة بمياهها وهوائها ، كما أنه نقل عن سوفير Sauvaire : Description de Damas d'Abd El-Basset (Journ. Asiat., أنها ذات قصر حسن البناء ينزل له الملوك والسلاطين فى أسفارهم .

(٥) عبارة « مقبلا على العبادة » ساقطة من هـ ، ش .

سنة تسع عشرة وثمانمائة

استهلّت والغلاءُ بالقاهرة مستمر .

وفى ثانى المحرم أرسل السلطانُ فارس الخازندار الطواشىّ بمبلغٍ كبيرٍ من الفضة المؤيّدية فرّقها على الجوامع والمدارس والخوانق ، فكان لكل شيخٍ عشرةُ دنانير وإردبٌّ قمح ، ولكل طالبٍ أو صوفىٍّ أربعة عشر مؤيديا ، ومنهم من تكرّر اسمه حتى أخذ بعضهم فى خمسة مواضع ،ثم فرّق فى السؤّال مبلغًا كبيراً ، لكل واحدٍ خمس مؤيدية فكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار ، ثم رسم بتفرقة الخبز على المحتاجين فانتهت تفرقته فى كل يوم ستةَ آلاف رطل ، واستمرّ على ذلك قدْر شهرين .

وتناهى سعرُ القمح فى هذا الشهر إلى ثمانمائة درهمٍ الإردب .

وقرّر السلطانُ فى الحسبة الشيخ بدر الدين العينتابى وأضاف إليه إينال الأَزْعَرى وذلك فى الخامس من المحرّم ، وألزم الأُمراءَ ببيع ما فى حواصلهم فتتبَّعَها إينال .

وفى سادس المحرّم وردت عدة مراكب تحمل نحو أَلفَىْ إردب قمح ، فركب إينال ليفرّقها مع المحتسب ، فاجتمع خلْق كثير فطرد الناسَ عن القمحْ خشيةَ النهب فتزاحموا عليه فَحمَل عليهم ، فمات رجلٌ فى الزحمة وعرقت امرأة ، وعمد إينال إلى أربعة رجال فصلَبهم وضَرب رَجُلين ضربًا مبرحا ، ونُهب للناس فى هذه الحركة من العمائم والأَردية شىءٌ كثير ، وسالت أدميةُ جماعةٍ من ضرب الدبابيس[1] .

وفى الثانى عشر من المحرّم سُفر الخليفة المستعين إلى الإسكندرية فسُجن بها وسُفر معه أولاد الناصر فرج وهم : فرج ومحمد وخليل[2] ، وكان الذى سافر بهم صهر كاتب السرّ

---

(١) الدبوس عصاة فى آخرها حديدة مدببة .

(٢) أمام هذا الاسم فى نسخة ش بغير خط الناسخ : « توفى خليل هذا فى العشر الأول من جمادى الآخرة سنة ٨٤٨ بدمياط ، ونقل إلى القاهرة ودفن بتربة جده الظاهر برقوق بالقاهرة بعد أن حج فى السنة التى قبلها » وأمام هذا فى نسخة ث جاء : « خليل هذا هو ابن فرج الناصر ، وأمه أم ولد مولدة اسمها . . . . وكان بقى فى سجن الإسكندرية إلى أن أحضره هو ومحمد إلى القاهرة لأجل تختينهما بسؤال عمتهما الخوند زينب زوجها الملك المؤيد شيخ فختنا بقلعة الجبل عندها ، ثم أعيدا إلى الإسكندرية وسجنا على عادتهما ، فمات محمد فى طاعون سنة =

ابنِ البارزى واسمه كزل[1] الأَرغون شاوى .

وفى هذا السّنة كثُر البرْسيم الأَخضر فانحطَّ بكثرته سعْرُ الشَّعير ، واستغنت البهائم عنه .

وفى صفر تيسر وجودُ الخبز فى حوانيت الباعة .

وفى أواخره قدم مرجان من الصعيد وعلى يده شىءٌ كثير من الغلال وقد انحط السعر بالقاهرة ، فرُسِم له أن يبيع ما اشتراه بالسّعر الحاضر ولوْ خسر النصف .

وفى رابع عشر ربيع الآخر صُرف العينتابى من الحسبة وأُعيد ابنُ شعبان ، وفى أواخره استقرّ العينتابى فى نظر الأَحباس بعد موت شهاب الدين الصفدى ، ثم صُرف ابن شعبان فى رجب واستقر منكلى بغا ، ويقال إنَّه أوّلُ من أُضيفت له وظيفةُ الحسبةِ من الترك .

وفيها أوْقع أقباى - نائبُ حلب - بالتركمان بناحية العَمْق - وكبيرهم[2] كردى بك بن كندر ومن انضمّ إليه - فهزمهم وانتصر عليهم ؛ ثم أوقع أقباى بالعرب بأَرض ألبيرة[3] فكسرهم بعد أن نال عسكرَه منهم مشقةٌ عظيمة ووهن .

* * *

= ثلاث وثلاثين ، وأطلق الفرس خليل وأذن له أن يسكن حيث شاء من الثغر السكندرى ، وأن يركب الجمعة فقط ، ثم أذن له الظاهر جقمق أن يركب إلى جهة باب البحر ويسير متى شاء ذلك بعد أن تزوج ببنت الأتابكى تغرى بردى نائب الشام أخت الجمالى يوسف العلامة المؤرخ ، ثم أذن له بالحج فحضر إلى القاهرة وحج فى سنة ست وخمسين وثمانى مائة ، وكان مع الوالد فى تلك السنة فى الحج ، فإن الوالد كان فيها أمير الحج الشامى ودولات بأى أمير المحمل المصرى ، واجتمع الوالد بخليل هذا وأثنى على حشمته ورياسته ، ثم لما عاد من الحج وجد المنصور قد تسلطن بعد خلع أبيه نفسه من الملك ، فنى يوم دخوله تقدم له الأمر بالخروج إلى الإسكندرية فاستعفى منها ومال فى الإقامة بدمياط فأجيب لذلك فتوجه إليها من يومه قبل أن يحل عن حموله ، وكان مقيما بها إلى أن مات بها فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة ، وكانت نفسه تحدثه بأنه سيلى الأمر وصرح بذلك ، ثم وجدت فى تاريخ العلامة ابن تغرى بردى ما يدل على ذلك مما قاله فى ترجمته ، وكان فى نيته أمور توفاه الله قبل أن ينالها ، وأنا أعرف بحاله من غيرى » .

(١) ويعرف أيضا بكزل أرغون شاه ، وكان ممن عطف المؤيد عليهم وقربهم إليه فولاه نيابة الكرك وذلك بفضل والد زوجته الناصرى ابن البارزى ، وكان موت كزل فى محرم سنة ٨٢٢ هـ ، انظر هذا الجزء من إنباء الغمر ، ص ٢٠٨ ، ترجمة رقم ١٢ ، والضوء اللامع ٦/٢٧٧ .

(٢) فى ش : « وكسرهم » وهو خطأ تاريخى .

(٣) فى ش « البصرة » .

وفى ثانى عشر المحرّم نقلت الشمس إلى برج الحمل فدخل فصلُ الربيع ، وابتدأ الطاعون بالقاهرة فبلغ فى نصف صفر كل يوم مائة نفس ، ثم زاد فى آخره إلى مائتين وكَثُر ذلك حتى كان يموتُ فى الدّار الواحدة أكثرُ مَن فيها ؛ وكثر الوباءُ بالصّعيد والوجه البحرى حتى قيل إن أكثر أهلِ هُوّ[١] هلكوا ، [وكثر] فى طرابلس حتى قيل إنه مات بها فى عشرة أيام عشرة آلاف نفس .

وبلغ عددُ الأموات بالقاهرة فى ربيع الأوّل ثلاثمائةٍ فى اليوم ، ثم فى نِصْفه بلغوا خمسمائة ،وفى التحقيق بلغوا الألف لأنّ الذين يُضبَطون إنما هم من يَرد الديوان ، وأما من لا يرد الديوان فكثير جدا[٢] .

وماتت ابنتاى عالية وفاطمة وبعضُ العيال ، وكان كل من طُعِن مات عن قربٍ إلاَّ النادر . وتواتر انتشار الطاعون فى البلاد حتى قيل إن أهل أصبهان لم يَبْق منهم إلاَّ النادر ؛ وأن أهل فاس أحصوا من مات منهم فى شهر واحد فكان ستةً وثلاثين ألفا حتى كادت البلد أن تخلو من أهلها ، وتصدّى الأُستادار لموارات الأَمْوات .

ثمّ ابتدأ الموتُ بالنّقص فى نصف ربيع الأوّل إلى أن انتهى فى أول ربيع الآخر إلى مائةٍ وعشرين ، ثم بلغ فى تاسعهِ إلى ثلاثةٍ وعشرين ؛ وتزايد الموتُ بدمشق وكان ابتداؤه عندهم فى ربيع الأوّل فبلغت عدة من يموت فى ربيع الآخر فى اليوم ستين نفسا ، ثم بلغ مائتين فى أواخره ، ثم كثر فى جمادى الآخرة بها ؛ وكذلك وقع فى القدس وصفد وغيرها ، ثم ارتفع فى آخر ربيع الأول فنزل فى الثالث والعشرين منه إلى أحد عشر نفسًا .

* * *

(١) من قرى صعيد مصر ، انظر القاموس الجغرافى لمحمد رمزى ، ق ٢ ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .
(٢) انظر حسن حبشى : الاحتكار المملوكى .

وفيه قدم مفلح – رسول صاحب اليمن – بهدية جليلة إلى الملك المؤيّد فأكرم مورده، وأمر أن تباع الهديّةُ وتصرف فى عمارة المؤيّدية ، فحُصِّلَ من ثمنها جملةٌ مستكثرة ؛ وعُيِّن كاتبه[١] للتوجّه إلى اليمن فى الرسلية عن السطان فاستعْفَى من ذلك فأُعْفِيَ .

وعمل الملك المؤيدّ الخدمة فى ديوان دار العدل ، ورتّب الجند فى القلعة ما بين الباب الأوّل إلى باب الدار المذكورة قياماً فى هيئة جميلة مهولة ، وطَلب قاصدَ صاحبِ اليمن فأُحضر فرآى[٢] ما يهال ، وقدّم الكتابَ الواصلَ صحبته ثم أحضر الهديّة بعد ذلك على ثمانيةِ جمال ، وخُلعت عليه خلعة سنية .

* * *

وفيها مات أحمد[٣] بن رمضان أمير التركمان وكان قديمَ[٤] الهجرة فى الإمارة ، وقد تقدّم[٥] فى حوادث سنة خمس وثمانين قبل أخيه إبراهيم واستمراره إلى هذه الغاية، وكان معه أدنة وإياس وسيس وما ينضمّ إلى ذلك ، وكان يطيع أُمراءَ حلب طوراً ويعصى عليهم طوراً ، وقدم على الناصر فرج سنة ثلاث عشرة فخلع عليه وتزوّج ابنته وردّه إلى بلاده مكرما .

* * *

وفى الثانى عشر من المحرّم قُرّر تقيُّ الدّين عبدُ الوهّاب بن أبى شاكر فى الوزارة ، وكانت بيده مباشرةُ النظر على ديوان سيدى إبراهيم بن السلطان فقَبِل الوزارة بعْد تمنُّعٍ شديدٍ، وكانت [الوزارة] شاغرةً منذ سفر السلطان فى العام الماضى فباشرها مباشرةً حسنة .

وفى أواخر المحرم جمع السلطانُ الصّناعَ من الحجّارين وأمرهم أن يقطعوا لعمارةِ ما يَحتاجون إليه لجامعه داخل باب زويلة من مكانٍ عيّنه تحت دار الضيافة ، وأقام هناك يوماً كاملاً .

---

(١) أى ابن حجر نفسه .

(٢) الضمير هنا عائد على مفلح رسول صاحب اليمن .

(٣) كان أحمد بن رمضان التركمانى هذا يعرف بالأجق ، وسترد ترجمته رقم ٢ فى وفيات هذه السنة ، ص ١٠٣

(٤) ذلك أنه تولاها حوالى سنة ٧٨٠ وبذلك يكون له فيها ما يقرب من أربعين سنة .

(٥) راجع ما سبق ، إنباء الغمر ، ج١ ص ٢٧٩ .

وفى هذا الشهر ركب كزل نائب ملطية فى جماعة من المخامرين فهجم على مدينة حلب فقاتلوه ، فقُتِلَتْ طائفةٌ وانهزم .

وفيه استقر عمر بن الطحان فى نيابة قلعة صفد .

وفيه كانت الفتن بين عرب الرجوم وعرب العائد بأرض القدس والرملة وغزة .

وفيه قُبِض على إينال أحد أمراء دمشق وسُجن بالقلْعة .

وفيه قبض على أبى بكر بن نعير ففرّ أخوه أحمد ثم قُتل فى جمادى الآخرة ، ونزل أخوه الآخر فأحرق الرَّحْبة[١] .

* * *

وفى المحرم جَمع السلطانُ القضاةَ والعلماءَ وأحضر مَن يتكلّم فى العمارة ، وذُكر أن الشيخ شرف الدين بن التبّانى تكلّم معه[٢] فى أن كثيراً من الأمور التى يباشرها من يتكلم فى العمارة لا تجرى على أحكام الشرع مِنْ أَخْذِ بيوت الناس بغيْر رِضاهم وهَدْمِ الأوقاف بغير طريقٍ شرعى ونحو ذلك ، فأصغى إليه السلطان وجَمع الجميع فأدار الكلام بينهم ، فتعصّب الجميع على ابن التبّانى ، وفَجَر عليه أحمد بن النسخة[٣] شاهدُ القيمة ووافقه غيره إلى أن عجز عنهم وأعيَتْه أجوبتهم ، فانفَصل المجلسُ على غيرِ شئٍ وحقّقوا للسلطان أنه[٤] يتعصّب عليهم وأنّ له غرضًا فى الوقيعة فيهم ، والتزَم له[٥] القضاة بأنهم لا يجرون أموره فى العمارة إلاّ على الوجه الشرعى المعتبر المرضى ، وانفصلوا على ذلك ، وسُيَسْألون

---

(١) مدينة على الجانب الغربى من نهر الفرات سميت برحبة مالك بن طوق زمن المأمون منشئها تمييزاً لها عن غيرها من الرحاب الكثيرة حيث عددها مراصد الاطلاع ٢/٦٠٨ ، ثم قال إنها بين الرقة وعانة ، انظر أيضا بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٣٦ .

(٢) أى مع السلطان .

(٣) ربما كان النص على أحمد بن النسخة بالذات ذا أهمية خاصة فى هذا الموضوع وما كان تصديه الرد على ابن التبانى إلا لما كان يتهم به من الإسراف فى تبديد الأموال بحيل يحتالها ، فقد قال عنه ابن حجر إنه « كان غاية فى إبطال الأوقاف وتصييرها ملكا بضروب من الحيل » وسترد ترجمته فى وفيات سنة ٨٤٩ ، انظر أيضا الضوء اللامع ٢/٢٨٤ .

(٤) أى ابن التبانى .

(٥) أى السلطان .

أجمعين عن ذلك . واستمرَّتْ فى صفر العمارةُ بالجامع ونودى أن لا يُسَخَّر فيه أحدٌ، وأن يُوَفَّ الصُّناعُ أجْرَهم بغير نقص ولا يُكلَّف أحدٌ فوقَ طاقته ، واستمرّ ذلك .

وفى أول صفر أمر السلطان القضاةَ الأربعة بعزْل جميع النوّاب ـ وكانوا قدْ قاربوا مائتى نفس ـ فمُنِعُوا من الحكم ، ثم عرضهم فى ثانى عشر صفر ، وقرّر للشافعى والحنفى عشرةً عشرة ، وللمالكىّ خمسة ، وللحنبلى أربعة . ثم سعى كثيرٌ ـ ممَّنْ مُنِع ـ عنْد كاتبِ السّرّ بالمال إلى أن عادوا شيئًا فشيئًا .

وفى نصف صفر نودى أن لا يَتَزوّج أحدٌ من العقاد أحداً من مماليك السلطان إلاّ بإذنه .

وفى ربيع الأول عرض السلطانُ أجْناد الحلقة فمرَّ به شيخٌ يقال له قطلوبغا السيفى وكان قد أُمِّرَ فى دولة منطاش تقدمةَ ألفٍ ثم أُهين بعد زوال دولته وخَمل فى الأيّام الظاهريّة إلى أن صار بأسوء حال ، فعرَفه السلطانُ فسأله عن حاله فأَعلمه بسوء حاله ، فاتَّفَق أنّ السّلطان كان قد تغيّر على أقبردى المنقار نائبِ الإسكندريّة وعَزَله فقَرَّرَ هذا فى نيابتها بغير سعْىٍ ولا سؤالٍ ولا قدرةٍ حتى إنه لم يجْد ما يتجَهَّز به .

وفى سابع عشر شهر ربيع الأول أشهد[1] السلطان على نفسه بوقْف الجامع الذى جدّده ، ثم اشتدّ الأمر فى العمارة فى وسط السّنة ، وتناهى أهلُ الدولة فى جَلْب الرُّخام إليها من كل جهة وكذلك الأعمدة .

وفيه ثار عليه[2] ألم رِجْلِه وصار ذلك يعتاده فى قوة الشتاء وفى قوة الصيف ، ويخفُّ عنْه فى الخريف والربيع .

* * *

وفى ربيع الأول هجم الفرنج نستراوة فنهبوا بها وأحرقوا ، ثم قَدِموا فى ربيع الآخر إلى يافا فأسروا من المسلمين نِساءً وأطفالاً ، فحاربهم المسلمون ثم افتكُّوا منهم الأسرى بمالٍ ، ثم كان منهم ما سنذكره قريبًا .

---

(١) فى الأصل « أشهد عليه السلطان » وقد عدلت الصيغة إلى ما بالمتن ليستقيم المعنى .

(٢) أى على السلطان .

وفيه همَّ السلطان بتغيير المعاملة بالفلوس وجَمع منها شيئًا كثيراً جدًّا ، وأراد أن يضرب فلوسًا جددا وأن يَرُدَّ سعرَ الفضة والذهب إلى ما كان عليه فى الأيّام الظاهرية ، فلم يزل يأمر بتنزيل[1] الذهب إلى أن انحطّت الهرجة من مائتين وثمانين إلى مائتين وثلاثين ، والأفلورى إلى مائتين وعشرة ، وأمر أن يُباع الناصرىُّ بسعرِ الهرجة ولا يُتعامَل به إلاّ عدداً ، وعَدَّل أفلوريا من الذهب بثلاثين من الفضة ، فاستقرّ ذلك إلى آخر دولته ، ثم كان ما سنذكره فى سنة خمس وعشرين .

* * *

وفى هذا الشهر جُرِّدَت طائفةٌ من الأُمراءِ إلى الصّعيد لقتال العرب المفسدين ، وجرِّدت طائفةٌ أُخرى لقتالِ مَن بالوجه البحرى ، فرجع المجرَّدون إلى الوجه البحرى وقَدْ غنموا أغنامًا وأموالاً وجمالاً ، وحصل لفخر الدين الكاشف من ذلك ما لا يدخل تحت الحصْر حتى كان جملةُ ما حَمَلَه للسلطان فى مدّةٍ يسيرةٍ أكثرَ من مائةِ ألفِ دينار .

وفيه اشتدّ الغلاءُ بالرملة ونابلس وكثر فساد محمد[2] بن بشارة بمعاملة صفد .

وفيه كانت وقعةٌ بيْن نائب حلب وكزل ، فانهزم كزل وجُرِح جماعةٌ من أصْحابه ، فاستولى حسين[3] بن كبك على ملطية فأسار السيرة بها ، وغلب نائب حلب على حميد بن نعير وهزمه وغنم منه مالاً وجمالاً .

وفيه توجّه حديثة بن سيف أمير آل فضل إلى الرّحبة صحبة نائبها عمر بن شهرى وطائفة من عسكرالشام ، ففرّ عذرا ، وسبى ولدا[4] على بن نعير فرجع العسكر الشامى ، وأقام حديثة

---

(١) ى ه « بتنقيص » وفى ه « بترخيص » .

(٢) هو محمد سيف بن محمد بن عمر بن بشارة اللذى مات مقتولا فى هذه السنة وحشى جلده تبنا ، انظر فيما بعد ص ٩٥ س ٧ — ٨ ، ص ١١٧ حاشية رقم ٥ ، ترجمة رقم ٣٥ ، و الضوء اللامع ٦٦٧/٧ .

(٣) هو حسين بن كبك بن حسام التركمانى ، كان من أبطال التركمان وشجعانهم ، وكان مقتله فى سنة ٨٢١ ه بأرزنجان بعد حصار ملطية ، انظر هذا الجزء من الإنباء ، ص ١٧٩ ترجمة رقم ٩ ، والضوء اللامع ٥٨٦/٣ .

(٤) فى ه : « ففر عذرا واستمر ، الدا على بن نعير » ، وفى ز : « ففرر عذرا وسبى ولدا على بن نعير » ، ولكن راجع الضوء اللامع ٥٠٢/٥ .

على الرحبة ونزل قريبا[١] من تدمر، فأتاه عذرا فى ثلاثة آلاف نفس فوقعت بينهم مقاتلة عظيمة ، وكان النصر لحديثة .

* * *

وفيه غضب السلطانُ على بدر الدين الأُستادار المعروف بابن محب الدين وشتمه وهَمّ بقتْله وعوّقه بالقلعة ، فتسلّمه جقمق على ثلاثمائة ألف دينار ، وكان[٢] عاجزاً فى مباشرته مع كثرة إدْلاله على السلطان وبَسْط لسانه بالمِنّةِ عليه حتىّ أغضبه ، فلما كان فى الخامس والعشرين من هذا الشهر – وهو ربيع الأول – أُعِيد فخر الدين بن أبى الفرج إلى الأُستادارية واستمرّ بدر الدين فى المصادرة ، ثم اشتدّ الطلب عليه فى أول جمادى الآخرة وعوقب بأنواع العقوبات ؛ ثم خُلع فى رابعه على فخر الدين واستقرّ مشيراً ، ثم نُقِل المذكور إلى بيت فخر الدين الأُستادار فقُبِض على امرأته وعوقبَتْ فأظهرَتْ مالاً كثيراً ، ثم أُفرِج عن ابن محبّ الدين فى أواخر رجب وقُرّر فى كشف الوجْه القبلى بعْد أن قرّر عليه مائة ألف دينار باع فيها موجودَهُ وأثاثَه وأثاثَ زوجته – بعد أن عوقبت – واستدان شيئًا كثيراً .

وفى هذا الشهر أمر السلطانُ الخطباء إذا وصلوا إلى الدّعاء إليه فى الخطبة أن يهبطوا من المنبر درجةً أدباً ليكون اسم[٣] الله ورسولِه فى مكانٍ أعلى من المكان الذى فيه السلطان ، فصنَع كاتبُه[٤] ذلك فى الجامع الأزهر ، وابنُ النقّاش[٥] ذلك فى جامع ابن طولون ، وبلغ ذلك القاضىَ جلالَ الدين فما أعجبه كونه لم يبدأْ بذلك فلم يفعل ذلك فى جامع

---

(١) فى ز « فى نيابة » .

(٢) يعنى بذلك ابن محب الدين الأستادار .

(٣) فى ز « ذكر » .

(٤) أى ابن حجر .

(٥) ليس من شك فى أنه هو أبو هريرة عبدالرحمن بن محمد بن على بن عبدالواحد الدكالى الأصل ، إذ أن هناك كثيرين ممن يعرفون بابن النقاش ، على أنه ثابت أن عبد الرحمن هذا ولى الخطابة فى جامع ابن طولون ، وكانت وفاته هذه السنة كما جاء فى ترجمة رقم ١٩ ، انظر أيضاً الضوء اللامع ٤/٣٧٠ ، وسيرد ص٩٤ ، س١٣–١٤ اشتراكه فى الدفاع عن الإسكندرية.

القلعة ، فأرسل السلطان يسأله عن ذلك فقال: « لم يَثْبُتْ هذا فى السُّنَّة » فسكت عنه وتُرك فِعْلُ ذلك بعد ذلك ، وكان مقصدُ السلطان فى ذلك جميلاً[1] .

وفى ذى القعدة أخذ نائب طرابلس قلعة الأثارب — وهى من قلاع الإسماعيلية — عنوةً وخرّبها حتىّ صارت أرضًا .

* * *

وفى أواخر ربيع الآخر ابتدأ النيل فى الزيادة ثم توقّف ونقص أربعة عشر إصبعا ، فأرسل السلطان طائفةً من القُرّاء إلى المقياس فأقاموا فيه أيامًا يقرءون وتُطْبَخُ لهم الأطعمة ، وأمَر سودون صوفى حاجبَ الحجاب أن يرْكبَ إلى شاطئ النيّل ويحرق ما يجده هناك من الأخصاص التى توضع للفساد ويطهرها ممّا فيها من المناكر كالزنا وشُرْب الخمْر واللّواط ، وكانوا متجاهرين بذلك غير مستحيين[2] منه فأَوْقَع بهم ونَهب بعضُهم بعضًا ، فقدّر الله بعد ذلك وفاء[3] النيل وزاد الوفاءُ زيادةً بالغةً إلى أن انتهت إلى عشرين ذراعًا سواء ، ثم ثبت إلى وقت انحطاطه ثباتًا حسنا .

وفى ثانى عشرى ربيع الآخر دخل ميناء الإسكندرية مركبٌ من الفرنج ببضاعةٍ ، فثار بينهم وبيْن بعض العتّالين شرٌّ آل إلى القتال ، فأَخَذَ الفرنجُ مركبًا فيها عدةٌ من المسلمين ، فبعث إليهم النائبُ غريمَهم العتّالَ فردّوا ما أخذوه من المسلمين وانتقموا من العتّال ، ثم وثبوا على مركبٍ وصلَتْ للمغاربة فأخذوها بما فيها فما نجى منها غير خمسة عشر رجلاً سبحوا فى الماء .

---

(١) فى هامش ﻫ بغير خط الناسخ « مطلب فى نزول الخطيب من المنبر درجة عند دعائه للسلطان فى الخطبة » ، وتحتها بخط آخر « نزول كاتبه درجة عن المنبر عند ذكر السلطان » .

(٢) فى ﻫ « محتشمين » .

(٣) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة بلغت هذه السنة ١٨ ذراعاً و١٠ قراريط ، ثم كان الوفاء عاشر مسرى سنة ١١٣٤ ق ، المطابق ليوم الأربعاء ٢٩ جمادى الثانية و٣ أغسطس سنة ١٤١٨ ، راجع أيضاً تقويم النيل ، ج١ ص ٢٠٧ .

ثم فى سادس عشر جمادى الآخرة قدم صلاح الدين بن ناظر الخاص إلى الإسكندرية لتحصيل ما بها من المال ، فبينما هو فى مجلسه وبين يديه أعيانُ البلد إذْ أَسرَّ إليه شخصٌ أن الفرنج الذين وصلوا فى ثمانية راكب قد عزموا على أن يهجموا عليْه ويأْسروه فلم يكذب الخبر وقام مسرعًا ، فتسارع الناسُ فسقط فانكسرت رجْلُه وحُمل إلى داره ثم أُركب إلى النيل ، ثم ركب إلى أن وصل إلى القاهرة منزعجًا .

وهَجَم الفرنج عقب صنيعه ذلك ، فكاثروا أهلَ البلد حتى أغلقوا باب البحر فعاثوا فيمن هو خارج الباب من المسلمين فقتلوا منهم عشرين رجلاً وأسروا جماعة تزيد على السبعين ، وأخذوا ما ظفروا به وصعدوا مراكبهم ، ثم حاصروا البلد فتراموا بالسهام جميعَ الليل ، فأخذ كثير من المسلمين فى الفَرار من الإسكندرية ، وقام الصّياح على فَقْد من قُتل وأُسِر ، فاتفق قدوم مركبٍ من المغاربة ببضاعة فمال الفرنج عليهم وقاتلوهم ، فدافعوا عن أنفسهم حتى أُخذوا عنوةً فضُربوا أعناقهم ، وأهلُ الاسكندرية يروْنهم من فوْق الأسوار ما فيهم مَنَعَة ، ووصل ابن ناظر الخاصّ بعد أن خرج إليه أبوه لما سمع الخبر . وخَرج جماعةٌ[1] من الجند ، ثم سار الشيخ أبو هريرة[2] بن النقّاش فى أُناس من المطوّعة على نيّة الجهاد فى سبيل الله ، فقدموا الإسكندرية فوجدوا الفرنج قد أخذوا ما أخذوا وصاروا مُقْلِعِين فى مراكبهم وفات ما فات .

وفيه نُفى كزل العجمى[3] إلى غزة ثم إلى صفد فسُجن بالقلعة واستمرّ إلى أن أُطْلق فى أيّام الظاهر ططر فى سنة أربعٍ وعشرين .

وفيها أحدث الوالى — وهو خرز — على النصارى واليهود — برسم المماليك الذين يركبون فى المحمل فى رجب — المصادرة لهم على خمر كثير ، فتجوّهوا فى بعضه ببعض أهل الدولة فحقد

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « الجماعة الذين توجهوا صحبته هم ططر الذى ولى السلطنة ولقب الظاهر والأمير قطلوبغا التنمى ومعهم جماعة من الخاصكية عينهم المؤيد فى خدمة ناظر الخاص جقمق نصره الله » .

(٢) راجع ما سبق ص ٩٢ حاشية رقم ٥ .

(٣) هو كزل العجمى الظاهرى برقوق وأحد اثنين يلقبان بالمعلم ، ترقى فى أيام أستاذه فكان من الخاصكية ثم البجمقدارية ثم تولى إمرة عشرة ثم أستادارية الصحبة ، فلما كانت أيام المؤيد أبقاه على تقدمته ثم نفاه إلى دمشق ثم أمسكه ، وتنقلت به الأحوال حتى مات بالفالج سنة ٨٤٩ ، انظر الضوء اللامع ٦/٧٧٩ .

ذلك عليهم ، ثم استأذن السلطانَ وركبَ فكَبَس صومعة سويقة صفية خارج القاهرة والكوم خارج مصر ، فأراق عدة جرار من الخمر وكتب على أكابرهم إشهاداتٍ بأُمورٍ اقترحها عليهم حتى كَفَّ عنهم .

وفى ربيع الآخر نُقل جانبك الصوفى من سجنه بالقاهرة بالقلعة إلى الإسكندرية .

وفيه نزل العرب المعروفون بلبيد ـ على ريف البحيرة فى خمسمائة فارس سوى المشاة ـ فأوقعوا بأهلها .

وفيه[١] قُبض على ابن بشارة وهو محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة . وكان قد زاد فساده ببلاد[٢] الشام وقطع الطريق فحمل إلى دمشق[٣] .

* * *

وفى رجب غضب السلطان على نجم الدين بن حجى بسعاية الشريف شهاب الدين ابن نقيب الأشراف عليه ، وكان بينهما منازعة أفْضَتْ إلى العداوة الشديدة حتى رحَل إلى القاهرة فى السَّعْى عليه ، فلم يزل به إلى أن وصل بالسلطان ما يقتضى الغضبَ عليه ، فأرسل بالكشف عليه بعد النداء بعزله ، وأن مَن له عليه حقٌ يحضر إلى بيت الحاجب ، فاستمرّ النداءُ أيامًا فلم يثبت عليه شئ ، ثم نُقل إلى المدرسة[٤] اليونسية بالشرف الأعلى ورُسم عليه وقُرِّر فى الحكم إثنان من نوّابه ، وكُتب عليه إشهادٌ بما بيده من الوظائف وأنه إنْ ظَهَر بيده زيادةٌ على ذلك كان عليه عشرةُ آلافِ دينار على سبيل النذر لعمارة الأسواق .

واستمر غضب السلطان عليه ، وعَرَض منصبَ القضاء بدمشق على كاتبه[٥] مرارًا فامتنع وأَصَرَّ على الامتناع ، فأراده على ذلك ورغّبه فيه حتى صرّح بأن للقاضى بدمشق

---

(١) أمام هذا الخبر فى هامش ه : « ابن بشارة الرافضى » . راجع ما سبق ص ٩١ ، وحاشية رقم ٢ ، و انظر فيما بعد ص ١١٧ ترجمة رقم ٣٥ .

(٢) فى ه « طريق » .

(٣) أمام هذا الخبر فى هامش ه « هذا غلط محض ، إنما أمسك هذا سنة اثنتين وعشرين كما سيأتى بحيلة ابن منجك » .

(٤) سبق التعريف باليونسية ، ويلاحظ أنها من الخوانق لا من المدارس ، انظر فى ذلك النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ٢/١٨٩ — ١٩٠ ، ومحمد كرد على : غوطة دمشق ، ص ١٥٧ .

(٥) أى ابن حجر .

فى الشهرعشرةَ آلافِ درهم فضة معاليم قضاء وأنظارًا إذا كان رجلا جيدا ، فإنْ كان غيرَ ذلك كانَ ضِعْفَ ذلك ، فأصرّ على الامتناع وبالغَ فى الاستعفاء؛ فسعى بعض الشاميين لابن زيد[1] قاضى بعلبك فقُرر فى قضاء دمشق على ثلاثمائة ثوب بعلبكى .

وفى عقب ذلك قدم نجم الدين بن حجّى القاهرة فأنزله زينُ الدين عبدُ الباسط ناظرُ الخزانة عنده وقام بأمره ، ولم يزل إلى أن صلح حالُه عند السلطان وأعاده على القضاء فى بقيّة السنة ، فلبس الخلعةَ بذلك فى رابع ذى الحجة ، وعاد من كان منكِراً على كاتبه فى الامتناع مادحًا على ذلك ، وكان شقّ هذا القدْرُ على كثيرٍ من الناس حسداً وأسفًا ؛ فلله الحمد على ما أنعم .

* * *

وفى جمادى الأُولى تقاول فخر الدين الأُستادار وبدر الدين بن نصر ناظرُ الخاص بين يدى السلطان ، فأفضى الحال إلى أنّ السلطان ألزم ناظر الخاص بحمل خمسين ألف درهم .

وفى رجب قَبض فخرُ الدين الأُستادار على شمس الدين محمد بن مرجونة وكان متدرّكا[2] بجَوْجَر[3] ثم سعى إلى أن ولى قضاءها فأمر بتوسيطه فوسّط وذهب دمُه هدراً وأُحيط بموجوده فبلغ نحو خمسين ألفَ دينارٍ فحملها إلى السلطان .

وفى ربيع الآخر شغر قضاءُ الحنفيّة بموت ابن العديم[4] فسعى فيه جماعةٌ وكاد أمرُه أن يتمّ للقاضى زين الدين الأَقْفَهْسى بحيث أنه أُجيب ، وبَات على أن يُخلَع عليه

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن زيد ، شغل وظيفة التدريس والإفتاء بدمشق والقضاء ببعلبك ومات سنة ٨٢٧ ، راجع ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٢) أى كان رئيس شرطتها .

(٣) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى « هذا كان بعد هذه السنة بكثير ، فالظاهر أن الذى نقل من خط شيخنا تغيرت عليه الأوراق وتقلبت فكان يضع الشئ فى غير محله » . أما جوجر ، فقد عرفها مراصد الاطلاع ج ١ ص ٣٥٥ — والضبط منه — بأنها بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية ، وجاء فى القاموس الجغرافى ج ٢ ق ٢ ص ٨٦ أنها من البلاد القديمة بمركز طلخا .

(٤) راجع ترجمته بالتفصيل فى ذيل رفع الإصر .

فى يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر ، ثم تأخر ذلك وأمر السّلطانُ بطلَب ابن الدَّيْرى من القدس فوصل إليه الخبر ، فتجهّز وحضر فى الثالث عشر من جمادى الأُولى وهرع الناس للسّلام عليه ، ثم اجتمع بالسلطان ففوّض إليه قضاء الحنفية فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأُولى وباشرهُ بصرامةٍ ومهابة .

وفى أواخر شعبان استقرّ زين الدين قاسم العلائى فى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل عوضًا عن تقىّ الدين الجيْتى بحكم وفاته فى الطاعون وشغرت الوظيفتان هذه المدة ، وكان سعى فيهما شمس الدين القرمانى خادمُ الهروى فأُجيب إلى إحداهما ثم غلبه قاسم عليهما .

* * *

وفى ذى الحجة قدمت خديجة زوج ناصر الدين باك بن خليل بن قراجا بن ذلغادر علَى المؤيّد فى طلب ولدها ، وكان السلطان استصحبه معه من بلادهم فأكرم مجيئَها ورتّبَ لها رواتب وجَمع بينها وبين ولدها؛ وهذه هى التى تزوّج – بعد ذلك الملك الظاهر جقمق – ابنتها فى سنة ثلاث وأربعين ، وقدم أبوها طائعًا فأُكرم غاية الإكرام .

* * *

وفى رجب غضب قاضى الحنابلة القاضى علاءُ الدين بن المغلى[1] من ابن الدويدار الكبير فعزل نفسه ولزم منزله ، وكان السبب فى ذلك أن حكومةً وقعت إلى الدويدار فى جمال الدين الإسكندرانى نقيب القاضى، فبعث يطلبه فامتنع قاضيه من إرْساله ، فأرسل بعضَ نُوابه يسألُ عن القضية فأفحش القولَ له فأعاد الجواب ، فغضب لاعتماده على كاتب السرّ ، فقام كاتب السرّ فى تسكين القضية إلى أن أصلح بينهما، وتَحَيَّل على السلطان حتى أمر له بِخلعة فخلعت عليْه بسبب قدومه بعد غَيْبته ، وأوهم السلطانَ أنَّه خشى لطول الغيبة أن تكون ولايته بطلت ، فأذن له ولَبس الخلعةَ وقرّره على ولاية القضاء، ومشى الأمر على السلطان فى ذلك ؛ وذلك كله من جودة تدبير كاتب السرّ وقوة معرفته بسياسة الأُمور .

وفى شعبان مات أيدغمش التركمانى فى الاعتقال بدمشق .

---

(١) راجع ترجمته مفصلة فى ذيل رفع الإصر ، ص ١٨٩ – ١٩٥ .

وفيها فُوِّض أمْرُ النظر على الكسوة للقاضى زين الدين عبد الباسط بعد أن استعفى منها ناظرُ الجيش فأُعفى .

وفى شعبان قُبض على مُحمد بن عبد القادر وأخيه عمر بغزة وحُملا إلى القاهرة .

وفيه قُدِّمَتْ هدية كرشجى بن أبى يزيد بن عثمان من بلاد الروم فأُكْرِم قاصدُه وقُبِلت هديَّتُه وأُمِر بصرف ثمنها فى العمارة .

وفى سابع رمضان عُزِل خرز[1] من ولاية القاهرة واستقر آقبغا شيطان ـ وكان بيده شدّ الدواوين ـ فاستمرت معه ، ثم انتزعها منه خرز ، واستمر خرز فى نيابة الجيش أيضا .

* * *

وفيه قدم أبو البركات حسن بن عجلان إلى القاهرة ومعه خَيْلٌ وغيرُها فقَدَّمها فقُبلت منه ، وأُنْزِل عند ناظر الخواص وكُتب تقليد ابنه[2] بعوْدِهِ إلى إمرة مكة وعَزْلِ رُمَيْثة ، فوصل إليه الكتابُ فى شوال فبعث إلى آل عمر القواد ـ وكانوا مع رميثة ـ فاستدعاهم إلى الرجوع فى طاعته فامتنعوا وقاموا مع رميثة محاربين لحسن ، فركب حسن إلى الزاهر ظاهر مكة فى ثانى عشر شوال، ووافاه مقبل بن نخبار أمير ينبع منجداً له بعسكره، ثم دخلوا مكة فعسكر بقرب « العُسلة »[3] فوقعت الحرب هناك فانكشف رميثة ومَن معه، وغلب حسن ومن معه فدخلوا البلد بعد أن أحرقوا الباب وكثرت الجراحات فى الفريقَيْن ، فخرج الفقهاءُ والفقراءُ بالمصاحف يسألون حسنَ بنَ عجلان الكفَّ عن القتل فأجابهم ، فخرج رميثة من مكة هو ومَن معه وتوجهوا إلى جهة اليمن ، ودخل حسن مكّةَ فى سادس عشرى شوّال فغلب عليها ونادى بالأمان واستقرّت قدمُه ، وأقام ولده بركات بالقاهرة ثم سار منها بإذن السلطان فى أوّل ذى القعدة فوافى الحجاج قبل ينبع .

* * *

---

(١) مضبوطة فى هـ ، ش بضم الخاء والراء .

(٢) وردت فى بعض نسخ المخطوطة بلا تنقيط ولكنها « أبيه » فى ش، والأرجح ما أثبتناه فى المتن استناداً إلى ما جاء فى الضوء اللامع ٤١٧/٣ من أنه أعيد إلى إمرة مكة سنة ٨١٩ « ثم استعفى وسأل فى استقرار الأمر لولديه بركات وإبراهيم وأنهما أولى بالإمرة منه لقوتهما وضعف بدنه » وتكرر ذلك منه مرة بعد أخرى ، وعلى ذلك رجحنا كلمة : « ابنه » .

(٣) فى الأصول « العسيلة » والتصويب والضبط من مراصد الاطلاع ٩٤١/٢ حيث عرفها بأنها بئر مشهور بطريق مكة .

وفى[1] رمضان حَضر السلطانُ مجلسَ سماعِ الحديث بالقلعة وفيه القضاةُ ومشايخُ العلم، فسألهم عن الحكم فى شخصٍ يزعم أنه يصعد[2] إلى السماء ويشاهد الله تعالى ويتكلم معه، فاستعظموا ذلك، فأمر بإحضاره فأُحْضِر[3] وأنا يومئذ معهم، فرأيْتُ رجلاً ربعةً عبْلَ البدن أبيضَ مشوباً بحمرةٍ، كبيرَ الوجه كثيرَ الشعر منتفِشَه، فسأله السلطان عما أخبر به فأعاد نحو ذلك وزاد بأنه كان فى اليقظة، وأن الذى رآه على هيئة السلطان فى الجلوس وأن رؤيته له تتكرَّرُ مرارًا كثيرة، فاستفسره عن أمور تتعلّق بالأحكام الشرعية من الصلاة وغيرها فظهر أنه جاهلٌ بأُمور الدّيانة.

ثم سئل عنه فقيل إنَّه يسكن خارج باب القرافة فى تُربةٍ خراب، وأنّ لبعض الناس فيه اعتقادا كدأبهم فى أمثاله، فاستفتى السلطانُ العلماءَ فاتفق رأْيُهم على أنَّه إنْ كان عاقلاً يستتاب فإن تابَ وإلاَّ قُتل، فاستُتِيبَ فامتنع، فعلَّق المالكىُّ الحكمَ بقتْله على شهادةِ شاهدين يشهدان أن عقلَه حاضر، فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختلّ العقل مُبَرْسم، فأمر السلطان به أن يقيَّد فى المارستان فاستمرّ فيه بقية حياة السلطان، ثم أُمِر بعد موْتِ السلطان بإطلاقه.

* * *

وفى شوّال كانت الفتن بين أهل البحيرة فقُتِل موسى بن رحاب وخلاّف بن عتيق وحسين بن شرف وغيرهم من شيوخهم، وتوجّه الأُستادار لمحاربتهم ففتك فيهم، وقدم فى ذى القعدة ومعه من الغنم والبقر شىءٌ كثير، ووصل فى طلبهم إلى العقبة الصغرى ثم توجّه منها إلى جهة برقة، فسار أيّامًا ثم رجع.

وفيه قدم ركب[4] التكرور فى طلب الحجّ ومعه شئ كثير من الرقيق والتبر.

---

(١) أمام هذا الخبر فى ش: «سؤال سلطان القضاة عمن يزعم أنه صعد إلى السماء».

(٢) أمامها فى هامش ه: «الذى ادعى أنه يصعد إلى السماء».

(٣) «فأحضر» ساقطة من ه.

(٤) كلمة «ركب» غير واردة فى ه، أما التكرور فقد عرفتها مراصد الاطلاع ١/٢٦٨ بأنها بلاد تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج، وبلادهم كما جاء فى صبح الأعشى ٥/٢٨٢ هى مالى حيث قال عنها إنها هى المعروفة عند العامة ببلاد التكرور، وذكر مؤلف أحدث من هذين هوابن عمر التونسى: تشحيذ الأذهان ص ١٣٥، أن «التكرور» إسم كان يطلق على بعض أهل السودان ويقصد به أهل مملكة برنو. أنظر أيضا: Ency. Isl. Art. Takrour.

وفيه قدمت إلى دمشق الخاتون زوجة أيدكى صاحب الدشت فى طلب الحج وصُحْبَتُها ثلاثمائة فارس فحجّوا صحبة المحمل الشامى .

وفى ذى القعدة أفرج عن سودون الأشقر من الإسكندرية وأُرسل إلى القدس بطالا .

وفى أواخر شوّال قُلع باب مدرسة حسن وكان الملك الظاهر قدْ سَدّه من داخِلِه ومَنع من الصعود منه ، ثم هُدمت — بعد ذلك بمُدةٍ — البوابة ، ثم اشترى الملك المؤيّد الباب من ذرية حسن والتنور الذى هو داخله بخمسمائة دينار ، فَرُكِّبَا بجامعه الذى أنشأه بباب زويلة .

وفى أوائل رمضان أُعِيد قاسم البشتكى إلى نظر الجوالى بعد أن كان عُزِل وصودر وأُهِين .

وفيه عاود المؤيَّد ضعفُ رجلَيْه بالمفاصل .

* * *

وفى رمضان نودى على المؤيّدى بأن يكون بثمانية ، والأفلورى بمائتين وثلاثين ؛ والفلوس كلُّ رطلٍ : بخمسةٍ ونصف ، فكان فى ترخيص الذهب سببٌ إلى تكثير الفضة . وأما ترْخيص الفلوس فلا يُعْقَل معناه فإنها رخيصة جدا بالسِّتة ، وكان فى الستة ترفُّقٌ بمن لا يد له بالحساب لسرعة إدراك نصفها وثلثها وربعها وغير ذلك بخلاف الخمسة ونصف .

* * *

وفى سادس شوال قدمت رسل قرا يوسف على المؤيد ، فسمع الرسالة وأعاد الجواب .

وفى أواخر شوّال مات أمير الركب الأوّل قمارى وكان أمير عشرة ، فسار بالركب الأمير صلاح الدين ابنُ ناظر الخاص الصاحبِ بدْرِ الدين بن نصْر الله ، وكان قد حجّ فى هذه السنة فشكروا سيرته فيها بعد أن وصلوا .

وفى العشرين من ذى القعدة استقرّ فخر الدين فى الوزارة مضافًا إلى الأُستاداريَّة بعد موت تقىّ الدين بن أبى شاكر .

وفيه غلا البنفسج بالقاهرة حتى لم يوجد شئ منه ألبتَّة ، ووُجِدَتْ باقة واحدة فبيعت بعشرين درهم فضة .

وفيها[1] حاصر نائب طرابلس قلعة الخوابى إحدى قلاع الإسماعيلية فأخذها عنوةً وخرّبها حتى صارَتْ أرْضاً .

وفى أواخره مات محمد بن هيازع أمير آل مهدى[2] من العرب فقُرّر مكانه مانع ابن سنيد .

وفى أوّل ذى الحجة أُنيب[3] جقمق الدويدار بعرْض أجْناد الحلقة ليسافروا صحبةَ ركاب السلطان إذا تَجَهّز إلى البلاد الشمالية ، فاشتدّ عليهم جقمق وحلّف السلطانُ ناظرَ الخاص بالطّلاق من زوْجته وبكلّ يمينٍ أن لا يكتم عنه شيئًا ، فاشتدَّ الأمرُ على أجناد الحلْقة جدًّا ، ثم أمر السلطان أن يُعرَضوا عليه ، وكان ما سنذكره فى السنة الآتية .

* * *

وفى عاشر ذى الحجة — يوم عيدِ النَّحر — أُنزِل المستعينُ بالله أبو الفضل العباس بن محمد العباسى إلى ساحل مصر على فرس ، و[أُنْزل] بفرجٍ وخليلٍ[4] ومحمدٍ أولادِ الناصر فرج فى محفة وتوكّل بهم الأمير كزل الأرغنشاوى — وكان أحدَ الأمراء بحماة وزوْجَ بنت كاتب السرّ — وسار بهم إلى الاسكندرية . وكان المستعين — لمّا خلَعَه المؤيدُ من الملك — نقله من القصر إلى دارٍ من دور القلعة ومعه أهلُه وحاشيتُه ، ثم نقله إلى برجٍ قريب من باب القلعة كان الظاهر

(١) سبق أن أشار المؤلف إلى هذا الخبر .

(٢) جاء فى كتاب قلائد الجمان ، ص ١٠٤ أن آل مهدى من خثعم وأنهم صاروا إلى اليمن ، وأشار نفس المؤلف فى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٢٤٣ — نقلا عن ابن خلدون — أن بنى خثعم هؤلاء افترقوا فى الآفاق أيام الفتح من بروات اليمن والحجاز ، ثم عاد فى نفس المرجع ص ٤٢٧ فذكر فرعين اسم كل منهما « بنو مهدى » وهما وإن كانا من القحطانية إلا أن أحدهما بطن من بنى خولان من حمير ، وذكر أنه كانت لهم دولة باليمن ولكنها انقرضت باستيلاء توران شاه على اليمن ، وأما الأخرى فبطن من بنى طريف بن جذام ومنازلهم بالبلقاء من بلاد الشام ، ولعل هذا هو الفرع المقصود فى المتن أعلاه .

(٣) فى ه « أمر » .

(٤) توجد فوق كلمة « خليل » فى نسخة ه إشارة لإضافة فى الهامش بخط الناسخ نفسه وهى من تعلقياته ، وهى : «مات فى سنة ٨٤٨ وكان حج فى سنة ٨ ، ورجع إلى الظاهر جقمق فأكرمه ثم رجع إلى دمياط فأقام بها إلى أن مات ، وأحضروا به بعد أيام إلى القاهرة فدفن بتربة جده بالصحراء » ويلاحظ خطأ هذا التعليق فى جعله ٨٤٨ سنة وفاته إذ يستفاد من الضوء اللامع أن الوفاة جرت بعد ذلك بعشرة أعوام فى جمادى الأولى .

حبس فيه أباه المتوكّل ، ثم نقله فى هذا الشهر إلى الإسكندرية فأنزله فى برجٍ من أبراجها ولم يُجْر عليه معلومًا ولا راتباً[١] .

وانتهت هذه السنة وقد بلغَتْ النفقةُ على الجامع المؤيّدى أربعين ألف دينارٍ ذهباً .

وفى ثانى عشر ذى الحجة توجَّه السلطان إلى الربيع فأقام بوسيم خمسةَ عشر يومًا ، ونزل ليلةَ السّابع والعشرين من ذى الحجة فى حرّاقته[٢] الذهبية فى بر أنبوبة ، فَجمع بعضٌ[٣] الناس له عدةَ مراكب وزيّنوها بالوقيد الكثير ، وكان الهواءُ ساكنًا فكانت ليلةً معجبة[٤] . وفى هذه السّرحة قدَّم الأُستادار عشرة آلاف دينار ومائةً وخمسين جملاً ، واستمرّ ذلك سُنَّةً بعدَهُ على المباشرين .

وفيها مات أحمد[٥] بن رمضان أحد أمراءِ التركمان وكان بيده سيس ودرندة ، فاختلف أولاده بعده .

وفيها بلَغ السلطانَ فى يوم الأَربعاء ثامن ذى الحجة أنّ نائب الحكم ببلبيس أخبر أنه ثبت عنده هلال[٦] ذى الحجة ليلة الثلاثاء ، فانزعج السلطانُ على القاضى الشافعىّ ونَسَبَه إلى التَّفْريط فى الأُمور المهمّة ، وتكلّم مع القضاة كلّهم بكلامٍ خشن .

وفى هذه السنة غلب الأَمير بهار بن فيروز شاه بن محمد شاه بن محمد شاه بن تم ابن جرد بن شاه بن طغلق بن طبق شاه سيف الدين بن قطب الدين على ملك هرمز ، وكان حسام بن عدىّ قد خرج على أبيه وغلب على هرمز ، فثار عليه بهار المذكور فى هذه السنة ففرّ منه إلى جزيرة ساروب ثم حجّ سنة عشرين وثمانمائة .

* * *

(١) أمامها فى هامش هـ : « تقدم فى أول حوادث هذه السنة أن سفرهم كان فى الثانى عشر من المحرم » ، يريد الإشارة بذلك إلى ماورد فى ص ٨٥ — ٨٦ .

(٢) فى هـ « جرافته الذهبيه » .

(٣) فوق كلمة « بعض » إشارة فى نسخة هـ لإضافة أضافها ناسخها هى قوله : « هو حسن بن نصر الله ناظر الخاص » .

(٤) فى هـ « لعجيبه » .

(٥) « أحمد » ساقطة من هـ ، وأمام هذا فى هامش جاء : « ذكر موت أحمد بن رمضان مكررا ، لعل ذلك لزيادة الفائدة ، سيان اختلاف أولاده على أنه كان يمكنه أن يذكر ذلك فيما تقدم عند ذكره فى هذه السنة » .

(٦) يستفاد من التوفيقات الإلهامية ص ٤١٠ أن أول ذى الحجة كان يوم الأربعاء .

ذكر من مات فى سنة تسع عشرة وثمانمائة من الاعيان :

١ ـ أحمد بن أبى أحمد الصفدى شهاب الدين الشامى نزيل القاهرة ، كان قد خدم[1] فى التوقيع عند الملك المؤيَّدِ حين كان نائبًا ، ثم قدم معه القاهرة وكان ظُنَّ أنه يلى كتابةَ السرّ ، فاختُصَّ القاضى ناصر[2] الدين البارزى بالسّلطان وكان يكره الصفدى لطَرَيْش فيه فأراد الإحسانَ إليه وجبْرَ خاطره فقرّره فى نظر المرستان ونظر الأحباس فباشرهما حتى مات فى ربيع الأول ولم يكن محموداً ، فقرّر عوضه فى نظر المرستان تقى الدين يحيى بن الشيخ شمس الدين الكرمانى[3] ، وفى نظر الأحباس بدرَ الدين محمود العينى .

٢ ـ أحمد بن رمضان التركمان الأجّقى صاحب أدنة وسيس وأياس وغيرِها ، وَلِىَ الإمرة من قبل الثمانين واستمرّ يشاقق العسكر الشامى تارةً ويصالحونه أُخرى ، وتجرّدوا له أول مرة سنة ثمانين وكان ما ذُكِر فى الحوادث ، وتجهّزُوا إليه ثانى مرة سنة خمس وثمانين فكُسِر فيها أميرُ عسكره أخوه إبراهيم[4] ، فلمّا كانت الفتنة العظمى ورجع اللنك إلى العراق استقرّت قدم[5] أحمد هذا ولم يزل فى ذلك إلى أن مات فى أواخر هذه السنة . وكان شيخًا كبيراً مهيبا شهماً ، وهو الذى تزوّج الظاهر ابنته ، وكانت له اليدُ البيضاءُ فى طرْدِ العرب عن حلب فى ذى الحجة سنة ثلاث وثمانمائة على ما تقدّم .

٣ ـ أحمد[6] بن عبد الله الذهبى : اشتغل قليلا وحفظ « المنهاج » ، ثم صَحب الشيخ

---

(١) « ختم » فى الضوء اللامع ١/٢٢٥ .

(٢) أمامها فى هامش ز ، ه : « تقدم فى التى قبلها بسنة » .

(٣) هو يحيى بن محمد بن يوسف السعيدى الكرمانى ثم القاهرى الشافعى من مواليد بغداد ، وكان من علماء الإسلام فقها وبحثا ، وصحب المؤيد شيخا وكان كثير الاختصاص به ، راجع ابن حجر : إنباء الغمر وفيات سنة ٨٣٣ ، والضوء اللامع ١٠/١٠٤٠ ، ونزهة النفوس ، ورقة ١٤١ ب ، وشذرات الذهب ٧/٢٠٦ .

(٤) كان موته سنة ٨٥٠ بالقاهرة ، وكان السلطان جقمق قد استحضره إليها من أجل أمور منكرة نسبت إليه وعزر بسببها وأودع السجن ، أنظر الضوء اللامع ج ١ ص ٥١ .

(٥) من هنا حتى عبارة « . . . . من غيرهم وهى علامة » ص ١١١ س ١ ساقطة من ش .

(٦) « الناصر » فى كل من ه ، والضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٣.

(٦) هذه الترجمة واردة بالنص فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٧٤ .

قطب الدّين وغيره ، ثم سافر بعْدَ الملك إلى القاهرة فعظم بها وسافر[١] معه أكابر الأُمراء فى الاعتناء بعمارة الجامع الأُمويّ والبلدِ فحصل له إقبالٌ كبيرٌ ، ثم عاد إلى مصر فى أول الدولة المؤيّدية ، ثم توجّه رسولاً إلى صاحب اليمن وحصلت له دنيا ، ثم عاد فمات فى جمادى الأُولى .

٤ — أحمد بن عبد الرحمن [بن[٢] محمد] بن عبد الناصر الزبيرى ، شهاب الدين ابن القاضى تقىّ الدين الزبيرى أحد موقعى الحكم ، كان ممن قد مَهَر فى صناعته وحصّل فيها مالاً جزيلا وورثه أخوه علاء الدّين[٣] ، وكان شهاب الدين شديد الإمساك وأخوه شديد الإتلاف فوسّع الله بموْت الشّهاب على علاء الدّين ، ويقال إنه وَرَثَ منه ألفَىْ دينارٍ غير البيوت . مات فى نصف ذى الحجة .

٥ — أحمد بن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسى ثم المكى المالكى الحسنى شهاب الدين ، والدُ قاضى المالكية بمكة تقىّ[٤] الدين ، وُلد سنة أربعٍ وخمسين أو وسبعمائة ، وعنِىَ بالعلم فمهر فى عدّة فنونٍ خصوصا الأدب ، وقال الشّعر الرّائق ، وفاقَ فى معرفة الوثائق ، ودرّس وأفتى وحدّث قليلاً ؛ سمع من عزّ الدين بن جَماعة وأبى البقاء السبكى وغيرهما وأجاز لى ، وباشر شهادة الحرم نحواً من خمسين سنة ومات[٥] فى حادى عشرى شوال .

٦ — أحمد بن عمر بن قُطَيْنَة — بالقاف والنون : مصغّر — باشر شدّ الخاص[٦] ثم تنقلت به الأحوال إلى أن ولى الوزارة فى سنة اثنتين وثمانمائة فلم يرسُخْ فيها قدمُه بل أقام جمعةً واحدةً وعُزِل[٧] وتَنَقّلت به الأَحوالُ إلى أن مات فى أواخر المحرّم .

---

(١) فى هامش ه « وسفر » .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ج ١ ص ٣٣٤ .

(٣) راجع ترجمته فى هذا الجزء من انباء الغمر ، وفى الضوء اللامع ٨٠٧/٤ .

(٤) وكان من شيوخ ابن حجر .

(٥) وكان دفنه بالمعلاة ، راجع الضوء اللامع ١٠٤/٢ ، وشذرات الذهب ١٣٥/٧ .

(٦) الوارد فى الضوء اللامع ١٥٥/٢ أنه باشر سد الكارم فى أيام الظاهر برقوق .

(٧) كان استعفاؤه من الوزارة بمساعدة تغرى بردى والد أبى المحاسن يوسف صاحب كتاب النجوم الزاهرة ، وذلك لأن المترجم كان قد باشر الأستادارية عنده .

٧ ــ أحمد[1] بن أبى أحمد بن محمد بن سليمان المصرى المعروف بالزَّاهد ، انقطع فى بعض الأمكنة فاشتهر بالصَّلاح ، ثم صار يتتبّع المساجد المهجورة فيبنى بعضها ويستعين بنقْضِ البعْض فى البعض ، وأنشأ جامعًا بالمقْس وصار يعظ الناس خصوصًا النساء ، ونقموا عليه فتواه برأيه من غير نظرٍ جيِّد فى العلم ، مع سلامةِ الباطن والعبادة . مات فى رابع عشرى ربيع الأوَّل .

٨ ــ أحمد بن القاضى أصيل الدين محمد بن عثمان الأشْليمى ، شهاب الدين ، ناب فى الحكم ومات فى صفر مطعونًا .

٩ ــ أحمد[2] بن محمد بن نشوان بن محمد بن نشوان بن محمد بن أحمد الحوارى[3] ثم الدمشق الشافعى ، وُلد سنة سبعٍ وخمسين وسبعمائة ، واشتغل بالعلم ومَهر فى الفقه

---

(١) الواقع أن اسمه هو «أحمد بن محمد بن سليمان المصرى» ، ويستفاد من ترجمته المطولة الواردة فى الضوء اللامع ٣٣٨/٢ أنه ألف كثيرا من الكتب والأجزاء ، هذا إلى مجالسه فى الفقه ، وله ولد اسمه « أحمد » أورد السخاوى له ترجمة فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) أمامها فى هامش ﻫ تعليق بغير خط الناسخ : «سبق ذكره فى سنة تسع سهواً وفيه زيادة» ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٢ ص ، ترجمة رقم .

(٣) فى ز « الحولدى » ثم فوقها كلمة « كذا » تشككا فى صحتها ، وفى ﻫ « الحورانى » وقد أخطأت الإنباء والضوء ٥٦٧/٢ ، والشذرات ١٣٥/٧ إذ جعلته كلها برسم « الحورانى » والصحيح ماأثبتناه بالمتن بعد مراجعة ترجمته فى الدارس فى تاريخ المدارس ٣٢٠/١-٣٢١ ، ويقول ابن قاضى شهبة : «الحوارى : مولده بقرية حوار وهى بفتح الحاء وضمها »أنظر هذه الكلمة : « حوار » فى أماكنها الجغرافية فى مراصد الاطلاع ٤٣٣/١ ، ويلاحظ أن ابن حجر ترجم لابن نشوان مرتين الأولى سنة ٨٠٩ أنظر ما سبق بعد ترجمة رقم ٩ لأحمد بن قمام وقد وردت هناك ، كما أن ناسخ ﻫ قال « ذكر هنا سهوا وقد ذكر فى محله سنة ٨١٩ » . كما أن نسخة ز قالت بعد كتابتها سنة ٨٠٩ « لعله من المؤلف سبق قلم »يعنى أنه وضعها سابقة لمكانها الحقيق. أما الترجمة التى وردت هناك سنة ٨٠٩ فهى « أحمد بن محمد بن نشوان بن محمد بن أحمد الحورانى الدمشق ، الشيخ شهاب الدين بن نشوان ، ولد سنة سبع وخمسين وقدم دمشق فقرأ القرآن وأدب أولاد شهاب الدين الزهرى فصار يحفظ بتحفيظهم التمييز للبارزى ودار معهم على الشيوخ والدروس إلى أن تنبه وفضل ، وأذن له الزهرى فى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ، واستقر فى تدريس الشامية البرانية وتصدر بالجامع وناب فى الحكم بعد الفتنة الكبرى وانتفع به الطلبة وقصد بالفتاوى وكان يحسن الكتابة عليها ، وكان يتكلم فى العلم بتؤدة وسكون وإنصاف ، وحصل له استسقاء فطال مرضه به إلى أن مات فى جمادى سنة تسع عشرة » . أما الشامية البرانية التى أشير إلى تدريسه بها فهى من إنشاء والدة الصالح إسماعيل على أحد الأقوال ، أو من إنشاء ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبى على قول آخر وهذا هو الأرجح ، أنظر الدارس فى تاريخ المدارس ٢٧٧/١ وما بعدها ؛ هذا ولم يلاحظ ابن العماد الحنبلى تكرار وفاته فوضعه تحت عام ٨٠٩ مرة وتحت سنة ٨١٩ مرة أخرى .

واشتهر بالفضْل وناب فى الحكْم بدمشق ، وأفتى ودرّس ، وكان أوّل أمره أقرأ أولاد الزُّبيدى[1] فحصّل معهم عن مشايخ ذلك العصر إلى أن مهر وظَهَر فضْلُه ، وأذن له البلقينى فى الإفتاء سنة ثلاث وتسعين ، وجلس للاشتغال وأفتى فَحُمِدت فتاويه ، مع وفور عقله وحُسن تأنِّيه وإنْصَافِه فى البحث وحسْن محاضرته . ومات فى جمادى الأُولى .

١٠ ــ أحمد بن محمد المَرَيْنِى[2] أحد فضلاء الحنابلة ، ناب فى الحكم واشتغل كثيراً وكان خيّراً صالحاً . مات فى العشرين من ذى القعدة .

١١ ــ أحمد بن يوسف بن عبد الرحمن اليمنى المعروف بابن[3] الأهدل ، أحدُ مَنْ يعتقده الناس باليمن ، جاور بمكة زماناً وهو من بيت صلاحٍ وعلم . مات فى سادس عشر ذى الحجة .

١٢ ــ أحمد[4] الشربينى ثم السنباطى الشهير بابن الأديب الشافعى ، قدم سنباط فدرّس بها ، وكان يحفظ « الحاوى » ويوصف بالعلم والشجاعة والكرم ، وانتفع بالعزّ ابن جماعة، وكان العزّ يصفه بأنّ ذهنه لا يقبل الخطأ ، وتنزّل صوفياً بالجماليّة وكان يقرأ على شيخها الشيخ همام الدين ، ووصفه العلاءُ بن المغلى للقاضى ناصر الدين [بن البارزى] فأحضره ليُقرِئ له ولَده الكمال .

مات فى الطاعون ، أخبرنى[5] بذلك الشيخ عزّ الدين السنباطى .

---

(١) فى هـ « الزهدى » .

(٢) ضبطها السخاوى : الضوء اللامع ٦٠٥/٢ بفتح الميم والراء وسكون الياء والنون المكسورة وإن لم يكن ذلك للمترجم ، ووردت فى هـ « المرتق » بغير تنقيط .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ٦٩٢/٢ أنه يعرف بالأهدل ، وجاء فى باب « من عرف بابن فلان » ج ١١ ص ٢٣٥ قوله « ابن الأهدل : فى الأهدل » .

(٤) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٥) نقل السخاوى فى الضوء اللامع ٧٨٨/٢ هذه الترجمة بالنص وفاته أن ينص على نقله إياها من إنباء الغمر ، ثم سهى عليه الأمر فقال « أفادنى العز السنباطى » المتوفى سنة ٨٧٩ ، فإن صح عدم ورودها فى ظ وعدم كتابتها فى نسخة أخرى تأرجحت هذه الترجمة بين السخاوى والخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى .

١٣ – أرغون الرومى ، ولى نيابة الغيبة للنّاصر فرج وكان يرجع إلى دينٍ وخير . مات فى ذى القعدة بالقدس[١] بطالاً[٢] .

١٤ – أبو بكر بن عثمان بن محمد الجِيتِى – بكسر الجيم وسكون التحتانية ، بعدها مثناة – الحموى الحنفى أحد فضلاءِ أهل حماة ، عارفٌ بالعربية حسن المحاضرة ؛ قدم[٣] صحبة علاء الدين بن مغلى من حماة فنزل على كاتب السرّ ابن[٤] البارزى فأكرمه وأحضره مجلس السلطان وولاّه قضاءَ العسكر وغيره . مات فى الطاعون فى آخر ربيع الأول[٥] .

١٥ – تانى بك الجركسى شادُّ الشَّرابْخَاناه ، تنقَّل فى الخدم إلى أن ولى إمرة الحجّ فىسنة ثمانى عشرة ، وقدم فى أول هذه[٦] السنة وهو ضعيف وقد شكر الناس سيرته . ومات فى صفر[٧] .

١٦ – ظهيرة بن حسين بن على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومى المكى ، أبو أحمد ، سمع على عز الدين بن جماعة وغيرِهِ وأجاز له القلانسى ونحوه . مات فى صفر وقد جاوز السبعين بمكة[٨] .

---

(١) كلمة « بالقدس » ساقطة من هـ .

(٢) جاءت فى هامش ث ، الترجمة التالية : « أم الخير زوجة البدر العينى ، ماتت فى يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول ودفنت بمدرسة زوجها ، وهو الذى أرخها » .

(٣) كان قدومه القاهرة فى الدولة المؤيدية .

(٤) « ابن البارزى » غير واردة فى ز .

(٥) أمام هذا فى ث « ذكره المؤلف فى معجمه » .

(٦) يعنى أول سنة ٨١٩ .

(٧) جاء بعد هذا فى نسخة ز ترجمتا حماد بن عبد الرحيم وخليل بن سعيد وهما من وضع ابن الصيرفى فقال : « حماد بن عبد الرحيم بن على بن عثمان بن مصطفى الماردينى الحنفى حميد الدين بن جمال الدين بن قاضى القضاة علاء الدين ، ذكره المؤلف فىمعجمه ، وكذلك يقال له ناصر الدين محمد ، ولى قضاء حماة ، وترجمته عندى » ؛ ثم أردفها بالترجمة التالية : « خليل بن سعيد بن عيسى بن على القرشى القارى . ذكره المؤلف فى معجـمه » ، هذا وقد وردت للأول ترجمة مطولة فى الضوء اللامع ٦٢٢/٣ ، وللثانى فى نفس المرجع ٧٤٦/٣ وعقب السخاوىعلى ذلك بقوله « ذكره شيخنا (يعنى ابن حجر) فى معجمه فقال: أجاز لإبنى محمد ، ومات فى أوائل سنة تسععشرة . قلت(والكلام هنا للسخاوى): وهكذا أرخه المقريزى فى عقوده . ورأيت من قال : سبع عشرة وكأنه تحرف والله أعلم » .

(٨) أضاف ابن الصيرفى فى نسخة ز بعد هذه الترجمة قوله : « ذكره المؤلف فى معجمه » .

١٧ ــ عائشة بنت أنس الجركسية أُخت الملك الظاهر وكانت فى السنّ قريباً منه وعاشت بعده دهراً وقد أَسَنَّتْ ، وهى والدة بيبرس الذى ولى أتابكية العسكر وغير ذلك من الوظائف . ماتت فى ذى القعدة .

١٨ ــ عبد الرحمن[1] بن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن حمزة المقدسى الحنبلى ، من بيت كبير ، وُلد فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين ، وسمع من عبد الرحمن ابن إبراهيم بن على بن بقا الملقّن وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادى وغيرهما وحدّث . مات بالصّالحية .

١٩ ــ عبد الرحمن بن محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم الدّكالى[2] الأَصل ثم المصرى ، أبو هريرة بن النقاش ، وُلد فى رابع عشر ذى الحجة سنة سبعٍ وأربعين وسبعمائة بالقاهرة واشتغل بالعلم ، ودرس بعد وفاة أبيه[3] وله بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن إسماعيل[4] الأَيوبى والقلانسى والتبانى[5] وغيرهم ، واشتهر بصدق اللهجة وجودة الرأى وحسن التذكير والأَمر بالمعروف مع الصرامة والصدع بالوعظ فى خطبه[6] وقصصه ، وصارت له وجاهة عند الخاصة والعامّة ، وانتزع خطابة جامع ابن طولون من ابن بهاء الدين السبكى فاستمرت بيده ، وكان مقتصداً فى ملبسه مفْضالاً على المساكين كثيرَ الإقامة فى منزله ، مقبلاً على شأْنه ، عارفاً بأَمر دينه ودنياه ، يتكسّب من الزراعة وغيرها ويبرّ أصحابه مع المحبة التّامة فى الحديث وأهله ، وله حكايات مع

---

(١) أمامه فى هامش ز : « ذكره المؤلف فى معجمه » .

(٢) نسبة إلى دكال حيث عرفها مراصد الاطلاع ٥٢١/٢ بأنها بلد بالمغرب تسكنه البربر .

(٣) هو محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى ثم المصرى أمامة بن النقاش مات سنة ٧٦٣ وعمره ثلاث وأربعون سنة ، وكان شاعراً ، ودرس فى الجامع الأزهر ، أنظر عنه الدرر الكامنة ٤٠٧٣/٤ .

(٤) هو ابن الملوك محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٣٥٤٤/٤ .

(٥) « البيانى » فى كل من هـ ، والضوء اللامع ٣٧٠/٤ ، وقد سقط هذا الاسم من شذرات الذهب ١٣٦/٧ .

(٦) « خطبته » فى ز ، هـ .

أهل الظلم ، وامتُحن مراراً ولكن ينجو سريعا بعون الله . وقد حجّ مراراً وجاور ، وكانت بيننا مودّة تامة . ومات فى ليلة الحادى عشر من شهر ذى الحجة ودُفن عند باب القرافة . وكان الجمع فى جنازته حافلاً جدا ، رحمه الله تعالى .

٢٠ — عبد الرحمن بن يوسف [بن[1] الحسين] الكردى الدمشقى الشافعى زين الدين ، حفظ « التنبيه » فى صباه وقرأ على الشريف بن الشريشى[2] ، ثم تعانى عمل المواعيد فنفق سوقه فيها واستمرّ على ذلك أكثر من أربعين سنة ، وصار على ذهنه من التفسير والحديث وأسماء الرجال شئ كثير ، وكان رائجاً عند العامة مع الديانة[3] وكثرة التلاوة ، وكان ولى قضاء بعلبك ثم طرابلس ، ثم ترك واقتصر على عمل المواعيد بدمشق ؛ وقدم مصر وجرت له محنة مع القاضى جلال الدين البلقينى ، ثم رضى عنه وألبسه ثوباً من ملابسه واعتذر له فرجع إلى بلده ؛ وكان يعابُ بأنه قليل البضاعة فى العلم[4] ولا يسؤل — مع ذلك — عن شئ إلاَّ بادر الجواب ، وحفظ « ترجيح كون المولد النبوى كان فى رمضان » لقول ابن اسحق إنه نُبِّئ على رأس الأربعين فخالف الجمهور فى ترجيح ذلك ، وله أشياء كثيرة من التنطّعات ،[5] ولم يزل بينه وبين الفقهاء منافرة ، ويقال إنه يرى حلّ المتعة على طريقة ابن القيم وذويه[6] ، ومات مطعونا فى شهر ربيع الآخر وهو فى عشر السبعين .

٢١ — عبد الكريم بن [إبراهيم بن[7] أحمد] الحنبلى الكتبى ، كان من خيار النّاس فى فنّه ، وكان للطلبة به نفع فإنه كان يشترى الكتب الكثيرة وخصوصا العتيقة ويبيع

---

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٤/٤١٧ .

(٢) هو محمود بن محمد بن أحمد بن محمد الحمصى ، اهتم بالأصول والنحو والمعانى ، أنظر عنه الدرر الكامنة ٥/٤٧٧١ ؛ والدارس فى تاريخ المدارس ١/٢١١ — ٢١٢ .

(٣) « الدماثة » فى ز .

(٤) « الفقه » فى كل من ه ، والضوء اللامع ٤/٤١٦ ، وشذرات الذهب ٧/١٣٧ .

(٥) « المتطبعات » فى ز ، و « التنطيعات » فى ه .

(٦) فى هامش ز بخط غير خط الناسخ « سبحان الله ! سبحان الله ! ، رحمهم الله أجمعين » .

(٧) فراغ فى نسخ المخطوطة ، ولكن فى هامش ه بغير خط الناسخ « إبراهيم بن أحمد » مما يطابق ماجاء فى الضوء اللامع ٤/٨٢٣ .

لمن رام منه الشراء من الطلبة برأس ماله مع فائدةٍ يعينها بشرط أنه متى رام[1] بيع ذلك الكتاب يدفع له[2] رأس ماله ، فكان الطالب ينتفع بذلك الكتاب دهرا ثم يأتى به إلى السوق فينادى عليه فإن تجاوز الثمن الذى اشتراه به باعه وإن قصر عنه أحضره إليه فاشتراه منه برأس ماله ، ولا يخرم معهم فى ذلك .

وكان الناصر فرج ولاه الحسبة على الصلاة ، وكان يُلزم الناس بالصلاة وبتعليم الفاتحة وجرت له فى ذلك خطوب يطول ذكرها . وكان مأذوناً له فى الحكم لكن لا يتصدّى لذلك ولا يحكم إلاّ فى النادر ، وله وِرد وقيامٌ فى الليل . مات فى حادى عشر ذى القعدة .

٢٢ – عبد الوهاب بن عبد الله ، ويدعى ماجد بن موسى بن أبى شاكر أحمد بن أبى الفرج بن إبراهيم بن سعيد الدولة القبطى ، الوزير تقىّ الدين بن فخر الدين بن تاج الدين ابن علم الدين ، يُعرف بالنسبة لجدّه فيقال له – ولكل من آل بيته – « ابن أبى شاكر » ؛ وُلد سنة سبعين أو فى التى بعدها ونشأ فى حجر السعادة . وتنقّل فى المباشرات إلى أن باشر نظر ديوان المفرد فى آخر الدولة الظاهرية واستمرّ مدة إلى أن مات ، وباشر أُستادارية الأملاك والذخائر والمستأجرات والأوقاف ، وعظم عند الناصر بحسن مباشرته ، ثم ولى نظر الخاص بعد موت مجد الدين بن الهيصم ، ثم قُبض عليه فى جمادى الأُولى سنة ستٍ عشرة وصودر على أربعين ألف دينارٍ باع فيها موجوده ، وبَقِىَ فى الترسيم[3] بشبّاك الظاهريّة الجديدة يستجدى مِن كلّ مَن يمرّ به من الأعيان حتى حصّل مالاً له صورة ، وأُفرج عنه وأُعِيدَ إلى مباشرة الذخيرة والأملاك ، ثم قرّره فى الوزارة بعد صرْف تاج الدين بن الهَيْصم فباشرها مباشرةً حسنة وشكره الناس كلُّهم فلم تطل مدّته حتى مات بعْد تسعةِ أشهر من وزارته فى حادى عشر من ذى القعدة[4] .

---

(١) أى الطالب .

(٢) أى يدفع لصاحب الترجمة رأس ماله .

(٣) أى فى الحبس .

(٤) فى ز « شوال » وأمامها فى الهامش : « ذى القعدة » وكذلك فى هـ ، راجع الضوء اللامع ٥/٣٨٤ .

وكان بعيداً من النّصارى متزوّجا من غيرْهم وهى علامةُ[١] حُسْن إسلام القبطى ، وكان يُكثِر فِعْل الخير والصدقة مع الانهماك فى اللّذّة . وحَدَث فى وزارته الوباءُ فلم يشاحِحْ أحدا فى وارثه وكَثُر الدعاءُ له ؛ وكان عارفًا بالمباشرة ويحبّ أهل العلم ، وكان شديد الوطأةِ علَى العامّة إلاَّ أنّه باشر الوزارة برفْقٍ لم يُعْهد مثله ؛ وكان موصوفًا بالدهاء وجودة الكتابة .

٢٣ ــ عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الحنفى ، القاضى أمين الدين ابن القاضى شمس الدين الطرابلسى نزيل القاهرة ، وُلد سنة ٧٧٤ واشتغل فى حياة أبيه ، ووَلِى القضاءَ مستقلاً بعد موت الملطى فباشره بعفة ومهابة ؛ وكان مشكور السيرة إلاَّ أنه كان كثير التعصّب لمذهبه مع إظهار محبّةٍ للآثار ، عاريًا من أكثر الفنون إلاَّ استحضار شئٍ يسيرٍ من الفقه ، وعُزِل عن القضاء بكمال الدين بنِ العديم ولزم منزله مدّةً طويلة ، ثم تنبّه بصحبة جمال الدين فتقرّر بعنايته فى القضاء وفى مشيخة الشيخونية ، ثم زال ذلك عنه فى الدولة المؤيدية ، وانتُزِعَتْ مِن أخيه وظيفة إفتاء دار العدْل فقُرِّرَت [لأحمد بن] سفرى ثم لابن الجيتى ، واستمرّ أمينُ الدين خاملاً حتى مات بالطاعون فى خامس عشرى شهر ربيع الأول .

ومن العجائب أنّ ناصرَ الدين بنَ العديم أوصى فى مرض موته بمبلغ كبير يُصرَف لتقى الدين بن الجيتى الحنفى ليسعى به فى قضاء الحنفية لئلاَّ يليه ابن الطرابلسى ، فقدَّر اللهُ موت ابن الطرابلسى قبل موت ابن العديم وكذلك ابن الجيتى .

٢٤ ــ على بن الحسين بن على بن سلامة الدّمشقى ، تفقّه على الشيخ عماد الدين الحسبانى وغيره ، وكانت له مشاركة فى الأدب ونظْم الشِّعر الوَسَط . درّس بدمشق ومات بها فى سنة ٨٢٩[٢] .

---

(١) إلى هنا ينتهى ماسقط من نسخة ش ، راجع ما سبق ص ١٠٣ ، حاشية رقم ٥ .

(٢) إذا صحت أرقام هذه السنة فليس هنا موضع ترجمته بل كان الأولى تأخيره إلى وفياتها ، على أن السخاوى قال فى الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٧٤ س ٣ « ذكره شيخنا فى الدرر سهواً فليس من شرطه » ، وقد أهملت الشذرات ذكره فى وفيات القرنين الثامن والتاسع ، أنظر الشذرات ٦/٥١ ــ ٥٢ ، ٧/١٣٤ ــ ١٤٤ ، هذا وقد أشارت كل من ﻫ ، ز إلى أنه مات سنة ٨٢٩ .

٢٥ - على بن عيسى بن محمد ، علاء الدين أبو الحسن بن أبى مهدى الفِهرى البسطى ، اشتغل ببلاده ثم حجّ ودخل الشام ونزل بحلب على قاضيها الجمال النحريرى ، وأقْرَأ بحلب « التسهيل » وعمل المواعيد ، وكان يذكر فى المجلس نحو سبعمائة سطر يرتّبها أوّلاً ثم يلقيها ويطرّزها بفوائد ومحاسنات ، ثم رحل إلى الروم وعظم قدره ببرصا ؛ وكان فاضلاً ذكيّاً أديباً يعمل المواعيد بالجامع ، فذكر الشيخ برهان الدّين المحدّث أنه كان يرتبها يوم الأربعاء فيبلغ سبعمائة سطر وينظره يوم الخميس ويلقيه يومَ الجمعة سرْدًا ، وذكر[1] أنّه أنشده لابن الحباب الغرناطى اللغز المشهور فى « المسك[2] » :

كَتَبْتُم رموزًا ولم تكتبــوا ... كَهَذَا الَّذِى سُبْلُهُ واضِحَــة

قال : « وأنشدنى عنه أناشيد » .

ثم دخل الروم فسكنها وحصل له ثروة ، ثم دَخَل القِرم وكَثُر ماله واستمرّ هناك إلى أن مات فى هذه السنة .

---

(١) أى البرهان المحدث .

(٢) فى ز « السمك » و لكنه هكذا « المسك » فى كل من الدرر الكامنة ٢٨٣٥/٣ ، والضوء اللامع ٩١٩/٥ ، أما اللغز فهو :

كتبتم رموزاً ولم تكتبــوا ... لهــذا الذى سبله واضحــــه
فما اسم جرى ذكره فى الكتاب ... فإن شئتموا فاقرءوا الفاتحــه
ففيهــا مصحف مقلوبـــه ... يخبر عن حالــة صالحــــه
وليست بغادية فافهمـــوا ... ولـكنهــا أبــداً رائحــه

وكان حله :

قرأنا الـكتاب جهاراً وقــد ... تبــدى له السر فى الفاتحــه
وجــدناه من قبل تصحيفــه ... سهــلا له سبلــه الواضحــه
وسل قبل تسع قبيل البروج ... يرى ثم كالأنجم اللائحــــه
بتغيير ثانيــه مع قلبـــه ... ومع حــذفه ثم بالرائحـــه.

٢٦ ـ على[١] بن محمد بن على بن الحسين[٢] بن حمزة بن محمد بن ناصر الحسينى ، وَلَدُ[٣] المحدّث الشهير الشريف شمس الدين ، مات أبوه[٤] سنة خمس وستين وسبعمائة وهو صغير فحفظ القرآن و « التنبيه » ، وقرأ على ابن السّلّار وابن اللّبّان ومهر فى ذلك حتّى صار شيخَ الإقراء بالقرمية ، وكتب الخط المنسوب ، وجلس مع الشهود مدّةً ووقّع وكان عَيْنَ البلد فى ذلك وكان مشكوراً فى ذلك ، وولى نقابة الأشراف مدّة يسيرة ، ووَلِىَ نظرَ الأحباس[٥] أيضا ومات فى شوال[٦] .

٢٧ ـ غانم بن محمد بن محمد بن يحيى بن سالم ، جلال الدين بن عبد الله الخَشَبى ـ بمعجمتين مفتوحتين ثم موحّدة ـ المدنىّ الحنفى ، وُلد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وسمع متأخراً من ابن أميلة وغيره بدمشق ؛ سمعْتُ منه يسيراً ، وكان له اشتغالٌ ونباهةٌ فى العلم ثم خمل وانقطع بالقاهرة . مات فى الطاعون .

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « على بن على الشريف المرجانى الشافعى ، علامة زمانه ومحققه ، مات فى هذه السنة وقد كتبته على حاشية سنة ست عشرة فلينقل إلى هنا » ، أما الشريف الذى يشير إليه البقاعى فى حاشيته هذه فهو « الجرجانى » وليس « المرجانى » ، واختلف فى اسمه فبعضهم سماه « على بن على بن حسين » والبعض الآخر سماه « على بن محمد بن على » ، وأورد السخاوى كلا الإسمين فى الضوء اللامع ١٠٨٧/٥ هذا وقد اشتغل الشريف بجرجان وأخذ عن علمائها ، ثم خرج إلى بلاد الروم ثم لحق ببلاد العجم ، وجعل الضوء وفاته يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة ٨١٦ بشيراز ، ثم أشار إلى أن العينى جعل وفاته سنة ٨١٤ وخطأه فى ذلك .

(٢) « الحسن » فى هـ ، وانظر الحاشية رقم ٤ فى هذه الصفحة .

(٣) فى بعض النسخ « والد » ، و الأرجح أنه « ولد » الشمس المحدث محمد بن على بن أبى المحاسن الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٥ كما جاء فى الدرر الكامنة ٤٠٣٥/٤ ، كما يجوز أن تكون الكلمة « والد » الشمس المحدث أحمد بن على المتوفى سنة ٨٤٨ والوارد ترجمته فى الضوء اللامع ٩٥/٢ .

(٤) هو محمد بن على بن الحسن بن حمزة كما جاء فى الدرر الكامنة ٣٥/٤ ، ٤٠ ، على أن ابن حجر عاد فى نفس الترجمة فى الدرر ، ص ١٨٠ س ٢-٤ فقال : « قلت والنسب الذى ذكرته ساقه الذهبى فى المعجم المختص ولكن سقط منه بين على وحمزة : الحسين ، وكذا يوجد بخط الحسين نفسه » .

(٥) « الأوصياء » فى هـ .

(٦) ورد بعد هذا فى هامش نسخة ز الترجمة التالية : « عيسى بن محمد العجلونى . ذكره المؤلف فى معجمه » ، هذا وقد وردت ترجمته فى الضوء اللامع ٥٠٧/٦ فراجعها هناك .

٢٨ ـ قُمَارَى[1] ، كان أمير الركب الأوّل فمات متوجّهًا إلى الحجّ فى شوّال ، وكان شادّ الزردخاناه[2] .

٢٩ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسى المالكى أبو عبد الله ـ المعروف بالوانُّوغِى ـ بتشديد النون المضمومة وسكون الواو بعدها معجمة ـ وُلد سنة تسعٍ وخمسين وسمع من أبى الحسن البطرنى وأبى عبد الله بن عرفة وأذن له فى الفقه وغيره ، وعنِيَ بالعِلم وبرع فى الفنون مع الذكاء المفرط وقوّة الفهم وحُسْن الإيراد وكثرة النوادر المستظرفة والشِّعر الحسن والمروءة التامّة والبأْوِ الزائد ، وله انتقادٌ على « قواعد » ابن عبد السّلام ؛ وكان كثير الوقيعة فى أعيان المتقدمين وعلماء العصر وشيوخهم ، شديدَ الإعجاب بنفسه والازدراء بمعاصريه فلهجوا بذمّه وتتبّعوا أغلاطه فى فتاويه ، وأقام بمكة مجاورًا ، ثم بالمدينة دهراً مقْبِلاً على الاشتغال والتدريس والتصنيف والإفتاء والإفادة وجَرَتْ له بها محن ، وكان قد اتسعت دنياه .

اجتمعْتُ به بالمدينة ثم بمكة ، وسمعْتُ من فوائده ؛ ومات فى سابع عشر ربيع الآخر بمكة ، وله أسئلة مُشكلة كتبها للقاضى جلال الدين البلقينى فأجابه عنها وكان هو قد بعث بنقْضِ الأجوبة .

٣٠ ـ محمد بن إسماعيل بن علوان الزَّبيدى ، بفَتْح الزاى ثم المعجمة[3] ، ولِىَ قضاء المهجم[4] مدّةً وكان نبيهًا فى الفقه مشكور السيرة .

٣١ ـ محمد بن أيوب بن سعيد[5] بن علوى الحسبانىّ الأصل الدمشقى الشافعى ، وُلد

---

(١) هذه هى نفس الترجمة الواردة فى الضوء اللامع ٦/٧٥٣ .

(٢) إنفردت نسختا ز ، ه بإيراد الترجمة التالية : « محمد بن أحمد بن أبى بكر البيرى بن الحداد ، أخذ عن أبى جعفر وأبى عبد الله الأندلسيين ، وتمهر فى العربية وكان يحفظ المنهاج ، وكان يستحضر أشياءحسنة ، وحدث عن شرف الدين بن قاضى الجبل وغيره ، ومات بألبيرة فى هذه السنة ، أرخه البرهان المحدث الحلبى » ، واعتبر السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠٠ هذا الوارد فى كل من ز ، م الاسم خطأ وذكر أن صوابه هو « محمد بن أبى بكر بن محمد بن أبى الفتح البيرى » وهو الإسم الذى سيترجم له به ابن حجر هنا فى هذه السنة تحت رقم ٣٣ ص ١١٧ .

(٣) بدلها فى ، ه وكذلك فى الضوء اللامع ٧/٣٣٣ : « المحجمى » .

(٤) عرفها مراصد الاطلاع ٣/١٣٣٧ بأنها بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن .

(٥) أنظر فى هذا الرسم ماجاء فى هذا الجزء من إنباء الغمر ، ص ٧٨ س ١ ، وكذلك حاشية رقم ١ هناك .

سنة بضع وسبعين واشتغل ، وحفظ « المنهاج » فى الفقه و « المحرّر » لابن عبد الهادى وغيرهما ، وأخذ عن الزهرى والشريشى والصرخدى وغيرهم ، ولازم الملكاوى حتى قرأ عليه أكثر « المنهاج » ، ومهر فى علم الفقه وفى الحديث ، وجلس للإشغال بالجامع والنفع إلى الطلبة ، وكان قليلَ الغيْبة والحسد بل حَلف أنَّه ما حسد أحدًا . مات مطعونًا فى ربيع الآخر وقد تقدم ذكر والده[1] قريبًا[2] .

٣٢ ــ محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعْد الله بن جماعة ، عز الدين بن شرف الدين بن عز الدين بن بدر الدين ، وُلد سنة تسعٍ[3] وأربعين وسبعمائة بمدينة ينبع ، وسمع من القلانسى والعَرضى والتبانى[4] وجدِّه وغيرهم ، وأُحْضِر على الميدومى ، وأجاز له جماعة من الشاميين والمصريين بعناية الشيخ زين الدين العراقى ، ونشأ مشتغلا بالعلم ، ومال إلى المعقول فأتْقنه حتى صار أُمّةً وحده ، وبقيت طلبةُ البلد كلها عيالاً عليه فى ذلك ، وصنّف التصانيف الكثيرة المنتشرة ، وقد جمعها فى جزءٍ مفرد وضاع أكثرها بأيدى الطلبة ، والموجود منها النصف[5] الأوّل من « حاشية العضد »، وشرح « جمع الجوامع» وقدْ أخذتُ عنه هذَيْن الكتابيْن ، وله على كل كتاب أقرأَهُ ــ مع أنَّه كاد أن يقرئ جميع هذه المختصرات ــ التَّصنيف والتصنيفان والثلاثة ما بين حاشيةٍ ونكتٍ وشرْح ، وكان أُعجوبة دهره فى حُسْن التقرير ،ولم يُرْزَق ملكةً فى الاختصار ولاسعادةً فىحُسْن التصنيف ، بل كان بين قلمه ولسانه كما بينه هو وآحاد طلبته ، وكان ينظم شعراً عجيبا غالِبُه غير موزون ويُخْفِيه كثيراً إلاَّ عمَّنْ يختصّ به مِّمن لا يدرى الوزن ، وأقرأ « التنبيه » و « الوسيط » ، وأقرأ « شرح الألفية » لولد المصنف وكتب عليه تصنيفًا ، وأقرأ « التسهيل » و« الكشّاف » و « المطوّل » لسعد الدين وكتب عليه شيئًا سمَّاه « المعوّل ، » و[أقرأ] « الشرح

---

(١) راجع ما سبق ص ٧٨ ترجمة رقم ٥ .

(٢) انفردت نسخة ز بإيراد الترجمة التالية : « محمد بن أبى بكر بن الحسين المراغى ثم المدنى ، القمنى بن الشيخ زين الدين . ذكره المؤلف فى معجمه » .

(٣) « سبع » فى ه .

(٤) فى بعض النسخ ـــ وكذلك فى الضوء اللامع ٤١٧/٧ ــ « البيانى » وهو خطأ ، ذلك لأن البيانى : نجم الدين عمر بن نصر ابن منصور مات فى سنة ٦٨٣ ، وقد ترجم له ابن كثير ، وإن كان مذكوراً فى السلوك ، ٧٢٧/١ باسم « البيسانى » .

(٥) « التصنيف » فى ه .

الصغير » لسعد الدين أيضا وكتب عليه شيئا سمّاه « سُبك النضير فى حواشى الشرح الصغير »، ونظرفى كل شئ حتى فى الأشياء الصناعية كلِعْبِ الرمح ورمْيِ النشاب وضرْب السيف والنفط حتى الشعوذة حتىّ فى علم الحرف والرمل والنجوم ، ومهرفى الزيج وفنون الطبّ ، وكان من العلوم بحيث يُقْضى له فى كل فنٍّ بالجمع ؛ هذا مع الانجماع عن بنى الدنيا وتَرْكِ التعرض للمناصب ؛ وقد نفق له سوق فى الدولة المؤيدية وهاداه السلطان عدّة مرار بجملة من الذهب ومع ذلك كان يمتنع من الاجتماع به ويتغير إذا عُرِض عليه ذلك .

وحضر معنا المجلس المعقود للهروى فى السنة الماضية فلم يتكلم فى جميع النهار كله مع التفاتهم إليه واستدعائهم منه الكلام ، حتى سأله السلطان فى ذلك المجلس عن تصنيفه فى لعب الرمح فجحد أن يكون صنّف فيه شيئًا ، وكان يبرّ أصحابه ويساويهم فى الجلوس ويبالغ فى إكرامهم ، وكان لا يتصوّن عن مواضع النُّزه والمتفرجات ويمشى بين العوامّ ، ويقف على حلق المنافقين ونحوهم[1] ؛ ولم يتزوّج فيما علمْتُ ، بل كانت عنده زوجة أبيه فكانت تقوم بأمر بيته ويبرّها ويحسن إليها ، ولم يتّفق له أن حجّ مع حِرْص أصحابه له على ذلك ، وكان يُعاب بالتزيّ بزىّ العجم من طول الشّارب وعدم السّواك حتى سقطت أسنانه ، وبلغنى أنه كان يديم الطهارة فلا يُحدِث إلاّ توضّأ ، ولا يترك أحداً يستغيب عنده أحداً ، هذا مع ما هو فيه من محبة الفكاهة والمزاح واستحسان النادرة .

لازمْتُه من سنة تسعين إلى أن مات ، وكان يودّنى كثيرا ويشهد لى فى غيبتىّ بالتقدّم ويتأدّب معى إلى الغاية مع مبالغتى فى تعظيمه حتى كنتُ لا أسمّيه فى غيبته إلا « إمام الأئمة » ، وقد أقْبلَ فى الأخير على النظر فى كتب الحديث ، واستعار من ابن العديم « تخريج أحاديث الرافعى » الكبير لشيخنا ابن الملقن وهو فى سبع مجلدات فمرّ عليه كله

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط إبراهيم البقاعى : « حدثنى الشيخ محب الدين محمد بن مولانا زاده الشهير بابن الأقصرائى الحنفى إمام السلطان — وكان محمد ممن لازم الشيخ عز الدين كثيراً — أنه رأى رجلا تكروريا اسمه الشيخ عثمان ماغفا — بالغين المعجمة والفاء — ورد إلى القاهرة (وكان له) عشرة بنين رجال ، فأتى بهم إلى الشيخ عزالدين للاستفادة فقرأ عليه كتاباً فكان إذا قرر له مسألة ففهمها وقف ودار ثلاث دورات على شبه الراقص ثم انحنى الشيخ على (هيئة) الراكع وجلس ، فإذا جلس قام بنوه العشرة بعده ففعلوا مثل فعله . كتبه البقاعى » .

واختصره على ما ظهر له ، وفرغ منه عند موت ابن العديم ثم مات هو بعد ذلك بيسير ، وكان ينهى أصحابه عن دخول الحمام أيام الطاعون فقُدِّر أن الطاعون ارتفع أو كاد فدخل هو الحمام فخرَج فطُعن عن قُربٍ فمات فى ربيع الآخر فى العشرين منه ، واشتدّ أسف الناس عليه ولم يخلف بعده مثله .

٣٣ ــ محمد بن أبى بكر بن محمد بن أبى الفتح ألبيرى[١] ، شمس الدين بن الحدّاد وُلد سنة. . . . .[٢]، وتفقّه على الزين البارينى[٣] ومهر ، ثم رحل إلى القاهرة وتصّوف وكان يذاكر بأشياء حسنة ، وسكن بعد اللنك بحلب دهراً ثم رجع إلى بلده ألبيرة فأقام بزاويته إلى أن مات بها فى رجب .

٣٤ ــ محمد بن بهادر اللطيفى أحد الأمراء باليمن ، وقد ناب فى وصاب[٤] وغيرها وكان محبا فى أهل الخير .

٣٥ ــ محمد بن سيف بن محمد بن عمر بن بشارة ، مات[٥] مقتولاً بالقاهرة وحُشِى جلده تِبنًا وحُمل إلى صفد فى ذى الحجة .

٣٦ ــ محمد بن طيْبُغَا التنكزى[٦] ناصر الدين ، كان أبوه من مماليك تنكز نائب الشام فوُلد له هذا فى رمضان سنة إحدى أو اثنتين وستّين ، وحفظ « الحاوى » واشتغل

---

(١) فى ز ، ﻫ « البيسرى » .

(٢) فراغ فى جميع النسخ ، ولم يشر الضوء اللامع ٢٦٤/٧ ولا الشذرات ١٣٨/٧ إلى تاريخ مولده ، أنظر ماسبق ص ١١٤ حاشية رقم ٤ .

(٣) هو عمر بن عيسى بن عمر البارينى الشافعى ، نشأ ببعلبك ، وكان ينظم الشعر ، وكانت وفاته بحلب سنة ٧٦٤ ﻫ راجع الدرر الكامنة ٣٠٥١/٣ ، وشذرات الذهب ٢٠٢/٦ .

(٤) جاء فى مراصد الاطلاع ١٤٣٩/٣ أنها جبل يحاذى زبيدا باليمن ، وأن فيه عدة بلاد وقرى وحصون .

(٥) أمام هذا فى هامش ﻫ بخط البقاعى : « هذا محله سنة اثنتين وعشرين كما سيأتى ، وكتبت على الكلام فيه حاشية ، لكنه وأهل بيته رافضة أخباث ، فمن الغرائب أن يكون فى أسمائهم القريبة عمر ، وما أظن أن هذا النسب لغير الذى يلى ، وتقدم نسبه فى الحوادث بتغيير فيه » ، هذا وقد أدرجه الضوء اللامع ٦٦٧/٧ فى وفيات هذه السنة ٨١٩ ، أما مايشير إليه البقاعى من تقدم نسبه فى الحوادث بتغيير فيه فراجع ص ٩١ حاشية رقم ٢ .

(٦) فى ز « البكرى » ، والتصحيح من بقية النسخ وكذلك من الضوء اللامع ٧٠٧/٧ حيث نص على أنه « منسوب لتنكز » كما ذكر المؤلف فى المتن أن أباه كان من مماليك تنكز .

ولازم الشيخ شهاب الدين بن الحباب مدةً وهو بزىّ الجند ، ثم بعد ذلك[1] صار يقرئ « البخارى ويتكلم حال القراءة على بعض الأحاديث ، وانقطع عند المصلّى فتردّد إليه الناس ، وكان يغلظ للترك وغيرهم وربمّا آذاه بعضهم ، وكان يستحضر كثيراً من الفقه والحديث والتفسير إلاّ أنّه عريض الدعوى جدا مع أنّه متوسط فى الفقه . ومات فى شهر رمضان .

٣٧ — محمد بن على بن محمد المشهدى ، شمس الدين بن القطّان ، أخذ عن الشيخ ولىّ الدين الملوى ونحوه، واعتنى بالعلوم العقلية واشتغل كثيراً حتى تنبّه ، وكان يدرى الطبّ ، وسمعْت من فوائده ، ومات فى الطاعون عن نحو ستين سنة .

٣٨ — محمد بن على بن معبد المقدسى المالكى المعروف بالمدنى ، وُلد سنة تسعٍ وخمسين ، واشتغل وأخذ عن جمال الدين بن خير ولازمه ، وسمع الحديث من محيى الدين بن عبدالقادر الحنفى وحدّث ، ثم ولى تدريس الحديث بالشيخونية فباشره مع قلة علمه به مدّة ثم نزل[2] عنه ، ثم ولى القضاء بعناية فتح الله كاتب السرّ فى الأيام النّاصرية ثم صُرِف ثم أُعيد ثم صُرف فى الأيام المؤيّدية ثم أُعيد ، وكان مشكوراً فى أحكامه ، ووقعَتْ له كائنةٌ صعبةٌ مع شريف حَكَمَ[3] بقتلْه فأنكر عليه ذلك أهْلُ مذهبه ، ولم يكن بالماهر فى مذهبه . مات فى عاشر ربيع الأوّل .

٣٩ — محمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أبى جرادة العُقَيْلى الحنبلى نزيل القاهرة ، ناصر الدين بن العديم الحنفى ، تقدّم نسبهُ فى ترجمة أبيه[4] سنة إحدى عشرة . وُلد سنة اثنتين وتسعين بحلب واستمع على عمر بن أيدغمش[5] مسند حلب وعلى غيره ، وقدم القاهرة مع أبيه وهو شاب فاشتغل فى عدة فنون

---

(١) فى ه : « اللنك » وهذا أيضا ماورد فى الضوء اللامع نفس الجزء والترجمة .

(٢) أشار الضوء اللامع ٨/٥٧٥ إلى أنه نزل عن تدريس الشيخونية لابن حجر .

(٣) تختلف رواية الضوء اللامع عن ذلك تماماً إذ تقول إنه لم يقتله فأنكر عليه ذلك أهل مذهبه .

(٤) راجع الجزء الثانى من إنباء الغمر ، وفيات سنة ٨١١

(٥) راجع إنباء الغمر ، ج ص٧٨ ترجمة رقم٦٣ .

على عدّة مشايخ ، وقرأ بنفسه على شيخنا العراق قليلاً من منظومته ، وكان يتوقّد ذكاءً مع هوج وذكاءٍ[1] ومحبّةٍ فى المزاح والفكاهة إلى أن مات أبوه وأوصاه أن لا يترك منصب القضاءِ ولو ذهب فيه جميع ما خلفه ، فقبل الوصية ورشا على الحكم إلى أن وليه ، ثم صار يرشى أهل [البلد] بأوقاف الحنفية يؤجّرها لمن لم[2] يخطر له منهم ببال بأبخس أُجرة ليكون له عونًا على مقاصده إلى أن يخربها ولو دام قليلاً لخربت كلها ؛ وصار فى ولايته القضاءَ كثيرَ الوقيعةِ فى العلماءِ قليلَ المبالاة بأمْرِ الدين ، كثيرَ التظاهر بالمعاصى ولاسيما الرّبا ، سيئُ المعاملةِ جدًّا ، أحمق أهوج متهوّراً .

وقد امتُحِن فى الدولة النّاصرية على يد الوزير سعد الدين [إبراهيم بن كريم] البشيرى[3] وصودر وهو مع ذاك قاضىالحنفيّة ، ثم قام فى موجب قَتْل الملك النّاصر قيامًا بالغًا ولم ينفعْه ذلك لأنّه ظنّ أنّ ذلك يبقيه فى المنصب فعُزِل عن قُرْبٍ كما تقدم فى الحوادث ، وقد ذكرنا فى الحوادث تنقُّلاته فى القضاءِ والشيخونية .

ثم لمّا وقع الطاعون فى هذه السنة ذُعر منه ذُعرا شديداً وصار دأبه أن يستوصف ما يدفعه ويستكثر من ذلك أدويةً وأدعيةً ورُقىً ، ثم تمارض لئلا يشاهِد ميّتًا ولا يُدْعى إلى جنازة لشدّةِ خوْفه من الموْت ، فقدّر الله أنّه سلم من الطاعون وابتُلِىَ بالقولنج الصفراوى فتسلسل به الأمر إلى أن اشتدّ به الخطب فأوصى ، ومن جملة وصيّته ما قدّمته فى قضية ابن الطرابلسى ، فلما بلغه أن ابنَ الطرابلسى مات بُشِّر بذلك وأشهد عليه[4] أنه رجع عما كان أوصى به لابن الجيتى ، فقدّر الله تعالى أن ابنَ الجيتى مات أيضا قبله بعشرة أيام ، ثم مات ابن العديم فى ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر[5] .

---

(١) « وذكاء » ساقطة من ه .

(٢) « لم » ساقطة من ه

(٣) راجع ماسبق ص ٧٦

(٤) أى أنه أشهد على نفسه .

(٥) ورد فى هامش ز الترجمة التالية : « محمد بن عمر بن على المحب بن سراج الدين الحنفى بن البابا ، ذكره المؤلف فى معجمه » ويلاحظ أن الضوء اللامع ٦٨٧/٨ أشار إلى أن ابن حجر أورده فى معجمه ولم يشر إلى إنبائه .

٤٠ ــ أبو البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن على بن أحمد بن ظهيرة المخزومى المكى ، كمال الدين . ولد سنة[١] أربع وستين وسبعمائة ، وأحضر على عز الدين ابن جماعة ، ولم يَعْتَن بالعلم بل كان مشتغلاً بالتجارة مذكوراً بسوء المعاملة ، وولى حسبةَ مكة ونيابةَ الحكم عن قريبه الشيخ جمال الدين ، فعُتِب جمالُ الدين بذلك وأُنكر عليه من جهة الدّولة فعزله ، وسعى هو فى عزْل جمال الدّين وبذل مالاً فى أوائل الدولة المؤيّدية فلم يتم له ذلك حتّى مات جمال الدين فتعصّب له بعضُ أهل الدولة فولِيَ[٢] دون السنة ، ثم وليه مرة ثانية فى هذه السّنة دون الشّهرين ومات معزولاً فى ثالث عشرى ذى الحجة بعلّة ذات الجنب .

٤١ ــ محمّد بن محمّد بن عبد الله شمس الدين بن مؤذِّن الزَّنْجِيليّة[٣] ، اشتغل وهو صغير فحفظ « مجمع البحرين » و « الألفية » وغيرهما ، وأخذ الفقه عن البدر المقدسى وابن الرضى ، ومَهر فى الفرائض وأخذها عن الشيخ محبّ الدين [الفرضى] واحتاج الناس إليه فيها ، وجلس للاشتغال بالجامع الأُموى ، وكان خيِّرا دَيِّنًا . مات فى شوّال .

٤٢ ــ محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الحسبانى ، شمس الدين رئيس المؤذنين بالجامع الأُمويّ وكبيرُ الشُّهود بدمشق ، كان عارفًا بالشُّروط سريعَ الكتابة ذكيًّا يستحضر كثيراً من الفقه والحديث مع كثرة التلاوة . مات فى شعبان .

٤٣ ــ محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الدائم الباهى ، أبو الفتح نجمُ الدين الحنبلى ، برع فى الفنون وتقرّر مدرّسًا للحنابلة فى مدرسة جمال الدين برحبة[٤] باب

(١) جعل الضوء اللامع ٢١١/٩ مولده سنة ٧٦٥ .

(٢) أى أنه ولى القضاء .

(٣) وتسمى أحيانا بالمدرسة الزنجارية وكانت خارج باب توما وباب السلام ، وهى من مدارس الحنفية بدمشق وتنسب إلى فخر الدين عثمان الزنجيلى صاحب الأوقاف المشهورة باليمن ومكة ، أنظر النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ٢٦٦/١ وما بعدها .

(٤) هى رحبة واسعة كانت تقع أمام أحد أبواب القصر الفاطمى المسمى بباب العيد ، وكانت الرحبة غاية فى الاتساع يقف فيها العسكر أيام الأعياد ، وأشار المقريزى فى الخطط ٤٦/٢ إلى أنها لم تزل خالية من البناء إلى مابعد السمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد فصارت خطة كبيرة من أجل أخطاط القاهرة » وإن ظل اسمها باقيا عليها.

العيد ؛ وكان عاقلاً حَيِيًّا كثير التأدّب ، مات فى ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأوّل بالطاعون عن بضع وثلاثين سنة[١] .

٤٤ ــ محمد بن محمد الكُومْ رِيشى ، تاجُ الدين بن شمس الدين نقيبُ درس الحنابلة ، مات فى ربيع الأوّل مطعونًا ولم يبلغ الخمسين ، وكان موصوفًا بحُسْن المعاملة .

٤٥ ــ محمد بن الشيخ قلاف[٢]الدين الحلوائى ، مات يوم الخميس رابع عشرى صفر مطعونًا ، وكان كثير المجازفة فى القول ، سامحه الله .

٤٦ ــ محمد [القطب[٣]] قطب الدين الأبرقوهى ، أحد الفضلاء ، مِمن قدم القاهرةَ فى رمضان سنة ثمانى عشرة فأقرأ « الكشّاف » و « العضد » وانتفع به الطلبة ، ومات فى أواخر صفر مطعونًا .

٤٧ ــ مساعد بن سارى بن مسعود بن عبد الرحمن الهوّارى المصرى ، نزيل دمشق ، وُلد سنة بضعٍ وثلاثين ، وطَلب بعد أن كبر فقرأ على الشيخ صلاح الدين العلائى وولىّ الدين المنفلوطى وبهاء الدين بن عقيل والإسنوى وغيرهم ؛ ثم مهر فى الفرائض والميقات ، وكتب بخطِّه الكثير لنفسه ولغيره ، وسكن دمشق وانقطع بقرية عقيربا[٤] ، وكان الرؤساءُ يزورونه وهو لا يدخل البلد مع أنه لا يقصده أحدٌ إلاَّ أضافه وتواضع معه ، وكان ديّنا مُتقشفا سليم الباطن حسن الملبس ، مستحضراً لكثير من الفوائد وتراجم الشيوخ الذين لقيهم .

---

(١) ورد بعد هذا فى هامش ز الترجمة التالية : « محمد بن محمد بن محمد الاسكندرانى ، تاج الدين بن نجم الدين ابن جمال الدين بن التنيسى المالكى » .

(٢) فراغ فى جميع النسخ ، لكن راجع الضوء اللامع ١٠/٣٤٠ .

(٣) لم ترد فى نسخ المخطوطة ، لكن راجع الضوء اللامع ١٠/٤٢٩ .

(٤) عرفها مراصد الاطلاع ٢/٩٥١ بأنها بناحية حمص ، واكتفى بالإشارة إليها وسماها Occora — 'Oqeiriba ، Dussaud : op. cit. p. 267, l. 10 وأما عقربا (أو عقرباء) فلم يرد لها ذكر فى مراصد الاطلاع ، لكن جاء فى غوطة دمشق أنها اشتهرت فى القديم بالعنب الرينى والقنب (ص ٤٧ ، ٨٩) ؛ وتوجد اثنتان بهذا الاسم : واحدة فى الغوطة والأخرى فى اقلكيم حوران ونحن نرجح أن ابن حجر يقصد الموجودة فى الغوطة فى الجنوب الغربى من دمشق ، أنظر أيضا Dussaud : op. cit. p. 302 et note 7.

وله كتاب فى « الأذكار » سماه « بدر الفلاح فى أذكار المساء والصباح ».

مات بقرية عقيربا شهيداً بالطاعون ، وكان ذميم الشكل جدًّا ، رحمه الله تعالى .

٤٨ — مفتاح الطَّواشى الحبشى ثمّ اليمنى[1] ، وَلِىَ إمرة عدن للأشرف .

٤٩ — مقبل بن عبد الله الطواشى الأشقتمرى الرومى ، كان جمداراً عند الظَّاهر والناصر ، وكان ملازمًا للدّيانة محبًّا فى الفقهاء ، اشتغل بالعلم كثيراً وحفظ « الحاوى الصغير » فصار يذاكر به ، [وكان] حسنَ القراءة للقرآن جدًّا ، ثم عمّر مدرسة بالتبانة وقرّر فيها مدرسين وطلبة ، وكان قد أُسِر مع اللنكيّة من دمشق ثم خلص وحضر مع الرسل الواردين من اللنك فى سنة ستٍّ وثمانمائة ، وجاور عامَيْن متواليَيْن قبل موته ، ومات بالطاعون .

٥٠ — موسى بن أحمد بن عيسى الحرامى — بالمهملتين — أمير حلى ، انفرد [2] بإمْرتها بعد أخيه دريب ثم أخرجه حسن بن عجلان منها ثم عاد إليها حتّى مات فى هذه السّنة .

٥١ — موسى بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن على بن عمر ، الشريف شرف الدين الشطنوفى ، وُلد فى حدود الأربعين ومات فى ذى القعدة ، وكان حسنَ المحاضرة كثير النادرة وينظم شعراً كثيراً وسطًا .

٥١ — همام بن أحمد الخوارزمى ، هكذا رأيتُه بخطِّه — وقد يُدْعى « محمدا » أيضا — الشيخ همام الدين الشافعى ، اشتغل فى بلاده ثم جاء إلى حلب قبل اللنكيّة فأنزله القاضى

(١) « العدنى » فى الضوء ١٠/٦٨٤ .

(٢) كان انفراده بإمرتها بعد وفاة أخيه دريب سنة ٨٠٣ حيث قتل الأخير فى وقعة كانت بينه وبين بنى كنانة النازلين فى حلى .

شرف الدين أبو البركات فى دار الحديث البهائيّة فأقام بها ، ثم قدم القاهرة فى أوائل الدولة الناصرية واشتغل عليه بعض الأمراء فحصّل له بعض مدارس ثم نزل عنها للحاجة ، فلما عمر جمال الدين مدرسته عُيّن له ووُصف وبالغ الواصف ، فاستحضره إيّاه واختص[1] به وأسكنه بيتًا قريبا منه ورتّبتْ له الرواتب الواسعة ، ثم لمـّا فتحها أسكنه فى المسكن البهىّ الّذى عُمر له وأجلسه شيخًا بها ،وقرّر له معالم ورواتب خارجًا عن ذلك وهدايا وعطايا وله مراعاة وسماع كلمة ، فَنبُه بعد أن كان خاملاً ، وتحلّى بما ليس فيه بعد أن كان عاطلاً ، وانثال عليه الطلبة لأجْل الجاه ، وكان يحضر درسه منهم أضعاف من هو مُنَزّل فيه ، وأقرأ فى المدرسة المذكورة « الحاوى » و « الكشاف » ، ثم طال الأمر فاقتصر على « الكشاف » ، وكان ماهراً فى إقرائه إلاّ أنه بطىءُ العبارةِ جدًّا بحيث يمضى قدر درجة حتى ينطق بقدر عشر كلمات .

وكانت له مشاركة فى العلوم العقلية مع اطّراح التكلّف وسلامة الباطن ، [وكان] يمشى فى السوق ويتفرّج فى الحلق فى بركة الرطلى وغيرها ، وكانت له ابنة ماتت أُمها فصار يلبسها بزىّ الصبيان ويحلق شعرها ويسميها « سيدى على » وتمشى معه فى الأسواق إلى أنْ راهَقَتْ ، وهى التى تزوّجها الهروى فحجّبَها بعد ذلك .

وقد ذكرْتُ ما اتفق له فى المجلس المعقود للهروى .

مات فى العُشر الأخير من ربيع الأول وقد جاوز السبعين .

٥٢ ـ يوسف[2] بن عبد الله الماردينى الحنفى ، قدم القاهرة ووعظ الناس بالجامع الأزهر وحصّل كثيراً من الكتب ، مع لين الجانب والتواضع والخير والاستحضار لكثير

---

(١) « أشخص » فى ه .

(٢) راجع إنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ ، ترجمة رقم ٤٩ ، وحاشية رقم ٢ هناك.

من التفسير والمواعظ . مات فى الطاعون وقد جاوز الخمسين وخلّف تركةً جيدةً ورثها أخوه أبو بكر ؛ ومات [أبو بكر] بعد قليل سنة ٨٢٢[١] .

٥٣ ـ نور الدين بن قدامة النابلسى الصالحى[٢] .

* * *

(١) لم يترجم له ابن حجر فيمن مات فى هذه السنة ، كما يستدل على ذلك مما ورد فى الضوء اللامع ١١/١٠٩ .

(٢) جاءت بعد هذا إضافة فى هامش ه بخط البقاعى هى : « قال إبراهيم البقاعى : يوسف بن أخى الملك العادل سليمان بن السلطان الملك الناصر أحمد صاحب الحصن وابن الإمام الصالح صلاح الدين ، قال شيخنا [يعنى ابن حجر] كان فاضلا عالما ذكيا خيراً زاهداً ، وكان يطنب فى مدحه حتى إنه ربما قال : مارأيت مثله ، قال : وكان قد عزفته نفسه عن الدنيا فترك ورحل إلى القاهرة بقصد الاشتغال بالعلم ثم التوجه إلى بعض الثغور للجهاد واخترمته المنية دون ذلك فى طاعون سنة تسع عشرة ؛ قال : وكنت ممن حضر جنازته فوافق إنزاله فى قبره قراءة القارئ قوله تعالى : كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ، فكان ذلك من غرائب الاتفاق ، ويزيده حسنا أنه ليس يقرأ فى الجنائز عادة بقراءة سورة يوسف عند الدفن . قال : ثم حضرت عن قرب من ذلك دفن شخص من الظلمة فلما دلى فى حفرته كان القارئ يقرأ : (هذه جهنم التى كنتم توعدون) الآيات . قال فقضيت من ذلك العجب إن فى ذلك لعبرة . ولعل هذا الظالم [هو] الناصر محمد بن عمر بن العديم المتقدم فإنه ليس فى من ذكر من موتى هذه السنة من يصلح لذلك الأمر [سواه] وابن أبى الفرج وهو أولى منه بذلك كما تشهد به ترجمة كل منهما ، والله أعلم . وسيأتى على حاشيته سنة سبع وعشرين ، والله الهادى » ، راجع ماسبق ص ١١٠ ، ترجمة رقم ٢٢ ، ص ١١٨ ترجمة رقم ٣٩ .

* * *

سنة عشرين وثمانمائة

استهلّت والسلطان على قصْد السّفر لتمهيد أمور البلاد الشمالية ، فعلق الجاليش فى خامس المحرّم ونودىَ على الفلوس أن يكون سعر كل رطل بستة فاستقامت الأحوال ، وأمر طغرلبك بن صقل سيز بالسفر لجمع التراكمين فتوجّه ، وفُرِّقَتْ النفقات فى نصف الشهر فكان لكل مملوك عشرة آلاف درهم يكون حسابها من الذهب أربعين مثقالاً .

وكانت النفقة من الخزانة : للأمير الكبير خمسة آلاف دينار ، وللأمير آخور أربعة آلاف دينار ، ولمن دونه من المقدّمين لكل واحدٍ من الطبلخاناة خمسمائة ، ولكلٍّ أمير عشرةٍ : مائتان ، ولكل[1] مملوك ماتقدم ذكره .

* * *

وفى أوّل هذه السنة بلغ أقباى الدويدارَ ـ نائبَ حلب ـ تغيُّرُ خاطر السلطان عليه فركب على الهجن جريدةً فى أسرع وقت ، فوصل إلى قطيا واستأْذن فى الوصول ، فأمر السلطانُ بتلقِّيه فتلقّوه وهو بسرياقوس وجَهَّز إليه مركوباً وكاملية ، فلقى السلطان يوم السبت رابع عشريه فلامَهُ السلطان على سرعة الحركة فاعتذر ، فقرّره فى نيابة الشام وأمر بالمسير إلى دمشق فسار جريدةً على الخيل .

* * *

وفيه ضُرِبَتْ الدنانير من عشرة مثاقيل وخمسة ، وكان السّالمىُّ قبل ذلك ضرب ذلك ثم بَطُل فجدّده المؤيّد ، وكان الذى يحصل له الدينار منها لايجد صيرفيا يصرفه ، فلما كثر التشكى من ذلك بطلت .

* * *

واستناب فى حلب قجقار القردمى أمير سلاح ، وجهَّز آقبغا أمير آخور للقبض على ألطنبغا العثمانى نائب الشام والحوطة على موجوده وسِجْنه بالقلعة فتوجّه لذلك مسرعاً ، ونودىَ للأجناد والبطالين أن يخدموا عِنْد الأُمراء وعند السلطان ومَن وُجد بعد ذلك بغيْر خدمةٍ فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه ؛ ثم قُبض على جماعةٍ ممَّنْ لم تمتَثِل للأمر وسُجنوا .

---

(١) عبارة « ولكل مملوك ماتقدم ذكره » ساقطة من هـ .

وخرج السلطان إلى الريدانية فى سادس عشرى المحرّم ، وقرّر فى نيابة الغيبة طوغان أمير آخور ، وفى القلعة أزدمر شَايَهْ وكان قدم أميرَ المحمل فى أول السنة ، وقدم القاصد إلى السلطان بخيمة كبيرة بلغت النفقة عليها عشرة آلاف دينار .

وتقدّم الجاليش صحبة إبراهيم ولد السلطان ومعه قجقار – نائب حلب – وجماعةٌ من الأمراء ، وسار السلطان فى رابع صفر ، وتأخّر بالقاهرة فخرُ الدين الأُستادار ، وعَيّن نائبُ الغيبة له مائتى مملوكٍ يكونون صحبَتَه من أجنادِ الحلقة ، وسافر القضاة صحبة السلطان على العادة إلاّ المالكى وكان قريب العهد بالقدوم من الحجّ فأُعْفِىَ من السفر ، واتّفق أن شهاب الدين القرداح كان استقر مؤذنا فى ركاب السلطان فتغيّب عن السّفر المرسوم بعد مدّةٍ بالقبض عليه وتجريسه فجُرِّس ثم حُبِس إلى أن جاء الخبر بقدوم السلطان فأُفرج عنه وأذن له فى ملاقاته :

وفى ثانى عشر صفر وصل ناصر الدين بن خطاب الحاجب بدمشق بسبب ألطنبغا العثمانى وقد قبض عليه وسجن بقلعة دمشق ، وكان الخبرُ لمّا وصل بذلك أذعن إليه وحلّ سيفه بيده – وهو حينئذ بالخربة – وتوجّه صحبة العسكر إلى دمشق فسُجن بالقلعة .

ونزل السلطان غزة فى نصف صفر ونزل بمصطبةٍ[1] اتّخذها بظاهر المدينة ، فقدم خليل الجشارى نائب صفد وحسَنُ بن بشارة مقدّم البلاد الصفدية عليه ؛ ثم توجّه إلى جهة دمشق وأمير العربان ومشايخ البلاد يردُون إليه إلى أن وصل برج[2] الكنيسة فى سابع عشرى صفر ، وقدم عليه قصّاد أُمراء التركمان يسألون الصفح عنهم ويعدونه بحضورهم إلى الطاعة ، فأُجيبوا بأنّهم إن صدقوا فى ذلك وصلوا وإلاّ فليتخذ كل منهم سلما .

---

(١) جاء وصف هذه المصطبة فى نزهة النفوس للصيرفى ٩٥ أ س ١١ ومابعده فى قوله إنها « بظاهر غزة من ناحية الشام وهى مصطبة تحتها إصطبل واسع وتحتها منظرة عالية ، وبها مرافق كثيرة ، ومصروف هذه المصطبة ثلاثة آلاف دينار » .

(٢) فى نزهة النفوس ، ٩٥ أ « مرج الكنيسة » ، وفى ه « مرج الكتيبة » .

ثم قدم أقباى نائب الشام فى العسكر ودخل السلطان دمشق أول ربيع الأول ولم ينزلْ بالقلعة بل استمر سائراً إلى أن نزل بالمصطبة التى قد استجدّها لنفسه ببرزة ، وابنه إبراهيم حاملٌ القبّة على رأسه ، وكان يوماً مشهوداً .

وفى ليلة الجمعة عمل المولد هناك على العادة ، وأرْسل فى ثامنه زين الدين الخواجا إلى محمد بن قرمان برسالة .

وفى تاسعه قدم يشبك نائب طرابلس .

وفى عاشره دخل السلطان حمص وقدم نائب حماة جارقطلو فأُعيد إليها من ساعته فعمل المهمّات السلطانية .

وفى ثالث ربيع الأول أفرج السلطان عن سودون القاضى وأعطاه إقطاع آقبردى المنقار بعْد موته .

وتوجّه السلطان إلى حماة فقدم عليه بها حديثة بن سيف أمير آل فضل وغنام بن زامل أمير آل موسى فتشاجرا فى قتل سالم بن طويب فسكّن السلطان ما بينهما ، ثم عُرِضَتْ عليه تقادم الأُمراء فقبلها ، ثم سار متوجّهاً إلى حلب ، فخيّم — فى ليلة الثلاثاء سابع عشره — بمنزلة تل السلطان وكانت تُعرَف قديماً بالعبيديين ، وأصبح فاستعرض العساكر هناك ، ثم رحل إلى قِنّسرين فتقدّم إليه بها قجقار القردمى — نائب حلب — بعساكره ، ثم قدم طغرلبك بن سقلسيز بعساكره وهم ألفٌ وخمسمائة فارس .

* * *

وفى يوم السبت حادى عشرى ربيع الأُول ركب السلطان عِند الفجر وشرع فى صفّ الأُطلاب وتعبئة العساكر بنفسه ، ودَخَل حلب وهو فى الميمنة — من شرق حلب بين النيّرب وجبرين — وشَقّها إلى أن نزل بالمصطبة الظاهريّة خارجها ، ودخلت الميسرة من الجهة الأُخرى والتقوا بالميدان الأخضر ؛ وترقّب وصول الرسل التى أرسلها إلى أطرافه ، فقدم فى ثانى

عشرى ربيع الأول خليل بن بلال الكرى نائب مدينة إياس ومعه مفاتيح قلعتها ، فقَرّر فى نيابتها صاروجا مهمندار حلب .

وقدم عليه فى ثالث عشريه جمعٌ كثيرٌ من التركمان والعربان ، ثم جَهّز نائبَ الشام ونائبَ حماة وعسكرهما ومَن انضمّ إليهما منْ تركمانٍ وعربٍ إلى جهة ملطية ، وقَرّر داود بن زيد وجماعةً بالعَمق ، وقَرّر فى نيابة حلب يشبك اليوسفى ، وفى نيابة القلعة شاهين وأرغون وأمَره بتقوية البرجين اللذين جدّدهما جكم فأكمل عمارتهما وشيّدهما وحصّنهما وصارا كقلعتين استخرجتا من القلعة ، وعظم شأن القلعة بهما .

وأمر المؤيّد بعد ذلك بتكميل سور حلب فشرع فيه ، وطلب العمّال من البلاد حتى جدّوا فيه ، وبعث أهلَ حلب فى عمله .

* * *

ثم سار الجاليش السلطانى ومقدّمهم ألطنبغا القرمشى فى عدّةٍ من الأُمراء . وتوجّه السلطان فى ثانى ربيع الآخر إلى جهة العمق فقدم عليه رسل محمد بن قرمان وفيهم القاضى مصلح الدين قاضى عسكره وصحبته هديةٌ وكتابُ اعتذارٍ عن تقصيره وطبق فضة مسكوكةباسم المؤيد ، فعنّف السلطانُ الرسولَ وعدّد له خطأً مرسله فى امتناعه من تجهيز مفاتيح طرسوس وفى عدم قبْضه على كزل وغيره من المتسحّبين ، فاعتذر مصلح الدين فصفح عنه وأمره بالجلوس وفرّق الدراهم على الحاضرين .

وقدم فى ذلك اليوم رسول ابن عثمان ، ثم قدم إبراهيم بن رمضان وابن عمّه وأكثر التركمان الأُوجقية ، وقدمت معهم أُمّ إبراهيم وأولاده الصغار فأكرمهم السلطان وخلع عليهم وأنفق فيهم .

وأرسل مصلحَ الدين لإحضار مفاتيح طرسوس بشَرْط إنْ مضى جمادى الأول ولم يُحضرها مشى السلطان على بلاد ابن قرمان ؛ وتوجّه قجقارُ نائبُ حلب إلىجهة طرسوس ، فقدم بين يديه شاهين الأيدكارى فدخل طرسوس وتحصّن نائبها مقبل بالقلعة ، فنزل

قجقار وحاصر القلعة إلى أن أخذها بالأمان فى أواخر ربيع الآخر ، وأخذ مقبل فسُجن[١] ومَن معه ، وسار السلطانُ على جهة مرعش على الأبلستين .

وحضر إلى قجقار – لمّا نزل بغراص[٢] – خليفةُ الأرمن بمفاتيح قلعتى سيس وبادرايا[٣] فجهّزهم إلى السلطان ، فخلع على القصاد وقرّر فى نيابة قلعة سيس الشيخ أحمد أحد العشراوات بحلب . ووصل نائب الشام إلى ملطية فى خامس ربيع الآخر فوجد حسين بن كبك قد أحرقها فلم يبق منها إلاّ اليسير ولم يتأخّر مِن أهلها إلاّ الضّعيف العاجز ، ونزح فلاّحوها فتوجّه فى آثارهم وأعْلَمَ السلطان ، فأرسل السلطان ولده إبراهيم ومعه جقمق الدويدار وجماعة من الأمراء ، فساروا مجدّين ودخلوا الأبلستين للقبض على ابن ذلغادر ففرّ منهم وأخْلى البلاد ، فتوجهوا منها وأوقعوا بمن فى كلديا[٤] من التركمان وبمن فى خان السلطان وبمن فى ساروس[٥] ولحقوا محمد بن ذلغادر فى سادس عشره وهو سائر بحريمه وأثقاله فاحتووا على جميع ماله ، وخلص فى جريدةٍ من الخيل ، فقُبض على جماعة من أصحابه ، ومِن جملة مانهب له مائة بختى : كلٌّ واحدٍ قدْر الفيل .

---

(١) « فسجن » غير واردة فى هـ .

(٢) ضبطتها نسخة هـ بضم الباء ، هذا وقد وردت فى الإصطخرى برسم « بغراز » ، انظر فى ذلك المكتبة الجغرافية العربية Bibliotheca Geographorum Arabicarum (ed. de Goeje), Vol. I, p. 65. (طبعة دى خوية) على حين أنها وردت عند ياقوت فى معجمه بالصورتين التاليتين : بغراز ، وبغراس ، وفى كلتيهما بفتح الباء كما نقلهما عنه Le Strange, op. cit. p. 407. ، وهى تسمى فى المراجع الغربية فى العصور الوسطى باسم Pagrae ، وأهميتها أنها تقع على الطريق المؤدى إلى أنطاكية وتعتبر خط الدفاع الأول عنها ، انظر فى ذلك كله ماكتبه بلوشيه فى Blochet : Hist. d'Egypte de Makrizi, trad. franc. dans Revue de l'Orient Latin, t. IX, p. 39. كما أن القوافل فى العصور القديمة والوسيطة على السواء كانت تمر ببغراص فأنطاكية فجسر الحديد حتى تصل إلى قنسرين وحلب ، انظر فى ذلك Dussaud : op. cit. p. 294

(٣) كلمة غير مقروءة فى نسخ المخطوطة ، ولكن رجحناها أن تكون بادرايا التى هى إحدى طساسيج كورة استان بأزيبجان خسرو ، انظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٠٧ .

(٤) هكذا فى نسخ المخطوطة ولم نستطع التعرف عليها فيما بين أيدينا من المراجع الجغرافية التاريخية .

(٥) ضبطتها هـ بصاد مفتوحة وألف ساكنة وراء مضمومة بعدها واو ثم شين مفتوحة ، انظر فيما بعد ص ١٣٠ ، س ٧ حيث ذكرها باسم « سوروس » .

ورجع نائب الشام وقد قرّر أمر ملطية ، وفرّ حسين بن كبك إلى بلاد الروم ، وتوجه نائب حماة إلى جهة كختا[1] وكركر فنازل القلعتين بعسكر آخر .

وقدم كتاب محمد بن ذلغادر يسأل العفو على أن يسلّم قلعة درندة فأُجيب إلى ذلك ، فقدم ولده ومعه هدية ومفاتيح القلعة فى أواخر الشهر ، وقدم قاصد على بن ذلغادر ومعه هدية وكتاب ، فأضاف له السلطان نيابة الأبلستين مع نيابة مرعش .

وتوجه السلطان فى ثامن عشرى الشهر إلى درندة وبات عليها ، واستدعى بآلات الحصار فوصَلَت إليه مفاتيح قلعة سوروس[2] ،وأوقع الأمير أسنبك بن إينال بمحمد بن ذلغادر فقطعت يد ولده الكبير فى الواقعة ، ثم ركب السّلطان بنفسه على دَرَنْدَة وطَلَبُوا الأمان فأَمّنهم فأُنزِلوا يوم الجمعة سلخ الشهر وفيهم داود بن محمد بن قرمان فألْبسه السلطانُ خلعةً واستولى على القلْعة ، وقرّر فى نيابة ملطية ودورْكى : منكلى بغا الأرغون شاوى .

* * *

وفى سادس جمادى الأُولى وجَّه محمد بن شهرى عسكرا فقاتلوا مَن بقلعة خرت برت فأخذوها ، فجهز من أهلها أحدَ عشر رجلاً فأمر السلطان بصلْبهم على قلعة درنْدة ، ثم رجع السلطان إلى الأبلستين يريد بهسنا وكختا وكركر ، وأرسل من هنا رسول قرايوسف واسمه دَكز إليه بجوابِ كتابِه وصحْبَتُه هديّة مع رسول من جهة السلطان ، ثم وصل رسول من قرا يوسف صحبة القاضى حميد الدين قاضى عسكره ؛ ووصل كتابُ محمد شاه بن قرا يوسف وكتاب بير عمر حاكم أرزنجان[3] .

---

(١) تقع كختا فى أقصى الشمال من بلاد الشام وتشتهر بقلعتها الحصينة ، كما جاء فى جغرافية أبى الفداء ، طبعة رينودى سلين (باريس ، ١٨٤٠) ص ٢٦٣ ، أما كركر فن أشهر القلاع على الحدود الشامية ، وهى شديدة الارتفاع ، ويرى الناظر منها الفرات أشبه بخط رفيع كما يقول أبو الفداء ، شرحه ٢٦٥ ، وذكر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٠ أنها على نهر أرس .

(٢) كلمة غير مقروءة فى ه ، ولكنها هكذا فى ز ، انظر أيضاً ماسبق ، ص ١٢٥ ، وحاشية رقم ٥ بها .

(٣) فى ه : « أذربجان » .

وتوجّه السلطان إلى بهسْنا بعد أنْ وجّه إليها نائب الشام ، فتسلّم نائب الشام القلعة من طغرق بن داود بن إبراهيم بن ذلغادر وأخذه صحبته ورجع إلى لقاء السلطان فالتقيا به فى حصن منصور ، فرَضِىَ علَى طغرق ، ونزل قجقار نائبُ حلب على كختا وكركر، ثم أردفه السلطان بنائب حماة ونائب طرابلس ، ونزل السلطان بحصن منصور فى أواخر جمادى الآخرة فقدم عليه رسول قرايلك بهديته . وقدم عليه رسول الملك العادل سليمان الأيوبى صاحب حصن كيفا بهديّة ، وقرر فى نيابة قلعة الروم منكلى بغا عوضا عن أبى بكر بن بهادر البابرى ، وقرّر فى نيابة بهسنا كمشبغا الركنى .

ونازل كختا ونصب للرمى على قلعتها ، فبيْنا هو فى ذلك إذْ ورد الخبر بأن قرا يوسف قصد قرايلك ، فالتجأ قرايلك إلى السلطان وكاتبه واحتمى به ، واشتدّ الحصارُ على قلعة كختا ولم يَبْق إلاّ أَخْذُها فطَلب صاحبها الأَمان ، فآل الأَمر إلى أنّه يبعث ولده رهْناً وينزل عن القلعة بعْد رحيل السلطان ، فتوجّه السلطان إلى جهة كركر وسارت الأثقال إلى عينتاب ، فنازل السلطان قلعة كركر فى أواخر جمادى الآخرة .

ونزل قرقماس من قلعة كختا فتسلّمها نوابُ السلطان ، وطَرَقَ جماعةٌ من عسكر قرا يوسف قلعة بيشار فنهبوا بيوتَ الأكْراد ، وعدّى منهم جماعةٌ الفراتَ فركب عليهم منكلى بغا نائب ملطية فساروا إلى خرت برت .

* * *

وفى رابع رجب عاود السلطانَ ألم رِجله بالمفاصل فركب المحفّة عجْزا عن ركوب الفرس ، فنزل الفرات فى مركبٍ وصُحْبَتُه خاصّتُه إلى أن وصل قلعة الروم وقرر[1] بها أميرها .

* * *

وفى سابع رجب قدم كتابُ آقباى نائبِ الشام أن قَجقار ـ نائبَ حلب ـ رحل عن حصار

---

(١) فى م : «وقرر أمرها»

كركر بغير عِلْمه ، فوَصَل كتاب قجقار يعتذر عن ذلك بأنَّه بلغه أنَّ قرايوسف واقَع قرايلك فهزمه وأنَّ مَن معه خافوا مِن قرايوسف ، فلمّا حَلَّ ذلك رَحل ، فأُجيب نائبُ الشام أن يستمر على الحصار ووقع الغضب على قجقار ، ثم طَلب خليلُ ــ نائبُ كركر ــ الصُّلحَ من نائب الشام فراسل السلطانَ فى ذلك .

ودخل السلطانُ حلب فى ثالث عشر رجب فوَجد أهلها فى وجلٍ شديد من قُرْب قرايوسف فاطمأنُّوا لحضور السلطان ، وأمر السلطان بتكملة القصْر الذى كان جكم شرع فى عمارته فعُمر فى أسرع وقتٍ وقعد السلطان فيه من آخر الشهر ، وأمر بصلب مقبل القرمانى ورفاقِه .

ووصل النّوابُ فى سابع عشر رجب فأغلظ السلطانُ لقجقار ووبّخه على سرْعةِ رحيله فأجاب بغلظة ، فأمر بالقبض عليه فسُجنَ بقلعة حلب ثم أُفرِج عنه من يوْمِه وأرسله إلى دمشق بطالاً ، وقرّر يشبك نائب طرابلس فى نيابة حلب ، وقَرَّر بردبك فى نيابة طرابلس ، وقَرَّر ططر رأسَ نوبةٍ موضعَ بردبك ، ونَقل جارقطلو إلى نيابة صفد ، وقرّر فى نيابة حماة نكباى ، ونَقل خليل الجشارى نائبَ صفد حاجباً بطرابلس فاستعْفَى فأُعْفِى ، وقرّر عوضه سودون[1] قراصَقل ، وتوجّه النواب إلى بلادهم .

وحضر إلى السلطان حميدُ الدين رسول قرا يوسف ورسولُ صاحب حصن كيفا يسأل أن يُنْعِم عليه بانتسابه إلى السلطان واستمراره نائباً من نوّابه ، فخُلع على قاصده وخُلع على قاصد قرا يوسف وأُعيد إلى مُرْسله .

وفى شعبان أصلح السلطان بيْن حديثة ــ أمير آل فضل ــ وبيْن غنام بن زامل وحلّفهما على الطاعة ، وخلع على محمد بن ذلغادر بنيابة الأبلستين .

ووصل قاصد كردى باك ومعه سودون اليوسفى ــ أحدُ مَن هرب فى وقعة قانباى ــ فسُمِّر تحت قلعة حلب ثم وُسِّط .

(١) « سودون » ساقطة من ه .

وفى شعبان قَبض ابن عثمان على محمد بن قرمان وعلى ولده مصطفى بعد أن حاصره بقونية واستولى عليها وعلى غالب بلاد ابن قرمان وقيسارية وغيرها .

وفى أواخر شعبان سُجن طرغلى وابنُ عمه طغرل ـ إبْنا سقلسيز ـ وسُجنا بقلعة حلب ، وقُرِّر محمد بك التركمانى فى نيابة شيزر عوضاً عن طور غلى ، وقُرِّر مبارك شاه فى نيابة الرحْبة عوضاً عن عمر بن شِهرى .

ووصل فى سابع عشر شعبان كتاب قرايلك ـ واسمه طرغلى التركمانى ـ بأنه اصطلح مع قرايوسف ، وتسلَّم قرايوسف منه مدينةَ صور وعوّضه عنها بألف ألف درهم ومائة فرس ومائة جمل ، ورَحل عنه إلى تبريز فى رابع شعبان فقرئ كتابةُ على العسكر فاطمأنّت نفوس أهل حلب بعْد أن كانوا قد تهيأوا للرحيل إلى القاهرة فراراً من قرا يوسف .

ثم وصلَتْ الكتب من نائب ألبيرة ونائب قلعة الروم ثم نائب كختا ونائب ملطية بنظير كتاب قرايلك ، فرحل السلطان من حلب فى ثامن عشر شعبان و دخل دمشق فى ثالث رمضان ، وقَبض على أقباى نائبِ الشام وسجنه بقلعة دمشق ، وكان المؤيّد قد اشتراه صغيراً وربّاه فرقّاه فى خدْمته إلى أن صار دويداراً كبيراً ، ثم ولّاه نيابة حلب ثم دمشق ، وكان يتديّن ويحبّ العدل وتسمو نفسهُ وتعلو همّته إلى معالى الأُمور .

وكان السلطانُ غضِب منه لكونه آوى جماعةً مِن العُصاة الذين خرجوا مع قنباى ، فهَمّ به فبلغه ذلك فقدِم مسرعاً ، فأغْضى عنه السلطان وردّه إلى نيابة الشام ، فنَقل عنه بعضُ أعدائه أنه يهمّ بالخروج على السلطان ، فاستدعاه السلطانُ يومَ المَوْكب ووبّخه وعدّد له ذنوبَه وأمر بالقبْض عليه ، وقَرَّر تنبك ميق فى نيابة الشام بعد امتناع ، ورَضِى عن قجقار القردمى وقرّره أميراً بتقدمةِ ألفٍ بمصر ، وأفرج عن ألطنبغا العثمانى ونقله إلى القدْس بطالا ، وقرّر فى نيابة حلب يشبك اليوسفى ، وفى نيابة القلعة شاهين الدويدار الأَرغون شاوى فأَحسَنَ السيرة وشَرعَ فى تحصين البرجين بَسَفْح القلعة، أحدهما ـ

وهو القبلى – على سوق الخيل ، والآخر – وهو الشمالى – على باب الأربعين ، وبَذل الجهدَ فى ذلك ؛ وأمر المؤيّد بعمارة السوق القديم الذى استُهْدم من زمن هولاكو وهو محيط بمدينة حلب .

وبرز السلطان من دمشق فى رابع عشريه وقدم بيت المقدس فى خامس عشريه ، وفرّق فى الفقراء مالاً وجلس بالمسجد الأقصى بعد الصلاة ، وقُرِئَ البخارى بحضْرَته من ربعة وخاتمة ، ومَدح الوُعّاظ وكان وقتا حسناً . ثم توجّه إلى الخليل فزار وتصدّق أيْضاً .

ووصل إلى غزّة فى ثامن عشريه وصلّى العيد على المصطبة المستجدّة ظاهر غزة ، ورحلوا من آخر يوم العيد فقدم خانقاه سرياقوس تاسع الشهر فأقام بها إلى رابع عشر شوّال ، وبات ليلة النّصف بخليج الزعفران فأصبح باكره فخلع على الأُمراء وأصحاب الوظائف ، وكانت خلع القضاة بسمّور إلاَّ المالكى فإنها كانت بسنجاب لكونه لم يسافر معهم ؛ ودَخل القاهرة فى نصف الشّهر وابنُه إبراهيم يحمل القبة على رأسه ، فشقّ القاهرة وقد زُيِّنَتْ له ، ودَخل جامعه الجديد ، ومدَّ له الأُستادار سماطاً حافلا فأكل منه ، ثم مدَّ له سماطاً آخر حلْوى ، فتُنُوهِبَتْ ، ثم ركب إلى القلعة ، وفَرَش الأُستادار لخيله شُقَقا حريرا من أوائل الحسيْنية إلى القلعة .

* * *

وفى تاسع عشريه استقرّ طوغان أميرَ آخور عوضاً عن تنبك ميق نائب الشام ،

وقُرِّر ألطنبغا المرقبى – وكان نائب قلعةٍ – فى الحجوبية الكُبرى ، وقُرّر قجقار القردمى أميرَ سلاح على عادته قبل نيابة حلب ، وخُلع على الأُستادار بالاستمرار وأُضيفت إليه أُستاداريّة إبراهيم بن السلطان ؛ ورخصت الجمال عند خروج الحجّاج جدًّا لكثرة ما ورد مع العسكر ، ثم ركب السلطانُ فى ثانى عشرى شوّال إلى الصّيد ورجع فنزل بيْت الأُستادار فخدمه[1] بعشرة آلاف دينار ، وركب من منزله حتى شاهد الميضأة التى أنشأها الأُستادار بجوار الجامع المؤيّدى ، وكان فرغ الأُستادار منها فى مدة يسيرة .

---

(١) أى أن الأستادار قدم للسلطان تقدمة بعشرة آلاف دينار .

وفى خامس عشرى شوال استعفى فخر الدين الأُستادار من الوزارة ، فقرّر فيها أرغون شاه – وكان أُستادار نوروز بالشام – فى السادس والعشرين من شوال ، فباشر الوزارة بحرمة وصوْلة ، وقَدّم الأُستادار للسلطان – عند قدومه من السفر – أربعمائة ألف دينار عينا وثمانية عشر ألف إردب غَلَّةٍ تحصّلها من ديوان الوزارة بعد التكفية فى هذه المدّة اللطيفة ، وثمانين ألف دينار جباها من النواحى ، وثلاثين ألف دينار مِن ماله هو ، وكان حَمَل إلى الشام قبْل ذلك مائة ألف دينار ؛ فاستعظم السلطانُ ذلك وتقرّر عنده أنه لانظير له فى المباشرة ولم يَسمع فيه بعد ذلك لوم لائم ، فعوجل فخرُ الدين عن قُرْبٍ ولم ينفعْه ما ظلم الناسَ به .

وفى يوم الثلاثاء من شوّال أُديرَ المحمل وقُرِّر أميرَ الحج يشبك الدويدار الثانى ، ولم تكن العادةُ بإدارته إلاَّ يوم الاثنين أو الخميس ، واتّفق أنَّ أمير الركب هذا لمّا بلغه ماوَقع لأَخيه أقباى نائب الشام خشى على نفْسه فهرب من المدينة بعد الرجوع فقام بأَمْر الحاج أسنبغا الفقيه إلى أن وصلوا القاهرة . وأخبر الحاجُّ أن السنة كانت عليهم شديدة الرخص حتى بيع الحِملُ الدّقيق بستة دنانير ، ويقال إنه استقام على الذى جلَبه بإثنى عشر .

وفى الرابع والعشرين من شوّال خرج أقباى ومَن بالقلعة من المسجونين ، فخرج نائب القلعة فى إثره إلى باب الحديد ، وركب نائبُ الشام فأَغلق أقباى باب القلعة واعتصم بها وحاصره تَنْبك ميق وراسلَ السلطانَ بذلك ، واستمر ذلك يومين فوُشى إلى النّائب أن أقباى قد خرج فى النهر ومشى فيه إلى طاحون باب الفرج فقبض عليه هناك وعلَى بعض أصحابه ، فعوقِبَ عقوبةً شديدة على صنيعه ثم قُتِل بأَمر السلطان ، وقدم برأسه فى الثانى من ذى الحجة ؛ وقُرِّر فى نيابة القلعة شاهين الحاجب الثانى ، وقُرِّر فى الحجوبية – عوضه – كمشبغا طولو ، وقُرِّر فى تقدمة التركمان عوضه شعبان بن اليغمورى أُستاداراً لديوان المفرد بدمشق .

* * *

وفى هذا الشهر انحلّ سعر عامّة المبيعات من الغلال وغيرها ، وكان فى الظّنّ أن يغلو

ذلك بقدوم العسكر فجاء الأَمرُ بخلاف ذلك ، فلمّا كان ذو الحجة قلَّت الغلال وزاد سعرُ القمح وغيره مائةَ درهمٍ الإردبُّ وأزيد ، وكان السبب فى ذلك كلِّه قلة المطر فى الشتاء ، فخفَّت[1] الزروع وهافَتْ ، فمَنع مَن عنده قمح وغيره من البيع ، فلطف الله تعالى بنزول الغيث فى رابع عشر ذى الحجة[2] وهو الموافق لأَمشير ، فجادت الزروع ونَمَتْ وزكَتْ وتراخى السّعر ولله الحمد .

* * *

وفيه عصى محمد شاه بن قرا يوسف على أبيه ببغداد وامتنع من الوصول إليه ، فأَراد أبوه أن يحاصره فأُشير عليه بعدَم التعرّض له فتركه ، وشرع محمد المذكور فى جمْع المال فحصّل منه شيئاً كثيراً .

* * *

وفيها قُتل الشيخ نسيم الدين التبريزى نزيل حلب وهو شيخ الحروفية ، وقد تقدّم ذكر شيْخه فضل الله[3] فى حوادث سنة أرْبع وثمانمائة ؛ وأمّا هذا فإنّه سكن حلب وكثُر

---

(١) فى هـ « فجفت » .

(٢) يستدل من جدول السنوات فى التوفيقات الإلهامية ص٤١٠ ، أن أول ذى الحجة سنة ٨٢٠ يوافق الرابع عشر من طوبة ١١٣٣ ق ، والتاسع من يناير ١٤١٨ .

(٣) راجع الإنباء الجزء الثانى ، هذا وقد جاء فى هامش هـ بخط البقاعى قوله : « حدثنى العلامة قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة أن هذا الرجل كان أفسد عقائد خلق منهم : ناصر الدين محمد بن ذولغادر وقرر فى أذهانهم أن هذه الشرائع التى درجوا عليها[أباطيل]لاحقائق ، وأن الرسل كانوا ناساً عقلاء أرادوا بها كف أذى بعض الناس عن بعض ، وأنه لا إله ، ونحو هذا من الضلال البين ، وأن ابن ذولغادر وصل فى ضلاله إلى أن وطأ ابنته واتخذها كالزوجات إلى أن أولدها ولدا ، وأن هذا النسيمى كان فر من حلب فلم يزل المؤيد يتطلبه إلى أن حصله وأمر أن يدعى عليه ويقتل ، وكان عارفاً به وببدعته ، فأقام أياما يتحرر أمره فاجتمع فيها بنائب حلب فاستماله وزين له من فيها(...؟...)أو غيره إلى أن فسد عقله ، قال : فحضر القضاة والعلماء وكنت فيهم وكنت إذ ذاك قاضى العسكر فأخبر هذا وقام شخص من فضلاء الحلبيين وأعيانهم ويدعى عليه وهو فى عزم كبير غضبا لله ولرسله ، فقال له نائب حلب : أنا أعلم أنك إن أقمت البينة بما تدعى قتلناه ، وإن لم تقم البينة قتلناك ، قال : فلما سمع هذا الكلام وبرد المجلس ، ثم قام غيره ، قال : فادعى عند عمى القاضى فتح الدين قاضى المالكية بحلب بدعاوى عليه ، شهد بكل واحدة منها شاهد ، فسأله بعض الحاضرين عن توقفه فى الحكم بقتله ، فسأل الحاضرين : هل يكون مجموع ماشوهد عليه به قاضيا بزندقته وأنه لم يجتمع فى قضيته منه شاهدان ويكون ذلك مثل التواتر المعنوى ؟ ، فتوقفوا فى هذا . فقال الحنبلى : أنا أقتله » . وكان الحنبلى (فراغ فى الأصل) الدين بن الخازرونى فأراد المدعى ليدعى عنده ، فغمز كاتب السر الحنبلى فما جسر بعد ذلك أن يتكلم وظهر من النائب رضى كبير ، وطال المجلس وقال النائب : لاتطيلوا فإنى لاأقتل هذا وإن حكمتم بقتله فإن مرسوم السلطان ورد على يأمرنى ألا أقتله إلا بمراجعته ، قال : فقمنا وكتبت إلى السلطان ، وكتب القضاة إلى كاتب السر الناصر بن البارزى يخبرونه بما ظهر لهم من نائب حلب ، فجاء=

أتباعه وشاعَتْ بِدْعَتُه ، فآل أَمْره إلى أن أَمرَ السلطان بقتله فضُربت عنُقه وسُلِخ جِلْدهُ وصُلِب ؛ وقد وَقَع لبعض أتباعه كائنةٌ فى سلطنة الأشرف وأَحْرَقْتُ كتابا معه فيه هذا الاعتقاد ، وأَردْتُ تأْديبه فحلف أنَّه لا يعرف ما فيه وأنَّه وجدَهُ مع شخصٍ فظنّ أنّ فيه شيئاً من الرقائق، فأُطْلِق بعد أَنْ تبرّأ مما فى الكتاب المذكور ،وتشهّد والتزم أحكام الإسلام .

وكان سببُ وقوع ذلك أن شخصاً شريفاً قدم من الشام وذكر أنَّه لم يزلْ يسعى فى الإنكار على هؤلاء إلى أَنْ عثر على هذا ، وكُتِب له مرسومٌ بالقيام عليهم فى بلاد الشام ، ثم قدم علينْا شخص من أَهل أنطاكية فذكر لنا عنهم أُموراً كثيرة ، وكُتب له مراسيم بالقيام عليهم فى سنة ٨٤١[1] .

* * *

ومن الحوادث غير ما يتعلّق بسفر السلطان :

فى المحرَّم وضَعَتْ جاموسة ببلقيس مولوداً برأسين وعينين وأَربعة أَيادى وسلسلتى ظهْر ودُبُرٍ واحدٍ ورِجْلَيْن اثنين لاغير وفرجٍ واحد أُنثى ، والذَّنَبُ مفروق باثنتَيْن[2]، فكانت من بديع صُنْع الله .

وفى العشرين من المحرّم عرض القاضى زين الدين عبد الباسط الكسوة التى استعملها

= جواب السلطان إلى يشبك نائب حلب وهو فى العمق ، فجاء رسول منه يطلب هذا الزنديق فحضر الأعيان وأشهدوا على رسوله بقتله من السجان ، وبعد أيام لم يشعر إلا وقد ورد إلى حلب جماعة من عند النائب وهذا الزنديق معهم مسلوخا محشوا تبنا لعمامته [وشخص] يمسكه كأنه حى ، فعلم أن المرسوم الشريف ورد على يشبك النائب بالإنكار عليه ويأمره بما فعل ، وأمر أن يرسل رأسه إلى شخص عينه من أولاد ذلغادر ، ويده إلى نفر منهم ، والأخرى إلى آخر ، وهكذا فرق أعضاءه فى بلاد التركمان الذين كان أضلهم ، وكان بعضهم يعتقد أنه لايمكن قتله ، وكان ناصر الدين بن ذلغادر قد تاب قبل ذلك ، ويقال إنه حسنت توبته واشتد ندمه على ماكان منه لابنته وأعلمها بذلك وزوجوها بعيداً عنه حيث إنه لايراها ولا تراه ، وربما كان هذا هو السبب فى القبض على هذا الزنديق وأراح الله منه البلاد والعباد على يد المؤيد رحمه الله وعفا عنه ، ماكان أصح اعتقاده وأحسنه فى هذا الدين المحمدى . . مثل ذلك أخوات إذا رأى أن البينات لا تتيسر على كافر . . (ثم أربع كلمات غير مقروءة) .

(١) فى هامش ه بخط البقاعى وردت الملاحظة التالية : « تقدم فى ترجمة شيخه فضل الله فى سنة أربع وثمان مائة إن هذا قتل فى سنة إحدى وعشرين ، وسيأتى فى سنة اثنتين وأربعين مثل ذلك ، فالظاهر أن وضع هذا هنا غلط » .

(٢) أمام هذا فى هامش ه « إنما ذكر ذلك فى سنة اثنتين وأربعين » .

فكانت فى غاية الحُسْن ، وكان الموْت فى جمال الحاجّ كثيراً ، فتضرّرت طوائف من الحاج وغلا السّعر معهم .

وفى أواخر المحرّم صُرِف منكلى بغا عن الحسبة وأُعيد محمد بن يعقوب .

وفى صفر توجّه فخرُ الدين الأُستادار إلى الوجْه البحرى فأسْعرهُ ناراً من كثرة المصادرات ، حتى فَرَض على كلّ قريةٍ وبلدٍ وكَفْرٍ ذهباً معيّنا فحصله فى أسرع مدّة ، ومَنَع مَن بيده رزقه مِن قَبْض خراجها وكان ذلك شيئاً عظيما ، إلاّ أنّه رجع عن ذلك واستقوى على المستضعفين وتتبّع مَن يُعرَف بالمال بالوجْه البحرى فبالغ فى استخلاص الذهب منهم بالمصادرة والرّماية وغير ذلك .

وفى ربيع الأوّل ابتدأ فخرُ الدين الأُستادار بهدْم الأماكن التى بظاهر المقْس إلى قنطرة الموسكى إلى مايقابل دارَه الجديدة التى كانت تُعرف بدار بهادر الأعْسر وكانَتْ تعرف قديماً بدار الذهب وهى مطلّة على الخليج الحاكمى ، فشرعوا فى الهدم ونقْل التراب ، فدخل فى ذلك من الدور والمساجد والحوانيت مايكون قدْر مدينة كبيرة ، وأراد أن يعمل ذلك بستاناً كبيراً فشرع فيه وأجْرى إليْه الماءَ بعد وفاء النِّيل من الخليج النَّاصرى ، ومات قبل أن يتم ماأراد من ذلك ، فصارت تلك النَّواحِى كيماناً مهولةً بالأتربة .

وفى حادى عشر ربيع الأوّل قدم فخرُ الدين من الوجْه البحرى .

وفيه تهدّمت الدور التى أُحْدِثت فوق البرج الذى يجاور باب الفتوح واتُّخِذَ هناك مكان ، وأمر السلطانُ بحبْس أُولى الجرائم فيه عوضاً عن خزانة شمائل .

وفيه كثُر الإرجاف بمجىء الفرنج فشرع أهل الإسكندرية فى حفْر الخندق واستعدّوا لذلك .

* * *

وفيه شرع فخرُ الدين فى التجهيز إلى جهة الصعيد ليفعل فيها مافعل فى الوجه

البحرى ، فاستعدّ لذلك ، وجمع فرسانَ العُربان من كل جهة وأَوْسع لهم فى إخْراج العُدَد التامة من أَنواع السّلاح ووسّع لهم فى العطايا . وخرج فى سادس عشره فى جمع كثير فأَوْقع بطوائفَ منهم يقال لهم عرب الهانة بناحية القلندون[1]والأَشمونين فانهزموا ، واستمرّ متوجّها وحُصِّل له من البقر والجاموس والغنم والجمال مالايدخل تحت الحصْر فإنَّ بعضه هلك وبعضه وصل وشرعوا فى رمْيِه على الناس ، وقرّر على البلاد الصعيدية نحو ماقُرِّر على البلاد البحريَّة .

* * *

وفيها مات فرح بن الناصر فرج بن برقوق بالإسكندرية مطعوناً ، فشاع فى القاهرة أنه هو وأَخاه والخليفة ماتوا جميعاً ، فلهج النَّاس بأَنهم ماتوا بالسمّ ،ثم تبيّن فساد ذلك وأَنه لم يمُتْ إلاَّ هذا وحْده بالطاعون ، وانْكَسَرَتْ بموْته حدّة كثيرٍ من المماليك السلطانية الناصريّه ، وكان فى كل وقْت يُشاع أَنهم يريدون الثورة ليسلطنوه .

وفشا الطاعون بالإسكندرية ودمياط ، ووقع منه بالقاهرة شيءٌ يسيرٌ بَلَغ فى اليوْم أَربعين نفساً .

* * *

ومن الحوادث أَن السلطانَ نَزل وحْده فى سادس ذى الحجة بغير أَميرٍ من الأُمراء إلى الجامع بباب زويلة ، فنظره وطلع إلى أَعاليه وشاهَد المواضعَ التى تـأَخَّرت من الأَبْنية ، ولم يكن صحبَتَه سوى الأُستادار وكاتبِ السِّرّ ونحو عشرة من المماليك ، فلمّا نزل من الجامع دخل بيت كاتب السرّ ثم خرج منه فدَخَل بيت زين الدين عبد الباسطِ ناظرِ الخزانةِ الشريفة .

وفى سابع عشر ربيع الآخر سقط من العمارة المؤيّدية عشرة أَنفس فمات أَربعة وكُسر ستة .

---

(١) القلندون : من صعيد مصر بمركز ملوى ، وقد يقال لها القلنديمون ، راجع عنها محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

وفى أواخر ربيع الآخر توجّه مفلح ـ رسولُ صاحب اليمن ـ وصحْبَتُه بكتمر السّعدى ـ مملوك ابن غراب ـ رسولاً عن السلطان .

* * *

وفى يوم الجمعة ثانى جمادى الأُولى أُقيمت الخطبة بالجامع المؤيّدى ولم يكمل منه الإيوان القبلى ، وخطب به عزّ الدين عبد السلام[1] بن أحمد المقدسى الشافعى نيابةً عن القاضى ناصر الدين البارزى ، وتوجّه الصاحب بدْر الدين بن نصر الله ـ ناظرُ الخاصّ ـ إلى الشام فى عاشر الشهر ومعه محضر بما اتّفق فى المؤيدية ، وكان ولدُه صلاح الدين حينئذ شادًّا بها ، ثم قدم فخر الدين الأُستادار من الصعيد ومعه ستة آلاف بقرة وثمانية آلاف رأس غنم وألْفا جمل وألفا قنطار قنْد ؛ ومن العبيد والإماء شئ كثير جدًّا خارجاً عن الذهب ، وشرع فى رمْي ذلك على الناس ، فعمّ الضّررُ أهلَ البوادى والحواضر ، وحصّل فى هذه المدة اللطيفة من المـال شيئاً كثيراً أرْصده لمجئ السلطان .

وفى جمادى الأُولى توقف النيل ونقص شيئاً كثيراً ثم عاد واستمرّت الزيادة ، فانحّل سعرُ القمح بعْد أن غلا .

* * *

وفى جمادى الآخرة صُرف ابنُ يعقوب عن الحسبة وقُرِّر عماد الدين بنُ بدْر الدين ابن الرّشيد المصرى وكان ينوب فى الحسبة عن التاج وغيره ، فسعى فى الحسبة استقلالاً عند نائب الغيبة والتزم بتعمير البرجين اللذين أحدهما بباب السلسلة تحت القلعة ، وقُدِّرت الغرامةُ عليهما خمسمائة دينار فلم يمكن مخالفة الأُستادار فى ذلك . وكان ابنُ

---

(١) أمام اسمه فى هامش هـ بخط البقاعى : « عبد السلام هذا هو شيخنا العلامة عز الدين الملطى المعروف بالمقدسى ، وربما نسب إلى عجلون ، وليس فى نسبه من اسمه أحمد إلا أبوه ولا من فوقه ، فإنه عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام ابن عباس السعدى شيخ الصلاحية ، وتكرر العذر عن ذلك لشيخنا بأنه يعتمد فى الأنساب غالباً على حفظه فيهم والله الموفق ، وسيأتى — فى سنة إحدى وثلاثين عند حكاية استقراره فى تدريس الصلاحية — نسبه على الصواب فى موضعين فى الحوادث وفى ترجمة البرماوى » ، هذا وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٥١٤/٤ ترجمة مطولة أشار فيها إلى أنه ولد سنة ٧٧١ أو ٧٧٢ فى قرية اسمها كفر المـاء قرب عجلون ، وكان قوى الذاكرة بصورة عجيبة ، وأفتى ودرس ، وسمع بكثير من البلاد كالقاهرة ودمياط وإسكندرية وسنباط والقدس وغزة ودمشق والمدينة وغيرها ، وكانت وفاته ببيت المقدس بالبواسير سنة ٨٥٠ .

يعقوب من جهته فاستمرّ معزولاً وساءت حالُ عماد الدين بعْد ذلك وهرب كما سيأْتى ، ولو سلك طريق أبيه لكان أَوْلَى فإنَّ أَباه ناب فى الحسبة أربعين سنة متوالية ولم يطلب الاستقلال قط ، ومضى على سدادٍ إلى أن مات .

وانتهت زيادةُ النيل فى هذه السنة فى سادس عشر توت إلى عشرة أصابع من عشرين ذراعاً .

* * *

وفى السادس من شعبان أُمْسِك نصرانِىٌّ زنى بامرأةٍ مسلمةٍ فاعترفا بالزّنا ، فحكم شرفُ الدين عيسى الأَقْفهسى برجمهما فرُجِما خارج باب الشعرية ظاهر القاهرة عند قنطرة الحاجب ، وأُحْرِق النصرانى ودُفِنَتْ المرأة . وعاب الناس على القاضى صنيعه هذا من عدّة أَوْجه ، منها: استبدادُه بذلك وانفراده[1] بالحكم ، ودعوى المرأة بالإكراه ولم يقبل ذلك منها إلاَّ ببيّنةٍ فأَحضرت واحداً ولم يؤخِّرها حتى يسمع الشهادة لكوْن النصرانِىّ أَسلم لمّا تحقّق الرجم وغير ذلك ، ثم جاءنى المذكور[2] وتنصّل مما نقم عليه ، فالله أعلم .

* * *

وفى سادس شعبان رُفع إلى الأُستادار أنَّ نصرانيًّا فى خِدْمَته يقال له ابن الخضرى وقع منه ما يقتضى إراقة دمه ، فأَحضر القاضى المالكى ـ وكان من جيرانه ـ وحضر معه خلق كثير فادّعى عليه فأَنكر فتشطّرت البيّنة فحكم القاضى بتعزيره ، فعنْدما جُرِّد ليُضْرب أَسلم فتُرِك واستمر يباشر ، وهو غير محبّ الدين الآتى[3] ذكره .

وقرئ البخارى بالمدرسة المؤيدية وحَضر مَن كان يحضر فى القلعة .

وفى هذا الشهرُ مُنع النصارى من تكبير العمائم ولبْس الفراجى والجبب بالأَكمام الواسعة كهيئة قضاةِ الإسلام وركوب الحمر الفُره واستخدام المسلمين .

---

(١) فى ه « إسراعه » .

(٢) المقصود بذلك الشرف عيسى الأقفهسى .

(٣) لاندرى أى محب هذا المراد فى المتن والمشار إليه « بالآتى ذكره » .

وفى نصف شعبان وصل كتاب السلطان من حلب بشرح سيرته فى السفرة المذكورة فى بلاد الروم وما مَلَك من القلاع التى لم يملكها أحدٌ من الترك قبله وغير ذلك ، فقرأْتُه فى الجامع الأزهر وكان يوماً مشهوداً .

وفى الثامن عشر من شعبان أسلم الأسعد بن الخضرى النّصرانى كاتب الأُستادار وكان يميل إلى المسلمين حتى حفظ قطعةً من القرآن وشدا طرفاً من النحو ، فسمّاه « فخر الدين محمدا » ولقّبه « محب الدين » .

وفى رمضان مات قاضى الحنابلة بدمشق شمس الدين بن عبادة[1] وقرّر بعده القاضى عزّ الدين المقدسى الحنبلى .

ومات ابنُ عرب فى أواخر ذى القعدة واستقر عوضه[2] فى تدريس المؤيّدية الشيخ محبّ الدين أحمد بن الشيخ نصر الله البغدادى .

وفى ثامن عشر رمضان توجّه بركات بن حسن بن عجلان إلى مكة ، والتزم فخرُ الدين الأُستادار عنْه وعن أبيه بمالٍ للسلطان .

وفيه همّ فخرُ الدين بنَقْل سجن الجرائم إلى قصْر الحجازيّة واستأْجره وأمر بعمارته ثمّ شُغل عنه فلم يتم .

وفى ثامن ذى القعدة سار إبراهيم بن السلطان إلى الوجْه القبلى لأَخْذِ تقادم العربان ووُلاة الأَعمال ، فقام بخدمته ابن محب الدين الكاشف.

---

(١) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٠ ، كما أن نفس المرجع ، ص ٢٩٣ س ١٥ ، يقرر نقلا عن ابن الزملكانى أن الذى تولى بعده قضاء الحنابلة هو ابنه شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن عبادة ، ولا يشير إلى عز الدين الحنبلى إلا فى ربيع الأول سنة ٨٢٣ ، وانظر نفس المرجع ص ٢٩٤ فى ترجمة عز الدين الحنبلى .

(٢) أمامها فى هامش ه : « الضمير فى عوضه راجع إلى العز المقدسى لا إلى ابن عرب » .

وفى حادى عشر ذى القعدة قدم محمد وخليل ولدا الناصر فرج من الإسكندرية بعد الاعتقال بإذْن السلطان ، وقدمت رمّة أخيهما فرج فدُفن عند جدّه الملك الظاهر .

وفى ذى القعدة سرح السلطان إلى البحيرة فوصل إلى رأس القصر ثم رَجع فنزل القصر الذى أنشأه كاتبُ السرّ بالشاطئ الغربى قرب منبابة .

* * *

وفى هذا الشهر كان لبعض أَهْل الصعيد غنم تزيد على عشرين ألف رأْسٍ فَرَعَتْ فى بعض المراعى فماتَتْ عن آخرها ، وقيل إن ذلك من المراعى وكان فيها من حشائش السمّ .

* * *

وفى سلخْ ذى القعدة نودِىَ أن يكون كلُّ رطلٍ ونصفٍ من الفلوس بنصف درهم فضة من المؤيّدية ، وبلغ الذهب إلى مائتين وثمانين ، والأَفلورى إلى مائتين وستين ، وأُمِر الأُستادار والوزيرُ وناظِرُ الخاصّ أن يشتروا من الفلوس ما استطاعوا ، ففُرض على الأُستادار مائة ألف دينار ، وعلى الآخَرَيْن مائة ألف دينار ، وأُمر أن يحصلوا بثمنها فلوساً ، ونودِىَ : « من كان عنده فلوسٌ فليحملها إلى الديوان السلطانىّ ، ويُنَكّل بمن امتنع عن حَمْلِها أو سافَر بها » .

وساق فخرُ الدين الأُستادار فى الأَضاحى إلى السلطان خاصةً ألفَ رأْسٍ من الكباش المعلوفة ومائةً وخمسين بقرة ، وقام[1]عنه فى التفرقة على الأُمراء وغيرهم بعشرة آلاف رأس.

وفى سادس عشره نزل السلطان إلى الجامع المؤيّدى ثم إلى بيت كاتب السر وهو بثياب جلوسه .

وفى رابع عشرى ذى الحجة أُضيفت الحسبة إلى آقبغا شيطان الوالى وصُرِف عماد الدين ، وقُرِّر سودون القاضى فى كشف الصعيد وصُرِف بدر الدين بن محبّ الدين وأُمر بإحضاره .

---

(١) أى قام الأستادار بالتفرقة نيابة عن المؤيد .

وفى تاسع عشرى ذى الحجة قدم إبراهيم بنُ السلطان المؤيّد من السفر .

* * *

وفى ذى الحجة كانت الفتنة بدمياط ، وكان واليها ناصرُ الدين محمد السلاخورى سيِّئ السيرة غايةً فى الظُّلم والفسق ، كثير التسلُّط على نساء الناس وأولادهم ، فتعرّض لناسٍ يقال لهم السنانية يتعيّشون بصيْد السمك من بحيرة تنيس ، ومساكنهم بجزائر يقال لها « العُزَب » ـ بضمّ العين وفتح الزاى بعدها باءٌ موحدة ـ فأَنفوا من سوء فعله وفُحْشِ سيرته فتجمّعوا ليوقعوا به ففرّ إلى داره فحاصروه بها فرماهم بالنّشاب ، فقُتل منهم واحد وجُرِح ثلاثة ، فازْداد حنْقُهم وتكاثروا إلى أن هجموا عليه ، فهرب فى البحر فى سفينة إلى الجزيرة فتبعوه وتناوبوا ضرْبه وردّوه إلى البلد وحلقوا نصف لحْيته وشهروه على جمل والمغانى تزفّه ، ثم قتلوه ، ثم أخرجوا الوالى مِن الحَبْس وأرادوا إثباتَ محضرٍ يوجبُ قتْله ، فبادر سفهاؤهم فقتلوه وسحبوه وأحْرقوه بالنار ونهبوا داره وسلبو حريمه وأولاده ، فقُتِل من أولاده صغيرٌ فى المهد ، وقيل مات من الرجفة ، فكانتْ هذه الكائنةُ من الفضائح .

* * *

وفى تاسع عشرى ذى الحجة طَرَقَ جمْعٌ من الحرامية ـ وفيهم فارسان ـ داخل القاهرة فمرّوا على باب الجامع الأَزهر ووصلوا إلى رحبة[١] الأَيدمرى ، فنهبوا عدة حوانيت وقتلوا رجلين ورجعوا إلى حارة الباطليّة فتوزّعوا فيها ولم يتبعهم أحدٌ ، فكانت من الفضائح أيضا[٢] .

* * *

وفيها ـ فى أواخرها ـ مالت المئذنة التى بُنِيَتْ على البُرْج الشمالى بباب زويلة للجامع المؤيّدى وكادَتْ أن تسقط ، واشتدّ خوْف الناس منها وتحوّلوا من حواليها ، فأَمر السلطان بنقضِها فنُقِضتْ بالرفق إلى أن أمن شرها ، وعامل السلطان من ولى بناءها بالحلم بعد

(١) رحبة الأيدمرى وتعرف برحبة البدرى نسبة للأمير بيدمر البدرى ، أنظر عنها المقريزى : الخطط ٢/٤٨ .

(٢) فوق هذه الكلمة فى نسخة هـ علامة إضافة وأمامها فى الهامش « حتى إنهم تفرقوا بها واختفوا » .

أن كان أُرْجِفَ أنَّه يريد أن يغرّمهم جميع ما أُنْفِق فيها فهُدِمت وشَرع فى بناء التى تقابلها، واتّفق أن كان ناظرُ العمارة بهاء الدين بن البُرْجى كما تقدّم ، فأنشد تقى الدين بن حجّة فى ذلك :

عَلَى البُرْجِ مِنْ بَابَىْ زُوَيْلَةَ أُنْشِئَتْ مَنَارَةُ بَيْتِ اللهِ والمَعْهَدِ المُنْجِى
فأَخْنَى بهَا البُرْجُ الخَبِيثُ أَمَالَهَا أَلَا صَرِّحُوا ياقَوْمُ باللَّعْنِ للبُرْجِى

وقال شعبان بن محمد بن داود الآثارى فى ذلك وكان قدم القاهرة فى هذه السنة :

عَتبْنَا عَلَى مَيْلِ المنارِ زُوَيْلَةٍ وقُلْنَا : تَركْتِ النَّاسَ بالمَيْلِ فى هَرْجِ
فقالَتْ : قَرِينى بُرْجُ نَحْسٍ أَمَالَنِى فَلَا بارك الرَّحْمٰنُ فى ذلك البُرْجِى

وكنتُ قلتُ قبل ذلك وأنشدتهما فى مجلس المؤيد :

لجَامِع مولَانَا المؤَيَّدِ رونَقٌ مَنَارَتُه بالحُسْنِ تَزْهُو وبالزَّيْنِ
تقولُ وقد مَالَتْ عَنْ[1] القَصْدِ:أَمْهِلوا فلَيْسَ عَلَى جِسْمِى أَضَرّ مِنَ العيْنِ[2]

فأراد بعض الجلساء العبَث بالشيخ بدْر الدين العينى ، فذكر له « أن فلانا[3] عرض بك » فغضب واستعانَ بمَنْ نَظَم له بيتَيْن ينقض [بهما] هذين البيتين ونسبهما لنفسه ، وعرَف كلُّ مَن يذوق الأَدب أنهما ليسا له لأنَّه لم يقع له قريبٌ من ذلك ، وهما :

منارة كعَرُوسِ الحُسْنِ إذْ جُلِيَتْ وهَدْمُها بقَضَاءِ اللهِ والقَدَرِ
قَالُوا : أُصِيبَتْ بعَيْنٍ قلتُ : ذا غَلَطٌ ما أَوْجَبَ الهَدْمَ إلاَّ خِسَّةُ « الحجر »[4]

قلتُ[5] : هما للشيخ العلاَّمة كمال الدين النواجى ، عفا الله عنهم أجمعين .

---

(١) فى هامش هـ « عليهم تمهلوا » بدلا من « عن القصد أمهلوا » .

(٢) ربما كان الأصح كتابتها « العينى » إشارة من ابن حجر للمؤرخ العينى .

(٣) يعنى ابن حجر نفسه بذلك .

(٤) الإشارة هنا تعنى « ابن حجر » المؤرخ ، وذلك رداً على بيتيه السابقين فى هجو العينى .

(٥) الوارد بالمتن هو ماجاء فى نسخة ز ، لكن رواية هـ جاءت على النسق التالى : « قلت : هما للنواجى الأبرص لابارك الله فيه » والأرجح عندى أن العبارة من هنا حتى ص ١٤٦ س ٧ من قلم السخاوى فى حاشية لنسخة نسخ عنها أكثر من ناسخ حتى أصبحت حاشيته ضمن المتن ، ويؤكد ذلك الحاشية التالية ، حيث وردت عبارة « السخاوى صاحب الحاشية » وليس ثمت حاشية على أى نسخة ، وربما أمكن تزكية مانذهب إليه بما ورد فى هذه الأسطر ، ص ١٤٥ س ١٧ قوله « عفا الله عنهم أجمعين » فان تكن من تسطير ابن حجر نفسه ففيها دعاء لنفسه ، وهذا أمر مستبعد .

وأنشد بعض الأُدباء ـ بنقْض الأَمرَيْن ـ يقال له ابن النبيه نجم الدين :

يَقُولُون فِى مَيْل المَنَارِ تواضُعٌ   و « عَيْنٌ » وأقوالٌ وعندِى جَلِيُّها

فَلاَ البرج أَخْنَى « والحجارةُ » لم تُعَبْ   ولكن عروسٌ أثقلَتْهـا حُلِيُّهَـا

ولابن النبيه أيضاً :

بِجَامِع مَوْلاَنَا المُـؤَيَّدِ أُنشِئَتْ   عروسٌ سمَتْ مَاخِلْتُ قَطّ مِثَالَهَا

وإذْ عَلِمَتْ أَنْ لاَنَظِيرَ لَهَا انْثَنَتْ   وأعجَبَهَـا ، والعُجْبُ عَنَّا أَمَالهـا

أنشدنى [1] ابن النبيه ذلك من نظمه ، رحمه الله .

* * *

وفى هذه السنة ملك أُويس بن زاده بن أُوَيس بن حسين البصرة ، انتزعها منْ مانع أمير العرب بعد حروب وكانوا انتزعوها منهم من إمارة عمه أحمد بن أُويس من أوائل القرن ، وقوى أُويس المذكور وانضم إليه عسكر عمّه .

* * *

وفى أواخر هذه السنة هرب يشبك الدويدار الثانى من المدينة النبوية وهو يومئذ أمير الحاجّ المصرى ، والسبب فى هربه أنّه بلغه ما اتّفق من أقباى نائب الشام ـ وكان من إخْوته ـ فخاف ، وبلغه أيضا أن السلطان كتب إلى مقبل أميرينبع أن يقبض عليه ، فأَخّر مقبل ذلك إلى أن يرحل المذكور من المدينة إلى ينبع فيقبض عليه هناك ، فاستشعر بذلك فاختفى بعْد رحيل الحاج من المدينة ، فلمّا نزلوا البِرْكة لم يقفوا له على خبر ، فسار آقبغا الزينى دويداره وترفّق فى سَيْرِهِ بالحاج وبالغ فى الإحسان إليهم فقدموا وهم يشكرونه .

وكان الرخص كثيراً وكذلك المياه ، ووصل يشبك فى هربه إلى بغداد فتلقّاه محمد ابن قرا يوسف فأَكرمه ، ثم هرب منه إلى قرا يوسف نفسه فى سنة اثنتين وعشرين فأَكرمه وأقام عنده .

---

(١) جاء فى ه : « وأنشدنى النبيه جميع ذلك من لفظه ، بارك الله فيه ، كذا قال شيخنا السخاوى صاحب الحاشية ، أعزه الله تعالى » ويلاحظ أن هذه العبارة كلها بخط الناسخ نفسه ولا يمكن أن تكون من قلم البقاعى لما بينه وبين السخاوى من عداوة شديدة .

ذكر من مات فى سنة عشرين وثمانمائة من الاعيـان

١ ــ إبراهيم صاحب شماخى وملك البلاد ، وهو من جُمْلة من يَنْتمى لقرا يوسف .

٢ ــ أحمدبن أحمد أبى المغراوى[1] المالكى، اشتغل كثيراً وبرع فى العربية وغيرها وشارك فى الفنون وشَغَل الناس ، وقد عُيِّن مرةً للقضاء فلم يتم ذلك . مات فى تاسع عشر شعبان .

٣ ــ أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدمشقى ، محيى الدين بن المدنى ، وُلد سنة إحدى أو اثنتين وخمسين ، وعَنِى بصناعةِ الإنشاء وباشر التوقيع من صِغَره فى أيام جمال الدين ابن الأثير ، وكان عاقلاً ، ودخل مصر بعد اللنك فباشر التوقيع ، ثم قدم مع شيخ ومعه صهره بدر الدين بن مزهر فولى كتابة السرّ بدمشق فى أوائل سنة ثمان عشرة ، وكان عارفاً متودّداً لا يكتب على شئ يخالف الشرع ، وكان عنده انجماع عن الناس وينتسب للتشيّع ومات فى صفر ؛ وقد أنجب ولده نجم الدين حفظه الله .

٤ ــ أحمد بن يهوذا[2] الدمشقى ثم الطرابلسى ، شهاب الدين النحوى الحنفىّ ، وُلد سنة بضع وسبعين، وتعانى العربية فمهر فى النحو واشتهر به وأقرأ فيه ، وشرع فى نظْم « التسهيل » فنظمه فى تسعمائة[3] بيت ثم أخذ فى التكملة فمات قبل أنْ ينتهى ؛ وكان تحوّل بعد فتنة اللنك إلى طرابلس فقطنها وانتفع به أهلها إلى أن مات بها فى أواخر هذه السنة ؛ وكان يتكسّب بالشهادة .

٥ ــ أحمد البرقى الدمشقى ثم الملكى ، كان مؤدّب الأولاد بدمشق وكان خيّراً

---

(١) راجع فى تصويب اسمه الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٢٦ ، ج ٢ رقم ٣٩٣ ، هذا وقد ورد اسمه فى شذرات الذهب ١٤٥/٧ « العزاوى » ، وفى فهرسته ج ٢ ص ١٤٥ « المغراوى » وهو الصحيح .

(٢) فى الضوء اللامع ٦٨٥/٢ « يهودية » ، وفى شذرات الذهب ١٤٥/٧ « يهودا » بالدال المهملة .

(٣) هكذا فى كل من الشذرات ١٤٥/٧ ، ه ، ولكنها « سبعمائة » فى ز .

كثير التلاوة ، ثم إنّه توجّه إلى مكّة فجاور بها نحواً من ثلاثين سنة وتفرّغ للعبادة على اختلاف أنواعها ، وأَضَرَّ فى آخر عمره ومات بمكّة .

٦ — آقباى الدويدار المؤيدى ، قدّمه المؤيد إلى أن ولاّه الدويدارية الكبرى ثم نيابة حلب ، وقد تقدّم ذكر قتْله فى الحوادث .

٧ — آقبردى [المؤيّدى] المنْقار ، مات بدمشق ولم يكن محمُودَ السيرة .

٨ — أبو بكر بن محمّد الجبرتى[1] العابد ، كان يُلقب « المعتمر » لكثرة اعتماره ، وكان على ذهنه فوائد وللناس فيه اعتقاد وينسبونه إلى معرفة علم الحرف ، جاور بمكة ثلاثين سنة ومات فى سابع المحرم .

٩ — خضر بن إبراهيم الرومى خير الدين ، نزيل القاهرة ، وكان من كبار التجار[2] كأبيه . مات مطعوناً فى ذى الحجة .

١٠ — داود بن موسى الغمارى المالكى ، عنى بالعلم ثم لازم العبادةَ وتزهَّد ؛ وجاور بالحرمين أزْيد من عشرين سنة وكانت إقامته بالمدينة أكثر منها بمكة . مات فى مستهل المحرّم .

١١ — سالم بن عبد الله بن سعادة بن طاجين القسنطينى[3] نزيل الإسكندرية ، وكان أسود اللون جدًّا فكان يُظَنّ أنه مولى ، وأمّا هو فكان يدّعى أنّه أنصارى ، وكان للناس فيه اعتقاد وبين عينيه سجادة ، وقد لازم القاضى برهانَ الدين بنَ جماعة واختُصَّ به وصار له صِيتٌ وطار له صوت ، ثم صحب جمال الدين محمود بن على الأُستادار ، وكان له تردّد كثير إلى القاهرة ومحاضرة حسنة وعلى ذهنه فنون وله أناشيد ، ومات بالإسكندرية آخر هذه السّنة وقد جاوز الثّمانين .

---

(١) « الجبرى » فى ز ، وهى بلا تنقيط فى هـ ؛ انظر الضوء اللامع ٢٥٢/١١ ، حيث ترجم له هناك ترجمة أوفى من هذه .

(٢) كان خضر هذا من أكابر تجار الكارم ، وقد جعل الفاسى موته فى ذى القعدة .

(٣) فى هـ « القسطنطى » ، لكن راجع الضوء اللامع ٩٠٩/٣ .

١٢ – عبد الله بن إبراهيم بن خليل بن[1] عبد الله بن محمود بن يوسف بن تمام البعلبكى الدمشق ، جمال الدين بن الشرائحى ، وُلد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وأخذ عن الشيخ عماد الدين بن بردس وغيره ، ثم دخل دمشق فأدرك جماعةً من أصحاب الفخر وأحمد بن شيْبَان ونحوهم فسمع منهم ، ثم من أصحاب ابن القوّاس وابن عساكر ، ثم من أصحاب القاضى والمطعم ومن أصحاب الحجار ونحوهم ، ثم من أصحاب الجزرى وبنت الكمال والمزى فأكثر جدًّا وهو مع ذلك أُمِّىٌّ ، وصار أُعجوبة دهره فى معرفة الأجزاء والمرويات ورواتها ، ولديه مع ذلك فضائل ومحفوظات . سمعْتُ منه وسمع معى الكثير فى رحلتى وأفادنى أشياء ؛ وكان شهما شجاعًا مهيبا جدا كله لا يعرف الهزل ، وكان يتديّن مع خيْرٍ وشرف ؛ قدم القاهرة بعد الكائنة العظمى فقطنها مدّة طويلة ثم رجع إلى دمشق وولى تدريس الحديث بالأشرفية إلى أن مات فى هذه السنة .

١٣ – عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن موسى بن أبى بكر العذرى ، جمال الدين البشبيشى ، وُلد فى عاشر شعبان سنة ٧٦٢ ، وقرأ فى الفقه والنحو ، وأخذ عن شيخنا الغمارى وابن الملقن ، وتكسّب بالوراقةو كتب الخط الجيّد، وصنّف كتابا فى « المعرب » وكتابا فى « قضاة مصر » ونسخ بخطه كثيراً . وناب فى الحسبة عن صاحبنا الشيخ تقىّ الدين المقريزى . وكان ربّما جازف فى نقله . سمعْتُ من فوائده كثيراً . ومات بالإسكندرية فى ذى القعدة .

١٤ – عبد الرّحمن بن محمد بن حسين السكسكى البُرَيهى[2] التعزّى أحد الفضلاء باليمن، برع فى الفقه واللغة ، ثم حجّ فلما رجع مات وهو قافل فى ثالث المحرّم .

١٥ – عبد[3] الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن على بن الشمس بن العلاّمة تقى الدّين القلقشندى المقدسى سبط العلائى ، حفظ عدّة كتب واشتغل على والده وغيره ، وفضل

---

(١) عبارة « ابن عبد الله بن محمود بن يوسف بن تمام » ساقطة من هـ .

(٢) ربما كان ذلك منسوبا إلى بريه – بالضم ثم بالفتح ثم ياء ساكنة – وهو نهر بالبصرة فى شرق دجلة كما جاء فى مراصد الاطلاع ١٩٢/١ .

(٣) راجع ترجمته مطولة عما بالمتن فى الضوء اللامع ٣٢٩/٤ ، ويلاحظ أن هذه الترجمة غير واردة فى نسخة هـ .

وتميّز وتمهّر إلى أن صار عينَ الشافعيّة ببلده وبيده الخطابة مشاركا لغيره ؛ قال ابن قاضى شهبة فى طبقاته : « وكتب بخطّه على فتوى تدلّ على كثرة استحضاره وجوْدةِ تصرّفه ، ولمّا سكن الهروىّ هناك اتصل بينهما شرور كثيرة ومرافعات ، وقوى الهروى عليه » . مات فى آخر هذه السنة عن نحو خمسين سنة .

١٦ ـ عبد الوهاب بن نصر الله بن حسّون[١] الفوى نزيل القاهرة ، تاج الدين أخو ناظر الخاص ، وُلد سنة ستين وسبعمائة وباشر بجاه أخيه كثيراً من الوظائف مثل نظر الأوقاف والأحباس وتوقيع الدستووكالة بيت المال ونيابة كاتب السرّ فى الغيبة وخليفة الحكم الحنفى ، وكان يحبّ العلم والعلماء ويجمعهم عنده ويتودّد لهم . مات فى ثالث عشر جمادى الآخرة ، وكان أبوه حيًّا فورثه[٢] مع أولاده .

١٧ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز النويرى ثم المكىّ ، القاضى عز الدين بن القاضى محبّ الدين بن القاضى جمال الدين بن أبى الفضل العقيلى الشافعى ، وُلد سنة أربعٍ أو خمسٍ وسبعين ، واشتغل وهو صغير ، وناب لأبيه فى الخطابة والحكم ، واستقلّ بعد وفاته فى رمضان سنة تسع وتسعين إلى أنْ صُرِف فى ذى الحجة سنة[٣] ستّ وثمانمائة بالشيخ جمال الدين بن ظهيرة ثم وليها مراراً ، ثم استقرّت بيده الخطابة وغيرها ؛ وانفرد جمال الدين بالقضاء ، فلما مات سنة تسع عشرة استقر العزُّ فى الخطابة ونظر الحرم والحسبة حتى مات عزّ الدين فى هذه السنة فى ربيع الأول ، وكان مشكور السّيرة فى آخر[٤] أمره ، والله يعفو عنه .

١٨ ـ محمد بن أبى بكر بن على المكىّ ثم الزَّبيدى ـ بفتح الزاى ـ جمال الدين

---

(١) أشار الضوء اللامع ٥/٤٩٠ ، ه ، إلى أنه « ابن حسن » كما يقال له « حسون » .

(٢) أمامها فى هامش ه : « تبرع بميراثه لولد ولده ، رحمهم الله أجمعين » .

(٣) فى ه « سنة ثمانى مائة » .

(٤) فى ه « غالب » .

النويرى المصرى، وُلد بالدروَة[1] من صعيد مصر سنة تسع وأربعين ونشأ بها ، ثم سكن مكة وصحب القاضى [أبا الفضل[2] النويرى] ، وسمع من عزّ الدين بن جماعة واشتغل قليلاً ؛ وكان حسنَ التلاوة طيب الصّوْت ، ثم دخل اليمن بوساطة القاضى أبى الفضل رسولاً من مكة إلى السلطان واتّصل بالأشرف صاحبها فحظى عنده ودنا منه ، وتولّى حسبة زبيد ثم تركها لولده الظّاهر ؛ وكان حسن الفكاهة فقرب من خاطره وصار ملجأً للغرباء لاسيما أهل الحجاز ، واستمرّ فى دولة النّاصر بن الأشرف على منزلته بل عظم قدره عنده ، وكان ذا مروءة وتودّدٍ ونوادر ومزاح ، وقد تزوّج كثيراً جدا على ما أخبرنى به ؛ وهو أخو صاحبنا نجم[3] الدين المرجانى . مات الجمال المصرى فى ذى القعدة وخلّف عشرين ولداً ذكراً[4] .

١٩ — محمد بن على بن جعفر البِلاَلى[5] نزيل القاهرة ، الشيخ شمس الدّين ، وبلالة[6] من أعمال عجلون ، نشأ هناك وسمع الحديث واشتغل بالعلم وسلك طريق الصوفية وصحب الشيخ أبا بكر الموصلى ، ثم قدم القاهرة فاستوطنها بضعًا وثلاثين سنة ، واستقر فى مشيخة سعيد السعداء مدة طويلة مع التواضع الكامل والخلق الحسن وإكرام الوارد . صنّف « مختصر الإحياء » فأجاد فيه وطار اسمه فى الآفاق ورُحِل إليه بسببه ، ثم صنّف تصانيف أخرى ، وكانت له مقامات وأوراد وله محبّون معتقدون ومبغضون منتقدون . مات فى رابع عشر شوال وقد جاوز السبعين .

---

(١) فى ز ، هـ « الدورة » ، والصحيح ماأثبتناه بعد مراجعة القاموس الجغرافى ق٢ ، ج٢ ص١٦٠ حيث ذكر أنها من القرى القديمة ، واسمها الأصلى « دروة » بفتح الدال والراء والواو ، وقد ترد فى بعض المراجع الجغرافية بالذال والألف المقصورة فى النهاية ، كانت فى الأصل من أعمال الجيزة وظلت هكذا حتى الوقت الذى مات فيه صاحب الترجمة .

(٢) فراغ فى نسخ الإنباء ، والإضافة من الضوء اللامع ٧/٤٣٣ .

(٣) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٧/٤٣٤ ، كما سترد ترجمته فى سنة ٨٢٧ .

(٤) جاء بعد هذا فى نسخة ز ، الترجمة التالية : « محمد بن سليمان بن محمد البغدادى الأصل الصالحى نزيل القاهرة ، شمس الدين . ذكره المؤلف فى معجمه » ، هذا وقد ترجم له السخاوى فى ضوئه ٧/٦٤٤ ، وذكر أن مولده كان فى حدود سنة ٧٥٠ ، ثم نقل ماقاله عنه ابن حجر فى معجمه من أنه « كان حسن الإدراك فى وزن الأدب ، كثير المحفوظ للشعر خصوصا الحكم ، ثم سكن القاهرة بعد الثمانين واستمر بها حتى مات فى شوال سنة عشرين » .

(٥) الضبط من الضوء اللامع ٨/٤٣٩ .

(٦) يلاحظ أنه قد ورد التعريف ببلدة « بلالية » وليس ببلالة فى Dussaud : op. cit. p. 434. بأنها تقع شرق تل الصالحية .

٢٠ ـ محمد بن على بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن حمزة ، عز الدين بن العلاء بن البهاء بن العزّ بن التقىّ سليمان المقدسى الحنبلى ، وُلد سنة أربع وستين وسبعمائة ، وعنى بالعلم وسمع على ست العرب بنت محمد بن الفخر وغيرها ، ومهر فى الفقه والحديث، وأخذ عن ابن رجب وابن المحب ، وكان يذاكر بأشياء حسنة وينظم الشعر ، ولما وقف على « عنوان الشرف » لابن المقرئ أعجبه فسلك على طريقته نظماً حسب اقتراح صاحبه مجد الدين عليه ، فعمل قطعة أوّلها :

أَشَار المَجْدُ مُكْتَمِلَ المَعَانِى   بِأَنْ أَحْـذُو عَلَى حَـذْوِ اليمانى

وحفظ « المقنع » ، وناب فى القضاء عن صهره شمس الدين النابلسى ثم استقلّ به ، ثم عُزِل بابن عبادة فأكثر المجاورة بمكة ، ثم وَلِى المنصب بعد موْت ابن عبادة[1] فلم تَطُلْ مدّتُه ومات عن قربٍ فى ذى القعدة ؛ ودرّس بدار الحديث الأشرفية بالجبل ، وكان ذكيًّا فصيحا ، وكان آخر عمره عَيْنَ الحنابلة .

٢١ ـ محمد بن محمد بن عُبادة بن عبد الغنى بن مَنْصور ، الحرّانى الأصل ، الدمشقى الحنبلى ، شمس الدين ، اشتغل كثيرا ، وأخذ[2] عن زين الدين بن رجب ثم عن صاحبه ابن اللّحّام ، وكان ذهنُه جيّداً وخطُّه حسنًا ، ثم تعانى الشهادة فمهر وصار عيْنَ أهلِ البلد فى معرفة المكاتيب من حسن خطٍّ ومعرفة ، وكان حسن الشكل بشوشَ الوجه حسن الملتقى ، وَلِىَ القضاء بعد اللنك مراراً بغير أهلية فلم تُحْمَد سيرته ، وكثرت فى أيامه المناقلات فى الأوقاف وتأثّلَ لذلك مالاً وعقاراً ، وكان عريًّا عن تعصّب الحنابلة فى العقيدة . مات فى رجب وله سبْعٌ وخمسون سنة وقد غلب عليه الشيب .

٢٢ ـ موسى[3] بن على بن محمد المناوى ثم الحجازى الشيخ المشهور المعتَقَد ، وُلد سنة بضعٍ وخمسين ونشأ بالقاهرة وعَنِىَ بالعلم على مذهب مالك وحفظ « الموطَّأ » وكُتُبَ

---

(١) أنظر الترجمة التالية رقم ٢١ ، وكذلك ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٠ ، والنعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج ٢ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) عبارة « وأخذ عن . . . . . ثم تعانى الشهادة » فى السطر التالى ساقطة من ھ .

(٣) ورد اسمه فى نسخة ھ « محمد بن على بن محمد المناوى » وهو خطأ يصححه ما ورد فى الضوء اللامع ١٠/٧٨١ .

ابن الحاجب الثلاثة ، وبرع فى العربية، وحصّل الوظائف ثم تزهّد وطرح ما بيده من الوظائف بغير عوض، وسكن الجبل وأَعْرض عن جميع أُمور الدنيا وصار يقتاتُ مما تنبته الجبال ولا يدخل البلد إلاّ يوم الجمعة ثم يمضى ؛ ثم توجّه إلى مكة سنة سبعٍ وتسعين وسبعمائة فسكنها تارةً والمدينة تارة على طريقته ، ودخل اليمن فى خلال ذلك وساح فى البرارى كثيراً، وكاشَفَ وظهرت له كرامات كثيرة ، ثم فى الآخر أَنِس بالنّاس إلاّ أنه يُعْرَض عليه المال الكثير فلا يقبله ثم يأْمر بتفرقته على من يعيِّنه لهم ولا يلتمس منه شيئًا ؛ وقد رأَيْتُه بمكة سنة خمس عشرة وقد صار من كثرة التخلّى ناشف الدماغ يخلط فى كلامه كثيراً لكنْ فى الأَكثر واعى الذّهن ، ولا وقع بيده كتابٌ إلاّ كتب فيه ما يقع له سواءٌ كان الكلام منتظمًا أَم لا ، وربمّا كان حاله شبيه حال المجذوب ، وكان يأْخذ مِن بعض التجار شيئًا بثمن معيّن وينادى عليه بنفسه حتّى يبيعه فيوفى صاحب الثمن وينفق على نفسه البقيّة ، ولم يكن فى الغالب يقبل من أَحدٍ شيئًا ، وكان يكاتب السلطانَ فمَن دونه بالعبارة الخشنة والرّدْع الزائد . مات فى شهر رمضان وقيل فى شعبان .

٢٣ – مهنى بن عبد الله المكى ، من كبار الصلحاء ؛ مات بمكة .

٢٤ – نعمان بن فخر بن يوسف الحنفى ، شرف الدين ، وُلد سنة ثلاثٍ وأَربعين ، وكان والده عالمًا فأَخذ عنه ، وقدم دمشق وجلس بالجامع[1] بعد اللنك للاشتغال ودرّس فى أَماكن ؛ وكان ماهراً فى الفقه بارعًا فى ذلك . مات فى شعبان .

٢٥ – يحيى النُّجَيلْ[2] ، أَصْلُه من نجيلة زهران من ضواحى مكة فأَقام بمكة يتعبّد حتّى اشتهر ومات فى هذه السنة .

٢٦ – يوسف بن عبد الله البوصيرى نزيل القاهرة ، أَحدُ من يعتقده النّاس من المجذوبين . مات فى سادس عشرى شوال ، ويَحكى بعض أَهل القاهرة عنه كرامات .

(١) يقصد الجامع الأموى بدمشق .

(٢) فى هـ « البجيلى » ولكن صحح الإسم وضبط على منطوقه فى مراصد الاطلاع ١٣٦١/٣ حيث قال : « النجيل : تصغير النجل ، من أعراض المدينة من ينبع » .

سنة احدى وعشرين وثمانمائة

استهل العشر الثالث[1] من المائة الثامنة والخليفة المعتضد داود ، والسلطان المؤيد شيخ ، وملك اليمن الناصر أحمد بن الأشرف ، وأمير مكة حسن بن عجلان ، وأمير المدينة غُرَيْر[2] ابن هَيَازع ، وأمير بلاد قرمان محمد بك بن على بن قرمان ومرقب، وما معها كَرشْجِى ابن عثمان، وملك الدشت وصراى أيدكى[3]، وملك تبريز وبغداد قرا يوسف، ونائبه ببغداد ابنه محمد ، وملك فارس وخراسان وهراة وسمرقند شاه رخ بن اللنك ، وملك تونس وما معها من المغرب أبو فارس ، وسلطان الأندلس ابن الأحمر ؛ وأمير تلمسان [أبو[4] عبد الله محمد من بنى زيان] ، وأمير فاس [أبو[5] سعيد عثمان بن أحمد المرينى] .

* * *

وفى ثالث المحرم زوّج السلطانُ أُستاداره ببعض أمّهاتِ أولاده بعد ان أعتقها فعمل لها مُهِمًّا عظيما ذبح فيه ثمانيةً وعشرين فرسًا وغير ذلك،وكان إذ ذاك قد ابتدأ به المرض فلم ينتفع بنفسه .

وفى أول هذه السنة ركب أَلْطَنْبُغَا الجكمى نائب دَرَنْدة على حسين بن كبك فتقنطرت[6] فَرسه فقُبِض عليه وقُتل ، ونزل ابن كبك على ملطية فحاصرها فبلغ السلطان ذلك فكتب إلى البلاد الشامية أن يُخرِجوا العساكر إلى قتال حسين بن كبك .

* * *

(١) فى هـ « المبارك » .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ٦/٥٣٠ .

(٣) أمامها فى هامش ث : « أيدكى لم يكن ملكا بمعنى أنه السلطان بتلك البلاد بل كان أميراً كبيراً مشاراً إليه تخشاه سلاطين تلك البلاد فليحرر بعده حتى يظهر » .

(٤) فراغ فى جميع النسخ .

(٥) فراغ فى جميع النسخ .

(٦) أمامها فى هامش هـ : « لايقال تقنطر بالنون ، إنما يقال تقطرت بغير نون ، قال فى القاموس تقطر فرسه أقطره وتقطر به : ألقاه على قطره ، انتهى . وقطره بالضم ناحيته وإنما كتبت ذلك لتكرر هذا اللفظ فى هذا الكتاب بالذات » .

وفى اليوم الرابع من المحرم صلى السلطان الجمعة بالجامع الطولونى فخطب به القاضى الشافعى وكان قد طلع ليخطب به فى القلعة على العادة فوجد السلطانَ قد ركب قبل الأذان لصلاة الجمعة ، فتبعه فدخل الجامعَ الطولونى ، فدخل قاعة الخطابة فوجد خطيب الجامع – وهو ولد ابن النقاش – قد تهيّأ ليخطب ، فتقدم هو وصعد المنبر وحصل بذلك للخطيب قهر .

* * *

وفى الثالث من جمادى الأُولى قتل حسين بن كبك ، وذلك أن تغرى بردى الجكمى هرب من المؤيد من كَخْتَا فأَقام بملطية عند نائبها الأَمير منكلى بغا ، فسار حسين بن كبك إلى ملطية فحاصرها ، وهرب تغرى بردى إلى حسين بن كبك فأَكرمه ، ثم سار حسين إلى أَزربيجان وتغرى بردى فى صحبته ليحاصر – بزعمه – صاحبها ، فغدر تغرى بردى بحسين وهما جالسان يشربان ، فضربه بسكين فى فؤاده فمات وهرب إلى مَلَطْيَة ، ثم توجّه إلى حلب فجهّزه نائبها إلى المؤيّد وأعلمه بما صنع ، فأَكرمه وخلع عليه إقطاعًا وخيلاً وأَمَر الأُمراءَ أَن يخلعوا عليه ، فحصل له شئ كثير .

* * *

وفى الخامس من المحرّم توجّه السّلطانُ إلى وسيم فأَقام هناك نحو العشرين يومًا ، ثمّ رَجع فنزل بالقصر الغربى بمنبابة[١] وأمر الوالى أن يشعل البحر ، فحصَّل من قشور النّارنج والبيض ومن المسارج شيئًا كثيراً إلى الغاية وعمّرها بالزيت والفتايل[٢] وأوقدها وأرسلها فى الماء ، ثم أَطلق فى غضون ذلك من النّفط الكثير فكانت ليلةً عجيبةً مرَّ فيها من الهزل والسّخف ما لا عَهْدَ للمصريين بمثله[٣] ، وكان الجمع فى الجانبين من الناس المتفرجين متوَفِّرا ، وفى البحر من المراكب جمعٌ جم .

وفى سادس عشرى المحرم قُبِض على يَلْبُغَا المظَفَّرى أَمير سلاح واعتُقل بالإسكندريّة ، وذلك أنّ بعض الناس وشى به إلى السلطان فتخيّل منه فقبض عليه .

وفى الثامن والعشرين من المحرّم نودى بالقاهرة أنّ كلَّ غريب يرجع إلى وطنه ، فاضطربت الأَعاجمُ وسعوا فى منعه إلى أن سكن الحال واستقروا .

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « تارة يسميها هكذا وتارة أنبوبة ، ولو قال إمبابة موافقة لما تشهر به بين الناس لاستراح ».

(٢) فى ز « القناديل » .

(٣) أمامها فى هامش هـ : « قلت على أنهم من أكثر الناس سخفاً وهزلا فهذا من الإغراق فى وصف هذه الليلة » .

وفى رابع صفر وُسِّط قُرْقُمَاس ــ نائبُ كختا ــ فى جماعة خارج باب النصر وكانوا مِمَّن أُحْضِر صحبةَ السلطان فى الحديد .

وفى سادس صفر عاد السلطانُ أُستادارَهُ فى مرضه فقدّم له خمسةَ آلاف دينار ، وتوجَّهَ من بيته إلى بيت ناظر الخاص فقدّم ثلاثة آلاف دينار ، ولما[1] دخل عليه المؤيّد بقاعة جلوسه مدّ له سماط إلى النهاية وفيه الملوخية البدْرية ــ ولم يكن السلطان رآها فى هذه السنة ــ فأعجبه ذلك ، ثم إنَّه فتح له الخزانة المتعلِّقة بالخاص ففرّق شيئا كثيراً من السَّمُّور والوَشْق والسنجاب والمخمل والصوف وغير ذلك مما قيل إنّ قيمته خمسة آلاف دينار .

***

وفى هذا الشهر شرع السلطان فى تَنَقُّص سعر الذهب ، فنودى عليه فى عاشر صفر أن تكون الهرجة بمائتين وثلاثين، والأفلورى بمائتين وعشرين، وأن تحط الفضة المؤيدية فتصير بسبعة دراهم كل نصف ، فماج الناس وكثر اضطرابهم فلم يلتفت إليهم واستمر الحال . ثم أمر الوالى ــ وهو المحتسب ــ أن يطلب الباعة وتحط أسعار المبيعات بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة .

وفى نصف ربيع الأول جمع الوالى الباعة وأصعدهم إلى القلعة، فقرّر معهم جقمق الدويدار أن يكون الدرهم المؤيّدى هو المُتعَامَل به دون الذهب والفلوس ، ويكون هو النقد الرائج، وأن لا يأخذ التاجر فى كل مائةٍ يشترى بها شيئا ويبيعه عن قرب إلا درهمين ، وبطل من يومئذ النداءُ فى الأسواق بالدراهم من الفلوس وصار النداءُ بالدراهم بالفضة المؤيدية .

وفى أول صفر عاد السلطان الأمير الكبير من مرضٍ وقع له ، ثم رجع إلى بيت جقمق الدويدار فأقام به إلى آخر النهار .

وفى شهر ربيع الأول قدم علاءُ الدين محمد الكيلانى الشافعى من بلاد المشرق فزار الإمام[2] الشافعى ثم رجع فاجتمع بالسلطان ، وكان قد وُصف بفضلٍ زائد وعلم واسع فلم

(١) العبارة من هنا حتى قوله : « قيمته خمسة آلاف دينار » س ٧ ، غير واردة فى هـ .

(٢) يعنى أنه زار قبر الإمام الشافعى .

يظهر لذلك نتيجة ولم يظهر له معرفة إلا بشيء يسير من الطب ، فكسد سوقه بعد أن نفق وتولّى ناكسا خاملاً .

وفى رابع عشره إنتَقَضَ ألمُ السلطان برجله .

* * *

وفى هذا الشهر كاتب أهل طرابلس السلطانَ فى سوء سيرة عاملهم ــ وهو بردبك الخليلى ــ وتجاوزه الحد فى الظلم وتَرْكِ امتثال مراسيم السلطان ، فأرسل يطلبه ومنعه أهل طرابلس من الدخول وكان قد خرج للصيد ، فقدم القاهرة فى آخر ربيع الأول فقُرر فى نيابة صفد بعد أن قدّم مالاً جزيلاً بعناية زوج ابنته جقمق الدويدار .

وفيه قام أهل المحلّة على واليها ورجموه بسبب مبالغته فى طلب الفلوس ونزح كثير منهم إلى القاهرة ، ووصل الذهب عندهم إلى سعر مائتين وسبعين من غير هذه الفلوس ، واشتدّ الأمر فى طلبها .

وفيه أنكر السلطان على القاضى جلال الدين البلقينى بسبب كثرة النواب ، فبادر البلقينى فعزل من نوابه ستة عشر نفساً ، ثم أُمِرَ بالتخفيف منهم فعَزل منهم أيضاً أربعين نفسا ، ولم يتأخر منهم سوى أربعة عشر نائبا ، ووقعت لأحد النواب الذين بقوا ــ وهو سراج الدين الحمصى ــ كائنةٌ فى حُكْمٍ حَكَمَ به وعُقِدَ له مجلس فنقض حكمه[1] وتغيب ، والسبب فيه أن القمنى أراد ارتجاع بستان المحلى الذى بالقرب من الآثار ، فرتّب الأمر مع كاتب السر والقاضى علاء الدين بن المغلى ــ وكان صديقه ــ ، فلما حضر القضاة وأهل الفتيا أظهر السلطانُ التعصُّب فسألنى عن القضية وقال : « أنت تعرف الحال أكثر من هؤلاء ! » ، فذكرْتُ له جلية الأمر باختصار ، فبادر الحنفى ابن الديرى وحكم بنقض حكم الحمصى ، ثم قدم شمس الدين الهروى من القدس فأكرمه السلطان ، وأنكر على بعض القضاة عدم ملاقاته وشَكَرَ من لاقاه وسلّم عليه ، فانثالت عليه الهدايا والتقادم وأُجريت له رواتب .

---

(١) أمامها فى هامش ه « لم نعرف من هذا كيف كان حكم الحمصى » .

وفى ربيع الأول مات الشريف على نقيب الأشرف فاستقر بعده فى النيابة ولده حسن ، وفى نظر الأشراف فخرُ الدين الأستادار ، وكان أبَلَّ من مرضه .

وفيه وقع فى الغربية مطر عظيم ، وفيه برد كبار زنة الحبة منه مائة درهم ، تَلِفَتْ منه زروع كثيرة آن حصادها حتى أن مكانا فيه ثمانمائة فدان تلف عن آخره ، وماتت أغنام كثيرة لوقوعه عليها .

وفيه أُفْرِج عن سُودُون الاَسَنْدَمُرِى بسجن الإسكندرية .

وفى الثانى من جمادى الأُولى قُبض على أرْغون شاه الوزير وسُلم للأُستادار وكذلك آقْبُغَا شيطان الوالى فتَتَبَّع حواشيهما وأسبابهما .

واستقر على بن محمد الطبلاوى فى ولاية القاهرة عوضا عن آقبغا ، ومحمدُ بنُ يعقوب الشامى فى الحسبة عوضاً عنه ، وبدرُ الدين بنُ محب الدين فى الوزارة عوضا عن أرغون شاه ، وأُفرِج عن أرغون شاه فى عاشر جمادى الأُولى ، ثُمَّ خُلع عليه أميرَ التركمان بالشام فسار فى جمادى الأُولى .

فلما كان يوم الأَحد سابع عشرى جمادى الأُولى مُنِع القاضى جلال الدين من الحكم بسبب شكوى جماعةٍ للسلطان — لما نَزَل إلى الجامع بباب زويلة — من ابن عمه شهاب الدين العجمى قاضى المحلة وذلك فى يوم السبت سادس عشريه ، فشغَر المنصب يوم الأَحد والإثنين ، فلما كان يوم الثلاثاء إستقر شمس الدين الهروى فى قضاء الشافعية بالقاهرة ونزل معه جقمق الدويدار وجماعةٌ من الأُمراء والقضاة وحَكَمَ بالصالحية على العادة ، وكان الهروى قدَ قدم قبل ذلك فى آخر ربيع الأَول ، فبالغ العجم فى التعصب له وتلقَّاه بعضهم من بلبيس وبعضهم من سرياقوس ، ونزل أولا بتربة الظاهر على قاعدة الأُمراء ، ثم طلع إلى القلعة صباحاً وسَلَّم على السلطان يومَ الأَحد مستهل ربيع الآخر ، ولما استقرت قدم الهروى فى القضاء راسل البلقينى فطلب منه المال الذى تحت يده مِن وقف الحرمين فامتنع ، وكان استأْذن السلطانَ صبيحةَ عزْلِه : هل يدفع المال للهروى أم لا ؟ فأَمره أن يتركه تحت يده .

وكان البلقينى – لمّا استقرّتْ قدمه بعد سفر الإخنائى إلى الشام فى سنة ثمان وثمانمائة – قد ضبطَ مالَ الحرمين وجعله فى موضعٍ من داره ، فتأخر فى هذه المدة نحو خمسة آلاف دينار ، فصَعُب على الهروى مَنْعُه من التصرف فى ذلك ، وظهر لمن اطّلع على ذلك من حواشى السلطان أنه غير مؤتَمَنٍ عند السلطان وإنما أراد بولايته نكايةَ البلقينى .

وفى العشرين من جمادى الآخرة عَرض الهرويُّ الشهودَ وأقرَّهم ولم يستنب سوى عشرة ، ثم زاد عددهم قليلا قليلا إلى أن بلغوا عشرين ، واستمر يركب بهيئته بملبس العجم ، ولم يَخْطُب بالسلطان على العادة واعتذر بعُجْمَةِ لسانه ، فاستناب عنه ابن تمرية[1] – وكان يخطب بمدرسة حسن – فوصفه الأمير ططر للسلطان فأذن له فى النيابة عن الهروى ، وباشر الهروى القضاء بصرامةٍ شديدة واحتجابٍ زائد ، ثم مدَّ يده إلى تحصيل الأموال فأرسل رجلا من أهل غزة[2] يقال له « نصف الدنيا » إلى الصعيد ومعه مراسيم بعلاماته ، وقَرَّر على كل قاضٍ شيئاً فمَنْ بَذَله كتب له مرسومه ، ومن امتنع استَبْدَلَ به غيرَه ، فكثر فُحْشُ القول فيه ، ثم فَوَّض إلى الأعاجم – مثل العيْنتابى وابن التبانى ويحيى السيرامى وشمس الدين القرمانى – الذى عمل قاضى العسكر – قضاءَ بلاد اختاروها ، فاستنابوا فيها وقرروا على النواب أن يحملوا[3] لهم شيئا معينا ، وأرسل إلى الوجه البحرى آخراً على تلك الصورة ؛ ثم تَصدَّى للأوقاف سواء كان مما يشمله نظره أم لا ، ففرَض على مَنْ هى بيده شيئا معلوماً ، وصار يطلب من الناظر كِتَاب الوقف فيحضره له فيحبسه حتى يحضر له ما يريد ، فترك كثيرٌ منهم كُتبَ أوقافهم عنده حتى عُزِل فاستخلصوها .

* * *

وفى أول هذه السنة حاصر إبراهيم بن رمضان طرسوس واستمر محاصرا لها أربعة أشهر وأكثر ، فكاتب نائبُها شاهينُ الأيدكارى السلطانَ لينجدَه ، ويعلِمُه بأنه بلغه بأن

---

(١) هو محمد بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن محمد السمنودى القاهرى الشافعى المقرئ ، ولد قبل الثمانين وسبعمائة ، وصحب كثيراً من علماء عصره وفقهائه ومحدثيه ، وولى الخطابة بمدرسة السلطان حسن وبجامع بشتاك ، وقرأ عليه الكثيرون ، وكان موته سنة ٨٣٧ ، راجع الضوء اللامع ٧/٤٧٠ .

(٢) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « أظنه من الخليل لامن غزة » .

(٣) فى ه « يعملوا » .

محمد بن قرمان عزم على التوجه إلى طرسوس ، فلما كان فى الخامس عشر من رجب نازل محمد بن قرمان طرسوس فانتمى إليه إبراهيم بن رمضان المذكور،فبلغ ذلك السلطان فأرسل إلى حمزة بن إبراهيم المذكور يقرُّه فى مكان أبيه فى نيابة أدنة ، وحَرَّض نائبَ حلب على اللحاق بشاهين الأيد كارى بطرسوس . ووقع بين أهل طرسوس وابن قرمان حربٌ شديدة، فاتفق أن ثار بمحمد بن قرمان وجع باطنه فاشتد عليه فرحل عنها فى سابع شعبان .

وفيها تواقع على بن ذلغادر وأخوه محمد ، فانتصر محمد وانهزم على ، فأدركه يَشْبُك نائب حلب فأضافه محمد وقَدَّم له وحلف له على طاعة السلطان .

وفيها أوقع تَنبكْ نائبُ الشام بعرب آل على قريباً من حمص ، [1] فنَهب منهم ألف جمل وخمسمائة جمل ، فباع الردئ منها وجَهَّز البقية ــ وهى ألف وثلاثمائة ــ إلى السلطان .

وفيها استنجد نائب ملطية بالسلطان فكتب إلى نائب طرابلس أنه يتوجه بعسكرها نجدة له ، وأرسل إليه مالاً كثيرا يعمر به خانا وقيساريةً وطاحوناً وزاويةً ويوقف ذلك عليها ، وجملة المال أربعون ألف دينار .

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة قُرر شهاب الدين أحمد الأُموى فى قضاء دمشق عوضا عن عيسى المغربى[2] المالكى .

وفى سادس عشره ضُربت عنق المقدم على بن الفقيه أحد المقدمين بالدولة بعد أن ثبت عليه ما يوجب إراقة دمه .

وفى جمادى الأُولى أَوقع سُودُونُ القاضى ــ كاشفُ الوجه القبلى ــ بعرب بنى فزارة ونَهب أموالهم ، وقَتل منهم خلقا كثيراً فهرب مَن نجا منهم إلى البحيرة ، فتلقاهم دمرداش نائب الكشف بالوجه البحرى فاستأصلهم ونهب أموالهم فانحسم أمرهم .

---

(١) حدث بعد هذا خطأ فى ترتيب أوراق مخطوطة هـ .

(٢) كانت وفاة شهاب الدين الأموى سنة ٨٣٦ ، انظر عنه ، رفع الإصر لابن حجر ، وابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٥٥ ، ، أما عيسى المغربى فلم أجد له فيما بين يدى من معاجم التراجم ما يفصح عنه.

وفيه سُجن جَارْقُطْلِى نائبُ حماة بالإسكندرية .

وفيه توجه الأُستادار فخر الدين إلى الوجه القبلى وخيم بالجيزة ، وسار فى طوائف كثيرة من العربان والمماليك ، وشرع فى تتبع العربان المفسدين ، فلما انتهى إلى هوارة فروا منه فتَتَبَّعهم إلى قريب أُسوان فقاتلوه فقَتَل منهم نحو المائتين وانهزم البقيةُ إلى جهة الواح الداخلة .

وفيها فى جمادى الأُولى نُقل شاهين الزَّرْدَكَاش من الحجوبيّة بدمشق إلى نيابة حماه ، ونُقِل بَلْبان[1] من نيابة حماة إلى الحجوبية بدمشق .

وفيه خُلع على علىّ بن أَبى بركة الجَرْمى[2] أَمير الجرم واستقر على عادته .

* * *

وفيه جهز السلطان إلى نائب الكرك نواب القدس والرملة وغزة ليجتمعوا معه على كبس بنى عقبة[3]، وأَسرّ إلى نائب غزة أَن يقبض على نائب الكرك، وكان السلطان غضب عليه لكونه لم يخرج لملاقاته حين عاد من بلاد الروم، فقبضوا عليه فى جمادى الآخرة وحُمل إلى دمشق فسُجن بها .

وفى الثالث والعشرين من ربيع الآخر إستقر برسباى الدقماق -أحد مقدمى الأُلوف بالقاهرة- فى نيابة طرابلس عوضاً عن بَرْدْبك نقلا من كشف التراب ، ونقل بردبك إلى نيابة

---

(١) هو بلبان المحمودى المتوفى سنة ٨٣٦ .

(٢) وذلك نسبة إلى بنى جرم ، وقد أورد القلقشندى فى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٢٠٦ - ٢١١ ، جماعات كثيرة منهم ، وذكر أن بعضهم من القحطانية والبعض الآخر من العدنانية ، والأرجح أنهم الفريق الذى جعل أصله بطنا من طئ القحطانية ، وأشار إلى أن الحمدانى جعل بلادهم غزة والداروم مما يلى الساحل إلى الجبل وبلد الخليل ، وأنهم جاءوا إلى مصر بعد أن فتح صلاح الدين الأيوبى القدس وإن تأخر جماعة منهم بالشام ، ورجح القلقشندى تعريف الحمدانى على تعريف ابن خلدون ، لأن الحمدانى - فى رأيه - « كان مهمنداراً ومن شأنه معرفة العرب الواصلين إلى الأبواب السلطانية » ، ثم عاد فكرر هذا النقد لابن خلدون فى كتابه صبح الأعشى ١/٣١٨ .

(٣) هناك أكثر من بنى عقبة ، منهم بطن من جذام ، وأخرى من كندة ، وكلتاهما قحطانية ، وثالثة بطن من بنى هلال ، وهم عدنانية ، أما البطن التى من جذام فهم بنو عقبة بن مخرمة بن جزام ، « وديارهم من الكرك إلى الأزلم فى برية الحجاز ، وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من بلاد الشام » كما قال القلقشندى فى نهاية الأرب ، ص ٣٦٤ نقلا عن ابن خلدون ومسالك الأبصار للعمرى .

صفد، وأُعطِى فخرُ الدين الأُستادار إقطاعَ برسباى ، وأُعطى بدر الدين الوزير إقطاعَ فخر الدين ، ثم اعتُقل برسباى بقلعة المرقب فى شعبان كما سيأْتى ، وهو الذى آل أمره إلى استقراره فى السلطنة بعد خمس سنين .

* * *

وفى هذا الشهر كُتب محضر المئذنة المقدم ذكرها وهدمت وأُغلق باب زويلة بسبب ذلك ثلاثين يوما ، ولم يقع منذ بنيت القاهرة مثل ذلك .

وفى جمادى الأُولى تحرك عزم السلطان على الحج وقويت همَّته فى ذلك ، وكتب إلى جميع البلاد بذلك وأمرهم بتجهيز ما يحتاج إليه ، وعَرض المماليك الذين بالطباق وعَين منهم مَن يسافر معه إلى الحج وأخرج الهجن ، وجهّز جُملة من الغلال فى البحر إلى ينبع وجدّة ، فركب إلى بركة الحبش فعرض الهجن فى شعبان ، ثم ركب إلى قبة النصر ومرّ فى شارع القاهرة [1] وبين يديه الهجن عليها الحلى والحلل ، وجَدَّ فى ذلك واجتهد إلى أن بلغه عن قرا يوسف ما أزعجه ، ففترت همته عن الحج ورجع إلى التدبير فيما يَرُدُّ قرا يوسف عن البلاد الشامية ، وأمر بالتجهيز إلى الغزاة .

وأرسل فى ثانى رمضان ببيع الغلال المجهزة إلى الحج ، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى قريبا .

* * *

وفى حادى عشر جمادى الأُولى وُلد للسلطان ولد اسمه موسى ، فأَرسل مرجان الخزندار مبشرا به إلى البلاد الشامية ، فكان فى حركته سبب عزل القاضى نجم الدين بن حجى قاضى الشافعية بدمشق ، وذلك أنه لمّا وصل إلى دمشق أعطاه كل رئيس ما جرت به العادة ولم ينصفه القاضى الشافعى فيما زعم ، فلما رجع فى شعبان أغرى السلطان به ونَقل له عن النائب أنه يشكو من القاضى الشافعى المذكور ، وأنه سأله فى حكومة فغضب بسببها

---

(١) لم نستطيع أن لتحقق من تفسير المقصود من ذلك ، على أن لفظ « شارع القاهرة » يرد عند غير ابن حجر من المؤرخين ، أنظر على سبيل المثال الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٢ من تحقيقنا إياه .

وبادر بعزل نفسه ، فلما تحقق السلطان ذلك غضب عليه لكونه بادر بعزل نفسه بغير استئذان ، وكتب إلى النائب بحبسه بالقلعة . واستمرت دمشق شاغرةً عن قاضٍ إلى أوائل شوال ، فاستُعْطِفَ السلطانُ عليه حتى رضى عنه وأعاده ، ومات موسى بن السلطان المذكور فى ليلة[1] [أول] شوال .

وفى سادس عشر جمادى الأُولى دخل السلطان المرستان المصورى وصلى فى محراب المدرسة أولا ركعتين ، وكان الشيخ نصر الله أخبره أنه رآى النبى صلى الله عليه وسلم جالساً فى المحراب المذكور والسلطان قُدَّامه يقرأُ عليه سورة « والضحى » ، ثم دخل إلى المرضى فتفقّد أحوالهم ، ثم إلى المجانين، فقام إليه ذلك الشخص الذى تقدم[2] فى سنة تسع عشرة أنه ادَّعى أنه يرى الله عزوجل فى اليقظة وثبت عند المالكى أنه مختل العقل فسجن بالمرستان، فكلم السلطانَ لما رآه وسأَله أن يفرج عنه فلم يجبه .

وكان السلطان فوَّض أمر الأَوقاف إلى مسعود الكججاوى الذى تقدم ذكره فى أخبار تمرلنك ، وكان من جملة أعوان الهروى ثم وقع بينهما وصار يؤلب عليه ويذكر معايبه ، وتصادق مع ابن الديرى عليه ، ثم دَسَّ الهروى إلى أحمد الجيلى ورقةً يذكر فيها أنه ثبت فى جهة البلقينى لجهة الأَوقاف والأَيتام مائة ألف دينار ، فعرضها أحمد على السلطان وشَنَّع على البلقينى ، فاستعظم السلطان ذلك وبحث عن القضية إلى أن تحقق أنها من اختلاق الهروى فأَعرض عن ذلك .

وفى الثالث من جمادى الأُولى قدم طائفة من أهل الخليل فشكوا إلى السلطان من الهروى وأنه أعطى بعضهم بيضاً وألزمه بعدده دجاجا ، فأَرسلهم السلطان إليه وأمره أن يخرج لهم مما يلزمه فلم يصنع شيئا ، وتمادى على غيِّه فأَغضى السلطان عنه ولزم فيه غلطه .

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ١٠/٧٧٣ أنه مات « يوم » الأحد سلخ رمضان .

(٢) راجع ماسبق ص ٩٩ .

وفى أول شعبان وجد السلطان فى مجلسه ورقةً فيها شعر وهو[١] :

يا أيُّهَا المَلِكُ المُؤيَّدُ دَعْوةً
مِنْ مُخْلِصٍ فِي حُبِّه لَكَ يَنْصَحُ
أُنْظُرْ لِحَالِ الشَّافِعِيَّةِ نظْرةً
فالقَاضِيَانِ كلاَهُمَا لاَ يَصْلُحُ
هَـذَا أقاربُه : عَقَاربُ ، وابْنُه
وأخٌ وصِهْرٌ فِعْلُهُم مُسْتقْبَح
غَطُّوا مَحاسِنَهُ بِسُوءِ[٢] صنيعهم
ومَتَى دَعَاهُمْ للهُدَى لا يُفْلِحُ
وأخُو « هَرَاةَ » بِسِيرَةِ اللَّنْكِ اقْتَدَى
ولَهُ سِهَامٌ فِي الجَوَارِح تَجْرَحُ
لا دَرْسُه يُقْرَى ، وَلاَ أَحْكَامُهُ
تُدْرَى ، ولا حِينَ الخطَابَةِ يُفْصِح
فافرجْ هُمُومَ المُسْلِمِينَ بِثَالِثٍ
فَعَسَى فَسَادُ مِنْهُمو يُسْتَصْلَحُ

فعرضها السلطان على الجلساء من الفقهاء الذين يحضرون عنده فلم يعرفوا كاتبها ، وطارت الأبياتُ ، فأمّا الهروى فلم ينزعج من ذلك ، وأما البلقينى فقام وقعد وأطال البحث والتنقيب عن ناظمها ، فتقسمت الظنون واتُّهِمَ شعبان الآثارى — وكان مقيما بالقاهرة — وتقى الدين بن حجة ، وشخصٌ ينظم الشعر من جهة بهاء الدين المناوى أحد نواب الشافعى وغيرُهم[٣] ، وكانت هذه الأبيات ابتداء سقوط الهروى من عين السلطان ، وكانت قد أعجبت السلطانَ حتى صار يحفظ أكثرها ويكرر قوله « أقاربه عقارب » .

(١) جاءت العبارة التالية أمام هذا الشعر فى ث : « قال العينى رحمه الله فى تاريخه : وبعضهم نسبها إلى الشيخ شهاب الدين بن حجر ، والظاهر أنه هو . إنتهى » .

(٢) فى ه « بقبح » .

(٣) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « وشيخنا المصنف بل حقق أكثر العارفين أنها له بقياس . . » ثم أربع كلمات غير مقروءة .

فلما كان فى رمضان قرئ البخارى بالقلعة على العادة ، فحضر الهروى وقد اختلق لنفسه إسناداً ليقرأ عليه به صحيح البخارى ، وأرسل إلى القارئ - وهو شمس الدين الجيتى - فتناوله منه وهو من أهل الفن فعرف فساده فاقتضى رأيه أن جامله ، فلما ابتدأ بالقراءة قال بعد أن بسمل وحمدل وصلى ودعا وبالسند إلى البخارى ، فاستحسن منه ذلك وخفى على الهروى قصده ، وظن أنه نسى الورقة ، وتمادى الحضور ، والسلطان تارةً يحضر وتارةً لا يحضر ، إلى أن افتقد القاضى الحنبلى فسأل عن سبب تأخيره فعرّفه كاتب السر أنه يزدرى الهروى ويسلبه عن العلم ولا سيما الحديث ، فأذن السلطان للبلقينى فى حضور مجلس الحديث فحضر[1] وجلس فما أظنه جلس تحته بل ولا فوقه ، ويمكن أن يكون جلس من جانب السلطان الآخر بجانب الهروى ، فلما بلغ ذلك القاضى الحنبلى حضر أيضا وتجاذبا البحث ، وحضر مع البلقينى كثيرٌ من أقاربه ومحبّيه ، فصار يركب فى موكبٍ أعظم من الهروى ، وتحامى كثيرٌ من النواب الركوبَ مع الهروى خوفا من البلقينى ومما يقاسونه من السب الصريح من أتباعه ، فتقدم الهروى إلى النواب والموقعين بأن من لم يركب معه فهو ممنوع ، فتحامى كثير من النواب النيابة عنه وأصرّ آخرون ، فوقع لواحد منهم - يقال له عز الدين محمد بن عبد السلام المنوفى - بحث مع البلقينى ، فسطا عليه وسأل المالكى أن يحكم فيه ، فاستدعى به إلى بيته وحكم بتعزيره فعُزّر ومُنع من الحكم ؛ ثم وقع لآخر منهم - يقال له شهاب الدين الشيرجى - فأوسل إليه البلقينى يطلبه إلى بيته فامتنع منه واعتصم بالهروى ، ثم حضر الخَتْم فلم يحضر البلقينى ، وخُلع على الهروى وعلى بقية القضاة ، فامتنع الديرى من لبس خلعته لكونها دون خلعة الهروى فاستُرْضِىَ فرضى .

فلما كان فى التاسع عشر من ذى الحجة حضر السلطان فى خاصته فى جامعه بباب زويلة واجتمع عنده القضاة فتناقش كل من القاضيين : الهروى والديرى ، وخرجا عن الحد فى السباب والفحش فى القول ، ثم سكّن السلطانُ ما بينهما فسكنا .

وكان السبب فى ذلك أنهما اجتمعا للسلام على السلطان بعد رجوعه من الوجه البحرى ، فتباحثا

---

(١) العبارة من هنا حتى قوله « من جانب السلطان الآخر » ، فى السطر التالى ، غير واردة فى هـ .

فى شئ ، فنَقل الهروى نقلاً باطلاً وعزاه لتفسير الثعلبى ، فاستشهد الديرى بمن حضر على ذلك وجمع التفاسير وأحضرها ليطلع بها إلى القلعة ، فاتّفق حضور السلطان بالجامع ، فأعاد البحث فأخرج النقل بخلاف ما قال الهروى فجحد فاستشهد عليه من حضر فلم يشهد أحد ، فسأل السلطانُ مِنَ الفقير إلى الله تعالى كاتِبهِ ومن القاضى المالكى عن حقيقة ذلك فأخبراه بصدق ابن الديرى ، ثم أخرج ابن الديرى عدة فتاوى بخط الهروى كلها خطأ ، فجحد[1] أن يكون خطه ، فحلف الديرى بالطلاق الثلاث أن بعضها خطه ، وانفصل المجلس على أقبح ما يكون .

* * *

وفى ثالث جمادى الآخرة وُشِى إلى السلطان بالأمير جقمق الدويدار وأنه مخامرٌ على السلطان ، وأنه يكاتب قرا يوسف منذ كان السلطان بكخْتا ، وكان الواشى بذلك رجل يقال له ابن الدربندى ، وكان قد اتصل بالسلطان من الطريق فجهزه إلى الحج بحسب سؤاله ، فلما رجع ادعى أنه ينصح السلطان وأن جقمق استدعاه ليرسله برسالة إلى قرا يوسف جوابا عن كتابٍ حضر إليه ، فأعلن السلطانُ جقمقَ بذلك ولم يسمّ له الناقل ، فقلق قلقا عظيما وكاد أن يموت غما ، واستعطف السلطان حتى أعلمه بالناقل فطلبه منه فسلّمه له ، فاعترف بأنه كذب عليه بتسليط بعض الأُمراء عليه ، وأحضر من بيته وتدا مجوّفاً بالحديد من رأسه ، فى طيّه كتاب رق لطيف مكتوب بالفارسية بماء الذهب جوابا عن الأمير جقمق لقرا يوسف ، فطلب جقمق الخياطين وأراهم الوتد فعرَفه بعضُهم وقال : « نعم أنا خرطت هذا لشخص عجمى ولم يعطنى أُجرته إلى الآن ! » فأحضر المذكور وعَرَفه ، ثم تتبعوا من يكتب بالعجمى واتهموا الشيخ نصر الله إلى أن ظهرت براءة ساحته ، وعُثر على عجمى كان ينزل فى مدرسة العنتابى ثم مرض فحمل إلى المارستان فهُدِّد فاعترف أن الكتاب بخطه وأن ابن الدربَنْدِى هو الذى أملاه عليه ، وادعى ابن الدربَنْدِى أن الذى ألجأه إلى ذلك الأمير أَلْطَنْبُغَا الصغير بُغْضاً منه فى جمقق ، فغُرِّق الدربندى فى النيل ونفى الشيخ

(١) يعنى بذلك الهروى .

الذى استعمل الوتد إلى قوص ومات الكاتب عن قرب بالمرستان وبرئت ساحة جمقق عند السلطان ، ولم يتغير ما بينه وبين أَلْطَنْبُغا لتحققه كذبَ ابن الدربندى ، واشتد غضب جمقق من طائفة العجم - فرسم عن إذن السلطان - بتسييرهم إلى بلادهم ، وشدَّد فى ذلك حتى ألزم مَن بالخوانق وبالمدارس بالسفر فضجوا ، وتعصب لهم الهروى وغيره ولم يزالوا يستعطفون السلطان إلى أن أهمل أمرهم .

* * *

وفى ثامن جمادى الآخرة قدم فخر الدين الأُستادار من الصعيد وصحبته عشرون ألف رأس من الغنم سوى ما تلف ، وألف وثلاثمائة رأس رقيق ، وثلاثة آلاف رأس بقر ، وتسعة آلاف رأس جاموس ، ومن القند والعسل شئ كثير جدا ، فقُوِّم عليه جميع ذلك بمائة ألف دينار والتزم بالقيام بها .

ثم بعد مجيئه من الصعيد طاعت هوارة فى ألف فارس وألفى راجل فكبسوا على سُودُون القاضى الكاشف - وكان عنده حينئذ إينال الأزعرى أحد مقدمى الألوف - فتواقعوا ، فبلغ ذلك السلطانَ فأرسل نجدةً عظيمة فيها : جقمق الدويدار وططر رأس النوبة وأَلْطَنْبُغَا المَرْقَبى وقَطْلُوبُغَا التَّنَمى فى جَمْع كثير فتوجهوا ، فوجدوا الأَميرين قد انتصرا وقد قتل منهم جماعة ، وكانت الدائرة على هوارة فانهزموا وحُمــل منهم عشرون رأساً إلى القاهرة ، ثم وصل الأُمراءُ فَتَتَبَّعوا هوارة إلى أن أوقعوا بهم أيضاً فقتلوا منهم نحو الخمسين ، وهرب باقيهم إلى الواحات الداخلة وتركوا حريمهم وأموالهم ، فغنموا منهم شيئا كثيرا ، وَقدموا القاهرة فى ثامن شعبان وصحبتهم ألفا جمل وإثنا عشر ألف رأس غنم سوى ما تلف وسوى ما توزّعه الأُمراءُ وأتباعهم ، وجهز أَزْدُمُر الظاهرى - أحد المقدمين - فى عدةٍ من العسكر للإقامة ببلد الصعيد بسبب العربان المفسدين .

* * *

وفيها مات إبراهيم بن الدربَنْدِى صاحب بلاد الدست فتوجه قرا يوسف إليه فى ستة آلاف فارس إلى « شماخى » ، فواقعه ابن إبراهيم فى عساكر الدست فهزمه وقتل منه ناس كثير ، وتوجه ابن تمرلنك إلى جهة تبريز لمحاربة قرا يوسف - فاشتغل قرا يواسف بمادهمه

من ذلك ، فمشى قرايلك إلى ماردين – وهى من بلاد قرا يوسف – فكسر عسكرها وقتل منهم نحوا من سبعين نفساً وأخذ من بلادهم ثمانى قلاع ومدينتين ، وحوّل أهل اثنتين وعشرين قرية بأموالهم وعيالهم ليسكنوا ببلاده ، واستمر على حصار ماردين .

فلما بلغ ذلك قرا يوسف إنزعج منه وسار إليه ففرّ منه إلى آمد فتتبّعه ونازله بها فانهزم منه إلى قلعة بحم ، وأرسل إلى نائب حلب يستأذنه فى الدخول إليها ، فاشتد الأمر على أهل حلب خوفاً من عسكر قرا يوسف وتهيئوا للخروج منها ، وأرسل نائب حلب كتابه و كتاب قرايلك بما اتّفق من قرا يوسف ، وفيه أن قرا يوسف كبس قرايلك بعد أن عدى الفرات ووصل إلى نهر المرزبان فهجموا عليه من سميساط ، فوقعت بينهم مقتلةٌ بمرج دابق فى ثانى عشر شعبان ، فانهزم قرا يلك ونُهبت أمواله ونجا فى ألف فارس إلى حلب ، فأذن له نائبها فى دخولها فرحل أكثر أهل حلب عنها ، وبلغ ذلك أهلَ حماة فنزحوا عنها حتى ترك كثير من الناس حوانيتهم مفتحة لم يُمْهَلُوا لقفلها .

فلما قرئ ذلك على السلطان إنزعج وانثنى عزمه عن الحج وأمر بالتجهيز إلى الشام ، وكتب إلى العساكر الإسلامية بالمسير إلى حلب ، و كان وصول الخبر بذلك فى يوم الاثنين ثالث شعبان بعد المغرب على يد بردبك نائب عينتاب ، وذكر أن ولد قرا يوسف وصل إلى عينتاب فرمى فيها النار فهرب النائب منها ، وأن السبب فى ذلك تحريض يَشْبُك الدويدار الذى كان أميرَ الحاج وهرب[1] من المدينة ، ويقال إنه اتصل بقرا يوسف وأغراه على أخذ الممالك الشامية ، ثم ظهر أن ذلك ليس بحق .

فلما اجتمعوا سألهم عن البلقينى – وكان قد أمرهم بأن يحضر – فعرف بأنه لم يبلغ ذلك ، فانزعج على بدر الدين العينى لكونه كان رسوله إليه واستمر ينتظره إلى أن حضر ، فلما حضر عظمه فقص عليهم قصة قرا يوسف وما حصل بأهل حلب من الخوف والجزع وجَفْلتهم هم وأهل حماه حتى بلغ ثمن الحمار خمسمائة درهم والأكديش خمسين دينارا ، ثم ذكر لهم سوء سيرة قرا يوسف وأن عنده أربع زوجات ، فإذا طلق واحدة رفعها إلى قصر له وتزوج غيرها حتى بلغت عدة من فى ذلك القصر أربعين امرأة يسميهن السرارى ويطأهُنّ

(١) راجع ما سبق ، ص ١٣٥ .

كما يطأ السرارى بملك اليمين ، ثم اتّفق الحال على كتابة فتوى تتضمن سوء سيرته ، فصُوّرت وكُتِبَت ، وكَتَب عليها البلقينى ومَن حضرَ المجلس يتضمن جواز قتاله ، وأُعْجِب السلطانُ بما كتبه الحنبلى فأمر أن يُنْسَخ ويُقْرَأ على الناس ، وانصرفوا ومعهم مقبل الدويدار الثانى والخليفةُ والقضاةُ فنادوا فى القاهرة بأن « قرا يوسف طرقَ البلاد الشامية ! وأنه يستحلّ الدماء والفروج والأموال ويخرّب الديار ، فالجهاد !! الجهاد !! ، ولا يتأخر أحد من المساعدة بنفسه وبماله » ، فذهل الناس عند سماع هذا النداء ودهاهم ما كانوا عنه غافلين ، واشتد القلق جدا .

وكُتب إلى نائب الشام أن ينادى بمثل ذلك فى كل مدينة ويضيفَ إلى ذلك أن السلطان واصلٌ بعساكره ، ثم نودى فى أجناد الحلقة بأن يتجهزوا للسفر ، ومن تأخر منهم صُنع به كذا وكذا ؛ فاشتد الأمر عليهم واستمر عزمهم وخُيّرُوا بين المشى فى خدمةِ الأُمراء وبين الاستمرار فى أجناد الحلقة ، وكان السبب فى ذلك أن كثيرا من أجناد الحلقة تخدم فى بيوت الأُمراء فلذلك قلت العساكر المصرية بعد كثرتها ، لأن العسكر كانت قبل الدولة الظاهرية ثلاثة أقسام[1] ، الأول : مماليك السلطان وهم على ضربين : مستخدمين ومملوكين ، ولكلٍّ منهم جوامك ورواتب على السلطان .

والقسم الثانى : مماليك الأُمراء وهم على ضَرْبين أيضا كذلك .

ومن شرط المستخدمين هنا وهناك أن لا يكونوا من القسم الثالث وهم أجناد الحلقة ، وهم عبارة عمن له إقطاعٌ بالبلاد يستغلّه ، فلما كثر استخدام السلطان والأُمراء من أجناد الحلقة إتخذ[2] أكثرُ الناس من الجند فقَلَّ العدد بذلك . فأراد السلطان أن يردهم إلى عادتهم الأُولى وشدد فى ذلك ، ومع ذلك فلم يبلغ الغرض ولا كاد لتواطئ المسلمين فى ذلك على أخذ الرشوة ، والله المستعان .

وأما قرا يلك فإنه بعد أن التجأ إلى حلب ركب معه يشبك الشيخى نائب حلب وعسكرَ بالميدان ، ثم توجه قرا يلك ومعه العسكر فبلغه أن طائفة من عسكر قرا يوسف قد

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « التعريف بأصناف العسكر المصرى » .

(٢) وردت هذه العبارة فى ه على الصورة التالية : « اتخذ أكثر الجند فقل العدد بذلك » .

قربت من البلاد ، فركب قبيل الصبح فأوقع بالمقدمة فهزمها ، واستفهم من بعض مَنْ أسره فأعلمه أن قرا يوسف بعينتاب ، وأنه أرسل هؤلاء ليكشفوا الأخبار ، ثم وردت كتب قرا يوسف إلى نائب حلب وإلى السلطان يعتذر من دخوله إلى عينتاب ويعاتب على إيواء عدوه قرايلك ويُعْلِمُ السلطانَ بأنه باق على مودته ومحبّته وأنه لا يطرق بلاده ، وأن قرا يلك بدأه بالشر وأفسد فى ماردين وغيرها ، وحلف فى كتابه أنه لم يقصد دخول الشام وإنما يُقْدِمُه إليه الطائفةُ الملتجئة من عساكر صاحب مصر .

وجهّز السلطان لنائب حلب خلعة وضَمّن كتابه شكره على ما صنع بحلب ، وكان الأمر كله على ما ذكره فإنقرا يلك أفحش السيرةَ فى ماردين وأسرف فى القتل والسبى حتى باع الأولادَ والنساء وأحرق المدينة حتى وصل ثمن صغير منهم إلى درهمين ، فلما تحقق السلطان ذلك فتر عزمه عن السفر .

ولما طرق قرا يلك عينتاب هجمعليها عسكره فنهبوها وأحرقوا أسواقها ، فاجتمع أهلها وصالحوهُ على مائة ألف درهم وأربعين فرسا ، فرحل عنها إلى جهة ألبيرة فى طلب قرا يلك ، فحصر ألبيرة فقاتله أهلها يومين فهجم البلد وأحرق الأسواق وامتنع أهلها منه بقلعتها ، ثم رحل فى تاسع عشر رمضان إلى بلاده وكاتب السلطان أيضا يذم قرايلك ويذم سيرة قرا يلك ويحذره من عواقب صداقته وما أشبه ذلك ، وعوقب قرايلك على ما صنعه بأهل عينتاب وألبيرة ، فمات ولده شاه بصق -وكان هو السلطان المشار إليه فى دولة والده- فحزن عليه جدا ، وكانت وفاته بقرب ماردين .

* * *

وفى هذه الحركة إبتدأ أمر الهروى فى الانحلال ، فأخبرنى المحتسب بدر الدين العينى أن السلطان لما انزعج من قصة قرا يوسف وحكى إلى خواصه صورة الحال وأنَّ عنده من الأموال ما يكفى تفرقته على العسكر إلا أنه يخشى إنْ فَرّقه أن يحصل له كسرة مثلا فيرجع إلى غير شئ فيفسد الحال ، وكان الحزم عنده أن يكون وراءه بعد التفرقة ذخيرة لأمرٍ إن تَمَّ ، وكرر ذلك فى مجالسه واستشار من يجتمع به فى ذلك ، حتى صرح بأنه يريد أن

يجمع مالاً يفرقه على العساكر ويترك الذى عنده عاقبة ولو أن الذى يجمعه يكون قرضا ، فبلغ ذلك الهروى فقال لأحمد الجنكى : « لو أراد السلطان أن أجهز له عشرة آلاف نفس من غير أن يخرج من خزانته دينارا ولا درهما ، ومن غير أن أظلم أحداً من الرعايا فأنا أقدر على ذلك » فسئل عن الكيفية فقال : « يسلم لى ستة أنفس : ولدَىْ ابن الكويز ، وابن البارزى ، وعبد الباسط ، وابن نصر الله ، وابن أبى الفرج » فبلّغ ذلك أحمد الجنكى للسلطان فبثّها فى خواصه فبلغت المذكورين ، فاتفقت كلمتهم على نكبة الهروى ونسبته إلى كلّ بلية ، وأنه لم يكن قط عالما ولا ينسبونه لعلم ولا ولى القضاء قط ، وما وظيفته إلا استخلاص المال وسدّ الديون ونحو ذلك ، وبالغوا فى تقرير ذلك فى ذهن السلطان ، واستعان كل واحد منهم بفريقٍ وأعانوه على ذلك حتى سقط من عين السلطان ، وذكر لهم السلطان بأنه كان قال له وهو متوجه إلى قتال قَنْبَاى : « إن أردت المال فخذه من ابن المزلق وابن مبارك شاه » وسَمّى غيرهما من المنسوبين إلى المال من أهل دمشق ، فأكّد ذلك عند السلطان تصديق ما ينسب إليه من حُبّه للظلم ، وكان ذلك سببا فى اطراحه .

* * *

وفى حال دخول قرا يوسف البلاد الحلبية فرمنه كثير من التركمان الأوشرية ونزلوا على صافيتا من عمل طرابلس ، فأفسدوا فى تلك البلاد على عادتهم ، فأرسل إليهم برسباى نائبَ طرابلس ينهاهم عن الفساد ، ثم صحّت الأخبار برحيل قرا يوسف فراسله برسباى فى الرحيل إلى بلادهم فأجابوا إلى ذلك وتجهزوا ، فكبس عليهم على غِرّة منهم فى أواخر شعبان فقتل منهم مقتلةً عظيمة قتل فيها ثلاثة عشر نفسا من عسكر طرابلس ، منهم : سودون الأَسَنْدُمُرى ، وانهزم برسباى ، وقد أفحش التركمان فى سلب الطرابلسيين حتى رجعوا عراة . فلما بلغ السلطان ذلك غضب وأمر باعتقال برسباى بقلعة المرقب ثم أفرج عنه بسعى ططر – وكان من إخوته – ونقله إلى دمشق ، ثم أعطاه تقدمةً بها فاستمر فيها إلى أن كانت عاقبة أمره أن تولّى السلطنة بعد هذا واستبد بالأمر كله بعد ثلاث سنين ، وجهز سودون القاضى إلى طرابلس أميراً عليها عوضا عنه فسافر فى شوال ،

ولما وصل قرا يوسف – فى رجوعه – إلى ماردين مات ابنه الأصغر ، فيقال إنه من شده حزنه عليه قال كلاما شنيعا ، وسيأتى بيانه فى سنه ثلاث وعشرين إن شاء الله تعالى .

ولما رجع قرا يوسف إلى تبريز غضب على ولده اسكندر واعتقله ، وأرسل[1] إلى ولده الأكبر محمد شاه صاحب بغداد وكان عصى عليه فصالحه .

* * *

وفى شوال قدم جربغا –دويدار يشبك نائب حلب–وصحبته شهاب الدين أحمد بن صالح ابن محمد بن السفاح كاتب سر حلب باستدعاء السلطان لهما بشكوى النائب ، فوقفا بحضرة السلطان فتنصّلا مما نسب إليهما ، وشكيا من النائب بأضعاف ما شكا منهما ، فأمر جربغا بالاستقرار على وظيفته وسُفِّر إلى حلب ، واستَعْفى ابن السفاح من العود خوفاً على نفسه فأُعفى واستقر فى خدمة كاتب السر على توقيع الدّست .

وفى تاسع عشر ذى الحجة قدمت أم إبراهيم بن رمضان من بلاد الشرق تستعطف السلطان على ولدها ، فأمر السلطان باعتقالها فاعتُقِلت ، وعَرض أجناد الحلقة فانْتَقى[2] منهم مَن يصلح للسفر صحبةَ ولده ، وكان قد عزم على تجهيزه إلى بلاد ابن قرمان لِما تقدّم من صَنيعهِ بطرسوس ، وكان أهل طرسوس بعد رحيل محمد بن قرمان عنهم قد كاتبوه بأن يرسل إليهم عسكرا ليسلموا إليه نائبهم شاهين الأيدكارى لسوء سيرته فيهم ، فأرسل إليهم ولده مصطفى ، فقدم فى رمضان ، فأخذ المدينة وحصّن القلعة حتى أخذ شاهين فأرسله إلى أبيه فى الحديد .

* * *

وفى أول جمادى الآخرة توجّه نائبُ حلب فى عساكره ومَن أطاعه من التركمان إلى قلعة كركر ليحاصرها ، فتحصّن خليل نائبها فى القلعة وجلا أكثر أهل كركر عنها ، فأقام عليها أربعين يوما ورعى كرومها وأحرقها وحرق القرى التى حولها حتى تركها

(١) فى ز « وأرسله » .
(٢) فى هـ « فأبق » .

بلاقعَ ، ولم يزل كذلك حتى فقد عسكره العليق ، فرجع إلى حلب ولم يتمكن من أخذ قلعة كركر .

* * *

وفى أول جمادى الآخرة شرع السلطان فى بناء المارستان بجنب القلعة ، فأمر بتنظيف التراب والحجارة التى بقيت من هدم المدرسة الأشرفية وتمادى العمل فى ذلك مدة.

وفى شعبان[1] بعد كسر الخليج غرق ولدٌ لبعض البياعين فأراد دفنه ، فمنعه أعوان الوالى حتى يستأذنه ، فمضى فاستأذنه فأمر بحبسه ثم قيل له وهو فى الحبس : « إنك لاتُطْلَق حتى تعطى الوالى خمسة دنانير » فالتزم بها وخرج فباع موجوده وما عند امرأته أمِّ الغريق ، فبلغ أربعة دنانير واقترض دينارا آخر وأخذ ولده فدفنه وترك المرأة وهرب من القاهرة ، فبلغ ذلك السلطان فساءه جدا وطلب ابن الطبلاوى الوالى المذكور فضُرب بحضرته بالمقارع فى الخامس من شوال ولم يعزله ، واستمر فى الولاية إلى أن كان ماسنذكره فى السنة الآتية .

* * *

وفيها حاصر محمد بن قرمان طرسوس وانتزعها من نوّاب المؤيد ، وكان المؤيد انتزعها من التركمان ، وكانوا استولوا عليها بعد فتنة اللنك ، فبلغ ذلك المؤيدَ فجهز عسكرا ضخما وأرسل معهم ولده إبراهيم فخرجوا فى أول السنة المقبلة .

* * *

وفى هذه السنة انتهت زيادة النيل إلى عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا وذلك أنه كان يوم النيروز ، وكان يومئذ سادس عشرى رجب قد انتهى إلى إصبع من تسعة عشر ، ثم نقص نصف ذراع ثم تراجع إلى أن كانت هذه غايته ، وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك ، ولما أسرع هبوط النيل بادر كثيرٌ من الناس إلى الزرع قبل أوانه ، فصادف الحر الشديد ففسد أكثره بأكل الدود ، فارتفعت أسعار القمح والفول والبرسيم بسبب

---

(١) فى هامش ه « عجيبة فى الظلم والرشوة » .

ذلك ، وعز وجود التبن حتى بلغ الحمل دينارا ، وكان قبل ذلك كل خمسة أحمال بدينار ، ثم ارتفعت الأسعار فى ذى الحجة وقَلَّ وجود الخبز فى الأسواق ، وبلغ سعر الفول ثلاثمائة كلُّ أردب لعِزَّته ، ولم يبلغ القمح سوى مائتين وخمسين .

وفى تاسع شعبان نودى أن لايتعامل الناس بالدّينار المشخص الإفرنتى إذا كان ناقصاً ، وكان سبب ذلك أن الإفرنتى ـ زنة المائة منه ـ أحد وثمانون مثقالا وربع مثقال ـ هكذا يحضر من بلاده ـ فولع به الصيارفة وغيرهم ، فصـاروا يقصّونه ويبردونه إلى أن استقر حال المائة بثمان وسبعين وثُلث . وانتظم الحال على ذلك فكان فى الكثير منها نقص فاحش بحسب ما بيع حين القص من جور المِقَصّ ، ففسدت المعاملة جدا ؛ فنودى أن لا يتعامل بالناقص عن درهم وثُمْن بل ينقص رَدْعًا لهم من القص ، فمشوا على ذلك شيئا يسيرا ثم رجعوا إلى ما كانوا عليه .

* * *

وفى أوائل شعبان عظم الشر بين فخر الدين الأُستادار وبدر الدين بن نصر الله وتفاحشا بحضرة السلطان ، ورمى ابنُ نصر الله فخرَ الدين بعظائم منها أنه قال له : « أَكْثَرُ مَا تَمنّ به على السلطان حَمْل المال إليه ، وجميع ذلك مما يعرف يصنعه قطاع الطريق ، ولولا الدين لكنت أصنع كما تصنع بأَنْ أرسل غارةً على قافلة من التجار فأُبيتهم فيصبحوا مقتولين وآخذ أموالهم ، ونحو ذلك من القبائح !! » فلم يكترث السلطان بذلك وأصلح بينهما .

فلما كان يوم التاسع من شعبان قُبض على بدر الدين وسُلم لفخر الدين فما شك أحد فى هلاكه ، فعامله فخر الدين بضد ما فى النفس وأكرمه وقام له بما يليق به وأرسل إلى أهله بأن يطمئنوا عليه ، وركب من الغد إلى السلطان ـ وهو ببركة الحبش يعرض الهجن لأجل الحج ـ فلم يزل به يترقّق له ويتلطّف به ويلح عليه فى السؤال فى أن يفرج عن ابن نصر الله إلى أن أجابه ، فلما عاد أركبه دابته إلى داره فبات بها وركب فى بكرة النهار الثانى عشر منه إلى القلعة ورجع وقد خُلع عليه ، فسر الناس به سرورا كثيرا ، وعدت هذه المكرمة لابن أبى الفرج واستُغْرِبَتْ من مثله .

وفى الثالث من ذى القعدة قُبض على بدر الدين بن محب الدين الوزير الذى كان يقال له المشير ، وتسلمه أبو بكر الأُستادار بعد إخْراقٍ شديدٍ وإهانة ، وكان قد سار فى الوزارة سيرةً قبيحة وتُتُبِّعَتْ حواشيه فقُبِض عليهم ، ثم أُفرج عنهم على مال ، وقُرِّر فى الوزارة بدر الدين بن نصر الله وأُعْطِى تقدمةَ ألف ، فنزل الأُمراءُ فى خدمته وسُرّ الناس وضربت الطبلخاناة فى آخر النهار على بابه ، ولم يقع ذلك لصاحب قلمٍ تزيا بزى التركية من المتعممين قبله ، بل الذين وصلوا إلى ذلك من ذوى الأَقلام غيّروا هيئاتهم ولبسوا عمائم الترك سوى هذا ، وقد تبعه مَن بعده على ذلك ماسنبينه فى الحوادث إن شاء الله تعالى .

* * *

وفى رمضان أُكملت عمارة المدرسة الفخرية بين السورين وقُررت فيها الصوفية ، وفُوضت مشيختها للشيخ شمس الدين البرماوى ، ودرْس الحنفية للقاضى شمس الدين الديرى ، ودرس المالكية للقاضى جمال الدين المالكى ، ودرس الحنابلة للقاضى عز الدين البغدادى ثم المقدسى الذى ولى عن قرب تدريس الحنابلة بالمؤيدية ، ولم يستطع فخرالدين الأُستادار الحضور عند المدرسين لشدة مرضه ، وتمادى به الأَمر إلى أن مات فى سادس عشر شوال ودفن بها فى فسقيةٍ اتخذت له بعد موته . واستقر فى الأُستادارية نائبه فى الكشف على الوجه القبلى : أبو بكر بن قطلوبك بن المزوق ، وكان زوج أُخته ، فسكن فى داره ، واستقر فى نظر الأَشرف عوضا عنه كاتبُ السر ابنُ البارزى . وأوصى فخر الدين بجميع موجوده للسلطان وعيّنه فى دفاتر اشتملت قيمتها مابين عينٍ وأثاثٍ على أربعمائة ألف دينار ، فتسلمها أصحاب السلطان ولم يُشَوِّش على أحد من أولاده ، وإنما صودر بعض حاشيته على مال وأُطلقوا .

وفى شوال حضر القضاة القصر الكبير وقد لبس الأُمراءُ والمباشرون الخلع على العادة ، ولبس القضاة خلعهم إلا الحنبلى ، فسلموا على السلطان فتغيظ على الحنبلى لعدم[1] لبس

(١) فى هامش ث : « الذى يظهر لى أن الحنبلى إنما لم يلبس خلعته وأخرها لأجل اعتماده على المديح الذى نظمه فى السلطان حتى إذا أنشده ورآه بغير خلعة يلبسه خلعة ويتميز بها على غيره ، فجاء الأمر على خلاف مقصده ، والله أعلم » .

خلعته وقال له : « إن العادة جرت أن القضاة يحضرون معهم بخلعهم » فقال : « ظننت أنه يخلع عليهم من عند السلطان فلم أحضر بخلعتى » فلم يعجب ذلك السلطان ، وكأنه أراد تلافى خاطره فاستأذنه فى إنشاد أبياتٍ مدحٍ له فيه ، فأذن له فأنشدهُ وهو قائم ، فأطال فمل منه وقطع الإنشاد وركب الفرس ومضى ، وأظهر النّفار لما ركب .

* * *

وفى حادى عشر ذى القعدة توجه السلطان إلى الوجه البحرى للسرحة وانتهى إلى مريوط ، فأقام بها أربعة أيامٍ فأعجبه البستان الذى هناك ، وكان الظاهر بيبرس قد استجدّه هناك ، وكان كبيرا جدا وفيه فواكه عجيبة وآثار ومناظر بديعة ، وبئر لانظير لها فى الكبر ، وعليها عدة سَوَاقٍ من جوانبها ، وكان البستان المذكور قد صار للمظفر بيبرس ووقفه على الجامع الحاكمى ، فتقدم السلطان إلى بعض خواصه باستئجاره وتجديد عمارته ، فشرع فى ذلك ، ورجع السلطان من الوجه البحرى فأدركه عيدُ الأضحى بناحية وردان[1]، فخطب به كاتب السر ابن البارزى وصلى به صلاة العيد وضحى هناك ، وفقد الناس بالقاهرة ماكانوا يألفونه من تفرقة الأضاحى لغيبة السلطان والأمراء ، والله المستعان .

ووصل فى الثانى[2]عشر إلى البر الغربى فعدى إلى بيت كاتب السرّ ابن البارزى ،

---

(١) وردان من البلاد القديمة بمركز امبابة محافظة الجيزة ، انظر عنها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٣ ص ٦٥ .

(٢) أمامها فى هامش هـ : « قال كاتبه ابراهيم بن عمر البقاعى: وفى نهار السبت وليلة الأحد تاسع شعبان من سنة إحدى وعشرين هذه أوقع ناس من قريتنا خربة روحا من البقاع يقال لهم بنو إبراهيم بأقاربى بنى حسن من القرية المذكورة فقتلوا تسعة أنفس منهم : أبى عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر وأخواه محمد وسويد شقيقه وعلى أخوهما لأبيهما ، وضربت أنا بالسيف ثلاث ضربات أخذتها فى رأسى فجرحتنى ، وكنت إذ ذاك ابن اثنتىعشرة سنة ، فخرجنا من القرية المذكورة واستمرينا تتنقل فى قرى بوادى التيم والرعقوب والشمرا ، إلى أن أراد الله تعالى بإقبال السعادتين الدنيوية والأخروية فنقلنى جدى لأبى على بن محمد السليمى إلى دمشق فى سنة اثنتين وعشرين فجودت القرآن وجددت حفظه وأفردت القراءات وجمعتها على بعض المشايخ ثم على التقى ابن الجوزى حين قدم إلى دمشق سنة سبع وعشرين وغيره ، واشتغلت بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم وكان ما أراد الله من التنقل فى البلاد والفوز بالغزو والحج أدام الله نعمه أمين ؛ ومن ثمرات ذلك أيضا راحة من الحروب والوقائع التى أعقبتها هذه الواقعة فإنها استمرت أكثر من ثلاثين سنة ولعلها زادت عن مائة وقعة كان فيها ما قاربت القتلى فيه ألفا » .

فبات فيه ليلة الثلاثاء ، وطلع إلى القلعة سحراً فوافاه القضاة والأعيان للسلام عليه ، فتكلم الديرى على قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) فنقل الديرى سبب النزول فنازعه الهروى ، وكان بينهما ماسنذكره فى حوادث أول السنة المقبلة .

وفيها استقر القاضى جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم ابن رَوْزَبَة الكازرونى ثم المدنى ، الفقيه الشافعى فى قضاء المدينة الشريفَة مضافاً إلى الخطابة والإمامة ، وصُرف عبد الرحمن بن محمد بن صالح ؛ ومولد الكازرونى فيما قرأتُ بخطّه فى سابع عشر ذى القعدة سنة ٧٥٧ .

* * *

ذكر من مات فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة من الاعيان

١ – إبراهيم بن بابَى – بفتح الموحّدتين – العوّاد المغنىّ[1]، كان مقرَّبًا عند السلطان أبىّ النفْس ، وإليه المنتهى فى جودة الضَّرب بالعود ولم يخلف بعده مثله ، مات ليلة الجمعة مستهل شهر ربيع الأول ببستان الحلِّى وكان قد استأْجره وعمّره[2] .

٢ – أحمد بن أبى بكر بن محمّد الردّاد المكىّ ثم الزبيدى الصوفى ، القاضى شهاب الدين الشافعى ، وُلد سنة ثمان وأربعين . ودخل اليمن فاتَّصل بصحبة السلطان الأشرف إسماعيل بن الأفضل فلازمه واستقرّ من الندماء ثم صار مِن أخصّهم به ، وكانت لديه فضيلة كبيرة ، وكان ناظما ناثرا ذكيًّا إلاَّ أنه غلب عليه حبّ الدنيا والميل

---

(١) على الرغم من أن السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٢ سماه أيضاً بالمغنى وقرر أنه كان مغنى المؤيد شيخ إلا أنه « ذكر أنه لم يكن جيد الصوت بل كان رأسا فى العود وفى فن الموسيقى » ، وأشار إلى أنه كان رومى الأصل ، وأن فى حديثه بالعربية عجمة .

(٢) أورد ابن حجر فى نسخة ظ بعدهذا العبارة التالية : « جترك القاسمى : فى مشترك » وهو يعنى بذلك صاحب الترجمة رقم ٢٧ فى هذه السنة ، ص ١٨٤ .

إلى تصوّف الفلاسفة ، فكان داعيةً إلى هذه البدعة يُعادى عليها ويقرِّب من يعتقد ذلك المعتقَد ، ومَن عرَف أنه حصل له نسخة « الفصوص » قرّبه وأفضل عليه .

وأكثرَ من النظم والتصنيف فى ذلك الضلال المبين ، إلى أن أفسد عقائد أكثر أهل زبيد إلاَّ من شاء الله . ونظْمه وشعره يَنْعق بالاتحاد ، كان المنشدون يحفظون شعره فينشدونه فى المحافل يتقرّبون به إليه ، وله تصانيف فى التصوّف ،وعلى وجهه آثار العبادة لكنه يجالس السلطان فى خلواته ويوافقه على شهواته ، إلاَّ أنه لايتعاطى معه شيئا من المنكرات ولايتناول شيئاً من المسكرات ، وولى القضاء بعد الشيخ مجد الدين بسنتين[١] .

وكان الناصر بن الأشرف ترك القضاء شاغراً هذه المدة ينتظر قدومى[٢] عليه بزعْمه فسعى فيه بعض الأكابر للفقيه الناشرى ، فخشى ابن الردّاد أن يتمكن الناشرى من الإنكار عليه فى طريقته لأن الناشرى من أهل السُّنة وشديدُ الإنكار على المبتدعة ، وكان يواجه ابنَ الردّاد بما يكره والشيخُ مجد الدين يداهنُه ، فبادر إلى طلب الوظيفة من الناصر ، والناصرُ لايفرّق بين هذا وهذا ويظنّ أن ابن الرداد عالِمٌ كبير ، فولاَّه له مع كونه مزجىّ البضاعة فى الفقه عديم الخبرة بالحكم ، فأظهر العصبية وانتقم ممن كان ينكر عليه بدعته من الفقهاء ، فأهانهم وبالغ فى ردْعهم والحط عليهم فعوجل وصاروا يعدّون موته من الفرج بعد الشدّة . ومات فى ذى القعدة وقد سمعتُ من نظمه . أجازنى فى استدعاء أولادى .

٣ ـ أحمد بن على بن أحمد [بن[٣]عبد الله] القلقشندى الشافعى نزيل القاهرة ، تفقَّه وتمهّر وتعانى الكتب وكَتَبَ فى الإنشاء وناب فى الحكم ، وكان يستحضر « الحاوى » ، وكتب شيئاً على « جامع المختصرات » ، وصنَّف كتابا حافلاً سمّاه « صبح الاعشى

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ج ١ ، ص ٢٦١ أنه وليه بعده بثلاث سنوات .
(٢) أى قدوم ابن حجر العسقلانى .
(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٢/٢٥ .

فى معرفة[١] الإنشا » وكان يستحضر أكثر ذلك . مات فى جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة .

٤ ـ آقبغا شيطان كان حسن المباشرة قليلَ الفِسق ، ولى شدّ الدواوين ثم الولاية والحسبة وجمع بين الثلاثة مرة[٢] ، وقُتل فى ليلة سادس شعبان .

٥ ـ أَلْطَنْبُغَا العثمانى ، مات فى ثانى عشرى شوال بطالاً بالقدس .

٦ ـ بَرْدْ بِك الخليلى[٣] نائب صفد ، مات فى نصف شهر رجب .

٧ ـ بَيْسَقْ أمير آخور الظاهرى ، مات بالقدس بطالاً ، وكان الناصر نفاه إلى بلاد الروم فقدم فى الدولة المؤيّد فلم يُقْبِل المؤيّد عليه ، ثم نفاه إلى القدس فمات بها فى جمادى الآخرة ، وله آثار بمكة ؛ وكان كثير الشرّ ، شرس الأخلاق ، جمّاعاً للأموال مع البِرّ والصدقة .

٨ ـ حسين بن على بن محمد بن داود البيضاوى الأصل المكى ، أبو عمر بدر الدين المعروف بالزمزمى ، وُلد قبل السبعين وأجاز له الصلاح بن أبى عمر وابن أميلة وحسن بن الهبل وجماعة من القادمين مكة بعد ذلك ، واشتغل بالعلم ومهر فى الفرائض والحساب ، وفاق الأقران فى معرفة الهيئة والهندسة ، وحدّث باليسير . مات فى ذى الحجة وقد جاوز الخمسين .

٩ ـ حسين[٤] بن كَبَك ، تقدم فى الحوادث .

١٠ ـ خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأَقْفَهْسى المصرى المحدّث المفيد ، يلقّب بصلاح الدين وغرس الدين ، ويكنى أبا الصفا ، ويُعرف بالأشقر ، وُلد سنة ثلاث

(١) الوارد فى الضوء اللامع : « فى قوانين الإنشا » .

(٢) وذلك بالقاهرة .

(٣) ويلقب بقصقا ، وهو بالتركى « القصير » ، راجع الضوء اللامع ٣/٢٥ .

(٤) راجع أيضا ترجمته فى الضوء اللامع ٣/٥٨٦ وانظر ما سبق ، ٩١ .

وستين وسبعمائة تقريباً واشتغل بالفقه قليلاً واشتغل فى الحساب والفرائض والأدب ، ثم أحبّ الحديث فسمع بنفسه قبل التسعين من غرس الدين المليجى وصلاح الدين البلبيسى وصلاح الدين الزفتاوى وأبى الفرج بن العزى ونحوهم من الشيوخ المصريين ، ثم حجّ سنة خمس وتسعين وجاور فسمع بمكة من شيوخها ، ثم قدم دمشق أول سنة سبع وتسعين ليسمع من شيخنا بالإجازة ومن أبى هريرة بن الذهبى ، وكان قد أجاز له جماعة وليس عنده إذ ذاك أشهر من أبى هريرة ، فلما وصل إلى دمشق لقى بها شيخنا بالإجازة شهاب الدين بن العز فأكثر عنه وأخذ عن ابن الذهبى ، وسمع الكثير من حديث السِّلفى بالسّماع المتّصل وبالإجازة الواحدة ، ثم قدم[1] سنة ثمانٍ وتسعين فلازمنا فى فى الأسمعة ، وسافر صحبتى إلى مكة فى البحر فجاور بها ، ثم رحل إلى دمشق مرة ثانية فأقام بها ، ورافقنى فى السماع فى سنة اثنتين وثمانى مائة بدمشق ورجع معى إلى القاهرة ، ثم حجّ فى سنة أربع وجاور سنة خمس فلقيتُه فى آخرها مستمراً على ما أعهده من الخير والعبادة والتخريج والإفادة وحُسْن الخلق وخدمة الأصحاب ، واستمر مجاوراً من تلك السنة إلى أن خرج إلى المدينة ثم توجّه فى ركْب العراق ، ثم ركب البحر إلى كنباية من بلاد الهند ثم رجع إلى هرمز ، ثم جال فى بلاد المشرق فدخل هراة وسمرقند وغيرهما ، وصار يرسل كتبه إلى مكة بالشوق إليها وإلى أهله .

وقد خرّج لشيخنا مجد الدين الحنفى مشيخة ، ولشيخنا جمال الدين بن ظهيرة معجماً ، وخرّج لنفسه « المتباينات » فبلغت مائة حديث ، وخرّج أحاديث الفقهاء الشافعية ، ونظم الشعر الوسط ثم جاد شعره فى الغربة وطارحنى مراراً بعدّة مقاطيع ، ثم بلغنى أنّه مات فى أول سنة إحدى وعشرين بيزد[2] وكان خرج من الحمام فمات فجأةً ، وأرّخه الشريف الفاسى فى سنة عشرين[3] ، والله أعلم .

---

(١) يعنى قدم القاهرة .

(٢) هى من مدن إقليم فارس ، وكانت بعد الفتح المغولى من إقليم الجبال ثم صارت جزء من كرمان ، وكانت تعرف فى القديم باسم كثه بفتح الكاف والثاء ، وذكر ابن حوقل أن بها حصناً له بابان من الحديد ، كما أن القزوينى أشار إلى كثرة من بها من صناع الحرير السندس ، وتشتهر إلى جانب ذلك بالثياب القطنية ، راجع لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨٣ و ٣٢١ و ٣٣١ .

(٣) تردد المقريزى فى أى السنتين مات أفى سنة ٨٢٠ أم فى سنة ٨٢١ .

١١ ـ سارة بنت [ناصر الدين] محمد بن أزدمر ، ماتت فى المحرم .

١٢ ـ سعد الله بن سعد بن على بن إسماعيل الهمدانى ، قدم إلى حلب مع والده وهو شاب وكان أبوه سكن عينتاب ، واشتغل سعد الله هذا فى العلم وتفقه حنفيا ومهر ودرّس فى حلب بمدارس[1] منها ، فاتفق أنه فجأهُ الموت فى رابع جمادى الأُولى وأسف الناس عليه وكانت جنازته حافلة ؛ ذكره القاضى علاءُ الدين فى ذيل تاريخ حلب .

١٣ ـ سليمان بن على [بن أحمد][2] القرشى اليمنى المعروف بابن الحُنَيْد ، سمع على ابن شدّاد وغيره وولى قضاء عدن مدّة . رأيتُه بعدن ومات بها[3] .

١٤ ـ سودون الأسند مرى ، تقدّم فى الحوادث .

١٥ ـ عبد الله بن إبراهيم بن أحمد الحرانى الحلبى ثم الحنبلى ، كان يذكر أنه من ذريّة ابن أبى عصرون وكان شافعيّ الأصل ، ولى قضاء الشغر شافعيا ، وكذا كانت له وظائف فى الشافعية [بحلب][4] ثم انتقل بعد مدّةٍ حنبليًّا وولى قضاء الحنابلة بحلب كأنظاره .

قال القاضى علاءُ الدين فى تاريخ حلب : « كان حسن السيرة ، ولى القضاء ثم صُرف ثم أُعيد مراراً ثم صُرف قبل موته بعشرة أشهر فمات فى شعبان » .

١٦ ـ عبد الله بن على بن يحيى بن فضل الله العدوى ، جمال الدين بن كاتب السرّ ،

---

(١) الوارد فى ترجمته بالضوء اللامع ٣/٩٢٥ أنه درس بالمدرستين الكلباوية والأتابكية البرانية .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٣/١٠٠٤ .

(٣) ورد بعد هذا فى ز الترجمة التالية : « سهيل بن إبراهيم بن أبى اليسر سهل بن أبىالقاسم محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم الأندلسى الغرناطى الأزدى الأديب أبو الحسن ، ذكره المؤلف بمعجمه » أما الذى ذكره عنه ابن حجر فى معجمه فهو أنه فى زورته الثانية للقاهرة سنة ٨١٨ جالسه فى إملائه شرح البخارى وأنه بحث معه فى مواضع ، ولما أراد الرجوع إلى الشام عرض عليه ابن حجر « شيئاً من الزوادة فامتنع تعففاً » .

(٤) الإضافة من الضوء اللامع ٥/٣ .

وُلد سنة أربع [ ] وخمسين ، وأُحْضِر على العرضى وأسمع [ ] علَى التبانى[١]،واستمر يلبس بزىّ الجندية وله إقطاع ، واستمَر[٢] من حياة أبيه إلى أن مات ملازماً[٣] للخلاعة مستوراً ، ثم فسد حاله إلى أن عمل نقيبا فى بيوت الحجاب ، وقد سمع منه بعض أصحابنا قليلاً ، وهو آخر إخوته موْتاً .

١٧ ـ عبد الرحمن بن هبة الله اللحانى[٤] اليمانى ، جاور بمكة وكان بصيراً بالقراءات سريع القراءة ، قرأ فى الشتاء فى يوم ثلاث ختمات وثُلث ختمة ، وكان ديّنا عابداً مُشاركا فى عدة علوم . مات فى رجب .

١٨ ـ عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبى الفرج [بن نقولا][٥] ، الأرمنى الأصل ، [فخر الدين] ، كان جدّه من نصارى الأرمن فأسلم وولى نظر قطيا وولايتها والوزارة وغيرها كما تقدّم ، وكان مولد فخر الدين سنة أربع[٦] وثمانين وسبعمائة وتعلَّم الكتابة والحساب ، وولى قطيا فى أول القرن فى جمادى سنة إحدى وثمانمائة ثم صُرف وأُعيد لها مراراً ، ثم ولاّه جمال الدين الأُستادار كشف الشرقية سنة إحدى عشرة فوضع السيف فى العرب وأسرف فى سفك الدماء وأَخْذ الأموال ظلماً ، فلما قُبض على جمال الدين واستقرّ ابن الهيصم فى الأُستادارية بذل عبد الغنى أربعين ألف دينار واستقر مكانه فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة ، ثم صُرف فى ذى الحجة عنها بعد أنْ سار سيرةً عجيبةً من كثرة الظلم وأَخْذ الأموال بغير شبهة أَصلاً والاستيلاء على حواصل الناس بغير تأْويل ، وفرح الناس بعزْله ، وعوقب فتجلّد حتى رقّ له أعداؤه ، ثم أُطلق وأُعيد إلى ولاية قطيا ، فلمّا

(١) فى الضوء اللامع ١٣١/٥ « البيانى » .

(٢) فى الضوء اللامع ١٣١/٥ « كان ملازما للخلاعة من حيث مات أبوه إلى أن مات » .

(٣) فى هـ « مات مجازفا » .

(٤) ورد باسم « الملحانى » فى كل من هـ ، والضوء اللامع ٤١٠/٤ ، وشذرات الذهب ١٥١/٧ وإن لم يضع المرجع الأخير نقطة على النون .

(٥) الإضافة من الضوء اللامع ٦٤٩/٤ .

(٦) فى ظ ، ن ، هـ « أربع وعشرين وسبعمائة » والصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة السخاوى : الضوء اللامع ٦٤٩/٤ ، انظر أيضا Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 1442.

قُتل الناصر وولى المؤيّد ولى كشفَ الوجه البحرى ، ثم ولى الأُستادارية فى جمادى الأُولى سنة ست عشرة فجادَتْ أحواله وصلحت سيرته وأظهر أن الذى صار به أوّلاً كان من عيب الناصر ، لكنه أسرف فى أخْذ الأموال من أهْل القرى .

وولى كشف الصعيد فعاد ومعه من الخيول والإبل والبقر والغنم والأموال مايدهش من كثرته ؛ ثم توجّه إلى الوجه البحرى ففرض على كل بلدٍ وقريةٍ مالاً سماه « ضيافة » فجمع من ذلك مالاً جزيلاً فى مدة يسيرة ، ثم توجّه إلى ملاقاة المؤيّد لمّا رجع من وقعة نوروز ، فبلغه أنّ المؤيّد سمع بسوء سيرته وعزَم على القبض عليه فهرب إلى بغداد وأقام عند قرا يوسف قليلاً ، ثم لم تطب له البلاد فعاد ورمى نفسه على خواصّ المؤيد فآمنه وأعاده إلى كشف الوجه البحرى ، ثم أعاده إلى الأُستادارية فى سنة تسع عشرة ، فحمل فى تلك السنة مائة ألف دينار ، فَسُلِّم له الأستادار قبْلَه بدر الدين بن محب الدين وأمَر بعقوبته فكفّ عنه فأُخذ من يده ، وتوجّه لحرب أهل البحيرة ومعُه عدة أُمراء فى شوال سنة تسع عشرة فكان الكل من تحت أمره ، وصل إلى حدّ برقة ورجع بنهب كثير جدا ؛ ثم لما مات تقى الدين بن أبى شاكر أُضيفت إليه الوزارة فى صفر سنة إحدى وعشرين فباشرها بعُنْف ، وقطع رواتب الناس وبالغ فى تحصيل الأموال ، وتحرّز فكان يوفِّر فى كل قليل مالاً يحمله للمؤيد فيجمل فى عينه ويشكره فى غيبته[1] ، مع لين جانبه للناس وتودّده لهم ؛ وكان فى كل قليل يصادر الكتاب والعمال .

ثم توجّه إلى الوجه البحرى وأخذ الضيافة على العادة ، ولاقى السلطان لما رجع من الشام بأموال عظيمة ، ثم توجّه إلى الصعيد وأوقع بأهل الأشمونين .ورجع بأموال كثيرة جدا ، ثم استعفى من الوزارة فى شوال سنة عشرين فاستقرّ فيها أرغون شاه ، ثم مرض فعاده السلطان فى مرضه فقدّم له خمسة آلاف دينار فأضاف إليه نظر الأشراف،

---

(١) ن «عفته» .

ثم توجّه إلى الوجه القبلى فأوقع بالعرب وجمع مالا كثيراً ، ثم أصابه الوعك فى رمضان واستمر فى مرضه ذلك إلى أن مات فى نصف[1] شوال سنة ٨٢١ واشتد أسف السلطان عليه . وعاش سبعا وثلاثين سنة .

وكان عارفاً بجمع المال ، شهما شجاعاً ثابت الجأش قوىّ الجنان ، وكان فى آخر عمره قد ساد وجاد سوى ما اعتاده من نهب الأموال . وقد جمع منها فى ثلاث سنين مالا يجمعه غيره فى ثلاثين سنة .

وكان جدّه يصحب ابن نقولا الكاتب فنُسب إليه فلهذا كان يقال له « أبو الفرج ابن نقولا » ، أو هو اسم جدّه حقيقة . وفى الجملة « فأبو الفرج » أول من أسلم من آبائه ، ونشا أبوه مسلماً ثم دخل بلاد الفرنج ويقال إنه رجع إلى النصرانية ثم قدم واستقر صيرفيا بقطيا وولى نظرها وإمرتها ، ثم تنقلت به الأحوال وبولده من بعده على ماتقدّم مشروحاً .

١٩ - على بن أحمد بن على بن حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن مظفر بن على بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الأرموى الأصل نزيل القاهرة نقيب الأشراف ، شرف الدين بن قاضى العسكر ، وأمّه : خاص بنت الظاهر أنس بن العادل كَتْبُغَا ، وكان معدوداً فى رؤساء البلد لأفضاله وكرمه من غير شهرة بعلم ولاتصوّن ، ومات فى تاسع عشر ربيع الأول عن نحو الستين .

٢٠ - على بن أحمد بن عمر بن حسن المهجمى[2] ، كان يسكن بيت الفقيه [ابن حشيبر[3]] من عمل بيت[4] حسين باليمن ، وهو من بيت الصلاح وللناس فيه

---

(١) عبارة « فى نصف شوال » ساقطة من هـ ، لكن أمامها فى الهامش : « يحرر مولده من هنا » أى باعتبار أنه مات فى هذه السنة وعمره ٣٧ سنة .

(٢) نسبة إلى مهجم من بلاد اليمن .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٥/٦١٧ .

(٤) إكتفى ابن عبد الحق فى مراصد الاطلاع ٢٣٧/١ فى التعريف ببيت حسين بقوله : « موضع باليمن ولم يعرف ببيت الفقيه » .

اعتقاد كبير ، وتُحكى عنه مكاشفات وكرامات مع وفور حظّ من الدنيا[1] .

٢١ – قَطْلُوبُغَا الخليلى نائب[2] الإسكندرية ، وقد تقدم له ولأَبيه ذكر فى الحوادث، ومات فى نصف ذى الحجة ولم تطل مدّته فى السعادة ، واستقر بعده فى نيابة الإسكندرية ناصر الدين محمد بن العطار الدمشقى نقلا من دويدارية نائب الشام إليها ، وهو صهر كاتب السر .

٢٢ – لؤلؤ [الرومى[3] الغزّى] الطواشى المجبوب، كاشف الوجه القبلى ، وليه[4] مرتين ثانيتهما فى رجب سنة ثمانى عشرة ، ثم عُزل وصودر وأُخذ منه مال جزيل بعد العقوبة الشديدة ، ثم ولى شدّ الدواليب ومات وهو على ذلك ، وكان من الحمقى المغفلين والظلمة الفاتكين فى صورة الناسكين . مات فى شوال ..

٢٣ – محمد[5] بن حسن بن محمد بن محمد بن خلف الله الشُّمُنِّى – بضم المعجمة والميم وتشديد النون – ثم الإسكندرى المالكى كمال الدين ، وُلد سنة بضع وستين، واشتغل بالعلم فى بلده ومهر ، ثم قدم القاهرة فسمع بها من شيوخنا وممن قبلهم ، وسمع بالإسكندرية وتقدم فى الحديث وصنّف فيه ،وتخرّج ببدر الدين الزركشى والشيخ زين الدين العراقى طالباً فى درس الحديث ، ثم نزلْتُ له عنه[6] فى سنة تسع عشرة فدرّس به ، ثم عرَضَتْ

---

(١) جاء فى ظ بخط ابن حجر نفسه بعد هذا الترجمة التالية: « غياث بن على بن نجم الكيلانى غياث الدين ويدعى محمدا » وقد أوردتها أيضا نسخة ن ، غير أننا حذفناها من هذا المكان بالذات إكتفاء بورودها بعد قليل ، ص ١٨٢ ، ترجمة رقم ٢٤ .

(٢) وذلك زمن المؤيد شيخ .

(٣) أضفنا ما بين الحاصرتين من الضوء اللامع ٨٠٩/٦ وذلك تمييزاً له عن لؤلؤ الطواشى الأشرفى برسباى .

(٤) يعنى بذلك الوجه القبلى .

(٥) صحة هذا الاسم « محمد بن محمد بن حسن بن على بن يحى بن محمد بن خلف الله» ، كما أشار السخاوى إلى ذلك فى موضعين فى كتابه الضوء اللامع ، ج ١١ ص٢١٠ ، ج٩ ص٧٤ ترجمة ١٩٧ حيث قال: « سماه شيخنا (يعنى ابن حجر) محمد بن حسن بن محمد بن محمد بن خلف الله ، والصواب ما أثبته ، وكذا هو فى معجمه » .

(٦) أى عن مشيخة الحديث .

له علة فى أواخر سنة عشرين ثم نقه ورجع إلى منزله وتمرّض إلى أن مات فى شهر ربيع الأول[1] .

٢٤ – محمد[2] بن على بن نجم الكيلانى ، غياث الدين بن خواجا على التاجر ، وُلد فى حدود السبعين وكان أبوه من أعيان التجار فنشأ ولده هذا فى عزّ ونعمة طائلة ، وشغله أبوه بالعلم بحيث كان يشترى له الكتاب الواحد بمائة دينار وأزيد ، ويُعطِى معلميه فيفرط ، فمهر فى أيام قلائل واشتهر بالفضل ، ونشأ متعاظماً ، ثم مات أبوه وتنقلت به الأحوال والْتَهى عن العلم بالتجارة فصعد وهبط وغرق وسلم وزاد به ونقص إلى أن مات خاملاً ، مع أنّه كان سىّء المعاملة عارفاً بالتجارة محظوظاً منها ، وتزوّج جاريةً من جوارى النّاصر يقال لها « سمراء » فهام بها وأتلف عليها ماله وروحه ، وأفرطَتْ هى فى بغضه إلى أن قيل إنها سقَتْه السّم فتعلّل مدّة ولم يزل حتى فارقها فتبدّل عقله من حبها إلى أن مات ولهاً بها ، وبلغنى أنها تزوّجت بعده رجلاً من العوام فأذاقها الهوان وأحبّته فأبغضها عكس ما جرى لها مع غياث الدين ، وبلغنى أنها زارت غياث الدين فى مرضه فاستحالته فحاللها من شدة حُبّه لها ، وكانت قد ألزمته بطلاق زوجته ابنة عمه فطلقها لأجلها .

وقد طارحنى غياث الدين بمقاطِيع عديدة وألغاز ، وترافقْنا فى السفر .

ومن شعر غياث الدين فى « سمراء » قصيدة مطولة أوّلها :

سَلُوا سَمْرَاءَ عن كربى وحُـــــزْنى
وعَنْ جَفْنٍ حَكَى هَطَّالَ مُـــــــزْنِ

سَلُوهَا : هَلْ عَرَاهَــــا ما عَــــــرَانِى
مِنَ الجِنِّ الهَوَاتِفِ بَعْــــــدَ جِـــــنّ ؟

---

(١) بعد هذا جاءت الترجمة التالية فى هامش ث : « محمد بن خليل بن محمد المارغى – نسبة لقرية من قرى البقاع من الشام – الشافعى المقرئ ، أخذ القراءات عن الفخر الضرير وكان فاضلا صالحاً زاهداً ، أم بتربة يونس بدمشق وأكرمه الناس . وتقدم للصلاة عليه زين الدين عمر بن اللبان المقرئ إمام جامع التوبة بدمشق ودفن عند قبر الأرموى بصالحية دمشق . وحزن عليه الشاميون » . ويلاحظ أن هذه الترجمة تكاد تكون نفس الترجمة التى أوردها السخاوى فى الضوء اللامع ٧/٢٧٥.

(٢) انظر ما سبق ص ١٨٥ حاشية رقم ١ .

سَلُوا : هَلْ هَزَّتِ الأَوْتَارَ بَعْدِى
بَهَلْ غَنَّتْ كَمَا كانَتْ تُغَنِّى ؟

ويقول فى آخرها :

سَأَشكُوهَا إلى مَوْلَىً حكِيمٍ[1]
ليعفُوَ فى الهَوى عَنْها وعَنِّى

وهو آخر من عرفنا خبره من المتيَّمين . مات فى سابع عشر شوال .

٢٥ ـ محمد[2] بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبى الفتح ، أبو الطاهر الشيخ السَّنَد شرف الدين بن عزّ الدين أبى اليمن بن الكويك الرَّبْعى التكريتى ثم الإسكندرانى نزيل القاهرة ، وُلد فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وأجاز له فيها[3] المزى والبرزالى والذهبى و [زينب] بنت الكمال وإبراهيم بن القريشة و [أبو عمر] بن المرابط وعلى بن عبد المؤمن بن عبد [الحارثى[4]] فى آخرين ، وأُحضر فى الرابعة على إبراهيم بن على الزرزارى[5] ، وأُسمِع من أحمد بن كَشتَغْدى[6] وأبى نعيم الأَسْعردى وابن عبد الهادى وغيرهم ، ولازم القاضى عزالدين بن جماعة ، وتعانى المباشرات فكان مشكوراً فيها ، وتفرّد فى آخر عمره بأكثر مشايخه ، وتكاثر عليه الطلبة ولازموه ، وحُبِّب إليه التحديث ولازمه .

قرأت عليه كثيراً من المرويّات بالإجازة والسماع ، من ذلك « صحيح مسلم » فى أربعة مجالس سوى مجلس الختم .

(١) فى ث « حليم » .
(٢) فى هامش ث : « ذكره المؤلف فى معجمه » .
(٣) أى فى سنة مولده ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٩/٢٩٤
(٤) الإضافة من ترجمته الواردة فى الدرر الكامنة ٣/٢٧٩٣ ، حيث ذكر أنه ولد سنة ٦٥٦ وسمع على الكثير وحدث ومات فى شوال سنة ٧٤٣ .
(٥) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ١/١٢٦ .
(٦) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ١/٦٠٨ .

ولم يزل على حاله منقطعا فى منزله ملازما للإسماع إلى أن مات فى ذى القعدة من هذه السنة وقد أكمل أربعا وثمانين سنة ، ولم يبْقَ بعده بالقاهرة مَن يروى عن أحدٍ من مشايخه لا بالسّماع ولا بالإجازة ، بل ولا فى الدنيا مَن يروى عمّنْ سمّيْتُ من مشايخه المذكورين . رحمه الله تعالى .

٢٦ ـ محمد بن ناصر الدين بن البيطار ، كان فى ابتداء أمره يتعانى صناعة البيطرة ، ثم قرأ القرآن واشتغل بالفرائض فمهر فى ذلك ، ثم أقبل على الفقه ففاق أقرانا ،وأقرأ فى الجامع مدّة ولم يترك الاسترزاق[1] فى حانوته ، وكان صالحاً خيرا ديّناً . مات فى ربيع الآخر .

٢٧ ـ مشترك[2] ، ويقال له أجْتَرك[3] ، القاسمى [الظاهرى برقوق] ، من كتّاب الأُمراء ، تنقّل فى الولايات منها نيابة غزّة ومات فى جمادى الأُولى بدمشق[4] .

٢٨ ـ يوسف بن محمد بن عبد الله الحُمَيْدى ، جمال الدين الحنفى ، نسبة إلى امرأة[5] كان يُقال لها « أمّ حُمَيد » ، ونشأ بالإسكندرية وتفقه حتى برع ، وولى قضاء الحنفية بها وكان موسراً . مات فى خامس عشرى جمادى الآخرة وقد زاد على الثمانين ، وكان لابأْس به . رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) فى هـ « ولم يترك بجايزته » .

(٢) راجع ماسبق ص ١٧٧ ، حاشية رقم ٢ .

(٣) ضبط على منطوقه فى Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 2506.

(٤) جاء فى هامش ث بعد هذا : « موسى بن محمد الملك المؤيد ، مات فى يوم الأحد سلخ رمضان ، ودفن فى جامع أبيه » ، ثم جاءت الترجمة التالية أيضا «موسى بن محمد الهمام القدسى ، شرف الدين ، ذكره المؤلف فى معجمه » وقد وردت أيضا فى نسخة ز لكن بعد الترجمة التالية ، أما عن الأول فراجع الضوء اللامع ١٠/٧٧٣ ، وعن الثانى نفس المرجع ١٠/٨٠٤ ، ثم جاء فى هامش ث أيضاً « يوسف بن شر نكار العينتابى الحنفى ، كان فاضلا فى بعض العلوم ، ومات بعينتاب عن قريب السبعين . ذكره العينى » ، انظر عنه أيضاً الضوء اللامع ١٠/١١٩٣ .

(٥) وكانت هى التى ربته كما ورد فى الضوء اللامع ١٠/١٢٥٣ ، وسماها شذرات الذهب ٧/١٥٣ باسم « أم عبد الحميد » .

سـنة اثنتين وعشرين وثمانمائة

استهلت بيوم الجمعة[1] ثانى أمشير من الشهور القبطية .

فى أول المحرم جُهِّزَ إبراهيم بن السلطان وصحبته من الأُمراء الكبار أَلْطُنْبُغا القُرْمُشِى وطَطَر وجقمق وآخرون ، وصُحْبَتَهُ علىّ بن قرمان ، وكان قد فر من أخيه محمد إلى السلطان والتجأ إليه فجهز ابنه نصرةً له ، فكان كما سيأْتى ذكره .

وتوجّه[2]من الريدانية فى ثانى عشرى المحرم وكان السبب فى هذه السفرة أن محمد بن قرمان أغار على طرسوس فى السنة الماضية فقبض على نائبها شاهين الأَيْدُكَارِى ، فوصل دمشق فى سادس صفر وتلقاه النواب ، ثم وصل حلب فى أول ربيع الأَول ، ثم وصل إلى كركر فى ثانى عشر ربيع الآخر فحاصر القلعة وهرب ابن قرمان فى مائة وعشرين فارسًا وأخذ منها مالاً ورجالاً فقيَّدهم ، وتوجه إلى لاَرَنْدَة فنازلها وهى قاعدة بلاد ابن قرمان ، وكان ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

ثم وصل إلى قيساريّة وهى أعظم بلاد ابن قرمان فى تاسعه ، ثم وصل إلى قونية فى نصف ربيع الآخر بعد ما مَهَّد أمور قيسارية ورَتَّب أحوالها وخَطب فيها باسم السلطان ونَقش اسمَ السلطان على بابها ، وقرر فى نيابتها محمد بن ذلغادر نائب السلطنة بقيسارية ، ولم يتفق ذلك لملكٍ من ملوك الترك بعد الظاهر بيبرس فإنه كان خُطِب له بها ثم انتقض ذلك .

* * *

وفى هذا الشهر قدم عجلان بن نعير من المدينة مقبوضًا عليه من إمرة المدينة ، ووصل بَكْتَمُر السَّعْدى من رسليته إلى صاحب اليمن ومعه كتاب الناصر صاحب اليمن وهديته .

* * *

---

(١) الوارد التوفيقات الإلهامية ص ٤١١ أن أول هذه السنة هو السبت ٣ أمشير ١١٣٥ ق .

(٢) أمامها فى هامش ث : « خروج الأمير إبراهيم بن المؤيد لقتال ابن قرمان وماجرى » .

وفيها قُرر ناصر الدين باك — واسمه محمد بن خليل بن قرا بن ذلغادر — فى نيابة قيسارية عن السلطان مضافًا إلى نيابة الأُبْلُسْتِين ، وكان تانى بك — نائبُ حلب — استولى على طرسوس[١] فأَمَرَه المؤيد أن يسلمها إلى ناصر الدين ، فجمع محمد بن قرمان عسكرا

واستقر مقبل الدويدار الثانى شادَّ العمارة لجامع المؤيد عوضا عن ططر .

وفى[٢] ثامن عشرى المحرم حضر السلطان بالجامع المؤيدى ، وحضر عنده القضاة فسألهم عما أَعْلَم به الحجاجُ من استهدام المسجد الحرام واحتياجه إلى العمارة ، مِنْ أى جهة يكون المصروف على ذلك ؟ فجالوا فى ذلك ، إلى أن سأَل القاضى الحنبلى قاضىَ الشافعية الهروىَّ عن أربع مسائل تتعلّق بذلك فأجابه ، فخطّأه فى جميعها ، وتقاول القاضيان : الشافعىُّ والحنفى حتى تسابًّا ، وأفحش الديرى فى أمر الهروى حتى قال : « أُشهدك يا مولانا السلطان أنّى حَجَرْت عليه أن يفتى وحكمْتُ بذلك » فنفذ حكمه الحنبلى والمالكى فى المجلس ، وبلغ الهروى من البهدلة إلى حدّ لم يوصف ،وأعان على ذلك شدّةُ بُغْض الناس له وتمالئهم عليه ورحيلُ أعوانه وأنصاره مثل ططر وغيره ، مع ما هو عليه من قلة العلم وعُجْمة اللسان .

فلما كان فى الثامن من شهر ربيع الأول قدم طائفة من الخليل والقدس صحبةَ الناظر عليهم حينئذ ، وهو حسن الكُشْكُلى ، فشكوا منه أنه أخذ منهم مالاً عظيما فى أيام نظره ، فابْتُلِيتُ بالحكم بينهم بأمر السلطان ، فتوجه الحكم على الهروى فخرج فى الترسيم ، فلما حاذى المدرسة الصالحية خرج إليه الرسل الذين بها من جماعة الحنفى فأدخلوه قاعة الشافعية وتوكلوا به ، فأرسل قاصده إلىَ مرجان الخزندار فنزل بنفسه فسبَّ الموكلين به ونقله إلى داره .

وفى الثانى عشر منه أمر السلطان أن يُوكل بالهروى فوكل به أربعة ، فشرع فى بيع بعض موجودِه ، وأُشيع أنه عزم على الهرب ، ثم أمر بإعادة ما أُودع تحت يده من مال

---

(١) فى ث « طرابلس » وهو خطأ .

(٢) أمام هذا الخبر فى ث : « واقعة من وقائع الهروى » .

أجنادِ الحلقة ، وجُمْلَتُه ألفُ ألفٍ وستمائة ألفٍ فوجد منه ألف ألف ، وتصرَّف فى ستمائة ألف ، فكثرت فيه القالة والشناعة عليه بسبب ذلك .

ومَنع ابنُ الديرى نوابَ الهروى من الحكم ، واستند إلى أن الهروى ثبت فسقه فانعزل بذلك ولو لم يعزله السلطان : فكَفُّوا ، فلما كان سابع عشر ربيع الأول نزل السلطان إلى جامعه واستدعى بالبلقينى فأعاده إلى القضاء ففرح الناس به جدا لبغضهم فى الهروى ، وكان ما سنذكره بعد ذلك .

وفى خامس صفر استقر صدرُ الدين بن العجمى فى الحسبة وفرح الناس به لمعرفته وعفته .

وفى سادس عشره توجّه ابن محب الدين أميراً بطرابلس من جملة الأُمراء .

وفى ثامن عشره عُمل الوقيد بالبحر كالسَّنة الماضية .

وفى أواخر صفر ثار المماليك الذين بخدمة السلطان بالطباق وأرادوا إحداث فتنة وامتنعوا عن حضور الخدمة ، وذكروا أن سبب ذلك حقارة الجامكية ، فأمر السلطان أن يزاد كل واحد منهم على قدر ما يريد ، فرضوا وسكنت الفتنة .

وفيه أرسل أُلْطَنْبُغا المَرْقبى إلى الصعيد وصحبته رقم أمير هوارة فطرقهما الأعراب فكانت بينهم مقتلةٌ عظيمة ، ثم انهزم العرب إلى المَيْمُون[1] ، وغنم أُلطَنْبُغا ومن معه من أغنامهم ودَوَابِّهم شيئا كثيرا جدا .

وفى صفر فشا الطاعون بالشرقية والغربية ، وابتدأ بالقاهرة ومصر ، ثم كثر جدا فى ربيع الأول ، وكان فى الأطفال كثيرا جدا ؛ وعم الوباءُ بلاد الفرنج .

وفيه عمرت قناطر شبين فبلغ مصروفها خمسة آلاف دينار جُمعت من بلاد الجيزة حتى من الإقطاعات والرزق .

(١) من بلاد الوجه القبلى بمصر بمركز الواسطى .

وفى تاسع عشرى شهر ربيع الأول كسفت الشمس قبل الزوال ، فاجتمع الناس بالجامع الأزهر ، فصلَّيْتُ بهم صلاة الكسوف على الوصف المعروف فى الأحاديث الصحيحة بركوعَيْن مطوّلين وقيامين مطوّلين ، وكذلك فى جميع الأركان المقصورة وغير المقصورة ، ثم خطبْتُ بهم ما يقتضى ذلك بعد أن تجلت الشمس ، والحمد لله .

واتفق وقوع زلزلة فى هذا اليوم فى مدينة أرزنكان ، هلك بسببها عالمٌ كثير وانهدم من مبانى القسطنطينية شئٌ كثير ، وهدمت قيساريَّةٌ بناها جهة بلاد ابن عثمان وبرصا وما حولها ، وهلك بسبب ذلك ناس كثير .

وفى ربيع الأول ركب المحتسب والوالى فطافا بأمر السلطان على أماكن الفساد بالقاهرة وأراقا من الخمور شيئا كثيرا ،ومنع المحتسب النساء من النياحة على الأموات فى الأسواق ، وعَزَّر طائفةً منهن ، وألْزَم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام وتصغير العمائم ، وبالغ فى ذلك .

وفيه تشاجر الوزير والأُستادار وتفاحشا ، وخُلع عليهما فى تاسع عشره والتزما بحمل مائةِ ألف دينار .

*   *   *

وفى المحرم قُبض على محمد[1]بن بشارة وذلك أن السلطان كان أرسل ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك إلى دمشق ، وأمره أن يحتال على ابن بشارة فراسله إلى أن ضمن له عن السلطان الرضا ، فلمَّا اطمأَن لذلك أرسل إليه أمانَ السلطان وحلَّفه له . فأرسل

---

(١) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان ابن بشارة كثير الفساد من قطع الطريق والقتل وكان شجاعا تام الخلقة قوى البدن بحيث حدثنى ابن عمّى ناصر الدين محمد بن حسن أنه نزع فى قوس له على فرس ليرمى به فانشقت الفرس لقوة القوس وشدة نزعها وقوة سواعده ، وكان مطرودا من بلاد جبل عاملة ، وكان يغير على أطراف البلاد المتعلقة بالمتولى بها من أولاد عمه فى كل قليل . فشاع وذاع أنهأغار مرة على عكا فظفر بها بشخص ممن يريد قتله فطعنه فجاءت الطعنة فى عنقه فأنفذته وجاءت بين حجرين فتمكنت منالدخول بين اللصاقين ، فترك رمحه وذهبت فرسه المطعونفصار معلقا فى الجبل، قالوا إن الرمح خرق الحجر . وكان له من قبل هذه الوقائع ما يفوق الحصر ، وكان من أعظمالمفسدين فقبض عليه على هذا الوجه ثم سلخ وعمل بوا فى هذه السنة ؛ وشيخنا المصنف نسى ذكره فى وفيات هذه السنة وذكره فى وفيات سنة تسع عشرة أو انقلب الورق على الناسخ » ويشير البقاعى فى نهاية تعليقه هذا إلى ما ورد من قبل .

اليه خلعةً فلبسها وأقبل إلى دمشق فتلقاه وبالغ فى إكرامه فأَمن ، فبينما هو آمن فى سوق الخيل تلقّاه ابن منجك فدخلا جميعًا إلى بيت نكباى نائب الغيبة ، فلم يستقر به المجلس حتى قُبض عليه فدَفع عن نفسه بسيفه وجَرح من تقدم إليه ، فتكاثرت السيوف على رأسه ، وقُبض على عشرين من أَصحابه فوُسِّط منهم أَربعة نفر ، واعتُقل ابن بشارة بدمشق ، ثم أَمر السلطان بإحضاره فأُحضر فى رابع عشرى جمادى الأُولى .

وفى[1] خامس ربيع الآخر خدع الهروى الموكلين به من الأَجناد وفر إلى بيت قطلوبغا التّنمى ، فبلغ ذلك السلطان فأَمر الوالى الأَمير التاج بنقله من بيت التنمى إلى القلعة فسجنه بها فى البرج ، ثم أَنزله التاج فى ثانى عشرى الشهر إلى الصّالحية وقد اجتمع بها القضاة ، فادعى التاج على الهروى بالمال الذى ثبت عليه ، فالتزم بأَنه عنده وهو قادرٌ عليه ، وأنه أَدَّى بعضا وسيؤدى الباقى ، فسجنه فى قبة الصالحية ووكل به جماعة يحفظونه ، ثم نُقل فى ثامن عشرى الشهر المذكور إلى القلعة لأَنه كرر شكواه من كثرة سب الناس له من بغضهم فيه حتى خشى أَن يأْتوا على نفسه ، ثم بادر التاج ونقل الهروى من جامع القلعة إلى مكانٍ عنده بالمطبخ ، ثم سعى عند السلطان فى أَمره إلى أَن أَمر بإطلاقه فنزل إلى دار اسْتكراها له مرجان الخزندار وراءَ مدرسة أُلْجَاى ، فأَقام بها إلى السنة الآتية .

* * *

وفى[2] الثانى من جمادى الأُولى وُلد الملك المظفر أَحمد بن الملك المؤيد شيخ فقدر الله أَن يلى السلطنة فى أَول سنة أَربع وعشرين ، وعمره سنة واحدة وأَربعة[3] أَشهر وأَياما .

* * *

وفى الثالث من جمادى الأُولى قُرر كاتبه فى تدريس الشافعية بالمؤيدية ، وقُرر يحيى

---

(١) أمامها فى هامش ث : « واقعة أخرى من وقائع الهروى أيضاً ومحنته » .

(٢) أمامها فى هامش ث : « مولد الملك المظفر أحمد بن المؤيد » .

(٣) فى ث : « ثمانية » .

ابن محمد بن أحمد العُجَيْسى[١]فى تدريس المالكية ، وقُرِّر عز الدين عبد العزيز بن على ابن العز ـ الذى كان قاضىَ القدس ـ فى تدريس الحنابلة ، وتأخر تقرير مدرِّس الحنفية وغيره .

* * *

وفيها مات رئيس الأطباء إبراهيم بن خليل بن عُلوة الإسكندرانى ، كان حاذقا فى الطب ، وقدم بشخص يقال له نظام الدين أبو بكر بن محمد بن عمر بن بكر الهمذانى الأصل التبريزى المولد سنة ٧٤٧ ، وكان فاضلَ الشام ، فأحضره السلطان إلى القاهرة وكان ادّعى فى الطب والتنجيم دعوى عريضة ، فتناظر هو وسراج الدين عمر بن منصور بن عبد الله البهادرى[٢] الحنفى ، فاستظهر البهادرى عليه بكثرة استحضاره وذكائه وجمود أبى بكر المذكور ، فلما كاد أمر البهادرى أن يتم نكت عليه كاتب السر أنه لا يدرى العلاج وإنْ كان يدرى الطب ، فإن يده غير مباركة فإنه ما عالج أحداً إلا مات من مرضه ، ونصيحةُ السلطان واجبة ، واستشهد بجماعةٍ منهم : ابن العجمى فوافقوه ، فانحل السلطان عنه وصرفهم ، ثم أمرهم أن يتوجهوا إلى المرستان ويكتبوا لمن فيه أوراقًا ليُنْظر فى أمرهم أيهم أصح كتابةً فلم ينجع من ذلك شئ ، ثم قرر فى رئاسة الطب بدر الدين بن بطيخ[٣].

* * *

وفى[٤]السابع من جمادى الأُولى أحضر بطرق النصارى فى الإصطبل بعد أن جُمع القضاة والمشايخ ، فسأله عما يقع فى الحبشة من إهانة المسلمين فأنكر ذلك ، ثم انتدب له المحتسب فأنكر عليه تهاون النصارى بما يؤمرون به من الصَّغار والذل ، وطال الخطاب فى معنى ذلك ، واستقر الحال بأن لا يباشر أحد من النصارى فى دواوين السلطان والأُمراء ولا غيرهم ،

(١) أمامها تعليق للبقاعى فى هامش هـ قال فيه : « إنما هو يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بغير شك فى ذلك ولا ريب » على أن السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/٩٨١ سماه « يحى بن عبد الرحمن بن محمد بن زرمان العجيسى » وكان موته سنة ٨٦٢ فى منزل من المدرسة الناصرية .

(٢) استقر البهادرى فى تدريس الطب بالبيمارستان وجامع ابن طولون ، وكانت وفاته سنة ٨٣٤ .

(٣) هو رئيس الأطباء محمد بن أحمد بن بطيخ ، مات سنة ٨٤٨ ، هذا ولم يترجم له ابن حجر فى الإنباء .

(٤) أمام هذا الخبر فى هامش ث : « قصة النصارى » .

ثم أغرى شهاب الدين الإمام ابن أخى قاضى أذرعات السلطانَ بالأكرم فضائل النصرانى كاتب الوزير فاستَدْعى به فضرَبه بالمقارع بحضرته وشهّرهُ بالقاهرة عريانا وسجنه ، ثم آل أمره إلى أن أمر السلطان بأن يُقتل فقُتل ، فصَغَّر النصارى العمائم ولزموا بيوتهم وضيَّقوا أكمامهم ومُنعوا من ركوب الحُمر بالقاهرة ، وإذا خرجوا فى ظاهرها ركبوها عرضا ، فأَنِف جماعة من النصارى من الهوان فأظهروا الإسلام فانتقلوا من ركوب الحمر إلى ركوب الخيل المسومة ، وباشروا فيما كانوا فيه وأزيد منه ، وأُلزم النصارى أن لا يدخلوا الحمّامات إلا وفى أعناقهم الجلاجل ، وأن يلبس نساؤهم المصبّغات ، ولا يمكنوا من الأُزُر البيض ، فاشتد الأمر عليهم جدا وسعوا جهدهم فى ترك ذلك فلم يعفوا لتصميم السلطان على ذلك .

* * *

وفى ثانيه قدم أَلْطَنْبُغَا المرقبى والأُستادار أبو بكر من الصعيد ، وقدّم الأُستادار ما حَصّله من أموال هوارة فكان مائتى فرس وألفَ جمل وستّمائة جاموسة وألفاً وخمسمائة بقرة ، وخمس عشرة ألف رأس من الضأْن .

وفى جمادى الأُولى شُرع فى عمل الصهريج بجوار خانكاه بيبرس من جهة الملك المؤيد .

* * *

وفيه[1] تغيّر كاتب السر ناصر الدين بن البارزى على محتسب القاهرة صدر الدين بن العجمى بعد أن كان هو الذى يُقرّبه من السلطان ويسعى له ، فأخذ فى أسباب إبعاده عن السلطان وأعان ابن العجمى على نفسه بلجاجه وتماديه فى غيّه ، فاتفق أن السلطان فى هذه الأيام عاوده وجع رجليه ، وانضاف إلى ذلك وقوعُ وجعٍ فى خاصرته ، وكان فى كل سنة يتصل عن قرب فى قوة الشتاء وقوة الصيف ، فمنذ عالجه أبو بكر العجمى اشتد ألمه أكثر من كل سنة ، فاتفق أنه استفتى وهو – فى شدة الوجع – عن جواز الجمع بين الصلاتين لعذر المرض ، فأفتاه بذلك بعض الشافعية من خواصّه ، فسأل بعضَ الحنفية

(١) أمام هذا الخبر فى هامش ث : « محنة ابن العجمى » .

فقال له : « قلّد الشافعى فى هذه المسألة » ، فاتفق حضور ابن العجمى فى صبيحة ذلك اليوم فدارت المسألة بين الفقهاء الذين يحضرون عند السلطان ، فبالغ ابنُ العجمى فى الردّ على من أفتى بذلك ، فقيل له : « قد أفتى به ابن عباس من الصحابة » فقال : « أنا ما أقلّد ابن عباس ، وإنما أقلد أبا حنيفة » ، هذا الذى أضبطه من لفْظه ، فادعى عليه بعد ذلك ـ بتأليب كاتب السر عند القاضى الحنفى ابن الديرى ـ أنه قال : « ومن هو ابن عباس بالنسبة إلى أبى حنيفة ؟ » فطلبه ابنُ الديرى بالرسل حتى أحضروه مهانًا ووُكِل به بالصالحية.

وفى تاسع عشره طَلب ابنُ الديرى ابنَ العجمى فعزّره من غير إقامةِ بيّنَةٍ عليه بشئ مما ادعى عليه به ثم أفرج عنه ، فجمع نفسه عن الكلام فى الحسبة ، فبلغ ذلك السلطان فأنكر ذلك واستدعاه وخلع عليه وأقرّه على الحسبة ، ففرح الناس بذلك فرحًا عظيما ، وكانوا اتهموا القبط فى الممالأة عليه ، وظَنُّوا أن ابنَ البارزى قبطى وليس كذلك ، وإنّما هو أعان على نفسه حتى أسخط الرؤساء عليه . .

* * *

وفى جمادى الآخرة تحول السلطان من القلعة فى محفّةٍ إلى بيت ابن البارزى المطلّ على النيل ، وكان ابن البارزى قد استأجر بيتَ ناصر الدين بن سلام وأضاف اليه عدة بيوت مجاورةٍ له وأتقن بِنَاءها ، ووضعَها وضْعا غريبا على قاعدة عمائر بلده حماة ، فأعجب السلطان ذلك إعجاباً شديدا واختار الإقامة به حتى يبل من مرضه ، فأقام بها من نصف جمادى الآخرة إلى نصف رجب ، واستدعى الحرّاقة الذهبية . فكان يركب من بيت البارزى إلى القَصْر الذى بإنبابة ثم منه إلى بيت البارزى ، وتارة ينام فى الحراقة الليلَ كله ، وتارةً يتوجه إلى الآثار يتفرج فيها ويرجع إلى رابع عشر رجب ، فتحول السلطان إلى بيت الخروبى بالجيزة وكان قد أحضر الحراريق المزينة التى جرت العادة بتزيينها فى ليالى وفاء النيل ، فاستصحبها صحبته مُقْلِعَةً إلى الخَرُّوبيّة ، واجتمع الناس للفرجة فى شاطئ النيل من بولاق إلى مصر ، فمرت فى تلك الليالى للناس من النزه والبسط ما لا مزيد عليه مع الإعراض عن المنكرات لإعراض السلطان عنها ، وكان قد تاب من مدة وأعرض عن

المنكرات إعراضا تاما ، ثم ركب فى سادس عشر رجب من الخروبية فى الحراقة إلى المقياس ثم نزل فى الحراقة الصغيرة إلى الخليج على العادة ، وركب فرسَه وطلع القلعة .

* * *

وكان وصول الملك إبراهيم بن الملك المؤيد إلى قيسارية ونائبها يومئذ ناصر الدين محمد ابن خليل بن ذلغادر فقرره على نيابته .

وفى سادس عشر جمادى الأُولى وصل إبراهيم بن السلطان إلى لارندة وأَرَنْكَلِى[1] وأَرْسل يَشْبك — نائبَ حلب — فأَوقع بالتركمان ونهب منهم شيئا كثيراً ، وأرسل عسكرا ضخما إلى محمد بن قرمان فكبسوا عليه ففر منهم ونهبوا جميع ما وجدوا له من مالٍ وأبقارٍ وخيلٍ وجمال ، ثم غار العسكر المصرى على بلده وهى كرسى بلاد ابن قرمان ، وقَرَّر الملكُ إبراهيمُ ابنُ السلطان فى مملكة ابن قرمان أخاه عليًّا ، وخطب فى جميع تلك البلاد باسم المؤيد ، وضُربت السكة باسمه ، ثم رجع ابنُ السلطان إلى حلب وأقام بها لعمارة سورها ، وأرسل يستأْذن أباه على الرُّجوع ، وكان دخوله حلب فى ثالث شهر رجب ، وكان ابن السلطان — قبل رجوعه من حلب — قد أَرسل تَنْبَك ميق نائب الشام إلى طرسوس فملكها ، ثم إلى أدنة فواقع مصطفى بن محمد بن قرمان وإبراهيم بن رمضان فهزمهما ، فتوجّها إلى قيسارية فى سادس عشر شعبان ، فقاتلهم محمد بن ذلغادر ، فقُتل مصطفى بن محمد فى المعركة ، وقُبض على أبيه محمد بن قرمان فاعتُقل ، فأُرسلت رأس مصطفى إلى القاهرة فوصلت قبل وصول ابن السلطان وذلك فى سادس عشر رمضان .

وكان ابنُ السلطان قَرر فى بلاد محمد بن قرمان أخاه عليا بن قرمان ، وتسلَّم قيسارية محمد بن ذلغادر فواقعه محمد بن قرمان فانكسر ، فقبض عليه وجُهز إلى القاهرة ، وكان قدوم ولد السلطان دمشق فى خامس عشر رمضان ثم توجه إلى القاهرة فتلقّاه السلطان

---

(١) هذه الكلمة غير واردة فى ه ، وهى فى ث « اركلى » ، والصحيح فيها أن يقال « أراكلية » وهى المسماة فى المراجع الغربية بالإسم البيزنطى Heraclia ، أو باسم Arakliyah وهو أحدث من سابقه كما أنه تحريف له .

إلى سرياقوس، ووصل معه نائب الشام تَنْبك ميق ودخلوا القاهرة فى ثامن عشرى شهر رمضان، فساروا فى تسعة أيام ، ودخل معهم نائب الشام ، وخُلع عليهم جميعا ، وزين لهم البلد ، وكان السلطان استدعى نائبَ الشام فحضر مسرعا ، فطلع إبراهيم بن السلطان وبين يديه الأسارى من بنى قرمان وغيرهم فى القيود ، منهم نائب نكدة[1] .

وكانت سفرة إبراهيم بن السلطان هذه خاتمة سعادة الملك المؤيد فإنه نشأ له هذا الولد النبيه وتمّ له منه هذا النصر العظيم والشهامة الهائلة ، وجاء الأُمراءُ وغيرهم يشكرون من سيرته ولا يذم أحد منهم شيئًا من خصاله ، ورجع إلى أبيه فى أسرع مدة مؤيدا منصورا ، فلحظتهم عين الكمال فما أخطأت ، وما حال الحول إلا وأحوالهم قد تغيرت وأُمورهم قد تهافتت ، فسبحان من لا يتغير ولا يتبدل .

* * *

وفى ثالث شوال قُرر جقمق فى نيابة الشام عوضا عن تنبك ميق ، وقُرر تنبك فى تقدمة ألفٍ على إقطاع جقمق ، واستقر مقبل الدويدار الثانى فى وظيفة جقمق .

وفى شعبان اجتمع العوام بالإسكندرية فهجموا أماكن الفرنج وكسروا لهم ثلاثمائة بنية خمر ثمنها عندهم أربعة آلاف دينار ، ثم أراقوا ما وجدوه من الخمور ، ولم يُعلم لذلك أصل ولا سبب .

وفيها اجتمع ملوك الفرنج على حرب ابن عثمان صاحب برصة فاستعد لهم .

* * *

وفى يوم الخميس ثامن ربيع الآخر فشا الطاعون وكثر موت الفجأة حتى ذعر الناس ،

---

(١) نكدة – وقد يقال فيها نيكدة ونكيدة – من مناطق آسيا الصغرى ، ويرجع تأسيسها إلى السلطان علاء الدين السجلوق ، ويشقها نهر يعرف بالنهر الأسود وعليه النواعير ، راجع وصف المستوفى وابن بطوطة لها فى "بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٣ .

فأَمرَ السلطانُ المحتسبَ أن ينادِيَ بصيام ثلاثةِ أيامٍ أولها الأَحد حادى عشره ، فصاموا وخرجوا يوم الخميس نصف ربيع الآخر فى الصحراء ، فخرج العلماءُ والفقهاءُ والمشايخ والقضاة والعامة ، وتوجه الوزير وأُستادار الصحبة إلى تربة الملك الظاهر فنصبوا المطابخ السلطانية وباتوا فى تهيئة الأَطعمة والخبز ، ثم ركب السلطان بعد صلاة الصبح ونزل من قلعةِ الجبل لابسًا ثيابَ صوف وعلى كتفيه مئزرُ صوفٍ مسدل ، وعليه عمامة صغيرة جدا لها عذبة مرخاة على يساره ، وهو يتخشع منكسر النفس ، وفرسه بقماشٍ ساذج ، فوجد الناسَ قد اجتمعوا ، وحضر الجميع مشاة فوقف السلطان بينهم وعجوا بذكر الله ، فنزل السلطان عن فرسه وقام على قدميه والقضاة والخليفة والمشايخ حوله وخلفهم من الطوائف ممن يتعسر إحصاؤه ، فبسط السلطان يديه وبكى ودعا وانتحب والناس يرون ، وبقى على ذلك زمانا طويلا ، ثم توجه إلى جهة التربة فنزل وأكل وذبح بيده مائة وخمسين كبشا سمينا ، وعشر بقرات وجاموستين وجملين ، وهو يبكى ودموعه تنحدر بحضرة الناس على لحيته ، وترك الذبائح مضطجعةً كما هى وركب إلى القلعة ، فتولى الوزير وأُستادار الصحبة تفرقتها على الجوامع والخوانك والزوايا ، وقُطع منها شئٌ كثير ففُرِّق على من حضر من الفقراء ، وفرق من الخبز نحوا من ثلاثين ألف رغيف ، وبعث إلى السجون عدة أرغفة وقدور أطعمة ، واستمر الناس فى الخشوع والخضوع إلى أن اشتد حرّ النهار فانصرفوا ، فكان يوما مشهوداً لم يتقدم له نظير إلا ما جرت العادة به فى الاستسقاء ، وهذا زعموا أنه لاستكشاف البلاء ، فيسر الله عقب ذلك رفع الوباء ، فبلغ عدة من يرد الديوان من الأَطفال خاصة ـ من صفر إلى سلخ ربيع الآخر ـ نحو أربعة آلاف طفل ومن جميع الناس سواهم قدر أربعة آلاف أُخر ، وأكثر ما انتهى إلى ثمانمائة فى الديوان ، ويقال جاوز الأَلف والمائتين .

❋ ❋ ❋

وفى ربيع الآخر اتفقت بمصر كائنةٌ عجيبة وهى أن شخصا كان له أربعة أولادٍ ذكور ، فلما وقع الموت فى الأَطفال سأَلته أمه أن يختنهم ليفرح بهم قبل أن يموتوا ، فجمع الناس لذلك على العادة وأحضر المزين ، فشرع فى ختن واحد بعد الآخر ، وكل من يختن يسقى

شرابا مذابا بالماء على العادة ، فمات الأربعة فى الحال عقب ختنهم ، فاستراب أبوهم بالمزيّن وظن أن مبضعه مسموم ، فجرح المزين نفسه ليبرِّئ ساحته وانقلب فرحهم عزاءً ، ثم ظهر فى الزير الذى كان يذاب فيه الشراب حية عظيمة باتت[1] فيه وتمرغت ، فكانت سبب هلاك الأطفال ، ولله الأجر .

* * *

وفى التاسع عشر من رجب وَشى الشيخ شرف الدين بن التّبانى بناظر الكسوة زين الدين عبد الباسط بأنه خالف شرط الواقف فى عمل الكسوة ، فعُقد له بسبب ذلك مجلس وأُحضرت الكسوة فسأل السلطانُ القضاة : « هل يجوز أن يُعمل فى الكسوة هذا الذهب والزخرفة ، مع أن شرط الواقف أن يفرق ما فاض من المال بعد عمل الكسوة على العادة فى وجوه البر ؟ » فتعصب الشافعى لعبد الباسط وقال : « هذا من وجوه البر » ، فنازعه الحنبلى فى ذلك فلم يصغوا له ، واستمر الحال .

وفى شعبان تزايد ألم السلطان ثم عوفى وركب إلى بركة الحجاج وأجرى الخيل هناك وسابق بينها بحضرته ، ثم ركب إلى بركة الحبش وسابق بين الهجن .

* * *

وفيه سرق الفرنج رأس مرقص أحد من كتب الأناجيل الأربعة من الإسكندرية وكانت موضوعة فى مكان ، ومن شأن اليعاقبة من النصارى أن لا يولوا بطرقا حتى يمضى إلى الإسكندرية وتوضع هذه الرأس فى حجره ثم ترجع ، ولا تتم هذه البطركية إلا بذاك ، فتحيّل بعض الفرنج حتى سرقها من الإسكندرية ، فاستعظم النصارى اليعاقبة ذلك ووقفوا للسلطان بسبب ذلك .

وحج بالناس فى هذه السنة التاج الوالى .

* * *

وفى رمضان ثارت بالملك الناصر أحمد صاحب اليمن سوداء ، فاختل عقله واعتُقِل، وأُقيم فى الملك عوضا عنه أخوه حسين بن الأشرف ، وأعانه على ذلك الأمير محمد بن دياب الكاملى ، وكان الغلاء يومئذ ببلاد اليمن شديداً ووقع عليهم جراد أهلك زرعهم .

* * *

(١) هكذا فى بعض النسخ ، و « ماتت » فى نسخ أخرى من المخطوطة .

وفى رمضان غلت الأسعار وبلغ الإردب من القمح ثلاثمائة درهم وأزيد ، وسبب ذلك كثرة الحرامية بالنيل فقلّ الجلب من الوجه القبلى ، وحُمل من الوجه البحرى إلى الصعيد من الغلال ما لا مَزِيد عليه لشدة الغلاء الذى هناك حتى أُكلت القطط والكلاب ، وكان سبب ذلك الغلاء بمصر أن النيل نزل بسرعة فزرعوا فى الحرّ على العادة فى السنين الماضية ، فأفسدت الدودة البرسيم ، وتأخر المطر فى الخريف والشتاء فى الوجه البحرى فلم تنجب الزروع وخرج السلطان إلى سرحة البحيرة فأتلف شيئا كثيرا[1] .

وفى رابع عشر شوال عُقد مجلس بسبب قَرْقُمَاس أحد المقدمين من الأُمراء ، فادّعى عليه مملوك أنه قطع أنفه وأذنه فأنكر فأحضر البينة ، فدفعهم السلطان للقاضى المالكى .

وفى سابع عشر شوال رحل جقمق إلى دمشق لولاية إمرتها ، وقُرّر قطلوبغا التَّنَمى فى إمرة صفد عوضا عن مراد خَجا ، ورُسم بنفى مراد خَجَا إلى القدس .

وفى يوم الجمعة حادى عشرى شوال قُرر الشيخ شمس الدين بن الديرى فى مشيخة المؤيدية وتدريس الحنفية بها ، ونزل السلطان إلى الجامع وخلع عليه وباشر فرْش سجادته إبراهيمُ بن السلطان ، وتكلم عن قوله تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة) الآية ، وخلع على كاتب السر ابن البارزى واستقر خطيبا وخازن ، الكتب ومُدّ السماط الكبير فأكل الخواص ثم تناهبه العوام .

وعرض السلطان الطلبة فقرر من شاء وصرف من لم يصلح فى نظره ، وخطب البارزى خطبةً بليغة أجاد فيها أداءً وإنشاءً ، واستقر فى تدريس التفسير بالمؤيدية بدرُ الدين بن الأُقصرائى ، وفى تدريس الحديث بدرُ الدين العينتابى ، وخُلع على ولد كاتب السر القاضى كمال الدين خلعة السفر إلى الحجاز وكذلك على شهاب الدين الأذرعى إمام السلطان ، ثم ركب السلطان من يومه إلى الجيزة فأقام ثلاثة أيام .

---

(١) يظهر فى هذا الخبر شىء من الاضطراب بالنسبة لتحديد الأماكن .

وفى سادس ذى القعدة قُرر الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن التَّفَهْنى فى قضاء الحنفية عوضا عن شمس الدين بن الديرى .

وتوجه السلطان من يومه إلى سرحة البحيرة واستناب فى غيبته إينال الأزعرى ، وقرر مهنا بن عيسى فى إمرة الجرم عوضا عن على بن أبى بكر بعد قتله ولبس خلعة من مخيم ، وكان قَتْلُ علىٍّ فى حرب بينه وبين محمد بن عبد القادر النابلسى شيخ العشير بها فى شوال .

وفيها[1] قُتل محمد بن بشارة بالقاهرة فى آخر شوال وصَدَقَةُ بن رمضان أحد الأمراء التركمان فى سيس .

وفى ذى الحجة ألزم المحتسب النساء أن لا يعبرن جامع الحاكم ، وألزم الناسَ كافةً أن لا يمر أحد منهم به إلا وهو مخلوع النعل ، وشدَّد على القَوَمَة فى ذلك ، واستمر ذلك وطهر المسجد من قبائح كانت تقع بين النساء والرجال والشباب والصبيان .

وفى خامس ذى الحجة وردت هدية على باك بن قرمان نائب السلطنة بنكدة ولارندة ولؤلؤة[2] .

وفى ذى القعدة قَبض جقمقُ نائبُ الشام على نكبْاى الحاجب واعتقله بأمر السلطنة .

وصلى السلطانُ عيدَ الأضحى بالطَّرَّانة[3] ، وخَطب به وصلى العيد ناصر الدين بن البارزى

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « قتل ابن بشارة الرافضى قاطع الطريق » .

(٢) وتعرف أيضاً بحمة لؤلؤة ، ولها حصن يعرف بها ، وهى من المواضع الحصينة فى أطراف آسيا الصغرى ، وتسمى عند البيزنطيين Loulon وحرفها العرب إلى لؤلؤة ، وقد ذكر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧١ أنها تقع فى النهاية الشمالية لدرب الأبواب القليقية ثم إنها قلعة شديدة الحصانة ، ثم نقل عن المستوفى ما وصفها به فى القرن الثامن للهجرة من أنها « مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة » .

(٣) الطرانة من القرى المصرية القديمة التى ترجع إلى العصر الفرعونى حيث كانت تسمى «برانوت Per Rannout» كما أن اسمها القبطى هو « طرنوت » فعربه العرب إلى « طرانة » ، وقد شهدت إحدى معارك الفتح العربى بين عمرو بن العاص والبيزنطيين وهى حالياً فى مركز كوم حمادة ، انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين ، ق٢ ، ج٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

كاتب السر على العادة ، وقدم القاهرة ثالث عشر ذى الحجة ونزل بيت ابن البارزى فأقام به يومين ثم وصل إلى القلعة .

وفى السابع والعشرين وصل محمد بن على بن قرمان صاحب قيسارية وقونية وغيرهما من البلاد الرومية مقيدًا فأُنزل فى بيت مقبل الدويدار ، ثم أُحْضر إلى الموكب السلطانى فى السنة المقبلة .

وفيها غلت الأسعار بمكة جدا فبلغت الغرارة خمسةً وعشرين دينارا ، وهى إردب بالمصرى وربع إردب .

وحج فى هذه السنة الأمير الكبير أَلْطَنْبُغَا القُرْمُشى وطُوغَان أمير آخور ، وخرجا بعد الحاج بمدة وقدما قبلهم بمدة فغابا ستين يوما .

* * *

ذكر من مات فى سنة اثنتين وعشرين وثمانى مائة من الاعيان

١ ـ أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج[1] بن بدر[2] بن عثمان بن جابر بن إبراهيم ، أبو نعيم العامرى الغَزِّى ثم الدمشقى : شهابُ الدين أحدُ أئمة الشافعية بدمشق ، وُلد سنة بضع وخمسين[3] وأخذ عن الشيخ علاء الدين بن خلف[4] ، وحفظ « التنبيه » ، وقدم دمشق بعد الثمانين ـ وهو فاضل ـ فأخذ عن ابن الشريشى والزهرى وشرف الدين الغزى بَلَدِيِّه وغيرهم ، ومهر فى الفقه والأُصول ، وجلس بالجامع يشغل الناس فى حياة مشايخه ، وأفتى ودرّس

---

(١) ورد رسمه بالجيم فى كل من ظ ، ورقة ٣٠١ ب ، وشذرات الذهب ١٥٣/٧ والضوء اللامع ج ١ ، ص ٣٥٦ ، لكنه ورد « بالحاء » فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٦ . وقد آثرنا رسم ابن حجر فى نسخته التى كتبها بخطه .

(٢) فى هـ « يزيد » وهو خطأ .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ٣٥٦/١ « سنة ٧٧٠ » ثم قال : « وقال ابن حجر فى الإنباء سنة بضع وخمسين » وهذا هو اللفظ الوارد أيضا فى نسخة ز ، وإن صححها الناسخ فى الهامش بكلمة « وستين » دون أن يضرب على الأصل ، وجاء فى هامش هـ بخط البقاعى « قوله بعد إنه مات عن اثنتين وستين سنة يعين أن مولده بعد الستين » .

(٤) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٢٧٣٤/٣ حيث أشار إلى مدى اعتداده ـ عن حق ـ بعلمه ومن درس على يديه وانظر أيضاً ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٤٠٥ ، ترجمة رقم ١٤ .

وأعاد واشتهر ، ثم أُصيب بماله وكتبه بعد الفتنة اللنكية ، وناب فى القضاء ، وعُين مَرّةً مستقلاً فلم يتم ذلك ، ووَلِى إفتاء دار العدل ، واختصر « المهمات » ، ودرّس بأماكن وأقبل على الحديث ، ولم يَبقَ فى الشام فى أواخر عمره من يقاربه فى رئاسة الفقه للشافعية إلا ابن نشوان ، وهو ممّن أنشأه الباعونى[1] فى ولايته القضاء الأُولى فلم يزل بعد ذلك فى ارتفاع ؛ وكان يرجع إلى دينٍ وعفة من صغره مع علوّ همةٍ ومروءةٍ ومساعدةٍ لمن يقصده مع عجلة فيه ، مع عفة فى القضاء وحسن عقيدة وسلامة باطن ، وكان صديقنا المرجانى يقرظه ويفرط فيه ؛ وجاور فى آخر أمره بمكة فمات بها منطويا[2] فى شوال وله اثنتان وستون سنة .

كتب على « الحاوى » و « جمع الجوامع » واختصر « المهمات » اختصاراً حسناً ، وأجاز لولدى محمد ، وبلغنى أن صديقه نجم الدين المرجانى ـ صاحِبَنا ـ زاره فى النوم فقال له : « ما فعل الله بك ؟ » فتلا عليه : (يَالَيْتَ[3] قَوْمِى يَعْلَمُون بِمَا غَفَرَ لِى) الآية .

قال القاضى تقى الدين الأسدى : « جرت له محنة سنة خمس وتسعين ، وحجّ وجاور ثلاث مرات ، وناب فى الحكم بعد الفتنة اللنكية واستمرّ ، وباشر المرستان والجامع فانحط بسبب ذلك ، وكان فصيحا ذكيًّا جريئاً مقداماً ، وبديهته أحسن من روُيته ، وطريقته جميلة ، وباشر الحكم على أحسن وجه .

٢ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطرى المدنى ، سمع من العزّ بن جماعة ، وعنى بالعلم ، وكان يذاكر بأشياء حسنة وتزهّد ودخل اليمن فأقام بها نحواً من عشرة أعوام ، وكان يُنسب إلى معاناة الكيمياء . مات فى أول ذى الحجة[4] .

---

(١) أمامها فى هامش ث بخط السخاوى : « ذكره المؤلف فى معجمه وابن قاضى شهبة » .

(٢) فى ث ، وفى هـ ، والضوء اللامع ١/٣٥٦ « مبطونا » .

(٣) قرآن كريم ٣٦ : ٢٦ .

(٤) وكان ذلك عند القاضى ابن العراق فى مدينة حلس كما جاء فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

٣ ـ أحمد[١] بن محمد بن محمد بن عثمان البارزى وَلدُ كاتب السرّ . مات فى تاسع عشر ربيع الآخر .

٤ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن على[٢] بن يوسف بن عيّاش الجوخى الدمشقى نزيل تعزّ ؛ وُلد سنة ستٍ وأربعين وتعانى بيع الخوخ فرُزق منه دنيا طائلة ، وعنى بالقراءات فقرأ على العسقلانى إمامِ جامع طولون وجماعة غيره ، وكان محظوظاً فى بيع الجوخ ، ويقرأ فى كل يوم نصف ختمة ، وكان يواظب على الصلاة الأُولى بالجامع الأُموى ، وكان قد أُسْمع فى صغره على ابن العزّ عمر حضورا « جزء ابن عرفة » وحدّث به عنه ، وقرأ بدمشق على شمس الدين محمد بن أحمد اللبان وعبد الوهاب بن السّلار ، وسمع أيضاً من ابن التبانى وابن قواليح ، وتصدّى للقراءات فانتفع به جمع من أهْل الحجاز واليمن ؛ وكان غايةً فى الزهد فى الدنيا فإنه ترك بدمشق أهله وماله وخيله وخدمه وساح فى الأرض ، وحدّث وهو مجاور بمكة ، واستمرّ فى إقامته باليمن فى خشونةٍ من العيش حتى مات .

وكان بصيرا بالقراءات ديّنا خيّرا ، جاور بمكة مدّة ثم دخل اليمن فأقام عدّة سنين ، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأخذ عنه جماعة فى القرآن تلقيناً احتساباً ، وأنجب ولده المقرئ عبد الرحمن[٣] مقرئ الحرم .

٥ ـ تندو بنت حسين بن أُويس . كانت بارعة الجمال وقدمت مع عمها أحمد بن أُويس إلى مصر فتزوّجها الظاهر برقوق ثم فارقها فتزوّجها ابن عمها شاه ولد بن شاه زادة بن أُويس ، فلما رجعوا إلى بغداد ومات أحمد أُقيم شاه ولد فى السلطنة فدبّرَتْ عليه تندو زوجته حتى قُتِل وأُقيمت بعده فى السلطنة ، فحاصرهم محمد شاه بن قرا يوسف سنةَ

---

(١) كان موته فى حياة أبيه كما جاء فى الضوء اللامع ٢/٥١٣ .

(٢) لم ترد كلمة « على » فى نسخة هـ ، لذلك علق البقاعى فى هامشها بقوله : « سقط بعد يوسف اسم وهو على ، حررت ذلك عن ابنه عبد الرحمن وقد مضى على الصحة فى نسب أخيه محمد بن عياش فى سنة ٨٢٤ » .

(٣) راجع الضوء اللامع ٤ / ٨٤ .

فخرجت فى الدجلة[١] حتى صارت إلى واسط ثم مَلَكَتْ تُسْتر[٢] ، وأقاموا معها محمود بن شاه ولد فدبّرت عليه حتى قُتِل لأنّه كان ابن غيرها ، واستقلت بالمملكة مدة وذلك فى سنة تسع عشرة وحاربت العرب بالبصرة وصار فى مملكتها الجزيرة وواسط ويُدْعَى لها على منابرها[٣] وتُضْرَب السكة باسمها إلى أن ماتت فى هذه السنة ، فقام بعدها ابنُها أُويْس بن شاه ولد وكان منها ، وتحارب هو وأخوه محمد[٤] ؛ ثم سار أُويس [بن شاه ولد] إلى بغداد بعد محمد شاه بن قرا يوسف فقُتل أُويس فى الحرب بعد سبع سنين .

٦ - سليمان بن فرح بن سليمان الحجى[٥] الحنبلى ، علم الدين أبو الربيع بن نجم الدين أبى المنجا ، وُلد سنة سبع وستين وسبعمائة واشتغل على ابن الطحّان وغيره ، ورحل إلى مصر فأخذ عن ابن الملقن وغيره ، ثم عاد بعد فتنة اللنك فناب فى القضاء وشارك فى الفقه وغيره ، وشغل بالجامع ودرّس بمدرسة أبى عمر ، وكان قصير العبارة متساهلا فى أحكامه . مات فى ربيع الآخر .

٧ - سودون القاضى نائب طرابلس ، مات فى رابع عشر ذى القعدة[٦] .

٨ - عبد العزيز بن [محمد بن] مظفر بن [نصير بن[٧]] أبى بكر محمد بن

---

(١) « الدولة » فى الضوء اللامع ٨٧/١٢ .

(٢) بدلها فى ث « تندو » ، والصحيح تستر ، انظر ذلك فى الضوء اللامع ج١٢ ص ١٦ ترجمة ٨٧ س ٢٥ ، والضبط من مراصد الاطلاع ٢٦٢/١ ، وقد عرفها بأنها أعظم مدن خوزستان ، وهى تعريب « ششتر » ، انظر فى ذلك بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٣) فيما يتعلق بهذه الأحداث راجع العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٢٩/٣ - ٣٠ ، وقد عاد فذكرها فى نفس المرجع ٥٥/٣ فى حوادث سنة ٨٢٢ هـ (= ١٤١٩) باسم « دو ندى » .

(٤) وكان حاكم البصرة إذ ذاك ، انظر العزاوى : العراق بين احتلالين ٥٥/٣ .

(٥) فى الضوء ، ج٣ ، ص٢٦٩ ، س ٢ « الحجينى » .

(٦) جاء فى هامش ث - كأنه تكملة لترجمة سودون - قوله : « ولم يكن مشكوراً فى أحكامه ، وكان قد تولى الحجوبية الصغرى ثم الكبرى بالقاهرة ثم الكشف بالوجه القبلى وأظلم فيه وأفسد ، ثم ولى النيابة المذكورة » .

(٧) الإضافة من الضوء اللامع ٦٠٠/٤ حيث صحح لابن حجر ، وورد فى هامش ز بخط الناسخ قوله : « فى نسبه نصير وصوابه : عبد العزيز بن محمد بن مظفر بن نصير ، ونصير هو جد السراج لأبيه » ، وجاء فى هامش ث بخط السخاوى : « صوابه عبد العزيز بن محمد بن مظفر بن نصير ، ونصير جد السراج لأبيه » . هذا وقد علق البقاعى فى هامش هـ على هذه الترجمة بقوله : « الذى حررته فى نسبه من ولده : عبد العزيز بن محمد بن مظفر بن نصير ، فهو يجتمع مع الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير فى نصير » .

يعقوب بن رسلان[١] البلقينى قريب شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى عز الدين ، اشتغل على الشيخ سراج الدين ورافقنا فى سماع الحديث كثيراً وناب[٢] فى الحكم ، وكان سيّئ السيرة فى القضاء ، جَمَّاعةً للمال من غير حكمة فى الغالب ، زرىّ الملبس مقتِّراً على نفسه إلى الغاية ، وخلَّف مالاً كثيراً جدا فحازه ولده ، وكان يذاكر بالفقه مذاكرةً حسنة ويشارك فى بعض الفنون ، وقد درّس بمدرسة سودون من زاده بالتبانة ، ومات فى ثالث عشرى جمادى الأُولى[٣] .

٩ ــ عبد اللطيف[٤] بن أحمد بن على الفاسى ، نجم الدين الشافعى ، سمع معنا كثيراً من شيوخنا ولازم الاشتغال فى عدة فنون ، وأقام بالقاهرة مدة بسبب الذّبّ عن منصب أخيه تقى الدين قاضى المالكية إلى أن مات مطعوناً فى هذه السنة .

١٠ ــ عمر بن أحمد بن عبد الواحد شادّ زبيد ، كان له اعتناءٌ بالعلم .

١١ ــ فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس ، مجدُ الدين ابن فخر الدين ، وُلد فى شعبان سنة تسع[٥] وستين ، ونشأ فى نعمة وعز فى كنف أبيه فتخرّج وتأدب ، ومهر ونَظَم الشعر وهو صغير السن جداً ؛ وكان أبوه يصحب الشيخ بدر الدين البشتكى فانتدبه لتأديب ولده فخرّجه فى أسرع مدّة ، ونظَم الشعر الفائق ، وباشر فى حياة أبيه توقيع الدست بدمشق وكان أبوه وزيراً بها ، ثم قدم القاهرة وساءت حالُه بعد موت أبيه ؛ ثم خدم فى ديوان الإنشاء وتنقلت رتبتُه فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيّدية فأَحْسَنَ إليه القاضى ناصر الدين البارزى كثيراً واعتنى به ، ومدح السلطانَ بقصائد وأَحْسنَ السفارة له فأثابه ثوابا حسناً .

---

(١) فى ه « سلار » .

(٢) كانت نيابته فى الحكم من سنة ٧٩١ ﻫ .

(٣) فى ز « الأخرة » .

(٤) راجع ترجمته بتطويل عن هذا فى الضوء اللامع ٤/٨٨٨ .

(٥) هكذا فى كل من ظ ، والضوء اللامع ٦/٧٥١ ، Wiet : op. cit. No. 1794 ، ولكنها « سنة ٦٧ » فى كل من ه ، وشذرات الذهب ٧/١٥٦ .

وكانت بيننا مودّة أكيدة اتَّصلَتْ نحواً من ثلاثين سنة ، وبيننا مطارحات وألغاز ، وسمعْتُ من لفظه أكثر منظومه ومَنْثوره ؛ وجمع هو ديوان أبيه ورتَّبه . وشِعْرُهُ فى الذروة العليا وكذلك منثوره لكن نثره أحسن منه ، وكان قليل البضاعة من العربية فربما وقع له اللحن الظاهر وأمّا الخفىّ فكثير جدا .

مات فى يوم الأحد خامس عشرى شهر ربيع الآخر .

١٢ ـ كُزُلْ الأَرْغُنْشَاوِى أحدُ الأُمراء بحماة وزوج بنت كاتب[1] السرّ ، وكان قد ناب فى الكرك ثم فى الإسكندرية ثم عزل فمات فى أواخر المحرم .

١٣ ـ محمد بن إبراهيم العلوى[2] ، جمال الدين أخو الفقيه نفيس الدين ، حضر على والده وحدّث عنه . مات بتعز[3] .

١٤ ـ محمد بن أبى البركات محمد بن أحمد بن أحمد بن الرضى إبراهيم بن محمد الطبرى المكى ، أبو السعادات إمامُ المقام الشافعى ، سمع من الجمال بن عبد المعطى وغيره ، مات فى جمادى الآخرة وقد جاوز الخمسين .

١٥ ـ محمد بن عبد الله بن شوعان الزبيدى الحنفى ، انتهت إليه الرئاسة فى مذهب أبى حنيفة بزبيد ودرّس وأفاد .

١٦ ـ محمد بن عبد الماجد[4] العجيمى ، سبط العلامة جمال الدين بن هشام ، الشيخ شمس الدين ، أخذ عن خاله الشيخ محبّ الدين بن هشام ومهر فى الفقه والأُصول والعربية ، ولازم الشيخ علاء الدين البخارى لما قدم القاهرة وكذلك الشيخ بدر الدين

---

(١) يعنى بذلك الناصر ابن البارزى ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٦/٧٧٧ .

(٢) نسبة إلى على بن راشد بن بولان الزبيدى ، وليس نسبة للعلويين ، انظر الضوء اللامع ٦/٩١٠ .

(٣) جاءت الترجمة التالية فى هامش ث ، عقب ترجمة ١٣ وهى : « محمد بن ألطنبغا ناصر الدين القرمشى الأمير بن الأمير أتابك العساكر بالديار المصرية ، مات فى يوم الخميس عاشر رجب ودفن عند تربة بكتمر الساقى بالقرافة ، كان أحد الطبلخانات شابا ظريفاخصيصا بالمؤيد ولذا كان مزوجه ويقال إنهعدمعليه قريباً من عشرة آلاف دينار» . انظره فى الضوء اللامع٧/٣٥٩ .

(٤) أخطأ السخاوى : الضوء اللامع ٨/٢٨٨ إذ سماه بمحمد بن عبد الأحد تبعاً لما سماه به العينى .

ابن الدماميني ، وكان كثير الأدب فائقاً في معرفة العربية ملازما للعبادة ، وقوراً ساكناً . مات في العشرين من شعبان وكانت جنازته حافلةً ودُفن بالصوفية .

١٧ ــ محمد بن عمر ، الحموى الأصل ، نظام الدين التفتازاني ، كان أبوه حُصَرِيًّا فنشأ هذا بين الطلبة وقرأ في مذهب أبي حنيفة وتعانى الآداب واشتغل في بعض العلوم الآليّة ، وتكلّم[١] بكلام العجم وتزيّ بزيّهم ، وسُمّي نظام الدين التفتازاني ، وغلب عليه الهزل والمجون ، وجاد خطه وقُرّر مُوقعا في الدرج ، وكان عريض الدعوى . مات في رابع عشرى ذى القعدة عن نحو الستين ؛ وله شعر وسط .

قرأتُ بخط القاضي محبّ الدين الحنبلي : « كان حسن المنادمة لطيفَ المعاشرة ولم يتزوّج قط ، وكان متهما بالولدان ، وكان يأخذ الصغير فيربيه أحسن تربية فإذا كبر وبلغ حدَّ التزويج زوّجه » .

١٨ ــ محمد بن قاسم الأَجْدَل ناظر زبيد ثم عدن ، وولى إمرة الحج وغيرها .

١٩ ــ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون ، أبو البركات اليعمرى المالكي قاضي المدينة ، مات بها في المحرّم .

٢٠ ــ محمد بن محمد بن علي بن يوسف الزَّرَنْدى الشافعي ، بهاء الدين بن محبّ الدين ، وَلِيَ قضاء المدينةِ وخطابتها في سنة تسع ثم عُزِل فدخل دمشق ، ثم دخل الروم فانقطع خبره ، ثم قدم ومات بالطاعون في القاهرة .

٢١ ــ محمد[٢] بن محمد بن علي ، بدر الدين بن الخواجا شمس الدين بن البَرَّاق الدمشقي أحد أكابر التجار ، فُجع به أبوه وكان قد نبغ في معرفة التجارة وسافر مراراً إلى اليمن وغيرها ومات في هذه السنة بعدن ، ويقال إنه مات مسموماً ولم يكمل الثلاثين .

---

(١) في ه « وتعلم » ، وهو ضعيف .

(٢) نقل السخاوي في الضوء اللامع ١٠/٤٢١ هذه الترجمة عن الإنباء .

٢٢ ــ محمد بن محمد بن محمد النحريرى ، أبو الفتح فتح الدين المعروف بابن أمين الحكم ، سمع على جماعة من شيوخنا ، وعنى بقراءة « الصحيح » وشارك فى الفقه والعربية ، وأكثر المجاورة بالحرمين ، ودخل اليمن فقرأ الحديث بصنعاء وغيرها ، ثم قدم القاهرة بأخرة فوعك ومات بالمرستان عن نحو من خمسين سنة .

٢٣ ــ محمد[1] بن محمد بن محمود الجعفرى البخارى ، الشيخ شمس الدين ، اشتغل ببلاده ثم قدم مكة فجاور بها وانتفع الناس به فى علوم المعقول ؛ مات بمكة فى العشر الأخير من ذى الحجة عن ستٍّ وسبعين سنة .

٢٤ ــ محمد بن يعقوب بن إسماعيل الشيبانى المطرى المكّى ، سمع من عز الدين بن جماعة والموفق الحنبلى وغيرهما ، وولى خطابة وادى نخلة وقتا . مات وله سبعون سنة .

٢٥ ــ محمد ، المعروف بابن سيدى القُصَيْرى التاجر ، وكان مقلا ثم أكثر السفر إلى الإسكندرية إلى أن أثرى فتردّد إلى مكة ، وقد كان أوّلاً يشتغل ويحضر دروس شيخنا ابن الملقن وسمع عليه الكثير . مات فى إثنى عشر شوال .

٢٦ ــ مسعود بن محمد الكججانى[2] ، كان ولى نظر الأوقاف وقد مرّت سيرته فى الحوادث وهى من أقبح السير . مات فى ثانى عشر جمادى الأولى .

٢٧ ــ الهادى بن إبراهيم بن علىّ المرتضى الحسنى الصّنعانى الزَّيْدى[3] ، عنى بالأدب ففاق[4] فيه ، ومدح المنصور صاحب صنعاء . مات فى يوم عرفة ؛ وله أخ يقال له

---

(١) وردت له ترجمة أطول من هذه فى الضوء اللامع ٥٨/١٠ .

(٢) وكان رسول تمرلنك إلى المصريين والشاميين كما مر فى الأحداث .

(٣) فى ث « الزبيدى » ، لكنها كما بالمتن فى الضوء اللامع ٨٧٩/١٠ .

(٤) أشار الضوء اللامع ٨٧٩/١٠ ، نقلا عن ابن فهد ، إلىأن له من المؤلفات «كتاب الطرازين المعلمين ، فى فضائل الحرمين المحرمين » ، وأنه صاحب القصيدة البديعة فى الكعبة وأولها :

سرى طيف ليلى فابتهجت به وجدا ونوح قلبى من لطائفه مجدا .

محمد[1] بن إبراهيم مقبلٌ على الاشتغال بالحديث ، شديد الميل إلى أهل السنة بخلاف أهل بيته .

٢٨ - يحيى بن بركة بن محمد بن لاَقِى الدمشقى ، كان أبوه من أمراء دمشق ونشأ هو فى نعمة ، ثم خدم أُستاداراً وصار من الأُمراء وقدم القاهرة مراراً ، وتقدم فى الدولة المؤيّدية وصار مهمنداراً وأُستادار الجلال ، ثم تنكَّر له جقمق[2] بسبب كلام نقله للسلطان فأَظهر جقمق أن الأَمر بخلاف ذلك والتمس جقمق من السلطان أن يُمكّنه منه فأَذن له فرسم بنفيه من القاهرة فأُخرج على حمار فمات فى أثناء الطريق غريباً طريداً فى حادى عشر صفر ، ودُفن بغزّة .

٢٩ - يوسف بن شرنكار العينتابى ، وُلد سنة ست وستين بعينتاب وتعانى القراءات فمهر فيها وانتفعوا به ، وكان يتكلم على الناس بلسان الوعظ ، وكان فصيح اللسان حلو المنطق ، مليح الوجه ، له يد فى التفسير ، وعاش خمساً وستين سنة . ذكره العينتابى فى تاريخه .

* * *

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى المولود سنة ٧٦٥ ، وكان قد ألف كتابا فى الرد على الزيدية سماه « العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم » ، ومحمد هذا هو المقصود هنا فى المتن أعلاه بقول ابن حجر « شديد الميل إلى أهل السنة » وليس ذلك منصبا على أخيه صاحب الترجمة ، يستفاد ذلك أيضا من ترجمته فى الضوء اللامع ٦/٩٠٦ .

(٢) المقصود بذلك جقمق الأرغون شاوى الدوادار الكبير .

سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

فى الثَّانى من المحرم جلس السلطان فى إيوان دار العدل ، وجلس القضاةُ والمفتيون ومَن له الجلوس من الأُمراء ، ووقف الباقون وبقيةُ الأُمراء والعسكرُ صفوفاً ، وأُحضر محمد بن قِرمان مقيّدا صُحْبَة داود بن ناصر الدين محمد بن خليل بن محمد بن ذلغادر التركمانى ، فوقف داود مع الأُمراء وأُخِّر ابن قرمان وقُرئت القصص على العادة ، وركب السلطان إلى القصر فأُحضر ابن قرمان وداود فخُلع على داود ، وعاتب السلطانُ ابنَ قرمان على تعرّضه لطرسوس وعلى قبح سيرته فى رعيّته ، فسأَل العفوَ ثم بدر منه أن قال : « يا مولانا السلطان : لمن تعطى البلاد ؟ » ، فاستسمجه وقال له : « ما أنت وهذا ؟ » ، ثم أَمر به فأُخرج فاعتُقل[1] فأَقام فى الاعتقال سنةً كاملة ، ثم أُفرج عنه بعد موت السلطان المؤيد وأُعيد إلى بلاده .

ثم أَرسل السلطان فاستكْتَبه إلى نوّابه بالبلاد بتسليم البلاد والقلاع كلها ويحذرهم عن تأْخير ذلك لئلا يُقتل ففعل ، فكان هذا المجلس أَفخر مجلسٍ جلسه السلطان وأَفخمه .

ثم جلس فى أَواخر الشهر مجلساً آخر بحضور رسول كرشجى بن أَبى يزيد بن عثمان بهديّةٍ من صاحبه ، فقرئ كتابه وقُبلت هديته ، وشرع فى تجهيز هدية إليه صُحْبَةَ قاصدٍ من جهة السلطان ، فعُيِّن له قجقار جغطاى من أَتباع إبراهيم بن السلطان .

وفى أَوائل المحرم غدر عذرا بن على بن نعير نائب الرَّحْبة بأَرغون شاه فقَبض عليه وحمله إلى عانة .

وفى رابع المحرم قدم على باى التركمانى ــ أَحد الأُمراء الإينالِيّة منهم ــ فأَكرمه السلطان .

وفيه استقرَّ شاهين الزَّرْدَكَاش فى نيابة طرابلس نقلا من نيابة حماه ، واستقر

---

(١) كان اعتقاله فى برج من أبراج القلعة ، راجع عقد الجمان ٢٥/٤٩١ – ٤٩٢ ، أما السلوك ، ورقة ٣٣٤ ب ، فاكتفى بقوله « فى القلعة » فقط .

فى نيابة حماةَ إينال اليوسفى نقلاً من نيابة غزّة ، واستقر أرقماس الجلبانى فى نيابة غزة ، واستقر نكباى – بعد الإفراج عنه من سجن دمشق – فى نيابة طرسوس .

وفى حادى عشر المحرم قُرِّر شمس الدين محمد بن معالى الجيتى فى مشيخة الخانقاه المستجدّة بالجيزة التى انتزعت من الخروبى[1] ، وكانت وقفاً على الذرّية ثم على الزاوية المجاورة لها ، فأُخفى كتاب الوقف واشتُريت للسلطان من الورثة بقدر حصصهم وغالِبُهم أُشهد عليه ولم يقبض الثمن ، واستمر ذلك إلى أن مات المؤيد وندموا على عدم قبض الثمن .

وفى سادس عشر المحرم قُرر عز الدين[2] عبد العزيز بن على بن العز الحنبلى – مدرّس الحنابلة بالمؤيدية – فى قضاء الحنابلة بدمشق ، وقُرِّر عوضه فى المؤيدية محب الدين بن نصر الله البغدادى .

وفى العشرين من المحرم أُفرج عن برسباى الدقماق من قلعة المرقب واستقرّ فى مقدمى[3] الألوف فى دمشق ، وهو الذى ولى السلطنة سنة خمسٍ وعشرين كما سيأتى .

وفى المحرم وقع المطر الغزير بالوجه البحرى فأخصبت الزروع بعد أن كانت جَفّت ، وكثر الغلاء بالوجه القبلى ، وبلغ الإردب دينارين .

---

(١) فى ز « الجزولى » ، والجزولى هذا هو محمد بن سليمان بن داود بن بشير ، وينسب إلى جزولة من أعمال المغرب ، ويستفاد من ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٦٥١/٧ ، أن أول دخوله القاهرة كان فى أواخر سنة ٧٤٠ ﻫ حيث اتصل بالبساطى وراح يسمع الحديث ثم دخل مكة فى موسم السنة التالية ولم نعثر له على وظائف بمصر ، كما أنه لم تكن له مشيخة ولا مدرسة ، ومن ثم فالصحيح ما أثبتناه بالمتن .

(٢) راجع ما كتبه عنه ابن مفلح فى طبقاته ، مما أورده ابن طولون فى قضاة دمشق ، ص ٢٩٤ ؛ أما عن عن نظام الدين بن مفلح فانظر نفس المرجع ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٣) جاء فى هامش ث بخط السخاوى قوله : « وتقدمته هى المعروفة بإقطاع نين وهى قرية من قراها كانت هذه التقدمة بيد الوالد فى دولة الظاهر جقمق وآخر دولة الأشرف إينال ، وكانت هذه التقدمة من أدون تقادم دمشق من جهة المتحصل ، وهى الآن خراب جداً وقد استعفى الوالد منها للسلطان مراراً فلم يعفه منها وأعطاه إمرة عرب زيادة عليها وهى الآن فى عصرنا هذا بيد صاحبنا الأمير سودون الطويل أحد الأمراء الإينالية ، وليها بعد فتنة ... ... وقتله الأمير يشبك الدوادار ، وكان سودون هذا أحد أخصاء يشبك وممن توجه صحبته إلى التجريدة ، فلما جرى ما جرى من كسر العسكر المصرى ونصرة عسكر يعقوب شاه بن حسن بن قرا يلك أرسل إلى سودون مرسوم إلى دمشق بهذه التقدمة فى سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وكان سودون هذا أحد العشروات بالقاهرة » ثم يلى هذا إمضاء كاتب هذا التعليق وهو غير مقروء .

وفى أوائل المحرم تسلم على بن قرمان بلاد أخيه ، وعصت عليه قلعة قونية فحاصرها ، وخَطب باسم المؤيد فى جميع تلك البلاد ، ووصلت هدية علىٍّ المذكور إلى السلطان فى صفر وهو فى ربيع خيله .

وفى العشرين من صفر نزل السلطان فى بيت كاتب السر على شاطئ النيل ، وعُمل الوقيد فى ليلة الثانى والعشرين ، وبالغ المباشرون فى رمى النفط وزيت السرج[1] .

وفى سادس عشريه نزل السلطان إلى بيت أبى بكر الأُستادار يعوده فقَدّم إليه تقدمةً سنية على العادة ، وشاع الخبر بأن قرا يوسف قد تأهب للمجىء إلى الشام وكان بلغه ما نودى به فى حقِّه بالقاهرة ، وكان أرسل يطلب التمكين من قرا يلك فلم يجب سؤاله ، ثم أرسل يطلب من السلطان الجواهر التى كان السلطان أخذها منه وهو مسجونٌ بدمشق فرد جوابه بما يكره ، فتهيّأ لدخول البلاد الشامية فاستعدّ السلطان لذلك ؛ وكان قد لهج قبل ذلك بالمسير إلى بغداد وتمادت الأيام ولا يزداد إلا تصميما على ذلك .

* * *

وفى الثامن والعشرين من المحرم سخط السلطان على صدر الدين بن العجمى بسبب كلام نُقل له عنه وهو أنه يتمنى موته ويدعو عليه ، وواجهه بذلك أحمد بن الشيخ محمد المغربى[2] فى مجلس السلطان ، وتفاحشا فى القول فأكد قولَ ابنِ المغربى جماعةٌ رتّبهم كاتب السر ابن البارزى لبغضه فى ابن العجمى ، فأمر السلطان بإخراجه من القاهرة وأن يستقر كاتبَ السر بصفد[3] ، فكُتب توقيعه فى الحال وأُلزم بالخروج من بيته فى يومه

---

(١) فى ث : « ترتيب السرج » .

(٢) يجوز فى قراءة هذا الاسم كلا الرسمين المغربى والمغيربى وذلك اعتمادا على ما ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ١١ ص ٢٧١ فى قوله عن لفظ « ابن المغربى » إن « أكثر ما يقال : بالتصغير » .

(٣) أشار الصيرفى فى نزهة النفوس إلى كائنة ابن العجمى فأشار إلى أن هذا الحادث وقع يوم ٢٧ صفر سنة ٨٢٣ حيث جاء نقيب الجيش إلى ابن العجمى وقال له : « رسم السلطان أن تخرج فى هذا الوقت إلى صفد ، وأنت كاتب السر بها » فأخرجوه على أسوأ الأحوال ونزل فى التربة خارج باب النصر وأقام إلى يوم الجمعة سلخ الشهر ، ثم رسموا عليه نقيبا وذهبوا إلى جهة الخانقاه الناصرية فى سيرياقوس لأجل السفر ، وكان السلطان غضب عليه ولكنه ما أظهر له الغضب وذلك فى شهر المحرم بسبب مانقلوه عنه للسلطان أنه يتمنى موته ويدعو عليه ، فالسلطان أولا لم يصدق ذلك ، ثم إنه اتفق أن الفقهاء حضروا =

ولم يُمْهَل لتجهيز فوَدَّع أهله وخرج وهم يبكون كأنما يساق إلى الموت ، فسار يوم الجمعة إلى سرياقوس فأقام بها ، فاتفق أنه بلغ السلطانَ شناعةُ ما عومل به من ذلك فأنكره وتغيّظ على كاتب السر وقال : « من أمرك تزعجه ؟ » وأمر بردّه إلى القاهرة ، فرجع يومَ السبت فأقام عند الدُّويدار إلى يوم الإثنين فأصعده إلى القلعة وخلع عليه خلعة حسنة ، وأمره بالسفر لكتابة سر صفد ، فشفع له أَلْطَنْبُغا الصغير – رأْس نوبة – أن يقيم ويستمر فى الحسبة فقَبِل ذلك السلطانُ فرجع إلى منزله وقد فرح الناس به فرحا شديدا ، ونزل كاتب السر ولم يَطَّلِعْ على ما صَنع ألطنبغا الصغير ، فوجد [ابن البارزى] القناديل فى الشارع وقد صفّفها الباعة فأنكر عليهم، ومال أتباعُه عليها بالطفْى والتكسير ، فما وصل إلى بيته إلا وابن العجمى قد شق القاهرة بخلعة الحسبة ، فجهر العامة بسبّ ابن البارزى وأسمعوه المكروه جهاراً كلما مر بهم ، وكثر ذلك حتى هَمَّ بالإيقاع ببعضهم ، ثم سكت وسكتوا . وأُشيع أن السلطان غضب على ابن البارزى وأنه يريد عزله فخلع عليه فى سادس صفر خلعة الرضا .

وكان أصل الشر بين المحتسب وكاتب السر أن السلطان نزل إلى مدرسته فى خامس صفر ، فلما رجع مرَّ فى طريقه بخباز فأخذ منه رغيفاً ودخل بيت الأُستادار عائدا له من مرضه ، فوزن الرغيف فجاء نصف رطل فأنكر على المحتسب ، وكان يذكر أن الرغيف ثمانى أواق ، فشقّ على المحتسب لما بلغه وضرب الخباز ضربا مبرحا – وكان [الخباز] من جهة كاتب السر – فأرسل يشفع فيه فضرّبه بحضرة القاصد فبلغه ذلك فشق عليه ، فدبّر هذه القصة المتعلقة بكاتب[1] سر صفد ، وبلغ السلطانَ خبرُ ابنِ العجمى من أَلْطُنْبُغا الصغير وتمراز الأعور فإنهما جلسا عنده يلعبان الشطرنج فقال أحدهما للآخر : « إن زَرْكَنْت علىَّ بُلِيتَ بما بُلِى

= عند السلطان على عادتهم – وكان صدر الدين حضرا – وحضر معهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ محمد المغيربى وتعارضى كلاهما فى الكلام ، ثم إن ابن المغيربى قال : إن الذى نقل للسلطان صحيح وأنه سمع منه هذا الكلام ، وحلف على ذلك بالمصحف والطلاق ، فكان هذا سببا لغيظ السلطان عليه » . انظر نزهة النفوس والأبدان ، تحقيق حسن حبشى ، ج ٢ ص ٤٦٧ .

(١) فى ث « بكتابة » .

به ابن العجمى ؟ » فاستفهم السلطان فأخبره ، ثم آل أمره إلى أن الوزير شفع فى المحتسب عند كاتب السر وأحضرهُ عنده وأصلح بينهما .

* * *

وفى[١] رابع صفر قدم العالم شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الحنفى الرومى المعروف بابن الفنارى قاضى الممالك الرومية ، وكان قد حج فى العام الماضى وعاد إلى القدس فاستقدمه السلطان ليستفهمه عن أحوال البلاد ، فقدم وأكرم وحضر يوم الخميس المولد السلطانى بعدأن طُلب مرّةً بعد مرة ، فما وصل حتى[٢] دخل البلاد بالليل ، فأُجلس تحت شيخ المؤيدية ابن الديرى وأشار لهم المؤيد أن يتكلموا فى شئ من العلم فتكلموا فلم ينطق الفنارى ، ثم توجه بعد صلاة العشاء ، ثم أُحضر المولدَ الخاص ودارت معه مباحث نفيسة .

وكان ممن حضر : ابنُ العجمى فتكلم بِشىء أنكره عليه كاتبُ السر وواجهه بتكفيره ، فأصبح منزعجا يحصّل الكتب التى تشهد له بصحة ما قال ، وعادت العداوة كما كانت أو أشد .

* * *

وفى خامس ربيع الأول أبلَّ أبو بكر الأُستادار من مرضه قليلاً ، وركب واستصحب تقدمةً قيمتها ثلاثون ألف دينار ، فخلع السلطان عليه ونزل إلى بيته فانتكس فأقام أربعة أيام ومات ، فتكلم السلطان مع الوزير[٣] أن يفوض إليه الأُستادارية بغير إمرة فأبى إلاَّ بتقدمة ، فصاح السلطان عليه وقال له : « تقدمةٌ للوزارة وتقدمةٌ للأُستادارية ؟ هذا لايكون ! » ، ثم أعرض عنه واستدعى شخصا يقال له يشبك الإينالى – وكان قد أرسله قبل ذلك لكشف التراب – فسار بالناس سيرةً سيئةً فشكوا منه فعزل ، فاختاره الآن للأُستادارية الكبرى فقرره فيها وخلع عليه ، وقرر الوزيرَ فى أُستداريّة ابنه إبراهيم ثم انتُزعت منه بعد قليل وقرَّر فيها يوسف الحجارى الذى كان يدبر أمر طوغان ، وأعطى ولده صلاح الدين الحاجب إمْرةَ طلبخاناه .

---

(١) أمامها فى هامش ث : « قدوم العلامة ابن الفنارى لمصر رحمه الله تعالى » .

(٢) فى هـ : « حتى دخل الليل » .

(٣) أمامها فى هامش هـ : « الوزير هو حسن بن نصر الله » .

وفى الثانى والعشرين من ربيع الأول سافر ابن الفنارى وصحبته أحمد بن الشيخ شمس الدين الجزرى – وهو صهره – إلى بلاد الروم ، وصحبته من جهة السلطان قجقار شغطاى برسالة السلطان إلى ابن عثمان ، وسار الفنارى[1] بتجمّل هائل وكان قد جامل أهل البلد وجاملوه ولم ينتشر عنه دعوى كما انتشرت عن غيره ، وكتم ما يبوح به فى بلاده من محبّة ابن العربى ، وشغل الناس فى « الفصوص » وغيرها ، فأقام هذه المدة بالقاهرة مجموع الخاطر قليل الفضول إلى أن سافر سالما .

***

وفيه عُقد مجلس بسبب زيادة الجوامك لمدرّسى المنصورية ، وقام فى ذلك الشيخ شمس الدين القمنى وحصل بينه وبين المحتسب كلام سيئ وتساقطا ، فقام السلطان وتركهم ولم يستقر لهم أمر ؛ وكان ذلك بالمدرسة المؤيدية .

وفى[2] ربيع الآخر أمر السلطان ببناء المنظرة التى خربت فى التاج[3] والسبع وجوه ، وأن يُبْنى حولها بستان فشرع فى ذلك .

وفى رابع عشرى ربيع الأول أمر السلطان بإبطال مكس الفاكهة مطلقاً ، فبطُل ونقش على الجامع المؤيدى .

وفيه كثر الوباء بالاسكندرية وما حولها ، وكثُر الإرجاف بمسير قرا يوسف إلى الجهة الشامية ، واشتد بالسلطان ألم رجله وحَبْس الإراقة ، ثم عوفى فى أول جمادى الأُولى وركب وفرح به الناس .

***

وفى هذه المدة أُغْرِى السلطان بولده وأنه يتمنى موته ويَعد الأُمراء بمواعيد إذا وقع ذلك ،

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « الفنرى : بفتح الفاء والنون » وفى ث : « توجه ابن الفنارى للبلاد الرومية » ، هذا وقد ضبطه السخاوى فى الضوء اللامع ج١١ ص٢١٨ بقوله « بفتحتين ثم راء مكسورة نسبة لصنعة الفنيار فيما قاله الكافياجى » ، ويلاحظ أن السلوك دأب على كتابته « الفيرى » .

(٢) هذا الخبر والخبران التاليان له نقلها الصيرفى فى نزهة النفوس ، ج٢ص٤٧٣–٤٨٤ دون الإشارة إلى مصدره فيها.

(٣) التاج وسبع وجوه من ضواحى القاهرة المعزية وقد سماها أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ٦/٤١٠ ، والمقريزى : الخطط ٤/٤٨٠ بمنظرة الخمس وجوه ، وقيل إن العامة تسميها بالتاج والسبع وجود ، وكانت من أعظم متنزهات القاهرة ، وهى فى إنشاء الأفضل بن أمير الجيوش .

وبلغ كاتبَ السر عنه أنه يتوعده بالقتل وتأكد بغضه عنده فحقد عليه ودسّ على السلطان من أعلمه أنه يتمنى موته لكونه يعشق بعض حظاياه ولا يتمكن منها بسببه إلا خفية ، ورتب له على ذلك إمارات وعلامات إلى أن أبغض السلطانُ ولدَه وأحبَّ الراحة منه ، ثم رتّبوا له أنه صمّم على قتله بالسم أو غيره إن لم يمت عاجلا من المرض لما فى نفسه من محبة الاستبداد ، فأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سببا لقتله من غير إسراع ، فدسّوا عليه من سقاه من الماء الذى يُطْفَى به الحديد ، فلما شربه أحسّ بالمغص فى جوفه فعالجه الأطباءُ مدة ، وندم السلطان على ما فرط منه فتقدم[1] إلى الأطباء أن يجتهدوا فى علاجه فلازموه نصف شهر إلى أن أبَلَّ قليلا من مرضه ، فركب فى نصف الشهر إلى بيت عبد الباسط بشاطىء النيل ثم ركب إلى الخَرُّوبية بالجيزة فأقام بها ، وكاد أن يتعافى فدسوا إليه من سقاه ثانياً بغير علم أبيه فانتكس واستمر إلى آخر الشهر ، فتحول إلى الحجازية ثم حُمل فى ثالث عشر جمادى الآخرة إلى القلعة فمات[2] ليلة الجمعة خامس عشره ، فاشتد جزع السلطان عليه إلاّ أنه تجلد ، وأسف الناس كافة على فقده وأكثروا الترحم عليه ، وشاع بينهم أن أباه سمّه إلا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك ؛ ولم يَعِشْ أبوه بعده سوى ستة أشهر تزيد أياما ، كدأب[3] من قتل أباه أو ابنه على الملك قبله : عادة مستقرة وطريقة مستقرأة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وصار الذين حسّنوا له ذلك يبالغون فى ذكر معائبه وينسبونه إلى الإسراف والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرض لحرم أبيه وغير ذلك مما كان بريئا عن أكثره ، بل يختلقون أكثر ذلك ليتسلى أبوه عن مصابه ، ولقد حكى لى من شاهده فى السفرة التى تجرد فيها إلى البلاد القرمانية معه ما يقضى منه العجب من ذلك[4] .

---

(١) وردت هذه العبارة فى ز على الصورة التالية : « فقدم إلى الأطباء أن يجتهدوا فى علاجه » ، وفى هـ : « فقدم الأطباء بالمبالغة فى علاجه » .

(٢) أمامها فى هامش هـ : « موت إبراهيم بن المؤيد شيخ » .

(٣) أمامها فى هامش هـ : « من قتل أباه أو ابنه على الملك لا يعين سوى ستة أشهر عادة مستقرة وطريقة مستقرأة » .

(٤) أمامها فى هامش هـ : « وقد عاش السلطان سليمان بعد قتل ابنه السلطان مصطفى على الملك أربع عشرة سنة ولكن العادة ما ندر خلافه ، أو لعل قتله كان لأمر يوجبه شرعاً ، وكذا الحال فى قتل أبيه السلطان أبى يزيد لخروجه عن طاعته » .

وذكره القاضى علاءُ الدين فى تاريخ حلب فقال : « كان شاباً حسناً شجاعاً ، عنده حشمةٌ مع الكرم والعقل والسكون والميل إلى الخير والعدل والعفة عن أُمور الناس » ، ودُفن بالجامع المؤيدى ، وحضر أبوه الصلاة عليه يوم الجمعة وأقام إلى صلاة الجمعة ، وخطب به ابن البارزى خطبةً حسنةً سبك فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « تدمع العين ويحزن القلب ولانقول ما يسخط الرب وإنَّا بِك يا إبراهيم لمحزونون » فأَبكى السلطانَ ومنَ حضر ، ولم يتفق أن السلطان بعد ذلك دخل المؤيدية ، ووقع الخلل من أَهل دار المؤيد واحدا بعد واحد كما سنذكره ، ولم يَتَهَنَّ لهم عيش يجمعهم بعد ذلك .

* * *

وفى حادى عشر جمادى الآخرة صُرف على بن الطبلاوى من ولاية القاهرة وضُرب بين يدى السلطان بالمقارع وصُودر على مال ، واستَقَرَّ فيها ناصرُ الدين أمير آخور .

وفى أول يومٍ من هذا الشهر كملت عمارة الجامع الذى جدّده ابن البارزى بجوار منزله ، وكان يُعرف بجامع الأَسيوطى ، وصلى السلطان فيه الجمعة وخطب به البلقينى .

وفى ثانيه نودى أن الحُجَّاب لا يحكمون فى الأُمور الشرعية ، فسعى الأُمراءُ فى نقض ذلك فنُقض بعديومين ونودى لهم بالإِذن فى الحكم .

وفى جمادى الأُولى أرسل القاضى الحنفى إلى الحاجب الكبير يطلب مِن عنده غريماً ، فضَرب الحاجبُ الرسولَ ، فتوجه الحنفىُّ إلى الشافعىّ فاستعان به فاجتمعا بالسلطان وشكيا إليه ذلك : فأَنكر على الحاجب وأرسل إليه وأهانه وقال له : « لو كنتُ أنا طُلِبْتُ إلى الشرع لسارعت »، وأمر فنودى بالمشاعلىّ على أنَّ الديون الشرعية لا يَحْكم فيها إلا القضاة، فشَقَّ ذلك على الحاجب ، وقُبض على بعض المشاعلية فضربه وجرّسوه ومَرّوا به على باب الصالحية ، فبلغ الحنفىَّ فبادر الحاجبُ إليه واعتذر بأَنه لم يضربه إلا بشكوى عليه بجناية أُخرى ، وسكن الحال

* * *

وفى الثامن عشر من جمادى الآخرة توقف النيل من سادس أبيب وتمادى على ذلك

سبعةَ أيام ، فنودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام ثم خرجوا إلى الصحراء يستسقون ، فاجتمعوا ونزل السلطان والقضاة والمشايخ وكثر الجَمْع جدّاً ، وحضر السلطانُ راكباً بمفرده فجلس على الأرض ، فصلى بهم القاضى ركعتين كهيئة صلاة العيد ، ثم رقى منبراً وُضع له هناك فخطب خطبتين حَثَّ الناس فيهما على التوبة والاستغفار وحذّرهم ونهاهم ، ثم تحوّل فوق المنبر والسلطان فى ذلك يبكى وينتحب ، وقد باشر فى سجوده التراب بجبهته ، ثم ركب السلطان والعامةُ محيطةٌ به ، فدعى له بعضهم بالنصر فقال : « سلوا الله فإنما أنا واحد منكم ! » .

واتفق أن نودى على النيل فى صبيحة ذلك اليوم بإثنى عشر ذراعا ، فتباشر الناس بإجابة دعائهم ، فاتفق أنّ السلطان سبح فى النيل وهو مقيم فى بيت كاتب السر الذى على شاطئ النيل فنودى من الغد بزيادة ثلاثين إصبعا فاستبشر الناس بذلك وقالوا إن ذلك ببركة السلطان، فسمع بذلك فأنكره عليهم وقال ــ وأنا عنده أسمع ــ : « لو عَلِمْتُ بِسِبَاحَتِي يقع ذلك ما سَبَحْتُ ، لأن مثل هذا تضل به العامة »

* * *

وفى هذه الأيام أُشيع أن قرا يوسف حاصر ولده محمد شاه ببغداد واستصفى أمواله ، ثم تبين كذب ذلك ، وأن ذلك ــ أعْنِى قرا يوسف ــ كان قد تهيأ للمسير إلى البلاد الشامية فشغله عنها خروج شاه رخ بن تمر .

* * *

وفى نصف رجب أمر السلطانُ مقبلَ الدويدار أن يُلبس صدرَ الدين بن العجمى خلعةً بكتابة سر صفد وأن يُخرجَه فى الحال ، ففعل ذلك وانجمع عن الحسبة وسعى أن يقيم بالقاهرة بطّالاً وأن يُعْفَى من كتابة سر صفد ، فشُفع له عند السلطان فأُعفى وأُلزم بالتوجه إلى القدس بطالاً ، فسار فى يوم الثلاثاء ثامن عشره .

فلما كان فى ثالث عشرى رجب وُجد فى أول النهار فرس ابن العجمى وفرس غلامه مع بَدَوِيَّيْن فانتُزعتا منهما وأُحْضرتا إلى بيت الأُستادار ، فشاع أنّ ابنَ العجمى قُتل وخَرج نساؤه مشقّقات الثياب نائحات حتى صعدن القلعة وصرَّحْن بتهمة ابن البارزى

بقتله ، فأنكر السلطان ذلك وجزم بأنه اختفى بالمدينة ، ثم بعث ليكشف عن قتله وبحث من أرباب الأدراك عن ذلك فلم يُوقَف له على خبر ، ثم نودِى بتهديد من أخفاه وترغيب من أحضره فلم يفد ذلك شيئا ، واستمر مفقودَ الخبر .

فلما كان فى أواخر الشهر أُشيع أنه أرسل إلى أهله كتاباً يخبرهم فيه أنه فرَّ من خوفه على نفسه واختفى ، وتوطن خاطرهم عليه وأنه فى قيد الحياة ، فاطمأنوا لذلك وشاع الخبر ، فطُلب زوج ابنته الذى نُقل عنه أنه قرأ الكتاب ، فأُحضر إلى السلطان فاعترف بقراءة الكتاب ، فسئل أن يُحضر الكتاب فادّعى أنّه رماه فى البئر ، فغضب السلطان منه وأمر بضربه فضُرب تحت رجليه واعتُقل ، وتحقق الناس أن ابن العجمى فى قيد الحياة إلا اليسير منهم فتمادوا على غيهم ونسبوا ابن البارزى إلى أنه اختلق الكتاب ودسّه على أهل ابن العجمى ، وحَقق أمْرُ حياته اطمئنانَ أهله بعد ذلك الجزع المفرط وبالغوا فى الطمأنينة حتى أدخلوا بعض بناته على زوجها .

* * *

وفى العشرين من رجب استقر صارم الدين إبراهيم بن الوزير ناصر الدين[1] بن الحسام فى الحسبة ملتزما بألف دينار يحملها للخزانة ، فباشر – وهو بزىّ الجند – ولم تشكر سيرته ، وأساء الناس الظن بابن البارزى لسوء اختياره لهذا ، لأنه هو الذى قام بأمره فى ذلك بعد أن كان زين الدين الدميرى قد تعيّن لذلك .

وفى حادى عشرى رجب توجه السلطان إلى الآثار فزاره وبرَّ مَن هناك من الفقراء ، ثم توجّه إلى المقياس فأمر بهدم الجامع المجاور له وتَوْسيعه ، وكان أمَرَ بتجديد الميدان الناصرى مقابل الجزيرة الوَسْطانية ، فشرع الوزير فى تجديده وصَرف عليه مالاً كثيراً ، فتوجه السلطان فبات به ليلة ، وفى صبيحتها – وهو ثالث عشرى رجب – قدم بدر الدين العينى من بلاد ابن قرمان .

* * *

(١) أمامها فى هامش ث بخط السخاوى وإن لم يكن لذلك الكلام موضع هنا : « هو القاضى ولى الدين السنباطى الذى صار قاضى المالكية بالديار المصرية بعد ذلك . نعم الرجل دينا وتواضعا وصلاحا . قاله العينى » .

وفى الثالث عشر من شعبان برزت العساكر الذين أُمروا بالإقامة بحلب لحراستها خشيةً من طروق قرا يوسف ، وهم : أَلْطَنْبُغَا القُرْمُشِى الأَتابك وطُوغَان أمير آخور وأَلْطَنْبُغا الصغير رأس نوبة وشِرْبَاش قَاشِق وجُلْبَان الأَرغونْ شَاوى وألطنبغا المرقبى الحاجب وأزدمر النائب ، وسُفِّروا فى نصف شعبان .

***

وفى هذه السنة توجه قرايلك إلى أرزنكان وبها ابن عمر نائبا من جهة قرا يوسف ، إلى أن قبض عليه وعلى أربعة وعشرين نفسا من أهله وأولاده ، وقَتل من عسكره ستين رجلا وغنم شيئاً كثيرا ورجع منصورا ، فبلغ ذلك قرا يوسف فاشتد غيظه وصَمَّم على قصد البلاد الشامية .

وكان السبب فى ذلك أن ابن عمر المذكور كان وقع بولد قرا يلك فقبض عليه قرا يوسف فقتله ، فبلغ ذلك قرايلك فحنق منه وطرقه فى بلده حتى قبض عليه وجهزه إلى قرايلك ابن عمه المذكور وأرسل برأسه إلى القاهرة ، فوصل بها قاصدُه فى أول شعبان فوقع الشروع بالتهيّؤ للسفر ، وكُتبت محاضر بكفر قرا يوسف وولده وأُثْبِتَت على القضاة ، وكان القائم فى أمرها صدر الدين بن العجمى قبل عزله فعُزل ولم يتم أمرها ، فتولى أَمْرها كاتبُ السر وطِيفَ بها على مشايخ العلم فكتبوا فى ظاهرها بتصويب الحكم المذكور ، ولَطُف الله تعالى أنّىِ وافقْتُهم بالكتابة بعد إلزام السلطان لِي ثم كاتبِ السر بذلك ، فالتزمتُ ولكن قَدَّرَ الله بلطفه أننى ما كتبت فى ذلك شيئا إلى الآن ، فجُمع فى رابع شعبان القضاة والأُمراءُ وقرئت عليهم الفتاوى ، فسألنى السلطان عن سبب امتناعى عن الكتابة فاعتذرت بأنهم بدءُوا بغيرى ، فأشار إلىَ كاتب السر أن يكتب نسخةً جديدةً ويرسلها إلىّ ، فغالطت بذلك ولطف الله مرة بعد أُخرى ، ونزل القضاة فى ذلك اليوم وبين يديهم بدر الدين البرديني[1] فقرأ ــ من ورقة ــ استنفارَ الناس إلى قتال قرا يوسف وولده وتعديد قبائحهما ، فاضطرب الناس .

---

(١) هو البدر حسن بن أحمد بن محمد البرديني ثم القاهرى ، وسيترجم له ابن حجر فى إنباء الغمر وفيات سنة ٨٣١ . انظر أيضاً الضوء اللامع ٣/٩٥ .

وكان مما ادُّعِيَ به على قرا يوسف أنه قال : « أنا أشرب الخمر وألوط ، وشاه رخ يصلى ويصوم ، وسننظر من ينتصر منا » ؛ وأن ابنه لما مات سَلَّ سيفا وأشار به إلى السماء وقال : « إن كنت رجلا تعالَ خُذْنى وإلا الصبى ما فى أخْذه رجولة » ، وأنه التمس من القاضى أنْ يعقد له على امرأةٍ فقال له : « إن لك أربع نسوة فلا تحل لك الخامسة فى شرع محمد» فقال : «كان هذا جائع النفس » ؛ وأنه أشار إلى شاب أمرد جميل الصورة فقال : « هذا إلهى الذى أعبده ، ما هُو خير من عبادة الحجارة ؟ » فقال له بعض من حضر : « هذا كفر » فقال : « إن لم يكن الإله فهو أخو الإله » إلى غير ذلك .

* * *

وفى شعبان ادُّعى على ناصر الدين أمير آخور الوالى بأنه قتل رجلا ظلماً بغير موجبٍ شرعى فأنكر ، فأُقيمت عليه البَيّنة ، فحَكم عليه القضاة بقتله بين يدى السلطان ، فأمر به أن يُقتل فى المكان الذى قَتل فيه وعلى الهيئة التى قُتل المذكور فيها ، ففُعل به ذلك ، واستقر فى ولاية القاهرة شاب يقال له بَكْلَمُش بن قُرَىّ[1] من أولاد الحسينية ، كان أبوه والى العرب ، وكان هو عمل بولاية بلبيس ونحو ذلك ، وهو بالنساء أشبه منه بالرجال ، فالتزم بمالٍ كثير يحمله إلى الخزانة فقُرر فى الولاية فهان أمرها جداً لعدم هيبته وتماديه على الفجور والسكر ، حتى كان بعض المقدَّمين فى أيّامه أحشم منه ، وصار العوام يلقبونه « قندورتى » لأنه طرقه أمر يوجب الفزع فأراد أن يقول « ناولونى قبائى » فقال : « قندورتى » فبقيت عليه .

* * *

وفى الثانى عشر من شعبان تزوج ألطنبغا القرْمشى ببنت الملك المؤيد وعقد بالجامع المؤيدى ، ثم برز فى صبيحة ذلك اليوم إلى الريدانية وصحبته ألطنبغا الصغير رأس نوبة وطوغان أمير آخور وألطنبغا المرقبى الحاجب وجلبان ثانى أمير آخور وأزدمر الناصرى وشرباش الكريمى فى آخرين ، وتوجّهوا إلى حلب ليقيموا بها خشيةً من طروق قرا يوسف ،

---

(١) فى هامش ث : « ولاية بكلمش قندورتى الرحمانية » .

فلما وصلوا إلى حماة أمسكوا نائبها إينال النوروزى[١] فحُبس فى قلعة الشام وقُرِّر فى نيابة حماه آقْبَلَاط الدمرداشى ، فلما وصلوا إلى حلب استوحش منهم نائبُها يشبك اليوسفى لأنه استشعر — حين عُزِل نائبُ حماة — أنهم أُمِروا بالقبض عليه أيضا ، وأساء عشرتهم ولم يحسن قراهم ولاملتقاهم ، وأقيم الشر ، ثم لم يلبث أن بلغه موت السلطان فكان ماسنذكره فى السنة المقبلة .

* * *

وعرض السلطان المماليك الرماحة بالميدان ، وتكرّر ركوب السلطان فى البحر فى هذا الشهر إلى الآثار تارة وإلى الخروبية أُخرى وإلى المقياس .

* * *

وفى الرابع عشر من رمضان قُرِّر تاج الدين بن الهيصم فى نظر ديوان المفرد عوضا عن صلاح الدين بن الكُوَيْز بحكم وفاته .

وفى أول رمضان ثار على السلطان ألم رجله ، وابتدأ بكاتب السر مرضه .

وفى ثالث[٢] رمضان ذُبح جمل بغزَّة فأضاء اللحم كما تضىء الشموع ، وشاع ذلك وذاع حتى بلغ حد التواتر .

وقيل إنه رميت من لَحْمه قطعةٌ لكلبٍ فلم يأْكلها .

* * *

وفى رمضان خُتم البخارى فوقع بين التفهنى الحنفى وبين ابن المُغْلى الحنبلى مباحثةٌ ، فاستطال الحنفى على الحنبلى وأعانه عليه غالب من حضر لمَا تَقدَّم من استطالة الحنبلى عليه وعلى غيره .

وفى عاشر ذى القعدة عُزل بدر الدين بن نصر الله عن نظر الخاص، وتسَلَّم الخزانة مرجان الخزندار .

---

(١) فى ز « المؤيدى » وهو خطأ .

(٢) فى هامش ه : « إضاءة لحم الجمل » .

وفى ثامن شوال مات كاتب السر ناصر الدين بن البارزى ؛ وابتدأ بالسلطان مرضه الذى مات فيه ، ثم أُرْجِفَ بمَوْته فى ثانى عشرين شوال ، فاضطرب الناس ثم عوفى فى أواخره وزُيِّنَ البلدُ وتَوَجَّه بعضُ الأُمراء بالبشارة وباع فَرساً على العادة فاشتراها علم الدين داود بن الكُوَيْز ناظرُ الجيش باثنين وسبعين ألف مؤيدية ليكون حسابها ألفين وأربعمائة دينار ، وحملها إلى السلطان فتصدّق بها ورضى عنه .

وفى[1] ذى القعدة ظَهر ابن العجمى من استتاره وفرح به أَصْحابُه وأَمَّنَه السلطان واستمر يتردّد على الأَعيان كعادته .

وفى ثالث عشرين شوال استقر كمال الدين محمد بن ناصر الدين البارزى فى كتابة السر عوضاً عن أبيه ، واستقر بدر الدين بن مزهر فى نيابة كتابة السر عوضا عن كمال الدين ، وكان ابن مزهر منذ مات البارزى هو الذى يباشر .

وفى أوائل ذى القعدة دَلَّ شهاب الدين ــ الملقب دُرَّابَة ــ على ذخيرةٍ لناصر الدين البارزى فحُوِّلت إلى القلعة ومقدارها يزيد على سبعين ألف دينار مابين هرجة وأفلورية وناصرية ، والناصرية أقلها ، فاستشعر الناس أنها ذخيرةٌ لفتح الله لأن ابن البارزى دخل صحبة المؤيد قبل أن يشتهر بالمال الكثير ، وفى مدّةِ المؤيد ما كانت المعاملة إلا بالأَفْلُورِيَّة ، وأما الهرجة فقليل جدا ، فاستولى الملك المؤيد على ذلك المال وأضافه لبيت المال .

* * *

وفى ذى القعدة أُحْضِر من بعض بلاد الغربية من الوجه البحرى محضر يتضمن أن امرأة وبنتها خرجتا يلتقطان ماسقط من الحب من رَكْبٍ فوجدا خرقة عتيقة فيها [مالٌ][2] ضَرْبُه قديم فقيد ذلك فوجد بضعة وأربعين مشخصا وجُهِّز ذلك إلى السلطان

---

(١) وردت هذه العبارة فى ه على الصورة التالية : « وفى الحادى والعشرين من شوال ظهر ابن العجمى وشفع فيه الشيخ يحيى اليمانى عند السلطان فرضى عنه وخرج به أصحابه وأمنه السلطان واستمر يتردد إلى الأعيان على عادته » .

(٢) فراغ فى جميع النسخ بقدر كلمتين .

فوقفنا عليه ، وأمَرَنا بأن نقرأ مافى نقشه فوجدتُ على الدينار الذى دُفع إلىّ : « ضُرِبَ هذا الدينار فى سنة إحدى وثمانين ومائة » ، وإذا به قد ضُرب فى خلافة الرشيد هرون بن المهدى ، وأظن بقية الذهب من ذلك النمط .

وفى ثامن شعبان كُسر الخليج وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى[ثمانية[1] عشر ذراعا وثلاثة قراريط] وكان فصل الربيع قليل الحر جدا ، وتحرك الطاعون فى الفسطاط دون القاهرة والإسكندرية وبالصعيد ، ثم تحرك بالقاهرة فى أول بئونة قليلا ثم ارتفع ، وكان الصيف قليل الحر أيضا .

* * *

وفى جمادى الآخرة أُحْدِثَتْ جُمعةٌ بالمدرسة التى أنشأها زين الدين عبد الباسط ـ ناظر الخزانة ـ جوار منزله ، وأذن له السلطان فى إقامتها ، فأُقيمت ، وبجوارها ـ بنحو سبعة أبيات ـ مكان تقام فيه الجمعة عند ابن وفا ، وقُرر فيها شيخُ خانقاه بها وهو صاحبنا عز الدين عبد السلام العجلونى[2] ، وذلك فى أول يوم عن رجب .

وفيها رُفع إلى القاضى الشافعى أن شخصا يقال له أبو بكر المغزو يدّعى المشيخة ويتكلم على الناس فضبطوا عليه أنه قال « الأنبياء عرايا عن العلم » لقوله تعالى « سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا » ونحو ذلك من الأشياء الشنيعة ، فمنعه القاضى من الكلام بعد أن عزره بالقول .

وهذا أبو بكر هو أخو شمس الدين رئيس المؤذنين بجامع ابن طولون .

* * *

وفى ذى القعدة مات قرا يوسف التركمانى الذى تملّك توريز وبغداد وغيرهما وخمدت الفتنة بموته جدا .

* * *

(١) فراغ فى جميع النسخ بقدر كلمتين وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة جدول السنين لهذه السنة فى التوفيقات الإلهامية ، كما أن أمامها فى هامش هـ : « سيأتى أنه انتهى إلى ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » .

(٢) هو عبد السلام بن داود بن عثمان السلطى المقدسى ، المولود بقرية كفر الماء بين عجلون وحبراض سنة ٧٧٢ ، وكان قوى الحافظة بصورة عجيبة ، وأكثر من السماع على أجلة علماء مصر فى شتى الأقطار والمدن ، وكان انتقاله إلى القاهرة للسكن سنة ٨٠٣ ، وذكر السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ س ١٣ « أن الزين عبد الباسط استقر به فى مشيخة مدرسته بالقاهرة أول ما فتحت » ، وكانت وفاته بالبواسير سنة ٨٥٠ فى بيت المقدس .

لطيفة :

اشتهر بين الناس أن الذى يريد أن يعرف مقدار نيل السنة ينظر فى أول يوم من مسرى إلى منتهى الزيادة فيزيد عليها ثمانية أذرع ، حتى سمعت الإمام عز الدين ابن جماعة يحكى ذلك عن أبيه عن جده ، وأن بدر الدين بن جماعة كان يعتمد ذلك ويدعى أنه لايخطىء ، فاتّفق أنه فى هذه السنة أخطأ ثم تأَمَّلْتُ فوجدتُه أخطأ أيضا فى سنة ١٤ ، وبيان ذلك أنه فى أول يوم من مسرى فى هذه السنة كان أكمل ثمانية أذرع وثلاثة عشر إصبعا فلو أُضيف إليها ثمانية أذرع لكان يلزم أن تكون غايةُ الزِّيادة ستةَ عشر ذراعا وثلاثة أصابع . وأما فى سنة خمس عشرة فكان فى أول يوم مسرى قد بلغ ستة عشر ذراعا فلو زيد ثمانية لبلغ أربعاً وعشرين ، ولم يقع ذلك .

وفى العشرين من شوال عهد المؤيد لولده أحمد بالسلطنة وعمره سنةٌ ونصف ، وكان مرضه[1] اشتد وأُرجف بموته ثم نصل ودخل الحمام وزينت البلد ، ثم ركب واجتاز القاهرةَ إلى قنطرة التاج .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة من الاعيـان

١ - إبراهيم[2] بن السلطان المؤيّد ، تقدّم فى الحوادث .

٢ - تَغْرِى برمش بن يوسف بن على[3] بن عبد الله التركمانى ، زين الدين الحنفى ، قدم القاهرة شابا وقرأ على الجلال التَّبَّانى ، وغيره ، ودَاخَلَ الأُمراءَ الظاهرية وصارت له عصبية ، وكان يتعصّب للحنفيّة ، ويحب أهل الحديث مع ذلك ، وينوّه بهم ويتعصب

(١) الضمير هنا عائد على السلطان المؤيد شيخ .

(٢) وردت هذه الترجمة فى هامش نسخة ز ، ث ، وفى الأخيرة جاء تتمة للترجمة قوله : « وكان عمره نحو العشرين سنة ، وإنه ولد كأبيه فى طرابلس » .

(٣) « ابن على » غير واردة فى ث ، هذا وقد أشار الضوء اللامع ، ٣/١٤٢ إلى أنه يسمى « أبا على » أيضا .

لأهل السنة ، ويكثر الحطّ على ابن العربى وغيره من متصوّفى الفلاسفة ، وبالغ فى ذلك حتى صار يحرق مايقدر عليه من كتب ابن العربى ، وربط مرّة كتاب « الفصوص » فى ذنب كلب وصارت له بذلك سوق نافقة عند جمع كثير ، وقام عليه جماعة من أضداده فما بَالَى بهم ، ولمّا تسلطن المؤيد عرَفه فقرّبه وأكرمه فقرّر عنده بعض تلامذته ، واستأذنه فى الحج والمجاورة فسار إلى مكة من سنة سبع عشرة إلى أن مات ، وصار تلميذه[1] ذلك يَنْفُق سوقه به ويحصّل له الأموال ويرسلها إليه وقام له جاه عريض ، ولم يكن بالماهر فى العلم ولكن مشى حاله بالجاه ، وكتب له توقيع بتغيير المنكرات وأبغضوه ورموه بالمصائب حتى قال فيه شعبان بن داود من أبيات له : « ماترى أبرك منه ماترى » .

وقد ترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فبالغ فى ذمه فقال : « رضى من دينه وأمانته بالحط على ابن العربى مع معرفته بمقالته ، وكان يُرْمَى فى نفسه بشنيعة ، وكان قد اشتغل فما بلغ ولاكاد لبُعْدِ فهْمه وقصوره ، وكان يتعاظم مع دناءته ، ويتمصلح مع رذالته حتى انكشفَت للنّاس سيرته وانطلقت الألسن بذمّه بالداء العضال ، مع عدم مواراته وشدة انتقامه ممَّنْ يعارضه فى أغراضه ، ولم يزل على ذلك حتى مات بمكة فى ليلة الأربعاء مستهل المحرّم » .

٣ – خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الكُوَيز ، صلاح الدين ناظر الديوان[2] المفرد ، مات فى العاشر من شهر رمضان وكان الجمع فى جنازته متوفرا[3] ، وكان متواضعا كثير البشاشة حسنَ الملتقَى كثير الصدقة .

٤ – عبد الله بن شاكر بن عبد الله بن الغنّام القبطى ، الصاحب كريم[4] الدين ،

(١) كلمة غير مقروءة فى جميع النسخ .

(٢) تولى ابن الكويز هذا نظارة المفرد للمؤيد شيخ بعد سلطنته ، انظر فى ذلك الضوء اللامع ٣/ ٧٥١ .

(٣) جاء فى هامش ث قوله : « إلا أن السلطان لم يحضر ودفن بتربة كشبغا الحموى وأقام القراء على قبره أسبوعاً على العادة » .

(٤) Cf. Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 1455 .

ولى الوزارة في حياة الأشرف[1] ثم باشرها مراراً وحجّ كثيرا وجاور وجعل داره مدرسة ، وعمر أزيد من تسعين سنة ،ومات فى سادس عشرى شوال ودُفن بمدرسته بالقرب من جامع الأزهر ، وكان موصوفاً بالعسف فى مباشرته واستمر خاملاً أكثر من ثلاثين سنة[2].

٥ ــ عبد الله بن محمد السمنُّودى ، جمال الدين الشافعى ، أخذ عن الشيخ جمال الدين الإسنوى وأبى البقاء والشيخ محمد الكلائى ، ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى ودرّس بأماكن ، ونفع الناس مع المروءة والعصبيّة والقيام فى مصالح أصحابه . مات فى سلخ رجب ودُفن فى مستهل شعبان .

٦ ــ عبد الله بن مقداد جمال الدين الأقفهسى[3] المالكى ، تفقّه على الشيخ خليل وغيره ، وشرح الرسالة ، وكان قليل الكلام فى المجالس مزجىّ البضاعة فى غير الفقه ، ووَلِىَ القضاء مرتين وناب أوّلاً فى الحكم ومات وهو على القضاء فى رابع عشر جمادى الأولى وقد قارب الثمانين[4] فيما سمعته يقول .

ولما مات [الأقفهسى] اتفق أهلُ الدولة على إقامة جمال الدين[5] يوسف بن نعيم البساطى ثم صُرف ذلك عنه لابن ابن عمه شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى ، وشمسُ الدين أفقه وأكثر معرفة بالفنون من جمال الدين لكنّ جمالَ الدين أسَنّ وأدرب بالأحكام وأشهم .

٧ ــ على القلندرى[6] صاحب الزاوية خارج الصحراء ، كان أحدَ مَن يُعْتَقَد .

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « يعنى شعبان بن حسين » .

(٢) فى هامش ث : « وكان صاحب حرمة وهيبة فى وزارته مع عسف وقلة رفق ، وكان يقول إنه جاز المائة » .

(٣) ويعرف أحياناً بالأقفاصى » .

(٤) انظر ابن حجر : رفع الإصر ، ص ٣٠٣ .

(٥) بعدها فى هـ إشارة لإضافة فى الهامش هى : « أى ابن نعيم » ، مات سنة ٨٢٩ ولم يترجم له ابن حجر فى الإنباء ، لكن انظر الضوء اللامع ١١٨٩/١٠ .أما محمد بن أحمد بن عثمان البساطى فقد ترجم له السخاوى فى ذيل رفع الإصر ، من ص ٢٢٠ إلى ص ٢٣٨ ، على أنه أشار فى ص ٢٢٧ إلى أن المؤيد قدمه على قريبه لما « ذكر له عنه من الفاقة والتعفف مع سَعَة العلم » .

(٦) فوقها فى ث إشارة لإضافة فى الهامش هى « بن بيرم خجا » .

٨ – قرا يوسف بن قرامحمد التركمانى ، كان فى أول أمره من التركمان الرحالة فتنقلت به الأحوال إلى أن استولى بعد اللنك على عراق العرب والعجم ، ثم ملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها من البلاد ، واتسعت مملكته حتى كان يركب فى أربعين ألف نفس ، وكان نشأ مع والده الذى كان[١] قد تغلّب على الموصل ثم ملكها[٢] بعد موته[٣] ، وكان ينتمى إلى أحمد بن أويس لتزوّج أحمد بأخته ، وكان يكاتب صاحبَ مصر بنواياه وينجد أحمد بن أويس فى مهمّاته ، وقد تقدّم ذكر شئ من ذلك فى الحوادث .

ثم وقع بينهما وقَتل أحمد رسله فغزاه فهرب أحمد منه [إلى دمشق] فملك [قرا يوسف] بغداد سنة خمس وثمانمائة ، فأرسل إليه اللنك عسكرا فهرب وقدم دمشق ، ولمّا هرب قدمها فتصالحا ، ثم توجّه قرا يوسف مع يشبك ومَن معه إلى القاهرة ، فلما كان من أحمد من وقعة السعيدية – سنة سبع وثمانمائة – ما كان رجع وتوجّه من دمشق – فى صفر سنة ثمان – إلى الموصل ثم إلى تبريز ، ثم واقع مرارًا أبا بكر بن مرزا شاه ابن اللنك فقتله فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة واستبدّ بملك العراق وسلطن ابنه محمد شاه ببغداد بعد حصار عشرة أشهر .

ثم ثار أهل بغداد وأشاعوا أن أحمد بن أويس حىٌّ فخرج محمد شاه من بغداد وكاتب أباه بما اتفق فرجع ودخل بغداد، وفرّ آل أحمد بن أويس إلى تستر ودخلها محمد شاه فى جمادى الأُول سنة أربع عشرة ، وفى غضون ذلك كانت لقرا يواسف مع أيدكى ومع شاه رخ بن اللنك ومع الشيخ إبراهيم الدربندى وقائع ، ثم سار إلى محاربة قرايلك – وكان بآمد – ففرّ منه ثم تبعه ، ودامت الحرب مدة ثم حَصَر شاه رخ بتبريز فرجع يوسف إليه وتبعه قرايلك ، فنهب سنجار ونهب قُفْل أهل الموصل وأوقع بالأكراد ؛ واختلف الحال بين شاه رخ وقرا يوسف حتى تصالحا وتحالفا وتصاهرا ، ثم انتقض الصلح سنة سبع عشرة وتحاربا .

---

(١) المقصود بذلك والده .

(٢) المقصود هنا الإبن .

(٣) كانت وفاته سنة ٧٩١ هـ .

وفى سنة عشرين طرق اللنك البلاد الحلبيّة ثم صالحه قرايلك ، ثم رجع يريد تبريز خوفاً من شاه رخ . وفى سنة إحدى وعشرين كانت بينه وبين قرايلك[١] عثمان بن طورغلى وقعات حتى فرّ قرايلك ، فقدم حلب وانتقل الناس من حلب خوفاً من قرا يوسف وكان قد وصل إلى عينتاب ، وكتب إلى المؤيّد يعتذر بأنّه لم يدخل هذه البلاد إلاّ طلباً لقرايلك لكونه هجم على ماردين وهى من بلاد قرا يوسف ، فأفحش فى القتل والأسْر والسّبى بحيث أبيع صغير واحدٌ بدرهمين وحرّق المدينة ، فلما جاء قرا يوسف أحرق عينتاب وأخذ من أهلها مالاً كثيراً مصالحةً وتوجّه إلى إلبيرة فنهبها ، ثم بلغه أن ولده محمد شاه عصى عليه ببغداد بعده فتوجّه إليه وحصره واستصفى أمواله وعاد إلى تبريز فمات فى ذى القعدة .

وقام من بعده ابنه إسكندر بتريز واستمر محمد شاه ببغداد .

وكان قرا يوسف شديد الظلم قاسِىَ القلب لايتمسّك بدين ، واشتُهر عنه أنّ فى عصمته أربعين امرأة .

وقد خربت فى أيامه وأيام أولاده مملكة العراقَيْن . وتقدّم كثيرمن أخباره فى الحوادث .

٩ ــ محمد[٢] بن ألطنبغا القرمشى ، ولدُ الأمير الكبير ، كان شابا حسناً شهماً شجاعاً ، مات مسلولاً ويقال إنه سُقِىَ السمّ وأسف عليه أبوه جدًّا .

١٠ ــ محمد بن بورسة[٣] البخارى الملقب نَبِيزَة[٤] ــ بنون وموحدة وزن عظيمة ــ ذكر أنه من ذرية حافظ الدين النسفى ونشأ ببلاده وقرأ الفقه وسلك طريق الزهد ، وحجّ فى هذه السنة وأراد أن يرجع إلى بلاده فذكر أنه رآى النبى صلى الله عليه وسلّم فى النوم فقال له : « إنَّ الله قد قبل حجَّ كل مَن حجَّ فى هذا العام وأنت منهم » ، وأمره أن يقيم بالمدينة فأقام ، فاتفقت وفاته يوم الجمعة ودُفِنَ بالبقيع .

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٥/٤٧٤ .
(٢) أشار الضوء اللامع ٧/٣٥٩ إلى أن الصحيح هو أنه مات سنة ٨٢٢ .
(٣) أوردته شذرات الذهب ٧/١٦٠ باسم « مورمة » وفى ث « نورية » .
(٤) الضبط فى المتن أعلاه أيضاً من هـ ، ث .

١١ — محمد بن على السوهائى ثم المصرى ، جمال الدين ، أحد العدول بمصر ، كتب المنسوب على شيخنا أبى علىّ الزفتاوى وانتفع به الناس فى ذلك . مات فى شهر رجب وقد جاوز الخمسين .

١٢ — محمد بن على الجيزى ، الشرابى أبوه ، وأما هو فباشر فى أعوان الحكم للمالكية ، ثم وقعت له واقعةٌ سُجِن بسببها ثم حُكِم بحقْن دمه وأُطلق ، ثم عَمل فى دكان سكرى[1] ثم توصّل إلى أن عمل حسبة مصر ثم القاهرة ؛ وكان عاميا جلفا قليل الخير كثير الشرّ ؛ لقبه شرف الدين .

١٣ — محمد بن محمد بن حسين [بن على[2] بن أيوب] المخزومى البرقى ، شمس الدين الحنفى ، كان مشهورًا بمعرفة الأحكام مع قلّة الدين وكثرة التهتُّك ، وقد باشر عدة أنظارٍ وتداريس . مات فى جمادى الأُولى .

١٤ — محمد بن العلاّمة شمس الدين محمد بن سلمان[3] الخرّاط الحموى ، شمس الدين الشاعر المنشىء الموقع ، أخذ عن أبيه وغيره ، وقال الشعر فأجاد ، ووقّع فى ديوان الإنشاء ، وكان مُقرّباً عند ابن البارزى ومات بالطاعون ولم يكمل الخمسين ، وعاش أخوه زين الدين عبد الرحمن[4] بعده وهو أسنّ منه إلى سنة أربعين .

---

(١) فى الضوء اللامع ٦٠٣/١٠ « سكريا » وكلاهما جائز ، هذا وقد نقل السخاوى ترجمته هناك من الإنباء أعلاه .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ٢١٣/٩ .

(٣) فى الأصول وفى شذرات الذهب ١٦١/٧ : « سليمان » ، ولكن الصحيح هو ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة السخاوى الضوء اللامع ١٦١/٧ ، كما أنه أشار فى موضع آخر من نفس الكتاب ، ٣٤٣/٤ إلى صحة هذا الرسم فقال « سماه شيخنا سليمان سهوا » . هذا وقد جاء إزاءها فى هامش ز بخط الناسخ « هو والد نور الدين المرقبى الذى كان فى خدمة المرجع الجمالى يوسف بن كاتب جكم لأخذ الصدقات وتفرقتها عنه » وفى هامش ث : « وهو والد القاضى نور الدين المشار إليه المتقدم عند القاضى ناظر الخاص » .

(٤) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٣٤٣/٤ .

١٥ – محمد[١] بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، شمس الدين بن الصُّغَيَّر بالتصغير ، الطبيب المشهور ، وُلِد فى جمادى الأُولى سنة ٧٤٥ ، وكان أبوه فرّاشاً فاشتغل هو بالطب وحفظ « الموجز » وشرحه ، وتصرّف فى العلاج فمهر ، وصحب البهاء الكازرونى ، وكان حسنَ الشكل له مروءة . مات بعد مرض طويل فى عاشر شوال .

١٦ – محمد بن محمد بن عثمان القاضى ، ناصر الدين البارزى[٢]، كاتب السرّ ، وُلد فى شوال سنة تسعٍ وستين، وحفظ « « الحاوى » فى صغره واستمرَّ يكرّر عليه ويستحضر منه . وتعانى الآداب وقال الشعر وكتب الخطَّ المنسوب الجيّد ، ثم ولى قضاءَ بلده وكتابة السرّ بها وقضاءَ حلب وكتابة السرّ بالقاهرة طول دولة المؤيّد ، وكان لطيف المنادمة[٣] . كبير الرئاسة ،ذا طلاقةٍ وبشرٍ وإحسانٍ للعلماءِ والفضلاءِ على طريقة قدماءِ الكرماء ؛ ومات فى يوم الأَربعاء ثامن شوال ، ومشى الناس فى جنازته من منزله بالخراطين إلى الرميلة ، ولم يُصَلِّ السلطانُ عليه لأنَّه كان فى غاية الضعف حينئذ .

١٧ – محمد بن محمد بن محمد بن سعيد الصَّغانى ، كمال الدين بن[٤] الضياء وَلَدُ قاضى مكة ، ناب فى عقود الأَنْكحة ومات بمكة فى ربيع الأَوّل .

---

(١) وردت ترجمته فى الضوء اللامع ١٠٥٩/٦ باسم « محمد بن أحمد بن عبد الله » وأشار السخاوى إلى أن شيخه ابن حجر أخطأ حين سماه بالاسم الوارد بالمتن .

(٢) Cf. Wiet. op. cit. No. 2319.

(٣) فى ز « النادرة » ، ثم أمامها فى الهامش دون أن يضرب عليها « المنادمة » . هذا وقد جاء فى هامش ث بخط آخر التعليق التالى : « ذكر شيخ الإسلام مؤلف هذا الكتاب رحمه الله تعالى : البارزى بترجمة جيدة كما رأيت ، وذكره شيخ الإسلام العينى رحمه الله تعالى بضد ذلك . قال العينى فى تاريخه فى ترجمة ابن البارزى هذا : قدم مصر مع المؤيد وكان يصحبه حتى كان ينوب فى البلاد فلما قبل السلطان : كاتب السر فتح الله ولاه كتابة السر ، ثم ترقى حاله عند المؤيد إلى أن احتاط عليه وجعله فى قبضته بحيث لا يخرج عن كلامه إلا فى أمر نادر فتجبر وطغى ولم يمش مشى كتاب السر الذين كانوا قبله وإنما كان مشيه مشى الملوك الذين كان يرد كلامهم وينفذ مراسيمهم فى الحجر ، فجمع وحصل وبنى أملاكا على شاطئ النيل ببولاق وعمر بساتين كثيرة ،وكان ينام عند السلطان فى الجمعة ثلاث ليال ، ويدخل فى أمور منكرة ولا يحترز فى شئ يشينه فى دينه ، وكان السلطان ينزل إلى بيته على النيل ويقيم فيه مرارا ، ولما مات احتاط السلطان على موجوده ،ثم وجد له حاصل ذهب مقداره مائة ألف دينار ، وكان يظهر للسلطان أنه لا يملك شيئاً فى الحاصل وإنما ينفق نفقة واسعة فكان السلطان يصدقه ،وإنما ظهر حاله بعد موته ، ومع هذا قيل إن له حواصل خفية لم يعرف بها أحد ، وكان الذى صلى عليه القاضى جلال الدين البلقينى فى تربته تحت شباك الإمام الشافعى . حكاه العينى » .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٥٤١/٩ أنه هو المعروف بابن الضياء .

١٨ ـ محمد بن موسى بن على بن عبد الصّمد بن محمد بن عبد الله ، المراكشى الأَصل ثم المكى ، ثم الحافظ جمال الدين أبو المحاسن بن موسى ، وُلد فى ثالث رمضان سنة سبع وثمانين وحفظ القرآن ، وأجاز له ـ وهو صغير قبيل التسعين وبعدها ـ أبو عبد الله ابن عرفة وتقى الدين بن حاتم وناصر الدين بن الميلق وجماعة ، وتفقّه ، وحُبِّب إليه الطلب فسمع بمكة على مشايخ مكة كابن صدّيق ومن دونه ، وعلى القادمين عليها كعلاء الدين الجزرى وعبد الرحمن الدّهقلى وشهاب الدين بن منيب .

وأخذ علم الحديث عن الشيخ جمال الدين بن ظهيرة والحافظ تقىّ الدين الفاسى والحافظ صلاح الدين الأَقْفَهْسى ، وتخرّج به[1] فى المعرفة فى طريق الطلب والعالى والنازل ، ورحل إلى الديار المصرية فسمع من شيوخها ، ثم رحل إلى الشام فأَدرك عائشة بنت عبدالهادى خاتمةَ أَصحاب الحجار ، وجال فى رحلته فسمع بحلب وحماة وحمص وبعلبك والقدس والخليل وغزة والرملة ، وسمع بالإسكندرية وغيرها ثم رجع وقد كملت معرفته .

وخرّج لغير واحد من مشايخه ، منهم : الشيخ بدر الدين بن حسين . وعمل تراجم مشايخه فأَفاد بها ، وخرّج لنفسه أربعين متباينة الأَسانيد والمتون ، وموافقات لكن لم يلتزم فيها بالسماع بل أخرج فيها بالإجازة ، ثم دخل اليمن فسمع بها ، ومدح الناصر أَحمد فأَجازه وولاّه مدرسةً هناك فأَقام بتلك البلاد وصار يحج فى كل سنة ، وكان ذا مروءةٍ وقناعةٍ وصبْرٍ على الأَذى ، باذلاً لكتبه وفوائده ، وكان موصوفاً بصدق اللهجة وقلّة الكلام وعَدَم ما كان عند غيره من أقرانه من اللهو وغيره مِن صِباه إلى أَن مات .

فلما كان فى هذه السنة قدم حاجًّا فعاقهم الرّيح فخشى فوات الحج فركب فى البرّ وأجهد نفسه فأَدركه تَوَعُّك واستمر مريضاً إلى أَن مات فى ثامن عشرى ذى الحجة ودُفن بالمعلى .

١٩ ـ محمد الشهير بابن بطاله ، كان أَحد المشايخ الذين يعتقدهم أَهل مصر ، وله زاوية بقنطرة الموسكى ، وكانت كلمته مسموعةً عند أَهل الدولة ، واشتُهر جدا فى ولاية

---

(١) الضمير هنا عائد على الأقفهسى .

علاء الدين بن الطبلاوى ، وكانت جنازته مشهورةً حملَها الصّاحب بدر الدين بن نصر الله ومن تبعه ، ومات فى خامس عشرى ربيع الأَول ، وقد جاوز الثمانين .

٢٠ ــ موسى بن محمد بن نصر البعلبكى المعروف بابن السُّقَيْف ، القاضى شرف الدين أبو الفتح ، وُلد سنة اثنتين وخمسين ، وأخذ الفقه عن الخطيب جلال الدين ، والحديث عن عماد الدين بن بردس وغيرهما ؛ واشتغل بدمشق عند ابن الشريشى والزهرى وغيرهما ، ومهر وتصدّى للإفتاء والتدريس ببلده من أوّل سنة إحدى وثمانين وهلمّ جرًّا ، وولى قضاء بلده مراراً فحسُنَتْ سيرته . وكان كثير البرِّ للطلبة سليم الباطن يأْمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وله أورادٌ وعبادة ، وانتهت إليه رئاسة الفقه ببلده إلى أن مات فى هذه السنة فى جمادى الآخرة .

٢١ ــ ناصر بن أحمد بن منصور بن مَزْنى البَسْكرى[1] ، كان أبوه من أُمراء المغرب صاحب ثروة ومعرفة ، فحجَّ هو ووقع للسلطان عضبٌ على أَبيه فأَوقع به فاستمر ناصر بالقاهرة واشتغل ، وكان لهجا بالتاريخ وأخبار الرواة ، جَمَّاعةً لذلك ضابطاً له مكثراً منه جدًّا ، وأراد تبييض كتابٍ واسع فى ذلك فأَعجلته المنية ، ومات فى شعبان منها ولم يدخل الكهولة[2] .

٢٢ ــ يوسف بن الشيخ إسماعيل بن يوسف الإنبابى ، الشيخ جمال الدين بن القدوة

---

(١) وذلك نسبة إلى بسكرة ــ بكسر الكاف ــ وهى بلدة فى المغرب ، كما ذكر مراصد الاطلاع ١/١٩٧ ، أنها من نواحى الزاب بينها وبين قلعة بنى حماد مرحلتان ، وأشار أيضا نفس المرجع إلى أن هناك من يقولها بفتح الباء والكاف وتعرف ببسكرة النخيل ، أما عن صاحب الترجمة فانظر الضوء اللامع ١٠/٨٢٩ ، ومنه كان ضبط «ابن مزنى» .

(٢) فى هامش ث جاءت الترجمة التالية : «يشبك الأزدمرى نائب طرسوس ولم يكن به بأس وكان قد تولى الحجوبية الكبرى بدمشق ونيابة حماة» .

إسماعيل ، أخذ الكثير عن شيوخنا ، وقرأ فى الفقه والعربية والأُصول وأكثر جدًّا ، ثم انقطع بزاوية أبيه بإنبابة وأحبّه الناس واعتقدوه وحجَّ مراراً .

وكان يذكر لنفسه نسباً فى سعد بن عبادة ، ومات فى شوال وخلَّف مالاً كثيراً جداً .

٢٣ ــ يوسف بن قرا محمد التركمانى المعروف بقرا يوسف بن بيرم خجا ، تقدم فى قرا يوسف[1] .

* * *

(١) راجع ترجمته رقم ٨ فى وفيات هذه السنة، ص ٢٣٠ .هذا وقد وردت فى هامش ث عبارتان بخطين مختلفين أولاهما: « قرا يوسف . تقدم ذكره وأن أباه محمد بن بيرم خجا وليس هو » ثم أكملها آخر بخطه فقال : « يقول المقر هاهنا بعد ذكره أباه محمدا المعروف بقرا يوسف بن بيرم خجا ليس بوهم وإنما هى معرفة بجده بيرم خجا » .

سنة أربع وعشرين وثمانمائة

استهلت يوم الإثنين ورؤى الهلال فى تلك الليلة كبيرا ودام حتّى غاب الشفق ، وسمعنا بعض الجند يقول إنه رآه ليلة الأحد وكذا ثبت فى حلب وكان يوم الاثنين حادى عشر طوبة[1] .

* * *

وفى أوّله اشتد مرض السلطان وأُرجف بموته وحصل له ذرب مفرط واستمر به إلى أن مات ضحى يوم الاثنين ثامن السنة ، وحضر موتَه الشيخُ يحيى السيرامى وبعضُ الأُمراء ، ثم اجتمع الأُمراءُ والقضاة والخليفة وسلطنوا ابنه أحمدَ ولقبوه « المظفر » وذلك قبل تجهيز والده ، وكان القائم فى ذلك الأَمير ططر وهو يومئذ أمير مجلس ، ثم جُهِّز الملك المؤيد وتقدم للصلاة عليه الخليفة ثم حُمل من القلعة إلى مدرسته التى أنشأها داخلَ باب زويلة ودفن بها فى القبة التى دفن فيها ولده إبراهيم ، وتأَسف الناس عليه جدا وأَكثروا الترحم عليه ، وأمطرت السماءُ ساعة المسير بجنازته مطرا غزيرا جدا حتّى مشى الناس فى الوحل إلى المدرسة ، وأخبرنى بعض أصحابنا أنه شاهد البرد ينزل من السماء كبارا .

وكانت مدّة سلطنة المؤيد ثمانى سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام ، وكان ابتداءُ استقراره فى نيابة الشام فى سنة خمس وثمانمائة ، فاستوفى فى الملك عشرين سنة : أميرا صرفا ، وفى معنى السلطان ، وسلطانا .

وكان شهما شجاعا عالى الهمة كثير الرجوع إلى الحق ، محبًّا فى الشرع وأهله ، صحيحَ العقيدة ، كثيرَ التعظيم لأَهل العلم والإكرام لهم والمحبة فى أصحابه والصفح عن جرائمهم ، ومحاسنه جمة .

* * *

وفى عقب دفن السلطان قُبض[2] على الأَمير قجقار القردمى وحُبس بالقلعة ، وكان

---

(١) تتفق هذه التواريخ كلها مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٢ .

(٢) لعل ابن حجر يريد بذلك الإشارة إلى أن قجقار كان يريد الوثوب على الملك والاستيلاء على السلطنة والقبض على ططر .

شاع فى مُدَّة مرضِ المؤيد أنه يريد الركوب على السلطان فلم يقع ذلك ، فلما مات المؤيد كان الأُمراءُ مقيمين بالقلعة فلم يتوجه منهم فى الجنازة إلا القليل ، فبادر الأمير ططر وقبض على قجقار ، وكان قجقار أراد ذلك فلم يتهيأْ له ، فكان يريد أن يكون هو المتكلم فى المملكة فحيل بينه وبين ما أراد .

واستقر ططر بتدبير المملكة ولَفَّ المؤيدية عليه وقَرَّبَهُم وأَمَّرَهم ، ونودى فى يوم الخميس بالإنفاق على الجند ، فأُنفق لكل واحد ثمانون دينارا وأربعة آلاف فلوسا ، وكان فى خزانة المؤيد جملة مستكثرة من الفلوس ، ولم يفتح الأمير ططر الخزانة إلا بحضرة القضاة ، فأخذ منها قدر أربعمائة ألف دينارٍ للنفقة ثم أغلقها وختم عليها وسلم الختم والمفتاح للقاضى المالكى ؛ ثم قبض على جلبان رأس نوبة إبراهيم بن المؤيد وعلى شاهين الفارسى وهما من كبراء الأُمراء فأُضيفا إلى القردمى ، وجَهَّزَ الثلاثة إلى الإسكندرية فى يوم الجمعة .

وانسحب مقبل الدويدار فى طائفة خوفاً على أنفسهم من الحبْس فتوجهوا قِبَل الشام ونزلوا البحر من جهة دمياط[1] وألطِينة واستمروا إلى جهة طرابلس ، وكانوا اتفقوا على الركوب على ططر ، وكان فيهم أسندمر النورى أمير طبلخاناه وكان من رءوس النوب ، وكان معه من أمراء العشرات مبارك شاه وجلبان وكمشبغا الحمزاوى ويَلْخُجا ، واجتمعوا بالرميلة ، فتأَخَّر عنهم من كان أحضر واتفق معهم فساقوا هاربين فتبعهم جانبك الصوفى ويشبك الأُستادار وتنبك ميق فلم يلحقوهم .

* * *

وفى الثالث عشر من المحرم استمر بدر الدين بن نصر الله فى نظر الخاص مضافا إلى الوزارة ، وصُرف مرجان الهندى عن التحدّث فى الخاص ، واستقر صدر الدين بن العجمى فى الحسبة وصُرف إبراهيم بن الحسام ، وفرح الناس به ورَتَّب الأمير ططر للمحتسب فى كل يوم ديناربن على الجوالى ، وشرط عليه أن يبطل الدّكة ويوفر ما كان المحتسب يأْخذه من البياعين ، ثم استقر فى الوزارة تاج الدين كاتب المناخات فى ثانى عشرى المحرم .

(١) عبارة ه على الصورة التالية : « دمياط فى ألطينة » .

وفيه نودى فى الجند أن يحضروا ليُعاد إليهم ما كان قُبض منهم - بسبب التَّجريدة - من المال فى أيام المؤيد ومباشرة الهروىِ القضاء ، فعَظُم فرحهُم بذلك ودعاؤهم ، وشرع فى إعطائهم ذلك .

وفى النصف من المحرم خُلع على الأمير ططر خلعة معظَّمَةً واستمر نظامَ المملكة ، واستقر تغرى بردى بن قصروه أمير آخور ، وجانى بك الصوفى أميرَ سلاح ، وعليِ باى دويداراً كبيراً عوضا عن مقبل ، ولُقب ططر « نظام الملك » ، وخلع على جماعة آخرين من الأُمراء.

وفى الثانى عشر منه استقر إينالُ الأَزعرى حاجبَ الحجاب ، وخُلِعَ على القضاة باستمرارهم ، وعلى كاتب السر وناظر الجيش وناظر الإسطبل بالاستقرار أيضا ، ثم استعفى ناظرُ الجيش من وظيفته فرُوجع فصَمَّم وتوجَّه إلى الجيزة فأَقام بها ، فلما كان فى الخامس والعشرين منه قُرر فى كتابةِ السر ، وقُرِّرَ كاتبُ السر فى نظر الجيش وباشرا ذلك جميعا ، ولبس كمالُ الدين الخلعة بذلك فى هذا اليوم ، وتأخر لبس ابن الكويز الخلعةَ إلى يوم الاثنين تاسع عشرى الشهر أو سلخه ، واستقر مرجان الخزندار فى نظر الجوالى .

وفى السابع والعشرين من المحرم توجه يشبك الأُستادار إلى الصعيد لدفع المفسدين من العرب واستخلاص الأَموال من الفلاحين .

* * *

وفى أواخر الشهر خرج الأُمراءُ المجَرَّدون من حلب ، وكان المؤيد أَرسلهم فى الظاهر لحفظ البلاد من قرا يوسف وفى الباطن لإِمساك يشبك ، وأَحَسَّ يشبك بذلك فأَخذ حِذْره منهم ولم يتمكنوا منه ، فلما بلغتْهم وفاةُ المؤيد سافروا قادمين القاهرة فلم يُوَدِّعْهُم نائبها يشبك اليوسفى ، فبلغهم أنه يريد الغَدْر بهم فحذروا منه ، وتبعهم هو فتتبع آثارهم ظانا أنهم على غفلة عنه فكبسهم ، فوقع الحرب بينهم فكبَا به فرسُه فظفروا به فقتلوه ورجعوا إلى حلب ، فقرَّروا أَلطنبغا الصغير فى إمرتها وتوجَّهوا إلى جهة دمشق ، فلما بلغ ذلك ططر فى ربيع الأَول أخرج إقطاع أَلطنبغا الصغير هذا ووقعت الحوطةُ على حواصله ، ثم أُخْرجت إقطاعات بقية الأُمراء فاستقر تَنْبَك ميق أَتابكاً على إقطاع القُرْمشى ، ثم أُخرجت

إقطاعات بقية الأُمراء المجرّدين صحبة أَلطنبغا ، ووقع التباين بين الطائفتين . وكانوا أرسلوا إلى العرب والتركمان فصادف وصولهم يوم نزول العسكر بعين مباركة ، وكان نائبُ القلعة شجاعُ الدين أَحسَّ بالشر من يشبك فأَخذ حذره منه وحصّن القلعة ، فأَراد يشبك المؤيدى بحلب فلم يظفر به ؛ فخرج طالبا العسكر فرمى عليه نائبُ القلعة بالحجارة والسهام ، فصار هو يرعد ويتوعّده ، فما أَحسَّ العسكر المصرى إلا وقد طرقهم بمن معه ظَنّاً منه أَنه يأْخذه منهم على غِرَّة ، وفطنوا به فظفروا به[1] وقُتل فى المعركة ورَجعوا إلى حلب .

وكان يشبك المذكور سيِّىءَ السيرة حتى إن بعض مماليكه خرج إلى كفر بوران لمُهِمٍّ لأُستاذه ، فرجع إليه فافترى عليهم كذبة . فلم يُكَذِّب أُستاذه الخبرَ ورجع بعسكره فأَوقع بهم وأَبادهم قتلا ونهبا وفسقا ، وسبى الذرية وأَحضر أَربعة عشر نفسا من شيوخهم وكهولهم فصلبهم .

وفى حادى عشر صفر وصل سيف يشبك ـ الذى كان شادّ الشّرَابْخاناه ومات المؤيد وهو نائب حلب ـ وقرينُه[2] رأْسه ، أَرسَل ذلك الأُمراءُ الذين قتلوه ، واتفق أَلطنبغا القرمشى وجَقْمق نائبُ الشام ومَن معهم على مباغتة المصريين ، ثم وقع بينهم الخلف ومال القرمشى إلى المصريين .

وفى صفر خُلع علىَ الدويدار الكبير علِى باى وعلى كاتبِ السر ابن الكُوَيْز بنظر المؤيّدية وحصرها ، وعلى أَمير آخور تغرى بردى بنظر الظاهرية ، وعلى رأْس نوبة بنظر الشّيخونية ، وعلى إينال الأَزعرى بنظرجامِعَىْ الأَزهر وعمرو بن العاص ؛ وباشروا وظائفهم.

وفى ربيع الأَول أُخرجت إقطاعات الأُمراء المخالفين وجُدِّدت الأَيمان للمظفّر وللقائم بدولته ططر ، وكُتب له تفويضٌ عن الخليفة وشَهد فيه القضاة ثم حكموا بصحّته ،

(١) عبارة « فظفروا به » غير واردة فى ه .
(٢) أى أنهم أرسلوا الرأس قرين سيف يشبك .

ودخلت فى رأسه النّخْوة ، ونهج الاستبداد تلويحا وتصريحا وأخذ فى أسباب ذلك وأعانه عليه قوم آخرون ، وشرع فى إرضاء من خشى شرَّه ومخالفتَه بالمال .

* * *

وفى يوم الخميس أول[1] يوم من ربيع الأول - ثم ثبت أنه ثانيه - عُمل المولد السلطان السلطانى وأُحضر المظفر فأُجلس مجلس أبيه وهو ابن سنتين بل لم يكملهما ، فجلس ساكتا لا يتكلم ولا يقلق ولا يعبَث قدر ساعة رملية ، ثم رُفع ثم أُعيد عند مدّ السماط فجلس مجلس أبيه أيضا على الصفة الأُولى من السكون .

وبلغ جمقق - نائب الشام - ما وقع بمصر فاستولى على القلعة وأمسك نائبها .

وفى خامسه نزلت الشمس برج الحمل .

وفى صفر أطلق ناصر الدين محمد بن قرمان الذى كان قبض عليه فى سنة ٢٢ وفُوِّضَت أمور بلاده لأخيه على ، فأُعيد محمد إلى مملكته ، وسار فى يوم الجمعة خامس عشرى صفر من البحر وسار معه شمس الدين الرومى المعروف بشّاكر الهروى ، وزوّده الأمير ططر بمالٍ وقماشٍ وخيلٍ وخيامٍ ، وجهز معه مُسَفِّرا ، فيقال إن الريح عصفت عليهم فتوجهت المركب نحو قبرص ، فبلغ ذلك صاحبها فكارمه بهدية .

وفى يوم الأحد حادى عشره[2] أُمسك كمال الدين بن البارزى وعُوِّقَ من وقت العصر إلى صبيحة الاثنين ، وَشفع فيه صهره ابنُ الكُوَيْز واستكتَبَهُ خَطّه بستة آلاف دينار .

وفيه قُبض على ناصر الدين بن العطار الذى كان نائبا بالإسكندرية لناظر[3] الخاص ثم أفرج عنه بعد أيام ، ووصل يشبك الإينالى الأُستادار من الصعيد بعد أن اجتاح أهله

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٢ ، أن أوله الخميس (ويوافقه ٦ مارس ١٤٢١ و ١٠ برمهات ١١٣٧) ، وعلى هذا يصح ما ورد س ١٤ من أن الأحد هو حادى عشره .

(٢) عبارة « لناظر الخاص » غير واردة فى ه .

(٣) أى نائب القلعة .

فصُرف بعد قليل من الأُستادارية واستقر فيها صلاح الدين بن ناظر الخاص فى سابع عشر ربيع الأَول .

وفى يوم الإثنين العشرين من شهر ربيع الأَول كان أول الخماسين عند المصريين ، وحصل فيه حرٌّ شديدٌ وسموم مفرط ،وكان ذلك فى أواخر آذار وأوائل نيسان، فاشتد ذلك حتى صار كأشد ما يكون فى تموز ولولا برد الماء لهَلك الناس ، ثم ارتفع ذلك بعد عشرة أيام وأمطرت السماءُ مطرا غزيرا برعْدٍ وبرق ، وعاد مزاج الفصل إلى العادة من البرد المتوسط .

وفى شهر ربيع الآخر أُقيمت خطبة فى تربة الزمام خارج الصحرء بالقرب من جامع طشتمر وحضرها جماعةٌ مع ضيق المكانجدا ،وحكم بصحة ذلك القاضى الحنفى .

وفيه استقر شمس الدين محمد بن قاضى القضاة الحنفى الأَقفهسى[1] فى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل عوضًا عن شمس الدين القرمانى المعروف بشاكر الهروى بحكم انتقاله إلى بلاده صحبة ابن قرمان .

وفى رابع ربيع الآخر نزل الأَمير ططر فى موكب كبير ومعه جمعٌ كبيرٌ من الأُمراء وغيرهم ، فدخل المدرسة المؤيدية وزار قبر المؤيد وضَيَّفَهُ شيخُها بحلاوة عجمية .

وفى رابع عشرين صفر قُبض على ابن وثاب وكان من قطاع الطريق بالإطفيحية وقد جمع كثيرا من المفسدين وسماهم بأَسماء الأُمراء ، فإذا مرت مركب فيها غلة سأَل عن صاحبها فإذا قيل له« الأَمير فلان» استدعى بذلك الذى سُمِّى باسمه وقال له : « هذه مركبك خذها ! » ، واستطالوا على الناس جدا .

وفى ربيع الآخر نازل عَذْرا ــ أمير العرب ــ بلاد حلب فخرج إليه ألطنبغا الصغير نائبها إذ ذاك وأوقع به فكسر عذرا وانتُهِبَتْ جماله ومواشيه وهرب فى أسوإ حال ، ورجع العسكر

(١) فى ز « التفهنى » .

الحلبيُّ منصوراً ، ثم توجه النائب المذكور إلى جهة ابن كبك التركمانى فالتقى الجمعان بين قلعة المسلمين وعينتاب ، فكان القتال واشتد الخطب ، ثم وقع النصر للحلبيين فأوقعوا بالتركمان وانتهبوهم وغنموا منهم شيئًا كثيراً جداً ، وقُتل منهم جماعةُ وأُسر جماعة ، فوُسط بعضهم بسوق الخيل .

وفى ربيع الآخر رخص الورد جدا بحيث بيع على رءوس الباعة على حساب كل ألف وردةٍ بقدر عشرين درهمًا معاملةَ القاهرة ، فيكون بالدينار الهرجة المصرى عشرة آلاف وردة .

فلما كان فى سنة ست وعشرين كان قليلا ، وأكثر ما رخص أن كان على الضعف من هذه السنة .

وفى سابع ربيع الآخر أنفق الأمير ططر نفقة السفر ، لكل مملوكٍ مائةُ دينار ، وأعطى القضاة من النَّفقة لكل واحد كما لواحد من المماليك ، وخلع على القضاة الأربعة جبئًا بسمور .

وفى جمادى الأُولى ادّعى شخص من عرب الصعيد يقال له « عرّام » النبوة ، زعم أنه رآى فاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فأخبرته عن أبيها أنه سيُبْعَثُ بعده فأطاعه ناس ، وخرج فى ناحيته فقام عليه نجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى[1] وسعى إلى أن قبض عليه فضربه تعزيرا وحبسه وأهانه فرجع عن دعواه وتاب ، وهكذا أخبرنى به عبد الرحمن المذكور .

* * *

وفى التاسع عشر من شهر ربيع الآخر خرجت العساكر المصرية متوجهةً إلى الشام بسبب مخالفة الأُمراءِ بالشام عليهم ، وكان الأُمراءُ قد توجهوا من حلب بعد قتل نائبها إلى دمشق وانضم إليهم مقبل الدويدار الذى كان تسحّب ، وتحالف الجميع على المعاونة وعلى تقدمة الدولة المؤيدية وطرد النوروزية ، فبلغ ذلك ططر فأنْفق فى العساكر فى تاسع الشهر وبذل

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٤/٢٦٤ حيث ذكر أن وفاته كانت سنة ٨٦٨ .

الأموال ولم يردَّ سائلا حتى نفد بيت المال الذى كان المؤيد ادّخره ، ولم يبق معه منه إلا القليل صحبته ، وقرّر الأمير ططر فى الإسطبل جقمق - أخا جركس المصارع وهو الذى ولى السلطنة بعد الأشرف - ، ونائب الغيبة قنباى الحمزاوى ، ونائب القلعة قطج ، فضرب خامه فى الرابع عشر بالريدانية ثم خرج فى المقدمة عَلِى باى الدّوادار والحاجب إينال وغيرُهما ، ثم توجه العساكر فى يوم الجمعة الثانى والعشرين منه ووصل جاليش الشاميين إلى غَزَّة ، فلما بلغهم وصول العساكر انهزموا بغير لقاء ، واستأمن جلبان[1] أمير آخور وإينال النوروزى وحضرا إلى المصريين فى أثناء طريق غزة ، وتوارد غالب من كان فى المقدّمة إلى أن كان الذين حضروا عند ططر بغزة ستمائة نفس منهم ، وكان دخولهم غزة فى ثانى جمادى الأولى يوم الاثنين فى دست كبير وأُبهّة هائلة ، ثم وقع بين الشاميين مباينةٌ فقام ألطنْبغا القرمشى ومن انْضَمَّ إليه من الأمراء المجردين على جقمق ومن معه ، فانكسر جقمق وفر هو ومقبل الدويدار وطوغان أمير آخور إلى صرخد فتحصنوا بها ، واستقر ألطنبغا القرمشى حاكما بدمشق ، ووصلت عساكر المصريين إلى دمشق فى نصف الشهر .

وألقى القرمشى ومن معه بالمقاليد وطلبوا الأمان ودخلوا فى الطّاعة ، فأُمْسِكوا بعد قليل وقُتلوا ، ثم جُهِّزَت طائفة إلى صرخد بسبب جقمق ومن معه ، واستمر قطلوبغا التنمى بطَّالاً ، وشَرْبَاش قاجق وألطنبغا المرقبى بطَّالين بالقدس ، واستقر تانى بك ميق نائب[2] الشام ، وقرر عوضه جانبك الصوفى أتابك العساكر .

وفى رابع ربيع الآخر قُتل راشد بن بقر أمير العرب بالشرقية ، واستقر عوضه شعبان ابن عيسى ، وكان راشد مشكور السيرة .

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة أمطرت السماء بعد المغرب مطرا يسيرا وذلك بعد نزول الشمس للسرطان بليلتين .

---

(١) أمامها فى هامش ث : « جلبان أمير آخور هذا هو الذى ولى نيابة الشام بعد ذلك فى دولة الظاهر جقمق » .

(٢) أمامها فى هامش ه : « أى نائبا بالشام » .

وفى يوم السبت العشرين منه ابتدئ بالنّداء على زيادة النّيل ، وكانت القاعدة أربعة أذرع وعشرين إصبعا .

وفى سلخ جمادى الآخرة توقّف النّيل ثم استمرت الزيادة ورخصت الأسعار .

وفى رمضان ورَد مرسوم السلطان بِقَتْلِ الأُمراء المسجونين بالإسكندرية فقَتَلوا منهم قجقار القردمى .

وفى[1] الرابع من رمضان أُحضر إلى صدر الدين بن العجمى المحتسب رجب بن سليمان غلام ابن خير ومعه جمع كثير ، وذكروا له أنهم كبسوه مع صبى وهو يلوط به نهاراً فأمر بضربه بالعصا وبالدّرة وحُبِس ، وكان قد أنكر ذلك لمّا شهدوا عليه ، فأمر شخصا أن يكشف عن ذكره ويعصره ففعل فخرج المنى منه ،فلم يُسْمع بأفحش منها ، ثم أُطلق هذا الرجل و استمر على حاله .

وكان هذا يخدم القاضى ابن خير فصار بعده يستجدى من الطّلبة ويرافقهم فى الطلب وفى سماع الحديث ، فسمع شيئا كثيرا ، لكنه يزن بالهنات ، ولا يزال يحصل فى مكروه من ذلك إلى أن وقعت له هذه الواقعة ، فكانت أشد شئ اتفق له ، ثم اتفق أن المحتسب عُزل بعد يومين فرجع رجب إلى عادته وعاش بعد صدر الدين دهرا .

* * *

ولمـا توجه ألطنبغا القرمشى ومن معه من الأُمراء وهم : طوغان أمير آخور وجلبان وأزدمر الناصرى وجرباش إلى دمشق تـأخر من رفقتهم ألطنبغا الصغير فى نيابة حلب ، واتفقوا جميعا مع جقمق نائبها ــ الذى كان دويدار المؤيد ــ على محالفة[2] المصريين ،ثم وقع بينهم الحرب فانتصر ألطنبغا وفر جقمق ومن وافقه إلى صرخد فتحصنوا بها .

ووصل ططر مع العسكر المصرى إلى الغور ، فكتب القرمشى إلى ططر بطاعته هو ومَن معه ، ثم خرجوا إلى ملاقاة العسكر إلى أن دخلوا دمشق وخُلع على الجميع ، فلم يَمْضِ نهارُ دخولهم حتّى قُبض على القرمشى وقُتل واعتُقِل جماعة غيره ممن كانوا معه .

---

(١) أمامها فى هامش هـ : « واقعة رجب الخيرى » .

(٢) فى هـ : « مخالفة » .

واستقر إينال الجكمى فى نيابة حلب ، ثم خرج ططر بالعسكر إلى حلب فاستمر بها نحو أربعين يوما حتى قرَرَّ الأُمور بها وقَرَّر فى نيابتها تغرى بردى الذى يقال له أبو قصروه ، ونقل إينال الجكمى ، وحضر أُمراءُ القلاع ونواب البلاد عنده وبذلوا الطاعة ،ثم رحل عنها طالبًا دمشق .

وكان خروج العساكر صحبة ططر من حلب فى ثانى عشر شعبان قاصدين دمشق ، فوعك ططر فى الطريق ثم عوفى ،ثم دخل دمشق فى الرابع والعشرين من شعبان فأَقام بها قليلا ، وقَبض[1] على إينال الجكمى وإينال الأَزعرى ويشبك الإينالى الأُستادار وجلبان وأزدمر الناصرى وعدة معهم من الأُمراءِ الأَربعينات والعشرات واعتقلهم ، وذلك فى الثامن والعشرين من شعبان ، وبات فى تلك الليلة عنده تانى بك ميق النائب بدمشق وغيره من خواصه .

* * *

فلما أصبح يوم الجمعة ـ سلخ شعبان ـ طلب الخليفةَ والقضاةَ والأُمراءَ إلى القلعة فبايعوه بالسلطنة ، وخلع المظفرَ أحمد لصغره وعجزه ، وخُطِب له ذلك اليوم على المنابر بدمشق وما قاربها ،واستمرّ إلى رابع عشر رمضان فرحل بعد صلاة الجمعة طالبا الديار المصرية ، وقَرَّر بدمشق نائبها تنبك ميق المذكور ، وقرَّر فى طرابلس تانى بك البجاسى نقلا من نيابة حماه ، وقرر فى نيابة حماه جار قطلى ، ودخل القاهرة يوم الخميس رابع شوال ، وكان استقر أركماس الجلبانى نقلا من نيابة . . . .[2] إلى نيابة طرابلس عوضًا عن شاهين الزردكاش ، ووصل رسول جقمق ومن معه من صرخد فى طلب الأَمان ، فجهز إليهم بعض الموقعين وهو بدر الدين بن مزهر صحبة الأَمير برسباى الدقماق وهو الذى ولى السلطنة بعد ذلك ، ووصل مقبل سفيراً منهم فقرر[3] فريقه ، ثم توجه بدر الدين بن مزهر

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان القبض عليهم تاسع عشرى شعبان المذكور واستمر إينال الأزعرى إلى أن أطلقه الأشرف برسباى من السجن يوم السبت تاسع شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانى مائة ، ثم مات سنة ثلاث وثلاثين بدمشق » .

(٢) فراغ فى جميع النسخ .

(٣) فراغ فى هـ بدلا من « فقرر فريقه » ؛ وفى ث : « فقدتها و ثقة »

موقع الدست فاستنزل الأُمراء من صرخد وأحضرهم إلى دمشق ، فقُتل جقمق فى شعبان وحُبس طوغان .

وفى شعبان أُمسك جماعة من الأُمراء منهم يشبك الإينالى الذى كان أُستادارًا وعلى باى الدوادار وإينال الأزعرى وآخرون فحبسوا ، وقبض على الأُمراء المؤيدية لما أرادوا الوثوب على ططر فى آخر شعبان ، وهم: على باى الدوادار وجلبان ومغلباى وإينال الجكمى ويشبك الإينالى وأزدمر الناصرى ، وكان طلب أولا الدويدار ومغلباى ثم طلب الباقين واحدا واحدا ، فلما تكاملوا بالقلعة قَبض عليهم ثم أودعهم الاعتقال ليلة الجمعة وبات عنده بقية الأُمراء مثل نائب الشام تانى بك ميق والعلائى وجانبك الصوفى وبرسباى وهو[1]الذى ولى السلطنة بعده ، واستقر برسباى دويدارا كبيرا ، وجعل الدويدار أتابك دمشق ، وجانبك الصوفى أتابك مصر ويشبك أمير آخور .

* * *

فلما أصبح يوم الجمعة تاسع عشرى[2] شعبان الموافق لأول يوم من السنة القبطية تسلطن ططر بدمشق ولُقب الظاهر وكُنى « أبا الفتح » وبايعه الخليفة والقضاة المصرية والشامية ، وخُطب له على منبر دمشق ، ووصلت إليه الطاعة من نواب البلاد .

وكان خروج ططر من حلب بالعساكر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، ونزل بعين مبارك يومين ، ووصل إليه — وهو بها — على باك بن خليل بن قراجا بن ذلغادر أمير التركمان بناحية مرعش خائفا ، فتلقاه بالإكرام وفوض إليه نيابة عينتاب ودَرَنْدَه وغير ذلك مضافا لما بيده ، وأذن له فى التوجه .

وسار ططر إلى جهة الشام ليلة الأربعاء رابع عشره فوصل إليه وهو بمنزله — « قرا شهر »—

---

(١) عبارة « وهو الذى ولى السلطنة بعده » بين حاصرتين فى نسخة منسوخة بدار الكتب المصرية وبها تعليق: « ذكر ما بين القوسين غير مرة ، وهذا ديدن المؤلف رحمه الله » .

(٢) كان أول شعبان هذه السنة هو يوم الجمعة وبذلك يكون التاريخ أعلاه هو « تاسع عشرى » ، وليس « تاسع عشر » كما ورد فى بعض النسخ .

مقبلٌ دويدارُ نائبِ الشام يخبر بوصول جقمق وطوغان من قلعة صرخد ، فسُرَّ بذلك ودَخل دمشق يوم السبت رابع[1] عشرى شعبان وأحضر الأميرين فقبّلا الأرض ، فأمر بتوجه طوغان إلى القدس بطالا ، وبإعادة جقمق إلى السجن فأُعيد ، فقُدِّرت وفاته ليلة الثلاثاء سابع عشرى شعبان ودفن يوم الأربعاء بمدرسته التى أنشأها بدمشق عند باب الجامع الشمالى ، وكان ظالما غشوما متطلعا إلى أموال الناس .

* * *

وفيه وقع بين المحتسب صدر الدين بن العجمى والتاج الوالى مخاصمة ثم اصطلحا ، ثم جاء الأمر بعزل صدر الدين واستقرار جمال الدين يوسف البساطى -الذى كان قاضى المالكية- فى الحسبة . واستقر فى خامس شهر رمضان، والتزم صدر الدين بأن لا يتردد إلى أحد ، وضُيّق على بعض أتباعه ثم أُفْرج عنهم ؛ واستمر البساطى فى الحسبة إلى أن مات الظاهر ططر فصُرف فى ثالث عشرى ذى الحجة وأُعيد ابن العجمى .

* * *

وفى رابع عشر شهر رمضان توجه السلطان الظاهر والعساكر من دمشق إلى جهة الديار المصرية ودخل القاهرة فى رابع شوال وكان يومًا مشهودا . واستقر برسباى دويدارا كبيرا ، ويشبك - الذى كان دويدارا صغيرا وولى إمرة الحاج وفر من المدينة - أميرَآخور ، وطرباى حاجبا كبيرا ، ودخل هؤلاء بالخلع إلى القلعة ، واستقر مرجان الخزندار زماما ، وصودر كافور ولزم بيته فسكن فى تربته بالصحراء

* * *

وفى هذا الشهر وصل جماعة من الأُمراء المتسحبين فى زمن المؤيد ، وهم : سودون من عبد الرحمن الذى ولى نيابة دمشق بعد ذلك ، وطرباى الذى ولى الأتابكية بعد ذلك أى بعد ططر ، ويشبك الدويدار الذى كان فرَّ من المدينة الشريفة وهو أمير الحاج ، وقجقار المرادخجاوى وخليل بن أمير سلاح وجماعة ، فلما وصلوا إلى الفرات تبعهم ابن طلجا موسى الكردى ، وجمع عليهم عسكرا من التركمان والعرب فوقع بينهم القتال ، فقُتِل خليل المذكور وانهزم الباقون بأسوء حال ، فتلقاهم نائب حلب .

(١) فى هذا التاريخ وفى تحديد أيام شهر شعبان فى هذه الصفحات نظر .

وكان وصول السلطان شَقْحب فى آخر جمادى الأُولى ، فقام عليهم عسكر نائب حلب مع نائب القلعة شاهين الأَرغون شاوى ورمى عليه وفاجأَه بمن معه مفاجأَة منعته من الكبس ، فخرج من دار السعادة حاسرا حافيا وتفرق جمعه ، فتوجه بمن تبعه إلى حلب فلم يُمَكّنوه من دخولها فاستمر ذاهبا فاختُلِف فى أمره ، وكان معه كمشبغا الجمالى أميرًا كبيرًا كان بحلب ، فانقطع ذكرهما ، وقرر المظفر فى نيابة حلب إينال الجكمى وآق بلاط الدمرداشى فى إمرة كمشبغا ، وأحمد بن سيدى حاجب الحجاب ، وبردبك نائب سيس أمير عشرة ؛ ودخل إينال الجكمى نائب حلب إليها فى رابع رجب .

وفيها طلب السلطان الظاهر أركماس الجلبانى وأمره بالوصول معه[1] إلى الشام ليسافر معه إلى القدس، فاستشعر الشر فتسحّب وخرج من طرابلس بمن معه قاصدا إلى حلب ، فلما وصل إلى صهيون ركب عليه جماعةٌ من التركمان والفلاحين فأَخذوا عليه المضايق ونهبوا أثقاله ، وفر هو ونفر قليل إلى ناحية الشغر من عمل حلب فلما وصل إلى دمرداش أُمسك ، وبعث نائب حلب سيفه إلى السلطان واعتقله ، واستقر فى نيابة حماة جَرْقُطلى ، وتوجه نائب حماه وهو تانى بك البجاسى إلى طرابلس .

وفى رجب وصل إلى المظفر ومدبر دولته ططر رسول شاه رخ بن اللنك يخبر عنه بأَنه نازل تبريز وبها إسكندر بن قرا يوسف فهزمه وملكها شاه رخ ، ووصل ولد قرايلك من أبيه مهنئا للظاهر بالسلطنة فخُلع عليه وكتب إلى والده بالرضى وتقريره فى البلاد .

ووصل رسول صاحب الحصن مهنئا بالسلطنة فأَكرمه .

* * *

وفى النصف من شوال استقر الشيخ ولى الدين بن شيخنا الحافظ زين الدين العراق فى قضاء القضاة الشافعية عوضا عن البلقينى بحكم وفاته .

وفى ذى القعدة استقر زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الخزانة فى نظر الجيش وعُزل كمال الدين بن البارزى ، فكانت مدة ولايته سنةً ما بين كتابة سر ونظر جيش،

---

(١) « معه » ساقطة من هـ .

ولزم بيته بطالا ، وقُرِّرَ لهُ فى الجوالى كل يوم دينار ، وانتُزِع شرف الدين بن نصر الله من عبد الباسط نظر الخزانة ونظر المستأْجرات السلطانية بالشام وغير ذلك مما كان يباشره ، ومن ذلك نظر الكسوة .

* * *

وفى هذه السنة حججْت ــ بعد أن توجه الحجاج بعشرة أيام على رواحل ــ فوصلت إليهم بالقرب من الحوراء ورافقتهم إلى مكة ثم عدت صحبتهم ، وكانت الوقفة يوم الجمعة بعد تنازع بمكة ، مع أن العيد كان بالقاهرة يوم الجمعة .

وفيها رجع شاه رخ إلى بلاده لما بلغه أن ولده خرج عليه فكرَّ راجعا وترك تبريز فرجع إليها إسكندر بن قرا يوسف .

واستمر الظاهر ططر موعوكا ينصل تارة ويشتد به المرض أُخرى ، وصار يحضر الموكبَ داخل القاعة البيسرية عجزا عن الركوب ، وتمادى به ذلك إلى أن اشتد به المرض فى ذى الحجة فأَوصى وعهد بالملك لولده ، وقرر الدويدار الكبير برسباى أتابك العساكر ؛ ومات الظاهر فى يوم الأَحد خامس ذى الحجة فكانت سلطنته خمسة وتسعين يوما .

* * *

واستقر فى السلطنة بعده ولده الملك الصالح محمد وهو ابن تسع سنين ، واستقر الدويدار الكبير برسباى فى تربيته ، وسَكَنَ الأَشرفية التى كان يسكنها ططر قبل السلطنة ، واستقر جانبك الصوفى فى أتابكية العساكر .

فلما كان يوم الجمعة بعد صلاة العيد تحيَّل بعض المماليك على جانبك فأَمسكوه ، وكان قد ركب بالرميلة فرموا عليه بالسهام ، فخرج جانى بك من باب الإسطبل وخرج برسباى من باب السر ، ووقع القتال بينهم فأُمْسِك وأُمْسِك يشبك أمير آخور وأُرسلا إلى الإِسكندرية فى حادى عشرى ذى الحجة ، واستقر طرباى أتابكَ العساكر ، واستقر

برسباى نظامَ الملك ، وسودون من عبد الرحمن دويدارا كبيرا ، وكان جانبك قد أغلظ على المباشرين بديوان[1] السلطان ، ففرحوا بالقبض عليه .

وكان ابن نصر الله استعفى من الأُستادارية فأُعفى . واستقر أرغون شاه وبسط يده بالظلم فكفَّهُ برسباى واتفقوا على أن ينفقوا نفقة البيعةلكل شخصٍ خمسون دينارا، ثم تأخر ذلك .

* * *

وفيها انقرض ملك بنى مرين من فاس بقتل صاحبها أبى سعيد وعثمان بن أحمد بن إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، قتله مدبر مملكته عبد العزيز الكنانى وقتل إخوته وأولاده وأكابر البلد وأبطالها وشيوخها وكانت فتنةً كبيرة . وأقام محمد بن أبى سعيد فى المملكة ، واستبد هو بتدبير الأُمور ولم ينتظم من يومئذ لبنى مرين أمر ؛ فسبحان من لا يزول ملكه .

* * *

وفيها لما رجع السلطان من الشام لاقاه الهروى فشكى إليه من حسن ناظر القدس وطلب أن يعاد إليه ما أخذه منه من المال وأن يعاد إليه نظر القدس فأمر بإعادة المال وهو ثلاثة آلاف دينار ولم يجبه إلى تولية النظر بل رتب له على الجوالى فى كل يوم دينارا .

وفيها هم تغرى بردى بن قصروه بالعصيان وأحضر كزل المؤيدى الذى كان هاربا من المؤيد ببلاد الروم وجمع الأُمراء بدار العدل بحلب وأمسك جماعة منهم وجاهر بالعصيان، فبلغ الظاهرَ ذلك فاستناب تانى بك البجاسى نائب طرابلس فوصل إلى حلب وصحبته العساكرَ، وكان آق بلاط الدمرداش—الذى استقر أميرا كبيرا بحلب—قد فر من تغرى بردى لما أحس بقبض الأُمراء فاستمر فى فراره إلى حماة ودخل تانى بك حلب وفر تغرى بردى منها . وكتب الظاهر إلى عسكر الشام وغيرها بالتوجه إلى حلب للقبض على تغرى بردى

(١) فى هـ : « بدواوين » .

فتوجهوا ، وكان نائب الشام تانى بك العلائى ضعيفا فتأخر بدمشق ، وبلغ تغرى بردى الخبر فاضطربت أحواله وأراد الفرار فقام عليه أهل القلعة وأهل البلد وقاتلوه فهرب على وجهه بغير قتال ، فوصل إلى العمق فاجتمع بكزل تحت حارم ، وكان قد أرسله قبل ذلك ليجمع له التركمان ، فرجع وقد جمع عونا فأشار بأن يطرق أهل حلب بغتة ، فلما هجموها بادر أهل البلد فصدوهم عن ذلك ورموهم بالحجارة وناوشوهم القتال واجتمعوا عليهم وقد نزلوا ليلا فوقع عليهم مطر عظيم بحيث تفرق جمعه،فخاف على نفسه فولى راجعا إلى جهة الشمال واتفق له ذلك كله والأمراء الذين تجهزوا من الشام لقتاله قد وصلوا إلى المعرة،فجدوا فى السير إلى أن دخلوا حلب فلبس تانى بك خلعة النيابة ونزل بدار العدل ثم انتخب عسكرا وتوجه فى أثر تغرى بردى إلى جهة كركر ، وانقضت هذه السنة على ذلك .

ومن الحوادث فى غيبة العسكر توجه قانيباى الحمزاوى إلى لصعيد الإصلاح أمرها ورجع إلى القاهرة فى مستهل جمادى الآخرة .

* * *

وفيها اجتمع أهل الشيخونية فالتمسوا من نائب الغيبة أن لا ينفصل عنهم شمس الدين القرشى من التحدث فى أوقافهم،وكان إينال رأس نوبة قد أقامه فأحسن التدبير وقرر الأمور ، فلما ورد الخبر باستقرار إينال فى نيابة حلب تعصب قوم للشيخ شرف الدين التبانى شيخ المكان ؛ وكان القرشى قد ضيق عليه ومنعه من التصرف ، فأغرى به أهل الشيخونية وتعصبوا للقرشى فأعاده الحمزاوى فأوقدت له الشموع وحضر وقت المغرب ووعدهم بالجميل ، وغضب الشيخ شرف الدين من ذلك فصرف عنهم القرشى .

واستقر تقى الدين بن حجة — موقع الدست — مكانه ،فلما استقر قصروه رأس نوبة أعاده القرشى فقام أهل الشيخونية وكتبوا على الشرف التبانى محضرا بأنه لا يحسن المباشرة وغير ذلك .

* * *

وفى يوم الاثنين الرابع من شعبان نودى على النيل بثلاثين إصبعا فتراجع النيل

وكان الوفاء فى يوم السابع عشر من مسرى وكُسر فى الثامن عشر منه، وانتهت زيادته فى هذه السنة فى يوم الجمعة ثامن عشرى مسرى ثمانية عشر ذراعا ونصف .

وفى أواخر ذى القعدة غضب القاضى ولى الدين [العراقى] من بعض الأُمراء[١] فعزل نفسه وكان السلطان مشغولا بالمرض ثم أفاق فطلب أن يوصى فحضر القضاة فكلمه الوزير فى إعادة القاضى فأشار برأسه أن نعم، واستمر، وكان ذلك فى الثامن من ذى الحجة .

ولما عاد الظاهر إلى القاهرة تتبع المؤيدية فنفى بعضا وأمر بإخراج إقطاعات بعض وسجن بعضا غير من قتل ، وقدم المماليك الظاهرية فأَمَّر بعضا وكبر بعضا، وارتفعت رأس النوروزية، وأمر الظاهر بكتابة المراسيم لأُمراء مكة والمدينة بالإعفاء من التقادم التى كانوا يدفعونها للأُمراء الذين يحجون، فخف عنهم بسبب ذلك ظلم كان يعم الناس لأنهم كانوا يقترضون غالب ذلك من التجار ولايطمع أحد منهم فى الوفاء ، وشرط فى المرسوم أن لايتعرض أحد من أمراء الحجاز للتجار ولا المجاورين باقتراضٍ ولا نوعٍ من أنواعِ الظلم، وأمر بنقش ذلك على العواميد التى فى صف أبواب الصفا .

* * *

وفيها وقعت فى النيل زيادة لم يعهد مثلها فى الوقت الذى وقعت فيه، وذلك أنه بعد أن انحط النيل وزرع الناس البرسيم وغيره وانقضى شهر أيار[٢] من الأشهر الرومية وقطعت الزيادة فى العشر الأخير من هاتور وذلك بعد انتهاء الزيادة بأربعين يوما فزاد زيادة مفرطة بحيث أغرق كثيرا من الزروع ، واستأنف أصحاب البرسيم زراعته ، ثم ارتفع سعر القمح ثم انخفض يسيرا .

وفى خامس عشرى ذى الحجة أُعيد صدر الدين بن العجمى إلى الحسبة وصُرف القاضى جمال الدين البساطى ، وأُعيد على بن قطيط إلى حسبة مصر وصُرف ابن المهندس وكان باشرها ثلاثة أيام .

---

(١) جاء فى هامش ث : « قوله من بعض الأمراء . قال العينى فى تاريخه هو أيتمش الخضرى ينسب إلى (شر وسوء سيرة)

(٢) فى ه : « شهر بابه من الأشهر القبطية » .

وفى رجوع الحاج كان الرخاء كثيرا إلى الغاية وكذا كان بمكة، لكن كانت بضائع اليمن لم تلحق الموسم، فكانت الأنواع التى يحتاج إليها لأجل الهدية غالية بحيث يساوى الذى قيمته عشرة دراهم أكثر من عشرين، وكان البرد شديدا جدا بحيث أصبح الناس فى تيه بنى إسرائيل فوجدوا الماء جليدا حتى فى القرب والزمزميات.

وفى هذه السنة قرر الظاهر ططر تاجَ الدين عبد الرحمن بن الكركى فى قضاء حلب، وكان تنبك ميق نائب الشام سأل الظاهر فى ذلك عوضا عن علاء الدين بن خطيب الناصرية فأجابه، فحضر علاء الدين إلى القاهرة بسبب السعى فى عوده.

وفى ليلة الأحد سادس ذى الحجة مات الظاهر ططر، فلما كانت ليلة العيد أضمر جانبك الصوفى الغدر فذكر بعض الناس ذلك لبرسباى، فخاف جانبك وركب بباب السلسلة فاجتمع الأمراء عنده، ثم اتفق أنهم قصدوا بيت يلبغا المظفرى ليأخذوه معهم، فلما تكاملوا عنده اتفقوا على قبض جانبك ويشبك، وهرب قرمش ثم قبض عليه، وجهز الثلاثة للإسكندرية، واستقر برسباى نظام الملك ومدبر دولة الصالح أحمد بن الظاهر ططر، واستقر طرباى أتابك العساكر المصرية وسودون من عبد الرحمن دويدارا، ويلبغا المظفرى أمير سلاح، وأزبك رأس نوبة، وجقمق حاجب الحجاب، وقجق أميرا كبيرا[1].

ذكر من مات فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة من الاعيان

١ - أحمد بن إبراهيم بن ملاعب الفلكى الحلبى، أصله من سرمين وانتهت إليه رئاسة معرفة حل الزيج وعمل التقاويم، وكان مقربا عند الأمراء بحلب وتقاويمه رائجة فى البلاد وعليه اعتمادهم عند إرادة الحروب، وله إصابات كثيرة يحفظها الحلبيون؛ وسمعتُ القاضى ناصر الدين البارزى يبالغ فى إطرائه، ووَصفَه غيرُه بقلّة الدين وترْك

(١) جاء فى هامش الصفحة فى ث: «قال العينى فى تاريخه: من الأمور الغريبة كون أربع سلاطين فى هذه السنة: الملك المؤيد وولده الملك المظفر والملك الظاهر ططر وولده الملك الصالح، قلت ثم الأشرف فهم خمسة وإن كان الأشرف تسلطن فى التى تليها لكن للتقريب هم خمسة».

الصلاة وانحلال العقيدة ، وكان يقال عنه إنه يشرب المسكرات ، قال القاضى علاءُ الدين : « ولم يكن عليه أنس أهل الدين ، ونزح عن حلب خوفاً من ألطنْبُغا القرمشى لكائنةٍ جرَتْ له معه وهى أنه لما أراد أن يركب ومنعه القرمشى قال له ابن ملاعب : ما هو جيد ، فخالفه وركب فقتل » .

وذكر القاضى علاءُ الدين من إصاباته إنه قال لنوروز لمّا كان شيخ يحاصره بحماة وكان استصحب ابنَ ملاعب معه فوعده بتخلخل عسكر شيخ وأنه يحصل له نكد، فلما أصبحوا لم يقع شئ من ذلك إلى العصر فإن سهماً أصاب جبهة شيخ فجرحه فحصل فى عسكره رهج واضطراب » ، قال : « وسمعْتُه مراراً يقول إن هذا الذى أقوله ظن وتجربة لاقطع فيه » .

وسكن صفد ومات بها فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

٢ ـ أحمد بن أحمد بن عثمان الدمنهورى ، شهاب الدين المعروف بابن كمال ، كان كثير الحج والمجاورة وكان يعظ الناس بمكة عند باب العمرة ويُكْثِر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ضُبط أنه صلّى عليه فى يوم واحد مائة ألف مرة . مات فى آخر المحرّم عن بضع وسبعين سنة .

٣ ـ أحمد بن هلال الحلبى [الحسبانى] شهاب الدين ، اشتغل قديما على القاضى شمس الدين بن الخرّاط وغيره ، وكان مفرط الذكاء ، وأخذ التصوّف عن شمس الدين البلالى ثم توغّل فى مذهب أهل الوحدة ودعا إليه وصار كثير الشطح وجرَتْ له وقائع ، وكان أتباعه يبالغون فى إطرائه ويقولون : « هو نقطة الدائرة » إلى غير ذلك من مقالاتهم المستبشعة[1] .

٤ ـ ألطنبغا القرمشى كان من أمراء الظاهر ثم كان مِمَّنْ انتمى بعد الظاهر إلى يشبك ، ثم كان فى الذين تنقلوا فى البلاد الشامية فى الفتن فى الأيام النّاصرية ، وكان فى الآخر مع شيخ، فلما ولى النيابة بحلب جعله حاجباً كبيراً ثم قرّره فى الأتابكية زمن

(١) جاء بعدها فى ث الترجمة التالية : « ألطنبغا الصغير رأس نوبة كبير ثم نائب حلب ثم هرب لملطيه فقتله التركمان » ، انظر الضوء اللامع ١٠٢٩/٢

سلطنته ودخل معه مصر ، ثم تنقلّ فى الإمرية إلى أن استقر أتابكا ، ثم جهزه المؤيّد إلى حلب كما تقدّم وقتل بدمشق ؛ وكان من خيار الأُمراء ، رحمه الله[١] .

٥ ـ جقمق الأرغون شاوى [سيف الدين] كان من التركمان فاتفق مع بعض التجار أن يبيعه ويقسم ثمنه بينهما ففعل فتنقَّل فى الخدم حتى تقرّر دويداراً عند الملك المؤيّد قبل سلطنته ثم استمرّ ، وكان يتكلم بالعربى ولايشكّ مَن جالسه أنّه من أولاد الأحرار ، ثم استقر دويداراً كبيراً إلى أن قرره الملك المؤيّد فى نيابة الشام فأظهر العصيان بعد موته فآل أمره إلى أن قُتل صبرا[٢] فى شعبان هذه السنة[٣] .

٦ ـ شيخ بن عبد الله المحمودى ، كان قدومه القاهرة على ما أخبرنا به فى السنة التى قدم فيها أنص والد برقوق فعُرِض على برقوق قبل أن يتسلطن فرام من صاحبه بيعه فاشتطّ فى الثمن وكان ابن اثنتى عشرة سنة ولكن كان جميل الصورة ، فاتفق موت الذى جلبه فاشتراه [الخواجا] محمود [شاه اليزدى] تاجر المماليك بثمنٍ يسيرٍ وقدّمه لبرقوق فأعجبه واستمرّ ينسب لمحمود، وتربّى فى المماليك الكتّابية ثم جُعِل خاصكيا ثم جُعل ن السّقاة ؛ ونشأ ذكيًّا فتعلّم الفروسية فى اللعب بالرمح ورمْى النشاب والضرب بالسيف والصراع وغير ذلك ، ومهر فى جميع ذلك مع جمال الصورة وكمال القامة وحُسْن العشرة ؛ وأُمِرّ عشرةً فى أيام الظاهر ؛ وكان ممن سُجِن مِن مماليك الظاهر فى فتنة منطاش بخزانة شمائل فنذر إنْ نجّاه الله منها أن يجعلها مسجداً ، ففعل ذلك فى سلطنته .

---

(١) فوق هذه الكلمة إشارة لإضافة فى الهامش وليست بخط الناسخ وهى : « لـكنه كان بخيلا طماعا ، ولم يشتهر عنه خير ولا معروف . قاله العينى » انظر الضوء اللامع ١٠٢٥/٢ .

(٢) ودفن بمدرسته التى أنشأها شمالى الجامع الأعظم بحضرة الخانقاه السميساطية . أنظر الضوء اللامع ٢٨٨/٣ ، ٢٨٩ .

(٣) جاء فى هامش ث الترجمة التالية : « حسن بن محمد الأمير بدر الدين بن محيى الدين الطرابلسى ، ولى أستادارية المؤيد حين كان نائبا بالشام ثم دخل معه مصر وتولى الأستادارية العالية ثم الإشارة ثم نيابة اسكندرية ثم الوزارة ، ثم غضب عليه المؤيد وكان أحمق أهوج ظالمـا غشوما طماعا قاله العينى ، ومضى إلى طرابلس على إمرة فلما عصى جقمق على ططر انتمى إليه فصادر الناس وجمع الأموال ، فلما سافر ططر إلى الشام أمسكوه وضربوه وعصروه ثم قتلوه . قال العينى فى تاريخه : ولم يكن مشكورا فى مباشراته ، ويقال كان أولا فى زى طلبة العلم وحفظ المنهاج فى فقه الشافعية ، انتهى كلامه » ؛ انظر أيضا الضوء اللامع ٤١٠/٣ .

وتأمّر على الحاج سنةَ مات الظاهر سنة إحدى وثمانمائة ، ثم لم يزل فى ارتقاء إلى أن ولى نيابة الشام ، وجرى له من الخطوب والحروب ما مضى مفصلا فى الحوادث ، وكانت مدة كونه فى السلطنة ثمانى سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام ، وأقام فى الملك عشرين سنة مابين نائب ومتغلِّب وأتابك وسلطان ؛ وكان شهما شجاعاً عالى الهمة كثير الرجوع إلى الحقّ محبًّا فى العدل ، متواضعاً يعظِّم العلماء ويكرمهم ويُحْسِن إلى أصحابه ويصفح عن جرائمهم ، ويحب الهزل والمجون لكن مستتراً ، ومحاسنه جمّة والله يتجاوز عنه بمنِّه وكرمه .

قال العينى فى تاريخه : « هو من طائفة الجراكسة يقال له كرموك ، ويقال إنه من ذريّة إينال بن تكماش بن شرباش بن طياق بن جرباش كرموك ، وكان كرموك كبير طائفته وكذلك نسله ، ولما مات كان فى الخزانة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار على ما قيل من الذهب ، فلم تمض السنة وفيها دينار واحد ، سمعته يقول : أصرفت على عمارة الجامع المؤيدى أربعمائة ألف دينار ».

٧ - ططر بن عبد الله الظاهرى كان من مماليك الظاهر ثم صار فى خدمة ابنه الناصر إلى أن خرج إلى البلاد الحلبية بسبب جكم ، فلما رجع الناصر إلى مصر استمر ططر مع جكم ، ثم لما قُتِل جكم استقر أميراً بحلب وتمربغا المشطوب يومئذ النائب بحلب فاستمر فيها مدة طويلة وهو فى أثناء ذلك ينتمى لنوروز إلى أن وقع بين شيخ وبين نوروز وانكسر نوروز ، واستمرّ مع المؤيد،فلمّا اقتسما البلاد بعد قتْل الناصر قدم مصر مع المؤيّد واستمر فى خدمته إلى أن تسلطن وحاصره مع النوروزية وهو يظهر خدمة المؤيّد ويداريه ويبالغ فى ذلك إلى أن أمّره طلبخاناه ، ثم أمّره تقدمةً ، ثم لمّا توجّه لقتال قانيباى استنابه بالإسطبل ، ثم لمّا مات المؤيّد استقرّ نظامَ الملك وخرج بالعساكر إلى الشام، ثم تسلطن بعد أن رجع من حلب بالشام ، وقدم مصر فلم تطل مدّته كما مضى فى الحوادث .

وكان يحبّ العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع[1]؛ ذكر

---

(١) فى ث « وقتل ألطنبغا » .

لى قبل أن يتسلطن فى ليلة المولد النبوى فى ربيع الأول من هذه السنة أنه كان فى آخر الدولة المؤيدية فى الليلة التى مات فى صبحها المؤيّد قد ضاقتْ يده لكثرة ما كان يصرف قلة متحصّله ، حتى إنَّ شخصا قدّم له مأْكولاً فأَراد أن يكافئه عليه فلم يجد فى حاصله خمسة دنانير إلى أن أرسل يقترضها من بعض خواصّه وكلهم يحلف أنه لايقدر عليها إلى أن وجدها عند أحدهم فلم يكن بين ذلك وبين أن استولى على المملكة بأَسرها وعلى جميع ما فى الخزائن السلطانية التى جمعها المؤيّد سوى سبعة أيام ، وأمرنى أن أكتب هذه الواقعة فى التاريخ فإنها أُعجوبة .

ولما وصل إلى دمشق للقبض[1] على ألطنبغا القرمشى ومَن معه قرر فى نيابة حلب إينال الساقى ، ثم لما قدم حلب أقام بها أربعين يوماً أو أكثر ، وقرّر فى نيابتها تغرى بردى من قصروه ، وبَعْد السلطنة نقل تانى بك البجاسى من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس وقرّر فى نيابة حماة جار قطلى[2] .

٨ ـ عبد الله بن محمد بن عمر بن أبى بكر بن عبد الوهاب بن على بن نزار الظفارى ، عفيف الدين ، كان جدّه الأَعلى عبد الوهاب انتزع ظفار من يد الجواد أبى بكر بن إبراهيم بن المنصور عمر بن على بن رسول واستمر فى ملكها ، وتناوبها أولاده إلى أن حاربهم على بن عمر بن كثير الكنزى فانهزم عبد الله وأخوه أحمد ، فأَمّا أحمد فانقطع خبره ، وأما عبد الله فاستمر يتنقّل فى البلاد إلى أن دخل مكة ثم دخل القاهرة

(١) فى هامش ث : « استقر (أى ططر) فى السلطنة يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان بدمشق ومات يوم الأحد خامس ذى الحجة فمدة سلطنته خمسة وتسعون يوما ودفن بالقرافة » .

(٢) جاء التعليق التالى فى هامش ث : « قال شيخ الإسلام العينى فى تاريخه فى ترجمة ططر الظاهرى وهى أن كتاب القدورى فى فقه الحنفية بلغة الترك من غير أن يتغير شئ من معناه ولما ولى التحدث فى أمر المملكة أعطى الأمراء والمماليك ما كانوا يطلبونه من المال ولم يتوقف معهم ففرق خزائن المؤيد فى مدة نصف سنة ماكان المؤيد قد جمعه فى عشر سنين ولم يبق شيئا فى الخزانة وكان يقول : إن ظفرت فالمال يحصل وإن كان غير ذلك فلا ينفعنى أن أترك شيئا لمن يجئ يأخذه بعدى . وكان يقول فى ضعفه : أنا رأيت فى منامى أنى أصل إلى هذه المنزلة وأتولى السلطنة ولكن لاأعلم هل تطول مدتى أم لا . فكانت مدته ثلاثة أشهر وكان عند سفره إلى الشام أمر أن يحفر قبره قرب رأس الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه فاتفق أنه حين رجع اشتد ضعفه ومات فدفن به وهذا من الأمور الغريبة ، رحمه الله تعالى » .

وحيداً فقيراً فحضر عندى وشكى إلىّ حاله فبررْته ، وسكن بالجامع الأزهر مع الفقراء إلى أن مات .

٩ — عبد الرحمن[١] ، القاضى جلال الدين بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر ابن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق البلقينى ، وُلد فى جمادى الأُولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة وتفقّه بأَبيه ، وكان ذكيًّا جيّد الحفظ فحفظ « التدريب » وبحث فى « الحاوى » ودخل مع أَبيه إلى دمشق لما ولى القضاء وهو صغير، ولم نقف له فى طول عمره على سماع شيء لا بمصر ولا بدمشق إلاّ على والده ، ومع ذلك فكان من عجائب الدنيا فى سرعة الفهم وجودة الحفظ .

وأَوّل شيء ولى توقيع الدست ثم ولى قضاء العسكر بعد موت أَخيه بدر الدين ، وكان شديد البأْو تياها ، ومَن لم يقل له « قاضى القضاة » يغضب منه ، وله مع القضاة وغيرهم وقائع ، فلما تحقّق موت صدر الدين المناوى ووثوب القاضى ناصر الدين الصالحى على المنصب شقّ عليه وسعى إلى أن ولى فى رابع جمادى الآخرة سنة أَربع وثمانى مائة كما تقدّم ، ثم سعى عليه الصالحى وعاد ، ثم مات فولى الإخنائى ، ثم سعى على الإخنائى فعاد ثم تناوب معه مراراً ، وفى أواخرها استقرّت قدمه من سنة ثمان وثمانى مائة إلى أن صُرِف[٢] بالباعونى بعد قتْل الناصر سنة خمس عشرة ثم أُعيد عن قريب من شهر واحد ، واستمر

---

(١) أمامها فى هامش ث بخط السخاوى : « وقد ذكره المؤلف أيضا فى معجمه ورفع الإصر واستفيض أنه باشر القضاء بعفة زائدة إلى الغاية وامتنع عن قبول الهدية من الصديق وغيره حتى ممن له عادة بالهدية إليه مثل القضاة ، وكان من محاسن الدهر ، ولما مات ووضعوه على المغتسل سمعوا شخصا يقول :

يا دهـر بع رتب العلا من بعده بيع الهوان ، ربحت أم لم تربح

قدم وأخر من أردت من الورى مات الذى قد كنت منه تستحى » .

وهذه العبارة واردة فى الترجمة التى كتبها له السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ٤ ص ١١٢ .

(٢) جاء فى هامش ث بخط السخاوى : « قال شيخ الإسلام قاضى القضاة البدر العينى فى تاريخه فى ترجمة الجلال البلقينى رحمه الله : وكانت عنده عفة ظاهرة ولكن لم يسلم من كان حوله »

إلى أن صُرف بالهروى فى سنة إحدى وعشرين ثم أُعيد بعد عشرة أشهر فلم يزل إلى أن مات، وقد مضى بسط ذلك فى الحوادث .

وكان قد اعتراه – وهو بالشام – قولنج فلازمه فى العود وحصل له صرع فكتموه ، ولما دخل القاهرة عجز عن الركوب فى الموكب فأقام أياماً عند أهله ، ثم عاوده الصرع فى يوم الأحد سابع شوال ، ثم عاوده إلى أن مات وقت أذان العصر من يوم الأربعاء عاشر شوال وصلى عليه ضحى يوم الخميس ودُفن عند أبيه ، وتقدّم فى الصلاة عليه الشيخ شمس الدين بن الديرى : قَدَّمه أولادُه ، ولم تكن جنازته حافلة .

وكان يذاكر الناس فى التفسير كل يوم جمعة من حين وفاة أبيه إلى شوال سنة ثلاث وعشرين ، وكان ابتدأ فيه من الموضع الذى انتهى إليه أبوه وقطع عند قوله « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أساءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد » .

وكان[1] أقام مدّة طويلة لا يتناول من مال الحرمين معلوماً .

١٠ – عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الأرموى المسند ، مات ليلة الاثنين ثانى عشر شوال من هذه السنة .

١١ – عبد الوهاب بن أحمد بن صالح بن أحمد[2] بن خطاب البقاعى الفارى – بالفاء والراء الخفيفة – الدمشقى ، أبو نصر تاج الدين الزهرى ، وُلد سنة سبع وستين ، وحفظ التمييز وغيره ، واشتغل على والده وعلى النجم بن الجابى والشريشى وغيرهم ، ونشأ هو وأخوه عبد الله[3] على خير وتصوّن ، ودرّس فى حياة أبيه[4] بالعادلية الصغرى واستمرت بيده إلى أن مات ، ودرّس بعد أبيه بالشامية البرانية وولى إفتاء دار العدل وناب فى الحكم

---

(١) من هنا لآخر الترجمة وارد فى ث فقط .

(٢) فى الضوء اللامع ٥ / ٣٦٢ « محمد » لكن أنظر الدرر الكامنة ١ / ٤٠٠ .

(٣) فى ث « عند أبيه » بدلا من « عبد الله » .

(٤) فى ث بخط السخاوى : « ذكره ابن قاضى شهبة فى طبقاته وأثنى عليه وتقدمت ترجمة أبيه فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة » أنظر إنباء الغمر ، ج ١ ص ٤٥٨ ترجمة رقم ٣ .

مدة طويلة وولاّه نوروز القضاء باتفاقِ الفقهاء عليه بعد موْت الإخنائى فباشره مباشرة حسنة ، فلما غلب المؤيد على نوروز صرفه ولم يَعْرِض له بسوء فلزم الشباك الكمالى بجامع دمشق يُفْتِى ، وبالشامية يدرّس . وكان حَسن الرأى والتدبير ديّنا وله حظ من عبادة، إلا أنه لم يكن مشكوراً فى مباشرة الوظائف . مات فى شهر ربيع الآخر .

قال القاضى تقى الدين الأَسدى : « كان يستحضر التمييز إلى آخر وقت ، وكان عاقلاً ساكناً كثير التلاوة يقوم اللَّيل ، كثير الأَدب والحشمة طاهر اللسان . مات فى ربيع الأَول » .

١٢ – على[1] بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر الزبيدى ، ذكره بعضهم هنا ظنا وسيأْتى فى حاشية السنة بعدها .

١٣ – على المعروف بالشيخ صندل ، كان أَحد من يُعتقَد ، وهو مجذوب . مات فى صفر[2] .

١٤ – قجقار القردمى [قردمر الحسنى] أَحد الأُمراء الكبار ، ولى نيابة حلب فى زمن المؤيّد سنة عشرين ثم نقله منها إلى دمشق أَميراً ثم أَقْدمه القاهرة وأَمّره ، فلما مات المؤيّد أَراد أَن يتسلطن فعوجل وأُمْسِك قبل دفنه ثم قُتِل فى هذه السنة ؛ وكان جواداً مهاباً كثير الحشمة والأَدب ، وكانبلغ الستين؛ وكان فى سلطنة الناصر تنقّلت به الأَحوال إلى أَن صار فى صحبة المؤيّد لما ولى نيابة حلب فاستمرّ إلى أَن تسلطن فأَمّره تقدمة

---

(١) جاء قبل هذا من هامش ث بخط السخاوى الترجمة التالية : « على بن رمح بن قنا بن ردين الشنبارى بضم المعجمة ثم نون ساكنة ، بعدها موحدة – نور الدين ، ذكره المؤلف فىمعجمه وأرخ وفاته سنة٨٢٤ وهومذكور فى سنة ٨٢٦ من هذا الكتاب » ويلاحظ أن السخاوى أورد للشنبارى ترجمة فى ضوئه ٧٤٣/٥ قال فيها بشأن تحديد سنة وفاته « مات فى شهور سنة أربع وعشرين كما أرخه شيخنا فى معجمه ، ولكنه أرخه فى إنبائه بسنة ست وعشرين وتبعه فيها المقريزى » ، كذلك وردت هذه الترجمة فى هامش نسخة ز . انظر فيما بعد ؛ ترجمة رقم ١٩ ، ص ٣١٨ من هذا الجزء من الإنباء .

(٢) وردت الترجمة التالية فى هامش ث بعد هذه الترجمة : « عليباى الدوادار مات مقتولا وكان عنده طيش وكثرة كلام ولكنه كان قليل الطمع فى أحكامه متعصبا لمن يلوذ به . قال العينى » . ويلاحظ أن هذه هى نفس الترجمة الواردة فى الضوء اللامع ٥٢٧/٥ . كما جاءت الترجمة التالية فى ث كذلك « فرح بن سكزباى أحد العشراوات مات فى يوم الجمعة رابع صفر بالقاهرة وكان شاباً جميل الصورة ولم يشبع من إمرته . قاله العينى » . راجع عنه الضوء اللامع ٥٦٤/٦ .

فصار من أُمراء الأُلوف ، ثم ولَّاه نيابة حلب سنة عشرين عوضا عن آقباى ، فلما توجه السلطان إلى الروم كان فى صحبته فقرّره فى حصار كركر مع عدة أُمراء ، فلما طرق قرا يوسف البلاد فرّ قجقار إلى حلب ، فبلغ السلطانَ ذلك فغضب عليه ثم رضى عنه وجهَّزه إلى الشام بغير إمْرَة ، ثم أُعيد لمّا رجعوا إلى القاهرة ، ثم تجهَّز مع ولد السلطان إلى بلاد ابن قرمان ، فلما عاد عظم قدره وامتدّت عينه ــ عند ضعْف المؤيد ــ إلى السلطنة وحرص على ذلك ، فسبقه ططر فقبض عليه فكان آخر العهد به .

١٥ ــ كردى باك ــ غير[1] أمير التركمان بالعمق ــ بن كُنْدَيْر التركمانى ، استولى على العَمْق من أعمال حلب بعد موت ابن صاحب الباز ، وكان يقع بينه وبين أُمراء حلب وقائع فتارةً يصافيهم وتارة ينابذهم ، وكان قد كثر جمعه بعْد قَتْل جكم وطمع فى الاستيلاء على ماحوله من القلاع ، فجمع له تَمَرْبُغَا المشطوب ــ نائبُ حلب فى أيام الناصر ــ عسكره وقصده وهو بطرف العمق من جهة الشمال ، فوقعت الوقعة وكانت الكسرة على العسكر الحلبي فقوى أمر كردى باك ، وكان إذا ولى دمرداش نيابة حلب يطمئن إليه ويصافيه بخلاف غيره .

ولما ولى الملك المؤيد نيابة حلب فى آخر دولة الناصر نازله بالعمق وكردى باك تحت الجبل بالقرب من بغراس ، فهجم كردى باك بعسكره على شيخ ، واستمر كردى باك هارباً وخرج الناصر طالباً القبض على شيخ ونوروز فثبت له إلى أن وقعت الكسرة على كردى باك فانهزم وتشتّت عسكره ، وكان من أمره ما كان وقُتل وصارت السلطنة للمؤيّد ؛ فلما ولى دمرداش نيابة حلب حضر إليه كردى باك ووافقه على مقاتلة الأمير طوخ وهو نائب حلب فقوى طوخ ورجع كردى باك وصحبته دمرداش إلى العمق ، ثم توجّه إلى مصر وآل أمره إلى القتل ، واستمر كردى باك فى بلاده وأظهر الطاعة للمؤيّد ، فلما مات ودخل الظاهر ططر حلب فى سنة أربع وعشرين حضر إليه كردى باك ، واتفق أن ططر كان من

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٦/ ٧٧٥ « كردى بن كندر أمير التركمان بالعمق » .

جملة الأُمراء صحبة تمربغا المشطوب فتذكر الواقعة لما رآه، فأَمر بشنقه فقُتِل وشُنق وعُلِّقَتْ رأسه بخف كلب ، وذلك فى آخر رجب من هذه السنة .

وكان كردى بك قليل الشر للمسافرين ، والقوافل فى أيامه آمنة ؛ نقلته من ذيل تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية .

١٦ ــ محمد بن إبراهيم بن إمام جامع البوصيرى ، شمس الدين الشافعى ، كان خيّراً ديّناً كثير النَّفع للطلبة يَحُج كثيراً ويقصد الأَغنياءَ لنفع الفقراء وربما استدانَ للفقراء على ذمّته ويوفى الله عنه ، وكانت له عبادة وتُؤْثَر عنه كرامات . مات فى سادس ربيع الآخر .

١٧ ــ محمد بن أحمد ، ناصر الدين الهذبانى الكردى الطبردارى ، كان من أبناء الأَجناد فتعلَّق بمجالسة العلماء وصحب الكمال الدميرى ثم نور الدين الرشيدى ، وكان يتديّن ويسرد الصّوم ويواظب الجماعة ولايقطع صلاة الصبح بالجامع الأَزهر ،يقوم من نحو رُبْع اللَّيل فيمشى من منزله بحارة بهاء الدين إلى الأَزهر فيصلى به الصبح كل يوم ؛ وكان يتكسّب من التجارة فى الحوائص ، ثم كبر وترك .

لازمنى مدةً وكان على ذهنه أشياء .

١٨ ــ محمد بن خليل بن هلال بن حسن بن بدر الدين الحاضرى الحلبى الحنفى ، وُلد فى أحد الجمادَيْن سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، ورَحل إلى دمشق فأخذ بها عن جماعة منهم ابن أميلة ، قرأ عليه « سنن أبى داود » و« الترمذى » ، ودخل القاهرة فأخذ عن الشيخ ولىّ الدين المنفلوطى والشيخ جمال الدين الإسنوى ، ورحل إلى القاهرة مرةً أُخرى وسمع على الشمس العسقلانى إمام الجامع الطولونى ، وتفقّه ببلده وحفظ كتبا نحو الخمسة عشر كتاباً فى عدة فنون ، وأخذ عن الشيخ حيدر وغيره ، ورافق الشيخ برهان الدين سبط بن العجمى ، وأخذ عن مشايخها كثيراً سماعا واشتغالاً فى الرحلة ، وقرأ على شيخنا العراقى فى علوم الحديث وأجاز له ، ولازم العلْم إلى أن تفرّد وصار المشار إليه ببلاده، وولى

قضاء بلده ، ودرّس وأفتى ، وكان محمود الطريقة مشكور السيرة . مات فى شهر ربيع الأول وصلّيْتُ عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر فى أواخر جمادى الأولى .

قال البرهان المحدّث بحلب ومن خطه نقلْتُ : « لاأعلم بالشام كلها مثله ولا بالقاهرة مثل مجموعه الذى اجتمع فيه من العلم الغزير والتواضع والدّين المتين ، والمحافظة على صلاة الجماعة ، والذكر والتلاوة والاشتغال بالعلم » . قلتُ : وكان المؤيّد يكرمه ويعظّمه . رحمهما الله تعالى .

١٩ - محمد بن سويد ، شمس الدين المصرى ، أخو بدر الدين الحسن . مات فى هذه السنة بالصعيد .

٢٠ - محمد بن عبد الرحمن بن أبى الخير محمد بن عبد الله الفاسى ، رضى الدين أبو حامد الحسنى المكىّ ، وُلد فى رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، وسمع الحديث وتفقّه ودرّس وأفتى ، وولى قضاء المالكية فى شوال سنة سبع عشرة عوضا عن مستنيبه وابن عمه القاضى تقى الدين ، ثم عُزل عن قُرْب ، وناب عن القاضى الشافعى .

مات فى ربيع الأول وكان خيّراً ساكناً متواضعاً ذاكراً للفقه ، وأخوه محبّ الدين أبو عبد الله محمد كان أسَنَّ من أخيه ، أجاز له ابن أميلة وغيره ومهر فى الفقه .

٢١ - محمد بن البرجى ، بهاء الدين ، ولى الحسبة مراراً ووكالة بيت المال ، وكان قد صاهر الشيخ سراج الدين على ابنته فوُلِد له منها ولدُه بدر الدين محمد ، ثم ماتت فتزوّج بنت بدر الدين بن الشيخ المدعوَّة بلقيس فأولدها أولاداً ، وكان استقرّ فى شهادة العمائر السلطانية بواسطة ططر . ومات فى أول صفر عن سبعين سنة .

٢٢ - يوسف بن أحمد بن يوسف الصفىّ ، نسبةً إلى الصف[1] من الإطفيحية ، كان شيخاً كثير البرّ والإيثار للفقراء قائما بأحوالهم يأخذ لهم من الأغنياء ، واتفق فى آخر عمره

(١) فيما يتعلق بالصف راجع القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠ ؛ أما الإطفيحية فانظر عنها نفس المرجع ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٥ .

أن شخصاً جاء إليه فقال : «رأيت النبي — صلى الله عليه و سلم — فى النوم يقول : قل للشيخ يوسف يزورنا » ؛ فحج ثم رجع إلى القدس فمات . وله كرامات كثيرة .

وله ولد اسمه أحمد ويُكنى أبا الغيث كثير المحاسن ، سمع الحديث مع أصحابنا .

وأكثر الحضور عند شيخنا وحجَّ وجاور ، ثم انتقل إلى بيت المقدس فأقام به ودخل الشام وغيرها ؛ وهو فى ازدياد فى الخير . أعاد الله من بركاته وأبيه .

٢٣ — زين الدين السطحى ، كان مقيماً بسطح جامع الحاكم وللناس فيه اعتقاد ، وانقطع ثلاثين سنة لايخرج من منزله إلاَّ يوم الجمعة يغتسل ويعود ، وكانت جنازته مشهودة ، وكان مالكيّ المذهب ، ورافق المعزَّ بن عبد السلام الآمدى قريب الولى السنباطى فى الطلب فى الفقه وغيره بل حضر عند العز بن جماعة ، وكان الجلال البلقينى — فمَن دونه — يقصده للسلام عليه ويطلب دعاءهُ .

سنة خمس وعشرين وثمانمائة

استهلّت بيوم الجمعة آخر يوم من كيهك [١].

وفيها ولدت فاطمةُ بنتُ القاضى جلال الدين البلقينى ولداً خنثى له ذكرٌ وفرجُ أنثى من تقىِّ الدين[٢] رجب بن العماد قاضى الفيّوم ، وقيل إن له يدين زائدتين ثابتتان فى كتفه ، وفى رأسه قرْنان كقرْنَىِ الثور ، فيقال ولدَتْه ميتاً ، ويقال مات بعد أن ولدته .

وفيها وقع بين أمير مكة حسن بن عَجْلَان وبين القُوَّاد فتنةٌ وتعصّبوا عليه مع ابن أخيه رُمَيْثَة بن محمّد بن عجلان ، فاستعان حسنٌ بمُقْبِل[٣] أميرِ[٤] الينبع فخرج فى عسكره إلى جهة اليمن ، فصالح القُوَّادُ : حسنَ بن عجلان وأخرجوا رُمَيْثَةَ عنهم ، فتوجّه إلى جهة اليمن ورجع مقبل إلى بلاده ، ودخل الركب المصرىُّ من الحجاز فى ثالث عشرى المحرم فأَمْسك تَمُرْ[٥] بيبه أمير الركب وأُرسل إلى دمياط بطَّالا .

وفى صفر نُفِى أَيْتُمُش إلى القُدْس بطالا وكان قد عظم فى دولة ططر وأراد الاستقلال بتدبير المملكة ونازع المباشرين فعملوا عليه حتى نُفِى ، ثمّ أُمِر بعودهِ إلى القاهرة بعد ذلك عند إمساك طَرَابَاى .

وفى ليلة رابع عشر صفر خُسف القمر خسوفاً شديداً بحيث لم يبْقَ منه إلاَّ اليسير وذلك فى الثلث الأَخير من الليل ، ولم يَشعر أَكثرُ النَّاس به .

---

(١) فراغ فى جميع النسخ وقد وضعت كلمة كيهك سنة ١١٣٨ بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ .

(٢) فيما يتعلق بابن العماد وزواجه من فاطمة وهى صغيرة السن ، راجع الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٣-٩٤ ، ترجمة رقم ٥٨٥ .

(٣) أنظر عنه النجوم الزاهرة ٦ /٥٨٨ .

(٤) أمير الينبع ساقطة من ث .

(٥) المقصود بذلك تمر باى التمربغاوى ، وكانت وفاته سنة ٨٥٣ ، أنظر الضوء اللامع ١٦٢/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٧/٧ .

وفيه انقطع طراباى من الخدمة السّلطانّية غَضَباً[١] من برسباى ، لأَنَّ بعضَ الأُمراءِ مات[٢] فرام طراباى أَخْذَ إمرته لبعْض أَصحابه ، فعارضه برسباى فتوجهّ طراباى إلى ربيع خَيْله بالجيزة ، فأَراد برسباى ملاقاتَه فأَمر الوزيرَ بإرسال ما جرت[٣] به العادة لأَمثاله وعتبه على تأخير ذلك ، وقيل إنَّه ضَرب الوزيرَ بسبب ذلك فبادر هو والأُستادار وناظرُ الخاص إلى إرسال ما جرت به العادة ، وذلك فى العشرين من صفر .

واستمر طراباى عند خَيْله ، ورُوسِل فامتنع حتى سار إليه يَشْبَك الأَعرج ـ أَحدُ الأُمراء ـ فحلَف له وطَيَّب خاطرَه ، فلما استهلَّ شهرُ ربيع الآخر[٤] حَضر الخدمةَ فى يوم الثُّلاثاء ثانى هذا الشهر ، ثم أَشاع برسباى أَنه يريد أَن يعمل الموكب بالإيوان بحضور رُسُل ابن قرا يوسف ، فحضر أَهلُ الموكب ومن جملتهم طراباى ، فلما تكاملوا قيل لهم : « الخدمة فى الإيوانِ اليومَ بّطالة » ، فانصرفوا وأُحْضِرت الرّسلُ بالقصر ، ثم جلسوا فى السّماط فقال برسباى لطراباى : « أَنتم ما تعرفون أَنّى كبير الأُمراء ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فلم تخالفون أَمرى ؟ ؛ » وأَشار بالقبض على طراباى ، فقام فجذَب السّيفَ يحمى نفْسَه ، فهَجم عليه قَصرُوه أَمير آخور فناوَشَه ، فضربه برسباى مِن خَلْفه فجَرحه فى يده فسقط منها السّيف فأُمْسِك و أُمْسِك معه أَميران[٥] من جهته ، وأُرسلوا إلى الإسكندرية صحبةَ إينال الشِّشْمَانى فاعتُقِلوا بها .

---

(١) فيما يتعلق بالوحشة التى وقعت بين الأميرين نظام الملك برسباى الدقاق وبين أتابك العساكر طراباى راجع النجوم الزاهرة ٦/٥٣٧ — ٥٤١ .

(٢) ورد فى هامش ث « الأمير الذى مات ورام طرباى أخذ إمرته لبعض أصحابه هو الأمير حسن بن سودون الفقيه» ، وستأتى ترجمته فيمن مات فى هذه السنة من الأعيان ص ٢٨٦ ، ترجمة رقم ٨ .

(٣) فى هامش ث : « ما جرية طراباى مع الأشرف قبل السلطنة » .

(٤) فى ث « الأول » .

(٥) الأميران اللذان يشير إليهما ابن حجر فى المتن هما سودون الحموى وقصروه النوروزى ، على أنه يستفاد مما أوردته النجوم الزاهرة ٦/٥٤٠ أن القبض عليهما كان قبل يوم القبض على طراباى ، بل إن هذا المرجع ليصرح بأن طراباى إنما صعد إلى برسباى « بسبب مسكه هؤلاء ويطلقهما » ، ونهاه أصحابه عن ذلك مخافة أن يصيبه من برسباى ما أصاب صاحبيه .

سنة خمس وعشرين وثمانمائة

استهلّت بيوم الجمعة آخر يوم من كيهك [١].

وفيها ولدت فاطمةُ بنتُ القاضى جلال الدين البلقينى ولداً خنثى له ذكرٌ وفرجُ أنثى من تقىّ الدين[٢] رجب بن العماد قاضى الفيّوم ، وقيل إن له يدين زائدتين ثابتتان فى كتفه ، وفى رأسه قرْنان كقرْنَى الثور ، فيقال ولدَتْه ميتاً ، ويقال مات بعد أن ولدته .

وفيها وقع بين أمير مكة حسن بن عَجْلَان وبين القُوَّاد فتنةٌ وتعصّبوا عليه مع ابن أخيه رُمَيْثَة بن محمّد بن عجلان ، فاستعان حسنٌ بمُقْبِل[٣] أميرِ[٤] الينبع فخرج فى عسكره إلى جهة اليمن ، فصالح القُوَّادُ : حسنَ بن عجلان وأخرجوا رُمَيْثَةَ عنهم ، فتوجّه إلى جهة اليمن ورجع مقبل إلى بلده ، ودخل الركب المصرىُّ من الحجاز فى ثالث عشرى المحرم فأمْسك تَمُرْ[٥] بيه أمير الركب وأُرسل إلى دمياط بطّالا .

وفى صفر نُفِى أيْتُمُش إلى القُدْس بطالا وكان قد عظم فى دولة ططر وأراد الاستقلال بتدبير المملكة ونازع المباشرين فعملوا عليه حتى نُفِى ، ثمّ أُمِر بعودهِ إلى القاهرة بعد ذلك عند إمساك طَرَابَاى .

وفى ليلة رابع عشر صفر خُسف القمر خسوفاً شديداً بحيث لم يبْقَ منه إلاَّ اليسير وذلك فى الثلث الأخير من الليل ، ولم يَشعر أكثرُ النَّاس به .

---

(١) فراغ فى جميع النسخ وقد وضعت كلمة كيهك سنة ١١٣٨ بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ .

(٢) فيما يتعلق بابن العماد وزواجه من فاطمة وهى صغيرة السن ، راجع الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٣-٩٤ ، ترجمة رقم ٥٨٥ .

(٣) أنظر عنه النجوم الزاهرة ٦ /٥٨٨ .

(٤) أمير الينبع ساقطة من ث .

(٥) المقصود بذلك تمر باى التمربغاوى ، وكانت وفاته سنة ٨٥٣ ، أنظر الضوء اللامع ١٦٢/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٧/٧ .

وفيه انقطع طراباى من الخدمة السّلطانيّة غَضَباً[1] من برسباى ، لأَنَّ بعضَ الأُمراءِ مات[2] فرام طراباى أَخْذَ إمرته لبعْض أَصحابه ، فعارضه برسباى فتوجهّ طراباى إلى ربيع خَيْله بالجيزة ، فأَراد برسباى ملاقاتَه فأَمر الوزيرَ بإرسال ما جرت[3] به العادة لأَمثاله وعتبه على تأخير ذلك ، وقيل إنَّه ضَرب الوزيرَ بسبب ذلك فبادر هو والأُستادار وناظرُ الخاص إلى إرسال ما جرت به العادة ، وذلك فى العشرين من صفر .

واستمر طراباى عند خَيْله ، ورُوسِل فامتنع حتى سار إليه يَشْبَك الأَعرج ــ أَحدُ الأُمراءِ ــ فحلَف له وطَيَّب خاطرَه ، فلما استهلَّ شهرُ ربيع الآخر[4] حَضر الخدمةَ فى يوم الثُّلاثاء ثانى هذا الشهر ، ثم أَشاع برسباى أَنه يريد أَن يعمل الموكب بالإيوان بحضور رُسُل ابن قرا يوسف ، فحضر أَهلُ الموكب ومن جملتهم طراباى ، فلما تكاملوا قيل لهم : « الخدمة فى الإيوانِ اليومَ بَطالة » ، فانصرفوا وأُحْضِرت الرّسلُ بالقصر ، ثم جلسوا فى السّماط فقال برسباى لطراباى : « أَنتم ما تعرفون أَنّى كبير الأُمراء ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فلم تخالفون أَمرى ؟ ؛ » وأَشار بالقبض على طراباى ، فقام فجذَب السّيفَ يحمى نفْسَه ، فهَجم عليه قَصرُوه أَمير آخور فناوَشَه ، فضربه برسباى مِن خَلْفه فجَرحه فى يده فسقط منها السّيف فأُمْسِك و أُمْسِك معه أَميران[5] من جهته ، وأُرسلوا إلى الإسكندرية صحبةَ إينال الشِّشْمَانى فاعتُقِلوا بها .

---

(١) فيما يتعلق بالوحشة التى وقعت بين الأميرين نظام الملك برسباى الدقاق وبين أتابك العساكر طراباى راجع النجوم الزاهرة ٥٣٧/٦ — ٥٤١ .

(٢) ورد فى هامش ث « الأمير الذى مات ورام طرباى أخذ إمرته لبعض أصحابه هو الأمير حسن بن سودون الفقيه » ، وستأتى ترجمته فيمن مات فى هذه السنة من الأعيان ص ٢٨٦ ، ترجمة رقم ٨ .

(٣) فى هامش ث : « ما جرية طراباى مع الأشرف قبل السلطنة » .

(٤) فى ث « الأول » .

(٥) الأميران اللذان يشير إليهما ابن حجر فى المتن هما سودون الحموى وقصروه النوروزى ، على أنه يستفاد مما أوردته النجوم الزاهرة ٥٤٠/٦ أن القبض عليهما كان قبل يوم من القبض على طراباى ، بل إن هذا المرجع ليصرح بأن طراباى إنما صعد إلى برسباى « بسبب مسكه هؤلاء ويطلقهما » ، ونهاه أصحابه عن ذلك مخافة أن يصيبه من برسباى ما أصاب صاحبيه .

وفى شهر ربيع الأوّل نازل تغرى بردى بن قَصْرُوه — الذى كان نائبَ حلب — بعضَ القلاع فهزمه التركمانُ فاستجار ببعضهم فأمنه .

وفيه هبَّتْ ريحٌ ذات سمومٍ بالكرْك وما حوْلها فأفسدَت المزارع ، وقلَّ الماءُ جدًّا بتلك البلاد وبالقُدْس وما حولها ، وتفرّق أهلُ تلك البلاد من القحط .

وفى شوال أُنْتُزِعَ وقفُ الطُّوخى من القاضى الحنفى ، ثم سعى أشدَّ سعْىٍ حتى أُعيد له وضُمَّ إليه فى نظره شخصٌ آخر ، وانتُزِعَ وقفُ قراقوش من القاضى الشافعى وأُضيف إلى التاج الوالى ، وأمره بأن يجمع مُتَحَصِّله ويَبْنى منه خَانَ السّبيل ففعل ذلك وجَدَّد بناءه ، وقَرَّر فيه غيرَ مَن كان يتناول رَيْعه ، وألزم أولادَ البُلْقينى بغرامةِ مبلغٍ جيّدٍ بسبب ذلك ، وألْزَم مَن كان رُتِّب عليه من الأغنياء بإعادة ما قَبضوا منه ، فاشتدّ الأمْرُ عليهم ثم أُفْرِج عنهم وفُطِمُوا عنه .

وفيه عُمل[1] المولدُ النبوىّ السلطانّى فى حادى عشر ربيع الأول ، وحضر الملكُ الصالحُ والأُمراء .

وفى الخامس عشر منه قُبض على مَرجان الخزندار وسُلِّم لأرغون شاه الأُستادار — وكان حينئذٍ زَمَّامًا — فطُلب منه مالٌ كبيرٌ وضُرب بعضُ أتباعه ضرباً شديدا ، ثم استَقَرَّ حالَ مُصادرته على ثلاثين ألف دينار فعَجَّل منها عشرينَ ألف دينار ، وضَمِنَهُ بعضُ الأكابر بالعشرة وأُطْلِق فى آخر الشهر .

وفيه[2] ادُّعِىَ على شمس الدين محمد بن عبد المعطى الكُوم ريشى الحنفى أنه قَذف الشيخَ شمسَ الدين محمد بن حسن الحنفى بالبغاء وأنه هو الفاعل به ، وأنَّ ذلك كان بوساطة شهاب الدين الكوم ريشى أحد قرّاء الكتب ، وكانت الدعوى عليه عند قاضى القضاة الحنفى زين الدين الأقْفَهسى[3] وكان يكرهه لبذاءةِ لسانه ، فضَربه القاضى بعد أنْ قامت عليه

(١) فى ث « عمل مولد السلطان » .

(٢) فى هامش ث « واقعه الكوم الريشى » .

(٣) التفهنى فى ه . ولكن الأقفهسى كان إذ ذاك قاضى القضاة الحنفية .

البيّنة ، وكان الذى قام عليه بالدعوى شهاب الدين أحمد بن عُبَيْد الله أحدُ نواب الحنفى ، ويقال إنَّ ممن شهد عليه الشيخ شرف الدين التَّبّانى والقاضى بدر الدين بن التَّنَسى[١] ، فأُرسل بعد ضرْبه إلى الحبْس مكشوفَ الرأْس ، ثمّ أُطْلِق بعد ثلاثة أيّام بشفاعةِ نظام[٢] الملك ، واتّفق حضورُ الذى ضربه عنْده ومعه شهاب الدين الذى أدَّعَى عليه ، فسأَله عن القصّة فتكلّم ابن عبيد الله بشىء فنهره كاتبُ السر ، فقال له الأَمير : « انت الذى كان أخى فلانٌ يتعشّقك وغرم عليك مالاً كثيرا ؟ » وأمر بالتوكيل به وعَزْلِه من النيابة فاعتُقِل ثم شُفِع فيه بعد أيّام فأُطلق وأُعيد إلى عادته فى النيابة ، وكان قد بالغ فى أذى الكوم ريشى فعُدَّ ذلك عقوبةً له ورَثُوا للكوم ريشى مع بُغْضهم فيه لجنونه وتَغَتْرُسه[٣] وكثرة مجونه ، ولما أُطلق الكوم ريشى رافع بدرَ الدين محمودَ بنَ عبيد الله أخا الشهاب المذكور عند الأَمير الكبير وأنه يفعل أشياء منكرة فأَحضره الأَميرُ وضربه بحضْرته وكتب عليه بشأنه أن لا يحكم ، ثم شُفع فيه بعد مدةٍ فأُعيد[٤] .

وفى خامس شهر ربيع الآخر قَبض الأُستادارُ أرغون شاه على كريم[٥] الدين بن الوزير تاج الدين الذى ولى الوزارة والأُستادارية وكتابة السر فيما بعد فى أيام يوسف ، وكان يباشر ديوانَ الاستيفاء المفْرَد عن أبيه ثم أُطلق بعد أن صُودر على مال .

* * *

وفى السادس منه قدم تَنبك مِيقْ نائبُ الشام فخُلع عليه باستمراره ، وعظّمه[٦] برسباى

---

(١) نسبة إلى تنس بفتح التاء والنون ، وقد ذكر مراصد الاطلاع ٢٧٧/١ أنها واقعة فى آخر إفريقية مما يلى الغرب وأنها مدينة مسورة حصينة ، وبها قلعة صعبة المرتقى .

(٢) المقصود بهذا اللقب الأمير برسباى الدقاق .

(٣) هكذا فى جميع النسخ .

(٤) أمامها فى هامش ه « كائنة الشيخ محمد الحنفى والشهاب الكوم ريشى والبدر بن عبيد الله وغيرهم » .

(٥) المقصود بذلك عبد الكريم بن عبدالرزاق بن كاتب المناخ أو المناخات .

(٦) انفردت النجوم الزاهرة ٥٤٣/١ بوصف هذا اللقاء العجيب فقالت إنه حين قدم إلى مصر تلقاه الأمير برسباى « خارج باب القصر السلطانى ونثر على رأسه الذهب والفضة وعاد معه إلى داخل القصر ، بعد أن اعتذر له عن عدم نزوله إلى تلقيه مخافة من المماليك والأجلاب ، فقبل الأمير تنبك عذره . ثم خلا به الأمير برسباى وتكلم معه واستشاره فيمن يكون سلطانا ... ثم قال له : إن كان ولابد فتكون أنت فإنك أغاتنا وكبيرنا وأقدمنا هجرة ؛ فاستعاذ الأمير تنبك ، وقام فى الحال وقبل الأرض بين يديه وقال له : ليس لها غيرك » .

جداً ، وتكلّم الأميرُ[١] الكبير معه فى أمْر السلطنة فوافقه على ذلك ، فلما كان فى الثامن من ربيع الآخر يَوم الأربعاء — قبل الظهر بقدْر درجتين — عُقِد له المُلْك وهو فى طبقته بالأشرفية ، ثم أُلبس الخلعةَ وجَلس على التّخْت وفَوّض إليه الخليفةُ وعُقِدت له البيعة ، ولُقِّب « الملك[٢] الأشرف » ؛ وخُلع فى صبيحة ذلك اليوم على يَلْبُغا المُظَفَّرى واستقرأميراً كبيراً وتَحَوَّل إلى البيت الذى فيه طَرَابَاى مقابلَ القلعة ، وانتقل إلى بيت ططر وغيرهما من بيوت السّلطنة واستقر فيها الأشرف ، واستقر آقبغا التمرازى أَميرَ مجلسٍ عوضًا عن قَجَق بحكم انتقاله إلى وظيفة إمرة سلاحٍ عوضا عن يَلْبُغا ، واستقر يَلْبُغا المظفَّرى أتابَكَ العساكر ، وخُلع الملكُ الصالح محمد ، فكانت مدّةُ سلطنته أربعةَ أشهر ، وخُلع على نائب[٣] الشام خلعة السفر واستقر معه حُسَيْن بنُ السَّامرى فى نظر الجيش ، وانْفَصل ابنُ الكِشْك عن نظر الجيش وبقى معه قضاءُ الحنفيّة وسافر ، وعَمل الأشرفُ موكباً حافلاً ، وأُحْضِرَت رسلُ الفرنجِ الكتلان ، ومنع السلطانُ النّاس من تقبيل الأرضِ له واقتصر[٤] على يده .

* * *

وفى ليلة الإثنين ثالث عشر ربيع الآخر أمطرت السّماء بالقاهرة مطراً استمرَّ اللَّيْل كلَّه وقطعةً من النهار وذلك فى حادى[٥] عشر برمودة ، وهو من المستغربات .

* * *

وفى الشهر الذى استقر فيه الأشرفُ فى السّلطنة أمر بإبطال القَدْرِ الذى كان يأخذُه مِمَّن يسافر بالأمير المنفصل عن إمرته إذا حُبس أَوْ نُفِى ، وكان المقرَّرُ لذلك أَلْفَىْ دينارٍ إلى أَلفِ دينارٍ إلى دونها بحسب مقاديرهم فأَبطل ذلك ، وأمر أن يُنْقَش فى اللَّوْح الرّخام فوق النّقش الذى جعله السّالمى فى دولة الناصر فرج بسبب المرتجع من الإقطاع عند انتقال الإمرة ؛ وقد تقدّمت الإشارة إليه فى الحوادث .

* * *

(١) المقصود به الأمير برسباى الدقاق .

(٢) أمامها فى هامش ﻫ : « وكنى أبا النصر » .

(٣) يعنى بذلك الأمير تنبك ميق .

(٤) راجع تفصيل ذلك فى النجوم الزاهرة ٦/٥٥٨ — ٥٥٩ .

(٥) يتفق هذا التاريخ وما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ .

وفى جمادى الأُولى جَهَّز الأَشرف إلى مكة مقبلا القُدَيْدى بسبب عمارةِ مَاوَهَى من المسجد الحرام ، وطلب من القاضى الشافعى ما كان القاضى جلالُ الدّيْن البُلْقِينى ذَكر للمؤيّد أنه تحصّل عنده من ذلك ــ وهو سبعة آلاف دينار ــ فكَشف القاضى الشافعىُّ عن ذلك فوجد المحضر[1] بعمارة الحرمَيْن قَدْرَ أَلْفَيْ دينار أو يزيد قليلا ، وباقى ذلك لعدة جهاتٍ من أوقافَ وغيرها كانتْ مودَعةً تحت يد الجلال ، فلم يقبل الأَشرف ذلك وألزم المباشرين على الأَوقاف المتعلِّقة بالحرمين بذلك ، فلاذوا بالقاضى فأَذن لهم فى الاقتراض ، ثم ضاق بهم الأَمر فتعلّقوا على ورثة جلال الدين فاستُعيد منهم أَلفُ دينار كان والدُهم أَخذها من مال الحرَمَيْن على أَنّها مِنْ مَعْلُومِهِ ، وكان أَقام مدة طويلة لا يتناول من مال الحرمين معلوماً، فشهد عليه القاضى علاء الدين الحنبلى أنه كان تبرّع بذلك .

* * *

وكان نائب دمشق تنبك ميق ونائب حلب تغرى بردى ، ونائب حماة تانى بك البجاسى ، ونائب طرابلس أركماس[2] الجلبانى ثم صُرف واستقر بعده تنبك البجاسى ، ثم هرب تغرى بردى من حلب إلى بَهسْنَا ، وتحصّن بقلعتها كُزُل الذى كان هرب من المؤيد إلى مَلَطْيَة ، ونقل البِجاسى إلى نيابة حلب ، وتولى نيابةَ حماةَ جارْقُطْلو .

وفيه صُرف تاجُ الدين بنُ شرفِ الدين بن تاجٍ بن نصْرِ الله من نظر الخزانة السّلطانية وغيرها ، وأُعيد ذلك لزين الدين عبد الباسط ، فكانت ولايةُ شرفِ الدّين المذكور لذلك نحو سبعة أشهر ، وانصَرف غير مشكورٍ لبَأْوٍ كان فيه ودعوًى عريضة .

وفى الثّامن من جمادى الأُولى نُودِىَ أن لا يباشر نصرانىٌّ فى ديوان أَحدٍ من الأُمراء ، ثم انتقض ذلك بعد مدّة ، وكذا كان ضُيِّق عليهم فى الأَيّام المؤيّدية ثم تراجعوا قليلا قليلا .

* * *

---

(١) فى ه : « المختص » .

(٢) المعروف أن أركماس الجلبانى المتوفى سنة ٨٣٨ كان متوليا إمارة طرابلس فى عهد ططر ثم خلع عنها بتنبك البجاسى ، أنظر النجوم الزاهرة ٦/٥٣٥ .

وفى التاسع منه جَدّد كاتبُ السر - علمُ الدين بنُ الكُوَيْز - خطبةً بالمدرسة البقرِّية مقابل باب مَنْزله لتعاظمه أن يتوجّه إلى الجامع الحاكمى ماشياً وإشْفَاقِه من الإنكار عليه إنْ تَوَجَّه راكباً مع قُرْب المسافة .

وفى هذا الشهر أشار كاتبُ السر أيضا بإبْطال المرِسْتان الذى اتَّخذه الملكُ المؤيَّد تحت القلعة مكان الأَشْرَفِيَّة الشَّعبانية ، وأقام فيه خطيباً ظناً منه أنه يتقرب بذلك .

* * *

وفى هذه السنة كان فصلُ الربيع مختلفَ المزاج جدا ما بين حرٍّ شديدٍ وسموم ، وما بين بردٍ شديدٍ وما بين ذلك .

وفى أواخر رمضان صُرف أرغون شاه من الأُستادارية وقُرِّر فيها أيتمش الخُضرى .

وفى هذا الشهر حدثت كائنةٌ غريبة وهى أن عبد الرحمن السمسار فى الغلال كان اشترى داراً من ابن الزِّيْدِى بشاطىء النيّل فزخْرَفها وأتْقنها وغرم عليها- فيما يُقال- أكثر من خمْسةِ آلاف دينار ووقَفَها على جهات ، وجَعل صورةَ الوقف فى خَشَبٍ محفور فيه يقرؤه كلُّ واحد ، فلما مات شهِدَ جماعةٌ عند بعض نوّابِ الحنفى بأنها وقفٌ وذكروا شروطها بخلاف ما ظهر بعد ذلك محفورا فى الخشب ، فاتّفق أنَّ المباشرين بديوان السلطان[1] وجدوا على عبد الرحمن مسطوراً لجهة السّلطان بمالٍ جزيل فلم يوجد له ما يُوفِى منه ، فأمر ببيْع داره فقيل له إنها وَقْفٌ فهدمها فهُدِمت فكانت كائنةٌ شنيعة ، وبيع رخامُها على حدة وخشبُها على حدة ، ثم باع ورثتُه أنقاضها وبَطُلَت الوقفيَّة الأَصليّة والزور .

* * *

وفى جمادى الأُولى ألزم الأَشرفُ البزازين أن لا يبيعوا شيئاً من القماش بالنَّسيئة ولا يشتروه ، فحصل لهم بذلك ضيق كبير ، ثم أُفْرِج عنهم وأُلْزِموا أن لا يخيّروا الشراء بينهما ، بل إن كان نقداً فنقدا ، وإن كان نسيئةً فنسيئة .

---

(١) فى ه : « المفرد » .

وفى عاشر جمادى الآخرة قَدم الهروى القاهرة فنزل مدرسة ابن الغَنّام ، وهرع الناس للسّلام عليه إلا الدّيرى وابن المغلى ، ثم رام الهرويُّ السعى فى شىء من الوظائف فعاجله كاتبُ السر ابنُ الكويز ، فألزمه الأشرف بالرُّجوع إلى بيت المقدس ، فتباطأ إلى نصف رجب يَتَرَجَّى الإقبالَ[1] فلم يُجَبْ إلى ذلك وخُلع عليه خلعةَ السّفر ، فسافر فى جمادى الآخرة .

* * *

وفى جمادى الآخرة اختطف تمساحٌ فى البحر رجلاً من الصّيّادين كان نزل ليقبض على سمكةٍ صادها ، فصاده التمساح وصار يصعد به على وجه الماء ــ حتى شاهده الناس ــ ثم يَغْطس به إلى أن هلك .

وفيه شَنق بعضُ العوامّ نفسه قهراً من زوجته : كان طلّقها وهو يحبّها فاتّصلت بغيره ووكّلته فيه فقتل نفسه .

وفيه جَبَّ شخصٌ عجميٌّ مذاكيره بسبب أمرد كان يعشقه ولا يقدر عليه ، فاتّفق أنه أمكنه من نفسه فلم ينتشر ذكره فقطعه فَحُمِل إلى المرستان فمات ، وقيل[2] إنه عوفى وأقام يبيع الحلوى مدةً ولم تسقط لحيته ثم مات .

وفى أواخره قدم جارْقُطْلو ــ نائبُ حماة ــ فخُلع عليه وأُعيد إليها .

وفى رجب أُفرج عن الخليفة العبّاسى الذى ولى السّلطة ، وكان المؤيدُ سجنه بالإسكندرية فنُقِل إلى دمياط لكونها أبسط له فلم يوافق ، واستأذن أن يُقيم بالإسكندرية بغير سجن فأُجيب إلى ذلك .

وفى ثامن رجب حدثت بالقاهرة زلزلة لطيفة .

---

(١) فى ز « فترجى الإقالة »

(٢) من هنا لآخر الخبر غير وارد فى هـ .

وفى أوائله عَصى إينال نائبُ صفد وأطلق المسجونين بها وهم : جلبان أمير آخور وإينالُ الجَكَمى رأس نوبة كان ثم نائب حلب ، ويشبك الإينالى الأُستادار ، وَوَجَد بصفد نحو مائة ألف دينار فتقوّى بها وأرسل كُتُبَه إلى الأُمراء فلم يوافقْه مَن بالقدس فأرسلوا كِتابةُ إلى مصر فكوتب مقبل الذى كان دويداراً وقُرر ــ بعد قتل جقمق نائب الشام ــ أميراً بدمشق بأن يتوجهّ إلى صفد نائباً بها ، وكوتب نائبُ الشام بَجمْع العساكر والتوجّه إلى صفد.

فلما كان فى العُشر الأَوسط من رجب أَوقع إينال نائب صفد بالأَعراب فكسروه ، ففارقه الأُمراءُ المسجونون ــ وكان أَطلقَهم ــ فتوجّهوا إلى دمشق طائعين ، ثم أَراد تغرى بردى الكبكى الوثوب بنائب دمشق ففطن له مقبل واتّهم الأُمراء ــ الذين جاءوا طائعين ــ بالخديعة فى ذلك ، فقبض عليهم ثم أُطلق جلبان وسُجن الآخران .

* * *

وفى هذه السنة كان المطر والبرد بالحجاز شديدا وأمطرت السماء بنواحى صفد برداً بلغ وزنُ واحدةٍ ثلاثين رطلاً بالمصرى ، ووُجدت على باب بعض البيوت منها بردة لابِدّة مثل الثور .

وفى الثالث والعشرين من شهر رجب وصل قاصد النائب بالإسكندرية ومعه قاصدٌ من صفد بكتابٍ إليه يستدعيه ، فقُبض على قاصد نائب صفد وخُلع على قاصد نائب الإسكندرية ،واستمرّ مقبل ــ الذى استقرّ فى نيابة صفد ــ محاصِراً نائبها المنفصل فى القلعة إلى شوال ، فنزل إينال بالأَمان فقُبض عليه ودُقّتِ البشائر بالقاهرة ، وأُرسل بسجن الزين ابن العسّال ــ وكان قد ولى كتابةَ السر بها ونظرَ الجيش ــ فضُرب بالمقارع بحضرة السلطان لكونه كَاتَبَ عنْ نائبها إلى نائب الإسكندرية وأُمر بقَطْع يده ، فشُفِع فيه .

وصادف زيادة النيل فى ذلك اليوم ثالث عشرى رجب عشرين إصبعا فسُرّ الناس به وتباشروا بالرخاء والأَمْن ، ثم نودى عليه فى ثامن عشرى رجب خمسين إصبعا ، وفى

اليوم الذى يليه ذراع فأكمل أربعة عشر ذراعا فى خامس عشرى أبيب وهو شىءٌ لا عهْدَ للناس به من دهر طويل ، ثم أكمل ستة عشر ذراعا فى ثامن عشرى أبيب ، وكسر الخليج فى تاسع عشرينه ، وهو ثالث شعبان .

وفى السادس والعشرين من رجب خرج الركب الرّجَبى ، وكان لهم خمساً وعشرين سنة لم يخرجوا ، وحَجّ خلقٌ كثير منهم : تاج الدين ولدُ القاضى جلال الدين البلقينى .

وفى ليلة الرابع عشر من شعبان خُسف القمر حتى لم يَبْقَ من جرمه إلاُ اليسير ، فاستمرّ من قبْل نصف الليل إلى أن تكامل انجلاؤه مع طلوع الفجر .

وفى أول شعبان جَلس السلطانُ للحكم بين الناس وطَلب مدرسى القمحيّة ، وهم : جمال الدين البساطى ومَن يشركه فأُهينوا وأُلزموا بمالٍ لأجل عمارتها ، وأُرْجف بأن أرضها الوقف أُقْطِعت لبعض المماليك لكن لم يتم ذلك .

* * *

وفى حادى عشرى شعبان صُرف ابنُ العجمىّ عن الحسبة واستقر بدرُ الدين العينى ، وحَصَّل ما للمحتسب ، وهو فى اليوم ديناران من الجوالى : واحداً للمحتسب ، وواحداً لابن العجمى .

وفيه حُمل المظفر أحمد بن المؤيد من القلعة إلى الإسكندرية نهاراً ، فحُبس بها فى بُرْج إلى أن مات بعد ذلك .

وفى الثانى والعشرين من شعبان أُثْبتَ أن أوله الإثنين ؛ شهد اثنان عند شمس الدين الأسيوطى المعروف بزوج الحرة النائب فى الحكم فقبلهما ، ولزم من ذلك أن يكون أول رمضان يوم الأربعاء[1] ، فلما كانت ليلة الثلاثاء خرجوا لرؤية الهلال فما رأوه ، ثم تراءوه ليلة الأربعاء فما تكلّم أحد برؤيته ، ثم غاب ليلة الخميس مع مغيب الشّفق ، وكثر كلام الناس فى الشهادة الماضية .

---

(١) يتفق هذا وما جاء فى جداول التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ .

وفى سادس عشر رمضان أُشْهر نائب صفد الذى كان عصى فقُبض عليه ومعه نحو من ثلاثين نفراً ممن عصى معه ، فقُطِعت أيديهم ونفوا من القاهرة مشاةً ، فمات أكثرهم فى الطريق[1] .

وفى رمضان انتهى حصارُ قلعة بهسنا على يد نائب حماة ، فنزل تغرى بردى الأَقْبُغَاوى المعروف بابن قَصْروه بالأمان ، ووقعت فى أثناء الحصار فى كَزَل نشّابة فمات منها ، وتدلّى كَمَشْبُغَا من القلعة ليهرب ففُطِن به فقُطِع الحبل فوقع فتكسّر .

* * *

وفى شهر رمضان أمر السلطانُ بإعادة الأذان[2] بمئذنتَىْ النّاصر حسن بالرُّمَيْلة ، وكان الظاهرُ برقوق قد أمر بتعطيلهما وعدم التوصّل إلى صعودهما ، ثم أمر الناصرُ بهدْم سلَّمَيْهما ، فأُعيد ذلك بعد بضعٍ وثلاثين سنة ، وأعيد فتح البابِ الكبير المجاور للقبو ،وكان الظاهر أمر بسدّه بالحجارة ففُتح الآن وأُزيلت الحجارة ، وكان المؤيد قد نقل البابَ إلى مدرسته فعُمِل للحسنيّة الآن بابٌ جديد .

* * *

وفيها خرج العرب على أبى فارس صاحب تونس فسار فى آثارهم نحواً من عشرة أيام حتى أوقع بهم وخضعوا له .

وفيها جهَّز أبو فارس عسكراً إلى الفرنج فى البحر فبدروا بهم فتبعوهم فانهزموا ، فغضب أبو فارس على قائد الجيش ونسبه إلى التّهاون وضَربه وأهانه ، وشَرع فى تجهيز جيشٍ آخر ، واتّهمَ العامّةُ أنّ صاحَب فاس واطأ الفرنْج على المسلمين فثاروا عليه ، فقُتل بينهم مقتلة عظيمة .

---

(١) أمامها فى هامش ث « قال البدر العينى رحمه الله تعالى فى تاريخه : فهذه القضايا كلها انقضت — على الوجه الذى كان الأشرف رحمه الله [يريده] وهذا كله دليل سعده ونصرته وحبس نائب حلب تغرى بردى بقلعتها وسكنت الفتنة . انتهى » .

(٢) فى هامش ث : « إعادة الآذان بمئذنتى حسن وفتح الباب » .

وفيها قوى صاحب تلمسان واستجدّ عسكرا .

وفيها كان الغلاءُ المفرط بحلب ثم أعقبه الطاعون فمات بشَرٌ كثير .

وفى أوائل هذه السنة أخذ الفرنج سبتة[1] من أيدى المسلمين بعد أن[2] ......

وفى رمضان استقرّ قَطْلُو بُغَا حاجِّى التركمانى ثم الحلبى فى نظر الأَوقاف — وهو حمو الظاهر ططر — وصار جدَّ زوجِ السلطان الأَشرف فكان يقال له « أَبو السلطان » فباشر بشدّةٍ وعنف .

وفيها أَنْهى بعضُ الخاصكية أن بلد التدريس بالجامع العمرى المعروف بالخشّابية ليس بمستَحّقٍ ، لأَن المدرسة الموقوف عليها لا تُعرف ، فأُمِر بإخراجها إقطاعا ثم شُفع فى مستحقِّيها واستقرّت بأَيديهم واستُهْلِكت .

وفى شوّال خَرج الرّكْبُ على العادة فلما وصلوا إلى عَجْرُود وجدوا الماء قليلاً ، فعطش كثير منهم فرجعوا فى خجلٍ شديد وباعوا أزودتهم بأَبخس الأَثمان .

وفى شوال أَمر القاضى ولىُّ الدين قاضى الشافعية بحبس ابن القوصيّة قاضى أَسيوط ، فشَفع فيه المحتسبُ بدرُ الدين العينتابى ، فأُخرج فى التَّرْسيم فشَفع فيه كاتبُ السر فامتنع القاضى من إطلاقه حتى يدفع ما فى جهته من مال الحَرَمَيْن ، فتعصَّب له أَيْتَمُش الخضرى فاستخلصه من أَيدى الرسل ، فبلغ القاضى فغضب ومَنع نوّابَه من الحكم ، فبلغ ذلك السلطانَ فأَمر بإعادة ابن القوصيّة إلى الحبْس واستدعى القاضى سراج الدين عمر بن موسى الحِمْصى[3]

---

(١) هكذا فى ز ، ولكن مكانها فراغ فى ه ، ثم جاء فى هامش ث : « تاريخ أخذ الفرنج مدينة سبتة »

(٢) فراغ فى جميع النسخ ، على أنه ورد فى النجوم الزاهرة ٥٦١/٦ أن عبث الفرنج كثر بسواحل المسلمين وأخذوا مركبا للتجار من ميناء الاسكندرية .

(٣) فى هامش ث جاء التعليق التالى : الحمصى هذا هو الشيخ سراج الدين عمر بن موسى بن الحمصى المخزومى بن محمد هكذا رأيت بخطه فى إجازة للوالد رحمه الله تعالى وكان مولده على ما أخبرنى به بعضهم قبل الثمانين والسبعمائة بسنة واحدة بيسير بحمص وبها نشأ وطلب العلم فلم ينجب فيه كما هو زعمه فإنه كان يدعى كثيراً ، والحق أنه ليس ممن يعد من العلماء الذين يزعم هو أنه منهم بل كان عنده دهاء وبعض ذكاء . قدم القاهرة وحضر دروس البلقينى الكبير وناب فى الحكم عن ولده جلال =

الذى كان ينوب عن الشافعى وجرى بسببه على صهره القاضى جلال الدين البُلْقِينى ما جرى فقرره الشافعى فى قضاء[1] أسيوط عوضاً عن ابن القوصية ، فتوجه إليها واستمر مدّةً طويلة .

وفى ذى القعدة نَزل السلطانُ إلى المطعم ثم رَجع فاجتاز بالمدينة وقد زُينَتْ له فدخل العمارةَ التى استجدّها بالركن المخلَّق .

* * *

وفى الثالث منه نُفِي عبد الله أخو أمير سعيد الكاشف بالوجه القبلى ودمرداشُ الكاشف بالوجه البحرى إلى عينتاب ، وأُمِر بنفى ابن القوصية قاضى أسيوط معهما ثم شُفع فيه فتَأَخَّر .

* * *

وفى[2] بَابَه وقع برد شديد عند نزول النيل وبادر الناس للزرع ، ثم وقع البرد فى أوائل هاتور ثم أعقبه حر شديد وسموم ففَسد أكثرُ البرسيم ورَعَتْه الدودة فأفسدت منه بالجيزة شيئاً كثيرا .

وفى أواخر ذى القعدة عزَّ وجود اللحم الضَّانى وقلَّ الجالبُ للأضحية وبقى الناس بسبب ذلك حيارى .

= الدين سنين كثيرة ثم ولى قضاء أسيوط كما ذكره المقر رحمه الله فى هذا التاريخ ثم نقل إلى قضاء طرابلس ثم إلى قضاء حلب ثم دمشق ورشح هو نفسه كما ذكره المقر عنه فى غير هذا المحل من هذا الكتاب لقضاء مصر وكتابة سرها ولم يقع له ذلك وولى قضاء دمشق غير مرة ولم تشكر سيرته فى قضائه، وكان متهما بالفسق واللواط، وكان عنده طرف بسيط من الفقه وله نظم وسط أو سافل وأكثره سفساف وكان له نثر ليس بالردىء بالنسبة إلى نظمه، وله بعض تصانيف منها « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » وهو أحد مشايخى الذين أخذت عنهم الحديث لا أنكر ذلك ولا تصديق فى أمره أنه كان كثير التهور وقد ولى بأخرة تدريس الشافعية ثم عزل وأخرج إلى البلاد الشامية فمات بها فى صفر سنة احدى وستين وثمانمائة [..... كلمات غير مقروءة] والعراقيين .... [ثم سطر بأكله ضاع فى المجلد] .... ابن خطيب المنصوريه بحماه ومن بنى هلال حلب قال ومن غيرهم كذا نقلت من خطه وكان بينه وبين الوالد صحبة أكيدة وكان وهو قاضى دمشق كثير التردد إلى الوالد والوالد إذ ذاك أحد مقدمى الألوف وأمير ميسرة فى دمشق ، وفى ذلك الحين كنا نسمع عليه الحديث فى دار الوالد بقراءة رجل للبخارى وسمعت عليه شيئا من كتابه « رحمة الأمة » وكنت الزمه فى بعض الأبحاث وكنت إذ ذاك ابن ستة عشر سنة رحمه الله تعالى وعفى عنه وسامحه » ثم يليه إمضاء الكاتب وهو غير مقروء .

(١) أمامها فى هامش ث « تاريخ ولاية الحمصى قضاء أسيوط» .

(٢) يعادله فى هذا الوقت . ذوالقعدة = أكتوبر ١٤٢١

وفى ذى القعدة صُرف أَيْتَمش الخضَرى من الأُستادارية وأُعيد أرغون شاه ، ثم أُضيفت إلى أرغون شاه الوزارةُ فى ثامن ذى الحجة منها،وكان الوزيرُ تاج الدين بن كاتب المناخات قد استقر فى الرّابع من ذى الحّجة ثم قُبض عليه فى الثانى عشر منه وصودر على مالٍ يقال إنه ثمانية آلاف دينار ، واستمر معزولا .

وفى التاسع عشر من ذى الحجة – وهو الموافق لثالث[1] أيلول[2] من القِبطية – وَرَّدَ – بالقاهرة – الوَرْد وهذا أَسْرَع ما رأيْتُ منه بها .

وفى السادس والعشرين منه وصل المبشر بسلامة الحاج، فقَطع المسافةَ فى خمسة عشر يوماً، وهذا أسرع ما أدركناه من ذلك .

وفى رجب صُرف القاضى بدر الدين بن خطيب الدِهيشة عن قضاء **حماة** واستقرَّ زينُ الدين عُمر بنُ أحمد بن المبارك بن الخرزى عوضاً عنه .

وفى شوال صُرف القاضى نجم الدين بن حجى[3] عن قضاء دمشق بتاج الدين ابن الكركى نقلاً مِن قضاء حلب ، واستقر علاء الدين بن خطيب الناصرية فى قضاء حلب كعادته نقلا من طرابلس ، وأُعيد ابنُ النويرى إلى طرابلس .

وفى السادس[4] من ذىالحجة صُرف القاضى ولىّ الدين العراقى عن قضاء الشّافعية ، واستقرَّ عوضه علمُ الدين صالحُ بنُ شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين ، وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت :

---

(١) الواقع أن ١٩ ذى الحجة يطابقه التاسع من كيهك سنة ١١٣٩ بناء على ما ورد فى جدول السنين العربية والقبطية بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ .

(٢) فى ث «كيهك» وفى هامش هـ بخط الناسخ «لعله كيهك» ، أنظر الحاشية السابقة .

(٣) لم يرد لهذا الخبر ذكر فى قضاة دمشق ، ص ١٣٦ – ١٣٨ .

(٤) فى هامش ث « تاريخ ولاية شيخ الإسلام صالح البلقينى » . ثم بعد هذا جاءت العبارة التالية : « البلقينى هذا هو شيخ الإسلام قاضى القضاة علامة العصر فريد الدهر سلطان الفقهاء بدر العلماء علم الدين صالح بن عمر رسلان بن نصير والده هو الامام العلامة أوحد زمانه مجتهد عصره شيخ الاسلام على الاطلاق الشيخ سراج الدين وشهرته تغنى عن ذكره كان مولد العلم البلقينى فى ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة احدى وتسعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها وأخذ عن والده وأخيه وغيرهما وانتهت إليه رياسة الشافعية فأفتى ودرس ومهر فى الفقه حتى صار هو المشار إليه وناب عن أخيه جلال الدين فى الحكم ثم القضاء الأكبر غير مرة وطالت أيامه فى منصب القضاء لا سيما بعد موت شيخ الإسلام المقر. كانت بينهما منافسة ووحشة لا أعلم ما سببها وله عليه اعتراضات فى هذا المقر من التاريخ فيها أشياء»

مات[1] جَلَالُ الدِّينِ ، قالــوا : ابْنُه
يَخْلُفُــــــه أَوْ فالأخُ الرّاجِحُ[2]
فقُلْتُ[3] : تاجُ الدِّين لا لائِقٌ
لمنْصِبِ الحُكْـــم ولا « صَالِحُ » .

فكان كما قلت ، فإنَّه تولى وظهر منه التهَوُّرُ والإقدام على ما لا يليق وتنَاوُلُ المال من أى جهةٍ كانتْ : حلالا أم حراماً ، مَالَا كَانَ يُظَنُّ به ولا أَلِفَ النَّاس نظيرَه من أَحدٍ مِمَّنْ وَلِيَ قضاء الشافعية بالقاهرة فى الدّولة التركية .

* * *

وكان فِطْرُ النصارى اليعاقبة فى هذه السنة فى اليوم الثانى من حلول الشمس برج الثور ، وهو سابع عشر بَرَمُودة وهو التاسع عشر[4] من شهر ربيع الآخر .

وفى الثامن عشر من برمودة أَمَر السلطان بلبس الأَبيض فسَبق العادةَ الأُولى قدْرَ عشرين يوما ، وكان المؤيد قد أَخَّر ذلك عن العادة قدر عشرين يوما فتباينا فى ذلك جدا ، واتفق أن البرد كان موجوداً أَشدَّ مما كان من قبل ذلك إلاّ فى وسط النهار

* * *

---

(١) جاءت تعليقه أمام هذا الخبر فى هامش ث تقول :

وهو أحد مشايخى الذين حضرت دروسهم وأجازنى بالرواية عنه مضافا لما كان أجازه قبل هذا بعناية الوالد حين مولدى وهو من كبار أحباب الوالد وأعز أصحابه وكان بينهما مودة أكيدة وصحبة قديمة وله على الوالد منفعه، وكان يقوم فى صالح الوالد لما كان نائبا عنه بالديار المصرية وكتب للوالد أجازة أطنب فيها فى حقه وأغرب وأعرب توفى رحمه الله تعالى فى يوم الأربعاء بعد الزوال ودفن من غده بمدرسة والده تجاه داره بحارة بهاءالدين بعد أن صلى عليه بالجامع الحاكمى وكانت جنازته حافلة مشهورة مشهودة وسيرته رحمه الله تغنى عن إطالة الكلام فى ترجمته والاطناب فيها توفى المقر رحمه الله تعالى .

(٢) فى ه : « الكاشح » ثم فى الهامش « الراجح » .

(٣) جاء فى هامش ث أمام هذا : « قول المقر رحمه الله : فقلت تاج الدين لا لى لائق إلى آخره ، المراد به تاج الدين محمد بن شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى ولد بالقاهرة سنة خمس وثمانين أوست وثمانين وسبعمائة وبها نشأ وقرأ على أبيه فمن دونه وسمع الحديث ومات بها فى يوم السبت سابع عشر شهر رمضان سنة خمس وخمسين وثمانمائة ودفن فى غده وكان شيخنا .

(٤) يتفق هذا والتاريخ الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ .

وفى العشرين من ربيع الآخر استقر برهان الدين الشافعى ـ قاضى صفد ـ فى كتابة السّرّ بدمشق عوضا عن الشريف ، وأُمِر بإحضار الشريف إلى القاهرة وصودر على مال جزيل يقال عشرة آلاف دينار ، وكان فى نفس السلطان منه وهو أمير ، ثم نُقِلت كتابةُ السّر من البرهان لحُسَيْن ناظر الجيش فجمع الوظيفتين بعناية صهره أزبك .

وفى شهر ربيع الآخر وقعت بدمياط كائنةٌ بيْن العرب ، وفيه وقعت بالصعيد كائنةٌ بين العرب من هوّارة قُتل فيها أميرُ العرب سليمان بن غَرِيب بنواحى الأَشْمُونين ، وعاث العربُ من أَجْلها فى البلاد حتى قُتِل الذى توجّه من القاهرة إلى الصعيد يُبَشِّر بسلطنة الملك الأشرف ، فجهز إليهم السلطانُ عسكراً فلم يظفروا منهم بشئٍ لأنهم فرّوا ، فرجع العسكر وقد أفسدوا فى البلاد ببَسْطِ أيديهم إلى بعض الضعفاء ، فنهبوا بعضاً وسبوا بعضاً وباعوا الأحرارَ على أنهم عبيدٌ وإماء ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله .

وفى الثانى عشر من شوال أدير المحمل وخرجَ إلى الحجّ جمعٌ كبير جدا بحيث قُسّموا ثلاثة ركوب ، وأمير المحمل ياقوت الحبشى مقدّم المماليك ،وأمير الأوسط جَانبِكْ ، الخزندار ، وأميرُ الأول أسندمر وخرجوا فى تجمّلٍ زائدٍ وأُبّهةٍ كبيرة ، ووصل ركب المغاربة . وقاضيهم صاحبنا زين الدين عبد الرحمن البِرْشكِى[١] وانفرد عنهم ركب الينابعة فصاروا خمسة ركوب .

* * *

ذكر بقية الحوادث الواقعة فى هذه السنة »

فيها أُحضر إلى قرقماس الدُّوَيْدار الثانى امرأَةٌ ادُّعِيَ عليها بدينٍ مطلت به فضَربها ، فأخرجت من يدها مكتوباً بإثبات إعسارها فلم يَلْتَفِت إليه وأعاد ضرْبها ، ثم ضرَبها مرّةً ثالثةً[٢] فماتت ، فرُفِع الأَمرُ إلى السلطان فأَمر بدفنها وذهب دمها هدرا .

---

(١) الضبط من ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ٤/٣٤٧

(٢) أمام هذا الخبر فى هامش هـ بخط البقاعى : « حدثنى القاضى شمس الدين محمد بن أحمد بن حسن العينتابى الحنفى الشهير بالأمشاطى أن قرقماس هذا أهان شيخنا الشيخ العالم شمس الدين محمد بن العلامة سيف الدين أبى بكر بن الجندى فدعا عليه بأن لا يموت إلا مضروب الرقبة من لا يحسن ليزداد عذابه ، فكان كذلك كما سيأتى ، وضربت أبشع ضربة » .

وقرر ابن منكلي[١] بغا الشمسي في جامع والده بحلب تدريساً وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ، فاتفق حضور الشيخ سراج الدين صحبة الملك الظاهر فسأله أن يحضر معه إجلاسه ، فلما حضر قال له : « تدرّس أنت أو أنوب عنك ؟ » فقال : « تكلم يامولانا شيخ الإسلام » ؛ قال علاء الدين فى تاريخه : « كان يميل إلى القضاء كثيراً ثم كرهه فى آخر زمانه » ، ونزل له نجم الدين بن رِحجى عن نصف تدريس الرّكْنِيّة [الشافعية[٢] الجوانية] فدرّس بها قليلاً ومات .

٣ ـ أحمد بن إبراهيم المحلى ، شهاب الدين الشاهد ، سمع من أبى الفتح القلانسى وغيره وأجاز لأولادى ، وكان أحد الصوفية بالركنية[٣] بيبرس ، وتكسّب بالشهادة ببولاق . جاوز الثمانين .

٤ ـ أحمد بهاء الدين بن الفخر عثمان بن التاج محمد بن إسحق المناوى ، كان قد استقرّ فى وظائف[٤] أبيه شركةً مع أخيه بدر الدين [محمد[٥]] فناب فى الحكم ودرّس بالمَجْدِيّة وغيرها ، وكان حسن البِشْر والتودّد محبًّا فى أهل العلم ، وقد عُيّن للقضاء مرة وكانت نفسه تسمو إلى ذلك فلم يتفق له .

ولما مات قُرِّرَتْ وظائفه كلها بيد ولده علي[٦] وهو صغير جدًّا فاستُنِيب عنه خالُه جلالُ الدين بنُ الملقن ، وكان موت بهاء الدين فى رمضان وله نحو أربعين سنة ، وقُرّرت[٧] جهاته لولديه وهما صغيران .

---

(١) كان منكلى بغا الشمسى من مماليك الناصر حسن ، وقد ترقى عنده حتى صار أمير مائة ، كما تولى نيابة حلب سنة ٧٣٦ حيث « باشر جيدا ، وتوخى العدل والإحسان وعمر الجامع بها » كما يقول ابن حجر فى الدرر الكامنة ٤٨٥٩/٥ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين تمييزاً لها من الركنية الحنفية البرانية ، وهى من أوقاف ركن الدين منكورس عتيق سليمان العادلى ، أنظر عنهما وعن المترجم الدارس فى تاريخ المدارس ٢٥٣/١ ، ٢٥٨ .

(٣) المقصود بذلك خانقاه بيبرس الجاشنكير .

(٤) ذكر السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٣٨٠ منها الجاولية والسعدية والسكرية والقطبية العتيقة والمجدية والمشهد الحسينى وإفتاء دار العدل .

(٥) هو محمد بن عثمان المناوى القاهرى الشافعى ، أنظر عنه الضوء اللامع ، ٣٤٨/٨ .

(٦) كان مولده سنة ٨١٣ وعلى ذلك يكون عمره فى هذه السنة ثلاثة عشر ربيعاً ، أنظر عنه الضوء اللامع ٥٨٩/٥ ؛ كذلك جاء فى هامش ث ما يلى : « هو الشيخ نور الدين المناوى » .

(٧) من هنا حتى نهاية الترجمة غير وارد فى ه .

وكان رئيساً فاضلاً له وجاهة زائدة ، وتزوّج خديجة بنتَ القاضى نور الدين على ابن السراج بن الملقن فولدت له الشيخ نور الدين وأخاه عمر وابْنةً تزوّجها المولوى السفطى وغيره .

٥ ــ أحمد بن محمد بن محمد بن أبى غانم بن الحبّال السكندرى[١] ، مات يوم الجمعة سابع عشرى رجب من هذه السنة .

٦ ــ أحمد ، المعروف باليمنى شهاب الدين ، أحدُ القراء بالجوق ، تلميذ الشيخ شمس الدين بن الطّباخ وقرأ معه وحاكاه ، وكان للناس فى سماعه رغبةٌ زائدة ولم يخلف بعده من يقرأ على طريقته ، مات فى صفر . [٢]

٧ ــ أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح ، المقدسى الأصل ، الدمشقى الصالحى الحنبلى صدرُ الدين بن تقىّ الدين ، وُلد سنة ثمانين[٣] وتفقه قليلاً واستنابه أبوه وهو صغير واستنكر الناس ذلك ثم ناب لابن عبادة[٤] ، ثم شرع فى عمل المواعيد ، وشاع اسمه وراج بين العوام ، وكان على ذهنه كثير من التفسير والأحاديث والحكايات مع قصور[٥] شديد فى الفقه ، وولى القضاء استقلالاً فى شوّال سنة سبع عشرة[٦] فباشره خمسة أشهر ثم عُزل واستمر على عمل المواعيد ، ومات فى جمادى الآخرة .

---

(١) (١) «السكرى» فى كل من هـ ، ز ، وهو خطأ يصححه ما ورد فى الضوء اللامع ٤٨١/٢ ، كما أنه يعرف أيضا بابن الصائغ ، وكان موته بالصالحية من دمشق .

(٢) وردت فى هامش ث الترجمة التالية : «آق خجا بن عبد الله الأحمدى الظاهرى ، متولى الكشف بالوجه القبلى وهو من مماليك الظاهر برقوق ولى إمرة طبلخاناه وحاجب ميسرة وهو الحاجب الثانى ثم تولى الكشف ثم مات هناك فى محرم ثامن عشرينه ، قال ابن تغرى بردى فى تاريخه : ولم يكن مشكورا » ثم إمضاء غير مقروء .

(٣) أنظر فيما بعد حاشية رقم ٥ .

(٤) هو شهاب الدين بن القاضى شمس الدين بن عبادة ، أنظر عنه الضوء اللامع ٥٠٢/٢ ، وابن طولون : قضاة دمشق ص ٢٩٣ .

(٥) فى هـ : « حضور » وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ج ١١ ص ١٢ ترجمة رقم ٣٥ ، هذا وقد أخطأ السخاوى إذ جعل وفاته سنة ٨٠٧ ، ويلاحظ أن ترجمته وردت مخالفة لكل من هذه وترجمته المذكورة فى الضوء وفى ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ حيث جعل وفاته سنة ٨٢٠ .

(٦) راجع فى ذلك ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٩ ، نقلا عن تقى الدين الأسدى ، هذا ويلاحظ أن ابن طولون تابع الأسدى فى أنه جعل وفاته سنة ٨٢٠ هـ .

٨ ـ حسن بن سودون الفقيه ، كان بارع الجمال فى سلطنة المؤيّد لكن أصيب فى بصره من رمدٍ أصابه فغَشّى إحدى عينيه ، وتزوّج ططَر[1] أختَه قديماً فعظم فى دولته ، ثم تأمَّر تقدمةً فى ولاية ابن أخته الصالح محمد لكن لم يُمَتَّع بالإمرة فإنه لم يزل موعوكاً إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر وأسف أبوه عليه فصبر وتجلّد ، وكان موته بسبَب التغير والمنافرة بين الأميرين الكبيرين برسباى وطرباى .

٩ ـ سليمان بن إبراهيم بن عمر بن على[2] ، الفقيه نفيس الدين التَّعزّى العلوى ـ نسبةً إلى علىّ بن راشد بن بُولان ـ ، سمع أباه وابنَ شدّاد[3] وغيرهما ، وعنى بالحديث وأحب الرواية ، واستجيز له من جماعة من أهل مكة ، وسمع منّى وسمعْتُ منه ، وكان محبًّا فى السّماع والرواية مكبًّا على ذلك مع عدم مهارته فيه ، وذُكر لى أنَّه مرَّ على « صحيح البخارى » مائة وخمسين مرة ما بيْن قراءةٍ وسماعٍ وإسماعٍ ومقابلة ، وحصّل من شروحه كثيراً ،وحَدَّث بالكثير وكان مُحَدث أهل بلده ، وقرأ الكتب على شيخنا مجد الدين الشيرازى؛ونعم الرجل كان .

لقيتُه بزَبيد ويتعزَ فى الرحلتين ، وحَصَل لى به أنس ، وحدّثنى بجزء من حديثه تخريجه لنفسه ،زعم أنَّه مسلسل باليمنيين وليس الأَمر فى غالبه كذلك ، مات ـ وقد جاوز الثمانين ـ فى ذى الحجة ، هذا ببلوغ الخبر ، و[4][لكن] كانت وفاته فى جمادى الأُولى من السنة .

ورأيتُ بخط المجد فى طبقة سماعٍ عليه بخط النفيس العلوى ووصفه بأنه إمام أهل السنة .

---

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٣/٥٠٤ أن ططر تزوج ابنة أخته ، أما النجوم الزاهرة ٦/٧٧٧ فذكرت أنه « صهر الملك الظاهر ططر وخال ولده الملك الصالح محمد » كما أن أباه كان حما الملك الظاهر ططر .

(٢) « ابن على » غير وارد فى هـ .

(٣) هو على بن أبى بكر بن شداد المعروف بشيخ قراء اليمن المتوفى سنة ٧٧١ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٣/٦٩ .

(٤) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ ؛ أما الاختلاف فى وفاته فقد أشار الضوء اللامع ٣/٩٧٩ إلى أن وفاته كانت يوم ١٧ جمادى الأولى .

١٠ ـ صالح بن شهاب الدين أحمد بن صالح بن السفاح ، وُلد سنة خمس وتسعين وأُحْضِر على ابن أيدغمش وأُسمِع على ابن صدّيق ، وقرأ شيئاً فى النحو ، ثم لما ولى أبوه كتابة السّر استقر [هو] فى توقيع الدَّسْت وناب عن أبيه ، وكانَ محتشماً متودّداً إلى الناس وافرَ العقل ، ومات بالطاعون فى جمادى الآخرة وهو سبط القاضى شرف الدين الأنصارى قاضى حلب .

١١ ـ صالح بن عيسى بن محمد بن عيسى بن داود بن سالم الصُّمادى ، كان جدّه سالم من تلاميذ الشيخ عبد القادر وبُنِيت لسلفه زاوية بصُمَاد[1] قبلى بُصْرى ، ونشأ هذا بزاويته وله أتباعٌ وشهرة ، وكان له مزروعات ومواشٍ ويضيف الواردين كثيراً ، وكَلِمتُه مسموعةٌ عند أهل البر ، مات فى رمضان عن نحو السبعين .

١٢ ـ صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران بن إبراهيم بن جملة الضرير الجَيْدُورى[2] [المَسَحْرَاقى] ثم الدمشقى ، وُلد سنة بضعٍ وخمسين ، وعنى بالقراءات فقرأ « الشاطبيّة » على العسقلانى إمام جامع ابن طولون ، وقرأ « التيسير » على أبى الحسن الغافقى ، وأقرأ القراءات بالجامع الآمدى ، وأدّب خلقا وانْتَفَعْتُ[3] به ، وله تواليف فى القراءات ، مات فى عاشر جمادى الأولى .

١٣ ـ عبد الرحمن بن محمد بن طُولُوبُغا التنكزى ، أسد الدين ، مسندُ الشام ، وُلِد سنة [ست[4] وأربعين وسبعمائة] وسمع من [ابن[4] عبد الهادى] وتفرّد وحدّث وحجّ فى سنة أربع وعشرين . حدّث بمكة ورجع فمات بدمشق فى ١٢ ذى القعدة من هذه السنة [5] .

---

(١) اكتفى مراصد الاطلاع ٨٥٢/٢ بقوله « صماد : جبل » ولم يزد على ذلك ، وهو عنده بضم الصاد ، أما Dussaud : op. cit. P. 367 فقد رسمه بفتح الصاد وتخفيف الميم فسماه Samad وقال إنها فى الجنوب الشرقى من بصرى ، ووردت الكلمة بلا ضبط فى الضوء اللامع ١٢٠٢/٣ ، ولم تترجم له الشذرات ١٧٠/٧ – ١٧٢ .

(٢) لم ترد هذه النسبة فى الضوء اللامع ١٢١٣/٣ وإنما سماه « بالمسحراقى » (بفتح الميم وسكون السين وفتح الحاء والراء) نسبة إلى قرية « مسحرا »من أعمال الجيدور على بعد مرحلة من دمشق من ضواحى حوران ، هذا ولم أجد ذكراً لهذين المكانين فى ديسو لكن ورد فى Le Strange : Palestine under Moslems

(٣) فى هـ : « وانتفعوا » .

(٤) فراغ فى الأصول ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء ٣٤٦/٤ .

(٥) أعنى سنة ٨٢٥ .

١٤ ـ عثمان بن سليمان الصَّنهَاجى من أهل الجراير[1] الذين بين تلمسان وتونس ، رأيته كهلاً وقد جاوز الخمسين وقد شاب أكثرُ لحيته ، وطوله من رأسه ذراعٌ واحدٌ بذراع الآدميين لا يزيد عليه شيئاً وهو كامل الأعضاء ، وإذا كان قائماً يَظُن مَنْ رآه أنه صغير قاعد وهو أقصر آدمى رأيته ، وذَكر لى أنه صَحب أبا عبد الله بن العماد وأبا عبد الله ابن عرفة وغيرهما ، ولديه فضيلة ومحاضرة حسنة .

١٥ ـ [2]على بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر الزُّبيرى ، علاءُ الدين بنُ قاضى القضاة تقى الدين ، ناب فى القضاء ودرّس بعّدة مدارس ، وبرع فى الحساب والفرائض ، مات فى ليلة الأحد ٣ بعد أن اشتغل وحصّل ومهر وناب فى الحكم ، ودرّس بعد أبيه بالناصريّة والصالحيّة ؛ وكان نزهاً عفيفاً فى الأحكام شهماً ،وأثرى بعد أن كان فقيراً فإنّه ورث أخاه شهاب الدين [أحمد] ثم أنفق ماورثه كعادته فى الإنفاق المفرط ، وكانت له هنات والله يسامحه . أرخه بعضهم ظنا فى أوائل سنة أربع وعشرين والصحيح ـ إن شاء الله ـ ما قدمته .

١٦ ـ على بن أحمد بن على المَارْدِينى ، سمع من ابن أبى قَوَاليح « صحيح مسلم » بدمشق وحدّث عنه ومات بمكة فى شوال .

١٧ ـ على ، الملك ، صَبْر الدين بن الملك سعد الدين محمد ملك المسلمين بالحبشة وكان شجاعاً حتى يقال إنه زجر فرسه فى بعض الوقائع وقد هزمه العدوّ ، وقد وصل إلى نهر عرضه عشره أذرع[3] فقطع النهر ونجا ؛ مَلَكَ بعد أبيه وجرت له مع كفرة الحبشة وقائعُ عدّة ، وكان عنده أمير يقال له جَرْبْ حُوش من الأبطال .

مات صبر الدين مبطوناً فى هذه السنة واستقر بعده أخوه .

---

(١) الوارد فى كل من الشذرات ٦/١٧٠ ، هـ : « الجزائر » ، أما ما بالمتن فوارد فى الضوء اللامع ٥/٤٦١ ، وربما كان ذلك نسبة إلى بنى جرير وهم بطن من دارم بن حنظلة بن مالك من العدنانية كما جاء فى نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٢١٢ ، ٢٥٠ وإن كان ذكر أن النسبة لهؤلاء « جريرى » على غير ما هو وارد بالمتن ، أنظر أيضا قلائد الجمان ، ص ٧٠ .

(٢) هذه الترجمة غير واردة فى هـ ، ويلاحظ أن الضوء اللامع ٥/٨٠٧ لم يرجح إحدى السنتين لتكون سنة وفاته ، وقد أهملته الشذرات فى كلتا السنتين .

(٣) فى هـ « أشهر » وفوقها كلمة « كذا » .

١٨ - عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد ، سراج الدين الخرّوبى ، وُلد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة أوْ فى التى بعدها ، ولم أجدْ له سماعاً على قدْر سِنّهِ ولو اعتنى به لأدرك الإسناد ، وقد كان له حِرصٌ على سماع الحديث فسمع بقراءتى كثيراً وجاوز الثمانين ممتّعاً بسمعه وبصره وعقله ، وكان كثير العبادة من صلاة تطوع وصيامِ تطوّع وأذكار ، وتنقّلَتْ به الأحوال ما بين غنىً مفرط وفقر مدقع ، فأول ما مات أبوه كان يُعد من التجار ، ثم ورث أباه هو وأخوه نور الدين الذى مات سنة ثلاث وثمانمائة[1] فاتّسع حاله وأثرى ، واشتهر بالمعرفة وحُسْن السيرة، ثم تناقص حاله فمات عمه تاج الدين [محمد [2]] بمكة سنة خمس وثمانين وأوصى إليه وورث منه فأثرى واتسع حاله ثم تناقص ماله إلى[3] أن مات قريبه محمد بن زكىّ الدين الخروبى فى سنة أربعٍ وتسعين وهو شابٌ فورث منه مالاً جزيلاً فتراجع حاله ، ثم تناقص ماله إلى أن مات أخوه نور الدين فورث منه مالاً جزيلا، ثم تناقص بعد ثلاث سنين إلى أن ماتت أخته آمنة فورث منها مالاً جزيلا فحسنت حاله ووفّى كثيراً من دينه .

ثم لم يزل بسوء تدبيره فقيراً، إلاّ أن ابنته فاطمة ماتت قبله فى هذه السنة فورث منها شيئا حَسُنَتْ به حاله قليلا، لكنه مات وعليه ديون كثيرة .

وخلّفَ خمسةَ أولاد ذكور ، منهم : شمس الدين محمد وكان ضيّق اليد جدا فمات بمدينة بَعْلَبَك ، وتلاه شقيقه شرف الدين محمد ، ثم عز الدين محمد ثم بدر الدين محمد ، ثم فخر الدين سليمان ، وكان نابغتهم بدر الدين فإنه كان حصّل من تركة آمنة بغير علم أبيه قدراً جيدا وأخذ من والدته - وهى تِجَارُ بنت ناصرِ الدين بن مُسَلّمٍ كبير التجار بمصر - شيئاً كثيرا فأثْرى وعمر بيتهم ، ثم لم يلبث أن مات فى الطاعون العام سنة ثلاث وثلاثين

---

(١) أمامها فى هامش هـ « إنما تقدم فى سنة اثنتين فراجعه » والمقصود بذلك أبوهما ، انظر ج ٢ من الإنباء سنة ٨٠٢ ص ١٢٣.

(٢) راجع إنباء الغمر ٢٨٥/١ ترجمة رقم ٣٠ .

(٣) وردت هذه العبارة فى هـ بالصورة التالية « ... إلى أن مات أخوه بدر الدين فورث ماله واتسعت دائرته وحسن حاله ثم تناقص حاله بعد ثلاث سنين إلى أن ماتت أخته آمنة » .

[وثمانمائة] ثم مات عز الدين سنة اثنتين وأربعين ولم يبْق إلا شرف الدين وسليمان وهما فى غاية القلّة ، فسبحان منَ لا يزول ملكه فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بعد أن كان يشار إليهم بالأصابع فى الثروة وصاروا كآحاد الناس بل فى الحضيض .

١٩ ـ غُرَير بن هَيازع بن هبة الحسينى أمير المدينة وأمير ينبع ، كان وقع بينه وبين عجْلان بنِ نُعيْر ابن عمه ـ أخى ثابت ـ اختلاف كما كان بين أسلافهما، فهجم غُريْر على حاصل المسجد فأخذ منه مالاً كثيراً،فأمر السلطانُ أميرَ الركب بالقبض عليه فقَبض عليه فى ذى الحجة وأُحْضِر صحبةَ الركب إلى مصر فاعتُقل بالقلعة فمات بعد ثمانية عشر يوماً ، وكان خالُه مُقْبل بن نخبَار أميرُ الينبع قد جهَّز قدْرَ المال الذى نُسب إليه أنه أخذه وأرسل به مع قُصَّادِه إلى السلطان،فبلغ القاصد أنه مات ، فرجع بعضهم إلى ينبع بالمال واختنى بعضهم بالقاهرة ؛ وكانت مدّة إمرة غُرير على المدينة ثمانى سنين ، وهو بالغين المعجمة مصغّراً .

٢٠ ـ محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ، الشريف بدر الدين الحسينى نقيب الأشراف بحلب ، تقدم ذكر والده عزّ الدين[1] وهو[2] من شيوخنا بالإجازة ، وولى هذا نقابة الأشراف بعد والده .

قال القاضى علاء الدين فى تاريخ حلب : « كان بارعاً يستحضر شيئاً من التاريخ ويذاكر به ، ثم ولى كتابة السّر بحلب سنة إحدى وعشرين وثمانى مائة من جهة المؤيّد فجمع الوظيفتين » ، قال : « كان كَتَبَ وصيَّةً وجعلها فى جيبه وصار يلهج بذكر الموت إلى أن وقعت وفاته فى جمادى[3] الآخرة وقد جاوز الأربعين بقليل ، وكان الجمع فى جنازته مشهوداً » : أثنى عليه البرهان المحدّث .

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٢) الضمير هنا عائد على عز الدين .

(٣) كان ذلك فى الحادى عشر من الشهر المذكور ، راجع الطباخ ١٧٦/٥-١٧٧ .

٢١ – محمد بن أحمد أبو معالى الحَبْتِىّ [1] الحنبلى شمسُ الدين ، وُلد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وسمع من عمر بن حسن بن أُمِيلة[2] والعماد بن كَثِير وغيرهما ، وتفقه بابن قاضى الجبل وابن رجب وغيرهما ، وتعانى الآداب فمهر ، وكان فاضلاً مستحضرا مشاركا فى الفنون ، وقدم إلى القاهرة فى رمضان سنة أربع وثمانى مائة وقد حدّث ببعض مسموعاته ، وقصّ على الناس فى عدّة أماكن وناب فى الحكم .

وكان يحبّ جمْعَ المال مع مكارم الأخلاق وحُسن الخلق وطلاقة الوجه والخشوع التام ولاسيّما عند قراءة الحديث ، سمعْنَا بقراءته « صحيح البخارى » فى عدة سنين بالقلعة ، وسمعْنا من مباحثه وفوائده ونوادره وما جرياته ، وكان حسنَ القرءاة يُطرِب إذا قرأ ، ويُحسِن عمل المواعيد ، وكان قد صحب العماد بن كثير فكان ينقل عنه الفوائد الجليلة ، وناب فى الحكم فى بعض المجالس ، وكان لا يتصوّن[3].

وولى بالقاهرة مشيخة الغرابيَّة بجوار جامع بشتَك ثم مشيخة الخرّوبية بالجيزة وبها مات فجأةً فإنه اجتمع بى فى يوم الثلاثاء سادس عشرى[4] المحرّم مهنئا لى بالقدوم من الحج ورجع إلى الجيزة فى آخر نهار الأربعاء فمات ليلة الخميس وقت العشاء ثامن عشرى المحرم وقد أكمل السبعين .

قرأت فى تاريخ ابن حجّى فى حوادث سنة اثنتين وثمانمائة : « فى ذى القعدة وقع حريق بدمشق فانتهى إلى طبقة بالبراقية[5] وهى بيد الشيخ شمس الدين الحبتى ولم يكن يسكنها فوجدوا بها جراراً ملآى خمراً ، فكثرت الشناعة عليه عند تنم النائب » ؛قلت[6]: وكنتُ فى تلك الأيام بدمشق وبلغنى أنهم شنعوا عليه وأنه بَرِىءٌ من ذلك ، وبعضهم

---

(١) ضبطته الشذرات ١٧١/٧ بفتح الحاء وسكون الباء ثم تاء وقالت : نسبة إلى حبتة بنت ملك بن عمرو بن عوف ، وقيل إنه يسمى أيضا « الحمّى » وقال السخاوى فى الضوء اللامع ٢٣٤/٧ « ورأيت من أبدل الموحدة ميما وقال إنه الصواب » .

(٢) فى بعض النسخ « عمر بن حنبل وابن أميله » ، والصواب ما أثبتناه بالمتن ، انظر الدرر الكامنة ٢٩٩٧/٣ .

(٣) راجع فى حوادث ٨٠٢ حريق دمشق وعثورهم على جرار الخمر عنده .

(٤) يطابق هذا التاريخ الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ .

(٥) وكانت عند جامع تنكز ، انظر فى ذلك الدارس فى تاريخ المدارس ١٨٨/٢ ، س ١٩ – ٢٠ .

(٦) الضمير هنا عائد على ابن حجر نفسه .

كان ينكر عليه ويتهمه ، وأَمْرُهُ إلى الله عفا الله تعالى عنه ؛ واستقر مكانه بالخروبية بالجيزة فضلُ الله بنُ نصر الله البغدادى .

٢٢ – محمد بن الجمال عبد الله الرومى الحنفى ، صدر الدين ، ناب فى الحكم وكان حسن التودّد ، ويتَعَمَّم دائما على أذنتيه .

٢٣ – محمد بن على بن خالد الشافعى ، شمس الدين المعروف بابن البيطار ، سمع من عبد الرحمن بن الشيخ على بن هرون[1] القارئ مشيخته تخريج شيخنا العراقى ، وسمع من غيره ، ولازمنا فى الأسماع على المشايخ كثيراً . وكان وقوراً ساكناً حسنَ الخلق كثير التلاوة ، مات[2] فى ربيع الآخر .

٢٤ – محمد بك بن على بك بن قرمان ، الأمير ناصر الدين ، كان أميراً بقَيْصَرِيَّة[3] وَنكْده ، ولاَرَنده وما والاها من البلاد الحلبية وغيرها ، ثم امتدّت عينه إلى أخذ طَرسُوس وهى من معاملات حلب وطمع فيها لوقوع الاختلاف بين الأمراء المصريين فحاصرها وملكها ، فلما استقرّ المؤيّد فى المملكة جهّز له عسكراً فاستنقذوها منه وقرّر فيها نائبا ، ثم جَمع ابنُ قرمان جيشاً وتوجّه إلى طرسوس فأخذها ، فجهز المؤيّد إليه ولده إبراهيم فى العسكر المقدم ذكره[4] .

وفى سنة إحدى وعشرين ملكوا طَرسُوس وهرب منهم ابن قرمان وسلموا طرسوس بأمر المؤيد لناصر الدين بن ذُلْغَادر ، واستقر فى إمرة البلاد القرمانية علىٌّ أخو ناصر الدين ، فلما

---

(١) هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن هرون الثعلبى المعروف بابن القارئ ، وقد حدث بحلب عن الأبرقوهى ومات سنة ٧٧٦ ، انظر إنباء الغمر ٨٦/١ ترجمة رقم ٤٤ ، والدرر الكامنة ٢٣٣٠/٢ .

(٢) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٣) هذه المدن الثلاث من بلدان آسيا الصغرى ، أما قيصرية – وهى المعروفة باسم Caesarea Mazaka فكانت ثانى مدن السلاجقة بعد العاصمة وتكثر بها المساجد ، وقد ورد لها وصف فى كتب الرحالة المسلمين ألم به لسترانج فى بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٨ ؛ أما نكدة فقد سماها مراصد الاطلاع ١٣٨٨/٣ بنكيدا (بفتح النون وكسر الكاف) وقال عنها : إنها مدينة قديمة صغيرة بينها وبين قيسارية من جهة الشمال ثلاثة أيام ، وهى من إنشاء السلطان علاء الدين ، على حين أن المستوفى وصفها بأنها « لا كبيرة ولا صغيرة » كما أشار إلى ذلك لسترانج ، شرحه ، ص ١٨٣ ؛ أما لارندة فكانت قاعدة إمارة قرمان ، ويسميها ابن بطوطة « اللارندة » ، أنظر أيضا بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٠ – ١٨١ .

(٤) راجع خبر هذه الحملة فى سنة ٨٢٢ من هذا الكتاب ، ص ١٨٩ ، ١٩٧ – ١٩٨ .

رجع إبراهيم إلى القاهرة وقع بين ابن قرمان وبين ابن ذلغادر وقعة انهزم فيها ابن قرمان وأسر وحُمِل إلى القاهرة فدخلها وكان يوماً مشهوداً ، فلما مات المؤيّد أفْرج عنه ططر وتوجّه إلى بلاده فى أوائل سنة أربع وعشرين فاستمر إلى أن توجّه إلى حصار بعض القلاع فأصابه حجر فى جبهته فصرعه ، ومات فى هذه السنة[1]

٢٥ ـ محمد بن على بن محمد[2] بن أحمد الزَّرَاتِيتى[3] المقرئ الحنفى إمام الظاهرية البرقوقية ، الشيخ شمس الدين ، ولد سنة سبع[4] وأربعين ، وعنى بالقراءات ، ورحل فيها إلى دمشق وحلب وأخذ عن المشايخ واشتهر بالدين والخير ، وسمع معنا الكثير وسمعْتُ منه شيئاً يسيراً ، ثم أقبل عليه[5] الطلبة بأخرة فأخذوا عنه القراءات ولازموه ، وختم عليه جمعٌ كثيرٌ وأجاز لجماعة ، وانتهت إليه الرئاسة فى الإقراء بمصر ، ورُحل إليه من الأقطار[6]،وأجاز رواية مرواياته لأولادى ونعم الرجل كان .

---

(١) ورد أمام هذا فى هامش ث ما يلى : « محمد بن قرمان هذا أصابه الحجر فى حرب جرت بينه وبين عسكر الأروام من جهة متملك برصا مراد بك بن عثمان وتولى بعده ولده إبراهيم وكانت سنه خمسة عشرة سنة أو فوقها بيسير ،ودام ملكه ببلاد الروم وقونية ولا رندة وقيسارية فوق الخمسة وثلاثين سنة ،وكان ملوك بنى عثمان وملوك مصر تضايقه لأن ملكه بين الملكين وهو ملك ضيق صغير بالنسبة إلى ملك ابن عثمان وملك مصر وجرد إليه من مصر وحكاياته طويلة ولم يزل منعما إلى أن مات سنة ثمان وستين وثمانمائة وقد ناهز الستين وكان من عقلاء الملوك قليل الشر يحب أهل العلم ، كثير التواضع لهم ، وكان من أصلاء ملوك الإسلام كابراً عن كابر إلى أن يتصل نسبه بالسلطان علاء الدين السلجوقى ، وذكر لى بعض أصحابنا من الترك التتار أن هؤلاء من السلاطين قبل الإسلام وأن الكاهن الكبير التركى رأس الأعوز المسمى بقرقط ذكر قرمان بكهانته وأنه سيكون فيها بعد ، وقيل إن أصلهم من ذرية الأمير بايزر (؟) أحد الأمراء الكبار لجنكزخان ملك الترك الأعظم ،وتولى بعد إبراهيم المذكور ولده إسحاق ووقع بينه وبين إخوته اختلاف كان سببه أن طول ملكهم كان سببا لزوال ملكهم واستيلاء السلطان محمد بن عثمان عليه ؛ وإسحق هذا توفى أيضا فى أوائل المحرم سنة سبعين وثمان مائة ببلاد ديار بكر عند السلطان حسن ابن قرايلك بعد أهوال وحروب بينه وبين إخوته فنزح ومات غريباً طريداً مبعداً وزال الملك عن جميعهم » . وسعيد بن حجر ترجمته مرة أخرى ولكنه باختصار فى السنة التالية ، أنظر فيما بعد ص ٣٢٢ ترجمة رقم ٣٠

(٢) « ابن محمد » غير واردة فى ه .

(٣) نسبة لقرية « زراتيت » وهى من البلاد المندرسة بمصر ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ١ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

(٤) هذا هو التاريخ الوارد أيضا فى تاج العروس فى كلمة « زراقين » .

(٥) فى ه « على » .

(٦) جاء بعد هذا فى ز « وتزاحمت عليه الطلبة ، وكان رجلا صالحاً صينا حسن الأداء إلى الغاية حنفى المذهب ، أضر فى آخر عمره ، وسمع فضل الخيل للدمياطى من الحراوى ، والأخيرين من السيرة لابن إسحق على ابن نباتة وعشرة جداد على إبراهيم بن العديم وترجمه المؤلف أيضا فى معجمه وقرأ عليه كاتبه فى الظاهرية برقوق وتسلد ... بالمذكورة حينا » .

مات في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة بعد أن أَضَرّ ، وكتب[1] بخطه أنه ولد سنة ٤٦ .

٢٦ — محمد عز الدين بن الشيخ عز الدين محمد بن خليل بن هلال الحاضرى قاضى الحنفية بحلب ، قال البرهان المحدّث بحلب ، « ولى القضاء فسار سيرةً جميلة » . مات بالطاعون .

٢٧ — محمد بن قاضى المسلمين شرف الدين موسى الأنصارى ، ولىٌّ الدين أبو زرعة خطيب الجامع الكبير بحلب ، مات فى رجب بالطاعون أيضا .

٢٨ — محمد جلبى السلطان ، ويلقب كُرَشِى[2] ولد السلطان أبى يزيد بن مراد بن أورخان ابن عثمان جق صاحب الأوجات وما معها فى بلاد الروم ، إستقر بعده ابنه الكبير مراد بك[3].

---

(١) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٢) هكذا ضبطت فى هـ ، ولكنها فى ز « كرشجى » وكذلك فى النجوم الزاهرة .

وجاءت التعليقة التالية فى هامش ث « كرشجى لقب هذا الملك كما ذكره شيخ الإسلام المقر رحمه الله ، وكرش (بكسر أوله وثانيه) هو لفظ تركى معناه بالعربى « وتر » ولفظة جى للنسبة فهذه نسبة للوتر كأنه قيل « وترى » وسبب تلقيبه بذلك على ما أخبرنى به بعض أصحابى من الأروام أن والده يوما من الأيام قال له على جهة المباسطة وكان أصغر أولاده ما يكون حالك بعدى مع إخوتك ؟ فقال أخنقهم بالوتر ، فضحك أبوه من ذلك وأعجبه كلامه وقال له : «عافيه» ، وسماه بهذا الاسم ، قال هذا المخبر إن كرشجى هذا كان أنجب أولاد أبيه ، قال وكان حين أسر تيمور لنك والده متأمرا باماسية ، ولم يصل تمر إليها ، وهذا على أبيه إلى أن قال لوزرائه « لابد لى من أن أنصر أبى قبل أن يقتله تمر حتى ... وقبل أن يصل به تمر لبلاده ، فاتفقوا أن يرسلوا قاصداً من عنده إلى تمر ليسأل عن حال أبيه وأن يتوجه هو مع القاصد فى هيئة بعض خدام ذلك القاصد فتوجه هو متنكراً وزار أبوه ؟ بعد أن أنكر أبوه عليه ذلك وأمر القاصد بالعود سريعا لئلا يطلع على خبره فرجع ثم قال أبوه لتمر : قد جاءنى إبنى وزارنى ، وذكر له القصة فقال تمر « إن ابنك هذا سيملك البلاد لفطنته» فكان كله بعد سنة منه فهلك بعد أخرى . ثم إمضاء غير مقروء .

(٣) جاء فى هامش ث « مراد بك هذا هو مراد بن محمد كرشجى بن مراد ابن .... وكان يعرف بالخوندكار مات وهو كهل فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وكان ذا عزم وحزم وشجاعة وكرم وسؤدد.أفنى عمره فى جهاد الكفار وفتح الكثير من البلاد من حصون وقلاع وغير ذلك ولكنه كان منهمكا فى لذات من المحرم الدنيا وشهوات نفسه إلى الغاية ولكنه كما قال بعضهم لما سئل عن دينه فقال أخرقه بالمعاصى وأرقعه بالاستغفار فإنه كان له اليد البيضاء فى نصرة الإسلام وخذلان الكفر مغرما بذلك مولعاً به قاصداً به وجه الله تعالى وإعلاء كلمته ونصرة دين نبيه على الأمم حتى قيل إنه كان سياج الاسلام ، شكر الله تعالى سعيه وتقبل منه غزواته المشهورة ومواقفه المذكورة ونكايته للعدو فلقد...مذهبا...أشهبا تتجمل وجوده بنى آدم رحمه الله تعالى . وتولى بعده الملك ولده السلطان الأعظم محمد بن مراد الذى فاق أباه وجدوده فى الجهاد والغزو ونكاية العدو وقصد البلاد والقلاع والحصون والأقاليم ، ولو لم يكن له إلا القسطنطينية العظمى لكفاه ذلك الفخر ليوم القيامة ولازال ملكا بها إلى أن بلغت وفاته فى سنة ست وثمانين وثمانمائة ... وقام من بعده ولده أبو يزيد أكبر أولاده » .

٢٩ ــ محمد المعروف بابن المحبّ شمس الدين أحد قراء الجوق ، وكان تلميذاً للشيخ شمس الدين الرزازى رفيق ابن الطباخ فأُخْرِجَتْ جنازته هو وأحمد اليمنى الماضى معاً وصُلِّى عليهما .

٣٠ ــ محمود بن محمد الأَقْصُرَائى ، بدر الدين ، كان مولده سنة بضعوتسعين ، وتفقه واشتغل كثيراً ومهر ولازم شيخنا عز الدين بن جماعة وغيره من الأئمة ودرّس بالأَيْتَمُشِيَّة ، ثم اتصل بالملك المؤيّد فعظم قدره ، ثم أقرأ ولده إبراهيم فى الفقه وازدادت منزلته عند الظاهر ططر ؛ فلما كان فى أوائل شوال سنة أربع اعتل بالقولنج الصفراوى فتمادى به إلى أن مات فى الخامس من المحرم .

وكان فاضلاً بارعاً ذكياً مشاركا فى فنون ، حسنَ المحاضرة مقرَّباً من الملوك ، حسنَ الودّ كثير البشر ، قائماً فى قضاء حوائج من يقصده كثير العقل والتؤدة ، وقد درّس فى التفسير بالمؤيّدية وغير ذلك .

مات فى ليلة الثلاثاء خامس المحرم ولم يبلغ الثلاثين .

٣١ ــ يعقوب بن عبد الله الخاقانى الفاسى كان من أبناء البربر ، وتعلّق بالاشتغال فلما رآى الفساد الجارى بفاس بسبب الفتنة بين السعيد وبين أبى السعيد فى سنة ١٧ صار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكف أيدى المفسدين ، فتبعه جماعة وقَوِيَتْ شوكته ، وحاول ملوك فاس القبض عليه فأعياهم أمره إلى أن قُتل أبو سعيد وأرسل ابن الأحمر يعقوب المرينى إلى فاس فلم يتم الأمر ، فأرسل أبا زيّانَ بن أبى طريف بن أبى عنان فحاصر فاساً وقد اشتدَّتْ شوكَةُ يعقوب الخاقانى واستفحل أمره ، ففتك فيمن بَقِى من بنى مَرِين وساعد أبا زيّان وقام بأمره ، فدخل فاس وقتل عبد العزيز الكنانى وعدة من أقاربه كما تقدّم ذكره فى سنة أربع وعشرين .

ثم أرسل ابنُ الأحمر محمداً بن أبى سعيد بعسكر على فاس ففرّ منه أبو زيان فمات ببعض الجبال ، وقُتِل يعقوب الخاقانى ثم مات محمد عن قُرْب ، فأُقيم ابن أخيه عبد الرحمن فثار به أهل فاس فقتلوه وقتلوا ولده وأخاه وأقاموا رجلاً من ولد أبى سعيد ، وقام بمكْنَاسَة ــ

وهى على مرحلة من فاس ــ أَبو عمر بن السّعيد ، فقام بتَازَة ــ وهى على مرحلة ونصف من فاس ــ شخص من ولد السعيد أيضا ، فصار فى مسافة مرحلتين : ثلاثة ملوك ليس بأَيديهم من المال إلاَّ ما يؤخذ ظلماً، فتلاشى الحال،وخرُبَتْ الدّيار وقُتلت الرجال ، والحكم لله العلى الكبير. نقلت هذا من خط الشيخ تقىّ الدين المقريزى عنْ نقله من بعض مَنْ يثق به من المغاربة القادمين إلى الحج ، والعلم عند الله تعالى .

« سنة ست وعشرين وثمانمائة »

فى المحرّم خُلع على قُطْلُو بُغَا حَاجّى باستمراره فى نظر الأَوقاف وأُلزم القاضى الشافعى أن يُرَتِّبَ له معلوماً فرَتَّبَ له على الأَوقاف الحكمية فى الشهر أَلفاً وخمسمائة .

وفى يوم عاشوراء سعى القاضى الشافعى المنفصلُ فأَحضر بين يدى السلطان فدعَا له وخَلع عليه جبةً بسمور وقُدّمت له بغلة ، وَشَقَّ ذلك على صالح المستقرّ .

وفيه وصل الخبر بأَنه وقع فى بيروت بردٌ كبارٌ حتى وُزنت واحدةفبلغوزنها ربعقنطارٍ شامىّ ويقال أَكثر من ذلك ، وكان بغَزَّة وفلسطين مَحْلٌ شديد فأَمطَرَتْ فى هذا الشهر ، فتراجع السعر ولولا ذلك لنَزَحَ جميع أَهل تلك النواحى منها .

وفى أَول المحرم كانت الوقعة بين مقبل بن نخبار الحسنىصاحب الينبع وبين أَمير الركب الثانى ، وذلك أَن عقيل بن وبير بن نخبار بن أَخى[1] مقبل وَقع بيْنه وبين عمّه بسبَبِ الإِمرة لأَنَّها كانت مشتركةً بين وبير وبين مقبل ، وكان وبير الأَكبر المشار إليه ، فلما مات استقلَّ مقبل فارتغم وبير لذلك ، فسعى فى الشركة فأَجابه الأَشرف إلى ذلك وأُرسِلت إلى عقيل خلعة من الأَشرف فلبسها ولم يظهر من مقبل لذلك إنكار ، فلما توجّه الحاج إلى مكّة وثب وبير على مقبل[2]فقيده ثم خشى من المصريّين إذْ يرجعون من الحجّ فنَزح بأَهله وماله ومن أَطاعه إلى بعض الأَودية ، فلما قدموا إلى بدر راجعين من زيارة المدينة تجرّد منهم جماعةٌ فانتهوا إليه فوجدوه فى بعض الأَودية ،فوقع بينهم القتال فانهزم مقبل ومَن معه ، وانهزم معه رُمَيْثَةُ بن محمد بن عجلان ، وكان خَالف على عمّه حسن ابن عجلان ، وانتهب العسكرالمصرىُّ ما كان لمقبل وأَفحشوا فى الفسق والتعرّض للحريم ، ولما وصلوا إلى ينبع قَرّروا أَميرها عقيلاً وتوجهوا إلى جهة مصر ؛ ثم رجع مقبل إلى ينبع

---

(١) فى الضوء اللامع ٥/٢٠٥ حذف كلمة « أخى »

(٢) فى ه ، « وثب مقبل على عقيل » .

بعد رحيلهم بأَيّام فأَوقع بابن أَخيه عقيل ومن معه وكادت الكَسْرةُ تقع على عقيل ثم تراجع أَصحابه وهُزِمُوا عنه ، وأَسروا محمد بن المؤذن وكان يكثر النميمة بينهم فشنقه عقيل على باب المدينة ، فأَرسل بخبر الهزيمة إلى القاهرة واستمرّت هزيمة مقبل إلى الشرق ، والتجأَ رُمَيْثة بن محمد بن عجلان إلى عجلان أَمير المدينة فشفع له إلى عمه حسن بن عجلان فتوجّه معه إلى مكة .

* * *

وفى العَشْر الأَواخر من المحرم وقع فى ضواحى حُورَان برد كبار على صورة خشاش الأَرض والماء كخنفسة ووزغة وحية وعقرب وسرطان وضفدع وغير ذلك ، هكذا ذكر علاءُ الدين ابن أَبى الشوارب الشادُّ بتلك الناحية أنه شاهد ذلك ، وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالى فى تاريخه فى حوادثه فى سنة عشر وسبعمائة أنه وقع ببَارِين[1] -- من عمل حماة -- بردٌ كبارٌ على صفة حيوانات مثل حية وسبعٍ وعقربٍ وطيورٍ مختلفة وصفةِ رجالٍ فى أَوساطهم شبه حوائص ، وأَنه أَثبت محضرا على قاضى الناحية واتّصل بقاضى حماة .

وفى ثانى عشرى المحرم صُرِف صدر الدين بن العجمى من نظر الجوالى واستقرّ فيها زينُ الدين قاسمُ بنُ القاضى جلالِ الدين البلقينى بمال بذله لجانبك الدويدار الثانى ، وكان استقرَّ فى الدويدارية بعد قدومه من الحج ، وهو شابٌّ له دون العشرين سنة وتصدَّى للحكم بين النَّاس وهرعوا إليه لعِلْمِهم بمنزلته عند السلطان . وكان السلطان -- لمّا سُجِن بقلعة المرقب -- أَراد جَقْمَق نائب الشام إذ ذاك أَن جانبك المذكور ينضمّ إليه ويخدم عنده وتحيَّل عليه بكل طريق فلم يوافق ولازمَ سَيِّدَه وهو فى السجن وصبر معه على الضيق ، فشكر له ذلك .

وفى تاسع عشرى المحرم عُزِرَ فتح الدين محمد بن محمد بن المؤيد موقّع الحكم الشّافعى وجمال الدين عبد الله بن عُمَيْر النحريرى موقع الحكم المالكى بسبب شهادةٍ قيل إنّها زُوّرَتْ

---

(١) وتقول لها العامة بعرين -- كما جاء فى مراصد الاطلاع ١٥٢/١ ، ٢٠٧ ، وهى بلد بين حلب وحماة وبين حمص والساحل وانظر أيضا . Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, pp. 98-99.

عليهما أو منهما ، فأمر الدويدارُ الكبيرُ بقطع أكمامهما وتَجْريسهما بالقاهرة ماشِيَيْن ، وتألَّم الناس لذلك ، وقيل إنهما كانا مظلومين ، وتوجّه ابن المؤيد إلى القدس خجَلاً من الناس .

* * *

وفى ثامن عشرى صفر عُقِد مجلس بسبب الفلوس فاستقر الأمر فيها على تمييزها مما خالطها كما سيأتى ، ونودى على الفلوس أنَّ الخالص بسبعة دراهم كل رطل ، والمخلوطة كل رطلٍ بخمسةِ دراهم ، وحصَل بين الباعة بسبب ذلك منازعاتٌ ، ثم فى آخر رمضان نودى على الفلوس المنقَّاةِ بتسعةٍ ، وبمَنْعِ المعاملة من المخلوطة أصلاً ، فسكن الحال ومشى .

وفيه عُزِّرَ فخرُ الدين عثمانُ المعروف بابن الطاغى[1] خازن كتب المدرسة المحموديّة بالموازِيّين ظاهر القاهرة فضُرب بين يدى السلطان ، وكان قد رُفع عليه أنه فَرَّط فى الكتب الموقوفة وهى مِن أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة لأنها من جَمْع القاضى برهان الدين ابن جماعة فى طول عمره ، فاشتراها محمود من تركة ولده ووقفها وشرط ألا يخرج منها شئ من المدرسة ، واستحفظ لها إمامه سراج الدين ، ثم انتقل ذلك لعثمان المذكور ، بعد أن رُفع على سراج الدين المذكور أنّه ضيّع كثيراً منها ، فاختُبِرَتْ فنَقَصَتْ نحو مائة وثلاثين مجلدة فعُزِل سراج الدين وقُرِر عثمانُ فاستمر يباشر ذلك بقوةٍ وصرامةٍ وجلادةٍ وعدمِ التفاتٍ إلى رسالة كبيرٍ أو صغير ،حتى إنَّ أكابر الدولة وأركان المملكة بما يحاوله الواحد منهم على عارية كتابٍ واحدٍ ، وربما بذلوا المالَ الجزيل فيصمّم على الامتناع حتى اشتهر على ذلك أمره ، فرَفع عليه شخص من الناس أنه يرتشى فى السرّ فاختُبِرتْ الكتب وفُهْرِسَتفنَقُصَتْ العُشْرَ سواء لأنها كانتأربعة آلاف مجلدة فنقصت أربعمائة ،فألْزِم بقيمتها فقُومت بأربعمائة دينار فباع فيها موجوده وداره وتألّم أكثر الناس له ، ولم يكن عيبه سوى كثرة الحيف على فقراء الطلبة وإكرام ذوى الجاه .

---

(١) هو فخر الدين عثمان البكرى التلاوى ويعرف بالطاغى ، وقد فرط فى كتب المدرسة المحمودية مما دعا إلى عزله وتعزيره بالضرب بين يدى السلطان برسباى ، واستقر عوضه ابن حجر ، راجع ترجمة رقم ٩ ، ص ٣٥٦ ،من هذا الجزء وكذلك الضوء اللامع ٥/٩٠ ؛ .

وفى أول شهر ربيع الأول[1] قُرر قصروه أمير آخور فى نيابة طرابلس ، وقُرر جقمق [العلائى] الذى كان استقر حاجباً كبيراً فى مكان أمير آخور فى ثانى عشرة .

واستقر فى الحجوبية أزبك الأشقر ، وعمل المولد السلطانى فحضر القاضى الشافعى المعزول وأُجْلِس رأس الميسرة وتحوَّل الحنفى من ثَمَّ فجلس بجانب الشافعى المستقر فى الميمنة .

وفى أوائل العشر الثانى منه رَفع شخص من أهل الرّملة فى كاتب السر علم الدين ابن الكُوَيْز إلى السلطان قصةً من جملتها أنه تواطأ هو وجماعةٌ من أهل الدولة على إعادة السلطنة للمظفَّر بنِ المؤيد ، وفى القصّة أنَّ كاتب السر لا يصلح أن يكون أسامياً وأنَّ الذى يليق فى وظيفة كتابة السر من يكون من أهل العلم والمعرفة بالألسنة إلى أوصاف أخرى يرمز فيها بالهروى ، وذكر لى الشيخ شرف الدين بن التبّانى أن الذى رفعها أول ما قدم نزل عند المحتسب وهو صديق الهروى وفى نفسه من كاتب السر أمور كثيرة ، فأمر السلطان بنَفْيِ الذى رفعها إلى قوص فخرج مع نقيب الجيش فى التَّرْسيم ، واسم الذى رفعها الشيخ محمد بن بدر الأَرْسُوفى ، وكان شيخاً من بلدة الشيخ على بن عليم بالرملة ، فلما كان فى ٢ شهر ربيع الآخر خرج السلطان إلى وَسِيم بالجيزة فى زمن الربيع وكانت أول تعديةٍ عداها إلى الجانب الغربى فى البحر منذ تسلطن ، ويقال إنه كان عزم على الإقامة نصف شهر وأقام أسبوعا ورجع وقد بلغه أمرٌ أزعجه ووقف له فى طريقه سائِسٌ من السواس ، فزعم أنه رآى الشيخ أحمد البدوى فى النوم وبين يديه نار وهو يطفئها ، وكلما أطفأها عاد لهبُها ، فسأله عن ذلك فقال : « هذه نارٌ أطفيها عن السلطان » ، فشاع بعد ذلك أن السلطان ظفر باثنين أو ثلاثةٍ أرادوا الفتك به .

---

(١) تنص النجوم الزاهرة ٥٦٣/٦ على أن استقرار قصروه من تمراز فى نيابة طرابلس كان فى شهر صفر بل وفى يوم الإثنين السادس والعشرين منه ، على أن نفس المرجع يعود فى ص ٨٣٩ - ٨٤٠ إلى الإشارة بأن استقراره فى الأمير آخورية كان فى أواخر دولة الملك الصالح محمد بن ططر « وأنه دام على ذلك سنين إلى أن نقله برسباى إلى نيابة طرابلس ، واستقر بعده فى الأمير آخورية جقمق العلائى »

وابتدأ بكاتب السر وجَعُه فيقال إنه دُسّ عليه السّم فوعك أياما ثم أَبَلّ من مرضه وركب ثم انتكس واحتجب عن العُوّاد ولازمه الأَطبّاء ، فيقال إن نصرانياً أراد أن يدفع عنه وَهْمَ كونه مسموما،فشرب بوله ففرح بذلك وأعطاه خمسين دينارا ، ثم صار يحصل له شبه السبات ، ويقال إن النصرانى وعك بعد ذلك .

وفى غضون هذه الأيام أمر السلطان بإعادة الشيخ محمد بن بدر من قوص فأُعيد فى أواخر شهر ربيع الآخر ، وتوجّه لحال سبيله .

وفى العشرين من ربيع الأول انقضت أيام الحُسوم وكانت شديدةَ البرد إلى الغاية ، ولقد تذكرت لما مَرَّتْ بنا فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة بعد هذا بعشر سنين وهى فى غاية الحر ، فسبحان الحكيم .

واستمر كاتب السر موعوكا فى بيته منقطعا إلى العُشْر الثانى من رجب فعفى ودخل الحمام وركب إلى القلعة واجتمع بالسلطان ، فأذن له أن يتأخر فى منزله أياما لتكمل عافيته فأرسل إليه عقب ذلك تقدمةً تشتمل على ثياب حرير وصوف وذهب ، فخلع على مُحْضِرها : أخيه سليمان بن الكُوَيْز .

* * *

وفى هذا اليوم العشرين من ربيع الآخر رَخُص القمحُ جدًّا حتى انحط إلى ستين درهم الإردب ، بحيث يحصل بالدينار المختوم أربعة أرادب وهذا غاية الرخص،فإنَّ عِبْرَةَ الديار المصرية أن يكون الإردب بدينار ، فما زاد فهو غلاء ، وما نقص عن ذلك فهو رخص بحسبه .

وفى رابع عشرى ربيع الآخر هبت ريحُ بَرْقَةَ تحمل تراباً أصفر إلى الحمرة وذلك قبل غروب الشمس ، فاحمَرَّ الأفق جداً بحيث صار من لا يدرى السبب يظن أن بجواره حريقاً، وصارت البيوتُ كلُّها ملأى تراباً ناعماً جدّا يدخل فى الأنوف وفى جميع الأَمتعة ، ثم لما تكاملت غيبوبة الشفق اسْوَدَّ الأُفق وعَصَفَتِ الرّيح وكانت مُعَلّقة ، فلو قُدرَ أنها كانت تصل إلى الأرض لكان أمراً مهولا ، وكثر ضجيجُ الناس فى الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله تعالى بإدرار المطر ، فتحولت الريح جنوبيةً باردةً ولم تهب هذه الريح منذ

ثلاثين[1] سنة ، وهى ريحٌ هائلةٌ عاصفةٌ سوداءُ مظلمةٌ فانتشرت حتى غطّت الأهرام والجيزة والبحر ، واشتدت حتى ظن كل أحد أنها تقتلع الأبيات والأماكن، فدامت تلك الليلة ويوم الأربعاء إلى العصر ، وكانت سببا فى هيف الزرع بالوجه القبلى وغلاء سعر القمح .

وفى ربيع الآخر قدم أخَوَا رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان يخطبان إمرة مكّة عوضاً عن عمهما حسن بن عَجْلان ظنًّا منهما طَرْدَ القياس فى عَقِيل ومِقْبل ، فانعكس عليهما الأمر فقُبِض عليهما وحُبِسا ، وقُرِّر قَرْ قُمَاس الشعبانى وعلىُّ بن عِنَان فى إمرة مكّة وسافرا معاً .

وفيه وصل تَانِى بك البِجَاسى نائبُ حلب فسلَّم على السلطان وهرع النَّاسُ للسّلام عليه ثم خُلع عليه وأُعيد إلى إمرته ، وتوجّه ثالث جمادى الأولى .

وفيه وقع بين نائب دمشق وقاضيها الشافعى نجم الدين بن حِجّى تَشَاجُرٌ ، وادَّعى أن القاضى أشار بعَزْل نفسه ، وتولّد من ذلك شر كثير سيأْتى ذكره .

* * *

ووقع الخبر بأَن الجراد وَقع بالمدينة فأَفسد الزرع بها وجَرَّد الخوص من النخل ، وقاسوا منه شدة عظيمة .

وفى أَوائل ما نقلت الشمس إلى الثور – بعد أَن اشتد الحر جدا – عاد البرد الشديدُ حتى صار نظيرَ الذى كانَ والشمسُ فى برج القوس ، وهذا من العجائب ، وبعد يومين أمطرت السماءُ مطراً غزيرا فى معظم الليل ، واستمر البرد قدر أسبوع .

وفى اليوم الثامن عشر من حلول الشمس [برج] الثور أمطرت السماءُ مطراً شديداً غزيراً ، واستمر إلى أن كثر الوحل فى الطرقات كأَعظم ما يكون فى الشتاء ، مع الرّعد الكثير والبرق ، وقد تلف بذلك ما فى المقاثى ومن الزروع والكتان[2] شىءٌ كثير ، وغلاَ

---

(١) راجع وصف أيام هبوب هذه الريح المريسية فى النجوم الزاهرة ٥٦٣/٦ – ٥٦٤ وإن قال فى تعليقه عليها « لم أرقبلها مثلها ولا بعدها مثلها» ولو اكتفى أبو المحاسن بذلك لصح قوله إذ أنه ولد سنة ٨١١ تقريبا ، على أنه تلى ذلك مباشرة بقوله : « وكان هذا من الأيام المهولة التى لم يدركها أحد من الطاعنين فى السن » ، على حين أن ابن حجر يشير فى المتن إلى حدوث مثلها قبل ثلاثين سنة .

(٢) فى ه « النبات » .

السِّعْرُ بسبب ذلك ، ويقال إنها أمطرت بمدينة المَحَلَّة من البرد الكبار ما يُتَعَجَّب منه ، وهبَّتْ ريحٌ شديدة بمدينة إنْبابَة فهُدِم بسببها بيوتٌ كثيرة وقلعت أصول نخلٍ وشجر .

* * *

وفيه كائنة سرور المغربى المالكى ، كان قدم من تونس إلى الاسكندرية وصار يذكر الناس ويقع فى حقّ بعض الرؤساء ، فتعصَّبوا عليه ومَنَعَه نائب الحكم من الكلام ، فدخل القاهرة فسعى فى عزل القاضى ، فتعصّب كاتبُ السّرّ للقاضى، فخرج سرور إلى الحج ثم عاد فرفع إلى السلطان أنه رآى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وبين يديه خمسة : اثنين مسلسلين يرأسهم كاتب السر ابن الكويز، وأنه مد يده إلى عينى ابن الكويز ففقأهما وقال له : « افْسَدْتَ شريعتى » وسعى فى عزل الناظر والقاضى فأمر بإحضارهما ، فأما الناظر فذَبَّ عنه صهرُه ناظرُ[1] الجيش ، وأما القاضى فحضر وصودر على مال .

وكتب سرور لبعض أصحابه بالاسكندرية كتاباً يخبر فيه أن النَّائبَ والنَّاظرَ والقاضى عُزِلوا بسبب كلامه فيهم ، فبلغ ذلك النائبَ فكاتبَ السلطانَ فى أمْره وحطَّ عليه فتعصّب له بعض الأكابر، فأمر السلطان بنَفْيِ سرور من الإسكندرية فوُكِّل به بالقاهرة وأُخرِج مُهَاناً إلى الإسكندرية ، ثم أُنْزِل فى مركب إلى الغَرْب فتوجّه إليها فوصل إلى صاحب تونس وأخذ منه كتابا بالشفاعة فيه ، فلما وصل إلى الإسكندرية قَبَض عليه النائبُ وسَجنه وألزمه بالعودة إلى المغرب .

فاتفق أن الذى كان أُرسل إلى الإسكندرية يحفظها من الفرنج كما سأذكره بعد لما حصل الأمان من الفرنج قُرِّرَ[2] نائباً بها ، وهو آقْبُغَا التَّمْرَازى ، وصُرِف النائب الذى كان وهو أَسَنْدَمُر[3] النُّورى ، وخلص سرور من الشدة بذلك وأُفرِج عنه ، وأرسل النائب الكتاب الذى استصحبه إلى السلطان فسكن الأمر خصوصا بعد موت ابن الكفتى[4] .

---

(١) فى ه « ناظر الخاص » .

(٢) فى ه « قرر نائبها » ، وفى هامشها « أى نائبا بها » .

(٣) كان استقراره فى نيابة الإسكندرية فى رجب من السنة الماضية وظل فيها حتى عزله السلطان عنها فغادرها إلى القاهرة فى ١٤ شوال ٨٢٦ ، ولكن السلطان أمر بصرفه إلى دمياط بطالا « وكان ذنب أسندمر تفريطه فى أمر جانبك الصوفى حتى فر من السجن » كما يقول أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٥٦٩ .

(٤) هكذا فى جميع النسخ ، وكذلك فى ه ، لكن جاء فى هامشها « لعله الكويز » .

ومن العجائب أن المذكور جرت له فى سلطنة الظاهر جقمق فى سنة ست وأربعين[١] منافسة مع القاضى أدّت إلى أن بعض الأكابر حطّ عليه فبالغ ، فأمر السلطان بنَفْيه ، فلما حصل بالإسكندرية أغلظ للنائب فأنزله فى مركبٍ يسير إلى الغرب ورئيسها إفرنجى ، فوصل كتابٌ بالشفاعة فيه وإعفائه من التغريب ، فعَوَّقَ النائبُ قراءةَ الكتاب إلى أن تحقق أن المركب سارت به ، فقرأ الكتاب وأعاد الجواب بفوات الأمر ، ثم لم يُطَّلَع له على خبرٍ إلى أن سطرت هذه الأحرف فى شعبان سنة[٢] سبع وأربعين وثمانمائة ، وجزم جماعةٌ بأنه أُعدم ، ولم يلبث القاضى بعده إلاّ يسيراً وهلك[٣].

* * *

وفى رجب حضر الأستادار من الصعيد وصحبته شئٌ كثير من الأبقار والأغنام ، فجمَع الجزّارين والغيطانيين وغيرهم لمشتراها ، فاجتمعَ جَمْعٌ كثيرٌ فى مركبٍ فغرقت فلم يسلم منهم إلا القليل وذلك فى مبادئ زيادة النيل .

وكان الطاعون بالشام ، حتى قيل إن جملةَ من ماتَ فى أيامٍ يسيرةٍ زيادة على خمسين ألفاً ، ووقع الطاعون بدمياط فمات عدد كثير من الرقيق والأطفال .

وفى رجب شكى نائب الشام من ابن حجى قاضى الشافعية ونَسَبَه إلى أمورٍ معضلة ، فأُمر بالكشف عليه فنُدب لذلك بعض الجند وصحبته شمس الدين محمد الأنصارى المدعو بأبى شامة الدمشقى الذى كان أمين الحكم عنده ، فنقم عليه أمورا فعَزله فتوَجَّه إلى القاهرة فأقام بها يغض من ابن حجى ويذكر مساوئه عند الأمراء وغيرِهم ، فلما وقعت هذه الكائنة ذكر بعضهم للسلطان أن أبا شامة يعرف مساوئ ابن حجى فسَفَّره ليكشف عليه .

---

(١) فى ه «وثلاثين» ، وأمامها فى هامشها بخط البقاعى : « إنما كان ذلك سنة أربع وأربعين وثمانى مائة فى غير مرية فى ذلك أصلا » .

(٢) هذه إشارة صريحة إلى أن هذا القسم على الأقل من مخطوطة إنباء الغمر كتب فى شعبان سنة ٨٤٧ ه .

(٣) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « كانت وفاة القاضى الذى فعل به ذلك الجمال الدمامينى فى ذى القعدة سنة خمس وأربعين » .

وكان السبب فى تغيير نائب الشام عليه أنه كان بدمشق خَمَّارات عليها ضمانٌ للنائب ، فركب القاضى وأمر بإغلاقها ، فشَقّ ذلك على النائب وأحضر الضَّامن وخَلَع عليه ونَادى له بالاستمرار ، فنفر الناس من ذلك ، واجتمع عند باب القاضى من لا يحصى كثرةً فركب القاضى والناس معه فكَسَّرُوا أوانى الخمر وأراقوها ، فغضب النائب من ذلك ورُفع الأَمر إلى السلطان أن القاضى يقيم من يشهد بأَنَّ فلانا الذى مات عن غير وارثٍ له وارث فيثبت ذلك ويتسلَّم المال ، وأنه حَصَل عنده من هذه الجهة أموال كثيرة ممن ليس له وارث إلاَّ بيت المال ، فتَغَيَّظ السلطان من ذلك ، فلما وصل الأَمر بالكشف عليه بالغ النائب فى نكايته ومكَّن عَدُوَّه منه وأَقْدِم أَبو أشامة فَسَجَّل على نفسه أنه ثبت عنده أن فى جهة القاضى نجم الدين بن حجى لبيت المال عشرين أَلفَ دينار ، وحكم بذلك ووصل حكمه بالقاضى الحنفى فنفَّذه ، وطُولع السلطان بذلك فكتب باستخلاص ذلك من ابن حجى ، فقدَّر الله تعالى فى غضون ذلك موت النائب وانفرج الهم عن القاضى ، وكُتب توقيعه من القاهرة باستمراره وغرم فى ذلك مالا كثيرا .

* * *

وفى هذه السنة أُمِر بعمارة المدرسة الأَشرفية بالحريريين بجوار الوراقين وأُخذت الدور التى هناك وغالبُها أَوقاف ، فتحيّل فى إبطالها بوجوهٍ مِنَ الحِيَل ، وتَولَّى القيام فى تعميرها ناظرُ الجيش .

وفيها رُفع إلى الدويدار الكبير سُودُونْ مِن عبد الرحمن أَن القاضى جمال الدين الطَّنْبَدى المعروف بابن عَرَب : حَكَمَ مُحَاكَمَةً غير مُرْضية ، فأَمر القاضىَ الشافعىَّ بأَن يعزله . وأقام فى بيته بعد أَن أُهين بحضرة الدويدار ، وعَزل القاضى عقب ذلك من النواب اثنَىْ عشر نفساً ، ثم لم يَفِدْ ذلك حتى أَمر أَن لا يزيد على عشرة نواب ، فعُزل الجميع وأَبقى عشرةً أَكثرهم أَقاربُه وأَصهاره ، فكثر كلام المنفصلين فيه .

واتفق أَن القاضى المالكى كانت عنده محاكمة فأَرسل الدويدار طَلَبهَا وطَلَبَ نقيبه الجلال القَزْوينى فامتنع ، فأَغلظ الدويدار القول ، فعزل القاضى نفسه ثم أُعيد بشرط أَن

يَعزِل نقيبه المذكور فصرفه ، وأمر أن يقتصر نوابه على ستة أنفس ، وأن يقتصر الحنفى على ثمانية ، وأن يقتصر الحنبلى على أربعة فأطاعوا كلهم إلا الحنبليّ فلم يصرح بعزل أحدٍ من نوابه وكانوا ثمانية .

وفيه حضر مملوك أَيْتُمُش الخضرى وزعم أن بالمحلة كنزا فيه مائة ألف إردب دنانير ، فسلمّه السلطان للأُستادار ، فكشف عن الأَمر فلم يوجد لما قاله صحة ، وشُهِد فيه بأنه خفيف العقل .

وفيها رام نائب الشام من مَتْرُوكٍ شيخ العرب بالشام أن يحضر إلى طاعته فامتنع وبذل له مالاً فأَبى ، وقصده بالمحاربة ففرَّ فأَعجزه تحصيله ، وفسد الدرب بسبب ذلك ، وكانت الطرق آمنة .

وفى سادس شعبان مات تَانِى بكْ نائب الشام واستقر عوضه تانى بك البِجَاسى نقلاً من نيابة حلب إلى نيابة الشام .

وفى رمضان أمر السلطان بإحضار العلماء لسماع « صحيح البخارى » بالقلعة فهرعوا لذلك وكثر الجمع جدا ، وممن حضر الشيخ شمس الدين بنُ الدَّيْرى شيخُ المؤيدية الذى كان قاضياً قبل ووقع بينه وبين ابن المُغْلى قاضى الحنابلة مباحث أدّت إلى مشاققة ، فلما كَثُر اللَّغط أفرد الطلبة بمجلسٍ بالقصر الأَسفل والقارئ لهم الشيخ سراج الدين قارئ الهداية ، وعَيَّن السلطان من النبهاء عدداً يسيرا يحضرون بالقصر الأَعلى ويحضرهم السلطان ، فاستمر الأَمر على ذلك سنين ، ثم كثر لغط الذين يحضرون وزجروا مرارا فلم ينزجروا ، فأَمرهم السلطان بالقراءة فى داخل القصر الأَسفل ، وصار هو يحضر فى شباكٍ منفرداً يشرف عليهم .وكان ابتداء ذلك فى سنة أربعٍ وثلاثين بعد أن كان يقعد بينهم ساكناً لا تتحرك له يدٌ ولا رِجْل ، وتقرّر الشيخ بدر الدين الكُلُوتَاتِى الحنفى يقرأ بين يَدىْ الشيخ سراج الدين قارى الهداية كل يوم فى القصر البرانى الكبير .

وفى شعبان واطأَ جَانِبَكْ الصوفىُّ السجانَ بحبس الإسكندرية فهرب معه ، ولما وصل الخبر بذلك اضطرب العسكرُ وانزعج الناس ونُدِب طائفة للتفتيش عليه ، ودام ذلك مدةً ،

وهُدِمت بسببه دورٌ وضُرب بسببه جماعة ولم يظهر له أثرٌ إلى حين تسطيرها[1] فى شعبان سنة ستٍ وثلاثين ، فسافرنا مع السلطان إلى الشام ، ولم يظهر له خبرٌ محقق .

وذكر لى من أثق به أنه حىٌّ موجودٌ بالقاهرة .

* * *

وفيه كثرت الأخبار بأن الفرنج تحرّكوا على بلاد المسلمين فجُهزت عدة أجناد إلى السواحل ، فندب عدة إلى دمياط وعدة إلى الإسكندرية وغيرها .

وفى ثالث عشرى رمضان نُفِىَ طيْبُغا بن نصر[2] الله مملوك ابن ناظر الخاص ، وكان شابا جميلاً رباه وهو صغير ، فلما ترعرع انتزعه منه المؤيد فصيّره من الخاصكية ، ثم عاد بعد موت المؤيد إلى أستاذه ، فاتفق أن ناقةً من الهجن الخاص نفرت من إسطبل السلطان فصارت لطَيْبُغا ، فيقال إن حسناً بن الحَجّار الهجان واطأه على أخذها فَطُلِبت منه فجحَدَها ، فأمر السلطان بحبس حسن وعزله من وظيفته ثم جُعِلَ شريكاً للذى انتزعها منه بعد عشرين[3] سنة .

* * *

وفيه سار إسكندر بن قرا يوسف فنازل مَارْدِين وحاصرها حتى تسلّمها وانهزم منه قرايُلك ، ثم نازل آمد ففرّ قرايلك إلى شَاهْ رُخْ ، وكان قد سار من بلاده إلى تبْرِيز فحاصرها حتى ملكها ، فلما بلغ ذلك إسكندر وإخوته أولاد قرا يوسف توجّهوا إلى جهة تبريز فالتقى بهم شاه رخ فكانت الهزيمة على ابن قَرا يوسف ، فخرّب شاه رخ تبريز واسْتَلّ[4] أموالها ورجع إلى بلاده ، وانهزم إسكندر إلى الجزيرة ، ورجع قَرايَلك إلى آمد ثم رجع

---

(١) هذه إشارة صريحة أخرى إلى أن هذا الحادث قد دونه ابن حجر فى سنة ٨٣٦ ، وكان تدوينه إياه فى جزاز فى نسخة ظ.

(٢) اكتفى الضوء اللامع ٤/١ ٥ بذكر اسمه وسنة وفاته .

(٣) فى ه « عشر سنين » .

(٤) فى ه « وانتقل » .

إسكندر إلى تبريز ، وكان فى ماردين أميرٌ من قِبَل اسكندر إسمه « نَاصُور » أُمِّر عليها تسع سنين إلى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

* * *

وفى شوال حجّ شرف الدين بن تاج الدين بن نصر الله وبيده يومئذ نظر الكسوة ونظر الأشراف ، فلما سار الحجيج يومين أُخْرِج عنهنظرُ الأشراف واستقرّ فيه نقيبُ الأشراف حسين بن على الأَرْمَوى بواسطة الأمير جَانِبك ، وخرج عنه نظر الكسوة لصدر الدين ابن العجمى .

وفى أواخر شوّال صُرف زين الدين قاسم بن البلقينى من نظر الجوالى وأُعِيدَت لصدر الدّين أيضا .

وفى التاسع والعشرين من رمضان نودى على الفلوس الخالصة بتسعةٍ الرطلُ ، وكانت الفلوس قد قلّت جدا فظهرت .

* * *

وفى هذه السنة وُجِد قتيلٌ بقريةٍ فأَمْسك الوالى أهلَ تلك البلاد ولا يدرى هل القاتل منهم أم لا ، فأَمر السلطانُ بقطع أيدى بعضهم وآنافِ بعضهم وتوسيط بعضهم ، فاستوهبهم أحمد دويداره المعروف بالأسود ليقرّرهم فلاّحين له فى بلادٍ خرابٍ أراد أن يعمرها ، فوهبهم له .

وفى يوم السبت سادس عشرى شوّال نزل السّلطان من القلعة بعد الظهر فى أُناسٍ قلائل إلى أن دخل من باب زُوَيْلة ، فوصل إلى المدرسة التى أُنشئت له فرآها ورجع مسرعاً ، وتلاحق به بعض الأُمراء إلى أن صعد القلعة ولم يتفق له فعلُ ذلك قبل هذه المرّة .

وفى شوّال قُرّر عبد القادر بن عبد الغنى بن أبي الفرج – الذى كان أبوه أُستاداراً كبيراً – فى كشف الجسور والشّرقيةُ .

وفى شوّال أيضا صُرف أَرْغُون شَاه من الوزارة وقُرّر فيها كريم الدين بن كاتب المناخات الذى كان أبوه فيها وانفصل ، وصُرف أيضا من الأُستادارية واستَقرّ فيها ناصر الدين

ابن أبو والى الدمشق وكان أُستادارَ نائب الشام ،وصودر أَرْغُون شَاه على مالٍ ثم أفرج عنه واستقر أُستادراً على المتعلّقات السّلطانية بالشام على عادته .

وفى رمضان جاء الخبر من صاحب قبرص أن البحر مشغول بمراكب الفرنج فأُمِرَ لعدّةٍ من الأمراء والمماليك بالإقامة للرّباط بالسّواحل وهى : رشيد ودمياط ونَسْتَرُوه .

وفيه قُرِئَ البُخَارى بحضرة السلطان فى القصر الأَعلى ، وكانت العادة أن يُقْرأ فى القصر الأَسفل .

وفى أَوائل ذى القعدة توجّه ناظر الجيش وجماعةٌ إلى الحج فأَدرك الحجّاجَ قبل ينبع وزار المدينة فى ذهابه ، ورجع مسرعاً فدخل القاهرة فى يوم عاشوراء .

وفى ثالث[1] عشر ذى القعدة الموافق لثانى عشرى بابه أَمطرت السماء مطراً غزيراً برعدٍ وبرقٍ وكثرت الأَوحال .

وفيه أَمر السلطان بتحجيره السكر وأَن لا يتعاطى أَحدٌ بيْعَه إلا من حاصله ، وأَن لا يُشْتَرى إلاَّ الخاصكى[2] ، وكتب على من كان يتعانى بذلك قساماتٌ فضاق عليهم الأَمر ، وقام فى ذلك نور الدين الطَّنْبَدى أَحد أَكابر التجار وحَسَّن للسلطان ذلك ، وأَحضر شخصا من جهته فأَقامه فى تعاطى بيع ذلك وشرائه ، والتزم أَنه يُحَصِّل له من ذلك جملةَ دنانير ربحاً ، فدام الأَمر إلى أَن حضر ناظر الجيش فأَفسد ما كان الطَّنْبَدى فَعَلَه وأَبطل التحجير بعد أَن كان الضرر قد حصل لأَكثر الناس

وفى سابع عشر ذى الحجة زُلزلت الأَرض بعد مضى ساعتين أَو نحوها من الليل وكانت خفيفة .

وفيها بعد موت ابن الكويز ادّعى تاج الدين بن الهَيْصَم الذى كان عمل الأُستادريةَ — فى زمن الناصر — والوزارةَ — فى زمن المؤيد — أَن ابن الكُوَيْز انتزع منه داراً كانت مِلكه

---

(١) الواقع أن الثالث عشر من ذى القعدة سنة ٨٢٦ يوافقه العشرون من بابه ١١٤٠ (= ١٨ أكتوبر ١٤٢٣) وذلك بناء على جدول سنة ٨٢٦ هـ فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ .

(٢) المقصود « بالخاصكى » هنا السكر الخاص بالسلطان الذى احتكره .

بِالبْركة وهدمها وبناها داراً جديدة ، ورام انتزاعها من وارثه فتعصّب له جماعةٌ عند السلطان ، فطلب ابنَ الهَيْصَم وأهانه وانتزع منه المستندات التى تشهد له بملك الدار المذكورة ووقفها ، وهذه الدار صارت بعد ذلك ملكاً لابن مُزْهِر ، ثم بيعت بعده إلى أن صارت لابن كاتب المَنَاخات ثم لزوجته فوقفها .

وقد تقدم ذكر استقرار تَانِى بِكْ البِجَاسى فى نيابة دمشق نقلا من حلب وذلك بعد موت تانى بك مِيْق بدمشق ، ثم لما كان فى السنة المقبلة أظهر العصيان فكان ما سنذكره .

* * *

ذكر من مات فى سنة ست وعشرين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ إبراهيم بن مبارك شاه الأَسْعَرْدى ، الخواجا التاجر المشهور صاحب المدرسة بالجسر[1] الأبيض ، كان كثير المال واسع العطاء كثير البذْل بخلاف قريبه الخواجا شمس الدين ابن المُزَلّق[2]، فمات هذا فى رجب مطعوناً ولم يكمل الستين ، وعاش ابن المُزَلّق بعده دهراً طويلاً[3] .

٢ ـ أحمد[4] بن رَسْلان الصَّفْطى أحدُ[5] من جَدَّ ومهر إلى أن صار يستحضر الكثير من الفروع الفقهية ويباحث ويستشكل ويفهم قليلاً ، وهو من كبار الطلبة بالخانقاة الشَّيخونية مات فى ربيع الأَول وقد أكمل الستين .

---

(١) هو الجسر الأبيض بدمشق وقد أشار إليه الأمير جعفر الحسنى فى تعليقه فى الدارس فى تاريخ المدارس ٩/١ وذكر أنه يعرف اليوم بجسر الصالحية على نهر ثورى ؛ أما عن هذه المدرسة الأسعردية فهى من مدارس الشافعية بدمشق وهى منسوبة إلى الخواجا إبراهيم بن مباركشاه الأسعردى صاحب هذه الترجمة ، وكانت تقع بالجسر الأبيض ، وقد عمر بها بانيها تربة « ورتب بها فقراء ومقرئة يقرءون القرآن » ، كما جاء فى الدارس فى تاريخ المدارس ١٥٠/١ ــ ١٥١ ، هذا وقد أشار الأمير جعفر الحسنى ناشر الدارس إلى أن هذه المدرسة قد درست معالمها وأصبح مكانها دورا للسكن وذلك بناء على ما جاء فى مخطط دهمان رقم ٩٦ ، أنظر نفس المرجع ، ١٥٠/١ حاشية رقم ٤ .

(٢) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « لكن لابن المزلق من الخانات الكثيرة والسبل التى عم النفع بها ما ليس للخواجا إبراهيم رحمه الله ، وأخبرنى من أثق به أنه رافقه إلى مصر فقال له : إن عشت بنيت فى هذا الرمل خانات ينتفع الناس بها ، فقلت له : هذا صعب جدا أو متعذر من أجل عدم الحجر هنا ، فقال : إنما يصعب على من لا يعلم وأما أنا فإنى أعرف عنها » ، وأشار لى إلى نهاية الجنوب وكنا بين الوراد والسواد جبل يقال له جبل الجلال به مدن مبنية بالحجارة المنحوتة التى يعز وجود مثلها رحمه الله وعفا عنه » .

(٣) نقل هذه الترجمة كلها الضوء اللامع ج ١ ص ١١٨ وعقب عليها بقوله : « قاله شيخنا فى إنبائه » .

(٤) نقل الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٢ هذه الترجمة عن الإنباء دون الإشارة إلى أخذه إياها منه .

(٥) بدلها فى ث « أخذ عن جده » .

٣ ـ أحمد[١] بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقى ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو زرعة ابن شيخنا وأستاذنا حافظ العصر وشيخ الإسلام زين الدين ، وُلد فى ذى الحجة سنة ٧٦٢ وبكر به أبوه فأحضره عند المسند أبى الحزم القلانسى فى الأُولى والثانية ، واستجاز له من أبى الحسين العرضى ، ثم دخل به الشام فى سنة خمس وستين وقد طعن فى الثالثة فأحضره عند جمع كثير من أصحاب الفخر بن البخارى وأنظارهم ، ثم رجع فطَلب بنفسه وقد أكمل أربع عشرة سنة فطاف على الشيوخ وقرأ بنفسه وكتب الطباق ، وفهم الفنّ ، واشتغل فى الفقه والعربية والمعانى والبيان ، وأحضره مجلس الشيخ جمال الدين الإسنوى[٢] ومجلس الشهاب بن النقيب[٣] وغيرهما ، وأُسمع على أبى البقاء وقَبْله القاضى عز الدين بن جماعة ، وأقبل على التصنيف فصنَّفَ أشياء لطيفة فى فنون الحديث ، ثم ناب فى الحكم ، وأقبل على الفقه فصنف « النكت على المختصرات الثلاثة » جمع فيها بين « التوشيح » للقاضى تاج الدين السبكى وبين « تصحيح الحاوى » لشيخنا ابن الملقن ، وزاد عليهما فوائد من « حاشية الروضة » للبلقينى ومن « المهمات » للإسنوى ؛ وتلقى الطلبة هذا الكتاب بالقبول ونسخوه وقرءوه عليه ، واختصر أيضا « المهمّات » وأضاف إليها حواشى البلقينى على الروضة .

وكان لمّا مات أبوه تقرّر فى وظائفه فدرّس بالجامع الطولونى وغيره ، ثم استقرّ شيخاً بالجماليَّة بعد موت همام الدين ، ثم ولى القضاء الأكبر كما تقدم وصُرِف عنه فحصل له سوء مزاجٍ مِنْ كَوْنِهِ صُرِف ببْعض تلامذته بل ببعض مَن لا يفهم عنه كما ينبغى فكان يقول : « لَوْ عُزِلْتُ بغير فلان ما صَعُبَ علىَّ !! » ؛ واستيعابُ فضائله يطول ، وكان من خير أهل عصره بشاشةً وصلابةً فى الحكم وقياماً فى الحق ، مع طلاقةِ وجه وحُسنِ خلقٍ وطيبِ عِشرة .

---

(١) جاء فى هامش ث : « ذكر خبره المؤلف فى معجمه وقضاة مصر ، وقال ابن قاضى شهبه الامام الحافظ المصنف قاضى القضاة : رحل إلى الشام مرة ثانية مع الحافظ الهيثمى بعد الثمانين وسمع الكثير ثم رجع وهو مع ذلك ملازم الاشتغال بالفقه والعربية ، ولازم البلقينى وحفظ وكتب عنه » .

(٢) هو عبد الرحيم بن الحسن بن على بن عمر الأموى الإسنوى ، الشيخ جمال الدين ، من مواليد إسنا بالصعيد ، وأخذ عن كثير من رجالات مصر فى عصره ، وخلف كتبا كثيرة ، راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٢/٢٣٨٦ .

(٣) ويعرف بأحمد بن بلبان البعلبكى كما يعرف بأحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ، وكان موته سنة ٧٦٤ ، أما أبوه فكان نقيبا ، ومن ثم سمى بابن النقيب ، أنظر الدرر الكامنة ١/٣٢٠ .

مات فى يوم الخميس السابع والعشرين رمضان رحمه الله تعالى ، وأكمل ثلاثاً وستين سنة وثمانية أشهر ودُفن بجانب أبيه ، رحمهما الله تعالى .

٤ — أحمد بن عبد الله القَزْوينى ، شهاب الدين ، نقيب الحكم وكان حنفيا يستحضر كثيراً من الأحكام المتعلّقة بمذهبه وباشر ذلك[١] عند ابن الطرابلسى و[عند] ولده مدّة ، ثم لما عُزِل أمينُ الدين بابن العديم اتصل هو بالجلال البلقينى فقرّره نقيباً مضافاً لغيره فاستمر هو ومات ابن مخلوف ، ثم مات البلقينى ، وكان لا بأس به لولا مكرٌ فيه ودهاء ، ولمّا ولى العراقى رام الاستقرار عنده فأبعده ، فلما ولى البلقينى الأصغر خدمه إلى أن مات بعد ضعفٍ شديدٍ ، وكان مولده فى سنة ٧٦١ ، ومات فى شهر ربيع الأول .

٥ — أحمد بن عثمان بن يوسف الخِرِبْاوِى البعْلى ، وُلد سنة ٧٧١ ، واشتغل على ابن اليونانية والعماد بن يعقوب وسمع عليهما ، ثم ولى قضاء بعلبك ثم قدم دمشق ، وكان فاضلاً فى الفقه وغيره ، وعنده سكونٌ وانجماعٌ وعفّة . مات فى جمادى الأولى مطعوناً .

٦ — تانى بك الذى يقال له مِيق[٢] [العَلَائى] ، ولى إمرة الحجوبية بالديار المصرية وولى أتابكاً بها ثم ولى نيابة دمشق ، وكان قد خاف من الطاعون فصار يتنقّل يميناً وشمالاً ، ولما ارتفع الطاعون عاد إلى دمشق فمات بغير طاعون بها يوم الاثنين ٨ شعبان . وقد تقدم ذكره فى الحوادث .

٧ — خديجة[٣] بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين ، زوج قاسم البُشْتُكى وهى آخر أولاد الأشرف من النساء وفاةً ، وكانت توصف بعقل ورئاسة .

٨ — خليل[٤] بن عبد الوهاب بن سليمان الأنصارى ، صلاح الدين بن نجم الدين الشِّيرجى ، وُلد سنة ٧٤٧ وتفقه قليلاً وباشر كثيراً من أوقاف المدارس كالشامية[٥] الجوّانية ،

---

(١) المقصود بكلمة « ذلك » « النقابة » كما فسرها السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٥ .

(٢) راجع عنه مورد اللطافة ص ١١٨ ، والنجوم الزاهرة ٦/٧٧٩ — ٧٨٠ ،
Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 746.

(٣) نقل هذه الترجمة الضوء اللامع ١٢/١٥٥ معقبا عليها بقوله « ذكرها شيخنا فى إنبائه » .

(٤) نقل السخاوى فى الضوء اللامع ٣/٧٥٧ هذه الترجمة عن الإنباء ولكنه جعل تاريخ وفاة المترجم سنة ٨٢٤ هـ ، على أن النعيمى أشار فى الدارس ١/٢٩٩ — نقلا عن تقى الدين الأسدى — أن وفاته حدثت فى رمضان سنة ٨٢٦ كما جاء بالمتن .

(٥) راجع عنها الدارس فى تاريخ المدارس ١/٣٠١ وما بعدها .

وكان قوىّ النفس كثير الحشمة والكرم ، وكان أعيان الفقهاء يترددون إليه ، وهو الذى عمر الشاميتين بعد حريقهما[1] فى فتنة اللنك ، ثم ضعف جانبه وقوى عليه الحكام وصارت إقامته بالمجدل وقفِ الشامية وآل أمره إلى فقرٍ شديد ومات فى شهر رمضان ، وهو آخر من بقى من آل بيتهم .

٩ ــ داود بن عبد الرحمن بن داود ، الشَّوْبَكِى الأَصل ، المعروف بابن الكُوَيْز[2] ، علم الدين أبو عبد الرحمن ، مات فى صبيحة يوم الاثنين[3] سلخ رمضان بمنزله ببركة الرطلى بعد أن طال مرضه كما تقدم سببه فى الحوادث ، وكنْتُ عُدْتُه فى نصف رمضان فوجَدْتُه صحيح العقل والبدن لا يشكو أَلماً ، ولكن غلب عليه الوهم بحيث أنه فى أثناء كلامه كان يجزم بأنه ميت من تلك الضعفة ، وكانت أُمور المملكة فى طول مرضه لا تصدر إلا عن رأيه وتدبيره ، وكان يجتمع بالسلطان خِلوةً ويذكر أنه إذا ركب يتأَذَّى بالركوب ، وكذلك إن دخل الحمام أَو جامع .

وكان أَبوه من أَهل الشَّوْبَك ثم سكن الكرْك وهو نصرانى يتعانى الدَّيْونَة واسمه جرجس ، فلما كانت سنة سبع وستين ضيّق يَلبُغَا على جميع النصارى الملكية خصوصا الشوابكة واتهمُوا بأَنهم مَالأُوا الإفرنج حتى هجموا على الإسكندرية فأسلم هو وكثير منهم ، وتسمىّ « عبد الرحمن » ، وخدَم نائبَ الكرك وتقرّب منه حتى قرره فى كتابة السّر ، ثم تحوّل إلى حلب فخدم كَمشبُغَا الكبير وقدم معه القاهرة صاحبَ ديوانه ، ورأَيتُه شيخاً طوالاً كبير اللحية .

---

(١) يقصد بذلك البرانية والجوانية ، فقد جاء فى الدارس فى تاريخ المدارس ١/٣٠٠ أن الشامية البرانية عمرت مرة أخرى لما احترقت فى فتنة الناصر .

(٢) سماه الطباخ فى إعلام النبلاء ٥/١٧٨ « بالكوثر » وهو خطأ ، والظاهر أنه اعتمد على النسخة الهندية للضوء اللامع ، وقد تنبه لذلك ناشر الضوء إذ جاء ج ٣ ص ٢٦٤ حاشية رقم ١ أنه سمى بالكوثر » فى الهندية خطأ .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ٣/٧٩٧ « أول يوم من رمضان » ، وأشار إلى التاريخ الذى أورده ابن حجر فى المتن أعلاه ، على أن الطباخ : إعلام النبلاء ٥/١٧٨ يتفق مع نسختنا هذه فى أن الوفاة كانت فى سلخ الشهر .

ونشأ ابنه علم الدين هذا ترفاً صلفاً مسعود الحركات ، فصاهر ابنَ أبي الفرج وكان أخوه خليل[١] أسنَّ منه ، ثم اتَّصلا بشيخ نائب الشام قبل سلطنته فخدماه[٢] وهو ينوب فى طرابلس ثم فى دمشق ثم فى حلب ، ثم قدما معه القاهرة فعظم شأنهما وكبر قدرهما ؛ وباشر علمُ الدين نظرَ الجيش بطرابلس ثم بدمشق ، وامتُحن هو وأخوه فى وقعة صَرخد وصودرا ، ثم لمّا تسلطن المؤيّد تقرّر فى نظر الجيش ، ثم اختص بالظاهر ططر وتقرّر عنده كاتبَ السّر فى أيامه ، وصولح ولده بعد موته على أربعين ألف دينار ؛ وكان يتديّن ويلازم الصلاة ويصوم تطوّعاً ويتعفف عن الفواحش ويلازم مُجَالَسَةَ أهل الخير مع طول الصمت فكان يستر[٣] عواره بذلك . إلاَّ أنه لما ولى كتابة السّرّ افتضح للكنةٍ فيه وعدم فصاحته ، وضُبِطت عليه ألفاظ عامية ، ومع ذلك كان وقاره وحسن تدبيره وجودة رأيه تستر عواره ، واستقر بعده فى كتابة السر قريبه جمال الدين يوسف وكان قد قدم فى عهد المؤيّد وقرّره فى نظر الجيش فى طرابلس ، فاتفق أنَّ الأشرف لمّا ولى نيابتها فى أيام المؤيّد تقرّب إليه وخدمه فصارت له به معرفة ، فلمّا مات علم الدين قرّره فى وظيفته فباشرها قليلاً بسكون وعدم شَرَهٍ وتَلَطُّفٍ بمن يقصده وحلاوة لسانه ، ثم صُرِف بعد قليل كما سيأتى ذكره فى التى بعدها .

ومن فعلاته[٤] المستحسنة أنه لما كان يَشْقَحب صحبةَ الظاهر راجعاً إلى مصر استأْذنه فى زيارة القدس فتوجّه من طريق نابلس فشكاإليه أهل القدس والخليل ما أضر بهم من أمرِ الجبايةِ وكانت لنائب القدس ، وتحصّل منها لفلاَّحي القرى إجحاف شديد ، وتحصّل للنائب ألوف دنانير ولمن يتولىّ استخراج ذلك ضعفه ، فلما رجع استأْذن السلطانَ فى إبطال هذه المظلمة فأَذن له فكتب بها مناشير فقرئت بالقدس والخليل ، وكثر الدعاء له بسبب ذلك .

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٧٥١/٣ .

(٢) يعنى بذلك الأخوين .

(٣) فسر الضوء ٧٩٧/٣ العيب بأنه كانت فيه لكنة وعدم فصاحة ، كما أنه رآى مع بعضهم « التنبيه فى الفقه » فقال : اسم هذا الكتاب عجيب ، البسة فى الفقه » .

(٤) أمامها فى هامش هـ بقلم الناسخ « أى صاحب الترجمة » .

مات فى يوم الاثنين سلخ[١] رمضان ولم يبلغ الخمسين .

١٠ - زينب بنت الملك الظاهر برقوق ، كانت من الجمال بمكان ، ثم تزوّجت بعد أبيها غير واحد ، ثم تزوجها الملك المؤيّد ومات عنها ، فكانت بنت سلطان وأخت سلطان وزوج سلطان ، وتزوّجت بعد المؤيّد قجق العيسارى وماتت فى عصمته فى ليلة السبت ٢٨ ربيع الآخر[٢] وهى آخر أولاد الظّاهر لصلبه وفاةً ، وكانت رأس إخوتها ، وأمُّها[٣] أمُّ ولدٍ روميّة .

١١ - سالم[٤] بن سالم بن أحمد بن عبد الباقى بن عبد المؤمن بن عبد الملك ، المجد المقدسى الحنبلى ، يجتمع مع القاضى موفق الدين عبد الله بن عبد الملك فى عبد الملك ، واشتغل فى بلاده ثم قدم القاهرة سنة ٦٤ وأقام بها إلى أن ولى قضاء الحنابلة بعد موت الموفق أحمد ابن نصر الله فى سنة ثلاث وثمانمائة ولم يزل مستقرا فيه إلى أن صُرِف بعلاء الدين [على ابن محمود الحموى] بن مُغْلِى فى أوائل سنة ثمانى عشرة فاستمرَّ خاملاً إلى أن مات وليس بيده سوى تدريس الجمالية[٥] [الجديدة] ومدرسة حسن ، وضَعُفَ مدَّةً متطاولة ، وخلَّف عدة أولادٍ صغار أسنّهم مراهق ، وكان مولده سنة ثمان وأربعين ، وتفقّه واشتغل حتى مهر ونبغ فى المذهب وشارك فى الفنون ، وكان يستحضر «المحرر فى الفقه» ، وناب فى الحكم ، وعاش سبعاً وسبعين سنة .

وكان الناصر فرج يثق به وأرسله مرة إلى الصعيد للحوطة على تركة [أمير عرب هوارة محمد] بن عمر ثم صار يأتمنه على ما يضع يده عليه من الأموال ، وكان يبالغ فى النصيحة له فى ذلك فمقته الناس لإعانته على الظلم ، ولعله كان معذوراً ، والله يسمح له .

---

(١) فى ز ، ه « شوال » .
(٢) فى ز ، ه «الأول» ، ولكن الصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٧٧٩/٦ والتوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ حيث ذكر أن أول ربيع الآخر كان يوم الأحد .
(٣) من هنا لآخر الترجمة ساقط من ه ، هذا ويلاحظ أن هذه هى نفس عبارة النجوم الزاهرة ٧٧٩/٦ س ١٢ .
(٤) فى ه « سالم بن سالم بن أحمد بن سالم بن عبد الملك بن عبد الباقى بن عبد المؤمن بن عبد الملك المجد المقدسى الحنبلى » .
(٥) أنظر ابن حجر : رفع الإصر ٢٤٣/٢ .

١٢ ـ سُودُون الفقيه كان كبير الجراكسة ، تُلمِذَ[٣] للشيخ لاجين الجركسى وكان أعجوبةً فى دعوى العلم والمعرفة مع عدمهما ،[١] وكان الكثير منهم يعتقد أنه لابدّ أن يلى السلطنة كما كانوا يزعمون ذلك فى شيخه ، واتفق أنَّ زوْجَ ابنته ـ وهو الظَّاهر ططر ـ ولى السلطنة فارتكب من يتعصّب له فى الشطط وقال : « ظهر المراد فى ططر » فلم ينشب ططر أن مات ولم يحْظَ سودون فى ولايته بطائل فضلاً عمّا بعدها ، وكان يكثر سؤال من يجالسه عن الشئ المعضل فإذا أجابه عنه نفر فيه قائلا : « ليس الأَمر كذلك » ثم يعيد الجواب بعينه مُظْهراً أنّه غيره ؛ وله من ذلك عجائب .

مات فى ١٢ صفر[٢] .

١٣ عبد الله بن محمد القَرافى ، جمال الدين ، مهر فى العربيّة وأخذ عن الشيخ أبى الحسن الأَندلسى ،وعمل مقدّمةً لطيفة يُتَوَصَّل بها إلى معرفة الإعراب بأَسهل طريق ،وانتفع به جماعة منهم شيخنا ابن خضر وولى مشيخة التربة الطنبدية[٣] ، مات فى ربيع الأَول .

١٤ ـ عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل القَلْقَشَنْدى ثم المقدسى الشافعى ، زين الدين ابن الشيخ شمس الدين سبط الشيخ صلاح الدين العلائى ، اشتغل على أبيه[٤] وغيره ، وأحبّ الحديث وطلبه وكتب الطباق بخطه ، وصنّف ونظم ، وكان فاضلاً نبيها ، سمع معى فى الرحلة إلى دمشق كثيراً بها وبنابلس والقدس وغيرها ، وصار مفيد بلده[٥] فى عصره ، وقدم القاهرة فى هذه السنة فأَسْمَع ولده بها من جماعة ؛ وكان حسن العقل والحَظّ حاذقا ، رجع إلى بلده فمات به وأسفنا عليه . رحمه الله تعالى .

---

(١) ترجم له الضوء اللامع ١٠٧٢/٣ فقال فى صدد هذا الموضوع إن المؤيد أبعده مع تفقهه واستحضاره وكثرة أبحاثه .

(٢) أضاف البقاعى فى هامش ه الترجمة التالية : « عبد الله مملوك السيد الخزيزاقى الدمشقىّمات مبلعوناً يوم السبت قبيل الظهر ثامن عشر جمادى الأول ، ولى فى سنة ست وعشرين ، وكان شابا صالحاً متصوفاً تتلمذ عليه محمد القادرى ، وكان كثير الذكر لا سيما فى الأسواق وكان يرى فى حالة سيره راكبا بغلة ويذكر الله عليها فى الأسواق رافعا صوته حتى يكاد يغيب ، رحمه الله » .

(٣) أضاف الضوء اللامع ٢٤٨/٥ إلى ذلك أنها بالصحراء .

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن على بن الحسن بن على ، سبط الحافظ صلاح العلائى ، كان مولده سنة ٧٤٦ ببيت المقدس وشغل نفسه بالفقه حتى برع فيه ، وكانت وفاته سنة ٨٠٩ ه ، راجع الضوء اللامع ٣٣٤/٧ .

(٥) يعنى بذلك القدس حيث ولد بها سنة ٧٨٢ ه .

ذكره[١] ابن قاضى شهبة فقال : « سمع من أبيه ومن خاله الشهاب بن العلاء وجماعة ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن بعض الشيوخ ، وعن الشهاب ابن حجى ، ثم قدم القاهرة مراراً ، وكان حسن الخطّ حاذقاً » . مات فى ذى القعدةَ .

١٥ ــ عبد الرحمن بن محمد بن صالح المدنى قاضى طيبة ، ولد سنة[٢] ... ... وسمع من جدّه[٣] لأمه والعزّبن جماعة ومن أبيه وغيرهم وحدّث قليلاً ، وكان مزْجِيّ الصناعة ، وأقام فى قضاء المدينة وخطابتها نحواً من ثلاثين سنة إلاّ أنه عُزل فى أثناء ذلك وأُعيد مراراً. مات فى ليلة السبت ١٤ صفر واستقر فى وظيفته ولده أبو الفتح محمد[٤] .

١٦ ــ عبد[٥] العزيز بن أحمد بن على بن أحمد النويرى ثم المكى العقيلى ، عز الدين ، تفقّه على مذهب الشافعى وحفظ « التنبيه[٦] » ، ومهر وقرأ « سنن ابن داود » على الشيخ سراج الدين البلقينى سنة اثنتين وثمانمائة ، وكان أبوه مالكى المذهب فخالفه ، وأقام بالقاهرة مدّة وأخذ عن شيوخها ، وأذن له الشيخ برهان الدين الأنباسى وبدر الدين الطّنْبَدى ، ثم دخل اليمن وولى القضاء بتعز ثم رجع إلى مكة فمات فى هذه السنة بها حادى عشرى ذى الحجة وما أظنه جاوز الخمسين ، ثم رأيْتُ مولده سنة ثمانٍ وسبعين وثمانمائة .

١٧ ــ عبد القادر ويدعى محمد ــ بن قاضى الحنابلة علاء الدين على بن محمود ابن المُغْلى السلمانى ثم الحموى الحنبلى ، مات وقد راهق ونبغ وحفظ «المحّرر» وغيره ، ونشأ على طريقة حسنة ، وأسف أبوه عليه جدا ولم يكن له ولد غيره فمات فى نصف ذى القعدة .

١٨ ــ عبد الوهاب بن تاج[٧] الدين الرّملى ناظر الدولة ، ولد سنة أربعين أو قبلها بسنة ، وتنقل فى الخدم إلى أن ولى نظر الدولة بالقاهرة فاستمر على ذلك ، ثم شاركه صهره سعد

---

(١) من هنا حتّى آخر الترجمة غير وارد فى ه .
(٢) فراغ فى نسخ الإنباء ، هذا ولم ترد فى الضوء ٣٤٤/٤ الإشارة إلى سنة وفاته .
(٣) يقصد بذلك البدر عبد الله بن محمد بن فرحون .
(٤) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٩/٨ حيث مات سنة ٨٦٠ .
(٥) فى ه ، والشذرات ١٧٤/٧ « عبد العزيز بن على بن احمد النويرى » .
(٦) فى ه « الفقـــه » .
(٧) « تاج الدين » غير واردة فى ه .

الدين البَشِيرى مدةً طويلة ، ثم استقل البشيرى بالوزارة واستمر هو إلى أن مات ؛ وقد أحضره المؤيد ليحاسب الهروى على ما اجتاحه من أموال القدس والخليل فسأله عن مولده فقال : « لى الآن إثنتان أو ثلاث وثمانون سنة » وكان ذلك فى سنة اثنتين وعشرين وكان قد أسنَّ وارتعش ، ومات مفصولا قبل موته بدون السنة ، وكان يحبّ أهل الخير ويكثر الصدقة ويتبرّأ من تناول المَكس والأكل من ثمن ما يكون منه ، وكان يقول : « أنا أَستدين جميع ما آكله وألبسه حتى لا أتعاطى الحرام بعينه » ، والله[1] أعلم بغيبه .

١٩ - على[2] بن رُمح بن سِنَان بن قنا ، نور الدين ، تفقه وسمع من بدر الدين بن جماعة وابن البارزى وغيرهما ولكنه لم ينجب ، وصار بآخره يتكسّب فى حوانيت الشهود إلى أن مات ، وهو أحد الصوفية بالخانقاه البيبرسية ، جاوز الثمانين .

٢٠ - على بن محمد بن محمد[3] بن سالم بن موسى بن سالم بن أبى المكارم بن إسماعيل ابن عبد السلام ؛ إمام الدين بن العميد ، والعميد لَقَبُ عبد السلام المذكور . وكان العميد قاضى دمياط ، وولى عدة من آباء إمام الدين القضاء ، ثم ولى هو قضاء دمياط مدةً ثم قضاء المحلة ، وكان عارفاً بالشروط قليل العلم ، وجلس مع الموقعين مدة وناب فى الحكم بالقاهرة ، وكان بشوشا جميل المعاشرة خبيراً بأُمور الدنيا . مات فى مستهل شعبان وله خمس وسبعون سنة .

٢١ - عمر بن عبد الله بن عامر بن أبى بكر بن عبد الله ، سراج الدين الأَسوانى ، نزيل القاهرة ، تعانى الآداب وسلك طريق المتقدمين فى النظم ، وكان عريض الدعوى كثير الازدراء لمن ينظم الشعر من أهل عصره[4] لا يعدّ أحداً منهم شيئاً ويقول : «شعرهم بعر مقزدر» ، ويقول : « من يجعل لى خطراً على أى قصيدة شاء من شعر المتنبىّ حتى أنظم أجود منها » .

---

(١) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى ه .

(٢) راجع ما سبق ص ٢٦١ ، حاشية رقم .

(٣) زاد الضوء اللامع ٣٦/٦ فى أجداده « محمدا » ثالثاً .

(٤) فى ه « مصر » .

وكان قد دخل الشام وأخذ عن أدبائها ثم قدم القاهرة فاستوطنها من سنة تسعين ، ولم يكن نظمه بقدْر دعواه إلاَّ أنَّ ابن خلدون كان يطريه ويشهد له بأنه أشعر أهل العصر بعد ابن خطيب دَارَيَّا ، وكان الأسوانى يشارك فى لغةٍ وقليلٍ من العربية وما علمتُه وَلِىَ شيئاً من الوظائف .

وقد حضر عندى فى إملاء « [فتح البارى فى] شرح البخارى » ، وأملى على الطلبة من نظمه أبياتاً فى معرفة أسواق العربية فى الجاهلية وهى رجز ، وسمعْتُ من نظمه قصيدةً مدح بها المؤيّد لمّا تسلطن بعناية الآدمى فغضَّ منه البارزى ، وكان يجتدى بشعره ويقلّد من يسمعه منه ؛ ومن عنوان نظمه قوله :

إنَّ ذَا الدَّهْرَ قَدْ رَمانِى بقَوْمٍ هُـمْ عَلَى بَلْـوَتى أَشدُّ حَثِيثًا[1]

إنْ أفُـهْ بَيْنَهُـمْ بشْيءٍ أجِدْهُمْ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُـون حَدِيثا

واتفق بآخره أنه مدح أبا فارس صاحب تونس فأرسل إليه بِصِلَةٍ قيل إنها مائةُ دينار فقبضها وهو موعوك فنزل بالمرستان فطال ضعفه ثم عوفى ، فذكر لبعض أصحابه أنه كان دفنها هى وغيرها فى مكانٍ فلمّا رجع ووجدها جعلها فى مكان آخر وانتكس فضعف أياماً يسيرة ومات بالمرستان ولم توجد الذهبية المذكورة ولا غيرها . مات فى ربيع الأوَّل وقد جاوز الستين .

٢٢ ــ عمر بن محمد الصَّفَدى النَّيْنى[2] ــ بنون مفتوحة ثم ياء تحتانية ثم نون ــ زين الدين ، اشتغل قديما ومهر حتى صار يكاد يستحضر «الكفاية» لابن الرفعة ،وأخذ عن علاء

---

(١) ورد هذا البيت فى شذرات الذهب ١٧٥/٧ على الصورة التالية :

إن دهرى لقـد رمانى بقـوم هم على بلوتى أشـد حثيثا

وهو صحيح أيضا من حيث الوزن ، ولكنه سقيم التركيب .

(٢) نسبة إلى نين من أعمال مرج بنى عامر من نواحى دمشق ، أنظر الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٣٢ ، هذا وقد سماه نفس المرجع ٣٧٧/٦ بعمر بن أبى بكر ، وسمته الشذرات ١٧٥/٧ بعمر بن عمر بن محمد الصفدى .

الدين بن حجّى بدمشق وأنظاره وسمع من ابن قواليح . وناب فى الحكم فى بلادٍ عديدة من معاملات حلب . ثم قدم القاهرة قبل سنة عشرين ونزل بالمؤيّدية فى طلبة الشافعية ومات بها فى جمادى الأُولى وقد جاوز السبعين بل قارب الثمانين فإنه ذكر لى ما يدلّ على أنه وُلد فى حدود الخمسين ، وكان كثير التقتير على نفسه ، وُجِدَ له مبلغ فوضع بعض الناس يده عليه ، ولم يَصِلْ لوارثه منه شىء . عفا الله عنه[1] .

٢٣ ــ فضل[2] الله بن الرَّمْلى القبطى ناظر الدولة . مات فى حادى عشر صفر وقد جاوز الثمانين . وكان سَىء السيرة .

٢٤ ــ فارس بن عبد الله الخزندار الرومىّ الطواشى ، مات فى النصف من المحرم ، وكان قد تقدم فى الدولة المؤيّدية ، وجوّد الخط على الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ ، وحفظ القرآن وتلاه على جماعة واستقرّ بعده خُشْقَدم خزنداراً .

٢٥ ــ قَطْلُوبغا[3] التَّنَمى ، علاء الدين ، أحد أُمراء الأُلوف . ثم نائب صفد . مات فى ليلة السبت سادس عشرى ربيع الأَول بدمشق بطالا .

٢٦ ــ محمد بن الحسين بن عبد المؤمن[4] الكازَرُونى ثم المكى . جمال الدين أبو أحمد

---

(١) جاء إزاء هذا فى هامش ه بخط البقاعى : « قرأت بخط شيخنا الحافظ تاج الدين محمد بن محمد بن الغرابيلى ما نصه : عمر بن يعقوب البلخى الحنفى ، شيخنا الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع زين الدين ، طاف البلاد فى تحصيل العلوم المشرقية ولزم السيد الشريف الجرجانى ست عشرة سنة ، أخبرنى أنه لم ينقطع عنه فيها ولا يوما واحداً ، قدم إلى القدس مرتين . لزمته ثلاث سنين وقرأت عليه العضد فيها كاملا ، وسمعت عليه كتبا شتى كشرح المواقف للسيد الشريف وشرح المفتاح له وشرح الشيخ سعد الدين الزهراوى والكشاف والمطول وشرح الشمسية والمختصر وقطعة من الإيضاح ، وشرح مقدمة بهشتى فى آداب البحث والمصابيح بقراءته كاملة مع الكلام على فوائده وشرح العقائد وطوالع القاضى ناصر الدين البيضاوى وغالب الكتب الكلامية بقراءة سيدى الشيخ يعقوب الكسائى المغربى الشافعى أحد فضلاء عصره وزهادهم ، ولم أنقطع عنه إلا اليسير حتى توفى فى شعبان سنة ست وعشرين وثمان مائة ، وحمل إلى تربة ماملة فشيعه خلق كثير وازدحموا على نعشه وتأسفوا عليه . جمعنا الله وإياه فى دار كرامته آمين » .

(٢) لم ترد هذه الترجمة فى ه ، لكن راجعها أطول من هذا فى الضوء اللامع ، ٦/٥٨٥ .

(٣) خلت ه من هذه الترجمة .

(٤) فوق هذه الكلمة فى ه إشارة لإضافة أضافها البقاعى فى الهامش وهى : « ابن محمد بن ذاكر بن عبد المؤمن بن أبى المعالى بن أبى الخير بن ذاكر بن أحمد بن حسن بن على بن أبى المعالى بن محمد بن عبدالله بن ذاكر بن على بن عبدالله بن الحسن ابن محمد بن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، كذا نقله الشريف الفاسى فى تاريخه لمكة المشرفة لأهاليها . انتهى » .

المؤذن ، وُلد سنة بضع وأربعين ، وأُحْضِر على تاج الدين محمد بن عثمان بن أبى سعد والشهاب الهكارى والعزّ بن جماعة والنور الهمدانى ، وولى رئاسة المؤذنين بالحرم الشريف بعد[1] البهاء عبد الله بن على الكازرونى ومات فى ربيع الأول

٢٧ — محمد بن خالد شرف الدين الشَّنَشَى — بفتح الشينين المعجمتين بينهما نون مفتوحة — كان موقع الحكم للشافعية وكان ماهراً فى صناعته قوىَّ الهمة ، شديد الجلد ، لم يزل يحضر الدروس طالباً الوظائف المتعلقة به مع كبر السنّ إلى أن انقطع قدر شهر ومات فى ثامن ربيع الآخر وقد جاوز الثمانين، ولو كان تصدّى لسماع الحديث لأدْرك إسناداً عالياً .

٢٨ — محمد بن عبد الله بن عمر بن يوسف المقْدسى الصالحى الحنبلى المعروف بابن المكى ، شمس الدين ، وُلد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وتفقّه قليلاً وتعانى الشهادّة ، ولازم مجلس القاضى شمس الدين بن التقى ، وولى رئاسة المؤذنين بالجامع الأموى ، وكان من خيار العدول عارفاً جهورى الصوت حسنَ الشكل طلقَ الوجه منور الشيبة . مات فى جمادى الأولى بعد أن أصيب بعدة أولاد كانوا أعيان عدول البلد فى النجابة والوسامة فماتوا بالطاعون .

٢٩ — محمد بن على بن أحمد الغَزّى الحلبى المعروف بابن[2] الرّكاب ، شمس الدين ، وُلد سنة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة بغزة ، وتعانى الاشتغال بالقراءات فمهر وقَطن بحلب واشتغل فى الفقه بدمشق مدة ، ثم أقبل على التلاوة والإقراء فانتفع به أهل حلب وكان قد أقرأ غالب أكابرهم وأقرأ الفقراء بغير أجرة ، وممن قرأ عليه قاضى حلب علاء الدين بن خطيب الناصرية . وكان قائماً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومواظبة الإقراء مع الهرم .

---

(١) فوقها فى هـ إشارة وفى هامشها «وذلك فى عام سبع وسبعين وسبعمائة» ، أما البهاء فهوعبد الله بن على بن عبد الله ابن على بن محمد بن عبد السلام الكازرونى ، المتوفى سنة ٨٠٨ .

(٢) سماه السخاوى فى الضوء اللامع ٣٧٨/٨ بابن أبى البركات وأشار أيضا إلى « ابن الركاب » وقال إنه لايعلم أيهما الصواب .

مات فى تاسع عشر شهر ربيع الأَّول .

٣٠ — محمد بك[1] بن على بك بن قَرمان ، ناصر الدين ، تملَّك بلاد قرمان ومات فى صفر من حَجرٍ أَصابه فى حربه مع مراد بك .

٣١ — محمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البِرمَاوى ، مات ولم يبلغ العشرين وكان قد مهر وحفظ عدّة كتب وتوجه مع أَبيه[2] إلى الشام فمات بالطاعون فأَسف عليه أَبوه ولم يقم بالشام بعد ذلك بل قدم القاهرة . أَحسن الله عزاءه.

٣٢ — محمد المعروف بابن النَّحاس المقرئ فى الجوق ، شمس الدين ، كان صهر الشيخ شمس الدين الزَرْزَارى وقرأَ على طريقته لكن لم يكن بذاته بل كان برفقته من يقرأ أَطيب صوتاً منه ، لكنَّه تقدم عليهم بالسكون وكثرة المال . مات فى ربيع الأَّول.

٣٣ — محمد القادرى الصالحى الشيخ ، كان منقطعا بزاوية بصالحية دمشق وله أَتباع ولهم أَذكارٌ وأَورادٌ وينكرون المنكر ، وشيخهم قليل الاجتماع بالناس ، وكان بين المنقبض والمنبسط ؛ مات فى رجب بالطاعون .

٣٤ — محمد القَبَّارى[3] ، الشيخ شمس الدين الحنبلى الصالحى ، كان من قدماء الحنابلة ومشايخهم ، وكان يتبذَّل ويتكلم بكلام العامة ويُفْتى بمسأَلة الطلاق وقد أَنكرت عليه غير مرة ، ولم يكن ماهراً فى الفقه .

مات ، فى ذى القعدة وقد قارب الثمانين .

---

(١) لم ترد هذه الترجمة فى هـ والسبب فى ذلك أنها ذكرت فى اطالة فى وفيات السنة الماضية، راجع ماسبق ، ص ٢٩٢ ترجمة رقم ٢٤ .

(٢) هو محمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم العسقلانى الأصل البرماوى ، نسبة إلى برمة من محافظة الغربية بمصر ، وكانت وفاته سنة ٨٣١ كما سيأتى ص ٤١٤ ترجمة رقم ١٧ . أما عن برما هذه فانظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى .

(٣) فى ث « القباقيبى » .

« سنة سبع وعشرين وثمانمائة »

فى الثامن من المحرم قدم ناظرُ الجيش عبد الباسط وشيخُ على الكيلانى وفخرُ الدين التَّوْرِيزى والأَمير قجق والأَمير أَزْكَمَاس الظَّاهرى وكانوا حجُّوا فسبقوا ودخلوا فى هذا اليوم ، وصحبةَ ناظرِ الجيش مِقبلُ أَمير الينبع فأُنْزِل دار الضيافة ، ووصل الركب فى العشرين من المحرم فسبق العادةَ بثلاثة أيام .

وفى المحرم حضر مقبل نائب صفد فخلع عليه باستمراره .

وفيه وقع مطر عظيم فى أَواخر المحرم دام خمسة أَيّامٍ متوالية ولم يُعهد مثله منذ دهرٍ بمصر .

وفيه استقر سودون من عبد الرحمن فى نيابة دمشق عوضا عن تَانِى بك البَجَاسى الذى استقرّ بها فى العام الماضى وكان[1] استكثر من شراء المماليك وعزم على الخروج ، فبلغ ذلك السلطانَ فعزله واستناب سُودُون وأمره بالقبض على تانى بك ، فخرج سُودون فى السادس والعشرين من المحرّم فوصل الخبرُ أَنَّ تَانِى بكْ نائبَ الشام أَظهر العصيان ، فوقع بينه وبين الأُمراء وقعةٌ بالشام فكسرهم تانى بك فاستمروا فى هزيمتهم إلى أَن تلاقوا مع سُودُون فى جسر يعقوب فمالوا ، وتبعهم تانى بك فحال بينهم الجسر فأَراد تانى بك أَن يكبس على سودون فحذر منه وتوجه إلى دمشق وأَمر شاهين نائب القدس أَن يستعد لتانى بك بالحرب ، وجَدَّ سُودُون فى الوصول إلى دمشق حتى دخلها فبلغ ذلك تانى بك فرجع خلفهم حتى وقع الحرب بدمشق ، فكبا فرس تَانِى بك داخلَ باب الجابية فأُمسك فى الحال وحُبس ، ووَصل الخبرُ بذلك صحبةَ بريدىٍّ على هجين فى ستة أَيّامٍ فدُقَّت البشائر وسكنت الفتنة ، ثم أُحضرت[2]

---

(١) المقصود بذلك تانى بك البجاسى ، أما فيما يتعلق بخروجه على السلطان برسباى فانظر النجوم الزاهرة ٦/٥٧٣–٥٧٥.

(٢) كان القدوم برأسه إلى القاهرة يوم ١١ ربيع الأول ، وكان تعليقها على باب النصر أياما كما جاء فى النجوم الزاهرة ٦/٥٧٦ .

رأس تانى بك إلى القاهرة فعُلّقت بباب زويلة ، وكان السلطان عزم على إرسال عسكر مدداً لسودون فبطل ذلك .

وفى السادس والعشرين من المحرم استقر على بن مغَامس الحسَنى فى إمرة مكة عوضاً عن حسن بن عجلان ، وجهز السلطان معه عسكراً لمحاربة حسن ، وكتب إلى قَرْقُمَاس الذى حجّ فى هذه السنة وتأخر بالينبع – أن يُعِينَ علىَّ بنَ عنان ، فإذا غَلب علىٌّ يستقر فى الإمرة ؛ ورجع قَرْقُمَاس إلى القاهرة فخرجوا فى أول ربيع الأول .

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من المحرم استقر كاتبُه فى قضاء الشافعية بالقاهرة وما معها[1] .

وفى يوم الثلاثاء أول صفر شرعْتُ فى الإملاء بالخانقاه البيبرسية ، استملى على الشيخ زين الدين رضوان بن محمد العقبى[2] .

وفى عاشر صفر قدم شمس الدين الهروى من القدس فسلَّم على السلطان فى الثانى عشر منه وسكن مدرسة ابن الغنام .بجوار بدر الدين العينى المحتسب .

وفى الرّابع والعشرين من صفر قُرِر[3] الشيخُ سراج الدين قارئُ الهداية فى مشيخة الشّيخونية بعد موت الشيخ شرف الدين التّبَّانى بعد وفاته ، وقُدّمت له فرس من خَيْلٌ السلطان فركبها وتوجه بخلعته ومعه أُزْبكْ رأس نُوبة وهو يومئذٍ ناظرُ الشيخونية ومشى معه جَمْعٌ من الطلبة ، فصَلّى بالمدرسة ركعتين وتوجّه إلى منزله بين القصرين .

---

(١) أضاف ناسخ ه إلى ذلك قوله « رحمه الله » . وأمام هذا فى ت : « تاريخ ولاية شيخ الإسلام المصنف القضاء ، وهى أول ولاياته » .

(٢) هو رضوان بن محمد بن يوسف العقبى المولود سنة ٧٦٩ ه بمنية العقبة بالجيزة ، ونشأ بخانقاه شيخو ، وقد اهتم برواية الحديث ، وانفرد فى الديار المصرية بمعرفة شيوخها ، وكان موته فى رجب سنة ٨٥٢ ، أنظر الضوء اللامع ٣/٨٥٥ .

(٣) فى هامش ث : « تاريخ ولاية قارئ الهداية مشيخة الشيخونية » .

وفى ربيع الأول مالت[١] المئذنة بالجامع الأزهر التى عُمِرّت فى سلطنة المؤيد سنة تسع عشرة ، فأمر السلطان الأشرف بهدْمها فهُدمت وأُعيدت من أصح ما يكون .

وفى ثامن عشرى ربيع الأول استقر أُزبكْ الأشقر دويداراً كبيراً نقلا من رأس نوبة ، واستقر تغرى بردى المحمودىُّ رأْسَ نوبة نقلاً من الحجوبية ، وخلع عليهما بذلك .

وفيه أنهىَ الشيخ شمس الدين الهِرْماوى إلى السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون المدرس بها قاضياً وأعانه قومٌ آخرون ، فانتزع تدريس الشافعى بالمؤيدية من كاتبه[٢] فسعى كاتبه إلى أن ظهر كتاب الوقف وقد سكت عن الشرط المذكور فأُعيد ذلك لكاتبه ، وعُوِّض الهرماوى بأن ينوب عن علىٍّ حفيد العراقى فى جهاته بثُلث[٣] المعلوم ، فباشر ذلك .

وفى صفر ختن السلطان ولده محمداً وعمل له فرحاً كبيرا فيقال إن الأعيان نقَّطوا فى طسته بالذهب الكثير فأمر به فجُمع وأعطى المزِّيّنَ منه مائةً ورفع الباقى للخزانة .

وفى التاسع من شهر ربيع الآخر استقر شمس الدين الهروى فى كتابة السر بعد سعْى شديد ووعْدٍ ببذل مال كبير ، وانفصل جمال الدين الكركى والناس له شاكرون لحسن سيرته ولين جانبه ، وكان يشتكى من رفقته إلى أن سعى الهروى فعزل .

وأما الهروى فلبس تشريفاً كله حريرٌ أبيض وطرحة حرير ، وركب حجرةً بسرج ذهب وكنبوش مزركش وهرع الناس للسلام عليه ، وكان الهروى لما قدم سلَّم الناس عليه إلا الحنبلى واستمر على ذلك ، وكان حضر المولدَ السلطانى قبل ولايته كاتبُ السر فامتنع الحنبلى من الحضور بحضرته وتمادى على عدم السلام عليه ، ثم أصلح السلطان بين الهروى وابن الدَّيرْى ــ وكان يُطلِق لسانَه فى الهروى ــ فاصطلحا ، فلما ولى الهروى كتابة السر ساءه ذلك وتكلم فى الخلوة فبالغ .

---

(١) فى هامش ث : « تجديد مئذنة الأزهر » ، ثم بخط آخر : « وهذه المئذنة قد مالت أيضا فى أيام الأشرف قايتباى وجددها ، وهى الآن بنعمته أحسن ما تكون ، وما يدرى ما يكون بعد ذلك مآلها . ولعل بنيانها هذا أمكن مما تقدم ».

(٢) أى ابن حجر نفسه .

(٣) فوقها فى ه كلمة «كذا» .

وفيه أُمسك رجلٌ من الصوفية بالمؤيدية وجدت عنده آلات الزغل ، فأَمر السلطان بقطْع يده فشُفع فيه فأُخرج وضُرب ضرباً مبرحا وسجن ثم أُطْلِق مع المسجونين فى أواخر شعبان .

وفى أوائل هذه السنة وقع بمكةَ وباءٌ عظيم بحيث مات فى كل يوم أربعون نفساً ، وحُصر من ماتوا فى ربيع الأَول فكانوا أَلفاً وسبعمائة ، ويقال إن إمام المقام لم يُصَلِّ معه فى تلك الأَيام إلا اثنان ، وبقيّة الأَئمة بطلوا لعدم من يصلى معهم .

وفى سابع جمادى الأولى أُقيمت الجمعة بالمدرسة الأَشرفيَّة الجديدة برأْس الحريريين ، واستقر ناصرُ الدين الحمويُّ الواعظُ خطيبها .

وفى رابع عشرجمادى الأولى قدم القاضى نجم الدين بن حِجّى من الشام إلى القاهرة فاستقرّ فى كتابة السر فى العشرين من جمادى الآخرة ، وركب معه جميع الأُمراء الأَماثل ، ولاقاه القاضى[1] الشافعى والقضاةُ إلى قربِ القلعة وصُرف الهروى وصادف قول القائل :

صُرِفَ الكَمَالُ البَارِزىُّ ويوسُفٌ وَأَخُو هراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

وفى شهر[2] ربيع الآخر كان قدوم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزَرِى المقرئ إلى دمشق طالباً للحج من شِيَراز ، وكان قد قدم المدينة ثم مكة ثم رجع إلى شِيراز ثم قدم هذه السنة ، وقد تمت له ثلاثون سنة منذ فرَّ إلى بلاد الروم ثم إلى بلاد العجم ، وولى قضاء فارس وغيرها وانتفع الناس به فى القراءات والحديث :

وفى جمادى الأُولى وصل قَرْقُمَاس وعلىّ بن عِنان إلى مكة فدخلاها بغير قتال ، ونزح حسن ابن عجلان عن مكة ، ووصلتْ عند دخول على بن على بن عنان إلى جدّة مركبان من الهند فتوجّه إلى جدة لتعشيرهما ، وفَرِح بذلك لأَنه يستعين بذلك على حاله .

* * *

(١) سقطت من هـ كلمتا « القاضى الشافعى » .

(٢) أمامها فى هامش ث : « قدوم ابن الجزرى من شيراز » .

وفى جمادى الآخرة عُقد مجلس بسبب(١) أَخْذِ الزكاة من التجار وكان ابن حجى أو الهروى حسّن للسلطان ذلك ، فأَمر بحضور القضاة بالصّالحية وأن يحضر معهم الهروى وابن حجى ، فانفصل الأَمر على أنَّ كاتبه قال لهم : « أما التجار فإنهم يؤدّون إلى السلطنة من المكوس أضعاف مقدار الزكاة وهم مأمونون على ما تحت أيديهم من الزّكاة ، وأما زكاة المواشى فليس فى الديار المصرية غالبا سائمة ، وأمّا زكاةُ النبات فغالب مَن يزرع من فلاّحى السلطان أو الأُمراء » ، فقال القاضى الحنفى وهو زين الدين التفهنى : « مرجع جميع الأَموال فى إخراج الزكاة إلى أربابها إلا زكاة التجارة فللإمام أن يُنَصبَ رجلا يقيم على الجادّةِ يأْخذ من المسلمين رُبْعَ العشر ، ومن أهل الذِّمة نصف العشر ، ولا يؤخذ من المسلم فى السّنة أكثر من مرة ».

وقال المالكى والحنبلى نحو ما قال كاتبه . وانفصل المجلس على ذلك وانفرجت عن التجار وغيرهم .

وفى جمادى الآخرة استقرّ ناصر الدين بن العّطار فى نظر القدس والخليل وصُرف حسن وصودر على مالٍ ثم تعصب له بعض الأُمراء ، فخُفِّف عنه .

وفيه قدم الشريف شهاب الدين الذى كان كاتب السر بدمشق إلى القاهرة وخُلع على شهاب الدين بن الكشك بقضاء الحنفيّة وسافر

وفى رابع عشر جمادى الآخرة ماتت زوجة السلطان أُمّ ولده محمد فدفنها فى المدرسة الأَشرفية التى شرع فى بنائها فى رأس الحريريين، وكانت وقفت عدّة أَماكن على جهاتِ برٍّ معينة ، فطلب السلطان المكاتيب وحرقها(٢) واستولى على الأَماكن المذكورة بعد أن ثبتت(٣)، وحكم بها العينى .

---

(١) أمامها فى هامش ث : « عقد المجلس بسبب أخذ الزكاة من التجار والمنع من ذلك » .

(٢) فى ه « خرقها » .

(٣) كلمة غير مقروءة .

وفى أواخر شعبان أطلق السّلطان أهل الحبوس حتى أهل الجرائم ظنًّا أن فى ذلك قربةً ، والله المستعان .

وفى ثالث عشر جمادى الآخرة وصل علاء الدين على[1] ابن موسى الرومى وكان وصوله فى البحر إلى دمياط ثم وصل فى بحر النيل إلى بولاق فتلقّاه العينى وأنزله بجواره وأطلعه إلى السلطان ، فسلم عليه فى مستهل رجب وامتحنه كاتب السر[2] بمسألةٍ فبهت فلم يجب عنها وبادر العينى فأجاب عنه .

وفى الثالث من رجب استقر الشيخ علاء الدين الرومى على بن موسى فى مشيخة الأشرفّية وحضر إجلاسه جماعةٌ من الأعيان وكان أكرمه السلطان إكراما زائدا ، فلما كان فى شهر رمضان أرسل إليه جملةً من القمح والسكر والذهب ، ثم استأذنه فى الحجّ فأعطاه مركوباً ونفقة ووصّى عليه من حج من صحبته من الأمراء .

* * *

وفيه توقّف النِّيل فى العشر الثانى من مسرى ونقص إصبَعا وأمطرت السماء ، وجرت العادة أنَّ المطر إذا وقع والنيل فى زيادةٍ نقص ، فاضطرب الناس لذلك وهاجوا ، وازداد سعر القمح سبعين درهماً كلُّ إردب ، فلطف الله وزاد النقص وكسر الخليج فى ثالث عشرى مسرى واطمأن[3] الناس وتراجع السّعر .

وفى ثالث عشرى رجب استأذن ابنُ الدَّيرى فى السفر إلى القدس ، فيقال خشى أن يدخل رمضانُ فيُلزَم بحضور سماع مجلس الحديث فيجلس الهروى فوقه ، فاتّفق أن البخارىَّ لما قُرئ حَضر السلطانُ وعن يمينه الشافعىُّ ثم الحنفىُّ ثمّ المالكىّ، وعن يساره الهروى ثم الحنبلى

---

(١) هو على بن موسى بن إبراهيم بن مصلح الدين الرومى الحنفى ، ولد سنة ٧٥٦ وتنقل فى سمرقند وشيراز وهراة ، وقدم مصر سنة ٨٢٧ ثم خرج منها وعاد إليها سنة ٨٣٤ ، أنظر الضوء اللامع ٦/١١٨ ، هذا وقد جاء أمام هذا الخبر فى هامش ث : « قدوم العلاء الرومى للقاهرة » .

(٢) فى ه « كاتب السر ابن حجى » .

(٣) عبارة « واطمأن الناس » غير واردة فى ه .

ثم شيخ الأشرفية ثم الشيخ يحيي شيخ الظاهرية ثم شيخ الشيخونية قارئُ الهداية ، ثم صار يحيي يجلس خلف السلطان يسأله عما يريد فهم معناه من المباحث .

وفيها فى جمادى الآخرة قدم تونس الأمير محمد بن أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى من بنى عبد الواد ويعرف بابن الرَّكاعنة فاستنجد بصاحبها فسار معه أبو فارس سلطانها إلى تلمسان وجهَّز معه عسكرا ، ففر منه عبد الواحد إلى فاس وملكها ابن الرّكاعنة ، وقام بدعوة أبى فارس ؛ وكان ما سنذكره سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة .

وفى سابع رمضان ضَرب الأميرُ الكبيرُ يلبغا المظفَّرى نورَ الدين الطَّنْبدى كبيرَ التجار ضرباً مبرحاً لعنادٍ وقع منه فى حقه ، فبادر الحاجبُ الكبير واستخلصه من يده ، فأُنهى الأمر إلى السلطان فأَضمر ذلك ولم يظهره ، وأغرى يلبغا زينَ الدين الدميرى بالطَّنْبَدى فادّعى عليه أنه اشترى منه بستاناً وهو فى المصادرة والبستانُ المذكور كان أبوه وقفه ، فعُقد بسبب ذلك مجلس فلم ينفصل لهم أمر ، فلما كان فى التاسع والعشرين من شوال قُبض على يلبغا المظفرى وسُجن بالإسكندرية ، واستقرّ عوضه الأمير قُجُقْ بإقطاعه ، وزيد من إقطاع يلبغا شئ وقُسِمّ بقية إقطاعه بين تغرى برمش نائب القلعة وإينال الجكمى وكان بطَّالاً بالقدس ، فأُحضر بالإرسال إليه من القدس ، وكان فى أيام المؤيد شاد الشربخاناة ، ثم استقر رأسَ نوبة كبيراً بعد موت المؤيد ، ثم تولى نيابةَ حلب مدةً يسيرة ثم قُبض عليه وحُبس ، ثم أفرج عنه الملك الأشرف وأقام بالقدس بطالا ، ثم أرسل إليه بعد إمساك يلبغا المظفرى ، فقدم فى نصف ذى القعدة وخلع عليه واستقرّ أميرَ مجلس عوضا عن إينال النوروزى ، واستقر إينال أمير سلاح عوضاً عن قُجُق الذى استقر عوضاً عن يلبغا .

* * *

وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى خمسةَ عشر إصبعاً من ثمانية عشر ذراعاً ، وكُسر الخليج فى ثالث عشرى مسرى ، فباشر ذلك محمدٌ بنُ السلطان ومعه أزبك الدويدار ، ثم توقف النيل أياما وارتفع سعر القمح ثم تراخى فشرق غالب البلاد .

وفى يوم الأَحد الخامس والعشرين من رمضان ختم البخارى بحضرة السلطان فخلع على القضاة على العادة ، وخَلع على العينى والهروى جُبّتيْن بسمّور ، فغضب الحنبلى وواجهَ السلطانَ — وهو لابسٌ الخلعة التى خلعت عليه — بالعتاب وأَغلظ ، فحنق منه وتوجه على غير شئ واستمر مغضَباً فلم يحضر يوم العيد فازداد الحنق ، ثم إنه استعان بولىّ الدين الصفطى عند رأس نوبة الكبير تغرى بردى المحمودى فأَحضره عند السلطان واعتذر فقُبِل عذره ، ثم استأْذن على الحج فأَذن له فاكترى وتجهّز جهازا واسعا وهيّأَ لنفسه محفةً ولأَهله عدة محائر ، فبلغه أَن السلطان أَمر أَنه إذا انقضى حَجُّه يتوجّه من المدينة إلى الشام ويقيم ببلدة حماة بطالا ، فترك الحج وفرّق جميع ما هيأَه من الزاد حتى كان من جملته مائة علبة حلوى ، وتصدّق بجميع الدقيق والبقسماط وغير ذلك على الفقراء ، فاتفق أَنه عقب ذلك سقط من سلَّمٍ فى داره فتأَلَّم فخذه فعولج وأَقام مدةً متمرضاً ثم عوفى ودخل الحمّام ثم انتكس ، فلم يزل حتى عاوده القولنج الصفراوى فى السنة المقبلة فمات كما سنذكره .

وفى هذه المرة — يعنى[1] لسماع البُخَارى — جُدِّدَت للمشايخ الذين يحضرون سماع الحديث فراجى بسنجاب وهو أَول من فعل بهم ذلك ، وكانت عدتّهم نحو العشرين ، ثم ازداد الأَمر إلى أَن زادوا على المائة فى سنة اثنتين وأَربعين ثم قطع جميعهم عن ذلك فى سنة ٨٤٦ .

* * *

وفى[2] هذه السنة جهز السلطانُ إلى بلاد الفرنج مركبين وأَخرج إليهم من بيروت مركباً ومن صيدا مركبا ، فاجتمعوا وعدّتُهم ستمائة مقاتل وصحبتهم ثلاثمائة فرس ونازلوا جزيرة الماغوصة فانتهبوها وأَحرقوا ما بها من القرى وما بساحلها من المراكب ، وقدموا سالمين غانمين وفرح الناس بذلك ، وكان رجوعهم فى شوال فقدموا فى العشرين من ذى القعدة ، وكان عدد الأَسرى أَلفاً وستمائة نفس .

---

(١) عبارة « يعنى لسماع البخارى » غير واردة فى ه ، ولا فى ث ، وأمامها فى هامش ث : « إحداث الخلع فى ختم البخارى على المشايخ والعلماء » .

(٢) أمام هذا الخبر فى ه « أول غزو الأشرف القبرصى » .

واستهل شوال يوم السبت .

* * *

وفى اليوم الثامن من ذى القعدة صُرف كاتبهُ عن القضاء واستقرّ شمس الدين الهروى فباشر كعادته .

وفى عيد الأضحى وقع بين بعض المماليك السلطانية تشاجرٌ بسبب قسمة الأضحية ، فتراموا بالحجارة فوقع منها بالقرب من السلطان وبعض الأمراء فغضب من ذلك وتلافى الأمر لئلا يفحش .

وفى سادس ذى الحجة قام جماعةٌ من الصوفية بخانقاه سرياقوس على شيخهم ابن الأشقر وكان قد حج فى هذه السنة ، ورافع فيه صيرفىُّ الخانقاه – واسمه إبراهيم – فكاد الأمر يخرج عنه ، لكن انتَصَر له ناظرُ الجيش واستمهل السلطان عن إخراج وظيفته حتى يرجع .

* * *

ذكر من مات فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة من الأعيان

١ – أحمد ، الملك الناصر بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على صاحب اليمن ، تقدّم نسبه فى ترجمة أبيه ، ومولده سنة ... ...[1] ، واستقر فى المملكة بعد أبيه سنة ثلاث وثمانمائة ، وجرت له كائنات تقدّم ذكرُ أكثرها ، وكان فاجراً ، جائراً ، مات بسبب صاعقة سقطت على حصْنه المسمىّ « قوارير[2] من زجاج » فارْتاع من صوْتها فتوعّك ، ثم مات فى سادس عشر جمادى الآخرة ، قال الله تعالى تبارك[3] (ويرْسِل الصواعِق فيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاء) .

---

(١) فراغ فى جميع النسخ ، ولم يرد فى ترجمته فى الضوء اللامع إشارة إلى سنة مولده .

(٢) فى هـ « جفنة من زجاج » وقد أثبت ما بالمتن بعد مراجعة الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٤٠ ، وكان هذا الحصن خارج زبيد .

(٣) سورة الرعد : ١٣ .

٢ ـ أحمد بن عبد الله شهاب الدين البُوتيجى الشافعى ، تفقَّه ومهر ، وكان يستحضر « المنهاج » عن ظهر قلبه ، وكان يتكسّب بالشهادة ثم تركها تورّعا .

٣ ـ أحمد بن عيسى بن أحمد المقرئ نزيل الأزهر ، الشيخ شهاب الدين المالكى الصِّنْهَاجى ، مات فى سابع المحرّم ، وكان ماهراً فى العربية والقراءات والفقه ، منتصباً لإقراء الناس جميع نهاره وأكثر ليله لا يملّ من ذلك ، وانتفع به بشر كثير وكثر التأسف عليه .

٤ ـ أحمد بن القاضى محب الدين محمّد بن الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة المخزومى الشافعى ، أبو الفتح قاضى مكة وابن قاضيها ومفتيها وابن مفتيها ، وُلد فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ، وحفظ « المنهاج » وعدة كتب ، وتفقه بوالده وغيره ، وأذن له فى الإفتاء الشهاب الغزّى والشهاب ابن حجّى وغيرهما ، وكان ماهراً فى الفقه والفرائض[1] والحساب والفلك ، حسنَ السيرة مشكوراً فى القضاء ، ولى من سنة ثمانى عشرة إلى أن مات ـ إلاَّ أيّاماً يسيرة من سنة تسع عشرة وكان عزل فيها ثم أُعيد ومات فى جمادى الأولى ، وخلت مكة بعده ممن يفتى فيها على مذهب الشافعى ، وكذا[2] انقرض بموته نسلُ جمال الدين المذكور من الذكور قال القاضى : « لم يخلف بعده مثله » .

٥ ـ أحمد الحَجيرانى اللؤلؤى ، الشيخ شهاب الدين ، كان أبوه خطيب قرية حجيرا[3] ونشأ هو فى طلب العِلْم وقرأ على ابن الحَبَاب ثم صحب الشيخ الموصلى وكان يرتزق من ثَقْب اللؤلؤ ، وحصّل كتبا كثيرة ، ومات فى المحرم عن نحو الستين بقريته .

٦ ـ أبو بكر بن عمر بن محمد الطُّرَينى[4] ثم المحلى ، الشيخ الفاضل المعتضد

---

(١) فى هـ « والفرائض ، حسن السيرة فى القضاء »

(٢) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٣) اكتفى مراصد الاطلاع ١/٣٨٣ بتعريف حجيرا بأنها من قرى غوطة دمشق ، وهى واقعة إلى الجنوب الغربى من قبر الست ، أنظر Le Strange : Palestine under the Moslems, P. 445; Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, P. 301, 304.

(٤) نسبة إلى طرينة من البلاد القديمة بمركز المحلة الكبرى ، وقد جاء فى القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٢ ص ٢٣ أنها وردت فى قوانين الدواوين وفى تحفة الإرشاد « طرينا » . كما ضبطها تاج العروس بضم الطاء .

زين الدين ، كان صالحاً ورعاً حسن المعرفة بالفقه على مذهب مالك ، قائماً فى نصر الحق ، وله أتباع وله صيت كبير . مات فى حادى [1]عشر ذى الحجة وقد جاوز الستين .

٧ — تانى بك البَجَاسى نائب دمشق ، تنقّل فى الخدم فى أيام الناصر فرج ، وولى نيابة حماة فى أيام المؤيّد سنة سبع عشرة ، وكان ممّنْ خامر مع قانيبياى فلما انكسروا هرب إلى التركمان ، فسار آقباى وراءه إلى العَمْق[2] فانهزم إلى بلاد الروم ، فلما مات المؤيّد دخل إلى بلاد دمشق فولاّه ططر نيابة حماة ثم نقله إلى طرابلس فى رمضان سنة أربع وعشرين بعد أن تسلطن فى ذى الحجة من السنة ، ثم قُرر فى أيام الصالح بن ططر فى نيابة حلب عوضاً عن تغرى برْدى من قصروه بحكم عصيانه ، فسار لقتاله وانضمّ إليه عسكر[3] حماة وغيره ، فلما وصلوا إلى حلب هرب تغرى بردى وانضّم إلى كُزُل الذى كان هارباً من المؤيّد وأقاما فى بَهَسْنَا[4] فحاصرهما تانى بك بها ، فمات كُزُل فى الحصار ، ثم نقل تانى بك إلى نيابة دمشق لما مات تانى بك العلائى المعروف بميق وذلك فى رمضان فدخلها فى شوّال .

فلما كان فى صفر من هذه السنة بلغ السلطانَ عنه شئ فكتب إلى الحاجب بالركوب عليه ، فركبوا وقاتلوه فانكسروا منه ودخل إلى دار العدل فأظهر الإحسان والمخامرة على السلطان ، فجهّز إليه سودون من عبد الرحمن الذى كان دويداراً كبيراً فى عسكر ، فلما بلغ ذلك تانى بك خرج إليهم ، فلما وصل إلى جسر[5] يعقوب خالفوه فى الطريق إلى دمشق فدخلوها ، فرجع هو وسار حتى وصل إلى قبة يلبغا فوصلها وقد تعبت خيولُ مَن معه ، ومع ذلك قصَدَهم فقاتلوه فانكسروا منه ، فسار فى إثرهم إلى أن جاوز باب الجابية

---

(١) صحح الضوء اللامع ١١/١٧١ تاريخ وفاته فذكر أنه مات يوم عيد الأضحى . أما عن ورعه فالمعروف عنه أنه ترك أكل اللحم أعواما قبل موته ، وقيل إن ذلك تورعا .

(٢) العمق — بفتح أوله وسكون ثانيه — كورة بنواحى حلب بالشام كما جاء فى مراصد الاطلاع ٢/٩٦٢ ، وانظر عنها أيضا Dussaud : op. cit. pp. 22 et suiv.

(٣) فى ه « عسكرها » .

(٤) الضبط من مراصد الاطلاع ١/٢٣٤ حيث عرفها بأنها قلعة حصينة عجيبة قرب مرعش وهى من عمل حلب .

(٥) ويقع على نهر الشريعة ، وذكر الأمير جعفر الحسينى فى تعليقه على الدارس ٢/٢٩٠ حاشية رقم ٤ أنه يقال له اليوم « جسر بنات يعقوب »

فسقطت رجل فرسه فى حفرة من القناة فوقع فأمسكوه فأُمر بقتْله فقُتِل بقلعة دمشق فى شهر ربيع الأوّل .

وكان كثير الحياء والشجاعة والشفقة وقد أحسن فى تلك السنة إلى الحاج[1] لما رجعوا فإنهم لقوا مشقة عظيمة بتزاحم الرياح بحوراً ، فخرج إليهم بنفسه ومعه أنواع الزاد حتى الزرابيل وفرقت فيهم فانتفع الغنىّ والفقير ، وأفرطوا فى الدّعاء له فكان عاقبته الشهادة . سامحه الله تعالى[2] .

٨ ـ سليمان[3] الملك العادل فخر الدين أبو المخافر بن المجاهد شهاب الدين غازى بن الكامل مجير الدين محمد بن الموحّد سيف الدين بن أبى بكر بن المعظّم توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل أبى المعالى أبى بكر بن محمد بن العادل أبى بكر بن محمد بن أيوب ، أقعدُ ملوكِ أهل الأرض فى مملكة حصن كَيْفَا[4] إلاّ صاحب صعدَة[5] الإمام الزّيدى فإنّه أقعد فى المملكة منه .

وأما العادل هذا فأقام فى مملكة الحصن[6] نحو الخمسين سنة وله فضائل ومكارم وأدبٌ وشعر ، واعتنى بالكتب ، واستقرّ بعده فى مملكة الحصن ولده الملك الأشرف أحمد

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى « كنت فى تلك السنة فى دمشق وكانت أمى من الحجاج تلك السنة ، وكان الذى حصل للحجاج ثلج وأمطار عظيمة الأوحال فى بلاد حوران وبلى أرض مغرافة فلو لم يطلع إليهم مانجا منهم إلا القليل فعظمت منفعتهم به ، وكان يأمر جماعته بإركاب المشاة ، ففرغت الدواب التى أعدها لذلك فصار يأمرهم أن يردفوهم وراءهم حتى أردف هو واحدا وراءه . رحمه الله » .

(٢) ورد فى هامش ث الترجمة التالية بعد هذا : « سودون الحموى أحد المقدمين بدمشق وأتابك العساكر بها وكان قبل ذلك من أمراء القاهرة فنفاه الأشرف إلى دمياط بعد أن حبسه مدة ثم أرسله إلى الشام عوضا عن قانباى الحمزاوى فى الأتابكية والتقدمة فمات بها فى أوائل ذى القعدة » ، ثم امضاء السخاوى . ويلاحظ أن هذه الترجمة واردة بنصها فى الضوء اللامع ٣/١٠٥٩ ولكنه زاد عليها قوله « فمات بها فى أوائل ذى القعدة سنة سبع وعشرين ؛ ذكره العينى » .

(٣) ورد اسمه فى ه على الصورة التالية : «سليمان الملك العادل بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن الموحد أبى بكر ابن المعظم توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل أبى المعالى أبى بكر محمد بن أيوب » .

(٤) حصن كيفا (بفتح الكاف وسكون الياء) ويقال له أيضا « حصن كيبا » كما جاء فى مراصد الاطلاع ١/٤٠٧ ، وهو بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر ، وقد ورد فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، أنه حصن واقع على ضفة الفرات الجنوبية وسماه الروم Kiphas أو كيفى Cephe ، وأورد نفس المرجع وصفا للحصن .

(٥) عرفها مراصد الاطلاع ٢/٨٤٠ بأنها مخلاف باليمن .

(٦) أى حصن كيفا .

ابن سليمان ، ثم قتل أحمد فى سنة ست وثلاثين واستقر فى مملكته ولده عزيز الدين الفُضَيْل وقدْ قدَّمْتُ فى حوادث سنة تسع عشرة ذكر يوسف بن أخى العادل سليمان المذكور .

٩ ـ سودون [١] بن عبد الله الظاهرى ويُعَرف بالأشقر ، مات وهو أمير بدمشق فى جمادى الأولى ، وكان ولى شادّ الشُرْبخَاناه فى أيّام الدولة الناصرية ثم غير ذلك[٢] . ولم يكن مشكوراً .

١٠ ـ عبد الرحمن بن على بن يوسف بن الحسن بن محمد القاضى زين الدين أبو الفرج الزَّرَنْدى[٣] قاضى الحنفية بالمدينة ، وُلد فى ذى القعدة سنة ست وأربعين بالمدينة وسمع على عز الدين بن جماعة وصلاح الدين العلائى ، وأجاز له الزبير بنَ علىّ الأسوانى فكان خاتمةَ أصحابه . مات فى ربيع الأول .

١١ ـ عبد الرزاق بن عبد الله بن تاج الدين بن شمس الدين ، والد الصاحب كريم الدين ، وَلى الوزارة وأحْدثَ مكس الفاكهة ومات فى يوم الجمعة حادى عشرى جمادى الأولى معزولاً .

١٢ ـ عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن زيد البعلبكىّ الشافعى المعروف بابن زيد ، وُلد سنة ستين تقريباً ، وأُسْمِع على [أحمد[٤] بن عبد الكريم] . وتفقه على ابن الشريشى والقرشى وغيرهما بدمشق ، ثم ولى قضاء بلده قبْلَ اللَّنك ، ودرّس وأفْتى ، ثم ولى قضاء طرابلس فى سنة عشر ، ثم ولاَّه المؤيد قضاء دمشق عوضاً عن نجم الدين بن حجّى

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) عددالنجوم الزاهرة٦/٧٨٣ الوظائف التىوليهابالإضافة إلىماهو مذكور بالمتن فكان منها رأس نوبة النوبثم أمير مجلس أمير مئة مقدم ألف زمن برسباى، راجع ذلك أيضا فى Wiet : les Biographies du Manhal Safi, No. 1130

(٣) نسبة إلى « زرند » وهى المدينة التى اتخذتها قبائل الغز التركانية نسبة لإقليم كرمان وهى تقع على مرحلتين من شمال غربى كرمان ، أنظر بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٤٣ ، ٣٤٦، ومراصد الاطلاع ٢/٦٦٤ حيث عرفها بأنها مدينة قديمة كبيرة من أعيان مدن كرمان .

(٤) فراغ فى الأصول وقد أضيف هذا الاسم بعد مراجعة الضوء اللامع ٥/٢٣٧ .

فى سنة تسع عشرة ثم فى سنة ستٍ وعشرين فى أيّام الأشرف ، وكانت مدته فى الولايات يسيرة جدًّا : الأولى ستة أشهر ، والثانية شهراً ونصفاً ؛ ولمّا صُرف فى النَّوْبة الثانية حصل له ذلٌّ كبير وقهر زائد وذهب غالب ما كان حصّله فى عمره ، ولحقه فالج[1] فاستمرّ به إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل .

١٣ ـ عبد الله بن مسعود بن علىّ المكى القرشى ، أبو محمد المعروف بابن القُرَشِيّة[2] أخذ[3] عن ابن عمر الوادياشى وعن أبى عبد الله بن عرفة وأبى على عمر بن قَدّاح الهوارى أحد مَن أخذ عن محمد بن عبد السلام شارح « ابن الحاجب » وأحمد ابن إدريس الزواوى شيخ بِجَاية[4] أخذ عنه « المسلسل » بالأولية « ومصافحة المعمرين » ، وأبى عبد الله بن مرزوق وأبى الحسن [محمد بن أحمد الأنصارى] البَطَرْنى فى آخرين يتضمّنهم فهرسته ورأيْتُها بخطه ، وقد أجاز فيها لأبى الفرج سرور[5] بن عبد الله القرشى ، العَلْبى[6] داراً ، فى رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، ومات بتونس فى هذه السنة[7] على ما ذكرهُ لى الشيخ أبو الفرج سرور المذكور وهو ابن أخته[8] .

١٤ ـ عبد[9] الوهاب تاج الدين المعروف بابن كاتب المناخات ، تقدم ذكر ولايته الوزارة فى الحوادث ، وأنّه صرف وصودر ثم صرف عقب وفاة الأستادار الذى صُرف بموته

---

(١) الوارد فى ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٥١ ، أنه حصل له فالج واوثة .

(٢) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ج ٥ ص ٧٠ - ٧١ إلى نسخة خاصة لديه ذكرت فيها وفاته فى هذه السنة الأخيرة وإن كان هو نفسه رجح سنة ٨٢٧ ، وقد وقعت شذرات الذهب فى هذا الخطأ إذ أدرجت صاحب الترجمة مرة فيمن مات سنة ٨٢٧ . (ج ٧ ص ١٧٩) ومرة أخرى الشذرات ٢٢٢/٧ فيمن مات سنة ٨٣٧ .

(٣) فى ه « أخذ عن أبيه عن الواديashى » .

(٤) الضبط من مراصد الاطلاع ١٦٣/١ حيث عرفها بأنها مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب .

(٥) هو ابن أخت صاحب الترجمة كما وردت الإشارة إلى ذلك فى السخاوى : الضوء اللامع ٩٢٠/٣ حيث قال « ابن أخت عبد الله بن مسعود » ، وقال أيضا فى نفس المرجع ٢٦١/٥ « عبد الله ... خال سرور » ، أما سرور هذا فكان نزيل الإسكندرية ومات سنة ٨٤٤ أو ٨٤٥ .

(٦) فوقها فى ه كلمة « كذا » ولكن هذا هو الصحيح كما هو وارد فى الضوء اللامع ٢٦١/٥ .

(٧) أعنى سنة ٨٢٧ ه .

(٨) بلا تنقيط فى جميع النسخ ، لكن راجع حاشية رقم ٥ .

(٩) أحال السخاوى فى الضوء اللامع تحت اسم « عبد الوهاب » إلى عبد الرازق « وقال ٩٩/٤ : أن ابن حجر سماه بعبد الوهاب » .

ـ وهو ناصر الدين أبو والى ـ وأُعيد صلاح الدين بن نصر الله ، وكان تاج الدين ضخماً طويلاً ريّض الأخلاق عارفاً بالكتابة ، وباشر ديوان المفرد مدة طويلة .

١٥ ـ على بن لؤلؤ ، نور الدين الشافعى[١] ، كان عالماً عاملاً متورّعاً لا يأكل إلا من عمل يده ولم يتقلّد وظيفةً قطّ ، وكان ملازماً للإقراء بالجامع الأزهر وغيره وانتفع به الناس ؛ وممّن[٢] أخذ عنه إمام الكاملية ، وله[٣] « مقدمة فى العربية » سهلة المأخذ . مات فى عشر الستين .

١٦ ـ على[٤] بن محمد بن عبد الكريم ، نور الدين الفُوّى ، سمع من الشيخ جمال الدين بن نباتة وأحمد بن يوسف الخِلاطى[٥] وغيرهما وحَدّث بالكثير ، سمعْتُ عليه « السيرة النبوية » لابن هشام ، ونعم الشيخ كان . مات فى خامس ذى الحجة وبلغ الستين[٦].

١٧ ـ فاطمة بنت قَجْقَار زوج الملك الأشرف برسباى وأُمّ[٧] ولده الناصرى محمد ، ماتت ودفنت فى المدرسة التى استجدها [زوجها] بالحريريين[٨] وصلّى عليها إمام باب الستارة

---

(١) الشافعى » غير واردة فى هـ .

(٢) عبارة « وممن أخذ عنه إمام الكاملية » غير واردة فى هـ .

(٣) أى لعلى بن لؤلؤ .

(٤) فى هـ « على بن عبد الكريم » ، وجاء فى هامش ث إشارة فوق كلمة محمد : « ذكره المؤلف فى معجمه ولم يسميه فيحرر الصواب فى أبيه » . وذلك بخط السخاوى .

(٥) الضبط من الدرر الكامنة ٨٤١/١ ، وكان موته سنة ٧٦٧ هـ .

(٦) أضاف البقاعى فى هامش هـ بخطه الترجمة التالية : « فاطمة بنت على بن محمد بن سليمان الشهير السليمى ــ بضم المهملة ــ أم كاتبه إبراهيم البقاعى ، ماتت يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة سبع وعشرين هذه بالقدس الشريف ودفنت فى باب الرحمة بالقرب منه على جنب الطريق من ناحية الوادى ، وكانت صوامة قوامة ، ربما قامت غالب الليل والنهار ، وكثيرا ما كانت تصوم وتفطر على حمص ليس فيه غير الملح ، وكانت هى سبب قراءتى القرآن ، وكانت هى التى تعطى الفقيه الأجرة وكانت سبب اشتغالى بالعلم رحمها الله ، وكانت حجت سنة ست وعشرين فلما قدمت وانصرم الشتاء قالت لى : سافر معى إلى القدس فإنه لا يحل لى السفر إلا بزوج أو محرم وإن لم تسافر معى تزوجت بمن يسافر بى إليه ؛ فسافرت معها فتوفيت به ودفنت كما ذكر . رحمها الله » .

(٧) عبارة « وأم ولده الناصرى محمد » غير واردة فى هـ .

(٨) أشار المقريزى فى الخطط ١٠١/٢ إلى أن هذا السوق بالقاهرة ، وذكر أنه يمتد من باب قيسارية العنبر إلى البندقانيين ، وأنه كان يعرف قديما بسقيفة العداس ثم عمل صاغة القاهرة ، ثم سكن هناك الأساكفة .

وتقدم الشافعي للصلاة عليها والسلطان والأمراء ، وغيرُهم خلفه ؛ وكانت جنازتها حافلة وقُرِئ عليها ليلاً ونهارا ؛ ماتت فى خامس عشر جمادى الآخرة .

١٨ ـ قاسم بن سعد بن محمد الحسبانى ، شرف الدين المعروف بالسَّمَّاق ، ولد سنة ثمانٍ أو تسع وأربعين ، وقرأ الكتب واشتغل قليلاً وتعانى الشهادة ثم صار موقعاً للحكام ، واستنابه ابن حجّى فباشر القضاء ولم يترك الجلوس مع الشهود ، ثم ولى قضاء حمص ، وكان قليل البضاعة كثير الجرأة متساهلاً فى الأحكام . مات فى شعبان[١] .

١٩ ـ محمد[٢] بن أبي بكر بن على بن يوسف الذِّرْوى[٣] الأصل ، الصعيدى ثم المكى المعروف بالمرجانى ، وُلد سنة ستين أو فى التى بعدها بمكة ، وأُسْمِع على العزّ بن جماعة وغيره ، وقرأ فى الفقه والعربية وتصدّى للتدريس والإفادة ، وله نظم حسن ونفاذ فى العربية و حُسنُ عشرة ، ورحل فى طلب الحديث إلى دمشق فسمع من ابن خطيب المِزَّة وابن المحبّ وابن الصيرفى وغيرهم بإفادة الياسوفى وكان يثنى عليه وعلى فضائله ، وحدّث قليلا ، مات فى شهر رجب ؛ وقد سمعْتُ منه قليلاً من حديثه ومن نظمه ، وكانت بيننا مودّة[٤] .

(١) جاء فى ه بعد هذا الترجمة التالية « محمد بن أحمد بن المبارك الحموى بن الخرزى ولد قبل سنة ستين واشتغل على الصدر منصور وغيره من أشياخ الحنفية بدمشق ثم سكن حماة وتحول إلى مصر بعد اللنك وناب عن بعض قضاة الحنفية ثم تحول إلى دمشق ودرس ، وكان مشاركاً فى عدة فنون إلا أن يده فى الفقه ضعيفة ، وكان كثير المرض . مات فى شعبان » .

(٢) ورد فى هامش ه بخط البقاعى ما يلى : « وممن مات فى هذه السنة ظنا ـ كما أخبرنى الجمال بن السابق المذكور ـ محمد بن أحمد الحموى الصوفى حدثنى عنه الفاضل البارع الأوحد جمال الدين محمد بن ناصر بن محمد بن محمد بن محمود بن السابق الحموى الحنفى بن الصوفى : هذا كان رقيق الدين وأنه ولى قضاء الشافعية بحماة مرة وقضاء الحنفية أخرى وكتابة السرمدة ونظر الجيش أخرى ، وأنه فى آخر أمره صار حاله وماله من الرقة كدينه فصار يتعانى الزور فقدم القاهرة مرة ، وقد زور مكتوبا بالملك فى مدينة بهسنا ، وأخذ به مراسيم السلطان وتوجه إليه لذلك ومعه جماعة من ألزامه ، فمرض بينها وبين حلب ، وثقل فى المرض فردوا به فمات فى الطريق وحمل من حلب إلى حماة ، قال الجمال : فحدثنى بعض جماعته قال : كنا كلما حملناه على البغل يقع ، قال : فخرمنا شفتيه وخطناهما . ولما قدم به إلى حماة بات عنده جماعة من القراء يقرءون من أول القرآن فلما أصبحوا دفن . قال ابن السابق : فحدثنى القاضى ناصر الدين محمد بن فرناص المعروف بابن الكاتب أنه كان حاضرا عند دفنه ؛ قال فاعتبرت ما وصل إليه القراء وهو يدلى من قبره فإذا هو « خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم » ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم » إلى آخرها . انتهى .

(٣) الضبط من ترجمة أخته الواردة فى الضوء اللامع ٤٣٣/٧ ، لكن راجع ترجمته فى نفس المرجع ٤٣٤/٧ فهى هناك أكثر تفصيلا عما هى عليه هنا .

(٤) أضاف ابن الصيرفى فى ز بعد هذه الترجمة الترجمتين التاليتين : « محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد ابن سليمان بن جعفر ، البدر المخزومى المالكى الاسكندرانى ، عرف بابن الدماميني . ذكره المؤلف فى التى بعدها » وهذه الإشارة من ابن الصيرفى تشير إلى الترجمة رقم ٢٠ فى السنة التالية من هذا الجزء من الإنباء ، ص ٣٦١ ، ثم ذكر الصيرفى بعد ذلك : « محمد بن حسن بن على الشيخ شمس الدين التيجورى الفقيه الشافعى ، ولد ...... واشتغل ومهر وتقدم فى الفقه وغيره ، وكان له خلوة بالخانقاه الشيخونية وأقام بها مدة ، وسمع الحديث ودرس وأفاد . ذكره المؤلف فى معجمه » .

٢٠ ــ محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح بن أبي بكر بن سعد المقدسى الحنفى ، القاضى شمس الدين الدَّيْرى ، كان أبوه من التجار فوُلد له هذا فى سنة اثنتين أوثلاث وأربعين وسبعمائة ؛ والدِّيْرى نسبة إلى مكان بمرْدَا من جبل نابلس ، وتعانى الفقه والاشتغال بالفنون وعمل المواعيد ، ثم تقدّم فى بلده حتى صار مفتيها والرجوع إليه فيها ، وكانت له أحوال مع الأمراء وغيرهم يقوم فيها عليهم ويأمرهم بكف الظلم واشتهر ذكره ، فلما مات ناصر الدين ابن العديم فى سنة تسع عشرة استدعاه المؤيّد فقرّره فى قضاء الحنفية بالقاهرة ، وكان قدمها مرارا فباشرها بشهامة وصرامة وقوة نفس ، ثم امتزج مع المصريين وساس الناس ، وكان منقاداً لما رام به ابن البارزى ، فلما كملت عمارة المؤيّدية سأل السلطانَ أن يقرّره فى مشيختها فأجابه بعد أن كان عين لها بدرَ الدين ابن الأُقصرائى ، وظَنَّ ابن الديرى أن السلطان لايُخْرِج عنه القضاء فجاءالأَمر بخلاف ظنِّه ، فلما قرره فى المشيخة قال له ــ ونحن[1] نسمع ــ : « الآن استرحنا واسترحت ! » يشير بذلك إلى كثرة الشكاوى من الأُمراء فيه . وقرّر فى قضاء الحنفية زين الدين التفهنى .

وكان ابن الديرى كثير الازدراء بأهل عصره ، لا يظن أن أحداً منهم يعرف شيئاً ، مع دعوى عريضة وشدةِ إعجاب ، يكاد يقضى المجالس بالثناء على نفسه مع شدة التعصّب لمذهبه والحطّ على مذهب غيره . سامحه الله تعالى .

مات فى سابع ذى الحجة ببيت المقدس ، وكان تأسف على فراقه[2] ويقول : « سكنته أكثر من خمسين سنة ثم أموت فى غيره ! » فقدِّرت وفاته به .

وذكر العينى فى تاريخه أنه زاد على التسعين وليس كما[3] قال ، فإنه كان يقول إن مولده سنة خمس وأربعين، فسألْتهُ عن سبب اختلاف قوله فذكر أنه لايحققه وإنما يجيب بطريق الظن ، والذى صدّرت به الكلام هو الذى حصل من الاستقراء من مجموع

---

(١) هذا يعنى أن ابن حجر كان حاضرا هذا المجلس .

(٢) أى على فراق بيت المقدس .

(٣) جاء فى هامش ث : « رأيت العينى فى تاريخه قال إنه يقارب التسعين ، قال : وكان عالما فاضلا رأسا فى مذهبه ، متخلقا بأخلاق أهل التصوف ، أدرك علماء كثيرة فى مصر والشام وبيت المقدس وعاشر علماء كثيرين وذلك لأن بيت المقدس كان محط العلماء والصلحاء » .

كلامه ؛ واستقر ولده سعد الدين فى مشيخة المدرسة المؤيّدية وخلع عليه فى الرابع والعشرين من ذى الحجة [١].

٢١ ــ يعقوب[٢] بن جلال ، واسمه رسولا بن أحمد بن يوسف ، ويُسمى أيضا « أحمد » الرومى التبّانى الحنفى ، الشيخ شرف الدين ، وُلد سنة[٣] ستين تقريباً وتفقه على أبيه وغيره ، ومهر فى العربية وأحبّ الحديث ، وشرع فى « شرح المشارق » وكان يستحضر كثيراً من فروع الحنفية مع[٤] براعةٍ فى العربية والمعانى والبيان والعقليات ؛ مع بشاشة الوجه وطلاقة اللسان وكرم النفس والسخاوة ، [وكان] جوادا ؛ وكان أول ما ولى التدريس والخطابة والإمامة بمدرسة أُلْجاى[٥] فى حدود سنة تسعين ، وولى مشيخة تربة قجَا السلحدار ، وولى مشيخة قوصوق مدة ثم رغب عنها ، وولى نظر القدس بعناية أيتمش ثم صرف عنه[٦] ؛

وولى فى سلطنة المؤيّد مشيخةَ الشيخونية ، ونظر الكسوة ، ووكالة بيت المال ، ثم صُرف عن الكسوة وحصلت له جائحةٌ مع الدويدار بسببها فصُرف عنها واستمرّ فى الوكالة وفى الشيخونية حتى مات فجأة ، وجرت له خطوب مع الناصر فرج واتّصل بالمؤيّد فعظم قدره ولو كان يصون نفسه ما تقدّمه أحد ورقت حاله بعد المؤيّد جدا . مات فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر واستقرّ بعده فى وكالة بيت المال نور الدين الصفطى شاهدُ الأمير الكبير ، واستقر فى الشيخونية بعده الشيخ سراجُ الدين قارئُ الهداية ، وذكر العينى أنه عاش زيادة على سبعين سنة ، والله أعلم[٧] .

---

(١) وردت فى ز بعد هذا الترجمة التالية : « محمد الغمارى : كان معتقدا . مات فى هذه السنة وصلى عليه جمع كبير . قاله المصنف فى بعض مجاميعه » .

(٢) ورد اسمه فى هـ هكذا : « يعقوب بن جلال واسمه رسولا ويسمى أيضا أحمد الرومى » .

(٣) أنظر الضوء اللامع ١٠/١١٠٩ .

(٤) عبارة « مع براعة فى العربية والمعانى والبيان والعقليات » غير واردة فى هـ .

(٥) أشار المقريزى فى الخطط ٢/٣٩٨ إلى هذه المدرسة فذكر أنها خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، وهى من إنشاء الأمير ألجاى اليوسفى سنة ٧٦٨ هـ ، وجعل بها درسين أحدهما للشافعية وثانيهما للحنفية ، راجع عن المدرسة وصاحبها أيضا إنباء الغمر ١/٥٦ – ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ .

(٦) أى عن نظر القدس .

(٧) وردت الترجمة التالية بعد هذا فى ز : « أبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد بن أبى الفضل بن أحمد بن محمد النويرى الشافعى المكى ، الخطيب الدين بن كمال الدين بن قاضى مكة محب الدين محمد بن قاضى مكة أبى الفضل والد الخطيب أبى الفضل ، مات فى ربيع الآخر بمكة ، أرخه المؤلف فى بعض مجاميعه فى ثانى عشرى ربيع الأول عن ثلاثين سنة ، ووصفه بخطيب مكة ومحتسبها ، قال : وفيها مات ابنه وأمه وابن عم أبيه أحمد بن على بن أحمد النويرى ، إمام مقام المالكية » .

« سنة ثمان وعشرين وثمانمائة »

فى ثامن المحرّم حضر المبشر بالصالحية وذكر أنه تَعوّق بسبب مِقبل ، وكان مِقبل قد فرّ من القاهرة فصار ينزل فى طريق الحاجّ وربما حصَل مِمّن يصْحُبه لمن يمرّ به أذى ، وتأخرّ قدوم الحاج عن العادة يومين ، تقدم الأول فى الرابع والعشرين والمحملُ فى الخامس والعشرين ، وذكروا أنهم تأخروا بمنىً يوماً من أجْل بُهَار السلطان ، وتأخروا فى وادى مرّوا يوما آخر بسبب حسن بن عجلان لأنه أُشيع أنه يدخل مكة إذا خرج الحاج ، فأقام أمير الحاج ومن معه من الجند يوما حتى تحقّقوا عدم صحة ذلك .

وفى الرابع عشر منه حضر يوسف بن قطب الدين الحنفى من حلب وأظهر الازدراء بعلماء الحنفية وأنّه ليس فيهم مثلُه ، فأمر السلطان بجمع فضلاء الحنفية فحضروا مجلسه ، وأُحْضِرت فتاوى كُتِبت من نسخةٍ واحدة ، فدفع للشيخ نظام الدين يحيى شيخ الظاهرية واحدة ، وللشيخ بدر الدين العينتابى واحدة ، وللشيّخ سراج الدّين قارئ الهداية ــ وهو يومئذ شيخ الشيخونية ــ واحدة ، ولصدر الدين بن العجمى واحدة ، وللشيخ سعد الدين بن الدَّيْرى ــ شيخ المؤيدية وكان استقر فيها بعد موت أبيه ــ واحدة ــ وللشيخ يوسف واحدة ، وأمر أن يكتبوا عليها منفردين ، فأجابوا إلى ذلك إلا يوسف فقال : « أنا لا اكتب إلاّ بمنزلى » فسجّلوا عليه العجز وكتبوا كلهم غيره .

ودَفع السلطان لقاضى الحنفية زين الدين التفهنى الفتاوى لينظر مَن أصاب منهم مِمّن أخطأ ، وانفصل الأمر على ذلك .

وفى يوم الجمعة سادس عشر المحرم وصل طُوخ الذى كان توَجّه أميراً على العسكر المجهز إلى مكة فى العام الماضى نجدةً لقرقماس وعلى بن عنان ، فأخبر أن الركبَ تأخر خروجُهم من مكّة يومين بسبب أن التجار سألوا أميرَ الركب أن يتأخرّ ففعل ، وتوجّه مَن فى الركب الأول والثانى مع قُرْقُمَاس فأوقعوا بابن حسن بن عجلان ، وجُرح من الطائفتين جماعة وانهزم ابن حسن .

وفيها سارت الهدية من مصر الى بلاد العجم لملكها شاه رخ بن اللنك ، وكان أرسل يسأل أن يؤذن له فى كسوة الكعبة من داخل البيت ، فكُتِبَتْ أجوبته .

وفى ربيع الأول جهز السلطان إلى مكة عسكرا .

وفيه أرسل الشيخ محمد بن قُدَيْدَار[1] ولده إلى صاحب قبرص يسأله أن يُطْلِق من عنده مِن أَسْرى المسلمين ليسعى له فى التمكين فى زيارة القمامة ، فعُوِّق ولده فضَجَّ الشيخ من ذلك ، وكان من غزو المسلمين قبرص ما سيأتى ذكره .

وكمل الغراب الذى أنشأه السلطان لغزو الفرنج وأُنزل البحر ، وكان يوماً مشهودا .

وفيه وصل رسل قرايلك من التركمان .

وفى سابع عشر ربيع الآخر قدم نائب الشام فخُلع عليه وأُعيد إلى إمرته على عادته ، وشفَعَ[2] فى طَرَابَاى أن يُطلَق من سجن الإسكندرية إلى دمياط ، فأُجيب إلى ذلك .

ووقع فى العشر الأخير من أمشير حرٌّ شديدٌ حتى نزَع الناسُ الفراء والجوخَ وظنوا أن الشتاء انقضى ، فلم يكن إلاَّ خَمْسُ ليالٍ حتى عاد البرد الشديد كما كان .

وفى هذا الشهر أَوقع قُرْقمَاس[3] — أمير الحجاز — بأهل الطائف لأنهم قطعوا الميرة عن مكة فأذعنوا[4] له ، وحصل بمكة أمنٌ ورخاءُ زائد .

وفيه توجَّه الشيخ شمس الدين بن الجزْرِى إلى بلاد اليمن ، فأكرمه ملكها وسمَع عليه الحديث وأنعم عليه بمالٍ ، وأطلق كثيرا من تجارته بغير مكسها ، ورَجع فى البحر كما سافر منه ، وعجب الناس من شدّة حرصه مع كثرة مالِه وعُلُوّ سِنِّه .

---

(١) كان الشيخ محمد بن قد يدار أحد من يعتقد فى مصر كما ذكرت النجوم ١٢٧/٦ ، على أنه لم يرد لهذا الخبر — الوارد فى المتن أعلاه — ذكر فى النجوم .

(٢) أوردت النجوم الزاهرة ٥٨٤/٦ خبر مقدم سودون من عبد الرحمن نائب الشام إلى القاهرة فى ١٧ ربيع الآخر ، لكن لم ترد أية إشارة إلى شفاعته لطرابای عند السلطان .

(٣) المقصود بذلك قرقاس الشعبانى الناصرى المسمى أهرام ضاغ ، وكان قد أقام بمكة نحو السنتين شريكا لأميرها ، واستطاع فى هذه المدة إقرار أمورها والقضاء على تحركات عبيد مكة ومفسديها ، غير أن عودته هذه كانت فى أواخر شهر المحرم كما جاء فى النجوم الزاهرة ٥٩٥/٦ .

(٤) فى ه « فا ذعنوا له » .

وفى سابع عشر ربيع الآخر شكى نائبُ الشام إلى السلطان من حسين كاتب السر ففوض أمر ولايته وعزله له .

وفى جمادى الأولى وقع بدمياط حريق عظيم حتى يقال احترق قَدْرُ ثلثها ، وهلك من الدوابّ والنّاس والأطفال شئٌ كثير .

وفى جمادى الأولى كملت مدرسةُ السلطان التى أنشأها بجوار الخانقاه السِرْيَاقُوسِيّة الناصرية ، وقرّر فيها[1] شيخاً وصوفيةً .

وفى العاشر منه استقر بدر الدين بن نصر الله فى الأُستدارية عوضاً عن ولده صلاح الدين بحكم استعفائه ، وبعد يومين استقر كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين المعروف بابن كاتب جَكَم فى وظيفة نظر الخاص عوضاً عن ابن نصر الله المذكور ، فحصَل لابن نصر الله بذلك مشقة عظيمة ، فباشر الأستادرية بمفردها إلى ثامن شعبان فأُمسك هو وولده ، واستقر فى الأُستادارية زين الدين عبدالقادر بن أبى الفرج وهو شاب أمرد .

وفى جمادى الآخرة ــ والشمسُ فى برج الثور فى خامس بشنس من الأشهر القبطية ــ أمطرت[2] السماء مطراً غزيراً جدا . ، ثم فى الثامن عشر منه ــ قُرْب نَقْلِ الشمس إلى الجوزاء ــ أمطرت السماء مطراً غزيراً عقب ريح شديدةٍ هبّتْ ليلا . وكان الورد فى هذه السنة قليلاً جدا .

وفى عاشره قُبض على نجم الدين بن حجى كاتب السر وعُوِّق فى البرج بالقلعة ثم نفى إلى الشام ، ووكل به شرطى معه سلسلة من حديد وأُهين جدا ، وأُلزم المُوَكَّلُ به أن يُنادِى عليه فى كل بلدٍ دَخَله ، فإذا وصلا دمشق نودى عليه : « من كانت له ظلامة فليطْلُبْه » ، وأُحيط بداره وحُمل جميع ما فيها ، فلما وصل غزة وافاه كتاب السلطان بإطلاقه وإكرامه وإيصاله إلى دمشق وإقامته بها بطَّالاً ، وكان السبب فى ذلك أنه باشر كتابة

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « أى بمدينة الخانكة وليس فيها صوفية وإنما هو جامع فيه قراء فى الشبابيك عقب كل صلاة ، على أنى أظن أن هذا الكلام عن مدرسته التى بالقاهرة ، وأما التى بالخانكة فما كملت إلا فى حدود سنة ثمان وثلاثين أو سنة أربعين ، بل مات وفيه عوز » .

(٢) وذلك فى ١١ جمادى الآخرة إذ كان أوله يوافق الخامس والعشرين من برمودة سنة ١١٤١ ، راجع التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٤ .

السر بغير مخبرةٍ باصطلاح الوظيفة ، وسلك مع المصريين طريقته فى حدّة الخلق والبادرة الصعبة ، مع الإقبال على اللهو فى الباطن فيما يقال ، ثم إنه كان أُلزم بعشرة آلاف دينار فَحَمل منها خمسةً فطولب بالخمسةِ الأخرى ولُوزم بالمطالبة ، فضجَّ من ذلك وكتب ورقةً للسلطان يذكر فيها أنه منذ ولى السلطنة غَرم كذا وكذا ألف دينار ، وفَصَّلها ، من جملتها للمباشرين : لفلان كذا وفلان كذا ولمن لا يُسمِى كذا - ورمز إلى جَانِبكْ الدويدار - فبلغ ذلك من نَسب إليهم الأَخْذ منه فحنقوا منه وأمالوا عليه جَانِبكْ وهو شابٌّ حادُّ الخُلق قوىّ النفس كثيرُ الإدلال على مخدومه ، فشكا من كاتب السر للسلطان والتمس منه أن يمكنه منه فأذن له ، فأخرجه على الصّورة المذكورة ، ثم قام ناظر الجيش عليه حتى هَدَّأَ خلقه ورجّعه عما كان أمر به من المبالغة فى إهانته ورآى أن المقصود قد حصل بزيادة ، ورجح الجميل عليه بتخليصه من الشدة المذكورة ، والتزم عنه بمالٍ يحمله إذا وصل دمشق ففعل ذلك ، ودخل دمشق ولزم بيته بطالاً وجَفاه أكثر الناس إلى أن كان فى السنة المقبلة منه ما يأتى ذكره .

ومن الاتفاق العجيب أنه طلب بطريك اليعاقبه فراجعه فى شيء خاطبه به فأغضبه فأمر بضرْبه ، فضُرب على رجليه نحو أربعمائة عصىً ، فاغتاظ القبط لذلك وبالغوا فى التأليب على ابن حجى إلى أن اتفق له ما ذكر .

واستقرّ فى كتابة السر بعده ، بدر الدين محمدُ بنُ بدر الدين محمد بن مُزْهر الدمشقى ، وكان قدم مع المؤيد أحدَ الموقعين واستقرَّ فى نظر الإسطبل وتقدّم وصار أحدَ الرؤساء فى دولة المؤيد ، ولكن لايرفع رأسه مع وجود البارزى ، فلما مات استقر نائبَ كاتب السر وكبير الموقعين وصار يُصَرِّف أكثر الأمور فى مباشرة كمال الدين ولد البارزى ، ثم لما استقر علمُ الدين بنُ الكُوَيْز فى كتابةِ السر كان هو القائم بأكثر الأمور وسمّاهُ السلطانُ « خليفة كاتب السر » وراج عليه وعرف أخلاقه وتمكن منه إلى أن تقرر فى كتابة السر بعد كائنة ابن حجّى فى الثامن عشر من جمادى الآخرة فباشرها أربع سنين متوالية .

وفى ثانى عشر رجب قرئ تقليده بالمدرسة الأشرفية فوَقع من علاء الدين ابن الرّومى

شيخِها أساءةُ أدبٍ فى حق القاضى الحنفى فعزَّره بالكلام وأقامه من المجلس ، ثم شكا الحنفى لمن حَضر من المباشرين فبلَّغوا الأمر للسلطان فأَمر بإخراجه من المدرسة فكشف الحنفى رأْسه ، ثم أَصلح بينهما ناظرُ الجيش ، وصَرف رأْىَ السلطان عن عزْله بعد أن كان أمر بتقرير الشيخ سراج الدين قارئ الهداية مكانه ، واشترط عليه لزوم الأَدب فى البحث وترك البحث بعده [1] .

وفى الثانى من شهر رجب صُرف الهروى عن قضاء الشافعية وتقرر[2] كاتبه ، [ولقد] قرأْت بخط قاضى الحنابلة محب الدين : « كان يوما مشهداً وحصل للناس سروران عظيمان، أحدهما بولايته لأَن محبته معروفة فى قلوب الناس، والثانى بعزل الهروى فإنَّ القلوب كانت اتفقت على بغضه لإساءته فى ولايته وارتكابه الأمور الذميمة ، وفى الثامن من رجب توجه القاضى المستقرّ إلى مصر فى موكب عظيم ومعه من القضاة ونوابهم والفقهاء من لا يكاد يحصر ، وكان يوما مشهوداً » ، انتهى ما نقلته من خطه .

ورحل الهروى من القاهرة خِفْيَةً من شدة مطالبات الناس له وذلك فى التاسع عشر منه .

* * *

وفى رجب هيَّأَ الأَشرف العسكر الذى ندبه لغزو الفرنج ــ وأَميرهم جِرباش الحاجب الكبير ــ وأَنْفق فيهم ، وعَيَّن لذلك جماعةً من الأمراء ، وسافروا فى شهر رمضان فوصلوا إلى ساحل المَاغُوصة فى سادس عشرى شهر رمضان ، فسمع بهم صاحبها فبذل لهم الطاعة وجهَّز لهم الأَموال ودلَّهم على عورات صاحب جزيرة قبرص فأَقاموا ثلاثة أَيام ، ثم توجهوا إلى جزيرةٍ فى البحر فيها الماء الحلو فتزوّدوا منها ، ووقع لهم بعض الفرنج فى البحر فقاتلوهم إلى أن فرّ الفرنجُ ورجع المسلمون إلى أماكنهم ، ثم التقوا فى البرّ فانكسر المشركون أيضا

---

(١) فراغ فى بعض النسخ ، وفى هامش ه « الهروى » .

(٢) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « تقدم أن المصنف ولى القضاء فى محرم سنة سبع وعشرين فليت شعرى متى عزل وولى الهروى حتى عزل به الهروى فى هذا الحد قد تقدم عزله قبل بأربع ورقات ما عرفه لا » ، ثم جاء بخط آخر يخالف خط البقاعى : « . . . فإن [المصنف] تولى فى محرم سنة ٣٧ وعزل فى ذى القعدة بالهروى ثم عزل الهروى فى سنة ٣٨ ومات فى . . . »

وغنموا منهم ، وكان غالبُ العسكر مع ذلك مقيماً فى المراكب خشية أن يكيدهم الفرنج بأن يتملّكوا عليهم البحر ، ثم بلغهم أن صاحب قبرص تجهز لهم فى جمعٍ كبيرٍ فتوجهوا فى المراكب إلى جهة طرابلس فرمتهم الريح إلى ألطينة مقابل دمياط وكاتبوا السلطان بذلك فأذن لهم فى دخول دمياط فدخلوها فى شوّال ، ثم أذن لهم فى دخول القاهرة فدخلوها ومعهم عدةٌ من السَّبْى نحو الألف رأس ، فتسلم السلطان جميع الغنيمة وفرّق فى الجيش مالاً مِن عنده ، وشاع الخبر أن صاحب قبرص كاتَبَ نائبَ الشام فى طَلب الصّلح ، وكان ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

* * *

ذكر غزاة قبرص الأولى سنة ثمان وعشرين

تقدم فى الحوادث سنة سبعٍ وعشرين ما وقع من الوقعة بين المسلمين وبين الفرنج فى ساحل اللَّمْسون[١] المتصل بجزيرة قبرص ، فلما رجعوا بالغنيمة والأَسرى أمر الأشرف بتجهيز الأَغربة والاستكثار منها فَجَدَّ فى ذلك وأرسل إلى طرابلس والاسكندرية ودمياط وبيروت ، وأمر بتركيز الجند فى السّواحل حفظاً له من عادية الفرنج ، فاتّفق أنَّ جَانُوس – صاحب قبرص – جهّز غرابا وسَلّورة وشحنهما بالرجال والعدد وأمرهم بتتبع السواحل ونَهْب ما استطاعوا وإفساد ما قدروا عليه ، فلم يبلغوا من ذلك غرضاً لحفظها بالجند ، فاتّفق أنهم احتاجوا إلى الماء فانتهوا إلى مكان يقال له « نهر الكلب » فلما رآهم الحرس كمنوا لهم ، فلما لم يروا أحداً دخلت السلُّورة النهر وهو ضيق فخرج عليهم الكمين فأحرقوها وأسروا من فيها ورجع مَن فى الغراب إلى قبرص .

ولما تكاملت العمارة جهّز الأَشرفُ الجندَ وتوجه صحبتهم من المطوعة عدد كثير ، وركب[٢] إلى الساحل فعرض الجميع وسافروا إلى دمياط ، وكان جانوس جهز أميرا يقال له « باله » فى تسعة أغربة ، فوقف على فوهة دمياط يمنع أغربة المسلمين من الدخول فى البحر الملح ، فوقف هناك فصادف مجىء العمارة من الإسكندرية فقصدوهم فانهزموا منهم بغير قتال ، وسافر الجميع من فم دمياط إلى طرابلس وانضمّ إليهم المراكب المجهزة منها ومن بيروت ، واجتمع

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « الذى تقدم أنهم نازلوا الماغوصة ولم يجىء لساحل اللمسون ذكر » .

(٢) يقصد بذلك السلطان برسباى .

فيها من الأمراء والجند والمطوّعة ومن العشير والزعر عدد كثير ، ثم راسل كبيرهُم – وهو جِرْبَاش الكَريمى – جَانُوسَ فى الدخول فى الطاعة فامتنع ، فسافروا إلى جهته فوصلوا إلى الماغُوصَة ، فطلع الخيالةُ وأكثر المُشاة وضربوا خيامهم بالبر ، فحضر رسولٌ من صاحب الماغوصة ومعه ضيافةٌ وقال إنه فى الطاعة ، فأعطوه أمانا وركبوا فى الحال ، فداسوا من قدروا عليه وأوسعوهم تخريباً وتحريقاً وكان ذلك فى رمضان ، وأوقع[1] الله الرعب فى قلوب الذين كفروا حتى كان الثلاثة من المسلمين يدخلون الضيعة وفيها ما بين المائة والخمسين فلا يمتنع عليهم أحد .

ثم صادفهم أخو جانوس فى ألف فارس وثلاثةِ آلاف رجال غير الكمناء ، ثم إنه قُذف فى قلبه الرعب فرجَع بمن معه ، ولما تمّت لهم فى الماغوصة أربعة أيام وقد أوسعوها نهباً وأسراً[2] قصدوا « الملاَّحة » وأحرقوا ما مروا عليه إلى مكانٍ يقال له « رأس العجوز » ، فوجدوا هناك أميرا فأسروا مَن معه وقتلوه ، ثم صادفوا تسعة أغربة وقرقورة مشحونةً مقاتلة ، فلاقاهم المسلمون فانكسر للنصارى زورقٌ وفَرَّ منَ فيه إلى البر فأسرهم المسلمون .

وكان من تدبير صاحب قبرص أنه أرسل أخاه فى الجبال وأرسل المقاتلة فى البحر ، فرجع أخوه بغير قتال وهزم الله أهل البحر ، ووصلوا إلى الملاَّحة وضربوا خيامهم بها وشنّوا الغارة فى الضياع ، وقتلوا الذى كان أميراً على الملاحة ، ويقال إنه كان شديداً على أسرى المسلمين ، وكان يقال له « عين الغزال » . –

وكان جانوس أمدّه بأربعة أحمال زَرْدْخاناة على عَجَل ، فأحاط بها المسلمون ، ثم جمعوا الغنائم والأسرى ورجعوا إلى المراكب إلى أن وصلوا إلى اللِّمْسُون فحاصروا الحصنَ الذى هناك فأخذوه عنوةً وملأوا أيديهم من الغنائم والأسرى وأحرقوا الحصن ، وكان ذلك فى يوم الخميس مستهل شوال .

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله » سورة آل عمران ٣ : ١٥١ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « تقدم أنهم أعطوا أهلها أمانا » انظر أعلاه ، س ٣ – ٤ .

وجهّز الأَميرُ جِرْباشُ مبشراً بالفتح ، ويقال إن جملة مَن قُتِل فى مدة نصف شهر من الفرنج خمسة آلاف ولم يُقْتَل من المسلمين فى هذه الغزاة إلا ثلاثة عشر نفسا ، وكان طلوعهم إلى القلعة بالأَسرى والغنائم يوما مشهوداً ، وكان فى بقية شوال منها .

* * *

وفى رجب قدم مِقبل الحسنى الذى كان أميراً لينبع بخديعةٍ من صديقه فخر الدين التبريزى التاجر فلم يزل به حتى قدم معه إلى القاهرة بعد أن توثق له بالأَمان ، فأَمر السلطان بحبسه فسُجن غَيْرَ مُضَيَّقٍ عليه .

وفى السابع عشر من شعبان زُلزلت الأَرض بمصر والقاهرة قدر درجتين ، وكان أمرا مهولاً ، إلا أنه لم يقع بها هدمُ شىءٍ من الأَماكن إلا اليسير ، فنسأَل الله العفو والعافية .

وفى سابع عشرى ذو القعدة نودى على الفلوس بأَن يكون كل رطل منها بإثنى عشر درهماً ، وكانت قد قلّت جدا بحيث صار الشخص يشترى من الدرهم الفضة رغيفاً فلا يجد الخباز ما يكمل له حقه من الفلوس .

وكان السبب فى ذلك أنه اجتمع عند السلطان منها مقدار كبير ، فشاع بين الناس أنه ينادى عليها بزيادةٍ فى سعرها فأَمسك أكثر الناس عن إخراجها ، فمَن عنده شى منها رجا الربح فعزّت بسبب ذلك ، فلما نودى عليها سكنت نفوسهم وأَخرجوها فكثرت فى الأَيدى .

وفى أَواخر ذى القعدة وصل يَشْبُك الجركسى ، وكان جُلب من بلاد الجركس فأَخذه الفرنج فأَقام عندهم وتعلم ما يصنعه البهلوان ، فدخل القاهرة فأوصلوه إلى السلطان فأَسلم ورُتِّب فى طبقة المماليك ، ثم أَراد أَن يُرى السلطان شيئا من فنّه فنصَب حبلاً على رأْس مئذنة حسن وطرفه على رأْس الأَشرفية ، فمشى عليه ورمى بالمكحلة وهو فوقه ، وأَوتر قَوْس الرجل ورمى به ، ولما فرغ خلع عليه السلطان وأَركبه فرساً وأَنعم عليه الأمراء بجملة دراهم .

ولما صُرف جمال الدين الكركى من كتابة السر بمصر قُرر فى نظر الجيش بدمشق بعده مدة ، وذلك فى أَواخر رمضان ، وكان حسين جمع بين وظيفتى : كتابةِ السر ونظر الجيش بعناية أُزْبُك الدويدار فصُرف من نظار الجيش .

وفى ذى القعدة عُزل أُزدمر جاية عن الإمرة وأُمر بلزوم منزله ، ثم بشَّره ياقوت المقدم الحبشى بالرضى عنه فخُلع عليه كامليّة بسمور وأُمر بأَن يخرج مع كاشف الصعيد لقتال العرب به .

* * *

وفى رمضان ادُّعِىَ على الشيخ شمس الدين بن الشيخ سراج الدين عمر الميْمونى ــ وكان أَبوه من أَعيان الطلبة الشافعية ــ عند شيخنا سراج الدين البلقينى وغيره وكان نقيب درس الخشَّابية ، ونشأَ ولده هذا طالباً للعلم فمات أَبوه وهو صغير ، فتعانى طريقة الفقراء وأَقام فى زاويةٍ ونصب له خادما فبقى مدة ثم ترك ، وواظب الحج فى كل سنة ، وكان كثير التلاوة جدا ، فاتفق أنه ذَكر لبعض الناس أنه رآى القاضى زين الدين التفهنى فى المنام فى حالة ــ ذكرها ــ سيئة جدا ، فادُّعِىَ عليه أَنه قال : « قد أَباح لى سيدى اللواط والخمر والحشيش والفطر فى رمضان » إلى أَشياء من هذا الجنس فأَنكر ، فشَهد عليه جماعةٌ وثبت ذلك عند ابن الطرابلسى نائب الحنفى ، ثم استفتى علماءهم فأَفتوه بأَنَّ ذلك زندقة ، فاتفق أَن الحنفى ذكر ذلك للسلطان واستأْذنه فى إمضاء الحكم عليه فأَمر بإحضاره .

فلما كان يوم الاثنين سادس شوال أُحضر إلى القصر وفى رقبته سلسلة فسلم ثم قال : « يا عبد الرحمن اتق الله » يخاطب القاضى التفهنى فغضب وقال : « حكمت بزندقتك وسفك دمك » وقال للحنبلى : « نفذ لى » فقال : « حتى ينفذ الشافعى » فامتنع ، فسأَلنى السلطان فقلت : « وقعت عندى ريبةٌ تَمْنَعُ من تنفيذ هذا الحكم ، فإنى أَعرف هذا الرجل وقد ذُكر لى أن فى عقله خللا ، والقاضى سارع فيه بالحكم فى حال غضبه » وتعصّب العينى للميمونى وأَحضر النقل بأَن الزنديق إنما يقتل عندهم إذا كان داعية ، وطال البحث فى ذلك ، وقام الحنفى ليقتله وأَرسل إلى الوالى فأَشار عليه بعض أَلزامه بالتأَنى فى أَمره ، ثم عُقد مجلسٌ حافلٌ بسببه ، وتعصّب أَكثر الجند وأَكثر المباشرين عليه تبعا للتفهنى ولم يبق معه سوى خُشْقَدم الخزندار وللسلطان إليه ميل ، فطال النزاع فى أَمره ، فاتفق أَن قال فى جملة ما خاطب به التفهنى : « يا سيدنا قاضى القضاة أَتوب إلى الله من رؤيا المنامات من اليوم ! » فازداد حنقه منه ، وكايده العينى فتعصّب له ثم اتفق الحالُ على حبسه .

فلما كان فى أول ذى القعدة اجتمع الحنفى بالسلطان وقرر معه أن يُنْفَى إلى بعض البلاد الحلبية ، ثم أرسلَ ناظرُ الجيش فى خامس ذى القعدة إلى التفهنى وكَاتِبِه فأصلح بينهما وأرسل لكل منهما بغلة .

* * *

وفى الثانى من ربيع الأول قُرر جمال الدين يوسف السَّمَرْقَنْدى فى قضاء حلب عوضاً عن شمس الدين بن أمين الدولة بحكم عزله ، وكان هذا قدم فى آخر دولة المؤيد فاعتنى به الظاهر ططر وهو أمير وأعانه على الحج وقرّره فى عدة وظائف بحلب ، فتوجه إليها وباشرها إلى أن وقع بينه وبين القاضى المذكور ، فَرَتَّب عليه من يشهد عليه بما صدر منه وذلك بالمدرسة السَّاذجية بسوق النشاب ، ففرّ خفية منها فقدم القاهرة فشكا حالَه للسلطان . فعزل القاضى وقرّره مكانه ، فلما بلغ القاضىَ ذلك وصل إلى القاهرة فقام معه بعضُ الرؤساء فما أفاد وأمر بَعْودِهِ إلى حلب بطالا .

وفى سابع ذى الحجة ثار جماعةٌ على المحتسب وهو القاضى بدر الدين العينى بسبب إهمالِ أمر الباعة وشدّة غلاء الخبز مع رُخص القمح ، ووقفوا للسلطان فلم يأْخُذ لهم بيد بل ضرب جماعةً منهم وهدّد جماعةً وحبس نحو العشرة ، فعُدم الخبز من الحوانيت وتزاحموا على الأفران ، ثم تراجع الحال وكثر الخبز مع زيادة السعر فى الشعير والقمح والفول . وكان ما سيأْتى ذكره فى أول السنة .

وفى الثالث والعشرين من ذى الحجة وصل المبشر من الحجاج وأخبروا بالرّخاء الكثير فى الحجاز ، وأنّه نودى بمكّة أن لا يباع البهار إلاّ على تُجّار مصر ، وأن لا يكون البهار إلا بهاراً واحداً ، وأخبر بأن الوقفة كانت يوم الاثنين وكانت بالقاهرة يوم الأحد ، فتغيظ السلطان ظنا منه أن ذلك من تقصيرٍ فى ترائى الهلال ، فعرَّفه بعض الناس أن ذلك يقع كثيرا بسبب اختلاف المطالع ، وبلغنى أن العينى شنّع على القضاة بذلك السّبب ، فلما اجتمعنا عَرَّفْت السلطان أن الذى وقع يقدح فى عمل المكيين عند من لا يرى باختلاف المطالع حتى لو كان ذلك فى رمضان للزم المكيّين قضاء يوم . فلما لم يفهم المراد سكن جأْشه .

* * *

وفى هذه السنة كانت وقعة الفار[1] باللجون من طريق الشام ، وكان قد كثرت فراخه حتى شاهد بعض الناس كثيرا منها يخرج بأولادها الصغار فيتركونها عند البيوت ويأتونها بالقمح فى سنبلة ، فيدخله الأولاد فى البيوت، ومن رجع فوجد شيئاً من القمح لم يحول إلى البيت ضرب ولده الضرب المبرح ، وتسلط الفار على زروع الناس وتضرروا من ذلك ضرراً كثير . قرأت ذلك بخط قاضى الحنابلة محب الدين .

ثم عقب ذلك أن وقع بين الفيران مقتلة عظيمة وشاهد الناس منها جملة عظيمة ، بعضها مقطوع الرأس وبعضها مقطوع الرّجل ، وبعضها مقطوع اليد ، ومنها المُوَسّط ، وصار منها أكوامٌ كثيرة[2].

* * *

وفى شعبان ارتفع سعر الغلة فوصل الفول إلى مائتين ، والشعيرُ إلى مائةٍ وخمسين ، ثم ازداد السعر فى ذى القعدة ووصل الفول إلى ثلاثمائة وكذلك القمح ، ثم تراجع القمحُ إلى مائتين وخمسين .

وفى آخرها ماتت زوجةُ السلطان — وكانت إبنة عمه — بوادى الصفرا وكانت حاملا، فوضعت وماتت فى نفاسها ، فبلغ السلطان فحزن عليها كثيرا .

* * *

---

(١) أمامها فى هامش ه : « ذكر المفسرون فى تفسير سيل البحر الغزير ونقب سد سبأ أن العرم الجرد ذكر الفئران، وقيل هو ضرب من الفأر عظيم ، وقيل بعث الله جردا يسمى الخلد ، والخلد الفأر الأعمى ، فنقب السد من أسفله فأغرق الله به جناتهم وخرب به أرضهم وزروعهم » .

(٢) فى هامش ه بخط غير خطى الناسخ والبقاعى : « ذكر اليعقوبى فى تفسير سورة البقرة فى قصة التابوت الذى حملته الملائكة أن الذين سبوه أنوا به قرية من قرى فلسطين وحصاره فى بيت صنم ووضعوه تحت الصنم الأعظم ، فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه، وسمروا قدم الصنم على التابوت ، فأصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأخرجوه إلى بيت الصنم ووضعوه فى ناحية من مدينتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فأخرجوه إلى قرية أخرى فأرسل الله على أهل تلك القرية فأراً عظيما تبيت الفأرة الرجل فيصبح ميتا قد أكلت ما فى جوفه وأهلكت زروعهم فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه فى فحراة لهم ، فكان كل من تبرز هنا أخذه الناسور والقولنج . نسأل الله العافية » .

ذكر من مات فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن أبى بكر بن على بن عبد الله بن بوافى[١] بن يحيى بن محمد بن صالح الأسدى العبشمى[٢] ، الشيخ شهاب الدين الشهير جدّه بالطَّواشى ، وُلد بعد الستين ،[٣] وأُحضِر فى الثالثة على ابنِ جماعة وأُسْمِع على القُروى[٤] والضياء الهندى ، وأجاز له الكمالُ ابن حبيب ومحمدُ بن جابر وأبو جعفر الرُّعَيْنى وأبو الفضل النويرى والزَّرَنْدِى والأُمْيُوطى وغيرهم ، وكان خيّراً ديّنا منقطعاً عن الناس . مات يوم الجمعة سابع عشر شعبان بمكة وصُلى عليه بعد الصلاة[٥] ، وشيعه جمع كثيرٌ منهم أمير مكة علىّ بن عنان[٦].

٢ ـ أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن الفصيح ، الكوفى الأصل ثم البغدادى ثم الدمشقى ، شهاب الدين نزيل القاهرة ، كان جدّه من أهل العلم والطلب للحديث ، وحدّث أبوه[٧] « بالسنن الكبرى » للنسائى وتفرّد به عن ابن المُرابط بالسماع ، وكان حنفىَّ المذهب ، ونشأ ابنُه هذا[٨] يتعانى التجارة ، ثم عمل نقيب الحكم الحنفى بدمشق ، ثم سكن القاهرة مدة وتردّد إلى القاهرة ، وكان يحب الانجماع ولا يعاشر إلا أناساً مخصوصين ، وكان ابن الآدمى[٩] يكرمه ويعظمه لأنه كان يقرب له من جهة النساء فقرّره فى النقابة بالخانقاه

---

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٦ .

(٢) فى الضوء اللامع ٢٥٦/١١ « المشمى » ، وربما كان الأصوب ما أثبتناه بالمتن نسبة إلى عبد شمس ، وهذا الرسم أيضا وارد فى شذرات الذهب ١٨٤/٧ .

(٣) الوارد فى ترجمته بالضوء اللامع ، شرحه ، أنه ولد سنة ٧٦٥ ظنا .

(٤) أورده السخاوى باسم « القزوى » وهى غير واضحة القراءة فى ز ، هـ ؛ على أن الصحيح هو « القروى » واسمه عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد ، أنظر ترجمته فى إنباء الغمر ٣٢٥/١ ترجمة رقم ٢١ ، والدرر الكامنة ٢٥٥٠/٣ .

(٥) أى بعد صلاة الجمعة .

(٦) سترد ترجمته فى سنة ٨٣٣ رقم ٢٥ ، ص ٤٤٨ من هذا الجزء من إنباء الغمر فانظرها هناك .

(٧) أنظر ترجمته فى إنباء الغمر ٤٦١/١ ترجمة رقم ١٧ ، والدرر الكامنة ٢٣٨٤/٢ .

(٨) يقصد بذلك أحمد بن عبد الرحيم صاحب الترجمة .

(٩) المقصود بذلك على بن محمد بن محمد بن أحمد الدمشقى الحنفى المعروف بابن الأدمى ، انظر ترجمته رقم ٢٢ ص ٢٧ من هذا الجزء من إنباء الغمر .

البيبرسية فى سنة خمس عشرة فاستمرّ فيها إلى أن مات فى أول يوم من شعبان وله بضع وسبعون سنة ، وكان قليل الكلام كثير المعرفة بالأمور الدّنيويّة ، وما أتردّد أنّه سمع على ابن أميلة ومَن قبله لكن لم أقف على ذلك تحقيقاً ، وسألْتُه عن ذلك فلم يعترف به ؛ وسألْتُه أن يجيز لجماعة فامتنع ظنًّا منه أن ذلك على سبيل السخرية به لسعة تخيّله .

٣ ــ أبو بكر[1] حاجب حجاب طرابلس ، وبها مات .

٤ ــ تغرى بردى المؤيدى ، ويعرف بأخى قَصْرُوه ، نائب حلب ، مات بها محبوساً فى ربيع الأوّل .

٥ ــ سليمان بن عبد الرحمن[2] بن داود بن الكُوَيْز أخو كاتب السّر علم الدين ، ورث من أخويه صلاح الدين وعلم الدين ، أما صلاح الدين فلكوْنه شقيقه، وأما علم الدين فلكونه وصيه فكثر ماله، ووقع بينه وبين أخيه عبد الرحمن بن علم الدين تنازعٌ فى شئ ففسد بذلك من المال عليه شئ كثير ؛ وكان سليمان يلقب بدر الدين ، وكان حسنَ الصورة جميلَ الفعال شديدَ الحياء عاقلاً وقوراً ، باشر استيفاء الدولة وغير ذلك ، وهو أصغر الإخوة . مات فى حادى عشر المحرم .

٦ ــ شعبان بن محمد بن داود المصرى ، وكان يقال له « المصرى » ، ثم زعم أن اسم أبيه محمد بن داود ، ويقال إن داود كان ممّنْ تشرّف بالإسلام فأحبّ أن يبعد عنه ، ثم صار يكتب « الآثارى » نسبةً إلى الآثار النبوّية لكوْنه أقام بها مدة .

وكان قد تعانى الخطَّ المنسوب فجاد خطُّه بملازمته لشيخنا شمس الدين [أبى على] الزفتاوى وصار رأس مَن كتب عليه وأجازه فصار يكتب للناس ؛ ثم اتفق أنه شرب البلاذر فحصل له طرف نشاف وأقام مدةً عاريا من الثياب والعمامة ثم تماثل قليلاً ؛ وطلب العلم ولازم الشيخ نور الدين الطّنْبَدِى والشيخ شمس الدين الغُمارى ؛ وتعانى النظم فنظم نظماً

---

(١) سقطت من ه الترجمتان ٣ ، ٤ .

(٢) أسقط الضوء اللامع ٣/٩٩٧ من اسمه « عبد الرحمن » ، وقال « رأيت من سماه سليمان بن عبد الرحمن بن داود ».

سافلاً أوّلاً ثم أكثر من ذلك حتى انفصل قليلاً ونظم نظماً وسطاً ، ثم أقبل على ثَلْب الأعراض وتمزيقها بالهجْو المقذع .

ومن(١) نظمه لما عُزِل البلقينى بالهروى واتفقت الزينة للمحمل ، فعلق شخص يسمى الترجمان على باب بيته حماراً بسرياقات على رؤس الناس بأحسن هيئة والناس للفرجة عليه فقال :

أَقَام التَّرْجُمَانُ لِسانَ حَـــالٍ عَنِ الدُّنْيا يَقُولُ لَنَا جَهَـــاراً :

زَمَانٌ فِيهِ قَدْ وَضَعُوا جَـــلَالاً عن العَلْيَـــا وقَـدْ رَفَعُوا حِماراً

ونظم أُرجوزةً فى العربية وأُرجوزةً فى العروض ، وعَلّق على توقيع الحكم فقُرّر به ، ثم عمل نقيب الحكم بمصر ، ثم استقرّ فى الحسبة بمالٍ وَعَد به ثم ركبه الدّيْن بسبب ذلك ، ففرّ من مصر فى سنة إحدى وثمانمائة فدخل اليمن ومدح ملكها فأعجبه وأثابه ومدح أعيانَها وتقرّب منهم ، ثم انقلب يهجوهم كعادته ، فأمر السلطانُ الناصر أحمدُ بن الأشرف إسماعيل بنفْيه إلى الهند فأُركب فى المراكب الواصلة من « تاته» وأقام بها وأُكرم ، ثم عاد إلى طبعه فأُخرِج منها وقد استفاد مالاً فأُصيب بعضُه . ورجع إلى اليمن فلم يُقِم بها وتوجّه إلى مكة فأقام بها مدةً طويلة ، وأظهر بها من القبائح ما لا يجمل ذكره ، ونصب نفسه عرضةً للذّم .

وتزوّج جاريةً من جوارى الأشرف يقال لها « خود » فاتّخذها ذريعةً إلى ما يريده من الذّم والمجون وغير ذلك ، فصار يَنسب نفسه إلى القيادة والرضاء بذلك لعشقه فيها إلى غير ذلك . وكان فيه تناقضٌ فإنه يتماجَنُ إلى أن يصير أُضحوكةً ويتعاظم إلى أن يُظن أنه فى غاية التصون ؛ وكان شديدَ الإعجاب بنظمه لا يظن أنَّ أحدا يقدر على نظيره مع أنه ليس بالفائق بل ولا جميعه بالمتوسّط بل أكثره سفساف كثير الحشو عرىٌّ عن المعنى البديع .

---

(١) عبارة « ومن نظمه » حتى آخر بيتى الشعر ساقطة من هـ .

ثم قدم القاهرة فى سنة عشرين وهجا[1] بهاء الدين بن البرجى الذى كان متولىّ الحسبة قديماً ، ثم صادف أن ولى الهروى القضاء فهجاه ومدح البلقينى فأثابه ، ولعلّه أيضا هجا البلقينى ، ثم توجه إلى دمشق فقطنها إلى أن قدم القاهرة سنة سبع وعشرين ومدحنى بقصيدة تائيّة مطوّلة ولا أشك أنه هجانى كغيرى ، ثم رجع إلى دمشق ثم قدم إلى القاهرة فمات يوم وصوله فى سابع عشر جمادى الآخرة ، وخلّف تركةً جيّدةً قيل بلغَتْ ما قيمتهُ خمسة آلاف دينار ؛ وكان مقتراً على نفسه فاستولى على ماله شخصٌ إدّعى أنّه أخوه وأعانه على ذلك بعض أهل الدولة فتقاسما المال ، ووقَفَ كتبه وتصانيفه بالباسطية[2] ، وعاش بضعا وستين سنة .

٧ - صالحة أوزينب بنت صالح بن رسلان بن نصير البلقينى ، وهى والدة القاضى علم الدين صالح بن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين ، تزوجها الشيخ وهى ابنة عمه فأولدها صالحاً وعبدَ الخالق ، ثم قدمت على الشيخ أُختُه من بلقينة[3] فذكرت للشيخ أنها أرضَعَتْ زوجَتَه هذه ، فبحث الشيخ عن ذلك حتى وضح له . فلما علم صحّة قولها اجتنبها وذلك قبل موته بعشر سنين . ثم لما مات تزوّجت بعده زوجاً بعد زوج من العوام .

وكانت موصوفة بالخير . وعاشت نحو الستين وماتت فى حادى عشر المحرم[4] .

٨ - طوغان أمير آخور ، مات قتيلاً بقلعة المرقب[5] فى ذى الحجة ، وقد ولى عدّة وظائف .

---

(١) كان بهاء الدين بن البرجى ناظر عمارة المؤيدية ، فلما مال منارتها هجاه المترجم بقوله :

تبنا على ميل المنار زوباسة | وقلنا تركت الناس بالميل فى هرج
فقالت : قرينى برج نحس أمالنى | فلا بارك الله فى ذلك البرج

أنظر الضوء اللامع ٣/١١٦٢ .

(٢) أشار النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ٢/١٤١ إلى أنها خانقاه وكانت بالجسر الأبيض غربى المدرسة الأسعدية من إنشاء زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش وكانت فى الأصل داراً له ثم حولها إلى خانقاه فى سنة ٨٣٦ حين عزم الأشرف برسباى فى حملته على آمد خوفاً من نزول العسكر بها . هذا وقد أشار الأستاذ جعفر الحسنى فى نفس المرجع ، حاشية رقم ٧ ، اعتمادا على مخطط الشيخ دهمان . إلى أن هذه الخانقاه قد درست وضاعت معالمها .

(٣) بلقينة من القرى القديمة بمركز المحلة الكبرى ، وقد عرف بها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ١٩ فقال إن الإدريسى ذكر أنها بين محلة أبى الهيثم والمحلة الكبرى ، وأنها كثيرة البساتين والجنات ، وراجع هناك أيضا ماقاله عنها سواه من الجغرافيين المسلمين .

(٤) هذه الترجمة واردة بنصها فى الضوء اللامع ١٢/٢٤١ .

(٥) قلعة المرقب من القلاع الحصينة المشرفة على سواحل بحر الشام ومدينة بانياس حيث وردت الإشارة إليها فى مراصد الاطلاع ٣/١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، أنظر أيضا Dussaud : op. cit. P. 127 et suiv

٩ ـ عثمان بن أحمد بن عثمان التَّلَّاوى البكرى المعروف بالطَّاغى خازن الكتب بالمدرسة المحمودية ، وقد تقدم ذِكْرُ صرْفه فيها فى حوادث سنة ست وعشرين ، وكان شديد الضبط لها ثم حصل له مَن تسلَّط عليه بالخديعة إلى أنْ وقع التفريط فذهب أكثرُ نفائس الكتب ؛ وكان فى أوّل أمره أقرأ القاضى جلال الدين البلقينى القرآن وتمشيخ بالمشهد النفيسى ، ولقى جماعةً من الأكابر ؛ ومات فى رابع عشر المحرّم .

١٠ ـ عثمان[١] بن محمد بن فخر الدين الدَّنْدِيلى الشاهد ، سمع من أبى الحسن العُرَضى وأجاز لأولادى ، وسمعْتُ عليه جزءًا من حديث ابن حَذْلَم ، أنا العرضى أنا الفخر بن البخارى ؛ جاوز الثمانين ومات فى ثامن عشر شوال[٢] .

وممَّا[٣] سمع على العرضى من أوّل المجلس العاشر إلى المجلس الثالث والعشرين بفوت فى الثالث والعشرين ، ومن أول السادس والأربعين إلى آخر الثانى والثمانين بقراءة الزين العراقى .

١١ ـ على بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف السّلمى المكّى نور الدين بن سلامة وُلد سنة ستٍّ وأربعين بمكة ، واشتغل وعنى بطلب الحديث ، ورحل فيه[٤] فسمع بدمشق من ابن أميلة والصلاح بن أبى عمر وابن كثير وغيرهم ، وبحلب من ابن حبيب وغيره ، وببغداد من عمر بن على القزوينى[٥] وعبد الدائم بن عبد المحسن بن الخَرّاط[٦] وغيرهما

(١) أورده الضوء اللامع ٥/٤٤٧ باسم عثمان بن أحمد بن عثمان ، ونسب الخطأ لابن حجر حين سماه بابن محمد .

(٢) أشار السخاوى فى نفس المرجع إلى أنه مات فى جمادى الآخرة .

(٣) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى ه .

(٤) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ٥/٦٢٩ إلى كثير من أسماء من رحل إليهم صاحب الترجمة وتلقى عنهم فى مكة وبغداد ودمشق والقدس والخليل ونابلس واسكندرية والقاهرة .

(٥) هو الحافظ الكبير المعروف بمحدث العراق ، راجع عنه الدرر الكامنة ٣/٣٠٤٣ .

(٦) لم أجد فى أسماء أجداده اسم « الخراط » ، ولكنه معروف « بابن الدواليبى » ، راجع عنه الدرر الكامنة ٢/٢٢٧٣ .

وبالقاهرة من التقىّ البغدادىّ وقرأ عليه القراءات ، وأكثَرَ عنه صاحبُنا زينُ الدين رضوان[١] وحدّث بالقاهرة ومكة وصار مسندها ، وكان عارفا بالقراءات ، وأخذ الفقه عن جماعة ولم يُنْجب ؛ وله نظم ؛ وكان يباشر شهادة الحرم المكى ولم يكن يُشكر فى شهادته مع التألُّه والتعبد ، وخرّج له ابنُ فهد معجماً انتزع أكثره من معجم ابن ظهيرة تخريج الأَقْفَهْسى ؛ ومات فى يوم السبت رابع عشرى شوال[٢] .

١٢ ـ على بن محمود بن أَبى بكر ، القاضى علاء الدين أَبو الحسن[٣] بن القاضى بدر الدين أَبى الثناء بن أَبى الجود السلمانى[٤] ثم الحموى المعروف بابن المُغْلى الحنبلى ، وُلد سنة ٧٧١ وتفقه ببلده ثم بدمشق ، فأَخذ عن جماعةٍ منهم : زين الدين بن رجب . وكان يتوقدّ ذكاءً فحفظ جملةً من المختصرات فى العلوم « كالمحرر » فى الحديث لابن عبد الهادى و « الفروع فى المذهب » لابن مُفْلِح و« مجمع البحرين » للحنفية ، و« التمييز » [للبارزى] للشافعية ، و « المختصر الأَصلى لابن الحاجب ، و « التلخيص » للقزوينى ، و « التسهيل » لابن مالك ؛ وكان يحفظ كثيراً من الشروح والقصائد الطوال وينظم الشعر الوسط ويكرّر على محفوظاته المختصرة ويستحضر شيئاً كثيراً من الفنون ، وما أظنّ أنه كان فى عصره من يدانيه فى ذلك وإن كان فيهم من هو أَصحّ ذهناً منه .

ولى قضاء حماة بعد التسعين ثم ولى قضاء حلب فى سنة أربع وثمانمائة ، ثم ولى قضاء الديار المصرية فى سنة سبع عشرة ـ إلى أن مات ـ مضافاً إلى قضاء حماة وكان يستنيب فيها ؛ كلٌّ ذلك بعناية كاتب السر [ناصر الدين] بن البارزى ؛ ومع طول ملازمته للاشتغال ومناظرته الأَقران والتقدم فى العلوم لم يشتغل بالتصنيف وكنْتُ أُحَرّضه على ذلك لما فيه من بقاء الذكر فلم يوفَّق لذلك ، وكان شديد البأْوِ والإعجاب حتى[٥] وصفه بعضهم بأَنَّه

(١) يقصد بذلك رضوان بن محمد بن يوسف وكان من أصحاب ابن حجر ومن شيوخ السخاوى كما يستدل على ذلك من الضوء اللامع ٦٢٩/٥ ، وقد ترجم له السخاوى ترجمة مطولة فى الضوء اللامع ٨٥٥/٣ .

(٢) جاء بعد هذا فى ز « ذكره المؤلف فى معجمه » ، هذا وقد أشار السخاوى فى الضوء اللامع ٦٢٩/٥ إلى أن ابن حجر ترجم له فى معجمه دون أن يشير إلى ترجمته هذه فى إنباء الغمر .

(٣) عبارة « أبو الحسن . . . . . بن أبى الجود » غير واردة فى ه .

(٤) وربما لقب بالسلمى بالفتح نسبة إلى سلمية ، كما أن تلقيبه بالمغلى نسبة إلى المغل .

(٥) عبارة « حتى وصفه . . . . مذاهب السلف » ص ٣٥٨ ، س ١ ، غير واردة فى ه .

يحفظ علماء المذاهب الأربعة فردّ عليه : « بل بجميع مذاهب السلف » ، ومع احتمال ما يقع مِمّن يناظره من الجفاء إلاّ أنه يكظم غيظه ولا يشفى صدره ، ويكرم الطلبة ويُرْفِدُهم بماله ، وكان واسع الحال جدا لأنه كان فى الأصل تاجراً ولم يزل يتكسّب ، وكان كثير المال .

وكان [هو] مِمَّنْ أعان علمَ الدين البلقينى على ولاية القضاء وصرْف ولىّ الدين العراقى ، لأن العَلَمَ كان تتلمذ له والعراقى كان يتمشيخ عليه ، فأحبّ أن يكون رفيقُه مَن يعترف له دون مَن يتعاظم عليه ، فأعان على ذلك بقلبه وقالبه فانعكس الأمر وندم بعد أنْ تورّط ، وصار يبالغ فى الذم فى العلَم ، ووقفتُ له على خطّة بُفتْيا كتبها فى حقهِ بالغ فيها فى الحطّ عليه ، ثم عوقب بأن أُصيب بولده قبل إكمال الحول من عَزْل العراقى ، ثم أُصيب بنفسه وكذا صنع الله بابن الكُوَيْز فإنه كان الأصل الكبيرَ فى هذه الكائنة فلم ينتفع بنفسه بعدها إلاّ قليلا واستمر موعوكاً ستّةَ أشهر إلى أن مات عقب موت العراقى بشهر واحد ، ومجتمع الكل عند الله تعالى .

وقد ذكرت فى حوادث[1] سنة سبع وعشرين ما اتّفق له من العزم على الحج ثم تركهِ ذلك ووقوعه من السُّلَّم وتوعّكه ، فلما أهلت السنة انتكس وثار به القولنج الصفراوى ، فيقال إنه دُسّ عليه السّم فمات منه بعد أن حصل له الصرع قدْر شهرٍ وذلك فى العشرين من صفر ـ وأرّخه[2] بعضهم المحرم ـ وقد قارب السبعين ؛ واستقرّ فى قضاء الحنابلة بعده محبّ الدين أحمد بن الشيخ نصر الله التسترى ثم البغدادى ، وخُلع عليه فى الرابع والعشرين من صفر .

١٣ ـ فرحة ، بنتى ، ماتت فى يوم الاربعاء تاسع شهر ربيع الآخر ، وكانت حجت فى العام الماضى مع زوجها الشيخ محبّ الدين بن الأشقر فرجعت موعوكةً إلى أن ماتت عن ثلاث[3] وعشرين سنة وتسعة أشهر ، عوّضها الله الجنّة .

(١) راجع ما سبق ص ٣٣٠

(٢) عبارة « أرخه بعضهم المحرم وقد قارب السبعين ؛ » غير واردة فى هـ .

(٣) كان مولدها فى رجب سنة ٨٠٤ كما جاء فى الضوء اللامع ٦٩٧/١٢ .

١٤ ــ فضل الله بن نصر الله بن أحمد ، التسترى[1] الأصل ، ثم البغدادى الحنبلى أخو قاضى الحنابلة محب[2] الدين ، كان قد خرج من بلاده مع أبيه وإخوته ، وطاف هو البلاد ودخل اليمن ثم الهند ثم الحبشة وأقام بها دهراً طويلاً ، ثم رجع إلى مكّة فأقام بها مجاورًا قليلاً ، ثم صحب بها الأمير يشْبك[3] الساقى الأعرج ، وكان المؤيد نفاه إلى مكة فجاور بها صحبته ، ثم لما رجع يَشْبك إلى القاهرة وتأمّر حضر فَضْلُ الله إلى القاهرة فأكرمه ، واتّفق موت الشيخ شمس الدين الحَبَتى فشغرت عنه مشيخة الخرّوبّية فقُرِّر فيها فضل الله المذكور بعناية يَشْبك المذكور بعد أن كان تقرّر فيها غيره ، فاستمر بها إلى أن مات فى شهر ربيع الأول ، وهو ابن ستين سنة أو جاوزها .

١٥ ــ محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد العزيز اللّخمى النّسْتَرَاوى[4] ، شمس الدين بن أخى القاضى كريم الدين ناظر الجيش ، وُلد سنة سبعين تقريباً ، وباشر الديوان مدّةً إلى أن ولى عمه نظر الجيش فباشر قليلاً ، ثمّ ترك ذلك وتزهد ولبس الصوف ، وسمع معنا على كثير من مشايخنا . وكان يحبّ أهل الخير وينفر غاية النفرة ممن يتزوْكَر ، وأقام على قَدم التصوّف سبعاً وثلاثين سنة مع صحة العقيدة وجودة المعرفة والصّبر على قلة ذات اليد ، ومات ليلة الجمعة ثانى عشر رمضان .

١٦ ــ محمد[5] بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر التنوّخى الحموى الشهير بابن العطّار ، الأمير ناصر الدين والد الشهابى

---

(١) نسبة إلى تستر .. بضم التاء الأولى وسكون السين وفتح التاء الثانية ــ تعريب شوستر أو ششتر ، من أعظم مدن خوزستان وعاصمته فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وهى على بعد ستين ميلا شمالى الأهواز ، أنظر مراصد الاطلاع ١/٢٦٢ ، وبلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٩ .

(٢) يعنى أحمد بن نصر الله التسترى ، أنظر ترجمته فى الضوء اللامع ٢/٦٥٦ .

(٣) راجع الضوء اللامع ١٠/١٠٨٨ .

(٤) نسبة إلى نستراوة وهى من المدن المندرسة بمركز دسوق من أعمال محافظة البحيرة ، وسماها ياقوت نستر (بفتح النون وسكون السين وضم التاء حينا وفتحها حينا آخر) وقال إنها جزيرة بين دمياط وإسكندرية ، وقد أشار المرحوم محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق ١ ص ٣٦١ إلى أنه تبين له أنها اندثرت وأن مكانها اليوم يعرف بكوم مسطورة فى مركز دسوق .

(٥) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة .

أحمد[١] . وُلد فى سنة ٧٧٤ بحماة ونشأ بها وتولىّ حجوبيّتها ، ثم انتقل لدمشق فعمل دوادار نائبها قَانِبَاىْ ، واستقدمه ناصر الدين بن البارزى معه إلى مصر ونَوَّه بذكره لمصاهرة بينهما فولاّه المؤيّد نيابة الإسكندرية ، ثم عُزل فى أيام ططر إلى أن استقرّ فى نظر القدس والخليل فى أيّام الأشرف إلى أن مات فى ثالث عشر شوّال .

١٧ — محمد[٢] بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم العثمانى الحريرى ، شمس الدين ألْبِيرى أخو جمال الدين الأُستادار ، وُلد فى حدود الخمسين[٣] ، وتفقَّه على أبى البركات الأنصارى ، وسمع من أبى عبد الله بن جابر وأبى جعفر الغرناطى نزيلى ألبيرة بحلب وقرأ عليهما ، وتفقَّه وولى قضاء البيرة مدةً ثم قضاء حلب سنة ستٍّ وثمانمائة ، ثم تحول إلى القاهرة فى دولة أخيه بعد أن عزله جكم لما غَلب على حلب فتوجّه إلى مكّة فجاور بها ، ثم قدم[٤] فعظم قدرُه وعُيِّن للقضاء ، ثم ولى مشيخة البيبرسية بعد الشريف النَّسابة ، ثم درّس بالمدرسة المجاورة للشافعى بعد جلال الدين بن أبى البقاء ، ثم انْتُزِعَتَا منه بعد كائنة أخيه ، ثم أُعيدت إليه البيبرسيّة فى سنة ست عشرة وصُرِف عنها بكاتبه[٥] فى سنة ١٨ ، ثم قُرر فى مشيخة سعيد السعداء بعد موت البَلَالىّ سنة عشرين ، وكان قد ولى خطابة بيت المقدس ومات فى سحر يوم الجمعة[٦] ٢٤ ذى الحجة واستقرّ بعده فى المشيخة الصّلاحية شهاب الدين أحْمد ابن المحمّرة[٧] الذى كان بها مخبزيًّا قبل ذلك ثم ارتقى منها إلى ولاية القضاء بدمشق ثم عاد إلى المشيخة بالقاهرة ، ثم نقل منها إلى مشيخة الصّلاحية ببيت المقدس[٨] .

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٢/٢٤٣ .

(٢) عاد ابن حجر فأشار فى وفيات السنة التالية إلى صاحب الترجمة فى سطر واحد تضمن اسمه بالكامل ثم قال : « فى التى قبلها » ، هذا وقد سقط من ه فى اسمه « ابن جعفر بن قاسم العثمانى » ، أنظر فيما بعد ص ٣٨٠ حاشية رقم ٣ .

(٣) هكذا أيضا فى شذرات الذهب ٧/١٨٦ ولكن ورد فى الضوء اللامع ٧/٨٩ أنه ولد فى حدود الستين .

(٤) أى قدم إلى القاهرة .

(٥) أى بكاتب الإنباء ابن حجر .

(٦) اختلفت المصادر فى تحديد تاريخ وفاته ، فهو فى عقد الجمان للعينى : الحادى والعشرون من ذى الحجة ، وفى السلوك : محرم ٨٢٩ ، وفى الشذرات ٧/١٨٦ : الرابع والعشرون من ذى الحجة ؛ هذا ويلاحظ أن الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٤ أن الأحد كان أول ذى الحجة سنة ٨٢٨ .

(٧) راجع ترجمته فى شذرات الذهب ٧/٢٣٤ وترجمة رقم ٣ فى وفيات سنة ٨٤٠ ، وأنظر أيضا ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

(٨) وردت بعد هذا عدة صفحات مطموسة فى ه .

١٨ — محمد[١] بن القاضى شهاب الدين أحمد ، الدِّفْرى المالكى ، شمس الدين ، وُلد سنة بضعٍ وستين ، وتفقَّه على مذهب المالكى وأحبَّ الحديث وسمعه ، وطاف على الشيوخ فسمع معنا كثيراً من المشايخ ، وكان حسنَ المذاكرة جيِّد الاستحضار ، ودرس بالنَّاصرية الحسينيّة وغيرها ، وكان قليل الحظّ . مات فى العشرين من جمادى الأولى .

١٩ — محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانىء اللخمى المالكى ، القاضى ناصر الدين بن القاضى سرى الدين أبى الوليد قاضى حلب ثم طرابلس . وُلد سنةَ نيِّفٍ وأربعين ، واشتغل قليلاً وناب عن أبيه فعابوا على أبيه ذلك ، ثم ولى قضاء حماة ثم حلب فى سنة ستّ عشرة فساءت سيرتهُ جدًّا ، ثم صرفه المؤيّد إلى قضاء طرابلس سنة سبع عشرة فاستمر فيها عدة سنين .

كتب عنه القاضى علاء الدين وذَكَره فى تاريخ حلب فقال : « كتبْتُ عنه بطرابلس لمّا وُليت قضاءها ، وكان هو قاضى المالكية بها » . وكان ظريفاً كريماً حسناً جواداً حسنَ الأخلاق ، مات فى أوائل السنة بطرابلس .

٢٠ — محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر المخزومى المالكى المعروف بابن الدَّمَامِينى ، بدرُ الدين الإسكندرانى ، وُلد[٢] سنة ثلاث وستين وسبعمائة وتفقَّه بالإسكندرية . وتعانى الآداب ففاق فى النظم والنثر والخطّ ومعرفةِ الشُّروط ، واستناب فى الحكم عن ابن التَّنَسى ، ودرّس بعدة مدارس ، ثم قدم معه[٣] القاهرة وناب فى الحكم أيضا . وتقدّم ومهر واشتهر ذكره ، ثم تحوّل إلى الإسكندرية واستمرّ بها ينوب فى الحكم ويشتغل فى العلم ويتكسّب من التِّجارة ، ثم حصلت له محنةٌ فقدم القاهرة وعُيّن للقضاء وقام معه فى ذلك [ناصر الدين] بن البارزى فلم يقدّر فتوجّه إلى الحج ، ثم دخل اليمن فلم يَحْصُل له إقبال ، فدخل الهندَ فحصل له إقبالٌ عظيم وأقبل عليه الناس وأخذوا عنه

(١) أورد له الضوء اللامع ١٠٦٢/٦ ترجمة باسم محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد القادر ، وهى أطول من الواردة هنا .

(٢) كان مولده بالاسكندرية .

(٣) أى مع ابن التنسى .

وعظّموه ، وحَصَل له مالٌ له صورة ، فاتّفق أنْ بغتَه الأَجل فمات هناك فى شعبان من هذه السنة عن نحو سبعين سنة[١] ، ومن نظمه :

قُلْتُ له والدُّجَى مُـولٍ ... وَنَحْـنُ بالأُنْسِ فى التلاقِ
قـد عَطَس الصبح ياحبيبى ... فلا تشمتـه بالفِـراقِ

٢١ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن المحبّ عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسى الصالحى شمس الدين ، وُلد فى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وأحضره أبوه عند أحمد[٢] بن عبد الرحمن المَرْدَاوى وأسْمعه على ابن قَيِّم الضبائية وأحمد ابن الجوخى وعمر بن أميلة وست العرب وآخرين .

وحدّث ، وشرع فى شرح « البخارى » ثم تركه بعد مسودّة ، وله نظمٌ ضعيف ، وكان يقرأ « الصحيحين » على العامة . أجاز لأَولادى غير مرة ومات بطيبة المكرمة فى هذه السنة ، وكان يذكر عن نفسه أنه رأى مناماً من نحو عشرين سنة يدلُّ على أنه يموت بالمدينة وسمعوه منه قبل أن يخرج إلى هذ السفرة للحجّ ، فاتفقت وفاته بالمدينة فى رمضان من هذه السنة ؛ وهو بقية البيت من آل المحبّ بالصّالحية .

٢٢ - محمد الحمويّ النحويّ المعروف بابن العيّار ، شمس الدين ، كان فى أول أمره حائكاً ثم تعانى الاشتغال فمهر فى العربيّة وأخذ عن ابن جابر وغيره ، ثم سكن دمشق ورُتِّب له على الجامع تصديرٌ بعناية ابن البارزى ، وكان حسنَ المحاضرة ولم يكن محموداً

---

(١) جاء بعدها فى نسخة ز « ذكره المؤلف فى معجمه وأرخه فى السنة التى قبلها » . هذا وقد جاء فى ترجمته التى أوردها له السخاوى فى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨٥ س ٢٨ « أنه مات فى شعبان سنة سبع وعشرين بكلبرجا من الهند » ثم قال : « ذكره شيخنا فى السنة التى تليها من إنبائه ، وأما فى معجمه فأرخ وفاته كما هنا (أى سنة ٨٢٧) ، وكذلك اعتبر وفاته سنة ٨٢٧ أيضا » ، أنظر ما سبق ص ٣٣٨ ، حاشية رقم ٤ .

(٢) هكذا فى الضوء اللامع ٤٧٦/٩ ، لكن سماه ابن حجر فى الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٣٩ بأحمد بن عبد الرحيم ابن محمد بن جبارة المرداوى . وسمع منه البرزالى والذهبى والحسينى والعراقى ، ومات فى رمضان ٧٥٨ هـ .

فى تعاطى الشهادات . مات فى ذى القعدة وأخذ عن الشيخ شمس الدين الهَيْتى[١] نزيل حماة ، وبه[٢] تخرّج كثير .

ومن مستحسن نظْمه مامَدح به القاضى برهانَ الدين بن جماعة :

إنْ كَانَ لِلْمَوْلى نَدًى فَلأَنْتَ يا قَاضِى القُضَاةِ عَطَاؤُكَ الطُّوفَانُ

أَوْ كَانَ سِرٌّ للإِلَـــهِ بَخَلْقِهِ قَسَماً لأَنْتَ السِّرُّ والبُرْهَـانُ

[قال] فقال [لى] : « ياشيخ : عَلَى أَىّ شىءٍ سَكَّنْتَ ياء القاضى ؟ » قال ، فقلتُ : سكَّنْتُها على حدّ قوْل الشاعر :

وَلَو انَّ وَاشٍ باليَمامَةِ دَارُهُ وَدارِى[٣] بِأَعْلَا حَضْر موْتَ اهْتَدَى لَهَا

قال : فقال لى : أَحسنت ، وأَجازنى جائزةً حسنة »

نقلْتُه من خطِّ الإمام جمال الدين بن السابق[٤] ، نفع الله به .

---

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٣٢ .

(٢) الضمير هنا عائد على ابن العيار .

(٣) فى الضوء اللامع ١٠/٣٦٠ « وداري بأقصى حضرموت اهتدى ليا » .

(٤) هو محمد بن محمد بن محمود المعروف بابن السابق ، قرأ على ابن حجر صحيح البخارى وكانت له معرفة وثيقة بالسخاوى ، وكانت وفاته سنة ٨٧٧ ، أنظر الضوء اللامع ١٠/٧٥٦ .

سنة تسع وعشرين وثمانمائة

فى حادى عشر المحرم صُرف بدرُ الدين العينتابى من الحسبة ، واستقرّ فيها إينال الشّشْمَانى وكان أمير عشرة ، وسعرُ القمح يومئذ : مائتان وخمسون ، والشعيرِ والفول جميعا كلٌّ إردبٍ بثلاثمائة ، أَزْيد من سعر القمح ، وعَزَّ اللحمُ حتى بيع البقرى بتسعةٍ كلُّ رطل ، وبيع المطبوخ من الضَّانى بعشرين ؛ وكان سعرُ البندقىِ كل مشخَّصٍ بمائتين وخمسة وعشرين ، ثم كثر اللَّحم بعد ولاية الششمانى ، ثم تزايد القمح إلى أربعمائةٍ إلى أن دخل جمادى الأولى فانحلَّ السعر إلى مائةٍ ومائتين .

وفى المحرم قدم حسن بن عجلان من مكة بوساطة[1] ناظر الجيش وقام معه إلى أن أُعيد إلى إمرة مكة ، وأُمر بإعادة الجيش الذين أُقيموا بمكَّة لحفظها من حسن ، وصُرف علىُّ بنُ عنان من إمرة مكة ، وبذَل حسن مالاً كثيراً اقترضه من التُّجار بالقاهرة و كتب تقليدُه وأرسله إلى مكة ، وأقام هو لإحضار ما وَعد به .

* * *

وفى مستهل صفر أمرَ السلطانُ القضاةَ أن يُلْزِموا العوامَّ بالصلاة فاجتمعوا فى ثانِيهْ بالصّالحية ومعهم المحتسب ونائب الوالى وكتبوا ورقةً لتُقْرَأ على الناس ، وتولىّ قراءتها بعضُ نواب الحكم من باب النصر إلى جامع طولون فى الشارع الأعظم .

وفى خامس عشر صفر عُقد مجلسٌ بالقضاة وبياضِ الناس ، وشاور الناسُ القضاة فى إبطال المعاملة بالدّنانير البندقية المشخَّصية فاستحسنوا[2] ذلك وضُربت الإفلوريةُ أشرفيةً ، ونودى بمنع المعاملة بالبندقية ، فظن الناس أن المعاملة بالدراهم البندقية تبطل فنودى بإبقائها

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٥٩٥/٦ أنه قدم بصحبة تغرى بردى المحمودى رأس نوبة النوب وأمير الحاج ومعهما الأمير قرقماس الشعبانى ، على أن الخبر الذى يورده ابن حجر فى المتن أرجح من مثيله فى أى مصدر آخر .

(٢) كان استحسانهم منصبا على الإفرنتى « وهو من ضروب الفرنج وعليه شعار كفرهم الذى لا تجيزه الشريعة المحمدية ، وأن يضرب عوضه ذهبا عليه السكة الإسلامية » ، أنظر نفس المرجع ٥٩٦/٦

وفى يوم الخميس السابع من ربيع الأول عُمل المولد النبوى وابتدءوا به مِن بعد الخدمة ، ومُدَّ السماط بعد صلاة العصر وفرغ بين العشاءين ، وكانت العادة أن يُبْدَأُ به بعد الظهر ويُمَدّ السماط المغرب ويفرغ عند ثلث الليل .

وفى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر صُرف القاضى زين الدين التفهنى عن قضاء الحنفية وقُرّر فى مشيخة الشيخونية عوضاً عن الشيخ سراج الدين قارئ الهداية بحكم وفاته ، وكان السّراج ، لما مات سعى جماعةٌ فى المشيخة فأمر السلطان بجمعهم فاجتمعوا ، وتعصّب جماعةٌ من أهل الشيخونية للتَّفهنى فقرّره السلطان فيها ففرح بذلك ظنا منه أنه يضمها إليه مع القضاء ، فلما لبس الخلعة بها أُحضر العينتابى وأُلبِسْ الخلعة بولاية القضاء ، فسَقط من يد التفهنى ، وندم حيث لا يَنفع الندم ونزل إلى الشيخونية كئيباً ، ورجع أكثر الناس مع العينتابى إلى الصّالحية ثم إلى منزله .

وفى رابع عشرى ربيع الآخر صُرف الشيخ علاء الدين الرومى عن مشيخةِ الأَشرفية وقُرِّر عوضه الشيخُ كمالُ الدين بن الهُمَام ، ولم يكن له فى ذلك سعىٌ وإنما كان تَقرّر درسُه بقبّة الصالح ، فطُلب إلى القلعة وأُلبس الخلعة ، وكان سبب عزل علاء الدين أن شخصاً من الصوفية مات وخَلَّف مالاً جزيلا فاحتاط عليه ونُقل عنه أُمورٌ فاحشة . فغضب السلطان وأمر بإخراجه وعزْله منها وتقرير كمال الدين .

* * *

وفى ربيع الآخر كُبستْ الحارة الجُودَريّة فى التَّفْتِيش على جَانِبك الصوفى ، والسبب فيه أن كِتاب نائبِ الشام ورد وفيه أنه مختفٍ عند شخص جندى فلم يوجد ، فأمر أهلها بإخلائها وحرقها فرحلوا ، وتُتُبِعّتْ آثارُ جَانِبكْ فلم يوقف له على أثر .

* * *

وفى الثالث عشرى من جمادى الآخرة صُرف القاضى محب الدين أحمد بن نصر الله عن قضاء الحنابلة واستقر عز الدين عبد العزيز بن على بن أَبى العز المقدسى الذى كان ولى قضاء الشام ودرّس بالمؤيدية ، وكان قبل ذلك قديماً ولى قضاء بيت المقدس ، ثم فر

من الشام لكائنةٍ وقعت له مع الباعونى فوصل إلى بغداد وولى القضاء بها ، وكان ربما افتخر فقال : « وُلِّيتُ قضاء الشام والعراق ومصر ولم يقع ذلك لأَحدٍ من أقرانى » .

وفى أول يوم من رجب أُدير المحمل ولم تجر العادة بذلك بل كان يدار فى النِّصف أو قبله أو بعده بقليل .

***

ذكر غزوة قبرص الكبرى

بلغ الملكَ الأَشرف أنَّ جانوس ويقال جينوس بن جاك بن نيروين بن أنطون بن جينوس صاحب قبرص وكان قد ملكها من سنة ثمانمائة ، راسلَ ملوك الفرنج يستنصر بهم على المصريِّين ويشكو ما جرى على بلاده ، فأَرسل كل منهم له نجدةً ، وأرسل ملكُ الكتلان ابنَ أخيه بمراكبَ وفرسان ، وجَدَّ جانوس فى عمارة المراكب والقراقير وعزم على قصد الاسكندرية تأَسِّياً بوالده فى زمن الأَشرف شعبان بن حسين ، فإنه هو الذى كان طرقها فى آخر سنة ستٍّ وستين وسبعمائة ، ودخلها عنوةً فى أواخر المحرم وأوائل صفر سنة سبعٍ وانتهبها وأسر منها خلائق والقصة مشهورة ، فأَمر السلطان — لما بلغه ذلك — بعمارة الأَغربة والحَمَّالات وجَدَّ فى ذلك وبذَل الأَموال ، فلما تكاملت العمارةُ انحدرت إلى فُوَّة ، ويقال إنه بلغت عدة العمارة مائة قطعةٍ وزيادة ، وندب السلطان إينال الجَكَمى وتَغْرِى بردى المحمودى وغيرهما من الأُمراء الكبار والصغار للغزاة ، وأن يكون إينَال علىَ مَن فى البحر والآخر علَى مَن فى البر ، وأن لا يعارض أحدُهما الآخر ، وكان معهما من الأُمراء مراد خجا وإياس ويَشْبُك الشَّاد وإينال الأَجرودى[١] وسودون اللَّكَّاش وجَانَم المحمدّى وغيرهم ، وتلاقت المراكب من الإسكندرية مع المراكب المصرية بثغر رشيد فى رجب ، فاتفق أنَّ الريح هاجت فى بعض الليالى فكسرت أَربع حمالات ومات فيها مائةُ فرسٍ وتسعةُ أنفس ، وبلغ السلطانَ ذلك وتطَيَّر جماعةٌ من الأُمراء وثَبَتَ هو ولم يتطيرّ ، وقال له كاتب السرّ - وهو يومئذ بدر الدين بن مزهر -

---

(١) ورد فى هامش ه كأنها تكملة للجملة الواردة بالمتن : « الذى ولى السلطنة بعد ذلك فى سنة سبع وخمسين وثمانمائة » ثم إن عبارة : « الذى ولى السلطنة بعد ذلك » كانت بخط الناسخ ، أما عبارة « فى سنة سبع وخمسين وثمانمائة » فبخط البقاعى .

« ياMولانا السلطان إن كان فى أوله كسر يكون فى آخره جبر ! » ، ولما بلغ قراقر الاسكندرية ما جرى على الحَمّالات رجع أميرُهم فأَقام بها تحت العساكر ، فلما كان مستهلّ شعبان هجم عليهم غراب وقرقورتان مملوّة من المقاتلة جهزها صاحب قبرص ليأْخذوا مَن يجدونه بساحل الإسكندرية لعِلْمِه بمسير القَراقر الخمس إلى جهته بإعلام مَنْ بالبلد من الفرنج له ، فدخلوا وهم يظنّون أن الخمس قراقر فى رشيد فواجهوهم فأوسعوهم رَمياً بالنشاب إلى أن هزموهم ؛ فاتفق أنهم خرجوا مقلعين فوافتْهم أغربة أرسلها إليهم مَن برشيد مِن الجند فلم يزل الجند مجتمعين والمراكب توافيهم من كل جهة إلى الرابع والعشرين من شعبان . فساروا مقلعين حتى وصلوا إلى اللِّمْسون ، فوجدوا الحصن الذى كانوا أحرقوه قد عُمِّر وشحن بالمقاتلة ، فأَحاطوا به فى السابع والعشرين ، وصعد يشبك قَرْقَش وهو من الفرسان المعدودين وقد ولى أَمْرَ الركب الأَول فى الحج بعد ذلك فى سنة أربع وأربعين ، فصعد هو ومن معه على سُلَّمٍ من الخشب وتبعهم خلقٌ كثير ، فهرب الفرنج الذين فى الحصن بعد أن كانوا أوقدوا قدورالزِّفت تغلى ناراً ليصبّوهاعلىمَنيصعد إليهم من المسلمين ، فهزمهم الله تعالى وملكوا البرج الأَول ، وأحاطبعض المسلمين بالاسكنية ، وهى قريةمن قبرص خارجة عن حكم جانوس نظير الماغوصة وهى مع البنادقة ، فطلبُوا من المسلمين الأَمان فأَمنوهم ، فحملوا إليهم الهدايا والضيافات ، فسأَلوهم عن جانوس فقالوا : « إنه مستعدفى خمسة آلاف فارس وسبعة آلاف راجل » ، فراسلوه بأَن يدخل تحت الطاعة ليؤمّنوه على نفسه وجنده وبلده وإلاَّ مشوا إليه وخرّبوا قصره وأسروه وقتلوه ، فلما بلغته الرسائل أخذته حمية الجاهلية فقتل الرسول وأحرقه ، فبلغ المسلمين الخبرُ فى مستهل رمضان فاقتسموا قسمين : النصف مع المحمودى فى البر ، والنصف مع الجَكَمِى فى البحر ، فلم يزل أهل البرّ سائرين حتى وصلوا موضع الكنيسة فوجدوها خراباً والبئر الذى بها قد هُدم ، فحفروا حوله فظهر الماء فشربوا بعد أن كانوا عطشوا ، ثم ساروا فى جبالٍ وتلالٍ وهم صُوَّامٌ والحرُّ شديد فنزلوا للقائلة فى ظلال الشجر ، وإذا بصارخ يصرخ : « جاءكم العدوّ » فساروا وركبوا ، وحصلت رجفة عظيمة . وكان جانوس — لما قَتل الرسولَ — ركب فى عساكره بعد أن عرضهم وجَهَّز قَرَاقِرهُ فى البحر للإحاطة بمَن فى البحر من المسلمين .

فلما تراءى الجمعان انحاز إلى بساتين هناك وجعل بيْنه وبين المسلمين نهراً ، ثم تقدم نحو الخمس مائة من المقاتلة فبرز لهم من المسلمين خمسة[1] هم : تغرى بردى الخَزِنْدار وقَطْلُوبُغَا والمُصارع وعلان فبادروا للأبراج ، فلحق بهم ابن القَاق مقدم العشير ومعه نحو الثلاثين فتنادوا : « ياوجوهَ العرب وياآل جركس : إن أبواب الجنان فُتِحت ، إنْ مِتّم كنتم شهداء ، وإنْ عشتم عشتم سعداء ، بيّضوا وجوهكم ، وأخلصوا العمل لله !!» فحملوا عليه حملة واحدة فنصرهم الله تعالى ، وقاتل يومئذ قَطْلُوبُغا قتالا شديدا فعَثَر به جواده فقام عنه وقاتل راجلاً إلى أن قُتل ، فلما رأى جانوس أن عسكره فى إدبار وقد استظهر عليهم أهل الاسلام رَكن إلى الهرب ؛ ثم إن عسكره خالفوه وحملوا ، فصبر لهم المسلمون واشتدّ الأمر ، فاتفق أن جانوس وقع عن فرسه فنزل أصحابُه فأركبوه فوقع ثانياً فأركبوه ، فكبا به الفرس فدهشوا وذهلوا عنه ، وانكسر عسكره وولوا الإدبار ، فرآه بعض الترك فأراد قتله فصاح : « أنا الملك ! » فأسروه .

واستمر المسلمون خلف الفرنج فأوسعوهم نَبلا فلم يزالوا كذلك إلى أن غربت الشمس ، وقيل إن جملة من قُتل منهم فى ذلك اليوم ستة آلاف . ثم رجع المسلمون فنزلوا على الماء وباتوا على أهبة ، فلما أصبحوا توجّه يشبك الشّاد ومَن معه إلى جبل الصليب فخرّبه وما حوله مِن الدّيارات ، وأحضروا الصليب الذى كان به وكانوا يعظمونه حتى إنهم يسمونه صليب الصُّلبان ، ثم سار المحمودى بالعسكر إلى جهة الملاّحة ، وتوجّه بعض العسكر إلى مَن بالمراكب فأعلموهم بما وقع من المسلمين ، وأن صاحب قبرص مقيدٌ ، وأن أخاه قتل ، وأن ابن أخى صاحب الكتلان الذى جاء نجدةً له مقيد ، ثم وصل العسكر وكان ثانى شهر رمضان .

فلما كان يوم الخميس خامسه ساروا إلى الأَفْقَفْسِية وهى كرسى المملكة ، فلما رأى الفرنج الذين فى القراقر خُلُوَّ البحر من الجند حطموا على مراكب المسلمين ، فأمر الجكمى مَن بقى عنده بمدافعتهم وأرسل إلى المحمودى يُعْلِمه ، فأعاد عليه أكثر العساكر وتأخر معه طائفة ، فلما رجعوا وجدوهم فى وسط القتال ، فأعلنوا بالتكبير فأجابهم مَن فى البحر ، وتبادروا إلى طلوع المراكب ، ومشوا على مراكب الفرنج ، فاشتد القتال إلى أن دخل الليل فحجز بينهم ، فلما طَلع الفجر بَعُدَت مراكب الفرنج من المسلمين ، فلما هربوا تفطن

---

(١) هكذا فى الأصول ، ولكنه سمى أربعة فقط .

الجكمى فلم يجد الريح تساعدهم ، فتبعهم إياس الجلالى فقطع مركباً ووقع القتال بينهم وكان بالمركب ثلاثمائة مقاتلٍ غير الأَتباع ، فرمى عليهم بالسهام الخطَّابية حتى ما بقى أحد منهم يجسر يُخْرِج رأسَه ، فطلع المسلمون وملكوها وقتلوا أكثر من بها ، واستمرت بقيةُ المراكب هاربةً فى البحر حتى غابوا عن الأَعين وكفى الله المؤمنين القتال بهزيمة مَن فى البحر من الفرنج .

وكان سبب ثباتهم فى القتال أَنهم لم يعلموا بما اتفق لملكهم من الأَسر ولعسكره من الهزيمة ، واستمر المحمودى حتى دخل المدينة هو ومَن معه وذلك فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان فخشى مَن مع المحمودى على أنفسهم لقِلَّتهم ، فشجّعهم المحمُودىّ ثم دخل القصر فوجد به مِن الأَمتعة مالا يُحصر ، فأَقاموا بها صلاةَ الجمعة وأَذَّنوا على صوامع الكنائس ، ثم خرجوا يوم السبت ومعهم الغنائم الكثيرة والأَسرى ، فلما وصلوا إلى المراكب اجتمعوا وحصروا عدد الأَسرى فكانوا ثلاثة آلاف وسبعمائة نفسٍ ، واختَلَف رأيهم فى الإقامة والمطالعة بما وقع من الفتح وانتظار وصول الرسول بالجواب أَو التوجّه بالأَسرى والغنائم ، والعود إذا أَراد السلطان مرةً أُخرى لاستئصال بقية الفرنج والاستيلاء على بقية الغنائم ، فغلب الرأى الثانى ، وصَحِبَتْهم الغنائم والأَسرى ومن جملتهم عظيمهم وهو مقيدٌ ، فلما وصلوا إلى ساحل بولاق ركب صاحب قبرص وولده وابن أَخى صاحب الكتلان على بغالٍ عُرْج ، وأَعلامه منكَّسة أَمامه ، وحُملت الغنائم والأَسرى على الجمال والبغال ، وشقُّوا المدينة ، وكان ذلك فى يوم الاثنين ثامن شوال ومعه الأُمراء والجند ، ولم يبق بالقاهرة ومصر وضواحيها كبير أَحدٍ إلاَّ حضر الفرجة حتى سدّوا الأُفق ، وكان أَول الحمالين باب المدرج وآخرهم بولاق ، فلما وصلوا به إلى القلعة كَشف رأسه وكبَّ على وجهه عند الباب حتى قبَّل الأَرض ، ثم أُحضر بين يدى السلطان فقَبَّل الأَرض مراراً وسقط مغشياً عليه ، فلما أَفاق ردّوه إلى مكانٍ أَعدّوه له .

وكانت صورة دخولهم أَنهم ترتبوا من الميدان الكبير ثم أَدخلوهم من باب القنطرة فشقوا القاهرة ، واجتمع أَهلُ البلد حتى لم يتخلف كبيرُ أَحد ، فكان أَمراً مهولا من كثرة الخلق ، وجاز الأُمراء ثم الأَسرى ثم الغنائم وتاج الملك وأَعلامه منكسة وهو راكب

على بغلةٍ مقيد ، فلما وصل إلى المدرج باس الأَرض ومشى فى قَيْدِه إلى أن وقف قُدّام السلطان بالمقعد .

وحضر ذلك أميرُ مكة ، ورُسُل ابنِ عثمان ، ورُسُل ملك تونس ، ورُسل أمير التركمان ، ورُسُل ابنِ نعير ، وكثيرٌ من قصاد أُمراء الشام ، وكان اتفاق حضورهم من المستغرب .

فلما رآى السلطانَ عفَّر وجهه فى التراب بعد أن كشفه ، وخلع السلطان على الأُمراء ، ثم قُرِّر عليه مائتا أَلف دينار يحمل منها – وهو بمصر – النصف ، ويُرْسِل النصف إذا رجع ، وأُلْزِم بحمل عشرين أَلفَ دينارٍ كلَّ سنة ، ثم أُفرِج عنه بعد أن حمل ما قُرِّر عليه معجّلا ، وتوجّه فأَرسل شيئا بعد شئ إلى أن أَكمل ما أرسله خمسة وسبعين أَلف دينار ، وقُدِّرت وفاته عقب ذلك ؛ ويقال إنه كان فَهْماً عاقلا عارفا بنظم الشعر بلسانه ويعربه بالترجمان ، فأَملى على بعض مَن معه هذه الأَبيات :

يامَالِكاً مُلْكَ الورَى بُحَسامِهِ ... أُنظُـرْ إلىَّ برحْمَـةٍ وتعطُّفِ
وارْحَمْ عزيزاً ذلَّ وامْنُنْ بالذِى ... أَعْطَاك هذَا المُلْك والنَّصْر الوَفِى
إنْ لمْ تُؤمِّنِّى وتَرَحَمْ عَـبْرَتِى ... فبِمَنْ أَلُوذُ ومَنْ سِواكُمْ لِى يَفِى ؟

فلما قُرئت على السلطان وعرَف معناها رقَّ له وقال : « عفَوْتُ عنه » ، وتقرر الحال معه بعد ذلك أَن يكون نائبا عن السلطان فى قبرص وما معها ، وأَن يُقَرَّر عليه لبيت المال فى كل سنة بأَلْفى ثوب صوف ملونة ، قيمتها قريبٌ من عشرين أَلف دينار ، وأَن يُعجِّل بسبعين أَلفَ ينارٍ خارجا عن الذى يحتاج إليه للحاشية ، فأُلبس تشريفاً ومركوبا ، وعَدَبَة ، وتوجه المسفَّر صحبته إلى الإسكندرية يومئذ ، وطلب جميع التجار من الفرنج المقيمين بها فأَقرضوه المبلغ جميعه ، فعجّل به قبل أَن يصل إلى بلاده .

وكان أَمير الإسكندرية آقْبُغَا التَّمْرَازى فأَمر بعرض جميع مَن بها من الجند ، فكانت عدتهم أَلفين وخمسمائة نفس[1] ، واجتمع من الرّعية ما لا يحصى عددُهم فاصطفُّوا له سماطين على طريقه ، فلما رآى كثرتهم قال : « والله إنَّ كل مَن فى بلاد الفرنج ما يقاوم أَهل

(١) فى ه « ملبس » .

الإسكندرية وحدهم ! »، وقد تقدم أن أباه رين[1] بطرس هو الذى كان هجم على الإسكندرية فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين ، فقدّر الله تعالى أن ولده جانوس يدخلها فى صورة الأسر فى سلطنة الأشرف برسباى ، ولله الحمد على جزيل هذه النعمة .

وكان رتب له من الرواتب ما يَقُوم بكفايته وكفاية مَن يخدمه ، وكان من أمْره ما سأذكره إن شاء الله تعالى فى السنة الآتية ، وفرح المؤمنون بنصر الله تعالى ، وكان ذلك على غير القياس ، فإنّ الجند الذين توجّهوا إلى قبرص لم يكن لهم عادةٌ بركوب البحر ولا بالقتال فيه ، فمَنّ الله على المسلمين بلطفه ونَصَرَهم ، ولو كانت الأُخرى لطمع الفرنج فى بلاد المسلمين خصوصا السواحل .

وطار خبر هذه الغزوة إلى الآفاق ، وعظُم بها قدرُ سلطان مصر ولله الحمد ، وأنشد الأديب زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن الخراط موقّع الدست بالقلعة قصيدة فائيّةً أوّلها :

بُشْراك يا مَلِكَ المُلُوك[2] الأَشْرفى ... بفتح قُبْرَص بالحُسَام المَشْرَفى
فتحٌ بشَهْرِ الصَّـــوْم تم قِتَالُه ... مِن أَشْرفٍ فى أشْرَفٍ فى أشرفى
أَحْيَى الجِهَادَ وكان قَبْلُ على شَفَا ... مِنْ تَركِهِ وبسَيْفه المَاحِى شُفِى
قالَتْ : وما تلْكَ الدّيَارُ وقـــد عَفَا ... إنْجِيلُهَا ، أهلاً بأَهْلِ المُصْحفِ

وهى طويلة يقول فى آخرها :

لم تخلف الأَيَّامُ مثْلَكَ فاتِــكاً ... مَلِكاً ومِثْلِي شاعِــراً لم تَخْلفِ
فيكَ التُّقى والعَدْل والإحسان فِي ... كلِّ الرعية والوفا ، والفَضْلُ فِى

وبيع السّبى والغنائم ، وحُمل الثمن إلى الخزانة السّلطانية وفُرق فى الذين جاهدوا

---

(١) تعريب للكلمة الإفرنجية Rey أى « ملك » .

(٢) فى هـ ، ز « المليك » .

مِنْه بعضُه بعْد أن كان السلطان همَّ أن يقسم الغنيمة بالفريضة الشرعية ، ثم انثنى عزمه عن ذلك .

* * *

وفى ثالث شعبان ابتُدِئ بقراءة الحديث بالقلعة ، وبدأ القارئ فقرأ فى « صحيح مسلم » وأمر السلطان بإحضار القضاة المنفصلين فجلسوا عن يسار السّلطان ، وجلس كاتبُه عن يمينه وبجانبه العينتابى ثم المالكى ثم عبد العزيز الحنبلى ؛ وجلس المشايخ يمنةً ويسرة وهم يزيدون على العشرة ووقعت فوائد ومباحث ، وظهرت مقادير أقوام انحطاطا وارتفاعاً ، فلما كان يوم الختم خُلع على القضاة التَّشاريف على العادة لكنهم كانوا سبعة ، وخُلع على المشايخ ــ بِسَعْى العينى ــ فراجىٌّ صوف بسنجاب وفرجِيَّتُه هو بسمور ، وهى أول سَنَة خُلع فيها على المشايخ ، وكانوا نحو عشرة .

وفى النصف من ذى القعدة وَصل نجمُ الدين بن حجى الذى كان كاتبَ السر ونُفِى فى السّنة الماضية ، فلم يزل يسعى ويكاتب ويبذل المال إلى أن أُجيب ، وأُذن له بالمجىء إلى القاهرة بعنايةِ مَن كان السبب فى صرْفه وهو جَانِبِكْ الدويدار ، فلما استقر بالقاهرة سعى فى قضاء الدّيار المصرية فأجيب سؤاله ، واستَدْعى بديوانِ خطبٍ فحفظ منه خطبةَ عيدِ النحر ظنًّا منه أنه رُبَّما أفضت إليه الولاية عاجلاً فاحتاج إلى أن يخطب يوم العيد ، وأمر بخياطة ملابس القضاء من فوقانية ونسج عذبة وغير ذلك ، وفى غضون ذلك وصل الشريف شهاب الدين نقيب الأشراف الحسنى الذى كان ولى القضاء عوضا عنه .

كما استقر فى كتابة السر ومعه من الهدايا والتحف مالا يوصف كثرةً ، وذلك فى أواخر ذى الحجة ، فأهدى للسلطان وبقيةِ الكبارِ هداياً جليلةً حتى لم يَدَع من يشاء الله من الرؤساء حتى أهدى له ، فقلَّب الله القلوب .

وقُرر ابنُ حِجّى فى قضاء الشام وأُمر بأن يرجع الشَّريف بطَّالا ، فتوجّها إلى الشام فى السنة المقبلة .

* * *

وفيها فى ذى القعدة بلغ عجلان بن ثابت بن هبة الحسنى أمير المدينة أن السلطان عَزله وولىَّ ابنَ عمه حسن بن جماز بن هبة ، فقَبض على الخدّام والقضاة ونَهب المدينة ، فلما وصل خشرم مع أمير الحج الشَّامى وَجد عجلانَ أخلى المدينة فأَقام خشرم ، وتوجّه الركب الشامى إلى مكة فعاد عجلانُ فأَمسك خشرم وخرّب بيوتاً كثيرة وأَحرق بيوتاً ، وسَلِم منه بيوتُ الرافضة؛ وكان قد أَقام من الرافضة قاضياً اسمه « الصَّيْقَل » وكان يُرسِل إليه غالب الأَحكام ، وخلا أهل المدينة إلا الرافضة وإلاَّ القاضى الشافعى فإنه كان استَنْزل شخصاً من أقارب خشرم يقال له مانع فأَجاره .

وفيها استقر مقبل الرومى فى نيابة صَفد عوضا عن إينال الخزندار بحكم مخامرته هو وأخوه وكان يومئذ نائبَ القلعة فاتفقا فتحيّل مقبل عليهما حتى قبض عليهما فقتلا .

وفيها خرجت العساكر إلى هابيل[1] بن قَرايُلُك بمدينة الرُّها فغلبوا عليها وانتهبوها وأسروا هابيل وأحضروه إلى القاهرة فسُجن بالقلعة حتى مات بالطاعون الكائن فى سنة ثلاثٍ وثلاثين وثمانمائة .

وفيها جَهَّز السلطانُ بَرَسْبُغا إلى ينبع ، وقُرْقُمَاس الشعبانى إلى مكة ، فغلب بَرَسْبُغَا على صاحب ينبع وجهَّزه فى الحديد إلى السّلطان، وأقام قُرْقُمَاس بمكة فمهّد البلاد وقطع أكثر المفسدين .

* * *

ذكر من مات فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة من الأعيان

١ ــ أحمد بن محمد بن مكنون ، شهاب الدين المنَاَفى القَطَوى ، وُلد بها[2] سنة تسعٍ وسبعين ، وأبوه إذ ذاك الحاكم بها ونشأ نشأةً حسنة ، وحفظ « الحادى » واشتغل فى

---

(١) هو الأمير هابيل بن عثمان طر على والمدعو قرا يلك ، وكان موته فى حبسه بمصر سنة ٨٣٣ ، مما كان سببا لتحرك أبيه قرايلك فيما بعد ومدعاة الخروج الأشرف برسباى لمحاربة آمد كما سيرد فيما بعد . انظر النجوم الزاهرة ٨١٦/٦ .

(٢) أى بقطية ، أو قطيا وهى بلدة فى الطريق بين مصر والشام قرب الفرما ، وكان بها وال إمرته إمرة طلبخاناة يقيم بها لأخذ العشر من التجار ، ولم يكن يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ، وفيها يؤخذ مكس القادمين إلى مصر ، راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ ج ١ ص ٣٥٠ ، هذا ويلاحظ أن فوق كلمة « بها » فى ه إشارة إلى عبارة أوردها البقاعى فى الهامش هى : « الضمير يعود إلى شىء ، إلى قطيا » .

الفرائض ، ولازم الشيخ شمس الدين الغَرَّاقى[١] فى ذلك ، وكان يستحضر « الحاوى » وكثيراً من شرحه ، واشتغل فى العربية قليلاً ثم ولى قضاء قَطْيَة بعد أبيه ، ثم ولى قضاء غزّة بعناية القاضى ناصر الدين البارزى فى أول الدولة المؤيّدية ، ثم استقرّ فى قضاء دِمياط مع بقاء قَطْيَة معه فاستناب فيها قريبَه زينَ الدين عبدَ الرحمن ، واستمر فى دمياط فى غاية الإعزاز والإكرام ، فلما انفصلت الدولة المؤيّدية تسلَّط عليه أُناسٌ بالشكاوى والتظلم ؛ وكان كثيرَ الاحتمال حسنَ الأخلاق ، وصاهر عندى على ابنتى رابعة[٢] ودخل بها بكراً بنت خمس عشرة سنة فولدت منه بنْتاً ، ثم مات عنها فتزوجها الشيخ محبّ الدين بن الأشقر فماتت عنده ، عوَّضها الله الجنة . ومات ابن مكنون فى شهر رمضان وكثر الأسف عليه .

٢ ـ أبو بكر[٣] بن محمد بن عبد المؤمن بن الشيخ تقى الدين الحِصْنى[٤] ثم الدمشقى ، الفقيه الشافعى ، وُلد سنة ٧٤٢ وتفقَّه بالشَّريشى والزهرى وابن الجابى والصرْخدى والعزّى وابن غنوّم . وأخذ عن الصَّدْر الياسوفى ثم انحرف عن طريقته ، وحطَّ على ابن تيميّة وبالغ فى ذلك وتلقَّى ذلك عنه الطلبة بدمشق وثارت بسبب ذلك فِتنٌ كثيرةٌ ، وكان يميل إلى التقشُّف ويبالغ فى الأمر بالمعروف والنَّهْيِ عن المنكر ، وللناس فيه اعتقادٌ زائد .

ولخص « المهمات » فى مجلَّد ، وكتب على « التنبيه » شرحاً[٥] فى خمس مجلدات وكذا على « المنهاج » ، وشرح « صحيح مسلم » فى ثلاث مجلدات ، ولخَّص « تخريج

---

(١) الغراقى نسبة إلى الغراقة بغين مفتوحة وراء مشددة ، وقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٢١٦ أنها من قرى الشرقية ، على حين أشار محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق٢ ، ج ٢ص ١٦٨ إلى أنها من أعمال الدقهلية لاالشرقية اعتماداً على ما ورد فى قوانين الدواوين وفى تحفة الإرشاد ، وأنها سميت بهذا الاسم لوجودها فى حوض زراعى كان يسمى الغراقة لانخفاض منسوب أرضه .

(٢) راجع ترجمتها فى الضوء اللامع ١٢/١٩٩ وكانت وفاتها سنة ٨٣٢ انظر فيما بعد ص ٤٢٥ من هذا الجزء من إنباء الغمر ، ترجمة رقم ٥ .

(٣) جاء فى هامش هـ : « أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن الشيخ تقى الدين » ثم جاء فى الهامش بخط البقاعى قوله : « إنما هو ابن عبد المؤمن بن حريز بن مغلى بن موسى بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن على بن علوى (بفتح العين واللام) بن ناش بن جوهر بن على بن أبى القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى بن على بن صفر بن محمد التقى بن حسن العسكرى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب » .

(٤) انظر أيضا الضوء اللامع ١١/٢٢٠ .

(٥) من هنا حتى عبارة «... والعمل رحمه الله » ص ٣٧٥ ، س ٨ ، غير واردة فى هـ .

الإحياء » فى مجلد ، وشرح « الأربعين » فى مجلد ، وله « أهوال القبور » فى مجلَّد ، و« سير نساء السلَّف العابدات » فى مجلد ، و« قواعد الفقه » فى مجلَّدين ، وتفسير آيات متفرقات فى مجلد ، و « تأديب القوم » ، و« سير السالك على مضارّ المسالك » فى مجلد ، وشرح « العامة » مجلد لطيف ، و« شرح الهداية » كذلك « وقع النفوس » مجلد ، و« دفع الشفقة » مجلد ، وشرح « أسماء الله الحسنى » مجلد : هكذا ذكرها ابن قاضى شهبة ووَصَفه : «بالإمام العالم الرّبانى المتورّع الزاهد » ونَسبه حَسنِياً وقال : : « ثبت نسبه عمل قاضى حسبان متأخرا » وقال : « كان قدم دمشق وسكن البادرائية ، وكان مِمَّن جمع بين العلم والعمل ، رحمه الله » ؛ وكانت وفاته فى رابع عشر جمادى الآخرة .

قال القاضى تقىّ الدين الأسدى : «كان خفيف الروح منبسطاً ، له نوادر، ويخرج إلى التنزّه ويحثّ الطلبة على ذلك ، مع الدين المتين والتحرّى فى أقواله وأفعاله ، وتزوّج عدة نساء ثم انقطع وتقشف وانجمع ، وكل ذلك قبل القرن ، ثم ازداد بعد الفتنة تقشفه وانجماعُه وكَثُرَ مع ذلك أتباعه حتى امتنع عن مكالمة الناس ويطلق لسانَه فى القضاة وأصحاب الولايات، وله فى الزهد والتقلل من الدنيا حكاياتٌ تضاهى ما نُقِل عن الأقدمين ، وكان يتعصب للأشاعرة ، وأُصيب فى سمعه وبصره فضعف ، وشرع فى عمارة رباطٍ داخل باب الصغير فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم ، ثم شرع فى عمارة خان السبيل ففرغ فى مدةٍ قريبة ، وكان قد كَتب بخطه كثيراً قبل الفتنة ، وجمَع تواليف كثيرة فى الزهد والفقه » .

٣ ــ إينال[1] النَّوْرُوزى أمير سلاح ، مات فى أول ربيع الثانى بالقاهرة .

٤ ــ حسن بن سويد المصرى المالكى ، القاضى بدر الدين ، كان أصله من سوق شنودة وسلفه من القبط ، ويقال إن أباه كان يبيع الفراريج ، ذكر لى ذلك بعض ثقات المصريين عن شيخنا شمس الدين المراغى أنَّه شاهَدَه .

ورُزِق سويد هذا من الأولاد جماعةً نبغوا وصاروا مِن أعيان الشهود بمصر ، منهم : شمس الدين الأكبر وبدرُ الدين هذا ، ولازم الاشتغال فى مركز الشافعية بباب العيد

(١) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

والمتجر الكارمى ومجلس القاضى فخر الدين القاياتى ودروس الشيخ شمس الدين المراغى ، ثم حصَّل مالاً واتَّجر فيه إلى اليمن فى سنة ثمانمائة ثم عاود البلاد مراراً ، واتَّسعت حالُه جدًّا بزواج[1] بنت الهُورينى التى هى شيختنا أُم هانىء بنت القاياتى بعد موْت زوجها ألْجَيْبُغَا والد الشيخ سيف الدين الحنفى فاستولى على تركة القاياتى بعد موته وأدْخل معه منها من شاء ، وبنى مدرسة مقابل حمام جندر ومات قبْل أن تكمُل وأوْصى لها بأربعة آلاف دينارٍ لتكميلها ، وصيّرها أولادُه بعده جامعا وأبطلوا ما كان صيّره هو من كونها مدرسةً ولم يُقرر[2] لها تدريساً ، وحصل فى ذلك خَبْطٌ كبير . مات فى أوائل صفر .

٥ ـ حسن بن عجلان بن رُمَيْثة[3] ، واسمه مُنْجِد بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن أبى غرير بن قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن أبى محمد الحسن السبط بن على بن أبى طالب ، الحسنى أمير مكة السيد الشريف ، وكان قدم صحبة قُرْقُمَاس من الحجاز فى المحرّم واجتمع بالسلطان وقرّره فى إمرة مكة على عادته ، وأُلْزِم بثلاثين ألف دينار وأحضر منها خمسة آلاف ، وأقام ليتجهَّز فتأخَّر سفرُه إلى أن كان يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة فمات وقد ناف على الستين .

وكان أولَّ ما ولى الإمرة بعد قتْل أخيه على بن عجلان فى ذى القعدة سنة سبعٍ وتسعين فكانت مدّة إمْرته اثنتين وثلاثين سنة سوى ما تملَّكها من ولايةِ غيره ، وكان فى هذا الشهر قد تجهَّز وأخرج أثقاله ظاهر القاهرة ؛ وقدم ولده بركات[4] فى رمضان من مكة فالتزم بما بقى على والده والتزم فى كل سنةٍ بأَن يحمل عشرة آلاف دينار ، والتَزَم بأَن يكون

---

(١) فى ه : « وتزوج » . أما بنت الهورينى فهى أم هانىء بنت على بن عبدالرحمن الهورينية الأصل وتسمى مريم أيضاء وكان مولدها سنة ٧٧٨ ، وكانت قارئة محدثة حجت ١٣ مرة وماتت سنة ٨٧١ بمكة ، انظر عنها الضوء اللامع ، ج ١٢ ص ١٥٦ ترجمة رقم ٩٨٠ ، هـذا وقد ورد فيـه أن زوجها قبـله لم يكن اسمه ألجيبغا ولكن هو الحسام محمد بن الركن عمر بن قطلوبغا البكتمرى .

(٢) فى ه : « ولم يدرس بها » .

(٣) من هنا حتى عبارة « السبط بن على بن أبى طالب الحسنى » س ١١ ، غير واردة فى ه .

(٤) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٣/٥٠ .

ما جرت به العادة من مكْس جدة يكون له ، وما تجدّد من مراكب الهند يكون للسلطان خاصّة .

٦ - خليفة[1] المغربى ثم الأزهرى ، الشيخ المعتَقَد ، مات فى حادى عشر المحرّم فجأةً فى الحمّام ووُجد له شيءٌ كثير ، وكان قد انقطع للعبادة بالجامع الأزهر نيفاً وأربعين سنة .

٧ - شمس بن عطاء الله الهروى ، القاضى شمس الدين الرازى الأصل وكان يكتب أيام قضائه « محمد بن عطا » ، وقد تقدمت أخباره مفصّلةً فى سنة ثمانى عشرة وفى سنة إحدى وعشرين وفى سنة سبعٍ وعشرين ، وكان قد حجّ فى سنة ثمان وعشرين ثم رجع إلى القدس فمات وهو شيخ الصّلاحية[2] .

٨ - على بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن على بن إسحق بن سلاّم بن عبد الوهاب

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٢) جاء بعدها فى ز « ذكره المؤلف فى معجمه وبالغ فى ذمه ، وقال فيه ابن قاضى شهبة : ولد سنة بضع وستين وتقدم ، وجرت له أمور وتعصب عليه جماعة البلقينى وحصلت له إهانة عند تمر ، ثم دخل بلاد الشام غير مرة وسكن القدس ، وفوض إليه نوروز الصلاحية ببيت المقدس ، وولى قضاء الشافعية بمصر عوضا عن ابن البلقينى ، ورافعه أهل القدس ثم رجع إلى القدس على تدريس الصلاحية ، ثم ولى فى أيام الأشرف برسباى كتابة السر بالقاهرة مدة يسيرة ورجع إلى القدس على تدريس الصلاحية وحج فى تلك السنة ، وعاد إلى القدس وأقام ملازماً للاشتغال والفتوى والتصنيف ، وكان إماماً عالماً غواصا على المعانى ، حفظ متون أحاديث كثيرة ، وكان يسرد جملة من تواريخ العجم ، وكان رئيساً مهاباً حسن الشكالة ضخما لين الجانب على ما فيه من طبع الأعاجم . ولقد سمعت الشيخ شهاب الدين بن حجى يثنى عليه ويتعجب من سرده لتواريخ العجم . وقال الجمال الطيمانى إنه يحل الكتب المشكلة ويخلص منها ، وصنف شرح مسلم وغيره ، وبنى بالقدس مدرسة ولم تتم » انتهى . وممن أثنى على علمه القاياتى والعلاء القلقشندى وجمع له . واسمه محمد بن عطا الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد ابن محمد الرازى الهروى الشافعى ، مولده بهراة سنة ٧٦٧ ، وكان إماماً بارعاً فى فنون من العلوم ، ويقرئ فى المذهبين الشافعى والحنفى والعربية والمعانى والبيان ويتذاكر بالآداب والتاريخ ، ويستحضر كثيراً من المتون ، وله تصانيف تدل على غزير علمه واتساع نظره وتبحره فى العلوم » ، أما فى نسخة ه فقد جاء بعد ما فى المتن « فى ثامن عشر ذى الحجة ، وكان شيخا طوالا أبيض اللحية مليح الشكل إلا أن فى لسانه مسكة » ، على أن الوارد فى نسخة ظ بخط ابن حجر نفسه (ورقة ١٣٥٠) قوله : « والقاضى شمس الدين الهروى شمس بن عطاء الله بن .... الرازى الأصل ، وكان يكتب أيام قضائه : محمد بن عطا الله . وقد تقدمت أخباره مفصلة فى سنة ثمانى عشرة وفى سنة إحدى وعشرين وفى سنة سبع وعشرين وكان قد حج فى سنة ثمان وعشرين ثم رجع إلى القدس فمات وهو شيخ الصلاحية فى ثامن عشر ذى الحجة » ، ويلاحظ أن السخاوى قال فى الضوء اللامع ٣٥٩/٨ « ذكره ابن حجر فى إنبائه محيلا على الحوادث » ولكن الشذرات ١٩٠/٧ قالت « ... قال ابن حجر كان شيخا طوالا أبيض اللحية مليح الشكل إلا أن فى لسانه مسكة » وهى نفس عبارة ه ، غير أن الشذرات لم تبين ما إذا كان ذلك من الإنباء أم غيره . أما هراة - بالفتح - فمدينة من أمهات مدن خراسان ، انظر مراصد الاطلاع ١٤٥٥/٣ .

ابن الحسن بن سلاّم[١] الدمشق ، علاءُ الدين أَبو الحسن الشافعى ، وُلد سنة خمسٍ أَو ست وخمسين ، وحفظ القرآن و« التنبيه » و« الأَلفية » و « مختصر ابن الحاجب » ، وتفقّه على علاء الدين بن حجّى وابن قاضى شهبة وغيرهما ، وارتحل إلى القاهرة فقرأ « المختصر » على الركراكى وكان يطريه حتى كان يقول : « كان يعرفه أكثر من مصنِّفه » فاشتهر وتميز ومهر ، وكان يبحث فى حلقة ابن خطيب ببرود فينتشر البحث بين الطلبة بكثرة اعتراضاته وإشكالاته ، وأُصيب فى الفتنة الكبرى بماله وفى يده بالحْرق وأَسروه فسار معهم إلى مَارَدِين[٢] ثم انفلت منهم ، وقرّره نجمُ الدينبنُ حجّى فى الظاهريّةالبرّانية[٣] بعد وفاة أَخيه ، ونزل له التاج الزهرى[٤] عن العذراويّة[٥] بمساعدة ابن حجّى ، ودرّس بالركنيّة[٦] بعد ابن خطيب[٧] عذرا ، وكان يحفظ كثيرا من الرافعى ، وإشكالاتٍ عليه وأَسئلةً حسنة ، ويُقرِئ فى الفقه إقراءً حسناً ، وكذا « المختصر » ؛ وله يد فى النظم والنثر والأَدب ، وكان بحثه أَقوى من تقريره ، وكان مقتصداً فى ملبسه وغيره ، شريفَ النَّفس حسنَ المحاضرة ، وكان يُنسب إلى نصرة مقالة ابن العربى فإذا حوقق فى أَمره تبرّأَ من تلك المقالات وتمحّل لها تأْويلاتٍ والله أَعلم بغيبه ، وكان يطلق لسانَه فى جماعةٍ من الكبار فاتّفق أَنّه حجّ فى هذه السنة فلما رُدَّ من الحج والزيارة مات فى وادى بنى سالم فى أواخر[٨] ذى الحجة وحُمل إلى المدينة فدُفِن بالبقيع وقد شاخ .

---

(١) الضبط من النعيمى الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٦١ ، س ٨ .

(٢) ماردين — بكسر الراء والدال — كما جاء فى مراصد الاطلاع ٣/١٢١٩ — قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة وتشرف على نيسر ودارا ونصيبين ، وكان يقال لقلعتها فى القرن الرابع الهجرى « الباز » وظلت زاهرة حتى القرن الثامن للهجرة ، انظر ماجاء عنها فى بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) هى من مدارس الشافعية بدمشق بناها الملك الظاهر غازى بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى صاحب حلب ، وكانت تقع خارج باب النصر غربى الخانقاه الحسامية ، انظر عنها الدارس ١/٣٤٠ وما بعدها وحاشية رقم ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) هو تاج الدين عبد الوهاب بن أحمد بن صالح البقاعى الزهرى المتوفى سنة ٨٢٤ ، انظر عنه أيضا الدارس ١/٢٨٧ وما بعدها وراجع ماسبق ، ص ٢٦٠ ترجمة رقم ١١ .

(٥) الدارس فى تاريخ المدارس ١/٣٧٣ وما بعدها .

(٦) وتعرف بالركنية الجوانية الشافعية تمييزاً لها عن الركنية الحنفية البرانية وإن كانتا من وقف ركن الدين منكورس ، انظر الدارس ١/٢٥٣ وما يليها .

(٧) انظر الدارس ١/٢٥٨-٢٦٢ .

(٨) حدد الضوء اللامع ٥/٨٤٤ تاريخ وفاته بالعشرين من ذى الحجة .

لقيتُه قديماً بدمشق وسمعْتُ من فوائده ، وكان أخذ الفقه عن الحسبانى و[الشهاب] ابن الزهرى ، والأُصولَ عن الضياء القرمى .

٩ – عمر بن على بن فارس[1] ، الشيخ سراج الدين الخياط الطَّواقىّ الحنفى المعروف بقارىء الهداية ، وكان فى أول أمره خياطاً بالحسينية ثم نزل[2] فى طلب العلم بالبرقوقيّة وتمهّر فى الفقه وغيره واستقر قارئها على الشيخ علاء الدين السّيرامى بها[3] ، وتلقّب بقارىء الهداية تمييزاً له عن سراج الدين آخر كان يقرأ فى غيرها ، وسمع الحديث من[4]...... وتقدّم فى الفقه إلى أن صار المشار إليه فى مذهبه : الحنفية ، وكثرت تلامذتُه والأَخْذُ عنه ، ثم ولى مشيخة الشيخونية بأخرة بعد [شرف الدين] ابن التِّبّانى فلما مات استقر فيها زين[5] الدين التفهنى بعْد[6] عزْله عن القضاء بالعينى ، واستقرّت بقية وظائف سراج الدين بيد ولده ، وناب عنه فيها صاحبنا الشيخ عبد السّلام البغدادى ؛ ومن[7] جُملة من أخذ عنه الجمالُ بنُ الهمام .

مات فى ربيع الآخر بعد أن انتهت إليه رئاسة مذهبه وصار المعوّل على فتواه مع جلالته فى أُصول الفقه والعربيّة وغيرهما ، ومشاركةٍ فى فنون كثيرة ، وكان يَقْتَصد فى ملبسه ومركبه ويتعاطى حوائجه من الأَسواق بنفسه ولم يُؤَثِّر ذلك فى جلالته وعظمته فى النفوس ومهابةِ السلطان فمن دونه له ، هذا وهو غير ملتفتٍ لأَهل الدولة بالكلية ، ولما ولى مشيخة الشيخونية أراد التوجّه إليها ماشياً من مسكنه بالظاهرية فأَرسل إليه الأَشرفُ فرساً وألزمه بركوبها فلما ركبها أَخَذ بيده عصاً يسوق بها ونزل عنها كما ينزل عن الحمار برجلَيْه من ناحية واحدة ، هذا وهو على ما هو عليه من الوقار الذى لم ينله أصحاب الشكائم والعمائم.

---

(١) ابن فارس » غير واردة فى ه .

(٢) كان تدريسه للمحدثين بالبرقوقية ، انظر الضوء اللامع ٦/٣٤٤ ، وشذرات الذهب ٧/١٩١ .

(٣) أى بالمدرسة البرقوقية .

(٤) فراغ فى الأصول .

(٥) فى ه « شهاب الدين » .

(٦) عبارة « بعد عزله عن القضاء بالعينى » غير واردة فى ه .

(٧) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى ه .

١٠ - قُجُقْ[1] الظاهرى أتابك عساكر مصر . مات فى تاسع رمضان .

١١ - محمد بن أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومى المكى الشافعى ابن عم الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة ، يُلَقَّب « كمال الدين » ويُكْنى « أبا الفضل » ، وُلد فى شهر ربيع الأول سنة ستٍ وخمسين ، وسمع من عزّ الدين بن جماعة والشيخ خليل المالكى والموفَّق الحنبلى و[الجمال[2]] بن عبد المعطى ؛ وناب فى الخطابة وحدّث ، وأضر بأخرة ومات فى صفر[3] .

١٢ - محمد بن محمد بن أبى القاسم ، أبو عبد الله الزَّجّاجى[4] ، أحدُ مشايخ الصوفية بزبيد ، وكان قد تقدّم عند الأشرف إسماعيل ثم عند ولده الناصر وكان يلازمه وينادمه ويحضر معه جميع ما يصنعه من خير وشرّ من غير تعرّضٍ لإنكار ، وكان حسنَ الوساطة مُتَديِّناً . مات فى رابع عشر ذى القعدة وله ستٌّ وسبعون سنة[5] .

١٣ - يوسف بن خالد بن أيوب ، القاضى جمال الدين الحسفاوى[6] الشافعى ، نشأ

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ١٠٤٠/٦ .

(٣) وردت بعد هذا ترجمة محمد بن أحمد الحريرى وقد جاء فيها : «محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحريرى ، فى التى قبلها » وقد حذفناها نظرا لورودها فى وفيات سنة ٨٢٨ ، ص ٣٦٠ رقم ١٧ راجع هناك الحاشية رقم ٢ ، وقد أشار الضوء اللامع ٨٩/٧ إلى أن ابن خطيب الناصرية أرخ وفاته فى هذه السنة على حين أن ابن حجر والعينى أرخاه سنة ٨٢٨ .

(٤) « المزجاجى » فى الضوء اللامع » ٤٦٩/٩ .

(٥) أضافت نسخة ز الترجمة التالية : « يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدام بن محمد بن حسن بن محمد بن على الطائى البساطى المالكى قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن ، كان فقيها مشاركا فى فنون ، ولديه معرفة بالأحكام وسياسة ودربة بالأمور ، وقد ولى قضاء مصر سنين ، وحسبتها أشهرا ، ثم صرف ولزم منزله إلى أن مات فى يوم الاثنين العشرين من جمادى الآخرة عن ثمان وثمانين سنة » ، هذا وقد أشار الضوء اللامع ١١٨٩/١٠ إلى أن ابن حجر أغفله فى الإنباء وإن ذكره فى رفع الإصر .

(٦) فى ز « الحناوى » وفى الضوء اللامع ١١٨٨/١٠ « الحسفاوى » وقال إن ذلك نسبة إلى « حسفايا » من قرى حلب ، وعنه نقل الطباخ فى إعلام النبلاء ١٧٩/٥ ، أما فى شذرات الذهب ١٩١/٧ فهو « الحفناوى » وقال حفنى بفتح الحاء وسكون الفاء ونون : نسبة إلى حفنا قرية بمصر » وهى التى ذكرها القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ١٠٢ بأنها بمركز بلبيس ، أما حسفيا فقد وردت فى Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, p. 385 بفتح الحاء والياء وسكون السين وكسر الفاء وذكر أنها وردت بهذا فى التلمود ، وأنها أصبحت تسمى خسفين .

بحلب وقرأ الفقه على ابن أبى الرضا وقرأ عليه القراءات ، ثم سافر إلى ماردين فأخذ عن زين الدين سَرِيجا ، وولى قضاء مَلَطْية مدةً ثم دخل القاهرة ، وولى قضاء حلب ثم قضاء طرابلس ثم كتابة السر بصفد ، وكان حسن الشكل فائقَ الخطِّ قوىَّ النظر. مات بطرابلس فى ثالث عشر المحرم .

سنة ثلاثين وثمانمائة

أولها السبت ، ففى الثامن منه خُلع على نجم الدين بن حجى بقضاء الشام على قاعدته وصُرف الشريف شهاب الدين فأقام قليلاً ثم أمر السلطان بسفره إلى الشام بطالا ، فأول شئ صنعه ابن حجى أنه قرّب أبا شامة الذى كان أثبت عليه المال الجزيل فيما مضى ظلماً وعدوانا فأحسن إليه ، ثم استدعى منه أن يُثْبِتَ على الشّريف نظير ما أثبت عليه فأجابه إلى ذلك فبادر وفعل ، وطولع السلطان بذلك فأمر بإلزام الشريف مايثبت عليه وعُدَّ ذلك من العجائب ؛ واشتهر أبو شامة بالأحكام[1] الباطلة واستعاذ كل مسلم من شرّه لجراءته على الأمور الفظيعة ، فخشى عاقبةَ ذلك فتحوّل إلى القاهرة فسكنها مدةً ثم أُخرج منها بعد ؛ لا بارك الله فيه . وكان صَرْف الشريف من وظيفة القضاء مما يعد من الخوارق فإنه لم يكن أحدٌ بقى من أهل الدولة له بالٌ إلا وتعصّب له فى أن يستمر فعاكس السلطان الجميع .

* * *

وفى المحرم نودى على أهل الذمة بأن يصغروا عمائمهم وأن لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن فى عنقه جلجل أو طوق حديد ، إلى أشياء كثيرة اخترعها المحتسب تبعاً لغيره ، فضجوا من ذلك ورفعوا أمرهم إلى السلطان فأحضر القضاة فى ثالث عشر المحرم وسألهم عما يجب عليهم ، فتقرر الحال على أن لا يدخلوا الحمام إلاّ بخيطٍ فى رقبته حديد ، يكون فيه خاتَمٌ من حديد أو رصاص ، وأن لا يُتعرّض لعمائمهم الملونة كَبُرَت أو صَغُرَت ، وأن نساءهم يتميزن عن نساء المسلمات بشئ يكون قدر الكفِّ أو أصغر : من لون عمائم رجالهم ، فصنع ذلك وكُتب على أكابرهم والتزموا به .

وفيه صُرف خُشْرُم عن إمرة المدينة وأُعيد عجلان .

وفى ذى الحجة مُنع من البيع فى داخل المسجد الحرام ، ومن نَصْب الصّواوين داخله ، ومن نَقْل المنبر عند خطبة الجمعة من مكانه بجانب المقام إلى ظهر الكعبة .

---

(١) فى هامش ه : « أمر أبى شامة فى التزوير » .

وفى أواخر شعبان تكلَّمْتُ مع السلطان فى أن لا تُطفأ القناديل فى رمضان إلا قُبَيْل طلوع الفجر لما يحصل للناس من الإجحاف بمن ينام ثم يستيقظ عطشانَ فلا يجد القناديل بعد فيظُن أن الأكل والشُّرب حُرِّمَا وليس كذلك ، فوافق السلطان على ذلك ، ثم عَقد لذلك مجلساً ، فاتفق مَن حضر على أنه يترتب على ذلك أن يغلط من كان يعرف العادة المستمرة فيبطل صومه ، فتوقف الأمر واستمرت العادة ، ولله الأمر .

وفى هذه السنة صرف أبو السعادات ، محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود ابن ظهيرة عن قضاء مكة واستقر الجمال محمد بن على الشَّيْبى ، ولما حَجَّ مع الناس استقرّ فى مباشرة الحكم وأمر بسدّ أبواب الحَرَم كلها إلا أربعة أبواب ، فحصل للناس بذلك مشقة شديدة ، وكان ما سنذكره .

وفيها وصلت من الهند من صاحب بنجالة[1] هدايا جليلةٌ لجماعةٍ من الناس خصوصاً الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى ثم الهندى نزيل القاهرة ، ثم وصلت أيضا هدايا من صاحبٍ له فى الهند .

* * *

وفى العشر الأخير من شعبان انكشفت رأس بعض المماليك وهو يلعب بالرمح فظهر أنه أقرع فضحكوا منه ، فسأل السلطان أن يقرّره «شادّ القُرْعان» فكَتب له مرسوما بذلك ، فكان يدور على الناس فمن ظن به أنه أقرع كشف رأسه فإن وجده أقرع أخذ منه ثلاثة دراهم فضة وثلثا ، ثم اضْمحلّ أمره بعد قليل .

* * *

وفيها قدم سودون نائب الشام ثم رجع إلى إمرته بعد عشرة أيام ، وصرف أُزْدُمُر شايه عن إمرته بالقاهرة وقُرِّر حاجباً بحلب .

وفيها خرج عرب الشرق من الحجاز على أهل الركب العراق فانتهبوهم ، وكان من جملتهم ولدان لحسن بن عجلان كانا انتجعا المشرق فأكرمهما الملوك اللَّنكية وغيرهم ورجعا بمال ونُهب ، وذَهبت للتجار العراقيين أموالٌ عظيمة كثيرة جدا .

---

(١) أمامها فى هامش هـ « الشيخ علاء الدين محمد البخارى » ثم « سيأتى أن هدية الشيخ من صاحب كلبرجا » .

وفى أواخر السّنة بلغ السلطان أن بعض التركمان نازل مَلَطْية فأمر بتجريدة ثم بَطُلَت ، وجَهَّز قَانِبَاى البهلوان أميراً عليها .

وفى خامس عشرى شهر ربيع الآخر مات كافور[1] الزمام وكان قد عمر وقارب التسعين ودفن فى تربةٍ بناها بالصحراء .

* * *

وفى عاشر جمادى الآخرة قُبض على تغرى بردى المحمودى وهو يومئذٍ رأس نوْبة الكبير ، وكان حينئذ يلعب مع السلطان بالاكرة فى الحوش ، وذُكر أنَّ ذنبه[2] ما نُقل عنه أنه اختلس من الأموال من قبرص وشُيِّع فى الحال إلى الاسكندرية مقيَّداً .

ومن عجائب ما اتُّفق له فى تلك الحال أنَّ شاهِد ديوانهِ شمس الدين محمد بن الشامية لحقه قبل أن يصل إلى البحر فقال له وهو يبكى :«يا خَوَنْد هل لك عندى مالٌ ؟» وقصد أن يقول لا فينفعه ذلك بعْدَهُ عند السلطان وغيره ، فكان جوابه له : « أنا لا مال لى ، بل المال للسلطان » ، فلما سمعها ابن الشامية دق صدره واشتد حزنه وسقط ميتا من غير ضَعْف ولا علة .

* * *

وفى آخر يوم من ذى القعدة استقرّ بهاء الدين بن نجم الدين بن حِجّى فى قضاء الشام مكانَ والده ، وبذل فى ذلك ثلاثين ألف دينار ، وسيأتى ذكر قتل أبيه فى ترجمته .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عرب ، أبو العباس المعروف بابن عرب اليمانى ، الزّاهد بالشيخونية[3] الحنفى تنقَّل أبوه من اليمن إلى بلاد الروم فسكنها وولد

---

(١) سماه النجوم الزاهرة ٦/٦٩٧ بالأمير الطواشي الرومى شبل الدولة كافور الصرغتمشى زمام دار السلطان .

(٢) أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٦٢٠ — ٦٢١ إلى القبض على تغرى بردى المحمودى هذا وقال إنه لم يعرف أحد ذنبه حتى ولا هو نفسه ثم قال: « سألته فيها بعد فقال لا أعلم على ماذا أمسكت »؛ وأشار إلى أن المقريزى ذكر له عدة عيوب . أما قصة ابن الشامية فيرويها أبو المحاسن ، نفس المرجع ، على وجه آخر يستفاد منه أن ابن الشامية لما عاين سفر تغرى بردى منفيا إلى الاسكندرية « اشتد صراخه » حزنا عليه « إلى أن سقط ميتا » .

(٣) جاء بعدهذا فى نسخة ز « الحنفى وماعلمت مستندى فى ذلك للآن ، ورأيت بخط التقى القلقشندى نقلاعن أخيه

بها أحمد هذا فنشأ بمدينة برصا فكان يقال له « ابن عرب » على عادة الروم والترك فى تسميتهم من لم يكن منهم ؛ ونشأ أحمد هذا نشأةً حسنةً ، ثم قدم القاهرة ونزل فى القاعة التى استجدّها أكملُ الدين صوفياً ، وقرأ على خير الدين[1] سليمان بن عبد الله ونسخ بالأُجرة واشتغل ، ثم انقطع عن الناس فلم يكن يجتمع بأحدٍ واختار العزلة مع مواظبته على الجمعة والجماعة ، واقتصر على ملبسٍ خشنٍ جدًّا ، وكان يقنع بيسيرٍ من القوت ومهما اطّلع على أنّ أحداً من الباعة عَرفه فحاباه لم يَعُد إليه ، وكان يتنكّر ويشترى قوتَ يومين أو ثلاثة بعد العشاء ، ويدخل الجامعَ أوّل النهار يوم الجمعة ، ولا يكلم أحداً فى حال ذهابه ولا إيابه ، فأقام على هذه الطريقة أكثر من ثلاثين سنة ، ولم يكن فى عصره من داناه فى طريقته ، وكان يدرى[2] القراءات . مات ليلة الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول .

ومن عجائب أمره أنّه لما مات كان الجمع فى جنازته موفوراً ، وأكثر الناس كانوا لا يعلمون بحاله ولا بسيرته ، فلما تسامعوا[3] بموته هرعوا إليه ونزل السلطان من القلعة فصلّى عليه بالرُّمَيْلة وأُعيد إلى الخانقاة فدُفِن بها ، وتنافس الناس فى شراء ثياب بدنه فاشتروها بأغْلى الأثمان ، فاتّفق أنّ جملة ما اجتمع من ثمنها حُسِب فكان قَدْر ما تناوله من المعلوم من أوّل ما نزل بها إلى أن مات لا يزيد ولا ينقص ، فَعُدَّ ذلك من كراماته . رحمه الله .

٢ ــ أحمد[4] بن موسى بن نصير ، شهاب الدين المتبولى المالكى ، حدّث عن البيانى وغيره وأخذ عنه جماعة ، ومات فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة .

ــ أنه كان شافعيا ، وكان يراجع الشيخ شمس الدين البيجورى المقيم بخانقاه شيخون فيما يشكل عليه ، فإذا أوضح له ما أشكل فارقه ولم يكلمه بكلمة بعد ذلك ، وكان الناس يبيتون بالشيخونية برجاء أن ينظروه» وهذه العبارة لم ترد فى ظ ، ولا فى هـ .

(١) كان خير الدين سليمان هذا إمام هذه القاعة .

(٢) فى ز « يذرى العبرات » .

(٣) فى ظ « تسامعوا به بموته » .

(٤) ورد اسمه فى هـ «أحمد بن موسى شهاب الدين المتبولى ، وكذلك فى Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 314. ولكنه كما بالمتن فى كل من النجوم الزاهرة ٧٩٧/٦ وشذرات الذهب ١٩٢/٧ ، ويلاحظ أن الضوء اللامع ٦٥٢/٢ جعل مولده سنة ٧٥٠ ولذلك قال « جاز الثمانين » وأشار إلى أن بعضهم ــ دون أن يسميه ــ قال « عن خمس وثمانين » هذا مع أن مولده فى Wiet : op. cit. loc. cit. هو سنة ٧٤٥ مما يتفق مع المتن .

٣ ـ أحمد[١] بن يحيى بن عبد الله الحموى الرُّواقى الصوفى ، شهاب الدين أبو العباس ، وُلد سنة سبعٍ وأربعين وسبعمائة ، وذَكر أنه سمع بمكّة على العفيف عبد الله اليافعى[٢] فى سنة خمسٍ وخمسين ، وتلقّن[٣] الذّكر ولبس خرقة التصوف من الشيخ يوسف بن عبد الله ابن عمر بن خضر الكورانى[٤] [العجمى] وأسندها له عن الشيخ نجم الدين الأصفهانى عن نور الدين عبد الصمد عن الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وتعانى[٥] طريق التصوّف ، وسكن فى الآخر حماة وتردّد إلى طرابلس وغيرهما ، وزار القدس سنة سبعٍ وعشرين ؛ قال القاضى علاء الدين [بن خطيب الناصرية] : « كان صالحاً خيّرًا ناسكا سليكاً ، يستحضر أشياء حسنةً عن الصوفية ، واجتمعْتُ به بطرابلس فأنشدنى » ، وساق[٦] له عن أبى حيان قصيدةً أولها :

لا خَيْرَ فِى لذَّةٍ مِنْ دُونِهَا حَـذَرُ ... ولَا صفَا عِيشَةٍ فِى ضِمْنِهَا كَدَرُ

فَلَا[٧] تَرُم رِفْعَـةً بين الأَنَامِ فَقَدْ ... سارت هناءً بك الأَخْبارُ وَالسيّر

فالرَّفْعُ مِنْ بعْدِهِ نَصْبٌ ، وفَاعِلُـه ... عمَّا قَلِيلٍ بحـرْفِ الْجَرِ ينْكَسِرُ

وهى فى نحو العشرين بيتاً لا تشبه نظم أبى حيان ولا نَفَسَه ، ولا يُتَصَوّر لمن وُلد سنة سبعٍ وأربعين أن يسمع من أبى حيان الذى مات قبل ذلك بمدّة ؛ ولقد عجبْتُ مِن خفاء

---

(١) هذه الترجمة واردة فى ظ أمام ورقة ٣٥٣ ا .

(٢) هو عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان شيخ الحجاز ، انصرف فى صباه للاشتغال بالقرآن فقط وسمع على الطبريين : الرضى والنجم ، وزار مصر والقدس ، وكان يتعصب للأشعرى ويذم ابن تيمية ، ومات سنة ٧٦٨ هـ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٢/٢١٢٠ وشذرات الذهب ٦/٢١١ – ٢١٢ .

(٣) عبارة « وتلقن الذكر » غير واردة فى ظ .

(٤) كلمة «الكورانى» غير واردة فى ظ ، أما الإضافة فن الضوء اللامع ٢/٦٦٨ وإن قيل إنه كان يعرف بالعجمى ، وقد وصفه ابن حجر فى الدرر الكامنة ٥/١٢٨ء بأنه «كان أعجوبة زمانه فى التسليك » ، وكانت له زاوية بقرافة مصر ، وكان للناس فيه اعتقاد زائد وقد مات فى جمادى الأولى ٧٦٨ .

(٥) من هنا حتى كلمة « وعشرين » فى س ٦ غير وارد فى ظ .

(٦) أى أن صاحب الترجمة ساق لابن خطيب الناصرية الشعر المنسوب لأبى حيان .

(٧) هذا البيت وما يليه ساقطان من ظ ، على أن الأول والثالث فقط واردان فى الضوء اللامع ١٠/٦٦٨ .

ذلك على القاضى علاء الدين ، ثم حَسِبْتُ أن يكون بين الرواقى وأبى حيان واسطة[١]، وقد[٢]زعم أنه أنشدها له العلاّمة جمال الدين[٣] عبد الله بن يوسف بن هشام قال : « أنشدنا أبو حيان »[٤] ولا نعرف أن ابن هشام أخذ عن أبى حيان شيئاً بل كان يجتنبه . قال : « وكان الرواقى يقيم بحماة ويأتى طرابلس ، ثم بلغنى أنه توجّه إلى القدس فأقام به ومات ما بين ثمان وتسعٍ وعشرين » .

٤ ــ أحمد بن يوسف الزّعيْفرينى ، شهاب الدين الأديب البارع[٥] بن محمد الدِّمشقى ، كان ينظم الشعر ويكتب المنسوب ويتكلّم فى معرفة علم الحرف ويخْبر عن المغيبات ، ولذلك مال إليه جماعةٌ من الأكابر وأثرى ، وامتُحِن فى سنة ٨١٢ وقَطع الناصرُ لسانَه وعُقْدَتين[٦] من أصابعه ، ورفق به المشاعلى[٧] عند قَطْع لسانه فلم يمنعه من الكلام ، وكان السبب فى ذلك[٨] أنه نظم لجمال[٩] الدين ملحمةً أوهمه بِقِدَمِها وأنَّه يمْلِك مصر ، وصار بعد موت الناصر يكتب بشماله ، فكتب مرةً إلى الصدر بن الأدمى[١٠] :

لقد عشتُ دَهْراً فى الكتابَةِ مُفْرَدًا ... أُصَوِرَ منْهَا أَحْرُفاً تُشْبِهُ الدُّرَّا

وقَدْ عَادَ حالى[١١] اليَوْم أَضْعَفَ مَا تَرَى ... وَهَذَا الذى قَدْ يسَّرَ اللّهُ لِلْيُسْرى

---

(١) بعد أن وصل الضوء اللامع ٦٦٨/٢ إلى هذه الكلمة قال : «انتهى ، وقرأت بخط شيخنا فى موضع آخر» يعنى فى غير الإنباء .

(٢) من هنا حتى كلمة « يجتنبه » س ٣ غير وارد فى ظ .

(٣) هو النحوى المعروف عبد الله بن يوسف بن عبد الله ، وكان قد تفقه الشافعى ثم تحنبل ، أثنى عليه ابن خلدون وأشار إلى أن اسمه ذاع فى الغرب وطار ، ومات فى سنة ٧٦١ ، انظر الدرر الكامنة ٢٢٤٨/٢ .

(٤) هذا يخالف ما ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة ٢٢٤٨/٢ س ٧ من قوله : « وسمع من أبى حيان ديوان زهير ابن أبى سلمى ولم يلازمه ولا قرأ عليه » .

(٥) إلى هنا ينتهى ما جاء فى نسخة هـ ، لكن جاء فى ز بعد ذلك ما هو وارد بالمتن .

(٦) الواقع أنه قطع عقدتين من أصابع يمناه .

(٧) « المتولى » فى الضوء اللامع ٦٩٨/٢ .

(٨) أى فى قطع لسانه .

(٩) يعنى بذلك جمال الدين الأستادار .

(١٠) هو الصدر على بن محمد بن محمد بن أبى بكر الدمشقى الحنفى المعروف بابن الأدمى ، الدمشقى المولد ، وكان من يكتبون الخط الحسن ولعل هذا سر كتابة الزعيفرينى له هذه الأبيات بالذات ، وقد جمع له زمن المؤيد بين الحسبة وقضاء الحنفية ، ومات فى رمضان ٨١٦ ، راجع ماسبق ص ٢٧ ترجمة رقم ٢٢ ، والضوء اللامع ٢٥/٦ وذيل رفع الإصر ص١٨٦-١٩٥

(١١) « خطى » فى الضوء اللامع ٦٩٨/٢ .

فأجابه [الصدر بن الأدمى بقوله] :

لَئِنْ فَقَدتْ يُمْنَاكَ حُسْن كِتَابــةٍ فلا تَحْتَمِلْ هَماًّ ولا تَعْتَقِدْ عُسْرَا

وأَبْشِرْ بِبِشْرٍ دائــمٍ ومَســرَّةٍ فَقَدْ يَسَّرَ اللهُ العظِيمُ لَكَ اليُسْرى

٥ – أحمد بن البدر محمد بن أُوَيْس المغربي نزيل طرابلس ، قرأ بالرّوايات على أبى زيد عبد الرحمن بن المعلّم سليمان بن إبراهيم التونسى نزيل طرابلس فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ، فقرأ على أبى عبد الله محمد بن محمد بن سلامة الأنصارى ، ولبس خرقة التصوف من محمد بن أحمد بن محمد بن المهندس بحصن الأكراد[1] سنة ٨٤ . ومات ابن البدر المذكور بطرابلس فى ذى القعدة ؛ وسمع من بهادر القرمى ومحمد بن هبة الله ابن وهبة وأحمد بن على بن محمد الأرموى ومحمد بن مظفر الحسينى وعلى بن اليونانية .

٦ – أُويس بن شاه ولد بن شاه زاده بن أُويس صاحب[2] بغداد ، قُتِل فى الحرب بينه وبين محمد شاه بن قَرا يوسف واستولى محمد شاه على بغداد مرة أخرى .

٧ – برَكُوت بن عبد الله المَكِينى ، شهاب الدين ، عَتيقُ سعيد بن عبد الله المكينى عتيقُ مكين الدين اليمنى ، كان حبشياً صافىَ اللّون حسنَ الخلق كثير الأفضال محبّا فى أهل العلم وأهل الخير كثيرَ البرّ لهم واللّطف بهم ، لقى حظّا عظيماً من الدنيا[3] وتنقلّت به الأحوال وبنى بعدن أماكنَ عديدة ، ثم تحوّل إلى مكة فسكنها وبنى بها داراً عظيمة ، وصاهر إلى بيت المحلّى التاجر فنكح بنته آمنة واستولدها ، وكان كثير التزويج والأولاد ، ومات وله فى حياته أكثر من خمسين ولداً ، وما مات حتى تضعضع حاله وذلك فى ذى القعدة بعدن ، وله نحو الستين سنة .

٨ – عبد الله ، الملك المنصور بن الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، مات

(١) فى هـ « الأكراد فى السنة المقبلة فذكر أنه لبسها من على بن محمد بن محمد بن محمد بن أبى الفتح عبد المحمود بحصن الأكراد سنة ٥٤ » ؛ وهو خطأ .

(٢) راجع العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ٣/٧٤ .

(٣) « الدين » فى الضوء ٣/٦١ .

فى جمادى منها ، وفى[1] روايةٍ فى ثالث رجب ، واستقرّ بعده الأشرف إسماعيل بن الناصر أحمد .

٩ — عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب بن محمود ابن خِتْلُو الحلبىّ ، فتح الدين بن الشحنة أخو العلامة محبّ الدين [محمد] أبى الوليد ، وُلِد[2] سنة ثلاث وخمسين وسمع على الظهير العجمى وابن الصابونى والكمال بن حبيب ، وأخذ عن أبيه وأخيه والسراج الهندى ، ثم تحوّل[3] ، وكان أصغر سنًّا من أخيه واشتغل كثيراً فى الفقه حنفيًّا حتى ناب عن أخيه فى الحكم ، ثم تحوّل بعد الفتنة العظمى مالكيا ، وولى القضاء ثم عُزل وحَصل له نكدٌ لاختلاف الدول ، ثم عاد فى سنة خمس عشرة مِن قِبَل نوروز[4] ثم مِن قِبَل الملك المؤيّد إلى أن مات فى[5] ليلة عاشوراء ؛ قال القاضى علاء الدين : « رافقْتُه فى القضاء وكان صديقى وصاحبى ، وعنده مروءةٌ وحشمة » ، وأنشد له من نظمه ، وهذا عنوانه :

لا تلُومُوا الغَمَام إنْ صَبَّ دَمْعًا ... وتَوَالَتْ لأَجْلِهِ الأَنْــــوَاءُ

فاللَّيَالى أَكْثَرْن فِينَا الرَّزَايَــا ... فبكَتْ رَحْمةً عَلَيْنَا السَّمَاءُ

---

(١) عبارة « وفى رواية فى ثالث رجب » غير واردة فى ه .

(٢) عبارة « ولد سنة .... الهندى ثم تحول » س ٦ غير واردة فى ه .

(٣) أى تحول من المذهب الحنفى إلى المالكى كما سيرد فى السطر التالى .

(٤) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « حدثنى ابن أخيه قاضى القضاة محب الدين محمد بن العلامة محب الدين بن الشحنة ، قال : حدثنى أنه رافق مرة الأمير جمال الدين محمود الأستادار من القاهرة إلى ناحية حلب ، قال : فأخرجت مرة — ونحن راكبون — حلوى فأعطيت منها الجمال شيئاً ولمملوك كان معه مليح شيئاً ولمن كان يلزمنا من الرفاق شيئا ، ثم أخرجت لى شيئاً فوضعت قدامى ذلك ففتحت وأخرجت غيره فكذلك ، قال : فقلت فى الثالثة والرابعة :

ته دلالا فأنت أهــــل لذاكا ... وتحكم فالحسن قــــد أعطاكا

ولك الأمر فافض ما أنت قاض ... فعلىّ الجمــــال قـــد ولاكا

وأشرت إلى الأمير جمال الدين . قال : فرقص لذلك طربا وقال : أحسنت والله ، وأظن أنى نظمت ذلك فى الحال فقلت : ما هذا لى بل لابن الفارض ، فقال : وهذا أعجب . قال : ثم بعد مدة عدت إلى القاهرة فأتيته يوماً فقال لى : كان عندى آنفاً شخص فذمك ، فقلت :

وإذا أتتك مذمتى من ناقــــص ... فهى الشهادة لى بأنى كامــــل

فقال لى : أحسنت — والله أيضا — بعد ذلك الإحسان فى أمر المملوك ، أتدرى من هو الذام ؟ فقلت : لا ، فقال : هو الكمال عمر بن العديم الناقص . وكان أعور » .

(٥) عبارة « فى ليلة عاشوراء » غير واردة فى ه .

١٠ – على[1] بن عبد الرحمن ، نور الدين القِمنى ، اشتغل كثيراً وصاهر الشيخ زين الدين القِمنى[2] ثم فارقه ، ودرَّس ببعض المدارس ، وقرأ علىَّ فى علوم الحديث وفى العروض ؛ وكان فاضلاً مشاركاً فى عدة فنون ، وولى دَرْس الحديث بالظاهريَّة[3] الجديدة ، ومات فى ثامن عشرى المحرّم ليلة الجمعة ، واستقرّ بعده القاياتى فى تدريس الحديث .

١١ – عمر بن حجّى بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى ، الحُسْبَانى الأَصل الدمشقى ، نجم الدين أبو الفتوح بن حجّى الشافعى ، وُلد فى سنة سبع وستين وسبعمائة بدمشق ، وقرأ القرآن ومات والده وهو صغير ، وحفظ « التنبيه » فى ثمانية أشهر ، وحفظ كثيراً من المختصرات ، وأسمعه أخوه الشيخ شهاب[4] الدين من ابن أميلة وجماعة واستجاز له من جماعة ؛ وسمع هو بنفسه من جماعة كثيرة ، وأخذ العلم عن أخيه وابن الشريشى والزهرى وغيرهم ، ودخل مصر سنة تسعٍ وثمانين فأَخذ عن ابن الملقن والبدر الزركشى والعزّ بن جماعة وغيرهم ، وأذن له ابن الملقّن ، ولازم الشرف الأَنطاكى مدَّة ، وتعلَّم العربية ، وكان قليل الاستحضار إلاَّ أنه جيّد الذهن حَسَنُ التصرّف .

وأوّل ما حجّ سنة ستٍ وثمانين ، ثم وَلِى إفْتَاء دار العدل سنة اثنتين وتسعين ، وجرتْ له كائنةٌ مع [شهاب الدين] الباعونى فضربه هو والعزّى وغيرهما وطوّف بهم وسُجِنوا بالقلعة وذلك فى رمضان سنة خمس وتسعين ، ثم حجّ سنة تسعٍ وتسعين وجاور ، وولى قضاء حماة مرّتين ، ثم ولى قضاء الشام فى ربيع الآخر سنةَ تسعٍ وثمانمائة ثم انفصل بعْد شهرين ثم أُعيد فى شوال سنة عشر ، ثم صُرِف مراراً ويعود وهكذا ، وكانت مدة ولايته إحدى عشرة سنة وأشهراً فى "مدة إحدى" وعشرين سنة ، وعِدَّةُ ولايته سبع مرات ، وقدم مصر سنة

(١) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٢) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٣٢٢ ، والمقصود هنا هو أبو بكر بن عمر بن عرفات وسترد ترجمته فى ص ٤٤٣ من هذا الجزء من إنباء الغمر ، رقم ٣٤ فى وفيات سنة ٨٣٣ ، انظر أيضا الضوء اللامع ١١/١٦٨ ؛ وهو منسوب إلى قمن العروس بمركز الواسطى ، انظر عنها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٢ ص ١٣٢ .

(٣) يعنى بذلك البرقوقية بمصر .

(٤) هو أحمد بن حجى بن موسى الحسبانى ، الدمشقى المولد ، أكثر من السماع على أجلة علماء عصره ، وتميز فى الفقه والحديث ، وكان قد أكره على قضاء القضاء بدمشق مراراً وهو يمتنع ، راجع ص ١٨ من هذا الجزء من إنباء الغمر ، ترجمة رقم ٦ .

اللنك بعد أن نجا منهم بحيلةٍ غريبةٍ فناب فى الحكم عن الجلال البلقينى ، ثم عاد وولى قضاء طرابلس فى سنة إثنتى عشرة قدْر شهرين ، وحبسه نَوْرُوز فى شوال سنة خمس عشرة وهمَّ بقتله ثم نجا منه ، وقبض عليه مرّةً أخرى قبل ذلك فهرب من الموكلين به بحيلة عجيبة ، ثم قُبض عليه فى جمادى الأُولى سنة ست عشرة ثم تحيَّل وخَلُص وقدم القاهرة ، ثم رجع مع المؤيد حتى قتل نوروز ، واستقرّ فى القضاء إلى أن قام عليه الحاجب فنودِى عليه وحبس بالقلعة ثم خلص وقدم مصر ورجع متولّياً ؛ ثم فى سنة إحدى وعشرين سُجِنَ بالقلعة ثم أُطْلِق وحَجَّ سنة اثنتيْن وعشرين فاستناب الشريف شهاب الدين بن عدنان مع ما كان بينهما من العداوة الشديدة ، والسبب فى ذلك أن النوّاب شطّوا عليه واختلفوا فيمن يصلح أن ينوب عنه فى غيبته فعاقبهم بأَن أقام عليهم الشريف ، وكان ذلك أوّل طمع الشريف فى الدخول فى المنصب .

ثم قام مع جَقْمق نائبِ الشام بعدموت المؤيّد وأشار على نائب القلعة بتسليمها إليه ، فلما وصَل ططر ومَن معه لم يؤاخذه بذلك . وحجّ فى تلك السنة : سنة أربع وعشرين ، وهَمَّ بالدّخول إلى مصر لِيلى عِوَضَ البُلْقينى ، ثم رجع إلى دمشق وبلغته ولاية العراق فقعد ، ثم قام عليه نائب[1] الشام فى سنة ست وعشرين وتألّبَ عليه أَعداؤه وهَمُّوا بقتله ، ثم اتَّفق مرضُ النائبِ فاشتغل بنفسه ومات فجاءتْه الولاية فى رمضان منها ، ولم يزل يتقلّب فى الأُمور إلى أن ولى كتابة السرّ بالقاهرة فلم يَمْشِ له فيها حال ، وتغيّر عليه غالبُ أَصحابه وعادى مَن كان يحبّه قبل ذلك فصُرِف صرْفاًشنيعاً كما تقدّم فى الحوادث ، ثم استأْذَن فى الوصول إلى مصر فأُذن له فقُرِّر فى قضاء الشام فى محرّم هذه السنة ، وحصل له عند عوْدِه تعظيمٌ زائد ، وتسلّط على الشريف عدوّه وأَذلّه[2] كثيراً فعمل عليه إلى أن قُتِل فى منزله غيلة وذهب دمه هدرا[3] .

---

(١) كان نائب الشام إذ ذاك تانى بك ميق .

(٢) « آذاه » فى هـ .

(٣) راجع حياته بالتفصيل فى قضاة دمشق ص ١٤٣ — ١٤٧ ، هذا وقد وردت الإشارة إلى قصة مصرعه فى نفس المرجع ص ١٤٢ — ١٤٣ .

وكان ذكيًّا فصيحا حسن الملتقى والمباسطة يُلقى الدروس بتأنٍّ وتؤدة ، وكان مع ذلك كثيرَ الإحسان للطلبة والواردين عليه بدمشق ، إلاّ أنه انعكس بذلك فى ولايته كتابة السّر وصار على ضد ما كان يُعْهد منه ، وكان كثيرَ التلوّن سريعَ الاستحالة ، وكان قتْلُه فى ليلة الاثنين ثانى ذى القعدة[1] .

١٢ – عمر بن طَرْخَان بن شُهْرِى الحاجب الكبير بحلب ، مات فى حادى عشرى شهر رجب .

١٣ – عمر بن الشيخ شمس الدين محمد بن اللّبّان المقرئ ، أخذ القراءات عن والده[2] وتصدّر للإقراء ، وكان ساكناً سليم الصّدر والباطن ، وكان عاليةً فى الشطرنج . مات فى شعبان عن نحو ثمانين سنة .

١٤ – محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقى الأَصل البشتكى ، الشيخ بدر الدين ، كان أبوه فاضلاً فنزل فى خانقاه[3] بشتاك الناصرى فوُلد له الشيخ بدر الدين هذا بها ، وكان جميل الصورة ، فنشأ محبًّا فى العلم وحَفِظ القرآن وعدّة مختصرات وتعانى الأَدب فمهَر فيه ، ولازم ابنَ أَبى حَجْلة وابن الصّائغ ، ثم قدم ابنُ نباتة مصرَ فلازمه وكتب عنه ديوان شعره ، ثم رافق جلال الدين بن خطيب دَاريًّا ودخل معه دمشق واجتمع بفضلائها ، وأخذ عن البهاء السّبكى وغيره بالقاهرة ، وصحب الشيخ بهاء الدين الكازرونى[4] مدة ، ونَسخ له كثيراً من تصانيف ابن العربى ، ثم رجع عن ذلك بعْد موته وصار داعيةً إلى الحطّ على

(١) جاء بعد ذلك فى ز : « ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٢٨ لسبب فى محنته بعد أن ولى كتابة السر بالديار المصريه كونه يباشرها من غير خبرة باصطلاح الوظيفة ، وسلك مع المصريين طريقته فى حدة الخلق والمبادرة الصعبة مع الإقبال على اللهو فى الباطن فيما يقال ، وإنه كان التزم بعشرة آلاف دينار فحمل منها خمسة وتراجع » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن جامع الدمشقى المعروف بابن اللبان ، قرأ على أبى حيان وابن السراج وتصدى للإقراء بدمشق وكان موته سنة ٧٧٦ ، راجع الدرر الكامنة ٣٤٢٠/٣ وإنباء الغمر ٨٩/١ – ٩٠ .

(٣) أشار المقريزى فى الخطط ٣٠٩/٢ إلى جامع بشتاك فقال إنه واقع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل ، وكانت عمارته سنة ٧٣٦ ، وأن الأمير بشتاك الناصرى عمر تجاه هذا الجامع خانقاه ، وكانت تقع على الخليج الكبير . أما خط قبو الكرمانى فكان يسكنه جماعة من الفرنج والأقباط .

(٤) هو الشيخ محمد بن عبد الله الصوفى الكازرونى ، قدم من بلاده إلى جزيرة الروضة وسكن زاوية المشتهى وأصبح للناس فيه اعتقاد زائد ؛ انظر عنه الدرر الكامنة ٣٨٣٠/٤ ، وإنباء الغمر ٤٩/١ وحاشية رقم ٧ به .

مقالة ابن العربى ، وأحبَّ المذهبَ الظاهرى على طريقة ابن حزم وامتُحِن بسبب ذلك بمكَّة على يد أبى الفضل النّويْرى قاضيها ، وكان جاور بها بعد الثمانين ، وامتُحن أيضاً بالقاهرة على يد البرهان الإخنائى وحُبس ثم أُطْلِق ؛ وصحب فخر الدين بن مُكانِس وأقرأ ولده وأدّبه وتخرّج به فمهر فى الأدب ، وله مطارحاتٌ مع أُدباء أهل عصره ، وهجا جماعة منهم.

وكان هو كثير الانجماع ، يرجع إلى دينٍ متينٍ مع محبةٍ فى المجون والخلاعة ، ثم أقلع وتاب ولازم الانجماع ، وكان حسنَ الأخلاق فى أوّل ما يصحب ثم لا يلبث أن يتغير ؛ وفى الجملة كان عديمَ النظير فى الذكاء وسرعة الإدراك إلاَّ أنَّه تبلَّد ذهنه بكثرة النسخ ؛ وقد مدح القاضى برهانَ الدين بنَ جماعة بعدَّة قصائد طنَّانة .

سمعْتُ منه كثيراً من شعره ومن فوائده .

وكانت وفاته فجأةً : دخل الحمام فمات فى الحوض يوم الاثنين ثالث عشرى جمادى الآخرة . ومن(١) نظمه :

وكنْتُ إذَا الحَوادِثُ دنَّسَتْنِى   فَزَعْتُ إلى النُّدامَـــةِ والنَّدِيم
لأَغْسِلَ بالكؤوسِ الهَـــمَّ عَنِّى   لأَنَّ الرَّاحَ صَـــابُونُ الهُمُومِ

١٥ - محمد بن المحدث عماد الدين إسماعيل بن محمد بن(٢) برْدَس بن رسلان البعلبكى الحنبلى ، الشيخ تاج الدين أبو عبد الله ؛ وُلد ليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنةَ خمسٍ وأربعين ، وسمع من أبيه وأسمعه الكثير من ابن الخبّاز وتفرّد به ، وسمع أيضا من محمد بن يحيى [بن عثمان] بن الشقيراء وابن الجُوخِى(٣) وابن أميلة ، وأجاز له العُرضى والبيّاتى وابن نباتة والعلائى وغيرُهم ، وانتفع به الرَّحالة ، وكان محبًّا لنشر العلم والرواية

(١) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى ز .

(٢) فوقها فى ه إشارة لإضافة فى الهامش هى : « سقط : ابن نصر بن بردس » ويؤكد صحة هذه الإضافة أن اسمه ورد فى الضوء اللامع ٣٤٣/٧ هكذا « محمد بن إسماعيل بن محمد بن بردس بن نصر بن بردس بن رسلان » ، كما أنه جعل ولادته يوم ٢٨ جمادى الآخرة ، على حين جعلته شذرات الذهب ١٩٤/٧ يوم السبت ٢٩ منه وجعلت وفاته فى بعلبك .

(٣) هو أحمد بن محمد بن أحمد الزقاق ابن الجوخى المسند الرئيس بدر الدين ، كان مكثراً من سماع الحديث ، راجع عنه الدرر الكامنة ٦٤٢/١ .

طلْقَ الوجْه حسنَ الملتقى كثيرَ البشاشة مع الدّين والعبادة وملازمة الأَوراد والصّلابة فى الدين ، وله نظمٌ وتأليفٌ وصدقةٌ فى السّرّ .

مات فى شوال وقد أجاز لى[1] غير مرّة .

١٦ - محمد بن خالد بن موسى الحِمصى ، القاضى شمس الدين المعروف بابن زَهرة - بفتح الزاى - الحمصى الحنبلى ، مات فى ثالث عشرى شهر رجب ، وهو أوّل حنبلى ولى قضاء حمص ، وكان أبوه خالدٌ شافعيًّا فيقال إن شخصا رآى النبى صلّى الله عليه وسلّم وقال له إنّ خالداً وُلد له ولد حنبلى ، فاتفق أنه كان وُلِد له هذا فشغله لمّا كبر بمذهب الحنبلية ، وقرأ على بدر الدين بن أُستادار بِيليكْ وعلى الشيخ شرف الدين بن قاضى[2] الجبل وزين الدين بن رجب[3] بدمشق ، وولى قضاء حمص .

١٧ - محمد بن عبد الواحد بن العماد محمد بن القاضى علم الدين أحمد بن أبى بكر ، تقىّ الدين بن زكى[4] الدين بن عماد الدين بن قاضى القضاة علم الدّين الإخنائى المالكى نائب الحكم ؛ كان من خيار القضاة . مات فى ثالث[5] ذى الحجة بمكة - وكان جاور بها - فى هذه السنة عن[6] ثلاث وستين سنة ، وهو من بَيْتِ فضلٍ وعلمٍ ورياسة .

١٨ - قَشْتَم[7] المؤيّدى الدويدار كان ولىَ اسكندرية ثم إمرة حلب واستمر فيها إلى أن قُتِل فى المحرم .

---

(١) كانت إجازته إياه من بعلبك كما يستفاد من الضوء اللامع ٣٤٣/٧ .

(٢) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة ، سمع من الفراء والواسطى وابن مؤمن ، وأجاز له ابن عساكر وابن القواس ، وكان مبعاده حافلا بالناس على الدوام ومات فى رجب سنة ٧٧١ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٣٣٤/١ ، وشذرات الذهب ٢١٩/٦ - ٢٢٠ .

(٣) انظر الدرر الكامنة ٢٢٧٦/٢ ، وإنباء الغمر ٤٦٠/١ ، وشذرات الذهب ٣٣٩/٦ .

(٤) عبارة « ابن زكى الدين بن عماد الدين بن قاضى القضاة علم الدين » غير واردة فى هـ .

(٥) « سادس » فى الضوء اللامع ٣٠٢/٨ .

(٦) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٧) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة ومن التى تليها ، أما فيما يتعلق بقشتم فقد ورد فى ز برسم « قشتم » وترجم له الضوء اللامع ٧٣٧/٦ باسم « قشتمر » ، والظاهر أن كلا الرسمين - وهما قشتم وقشتمر - جائز فيه فقد قال السخاوى فى الضوء اللامع ٧٣٨/٦ فى ترجمة شخص آخر اسمه « قشتمر الحمزاوى » : « اسمه قشتمر أو بدون راء » ، واعتمدت النجوم الزاهرة ٧٩٦/٦ رسم « قشتم » .

١٩ ــ كافور الصرغتمشى الطواشى الزّمام . مات فى يوم الأحد خامس عشرى ربيع الآخر وقد قارب الثمانين ، وقد عمّر المدرسةَ التى بخط حارة الديلم[١] واستقرّ بعده فى الزمامية خُشْقَدَم الظاهرى[٢] .

٢٠ ــ محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن علىّ القَلْقَشندى ــ بقافين مفتوحتين بينهما لام ساكنة وتبدل اللام راء مهملة ــ ، نسبةً إلى قريةٍ[٣] من ضواحى مصر ، القاضى بدر الدين أبو عبدالله القرشى الشافعى ، ولد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بقلقشندة ثم رحل إلى القاهرة ، وهو صغير فقرأ القرآن وحفظ « المنهاج » وعدة مختصرات بفنون من العلوم ، وتفقه بالإسنوى ثم بالبُلْقينى ، ومهر فيه[٤] حتى تقدّم على أقرانه ، وفاق فى الفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وكان قصير الباع فى العربية ، وسمع الحديث ولم يُكْثِر منه ؛ ومن جملة مسموعه « صحيح ابن حيان » سمعه على العزّ بن جماعة ؛ وناب فى الحكم . وولِّى قبل ذلك أمانةَ الحكم فى سنةٍ تسعين ، وكان القاضى جلال الدين [البُلْقينى] يثنى عليه حتى قال مرة : « ليس فى نُوَّابى أَمْثل منه » ، وافتخر به السّراج البلقينى يوماً وقد أجاب عن مسألةٍ مشكلةٍ فى الفقه بجوابٍ حسنٍ فقال : « هو من قدماء طلبتى » ، هكذا ترجمه قريبه [عبد الرحمن[٥] القلقشندى] وعيَّن غيره[٦] .

٢١ ــ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الإمام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الشافعى ، محيى الدين أبو حامد الطوسى ، قدم

---

(١) أفاض المقريزى فى الخطط ٢/٧-٨ فى ذكر هذه الحارة فأشار إلى أنها سميت بذلك الاسم لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدومه مصر ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهى سنة ٣٦٨ ، ومن ثم عرفت بهم .

(٢) جاء بعد هذا فى ز « محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الزبيرى البنهاوى . ذكره المؤلف فى معجمه » .

(٣) يعنى بذلك قلقشندة التى تعرف أيضا بقرقشندة وهى من القرى المصرية فى محافظة قليوب وينسب إليها جماعة من أعلام الفكر الإسلامى أمثال الفقيه المصرى الليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥ ، وأحمد بن على القلقشندى صاحب صبح الأعشى وغيره من الكتب المستعملة فى حواشى هذا التحقيق ، أنظر فى ذلك القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٤٦ — ٤٧ .

(٤) أى فى الفقه .

(٥) الإضافة من الضوء اللامع ٩/٤٩٧ .

(٦) ورد بعد هذا فى ز ما يلى وهو ترجمة لنفس صاحب هذه الترجمة : « محمد بن محمد بن محمد القاضى بدر الدين القلقشندى أمين الحكم ، ولد فى أول المحرم سنة ٧٤١ وينسب لفضيلة ومشاركة ، مات يوم الاثنين ٢٤ المحرم ، قال المؤلف فى معجمه : أمين الحكم بالقاهرة وليها أكثر من ثلاثين سنة ، وكان ذاكراً للفقه يحفظ المنهاج للنووى عارفاً بالفرائض صحيح الذهن وفتر قبل موته بسنوات ، وذكر ، أن مولده فى سنة ٤٢ وأنه سمع الكثير على عز الدين بن جماعة . مات فى ٢١ المحرم» .

من بلاده إلى حلب فى شهر رمضان سنة ثلاثين وثمانمائة بعد أنْ كان دخل الشام قديماً ، وسمع من زين الدين عمر بن أُميلة مسندِ الوقْت وحدّث عنه فى هذه القدمة ؛ وجدُّه الثامن – فيما زعمه – هو حجّة الإسلام أبو حامد الغزالىّ المشهور ، كذا ذكر عنه ذلك الشيخ برهان الدين سبط بن العجمى فيما قرأتُ بخطه والقاضى علاءُ الدين فى ذيل تاريخه ، ووصفاه بالعلم والدين .

وقال القاضى فى الذيل : « رأيْتُ أتباعه وتلاميذه يذكرون عنه علماً كثيراً وزهداً وورعاً ، وأخبر عنه بعضُ الطلبة أنَّه حجّ مراراً منها واحدة ماشياً على قدم التَّجْريد ، وكان معظَّما فى بلاده » ، قال : « وبلغنى أنَّه رآى مَلَكَ الموت فسأَله متى يموت ، فقال له : أنت تموت فى العُشْر ، فمادرى أىَّ عشر ، فاتفَّق أنَّه مات فى حلب فى العشر الأَخير من شهر رمضان[1] سنة ثلاثين » ، وكانت جنازته مشهودة ، وأخذ عنه إبراهيم بن علىٍّ الزمزمى[2] المكِّى .

* * *

(١) الوارد فى الطباخ : إعلام النبلاء ٥/١٨٤ – وإن كان ذلك نقلا عن السخاوى – أنه مات يوم السبت ٢٢ رمضان ، وقياساً على ماجاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٤ من أن الخميس هو أول رمضان سنة ٨٣٠ فإن السبت يكون رابع عشريه وليس بثانى عشريه .

(٢) هو إبراهيم بن على بن محمد بن داود المعروف بالزمزمى – نسبة لبئر زمزم – لكونه كان يلى امرها مع سقاية العباس نيابة عن الخليفة العباسى ، وهو مكى المولد والنشأة سمع على كبار فقائها ومحدثيها وبرع فى كثير من علوم ذلك العصر كالحساب والجبر والمقابلة والهندسة وعلم الميقات ، ومات بمكة سنة ٨٦٤ ، راجع عنه الضوء اللامع ج ١ ص ٨٦ – ٨٧ .

سنة احدى وثلاثين وثمانمائة

فى ثالث المحرم لبس السلطانُ الصوف وكان ذلك قبل العادة بمدّة والحرُّ موجود ، واستمر بعد ذلك أياما ، ووقع الندى وأمطرت السماء قليلاً ودخل كِيَهْك من شهور القبط وهو أول الأربعين عند المصريين ولم يقع البرد بل كان نظير فصل الربيع ، واستمر ذلك إلى أن نُقلت الشمس إلى الجَدْى ولم يُعْهد ذلك .

وفى الثالث من المحرم قدم الحمل من قبرص وهو خمسون[1] ألف دينار .

وفيها قتل عذرا بن [على بن] نعير أمير آل فضل واستقر بعده أخوه وحجّ .

وفى ثانى عشر صفر صُرِفَ القاضى الحنبلى عز الدين عبد العزيز بن علىّ القدسى وأُعيد القاضى محب الدين [أحمد] بن نصر الله [البغدادى الحنبلى] ، وكان عز الدين أحسّ بأنه يعزل فمكر بأن سأل ناظرَ الجيش أن يسأل له السلطان فى الإعفاء ، فبلغ السلطان ذلك فأُعجب به ، وقال : « لولا أنَّه رجل جيد ما طلب الإعفاء » وأمر أن يستمر . فظن حصول مقصوده بذلك من الاستمرار ، فصبر على ذلك مدة ، وسخط منه كاتب السر لأمر اقتضاه فاحتال عليه بأن قال للسلطان : « هذا الحنبلى شيخ كبير وقد تكرر سؤاله الإعفاء وأن يقرر له رِزقٌ على جهة حِلٍّ يأكل منها ويعبد الله ، ويدعو للسلطان » ، فأمر السلطان بإجابته لذلك ، فخُلع على محب الدين ولم يشعر عز الدين بذلك فضجّ ودار على الأُمراء فلم ينجع ، وقُرّر له فى الشهر على وقف يَلْبُغا التركمانى معلومُ النظر ، وكان يظن أنه بما تحيل به يستمرّ فانعكست حيلته[2] .

---

(١) زاد النجوم الزاهرة ٦/٦٢٦ على ذلك بأن برسباى أمر بضربها دنانيرا أشرفية وهى التى أمر بسكها بدلا من الدنانير الإفرنتية المشخصة ، ومن ثم ضربت بقلعة الجبل وهو « ينظر إليها إلى أن تمت » .

(٢) يستفاد من قراءة نص النجوم الزاهرة ٦/٦٢٦ – ٦٢٧ خلاف ما يستفاد من قراءة النص أعلاه من حيث شخصيه القاضى الحنبلى المعزول ، فقد قال « ولم يكن عزل عز الدين لسوء سيرته بل إنه سار فى القضاء على طريق غير معتادة ، وهو أنه صار يمشى فى الأسواق ويشترى ما يحتاجه ، وإذا ركب أردف خلفه على بغلته عبده ويمر على هذه الهيئة بجميع شوارع القاهرة »=

وفى صفر أُمر بتحكير قصب السكر وأن لا يزرعه أحدٌ إلاَّ للسلطان . ثم بطل ذلك بعد قليل .

وفيه أُمر بهدم ما كان اليهود أحدثوه من بناء درْبٍ محدث يغلق على كنيستهم وسياج كالسور حاذوا فيه كثيراً من دور المسلمين التى تهدَّمت ، وكانوا فعلوا ذلك فى سنة ثلاثٍ وعشرين بغير إذنٍ من حاكم ، فقام الشريف شهاب الدين النعمانى فى ذلك ، وكان لمّا أنكر عليهم لَبَّسُوا على قاضى الحنابلة وأخذوا خَطَّه على قصة ، وكان القائم معهم فى ذلك نقيبُ الحنبلى جمال الدين عبدُ الله الإسكندرانى ، فحمَل النعمانى أعيانَ الناس على الحنبلى حتى أوضح له القصة فحكم بهدم ما أحدثوه من السياجات والأبواب والخوخ ، وسجل على نفسه بذلك فى سنة أربع وعشرين ، فلما كان فى هذه السنة رفعوا للقاضى الحنفى العينتابى قصةً فأذن فيها لبعض النواب ممن كان الشافعى منعه من الحكم وكان من شيعة اليهود ، فتوسل العينتابى بذلك فأذن له فى الحكم وعيّن عليه هذه القصة ، فكتب محضراً يتضمن أنَّ الذى كانوا جَدّدوه مختصٌ بالكنيسة وليس فيه شىء من أبنية المسلمين ولا مِنْ حقوقهم ، وإنما تعصّبوا عليهم فى القضية التى تقدّم ذكرها ، فأثبت ذلك وأذن لهم فى إعادة ما كان الحنبلى حَكَم بهدمه فسارعوا إلى بنيانه ، فقام النعمانى وحمل الناس على العينتابى حتى نفَّذ حكم الحنبلى ، ثم أخذ النعمانى فى التشنيع على النائب الذى تعاطى ذلك وهو عبد الله البرلسى حتى اتَّصلت القصة بالسّلطان . فأذِن الشافعى والحنبلى أن يتوجها بمفردهما ومعهما ناظرُ الأوقاف إلى المكان المذكور ويشخِّصوه وينظرَ القاضيان فيما حكم ابن المغلى ثم البرلسى ويفعلا فيه الواجب . فتوجّهوا يوم الجمعة ثانى عشرى صفر ، وكان النعمانى استكتب شيوخ المصريين فى محضر شهدوا فيه أن الذى أُعيد الآن هو عين ما كان ابنُ المغلى أَمَر بهدمه ، وأذن العينتابى لليهود فى كتابة محضَرٍ بأنه غيْرُه وكتب فيه جماعة ، فلما تأمَّلْتُ المحضرين وشاهدْتُ الأمكنةَ المجدّدة أغْنَتِ المشاهدةُ عن الخبر وظهر الحق بيد النعمانى ، لكن رأيت الغوغاء قد اجتمعوا ومعهم المساحى والمعاول فلو أذنت بهدم شىْء مّا

=ثم أشار أبو المحاسن إلى أن القاضى الحنبلى كان يكثر التردد عليه من المدرسة الصالحية ماشيا ويجلس « حيث انتهى به المجلس ، فلم يحسن ذلك ببال أعيان الدولة وحملوه على أنه يفعل ذلك تعمدا . . . وقالوا للسلطان : هذا مجنون ولا زالوا به حتى عز له » .

لهُدِمت الكنيسة كلها ونُهب ما فيها ، وكان ذلك وقت العصر ، فقلت لهم « : لا بد من كشف كنيسة النصارى حتى ينظر ما أحدثوا أيضا ويُهدم الجميع » ، فأعجبهم ذلك وافترقنا على العود فى أول النهار ، ثم استوفى الشافعى والحنبلى الشروط فى المسألة وحَكَمَا بهدم ما أُحْدِث وإبطال حُكْمِ البرلّسى . وكان ابن البرلّسى قبل ذلك خشى القالة فأشهد على نفسه بأنه رجع عن الحكم المذكور ، ثم توجّه لكاتب السر فأعلمه بذلك ، واتصل ذلك بالسلطان وكَتب عند الافتراق : « أمرْتُ الوالى أن يزيل ما أحدثوه من الأبنية الجديدة كلها بالليل » ، ففعل ذلك وانحسمت المادة بعون الله تعالى .

* * *

وفى ربيع الأول غلا السعر بسبب هبوب الريح المريسيّة فمُنعت المراكب من الوصول إلى الوجه البحرى بالغلال وعزّ وجوُد الخبز بالأسواق أياما ، ثم فرج الله وانحلّ السعر فى جمادى الأولى ورخص القمح وغيره .

وفى شهر ربيع الآخر شدّد السلطانُ فى أمر الخمر وأمر بإراقة ما يوجد منها فى مظانّها فى جميع البلاد وكذلك الحشيش وأمر بإحراق ما يوجد منها ، فأهريق من الخمر وأُحرق من الحشيش مالا يُحصَى كثرة ، وأكثر ذلك كان بدمياط ، وكان فى القاهرة وغيرها من الأعمال على ذلك ضمانٌ وعليه إقطاعات لأناسٍ ، فبَطُل ذلك ولله الحمد ، ثم أُعيد قليلا قليلا بدسائس أهل الظلم والمكر حتى عاد كما كان بعد مدة قريبة .

وفيها أُبطلت المعاملة بالبنادقة وضُربت أشرفيةٌ ، وحصل بذلك لخيار المسلمين سرور كبير.

* * *

وفيه حضر جماعةٌ من أهل دمياط وشكوا من ابن الملاّح الكاتب النصرانى الملكى وأنّه متجاهرٌ باللّواط ويستخدم من يكون جميلَ الصورة من أهل البلد ويبالغ فى إظهار الفاحشة ، حتى إنه ربمّا قام بحضرة الناس فخلا به الشاب منهم بحيث لا يواريه إلاّ جدارُ المخدع أو شبهه ، ثم يخرجان معا على الهيئة الدالة على المُراد ، وكَثُر ذلك منه وأنف جماعةٌ من الناس ومنعوا أولادهم من الخدمة عنده وهو يفسدهم بكثرة العطيّة ومعاقرة الخمر والغناء ، مع ما هو فيه من الجاه العريض حتى كان والى البلد يقف فى خدمته ، ومهما قال لا يُرَد

ومهما فعل لا يُتَعقَّب ، ومن نازعه فى شىء أفسد حاله عند ناظر الخاص المتكلّم على البلد ، فرفعوا فى أمره قصةً تتضمّن هذا وغيره من المفاسد ، فعُقد له مجلسٌ بحضرة السلطان ، فلما ادُّعِى عليه أنكر فقامت البيّنة بشىء من ذلك فبادر وأسلم وحُكم بإسلامه ولُقِّب محب الدين ، وشرط عليه الشافعى أنه متى ثبت عليه شىءٌ مما وقع فيه ، أو وقع فى حق أحد ممن قام عليه فى ذلك رتّب عليه بمقتضاه وتهدده فى ذاك فأذعن والتزم وتوجّه إلى دمياط وحسنت سيرتُه بالنسبة إلى ما كان ، والله أعلم بغيبه .

وفيه مُنع الفرنج من حمل الخمر من بلادهم ثم بعد مدة عادوا .

وفيه جُعل على تجار الشام ثلاثةُ دنانير ونصف إنْ حَملوا البهار إلى بلادهم زيادةً على المكس المعهود ، ثم بعد سنين بطُل ذالك والتزموا بعدَمِ الحَمْل .

وفى الخامس من جمادى الأولى غضب السلطان على فيروز الساقى بسبب أنه تكلم فى القاضى الحنفى العينتابى ونسبه إلى أمور معضلة : مِن تَنَاوُلِ الرّشوة والحكم بالغرض وتعاطى الأسباب المقيتة ، فأراد السلطان الاستثبات من ذلك فأحضر الحنفى وأراد من فيروز أن يواجهه ويحاققه ، فخارت قوى الطواشى فاعتذر واستغفر ، فاشتدّ غضبُ السلطان وأمر بأن يُنْفَى بعد أن ضُرب ضرباً شديداً ، ثم شُفع فيه بأن يكون توجهه إلى المدينة الشريفة ، فأجاب وتوجه وأقام بها سنةً ثم أُذن له فى الرجوع .

وفى جمادى الأولى عند نزول الشمس بُرجَ الحمل أمطرت السماء يومين متواليين مطراً غزيراً لم يقع نظيره فى هذه السنة قبل ذلك .

ووقع فى أول يوم من برمودة[1] . والشمس فى الحمل — حرٌّ شديدٌ وسموم نَظير ما جرت العادة أنه يقع فى تموز .

وفيه لبس السلطانُ الأبيضَ قبل العادة بسبعةٍ وثلاثين يوما لشدّة ما وقع من الحرّ ، ثم لم يلبث البرد أن عاد أشد مما كان ، واستمر إلى أن مضى عشرون يوما .

---

(١) أى يوم ١٠ رجب ويعادله الخامس من شهر أبريل سنة ١٤٢٨ ، انظر فى ذلك التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٦ .

وفيه وقع بالشّام مرضٌ عامٌ وكثر موتُ الخيل بها وبحماة .

❋ ❋ ❋

وفى جمادى الأولى خُلع الأَشرف إسماعيل بن الناصر أَحمد صاحب اليمن من المُلك ، وكان السبب فيه أَن وزيره الأَشرف إسماعيل بن العفيف عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوى قَصَّر فى معاملات[1] الجند فطالبوه مراراً فلم ينصفهم ، فرفعوا أَمرهم للسلطان فأَحالهم على الوزير فتألَّموا وهجموا على الدار ، فخرج إليهم سُنْقُر أَمير جندار فضربوه بالسيوف حتى برد ، وقتلوا الشادَّ الكبيرَ واسمه[2] عندهم مشد المشدّين ، وهجموا على الأَشرف وقبضوا عليه وعلى علىّ بن الحسام لاجين وسجنوا الأَشرف وأُمّه وخطيبه ، وكان كبيرهم مملوكٌ يقال له برقوق من مماليك النَّاصر[3] ، فاتفق رأيهم أَن يُخْرِجوا يحيى بنَ الناصر من محبسه ويسلطنوه ففعلوا . ولقَّبوه « الظاهر» ونهبوا دار السلطان ، واستقرت سلطنة يحيى بن الناصر وحُبس الأَشرف إسماعيل فى الموضع الذى كان فيه يحيى وهو فى حصن تعبات من بلاد تعز ، وصُودر الوزيران وعظُم أَمر الشهاب أَحمد بن الأَمير محمد بن زياد الكاملى وكان أَبوه من أَكابر أمراء الأَشرف بن الأَفضل ، ثم صار هو الآن كبير الأُمراء ؛ وظهرت من الظاهر يحيى شجاعةٌ ومعرفةٌ ومهابةٌ[4] .

❋ ❋ ❋

وفى الثالث من جمادى الآخرة ادُّعِى على شمس الدين محمد بن الشيخ عز الدين حسن الرازى الحنفى- أَحد نواب الحكم - بأَنه وقَع فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، فأَنكر ، ثم ادَّعَى عليه نقيبُ الحنفى أَنه قال له : « أَنت يهودى » فأَنكر ، فأَقام عليه البيّنة بذلك فعُزِّرَ وحُكم للحنفى بحقن دمه فسكنت القضية .

وفى جمادى الآخرة وصَل إلى الشيخ علاء الدين بن البخارى من صاحب « كلبرجا » من بلاد الهند ثلاثةُ آلاف شاشٍ ففرّق منها أَلفاً على الطلبةِ الملازمين له ، من جملتها مائةُ

---

(١) فى ه : « مرتبات » . وفى النجوم الزاهرة ٦/٦٢٨ « جوامكهم ومرتباتهم » .

(٢) وكان اسمه « على المحالبى » .

(٣) المقصود بالناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل .

(٤) راجع قصة هذه الثورة اليمنية فى النجوم الزاهرة ٦/٦٢٨ – ٦٣٢ .

شاش لصدر الدين بن العجمى ليوفى بها دينه ؛ ويقال إن صاحب الهند كان قرأ على الشيخ علاء الدين لمّا كان بالهند فراسله فأشار عليه أن يرسل لفقراء الطلبة صدقةً فأرسل ذلك ، ثم فرّق الشيخ علاء الدين على الطلبة كثيراً من الشاشات وعَمل لهم وليمةً فى بستان ابن عنان صَرف عليها ستين ديناراً ، ووصلت هدية صاحب الهند للسلطان وهى مائتا شاش ومائتا إزار بَيْرمى وستون نافجة من المسك الطّيب وأربعة أسياف محلاة ، فيها نحو خمسمائة مثقال .

وفيها عزم الشيخ علاء الدين البخارى على الحج واستأذن السلطانَ فامتنع فألحّ مرةً بعد مرة ، فأرسل إليه كاتبَ السر بدر الدين بن مزهر فلم يزل يراجعه ويرجعه إلى أن قبّل يده فأطاع وقام .

وفى السادس من جمادى الآخرة أُخذت الحوانيت التى فيها السيوفية والصيارف بظاهر الصّاغة وعلّوها ، وقد أخذ فيها الخراب واستبدل النصف والربع بمالٍ جزيل يعمّر به فى الربع الباقى لجهة وقفه على الصّالحية ، فعمره عمارة جديدة ، وصارت أجرة الربع أزيد من أجرة الكل بالنسبة لما كان يفضل بعد الصرف فى ترميمه .

وفى أول يوم من رجب عُمل الموكب السلطانى وكان حافلاً جدا ، والسبب فيه قدومُ رسولٍ من ابن عثمان يستأذن فى الحج ومعه هدية جليلة .

وفيه التمس الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى من السلطان أن يُبطل إدارة المحمل حسماً لمادّة الفساد الذى جرت العادة بوقوعه عند إدارته فى اللّيل والنهار من ارتكاب المنكرات والتجاهر بالمعاصى ، فأمر السلطان بجمع القضاة وكاتب السر وأن يتوجّهوا إلى الشيخ علاء الدين فيتكلّموا معه فى هذه المسألة ، فوقع الكلامُ فقلْتُ : « ينبغى أن يُنْظَر فى السبب فى هذه الإدارة فيعمل بما فيه المصلحة منها ، ويزال ما فيه المفسدة ، وذلك أن الأصل فيه إعلام أهل الآفاق أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمنة ، وأن من شاء أن يحجّ فلا يتأخّر لخشيته خوف الطريق ، وذلك لما كان حدث قبل ذلك من انقطاع الطريق

إلى مكة من جهة مصر كما هى الآن منقطعة غالباً من العراق ، فالإدارة لعلها لا بأس بها لهذا المعنى ، وما يترتب عليها من المفاسد يمكن إزالته بأن يبطل الأمر بزينة الحوانيت فإنها السبب فى جلوس الناس فيها وكثرةِ ما يُوقَد فيها من الشموع والقناديل ويجتمع فيها من أهل الفساد ، فإذا تُرِك هذا وأمر السلطان من تعاطى إدارة المحمل من غير تقدّمِ إعْلام الناس بذلك حصل الجمع بين المصلحتين » ، وانفصل المجلس على ذلك .

ووقع فى هذا المجلس ذكر ابن العربى الصوفى فبالغ الشيخ علاء الدين فى تكفيره وتكفير من يقول بمقالته ، فانتصر له المالكى وقال : « إنما يُنكِر الناس عليه ظاهرَ الألفاظ التى يقولها ، وإلاَّ فليس فى كلامه ما يُنكر إذا حُمل لفظه على مراده بضربٍ من التأويل[1] » ، فانتشر الكلام بين الحاضرين ، وكنتُ مائلاً فى ذلك مع الشيخ علاء الدين بأن من أظهر لنا كلاماً يقتضى التكفير لا نُقِرّه عليه ، وكان من جملة كلام الشيخ علاء الدين الإنكار على من يعْتَقِد الوحدة المطلقة ، وكان من جملة كلام المالكى : « أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة » ، فاستشاط البخارى غضباً وأقسم بالله أن السلطان إنْ لم يعزل المالكى من القضاء ليخرُجَنَّ من مصر ، والتمس من كاتب السر أن يسأل السلطانَ فى إزالة أشياء من المظالم الشنيعة ، ومن جملتها أن المسلم يؤخذ منه المكس أكثر مما يؤخذ من النّصرانى إذا أحضر بضاعةً واحدة ، بحيث صار كثير من المسلمين يحمل بضاعته باسم النصرانى وينقله[2] له المائة ، وأكد عليه فى قصة المالكى[3] فأعاد كاتبُ السر على السلطان جميع ما اتّفق ، فأمر بإحضار القضاة عنده فحضروا ، فسأل عن مجلس علاء الدين فقصّه كاتب السر بحضرتهم ، ودار بين الشافعى والمالكى فى ذلك بعض كلام فتبرأ المالكى من مقاله[4] فى ابن العربى وكفَّر من يعتقدها ، فصوّب الشافعىُّ قوْلَه وسأل السلطان : « ماذا يجب على المالكى ، وهل تكفير

(١) أمام هذا الخبر فى هامش هـ بخط البقاعى : « وكان الكلام أيضا فى ابن الفارض بل ما كان أكثر الغيظ إلا بسببه كما حدثنى بذلك غير واحد ممن حضر هذا المجلس ، ولكن شيخنا لم يستوعب الحكاية عن ذلك إذ ما ذكر التكفير أولا وذكره آخرا على وجه السؤال عنه ، ولم يتقدم ذكره ، وكان التكفير لأجل أنه قال إن كلامهم يؤول » .

(٢) فى هـ « ويتقلد » .

(٣) أمام هذا فى هامش هـ بغير خطى الناسخ و البقاعى « قضية البساطى فى ابن العربى » .

(٤) فى هـ « مقالة ابن العربى » .

الشيخ علاء الدين له مقبول ؟ وهل يستحق العزل أو التعزير ؟ » فقلت : « لا يجب عليه شئ بعد اعترافه هذا ، وهذا القدر كافٍ منه »

وانفصل المجلس على ذلك ، وأرسل السلطان يَتَرَضَّى علاء الدين ويسأله أن لا يسافر فأبى وسلم له حاله وقال : « يفعل ما أراد » ، وهَمَّ بعزل القضاة لاختلاف قولهم الأول عند علاء الدين والثانى عنده ، فبَيَّن له كاتبُ السر أنَّ قولهم لم يختلف ، وأوضح له المراد ، فرضى واستمرّ المالكى بعد أن كان أراد أن يقرر الشيخ شهاب الدين بن تقى الدين الدميرى أحدَ نوابه مكانه ، وحضر المجلسَ المذكور وأُحضرت خلعته فبطُل ذلك .

وفى السادس والعشرين من رجب هبَّت ريحٌ شديدة ملأت الأَزقَّةَ والبيوت تراباً ، فدام ذلك من أول النهار إلى آخره وبعض الليل .

وفى رمضان توجّه سعد الدين إبراهيم بن المرة الكاتب لأَجل المكوس من تجار الهند بجدّة ، فعمر بجدّة جامعاً وفرضة وصارت ميناءً عظيمة ، وجهز السلطانُ أميراً يقال له أَرَنْبُغَا من أمراء العشراوات ، وجَهَّز معه خمسين مملوكا لدفع بنى حسين والقوّاد عن التعرّض إلى جدّة والإعراض عن النهب ، وحج بالركب الأَول إينال الشِّشْمَانى رأس نوبة وبيده يومئذٍ حسبةُ القاهرة ، فاستناب فيها دويداره شاهين فمَشَّى الأُمور إلى أن وصل أستاذه فلم تُشكر سيرته لكثرة نومه وإغفاله أَمْرَ اللصوص .

وفيه قُبض على وطج أحد أمراء الأَلوف وحُمل إلى الإسكندرية ، وقُبض على جِرْبَاش أمير مجلس ونُفِى إلى دِمياط مطلقاً فأقام بها ، واتجر وتَمَوَّل ، واستقر إينَال الأَجرود فى نيابة غزة ، وأُعيد بيبغا المظفرى من القدس واستقر فى إمرة جرْبَاش المذكور ، وذلك فى العشر الأَخير من ذى القعدة .

وفى خامس ذى الحجة قُبض على أُزْبُكْ الدويدار واستقر مكانَهُ أَركماس الظاهرى ، واستقر تمراز — الذى كان نائبَ غزة — فى وظيفة أَرْكُمَاس رأس النوبة الكبير .

ووصل فى هذه السنة المحملُ من العراق بعد أن انقطع[١] عشر سنين أو أكثر ، جهَّزه فى هذه السنة حُسين بن علاء الدولة [على] بن أحمد بن أويس أمير الحلة ومُغِيَرة بن سقم ، ووقف الحج يومين للاختلاف فى الهلال .

وفى ذى الحجة انحطَّ سعر القمح بعد أن كان بلغ أربعمائة إلى ثلاثمائة وخمسين ، ثم انحط بعد ذلك أيضاً ، وفُتِحت الشون السّلطانية وغيرها وبيع منها فحَصُل الاتساع ، وكان الشعير بلغ مائتين وعشرين ، والتبن مائةً وثمانين كلُّ حمل ، ثم انحط أربعين درهما كلُّ حمل .

وفى ثامن رمضان استقر قُونصوه فى نيابة طرسوس وكان أمير عشرة ، وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد . ـ

وفى جمادى الآخرة قُرِّر طَرَابَاى فى نيابة طرابلس وكان قد أُذن له أن يقيم بالقدس بطَّالاً فتحول مِنْ ثَمَّ إلى طرابلس واستمر فى إمرتها .

* * *

وفى شهر ربيع الآخر أُفرج عن جِينُوس الإفرنجى صاحب قبرص على فَدْىٍ مبلغهُ مائةُ ألفِ دينار ، وأن يُطْلِق مَن عندهم مِن أسرى المسلمين ، وجُهِّز إلى الإسكندرية .

وفيه قدم مركبان من فرنج الكَتَلان لأخْذِ الإسكندرية بغتةً فوجدوا أهلها قد أيقظهم متولىّ قبرص بهم فلم يحصل لهم مقصود .

* * *

وفيه أمر السلطان بإراقة الخمور فتُتُبِّعَتْ مِن كل مَنْ يتعاناها مِن المسلمين وأهل الذمة وشُدِد فى ذلك وكتب إلى البلاد الشامية وغيرها ، وكُتِب إلى الإسكندرية بإلزام الفرنج بإعادة ما جلبوه من الخمور إلى بلادهم ، واتفق فى دمياط أن بعض الفقهاء أراق خمرا فعارضه بعض الخاصكية وأهانه ، فبلغ ذلك السلطانَ فأمر بضَرْب ذلك الخاصكى ضرباً

(١) كان انقطاع الحاج العراقى هذه المدة الطويلة بسبب تعرض شاه محمد بن قرا يوسف لمهاجمة العراق .

مبرحا ، حتى إن بعض الأمراء ــ وهو أخو السلطان ــ قام ليشفع فيه فأَمَرَ السطانُ بضربه معه فضُرِبا معاً ، ثم أُمر بإحراق الحشيش والمنع من زرعها .

* * *

وفيها نقض ابنُ الرّكَاعِنة طاعةَ أَبى فارس صاحب تونس ، فسار إليه واجتمع به عبد الواحد بن أبو حمو وهو عمه ، ففرّ ابن الرّكَاعِنة وأقام أَبوُ فارس عبدَ الواحد المذكور فى مُلْك تَلْمِسَان وفاس ورجع ، وكان ما سيأتى ذكْرُه سنة ثلاثٍ وثلاثين .

* * *

وفى السابع من رجب استقر كمال الدين بن البارزى فى كتابةِ السر بدمشق عوضاً عن حسن السّامرى[1] بحكم وفاته وكان له مُنذ عُزل من نظر الجيش مقيماً بالقاهرة سبع سنين ، واستقر شهابُ الدين بنُ نقيبِ الأَشراف بدمشق فى نظر الجيش عوضاً عن حسن أيضا ، وكان جمعَهُمَا .

وفى عاشره استقر عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسى فى تدريس الصلاحية بالقدس عوضا عن الشيخ شمس الدين البرماوى بحكم وفاته .

واتفق فى هذه السنة من العجائب أن الفول نزل عليه الصّقيع بالصعيد فأَفسده وهو أخضر، وشرق كثيرٌ من الأَراضى فلم يُزْرع ، وأَكلت الدودة مواضع مزروعة ، فكانت هذه الأمور الثلاثة فى العادة ينشأ منها الغلاء ، وانضاف إلى ذلك نزولُ النيل بسرعة فزرعوا فى شدة الحر ، ثم تسلَّطت الدودة مع ذلك فتحرك السعرُ قليلا ، ولم يرتفع لشى من الغلة رأس ، وتمادى الأَمرُ على ما كان حتى جاء المغل الجديد ، ثم غلا السعر فى أيام زيادة النيل فزاد سعرُ كل إردبٌ مائةَ درهم ، وانحلت الأَسعارُ بعد وفاء النيل ، وكان ببلاد الصعيد الأَعلى وباءٌ شديد ومرضٌ حاد ، ومات بسببه خلائق كثيرة فى رجب وشعبان .

وفى سادس عشر شوال نودى بإِبْطال المعاملة بالدّراهم البندقية واللّنكية ، وأُخرجت الدنانير الأَشرفية ، ونودى أن تكون بمائتين وخمسةٍ وعشرين ، وأُبطِلت المعاملة بالأَفلورية .

---

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « أى الذى كان سامريا » .

وفى السادس من ذى الحجة قُبض على أُزبُكْ الدويدار الكبير واستقر عوضه أَرْكَمَاس الظاهرى رأس نوبة النوب واستقر فى وظيفة تَمْرَاز الذى كان نائب غزة.

وفيها استقرّ جوهر القَنْقَبَاوى خزنداراً ثانياً ، ثم بعد قليل استقر عوضا عن خُشْقَدم خزندارا كبيراً واستقر خشقدم زمّاما بعد موت الزمام .

وفى سابع عشر ذى الحجة استقر التاج الوالى مهمندارا عوضاً عن خَرَز ، فاجتمعت له عدة وظائف : ولايةُ القاهرة والحجوبيةُ وشدُّ الدواوين والمهمنداريةُ ، مع استمراره فى مجالسة السلطان وندمائه .

* * *

ذكر من مات فى سنة احدى وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ – إبراهيم بن عبد الله الشامى الملّقب خرز[١] ، قدم مع المؤيّد فولاّه المهمنداريّة بعد ابن لاَقِى ومات وقد ولى مرّةً ولاية القاهرة ، ومات فى العُشر الآخر من ذى القعدة .

٢ – أُزْدُمُرشاية[٢] أحد الأمراء الكبار ، نُقِل لنيابة مَلَطْية فى أوّل سنة ثلاثين ثم رجع إلى حلب أميراً ومات بها فى سادس شهر ربيع الآخر ، وكان من مماليك الظاهر ثم صار من أتباع شيخٍ فلمّا تسلطن أمّره .

٣ – أياس الحاجب الظاهرى ، كان أحد الأمراء الأربعين ثم أُخرج إقطاعه وانفصل من الحجوبية ومات بطالاً .

٤ – بُكْتُمُر بن عبد الله السّعدى مملوك سعد الدين بن غُراب ، تربّىَ صغيراً عنده وتعلّم الكتابة والقراءة وكان فصيحاً ذكياً ترقّى إلى أن سَفَّره السلطان إلى صاحب اليمن ، ثم عاد فتأمّر وتقدّم ؛ وكان فاضلاً شجاعاً عارفاً بالأمور . مات فى يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول .

---

(١) براءين فى الضوء اللامع ج ١ ص ٧٢ .

(٢) ورد اسمه فى الضوء اللامع ٢/٨٦١ « ازدمر سيدى أوشاية. كما أنه يعرف بأزدمر سيا » وذكرته النجوم الزاهرة ٦/٨٠٣ باسم « أزدمر بن عبد الله من على جان الظاهرى » وقال « هو المعروف بأزدمر شايا » .

٥ ـ جَانِبك الدويدار الأشرفى ، كان[1] اشتراه وهو صغير ثم رقاه كما تقدّم فى الحوادث ، وأمّره طبلخاناه سنة ستٍ وعشرين ، وأُرسل إلى الشام لتقليد النُواب فأفاد مالاً عظيماً ، وتقرّر أولاً خازنداراً ثم تقرّر دويداراً ثانياً بعد سفر قُرْقُمَاس إلى الحجاز وصارت غالب الأمور منوطةً به وليس للدويدار الكبير معه كلام ، وتمكّن مِن سيّده غايةَ التمكين حتى صار ما يُعْمل برأيه مستمراً وما يُعمل بغير رأيه يُنْقَض عن قرب .

وشرع فى عمارة المدرسة التى خارج[2] باب زويلة ، وابتدأ به مرضه بالمغص ثم انتقل إلى القولنج وواظبه الأطبّاء بالأدوية والحقن ، ثم اشتدّ به الأمر فعاده أهلُ الدولة كما هم من الخدمة السلطانية فحُجِبُوا دونه ، فبلغ السلطانَ فنزل إليه العصر فعاده واغتمّ له وأمر بنقْله إلى القلعة وصار يباشر تمريضه بنفسه مع ما شاع بين الناس أنه سُقِى[3] السّم ، وعُولج بكل علاج إلى أن تماثل ودخل الحمّام ونزل إلى داره فانتكس أيضا لأنّه ركب إلى الصَّيد بالجيزة فرجع موعوكاً وتمادى به الأمرُ حتى مات ، فنزل السلطان إلى داره وحَضر غُسلَه وركب فى جنازته وصلَّى عليه تحت القلعة .

وكان شابًّا حادَّ الخلق عارفاً بالأمور الدنيوية ، كثير البِّر للفقراء ، شديداً على مَن يتعانى الظُّلم من أهْل الدولة ، وهمَّ الأشرفُ مراراً أنْ يؤمّره تقدمةً فلم يُقَدَّرْ ذلك ، وكان هو فى نفسه وحاله أكبر من المقدّمين .

مات فى ليلة الخميس سابع عشرى شهر ربيع الأول عن خمسٍ وعشرين سنة تقريباً ، وماتت زوجته بعده بستَّةِ أيامٍ فيقال إنَّه كان جامَعَها لمَّا أفاق من مرضه قبل النكسة فأصابها ما كان به من الداء ، ونَقل السلطان أولاده عنده وبنى لهم « خان سرور » بالقرب بين القصرين وكان قد استهدم فأخذه بالرّبع وعمره عمارةً متقنةً بحيث صار الذى يُتحصّل من ربْعه يفى لأهل الربع بالقدر الذى يتحصّل لهم من جميعه .

---

(١) أى الأشرف برسباى والنسبة إليه ، ويعرف أيضا بالدويدار الثانى .

(٢) أشار النجوم الزاهرة ٨٠١/٦ إلى أنها بخط القربيين خارج باب زويلة على الشارع .

(٣) يرى بعض المؤرخين أن الناس اتهموا السلطان برسباى بسمه .

٦ – جانِبكْ بن حسين بن محمد بن قلاون ، سيف الدين بن الأمير شرف الدين بن الناصر بن المنصور ، ولد سنة بضعٍ وخمسين وأُمّر طبلخاناه فى سلْطنة أَخيه الأَشرف شعبان ، ولما زالت دولةُ آل قلاون استمر ساكناً بالقلعة مع أهل بيته وكانتْ عُدَّتُهم إذ ذاك ستمائة نفس فما زال الموت يقلل عَددهم إلى أن تسلطن الأَشرف برسباى فأَمر بهم أن يسكنوا من القاهرة حيث شاءوا فتحوّلوا ، ولم يكن منهم يومئذ أَقعد نسباً من جانِبكْ بل كان قبله بقليل ولد الناصر حسن وقد تقدّمت وفاته فى ......[1] ، وأَناف جانبك على السبعين .

٧ – حسن بن أَحمد بن محمد البُردِينى[2] ، بدر الدين ، قدم من الشَّرقية[3] صغيراً ونشأَ بالقاهرة فقيراً ونزَّله أَبو غالب[4] القبطى الكاتب بمدرسته التى أَنشأَها بجوار باب الخوخة ، فقرأَ على الشيخ شمس الدين الكلائى ولم يتمهَّر فى شئ من العلوم بل لما ترعرع تكسَّب بالشهادة ، ثم ولى التوقيع واشتهر به ، وكانت لديه معرفةٌ بالأمور الدنيوية فراج على ابن خلدون فَنوَّه به وكذا صَدْر الدين المناوى ، ولم ينتقل فى غالب عمره عن ذلك[5] ولا عن ركوب الحمار حتى بأَواخر دولة جمال الدين الأستادار فإن فتح اللهنوّه به فركب الفرس ، وناب فى الحكم وطال لسانُه ، واشتهر بالمروءة والعصبية فهرع الناس إليه لقضاء حوائجهم وصار عمدةَ القبط فى مهماتهم يقوم بها أَتمَّ قيامٍ ، وخصّوه هم بها فلا يثق أَحدٌ منهم فيها بغيره فصارتْ له بذلك سمعة ، وكان يَتَجوّه على كاتب السر فتح الله بناظر

---

(١) فراغ فى جميع النسخ .

(٢) بردين من قرى الشرقية ، وقد جاء فى محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٨٤ أنها من القرى القديمة وأن اسمها الأصلى « بوردين » وهو الذى وردت به فى قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد ، أما تاج العروس فذكرها باسم « البردين » .

(٣) هكذا أيضا فى الضوء اللامع ٣/٣٨٤ ، ولكنها السيوفية » فى هـ .

(٤) هو تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى الأسلمى القبطى ناظر الذخيرة المتوفى سنة ٧٧٧ وهو منسوب إلى « كلبشو » من قرى السنطة بمحافظة الغربية بمصر ، هذا وقد سماه ابن الجيعان فى التحفة السنية باسم « مكلبشو» ، انظر فى ذلك القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص١٠ . أما مدرسته المشار إليها فى المتن فقد قرر محمد رمزى فى تحقيقاته على النجوم الزاهرة أن بحثه عن مكانها دله على أنها هى المعروفة اليوم فى القاهرة باسم « جامع الحنفى » المنسوب خطأً إلى الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٢ ، ويدلل المرحوم محمد رمزى على عدم نسبة الجامع للأمير عبد الرحمن بقربها من باب الخوخة ، راجع تفصيل ذلك فى النجوم الزاهرة (القاهرة) ج ١١ ص ١٤١ حاشية رقم ٣ ، وراجع أيضا إنباء الغمر ١٢٦/١ .

(٥) أى عن التوقيع .

الجيش ابن نصر الله وعلىَ ناظرِ الجيش ابنِ نصر الله بكاتب السرّ فتح الله ، وعلىَ سائر الأكابر بهما معاً ، فحوائجه مقضيّة عند الجميع .

ولمّا باشر نيابة الحكم أظهر العفّة ولم يأخذ على الحكم شيئاً فأحبّه أكثر الناس وفضّلوه على غيره من المهرة لهذا المعنى . وحُفِظتْ عنه كلمات منكرة مثل إنكاره أن يكون فى الميراث خُمْسٌ أو سُبْعٌ لأنّ الله لم يذكره فى كتابه ، وغير ذلك من الخرافات التى كان يسميها المفردات ، وحجّ بآخره فذكر لى صلاح الدين بن نصر الله عنه أموراً منكرة من التبرّم والازدراء ؛ نسأل الله العفو .

وكان مع شدّة جهله عريضَ الدعوى غير مُبالٍ بما يقول ويفعل مات[1] فى يوم الاثنين خامس عشر رجب ، وكان قد أناف على الثمانين ، وتغيرّ عقله .

٨ — حسن[2] بن نجم الدين بن عبد الله ، السامرىُّ الأصل كاتبُ السرّ بدمشق وقد جمع بينها وبين نظر الجيش بعناية صهره زوج بنت امرأته أُزْبُك[3] الدويدار ، واستقر بعده كمال الدين البارزى فى كتابة السر بدمشق وشهابُ الدين الشريف نقيبُ الأشراف فى نظر الجيش ، وكان موتُ حسين المذكور فى جمادى الآخرة وكان عريًّا عن العلوم جملة ، والعجب أنه كان باسمه التدريس بدار الحديث الأشرفية[4] بدمشق .

وأوّل ولايته لكتابة السّر فى أوّل اثنتى عشرة ثم صُرف وباشر عند الأمراء ، وأوّل

---

(١) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٢) أمام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « وفى هذا العام توفى ابن عمى حسين بن محمد الملقب سويد — تصغير أسود — ابن حسن الملقب الرباط — بعجم المهملة وتخفيف الموحدة — ابن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى ، وكان مولدة سنة سبع وثمانمائة فيما أظن ، وقرأت أنا وهو القرآن على الشيخ أبى الجود محمد بن استرابك فى قريتنا : خربة روحا من البقاع ، وكانت له حافظة حسنة ، وكان ينطوى على دين وشجاعة ، وكانت وفاته فى تاسع جمادى الأولى من سنة إحدى وثلاثين فى قريتنا خربة روحا ، وخلف أخاه عبد العزيز بن محمد سويد » .

(٣) كان موته فى طاعون سنة ٨٣٣ وهو الطاعون الذى فقد فيه جميع أولاده وخدمه ، وكان استقراره فى الدويدارية الكبرى سنة ٨٢٧ ، ثم نفى إلى القدس بطالا سنة ٣١ وظل به حتى مات ، انظر الضوء اللامع ٨٤٨/٢ .

(٤) نقل السخاوى هذه الترجمة فى الضوء اللامع ٥٥٩/٣ وأشار إلى قيامه بالتدريس فى دار الحديث الأشرفية لكن لم أجد فى ترجمته الواردة فى الدارس ٤٢٩/٢ ما يشير إلى أنه كان باسمه شئ من التدريس بدار الحديث الأشرفية الجوانية أو البرانية ، كذلك لم أر له ذكراً فى كليهما . انظر الدارس ١٩/١ — ٤٦ ، ٤٧ — ٥٥ .

ولايته نظر الجيش سنة خمس وعشرين فى صفر ، ثم أُضيفت إليه كتابة السرّ فى جمادى الآخرة منها وصُرِف عن كتابة السرّ فى سنة ثمانٍ وعشرين ، ثم أُعيدت إليه فى ربيع الآخر سنة ثلاثين واستمر ما معه إلى أن مات يوم الأربعاء لست[1] بقين من جمادى الآخرة .

٩ ــ سعيد بن عبد الله المغربى المجاور بالجامع الأزهر وأَحَدُ مَن يُعْتقد ويُزَار وكان عنده مالٌ جَمٌّ مِن ذهبٍ وفضةٍ وفلوس ، يشاهده الناس فلا يجسر أَحد على أَخْذِ شىءٍ منه ، وكان عنده ذهب هَرْجَة يخرجه أحيانا ويصفقه ، وقد شاع بيْن الناس أن مَن اختلس منه شيئاً أُصيب فى بدنه فلا يقربه أحدٌ ، وكانت حوله قِفافٌ ذوات عددٍ ملأى من الفلوس ، وكان يَحْضُر أَحيانا ويغيب أَحيانا إلى أَن مات تاسع عشر ربيع الآخر بعد مرضٍ طويل ، وقد زاره السلطان مّرة ، ولما مات حُمل المال الذى وُجِد له لبيت المال ؛ وكانت جنازته حافلة .

١٠ ــ شرف[2] بن أَمير، السّرّائى ثم الماردينى الكاتب المجوّد ، تعانى الكتابة إلى أَن أتقن الخطَّ على طريقتى : ابن البّواب وياقوت وتعلَّم منه أَهل تلك البلاد ، وقدم حلب على رأْس القرن ثم حجّ فى سنة تسعٍ وعشرين ، وذكر أَن اللَّنك طلبه من صاحب ماردين فتغيّب هو كراهيةً مِن قُرْبه من اللنك ؛ ثم نزل حصن كَيْفا وسكنها وعلَّم الناس بها الكتابة ، وقرّبه صاحبها . قرأتُ ترجمته فى تاريخ القاضى علاء الدين بحلبٍ ، أَيّده الله .

١١ ــ عبد الغنى المعروف بابن الجِيعَان مستوفى الخاص ، كان متموّلاً عارفاً بأمور الديوان وبالمتجر ، وقد حجّ فى سنة ستٍ وثمانمائة ، ومات فى جمادى الآخرة ؛ وكان كثير السكون وفى لسانه لثغةٌ قبيحة ، وعمّر داراً هائلةً بقرب الجامع أَخذ فيها أَملاكَ الناس فَقُدِّر أَنْ آل نظرها إلى بنت زوجته التى كانت زوجاً لازبك الدويدار فباعَتْها بأَبخسٍ ثمن وهو أَلفُ دينارٍ فى سنة إحدى وأَربعين ، وذكر لى كاتبُ السرّ كمالُ الدين ــ فى سنة خمسٍ وأَربعين ــ أَنَّ مصروفها كان أَكثر من عشرة آلاف دينار .

---

(١) من هنا حتى نهاية الترجمة غير وارد فى ه .

(٢) يؤكد السخاوى فى الضوء اللامع ١١٥٠/٣ أنه كان حياً سنة ٨٣٤ وينكر على ابن حجر إيراده وفاته سنة ٨٣١ بل يذهب إلى أن موته كان سنة ٨٥١ ، وقد أهملت الشذرات ذكر وفاته فى كل من هاتين السنتين ، غير أنه يدحض وفاته سنة ٨٥١ .

١٢ — قَجْقَار شَغَطَاى[1] أحدُ الأمراء الصغار ، تقدم فى دولة المؤيّد وقُرر رأسَ نوبةِ ولدِه إبراهيم ، وتوجّه رسولا إلى ملك الططر ، وعظم قدرهُ فى دولة الأشرف وصار زَرْدَ كاشاً ، واستقر بعده فيها أحمد الأسود الذى كان دويداراً صغيرا ؛ وكان مشكورَ السيرة كثير الرّفق بالفلاحين عارفاً بعمارة الأرض .

١٣ — كَمَشْبُغا بن عبد الله[2] الجمالى أحد أمراء الأربعين ، كان عاقلاً وقوراً متديّنا واستنابه النّاصر فرج فى بعض سفراته إلى الشام ، ولما كانت الدولةُ المؤيّدية بَطُل مِن الإمرة وولى النظر على الخانقاه بسرياقوس وحُمِدَت سيرته ، ومات[3] بطالاً بحلب فى يوم الجمعة فى جمادى الأولى وجاوز الثمانين .

١٤ — محمد بن أحمد بن على ، الشيخ شمس الدين الرّملى الحنبلى المعروف بالشّامى ، وُلد سنة أربعٍ وأربعين وسبعمائة ، وسمع من أبى الحسن العرضى وتفرّد بالرّواية عنه بالسّماع ، وسمع أيضا من [أبى الحرم] القلانسى وغيره ، وسمع من موفّق الدّين القاضى وتفقّه عليْه ولازم صهره ناصر[4] الدين وناب فى الحكم مدّة .

وكان جلداً قويًّا يمشى — وقد جاوز الثمانين — من بين القصرين إلى الشيخونية ليحضر وظيفة التصوف والدرس ويلازم دروسه فى الطلب ، يمشى على رِجْليه ويقضى حوائجه وحوائج الناس بنفسه ، ولم يكن ماهراً فى العلم ولا متصوِّفاً فى الدين ولا متثبتاً فى الحكم ، وكان على ذهنه ما جرياتٌ طريفة ، وتَعَصَّب على مجد الدين سالم لما عُزِل من الحكم ، وقام مع ابن المغلى قياماً عظيما حتى كان يخدمه بنفسه فى جميع ما يحتاج إليه حتى فى شراء زيت القنديل يتعاطاه بنفسه . مات فى ثانى عشرى شعبان سامحه الله تعالى .

---

(١) ذكر الضوء اللامع ٦/٦٩٩ أنها قد تكتب بالشين بدلا من الجيم ، وبالتاء بدلا من الطاء ، وسماه النجوم الزاهرة ٦/٨٠١ « قجقار جغتاى السيفى بكتمر جلق » .

(٢) « ابن عبد الله » غير واردة فى ه .

(٣) فى ه : « ومات بحلب بطالا فى سادس ربيع الآخر وجاوز الثمانين » ، ويلاحظ أن السخاوى قال بالنص فى الضوء اللامع ٦/٧٩١ « أرخه شيخنا فى إنبائه فى سادس ربيع الآخر » ، أما النص أعلاه فالظاهر أنه هو رأى السخاوى ذاته إذ قال فى نفس المرجع ، ج ٦ ص ٢٣٠ س ٢ إنه « لزم داره إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين » .

(٤) يعنى بذلك نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التسترى المتوفى سنة ٨١٢ .

١٥ – محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله ، الشيخ شمس الدين الكُفَيْرِى[1]، العجلونى الأَصل الدمشقى ، ولد[2] فى العشر الأَول من شوال سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وحفظ « التنبيه » وأخذ عن ابن قاضى شهبة وغيره ولازم الشيخ شمس الدين الغزى مدة طويلة ، واشتُهِر بحفظ الفروع ، وكتب بخطه الكثير نسخاً لنفسه ولغيره ، وناب فى الحكم ، وولى بعض التداريس، وحجَّ مراراً وجاور وولى مرةً قضاء الركب ، وجمع شرحاً على البخارى فى فى ست مجلدات ، وكان قد لخص شرح ابن الملقن وشرح الكرمانى ثم جمع بينهما ؛ نقلْت ترجمته من ابن قاضى شهبة .

ونقلْتُ من خط غيره أنه أجاز له محمد بن أحمد المنبجى ويوسف بن محمد الصيرفى ، وأنه سمع على ابن أميلة وابن أبى عمرو وابن قواليح وابن المحبّ وابن عوض والعماد وابن السراج وابن الفصيح وغيرهم ، وأنه صنّف « النبيه فى شرح التنبيه »، واختصر « الروض » للسهيلى وسمّاه « زهر [3] الروض » وكان لا يعرف شيئا من العلوم سوى الفقه ، وينظم ولا يعرف العروض ، وكان كثير التلوّن . مات فى ثالث عشر المحرّم[4] .

١٦ – محمد بن حسين ، شمس الدين التَّرُوجِى المالكى ، اشتغل وتعانى النظم وقال الشعر الحسن فأكثر . مات تحت الهدْم فى تاسع عشر صفر عن ستين سنة .

---

(١) قال السخاوى فى الضوء اللامع إنها مصغر « كفر » من أعمال دمشق .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٧/٢٤٤ أنه ولد فى سابع عشر شوال .

(٣) اسمه بالكامل زهر الروض ومعين النبيه على معرفة التنبيه

(٤) أمام هذه الترجمة فى هامش ﻫ أورد البقاعى بخطه الترجمة التالية : «محمد بن بهادر بن عبد الله الإمام العلامة القدوة أبو حامد تاج الدين سبط ابن الشهيد ، كان يعرف علوما كثيرة ويحل أى كتاب قرئ عليه سواء أكان عنده له شرح أم لا ؛ وكان فصيح العبارة حسن التقرير صحيح الذهن دينا شديد الانجماع عن الناس مع خفة الروح واللطافة والمزاج والصبر على الطلبة وعدم الميل إلى الدنيا وكثرة التلاوة لكتاب الله وإيثار العزلة والانقطاع فى الجامع مع التجمل فى اللباس والهيئة . مات فى صبيح يوم الثلاثاء تاسع شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين هذه فى دمشق عن مرض حاد ،وكانت له جنازة مشهودة حافلة جدا لم يتخلف عنها أحد من أعيان دمشق ولا غيرهم ، لم أر فى دمشق جنازة أعظم منها حتى لقد خيل إلى أن البلد ارتج وضج الناس فى كل مكان ، ما رأيتها مر بها على سوق إلا بكى أهله على أنهم كانوا لا يعرفونه لصغر سنه وعدم مخالطته للناس فإنه مات عن نحو ثلاث وثلاثين سنة ورفع الناس نعشه على أكفهم ، وكان الفائز من وصلت يده إليه ليتبرك به ، وكثير من الناس لم تصل يده لارتفاع النعش على أكف الطوال ، ودفن بمقابر الصوفية سقى عهده سحائب الرضوان وأبيح أعلى الجنان ، ما كان أزكى روحه وأذكى قلبه وأغزر عقله وأشد زهده وأحبه لنفع عباد الله ، لم يحصل لى بأحد من النفع ما حصل لى به ، وهو أول شيخ قرأت عليه فى فنون العلم ولازمته وأنا أمرد ، فما علمت أنه قط نظر إلى وجهى حتى طالت لحيتى . رحمه الله» .

١٧ – محمد بن عبد الدائم بن عيسى[١] بن فارس البِرْماوى ، الشيخ شمس الدين ، وُلد فى نصف ذى القعدة سنة ثلاثٍ وستين ، وكان اسم والده « فارساً[٢] » فغيّره « البِرْماوى» وتفقّه وهو شاب ، وسمع من إبراهيم بن إسحق الآمدى[٣] ومن عبد الرحمن بن على بن القارئ[٤] وغيرهما ، وسمع معنا فى جماعة من المشايخ ولازم الشيخ بدر الدين الزركشى وتمهّر به ، وحضر دروس الشيخ سراج الدين البلقينى وقرأ عليه غالبها ، وقد سمعْتُ بقراءته على الشيخ «مختصر المزنى» ، وأول ما تخرّج بقريبه الشيخ مجد الدين إسماعيل وقد عاش بعده .

وكان حسن[٥] الخطّ كثير المحفوظ قويّ الهمة فى شغل الطلبة ، حسنَ التودّد لطيفَ الأخلاق، ضيّق الحال كثير الهمّ بسبب ذلك ، ثم اتّسع حاله بأخرة

وله منظومات وتصانيف منها « شرح العمدة » ومنظومة فى أسماء رجالها وشرحها ، و« شرح البخارى » فى أربع مجلدات ، وكان غالب عمره خاملاً ، ثم ولى نيابة الحكم عن ابن أبى البقاء وصحب ولده جلال الدين ، ثم ناب عن الجلال البلقينى ثم عن الإخنائى، ثم ترك ذلك وأقبل على الاشتغال ، وكان للطلبة به نفع ، وفى كل سنةٍ يقسم كتابا من « المختصرات » فيأتى على آخره ويعمل لهم وليمة ، ثم استدعاه نجم الدين بن حجّى – وكان رافقه فى الطلب عند الزركشى – فتوجه[٦] إلى دمشق فقرره فى وظائف كثيرة واستنابه فى الخطابة والحكم ونوّه به . فلما مات ولده محمد – وكان ولداً نجيباً وحفظ عدة مختصرات –

---

(١) أشار الضوء اللامع ٧/٧٢٥ إلى أن ورود « عيسى » سهو من ابن حجر ، وعلق البقاعى بخطه فى هامش هـ بقوله : «رأيت نسبه فى نسخة بشرحه للعمدة محمد بن موسى بن عبد الدايم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العسقلانى النعيمى، نسبة إلى نعيم بن عبد الله المجمر » .

(٢) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « ليت شعرى أى عار فى التسمية بفارس وما الذى يحسن تغييره ! » .

(٣) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ١/٢٩ .

(٤) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٢/٢٣٣٠ .

(٥) علق البقاعى بخطه على ذلك فى هامش هـ بقوله : « لم يكن خطه حسنا ، وهو موجود فى تصانيفه ، فاطلبه » .

(٦) وذلك فى جمادى الأولى سنة ٨٢١ .

أسف عليه وكره الإقامة بدمشق فزوّده ابن حجّى وكتب له إلى معارفه(١) كتباً أطراه(٢) فيها إلى الغاية فتلقاه أولئك بالقبول واعتقدوا فيه تلك الأوصاف فقاموا معه حق القيام حتى قرروه فى مباشرة وظائف الشيخ ولىّ الدين العراقى نيابةً عن حفيده ، وكانت(٣) عند موته قُرّرت باسمه فباشر الجميع بعد أن كان العراقى قد أوصى أن ينوب عن حفيده فى درس الحديث مَنْ عيَّنَه وكذا فى دروس الفقه ، وباشر بعض ذلك ، وقرّر الناظر الشرعى على أوقاف المدرسة الجمالية الشيخ ناصر الدين البارِنْبَارِى(٤) أحد المهرة فى العلوم فى نيابة المشيخة والتّدريس ، وباشر ذلك مدة مع شدّة استحقاقه من أوجهٍ ، فلم يلتفت البرماوى لذلك بل لبس للنيابة عن الصُّغَير تشريفاً ، وباشر الجميع ، ولم يرْع حقَّ البارنبارى مع ظهور استحقاقه ، فباشر البرماوى ذلك من أثناء سنة سبعٍ وعشرين إلى أن حجَّ فى سنة ثمانٍ وعشرين ، وجاور بمكة سنة تسع وعشرين . فلما حضر(٥) أول سنة ثلاثين قُرِّر فى تدريس الصّلاحية ببيت المقدس عوضاً عن الهروى(٦) فى آخر المحرم ثم سافر إلى القدس فى رجب، وناب فى رجب من هذه السنة فباشرها نحو السنة مع ملازمةِ الضّعْف له إلى أن مات وتفرّقت كتبهُ وتصانيفهُ شذَر مذر ، عفا الله تعالى عنه .

واستقرّ فى تدريس الصّلاحية بعده عزُّ الدين عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسى بعناية القاضى بدر الدين بن مُزْهِر كاتب السّرّ فتأخر سفره إلى ذى القعدة ، وكان نزل عن غالب وظائفه بمصر والقاهرة ببدل من المبذول كتدريس الحديث بالجمالية وتدريس

---

(١) أى الذين فى القاهرة .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى قوله : «كان حقيقا والله كما قال ابن حجى ومتصفا بما وصفه به ، وسمعت غير واحد من محققى مشايخنا يبالغ فى تعظيمه فى كل فن، ومصنفاته تشهد بذلك، ولكن شيخنا نقم منه سعيه فى وظيفته تدريس الفقه فى المؤيدية ثم فى النيابة عن ابن العراق وكان ينبغى أن يغفر له ذلك فى جنب تعظيمه له وكتابته لبعض مصنفاته» . ثم جاء فى هامش آخر «ورأيت شرحه للبخارى وليس بتلك المثابة» .

(٣) أى هذه الوظائف .

(٤) وذلك نسبة إلى بارنبار ، وهى واردة فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج١ ص ٢٣٢ – ٢٣٣ باسم «برمبال» وقال إنها من القرى القديمة ، ثم عرض القاموس لاختلاف رسمها عند الجغرافيين وذكر أن العامة تحرفها إلى بارنبار .

(٥) وذلك لموت الهروى .

(٦) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : «الذى تقدم أنه مات فى ذى الحجة سنة ٨٢٩» ، انظر أيضا النجوم الزاهرة ٧٩٣/٦–٧٩٤ .

الخرّوبية فى الفقه بمصر . واستقدمه[١] ابن حجّى إلى دمشق سنة إحدى وعشرين فأجلسه بالجامع يقرئ ويُفْتِى ثم رجع إلى مصر ، ثم استقدمه سنة ثلاث وعشرين فاستنابه فى الحكم ، وولى إفتاء دار العدل عوضاً عن الشهاب الغَزى ، ثم ولاه تدريس الرّواحية وغيرها عوضاً عن برهان الدين بن خطيب عذراء ، وتدريس « الأَمينية » عوضاً عن عز الدين بن الحسبانى ، وعَكَفَتْ عليه الطلبةُ فأقرأ فى جمادى ورجب وشعبان « الحاوى » فى سنة ، والتنبيه » فى سنة ، و « المنهاج » فى سنة[٢] .

١٨ – محمد بن يعقوب البَجانِسِى ، شمس الدين الدمشقى ، ولى حسبة الشام ثم القاهرة فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وولى وزارةدمشق . مات فى ثالث المحرم .

١٩ – محمد بن يوسف بن عبد الرحمن ، تقى الدين القرشى الدمشقى ، وُلد سنة نيّف وستين وتعانى المباشرات إلى أن ولّاه نَوْرُوز الوزارة بدمشق ثم كتابة السرّ ، وولى قضاء طربلس سنة ست عشرة ، ثم رجع إلى دمشق وباشر التوقيع واستمر ينوب فى كتابة السرّ إلى أن مات ، وكان فاضلاً فى فنه ساكناً كثيرَ التلاوة منجمعاً عن الناس ، ثم مات فى جمادى الآخرة .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « أى البرماوى » .

(٢) جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « قرأت بخط شيخنا الحافظ تاج الدين محمد بن محمد الغرابيلى الكركى الشافعى ما نصه : محمد بن عبد الدايم العسقلانى البرماوى هو أحد الأئمة الأجلاء ، والبحر الذى لاتكدره الدلاء ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، ما رأيت أقعد منه بفنون العلم مع ما كان عليه من التواضع والخير ، صنف التصانيف المفيدة ، وشرح البخارى شرحاً حسناً اشتمل على تلخيص ما فى الكرمانى والزركشى وفوائد أخر أبداها من قبله ومن تقدمه حافظ عصره وفريد دهره الذى لم ير مثل نفسه الشيخ شهاب الدين أحمدبنحجر ، ولخص المهمات والتوشيح ، ونظم ألفية فى أصول الفقه لم يسبق إلى مثل وضعها وهى فى غاية الجودة وشرحها شرحا حافلا فى نحو مجلدين استوعب فيه غالب الفن حتى سمعته يقول : قال لى بعض فضلاء اليمن : كل مسألة منه تصلح أن تكون مجلس إجلاس ؛ وصدق هذا القائل فإنه عجيب الجمع ، اعتنى فيه بتحرير المذهب فى الأصول ، وكان يقول : أكثر هذا الكتاب هومن جملة ماحصلت فى طول عمرى ، ويحتفل به كثيراً ، وشرح اللامية لابن مالك شرحاً تاما فى غاية الجودة ، واختصر السيرة وكتب الكثير وحشى الحواشى المفيدة وعلق التعاليق النفيسة والفتاوى العجيبة . كان من عجائب دهره . وجاور بمكة سنة ثم قدم إلى القاهرة فوافى موت شيخنا شمس الدين بن عطاء الله الهروى فولى الصلاحية ، وقدم القدس فأقام بها قريب سنة غالبها ضعيفا بالقرحة . ومات يوم الخميس بعد الظهر تاسع عشرين جمادى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة وبقى إلى يوم الجمعة فصلى عليه الجم الغفير والعدد الكثير بعد صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى ، وشيعه أمم وتأسفوا عليه وهو جدير بذلك . وجدت بخطه – رحمه الله – قال : وجدت بخط والدى أنى ولدت ليلة الخامس عشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاث وستين وسبعمائة رحمه الله وجمعنى وإياه فى دار كرامته فقد حصل لى منه خير كثير ؛ ودفن بتربة ماملا زك جوار سيدى الشيخ أبى عبد الله القرشى . رحمه الله » .

٢٠ — محمد بن خطيب قارا[1]، الشيخ شمس الدين ، كان متموّلاً ، ولى قضاء صَفَد وحماة وغيرهما يتنقّل فى ذلك ، وفى أواخر أمره تنجّز مرسوماً من السلطان بوظائف الكُفْرى ونيابةِ الحكم بدمشق ، وقَدِمَها[2] فوجد الوظائف انقسمت بين أهل الشام فجمع أطرافه وغرم على السّعى فى قضاء دمشق ، وركب البحر ليحضر بما جمعه إلى القاهرة فغرق وذهب مالُه ، وذلك فى رجب منها[3] .

٢١ — يَشْبك بن عبد الله الأمير الكبير الساقى الأعرج الظّاهرى ، اشتراه برقوق ، وهو شاب ثم تأمّر فى أوّل دولة الناصر فرج وخرج من القاهرة فى كائنة جَكَمْ ونوروز ببركة الحبش فتنقّل فى تلك السنين فى الفتن إلى أن قُتِل الناصر فصار من فريق نوروز فأرسله إلى قلعة حلب ليحفظها ، وكان من إخوة ططر وقد صار من فريق المؤيد فلم يزل يراسله حتى حضر عند المؤيّد ، فلما قُتِل نوروز أراد المؤيد قتل يَشْبك فشفع فيه ططر فأعفاه من القتل وأمر بتسفيره إلى مكة بطالاً فتوجّه إليها ودخل اليمن ، ثم سُعى له إلى أن عاد إلى القدس فأقام به بطالاً ، فلمّا تمكّن ططر من المملكة أمَر بإحضاره فوصل إليه وهو بدمشق ، وتوجّه معه إلى حلب فأقام فى حفظ قلعتها ، ثم لما رجع وتسلطن أرسل إليه فحضر فأمّره ، ثم كان من كبار القائمين بدولة الأشرف وسلطنته ، فرعى له ذلك وأسكنه معه فى القلعة ثم صيره أتابك العساكر بعد قطج .

وكان من خيار الأُمراء محبًّا فى الحق وفى أهل الخير ، كثير الديانة والعبادة ، كارها لكثيرٍ من الأمور التى تقع على خلاف مقتضى الشرع .

توعك صبيحة موت جانِبِكْ فلم يزل يتنقّل فى المرض إلى أن مات يوم السبت الثالث من جمادى الآخرة ، واستقرّ فى الأتابكية جَارْقُطْلى نقلاً من نيابة حلب . واستقر نور الدين ابن مُفْلح على نظر المرستان بعد أنْ كان نور الدين الصَّفْطى قد سعى فيها ليعود إليها فلم يتم له بعد أن هُيِّئَتْ خلعته ، وكذا سعى فيها جماعة فبطل سعيهم .

(١) أشار مراصد الاطلاع ١٠٥٦/٣ إلى أنها قرية كبيرة على طريق حمص إلى دمشق .

(٢) أى أنه قدم إلى دمشق .

(٣) هذه الترجمة منقولة بنصها فى الضوء اللامع ٣٥٥/١٠ .

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة

فى[1] أوّلها نَقص النيل عن الغاية التى انتهى إليها ذراعاً وثلثى ذراع فإنه كان انتهى إلى عشرين ذراعا ثم أسرع فى النقص حتى مَنَع السقائين من الملى من الخليج فى عاشر الشهر ، وصار الماء على ستة عشر ذراعاً وذلك فى رابع عشر بابه ، فبادر الناس إلى الزراعة واشتغلوا بها ، فلما كان فى النصف منه — وذلك فى أواخر بابه — وقع برقٌ متوال من الغروب إلى أن مضت من الليل هجعةٌ فوقع رعدٌ شديدٌ مزعجٌ فتمادى ، ثمّ أعقبه المطر كأفواه القرب إلى أن مضى ثلث الليل الأول ،فدَلقت[2] السقوف من البيوت الكبار فضلاً عن الصّغار ، وسقطت أماكن ، وانزعج الناس انزعاجاً ما عُهد مثله فى هذه الأزمنة فى مثل هذا الوقت ، وأصبحت أزقّة البلد كالخلجان وكثر الوحل جدًّا ، وشرع الناس فى تنظيفها ولم يُعهد مثل ذلك بالقاهرة إلاّ إذا أمطرت مراراً ووصل الخبر بأنها أمطرت بالبَهْنَسَا برداً قدْرَ بيضةِ الدجاجةِ والحمامة ، وهلك بسبب ذلك من الحيوان شىء كثيرٌ جدًّا .

* * *

وفى ربيع الأول شغب الجند على الأُستادار ونهبوا بيته بسبب تأخير النَّفقة ، فأحضر السلطان الأستادار فضربه بحضرته ثم خلع عليه واستمر ،وأنفق من خزانته شهرين ، وعمل المولد على العادة فى اليوم الخامس عشر فحضره البُلْقينى والتَّفَهْنى وهما معزولان ، وجلس القضاة المستقرّون على اليمين وجلسا[3] على اليسار والمشايخ دونهم ، واتّفق أن السلطان كان صائما فلما مُدَّ السماط جلس على العادة مع الناس إلى أن فرغوا ، فلما دخل وقتُ المغرب صلوا ثم أُحضرت سفرة لطيفة فأكل هو ومَن كان صائما من القضاة وغيرهم .

---

(١) جاء فى هامش ه إزاء أحداث هذا الشهر بخط البقاعى : « وفى ليلة الأربعاء ثالث محرم هذا من سنة اثنتين وثلاثين هذه ارتحل كاتبه إبراهيم البقاعى من دمشق لطلب العلم الشريف فوصلت إلى بيت المقدس يوم الخميس حادى عشره ، ونزلت بالمدرسة الصلاحية ، وكان بالقدس طاعون فمات ولد لشيخ الصلاحية وناظرها العلامة عز الدين عبد السلام القدسى يوم السبت سابع عشرين الشهر ، وكان باسمه وظيفة طلب بالمدرسة المذكورة فقررنى والده فى وظيفته وأشهد عليه بذلك عند دفنه بتربة ماملا جزاه الله خيرا » .

(٢) أمامها فى هامش ه : «لعله من قولهم : اندلق على : انصب » .

(٣) أى البلقينى والتفهنى .

وفى شهر ربيع الآخر التزم نورُ الدين الطنبَدِى كبير التجار بالقاهرة – أن يأخذ من السلطان ستين ألف دينار ليتجر له فيها ، ويقومَ للأُستادار بالربح ، وكان له به عناية لأنه كان صديقه وصديق أبيه من قبله فأُجيب لذلك ، فشرع فى جلب السّكر وأن لا يباع إلا بأمره ، ودخل فى أمور شنيعة ، وكثر الدعاء عليه ، وعورض كثيرا من أهل الدولة فى ذلك ، واستمر[1] ذلك إلى آخر السنة .

* * *

وفى ربيع الآخر أمر السلطان نوّاب القضاة أن لا يُحْبَس أحدٌ على أقلّ من ألف درهم.

وفيه نزل السلطان من القلعة متخفيا إلى القاهرة فدخل بيت القاضى ناظر الجيش بغتةً فاندهش الرجل وقدّم ما تيسَّر ثم صَبّحه بألْفى دينار وخَيْلٍ وبغالٍ : تقدمةً .

وفى هذا الشهر نُودى على الفلوس أن يباع الرطل المُنَقَّى منها بثمانية عشر درهماً ، ففرح من كان عنده منها حاصل ، وحزن مَن عليه منها دينٌ لما يقاسونه من نُوّاب الحكم فى إلزامهم إعطاء ذلك بالوزن الأول ، وفيه بحث كثير ، وبَيَّنْتُ أنَّ ذلك لا يلزم على الإطلاق بل لابد فيه من شروط ، واقتضى الحال كتابةَ مراسيم للشهود أن لا يكتبوا وثيقةً فى معاملةٍ ولا صداقٍ ولا غيرِه إلا بأحد النقدين : الذهب والفضة ، بسبب شدة اختلال أحوال الناس واختلاف أحوال الفلوس التى صارت هى النقد عندهم فى عرفهم ، ومع عِزّة الفلوس وعدمها كانوا يكتبون ذلك بالفلوس مع تحققهم أن لا وجود لها وأنْ لا حقيقة لذلك الإقرار ، ثم إذا نودى عليها بأن يزاد سعرها يصير مَنْ كُتِبَت له يطالب بذلك الوزن ، فأجحف ذلك بالناس فحُسِمت هذه المادة من هذا التاريخ على يد مَن وفقه الله لذلك وهو كاتبه ، وتمادى الاختلاف بسبب ما كان كُتِب أوّلاً فلم يزل يضمحل بحمد الله تعالى .

* * *

وفى رجب استقر جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن مزهر فى كتابة السر الشّريف عوضاً عن أبيه وهو شاب أمرد كثير الخجل والسكون ، فباشره معه شرف الدين

(١) ه : « ولم يستمر ذلك » .

سِبط بن العجمى وقام هو بأعباء الوظيفة إلى أن انفصل عن قريب ، وكوتب الشريف ابن عدنان كاتب السر بدمشق فتباطأ فى الحضور .

وفى يوم الجمعة الثانى من شعبان تأَخَّر اللحم عن المماليك الذين فى الطباق يوم الخميس فأصبحوا يوم الجمعة[1] فصبح بيتَ الوزير جمعٌ فهجموا عليه ببيته الذى بحارة زويلة فكسروا أبوابه ونهبوا ما فيه ، وكُسِرت عدة أوانٍ من الصينى واستَلَبُوا ثيابَ النّساء والجوارى وأفسدوا رخام منزله ، وهرب الوزير فى بيت بعض الجيران .

ثم ثارت فى سادس شعبان فتنةٌ بين جماعةٍ من المماليك السلطانية وبين الأمير الكبير جارقُطْلِى ، فأرادوا أن يهجموا عليه فأُغلقت الأبواب فأرادوا إحراق الدار فبرز إليهم راكباً فنكصوا عنه ودخلوا بين القصرين ، فوقعت فى العوام هجّة فأُغْلِقت أبواب المدينة وأُمْسِك من مماليك الأمير الكبير ثلاثةُ أنفس ، فضُربوا بحضرة السلطان ، فبلغ ذلك الأميرَ الكبيرَ فغَضب ، وسكنت الفتنة ؛ ثم إن السلطان تلطف بالمماليك[2] .

* * *

وفى أوائل شعبان هجم ساحلَ الإسكندرية خمسةُ مراكب للفرنج فعبثوا ، فبادر عبد القادر بن أبى الفرج الأستادار وساق معه جماعة من عرب البحيرة ودخل الإسكندرية ، فقويت بهم نفوس أهل الثغر ونكص الفرنج على أعقابهم بعد أن جرح منهم جماعة ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وفى ذى القعدة هرب الفرنج الجنوية الذين كانوا مقيمين بالإسكندرية وفى جهتهم لتُجّار المسلمين أكثر من عشرين ألف دينار . وكانت إقامتهم بالإسكندرية قد طالت حتى إن أكثرهم إنمّا وُلد بها . وكانوا يخرجون فى كل يوم بعد عشائهم فيمشون بالساحل على عادةٍ لهم بعد الأكل ، فلما كثرت عليهم المظالم التى لم يألفوها رتَّبوا أمرهم وهربوا فى

---

(١) جاءت هذه العبارة فى ه على الصورة التالية : « فصبح بهم بيت الوزير جمع فهجموا » .

(٢) راجع خبر هذه الفتنة فى النجوم الزاهرة ٦/٦٤٢ - ٦٤٤ .

بعض المراكب ، ووجدوا فى نواحيهم مركبين حضرا من بلادهم فردّوهم فانزعج السلطان والمسلمون لذلك ؛ وكان ما سنذكره .

* * *

وفى تاسع ذى القعدة كُسر الخليج الناصرى وكان النيل وصل فى أول يومٍ من ذى القعدة وهو يوم الجمعة إلى خمسة عشر ذراعاً[1] وشئ ، ثم وصل فى رابعه إلى تسعة عشر من السادس عشر ، وتوقف أربعة أيام فضج الناس وأقبلوا على شراء القمح وغيره خشية استمرار التوقف ، فجمع السلطان القضاة والقراء[2] عنده وقرئ عنده القرآن وابتهلوا بالدعاء ، وأصبح فى اليوم الثامن فركب إلى الآثار فزار ودعا وتصدّق ، فاتّفق أنه أوفى فى صبيحة ذلك اليوم ، وباشر كَسْرَ الخليج محمد ولد السلطان .

وفى نصف ذى الحجة استقرّ الشّريف شهاب الدّين أحمد بن على بن عدنان الحَسنى نقيبُ الأشراف بالشّام فى كتابة السر بمصر ، وأُلبِس خلعةً خضراء بطرحةٍ خضراء ، وصُرف جلال الدين بن مُزْهِر وكان قد استقرّ فيها بعد والده ولم يُعْهد فى الدولة التركية وظيفةُ كاتب السر تُمْتَهن هذا الامتهان حيث يتولاها شابٌ صغير وتدور بين ثلاثة فى سنةٍ واحدة ، ولم تكن العادة أن لايتولاها إلاّ مَنْ جُرِّب عقْلُه ومعرفته ، ثم لا ينفصل عنها إلا بالموت غالبا .

* * *

وفى جمادى الآخرة حاصر ابن قَرَايُلُك مدينة خَرْتَ بِرْت فبلغ ذلك السلطان فجرّد عدةً من الأمراء والمماليك وأنفق فيهم ، وأرسل إلى المماليك الشامية بالخروج معهم فآل أن وصلوا ، فصالح قَرَايُلُك النائب وتسلمها قرايلك فوصل العسكر بعد ذلك إلى الرّها فانتهبوها وقتلوا مِن أهلها مقتلةً عظيمة وأفحشوا فى ذلك ، وأسروا ولد قَرَايُلُك وأرسلوه إلى القاهرة ، واتفق ورود الخبر بذلك يوم وفاء النيل فى تاسع ذى القعدة .

وفى شوال وعك كاتبه ثم عوفى فى ذى القعدة فاستعرض أهل السجون فصولح من له دين من مال كاتبه وحصل لجمعٍ كثيرٍ من الناس فرحٌ كبير ، وأمّا صاحبُ الدين فليأسه

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « الذراع مؤنث وقد يذكر ، وكذا الإصبع » .
(٢) فى هـ « والفقراء » .

من حصول شئ من المسجون . وأما المسجون فلِمَا كان يقاسيه من الحرّ وغيره من الضيق ، فلله الحمد .

***

وفيها نازل إسكندر(١) رسل محمد بن قَرَا يوسف [بن قرا محمد] السُّلطانيةَ وقتل متوليّها من جهة شاه رُخ ملك الشرق ، ووقعت بينه وبين إسكندر بن قرا يوسف وقعةٌ فانكسر إسكندر وانهزم إلى الجزيرة وقد تمزّق عسكره .

وفى هذه السنة غزا شاه رخ ملكُ الشرق ابنَ قرا يوسف فأَوقع به خارج تبريز ، ودخل شاه رخ تبريز فخرّبها بحيث صارت قاعاً صفصفاً وجَلا أهلُها عنها إلى سمَرْقَنْد ، وأعقب رحيله عنها جرادٌ عظيمٌ أفسد الزرع كله ، وعاثت الأكراد فيمَن بقى فما أبقوا لهم شيئا .

وفيها أغار قَرايلك(٢) على الرها فنازلها وأخذ قلعة(٣) خَرْتَ بِرْت وسلّمها لولده ، فتوجهّت العساكر إليها فحاصروا الرّها وبها هابيل بن قرايلك واسمه عثمان فلم يزالوا حتى أخذوها ونهبوا وأفحشوا ، حتى بلغنى — لما دخلتُ حلب — أنهم فعلوا فيها شيئا أشدّ مما فعل التتر بدمشق من التخريب والتحريق والفساد بالنساء والصبيان وقتل الأنفس بالسيف والتحريق ، ولله الأمر .

***

وفيها انقطع جسر زِفْتَه فغرق البلد وخربت منه عدة دور .

---

(١) فى ز ، هـ « اسكندر رسل محمد بن قرا يوسف » ثم كلمة « كذا » فوق كلمة رسل فى ز ، ويلاحظ أن هذا الخبر والتاليين له يمكن اعتبارها كلها خبرا واحدا يجرى على النسق التالى وهو أن اسكندر بن قرا يوسف صاحب تبريز كان قد زحف على السلطانية — وكانت تابعة لشاه رخ — وقتل متوليها من قبله مما أغضب شاه رخ ، فندب لحربه الأمير عثمان بن طرعلى المدعو قرايلك الذى التقى باسكندر خارج تبريز فى ذى الحجة ٨٣٢ لقاء دارت فيه الهزيمة على إسكندر ، وألزم شاه رخ أهل تبريز بالجلاء عنها إلى سمرقند .

(٢) المقصود بذلك عثمان بن طرعلى ، أنظر الحاشية السابقة .

(٣) « قلعة » غير واردة فى هـ .

وفى أوّل هذه السنة تَلَفَّتَ السلطان إلى المتجر بإغراء الخزندار له ، فأمر بتجهيز مالٍ إلى جّدة ليُشترى له ، وحَجر على الفلفل أن يشترى لغيره ، وألزم جميع التُّجار أن لا يتوجه أحدٌ ببضاعةٍ إلى الشام ولا غيرها بل إلى القاهرةولايُباع إلاَّ بالإسكندرية بعد أن يكتفى السلطان .

وألزم الفرنجَ بشراء الفلفل بزيادة خمسين ديناراً عن السعر الواقع ، فاشترى الفرنج شيئا ورجعوا بأكثر بضائعهم وما معهم من النقد إلى بلادهم ، فلم يحصل للسلطان مقصودُه ، وحصل على التجار من البلاد مالا يوصف ، وتمادى الأمر على ذلك ولا يزداد الأمر فى كل سنةٍ إلاَّ شدة .

وفيه حجر على باعة الثِّياب البعلبكى والموصلى والبغدادى ، ثم بطل ذلك .

وفيه حجر على السكر مدة ثم بطل ذلك أيضا .

* * *

ذكر من مات فى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ ــ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى بكر بن عبد الوهاب المرشدى المكى ، أخو محمد[١] وعبد الواحد ، وُلد سنة[٢] ستين وسبعمائة ، وسمع من عبد الرحمن بن على التغلبى ابن القارى جزء ابن الطلاية » أنا الأبرقوهى ، ومن محمد بن أحمد بن عبد المعطى[٣] « صحيح ابن حيان » أنا الرضى والصفى الطبريان ، ومن عبد الله بن أسعد اليافعى[٤] « صحيح البخارى» ومن عز الدين بن جماعة جزءًا من « مناسكه الكبرى » ومن غيرهم .

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدى المولود بمكة سنة ٧٧٠ ونشأ بها ، وكان إماما علامة مات سنة ٨٣٩ كما سيرد فى وفيات هذه السنة ، وكذلك فى الضوء اللامع ٨٤٨/٥ ؛ أما أخوه عبد الواحد فقد ولد هو الآخر بمكة أيضا سنة ٧٨٠ ومات قبل أخيه بسنة أعنى سنة ٨٣٨ انظر فيما بعد ص ٥٥٩ ، ترجمة رقم ٢٠ وحاشية رقم ٤ . ، انظر أيضا الضوء اللامع ٣٤٤/٥ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ج ١ ص ١٩١ « سنة ٧٦٣ هـ » وأشار فى نهاية الترجمة إلى أن ابن حجر أرخ ولادته فى سنة ٧٦٠ ، كما ذكر أنه لقبه « بالضياء » وهو لقب لم يرد فى نسخة من نسخ الإنباء المستعملة هنا .

(٣) وقديعرف أحيانا بابن الصفى ، وكانت وفاته سنة ٧٧٦ ، راجع الدرر الكامنة ٣٣٩٩/٣ وإنباء الغمر ٨٩/١ ترجمة رقم ٥٦ .

(٤) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ج ٢ رقم ٢١٢٠ .

وأجاز له الصلاح بن أبى عمر وابن أميلة وابن الهَبل وابن قواليح وأبو البقاء السبكى وآخرون ، وحدّث . ومات بمكة يوم الخميس رابع ذى القعدة ، وقد حدّث قبل موته بسنة « بشرح السنة » للبغوى بإجازة من بعض شيوخه ، وحدّث قبل موته بشهر « بالشمائل » بإجازته من الصلاح المذكور .

٢ ــ أحمد بن عبد الرحمن بن عوض بن عبد الله ، الإمام شهاب الدين الطنْتَدائى الشافعى ، وُلد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، واشتغل وهو كبير فحفظ « الحاوى » وعدّة كتب ، ودخل القاهرة وتفقّه على جماعةٍ ، منهم : البُلقينى وابن المُلَقِّن والإنباسى ، ومات فى ثالث شوال .

وقد كتب شرحاً على « جامع المختصرات » فى سبعة أجزاء ، و[كتب] توضيحها فى مجلّد ، وذكره ابن قاضى شهبة وقال : « حفظ ما ينيف على خمسة عشر ألف بيتِ رجزٍ فى عدّة علوم ، منها تفسير الشيخ عبد العزيز الديرينى ، ونظم المطالع للموصلى » .

٣ ــ أحمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله[1] بن عيسى ، الشاب التائب شهاب الدين المصرى الشاذلى نزيل دمشق ، وُلد فى ذى الحجة سنة سبعٍ وستين ، واشتغل بالفقه قليلاً وتعانى المواعيد فمهر فيها ، وكان[2] يلقى من حفظه عيانا ، وطاف البلاد فى ذلك فدخل اليمن مرتين ثم العراق مراراً ، ودخل حصن كيفا وكثيرا من بلاد المشرق وأقام بدمشق مدة وحجّ مراراً ، وكان فصيحاً ذكيًّا يحفظ شيئاً كثيراً وله رواجٌ زائد عند العوّام ، وبنى عدّة زوايا[3] بالبلاد .

مات فى يوم الجمعة غرّة صفر[4] .

٤ ــ برسْبُغَا[5] الجُلْبانى ، تقدّم فى أيام النّاصر فرج بواسطة عبد اللطيف الطواشى وكان

---

(١) لم يرد فى هـ « ابن عبد الله » .

(٢) فى الضوء اللامع ٢/١٤٠ « بلغ من حفظه » .

(٣) كان مما بناه زاوية خارج باب زويلة وهى التى كانت مع الشمس الجوجرى وأخرى بين النهرين وعمل بها المواعيد .

(٤) فى هـ « مات فى رجب » ، ويتفق معه فى هذا كل من الضوء اللامع ٢/١٤٠ وشذرات الذهب ٧/١٩٨ .

(٥) انفردت نسخة ز بإيراد هذه الترجمة ، ويلاحظ أن السخاوى أشار فى الضوء اللامع ج ١ ص ٢٣٢ إلى أن ابن حجر لم يذكره فى الإنباء .

يخدمه واستقر فى الدويدارية ، وكان فصيحاً عارفا ، لا يَظُنّ من لا يعرفه إلاّ أنه من أولاد الناس ، وكان نفى فى الدولة المؤيّدية إلى القدس ثم أُعيد فى الدولة الأشرفية وباشر الدواليب السلطانية بالصعيد ، ومات فى شهر رجب .

٥ — رابِعة بنتى ، زوج شيخ الشيوخ محبّ الدين بن الأشقر ، وكان مولدها فى رجب سنة إحدى عشرة وكانت قد تأهلت بشهاب الدين بن مكنون[١] قبله ، وسمِعتْ معى فى سنة خمس عشرة من الشيخ زين الدين بن حسين بمكة ، وأجاز لها جمعٌ كبير من أهل مصر والشام . عوّضها الله الجنة .

٦ . . حمد[٢] بن عبد الله الآمدى ، سعد الدين ، نزل بطرابلس وشغل النّاس فى « الحاوى » ولم يكن مشكوراً فى دينه . مات فى جمادى منها .

٧ — خُشْرُم[٣] بن دُوغَان [الحسينى] بن جعفر بن عبد[٤] الله بن جماز بن منصور ابن جماز ، قُتِل مع رفيقه كما سبق ذكره .

٨ — عبد الغنى[٥] بن جلال الدين عبد الواحد بن إبراهيم الرشيدى ثم المكى ، نسيم الدين ، اشتغل كثيراً ومهر وهو صغير ، وأحبّ الحديث فسمع الكثير وحفظ وذكر ، ودخل اليمن فسمع من الشيخ مجد الدين ، وكتب علىَّ الكثير ومات مطعوناً بالقاهرة .

٩ — عبد المعطى ، زين الدين الكوم ريشى الحنفى ، مات فى هذه السنة وقد تقدّم خبرُه فى حوادث سنة[٦] ست عشرة وثمانمائة .

---

(١) هو أحمد بن محمد بن مكنون المتوفى سنة ٨٢٩ ، راجع ما سبق ص ٣٧٣ ، ترجمة رقم ١ .

(٢) فى ه « سعيد الآمدى » .

(٣) لم ترد هذه الترجمة فى ه ؛ انظر آخر سطر فى ترجمة ١٠ ، ص ٤٢٦ .

(٤) « هبة » فى آخر ترجمة رقم ١٠ ، ص ٤٢٦ ، س ٦ .

(٥) لم ترد هذه الترجمة فى ه .

(٦) فى ه « سنة عشر وثمانى مائة » .

١٠ — عجلان[١] بن نُعَيْر بن منصور بن جماز بن شيحة بن قاسم بن مُهَنَّا بن حسين بن مهنَّا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيي بن الحسين بن على بن أبى طالب العلوى الحسينى أمير المدينة ، قُبض عليه فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فسُجِن ببرجٍ فى القلعة ثم أفرِج عنه لمنامٍ رآه القاضى عز الدين عبد العزيز بن على الحنبلى فقصّه على المؤيّد فأمر بالإفراج عنه ، ثم[٢] قُتِل فى حَرْب فى ذى الحجة وقُتِل فيها أيضا قريبُه خُشْرُم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن حجاز بن منصور كما ذكر[٣]

١١ — على بن حسين بن على الحاضرى ، نور الدين ؛ وُلد فى جمادى الأولى سنة خمسٍ وخمسين وسبعمائة ، واشتغل فباشر عدّة وظائف سلطانيّة ، وكان كثير التودّد طلْقَ الوجه حسن العشرة ، وكان فى دولة مِنْطَاش قد أُهين ونُفِى ، ثم عَظُم لمّا عاد الظاهر وتولىّ ابنُ أخيه بيبرس الدويدارية . مات فى العشرين من شعبان وقد شاخ ورقّ حاله .

١٢ — على بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف التبريزى ، نور الدين ، كان أبوه من كبار التجار ونشأ هو فى كنفه ثم مات أبوه ، واشتهر بالتجارة أخواه الجمال محمد والفخر أبو بكر ؛ وتعانى هذا السفر إلى بلاد الحبشة فى التجارة فاشتهر بذلك وصارت له عندهم منزلة وصورةٌ كبيرة ووجاهة ، وصارت كتبه[٤] عندهم مقبولةً لقيامه فى خدمتهم بما يرومونه من النفائس التى يُحْضِرها لهم من القاهرة وغيرها ، فلما أكثر من ذلك نقم عليه بعض الناس موالاته لكفّار الحبشة فنسبوه إلى شراء السلاح لهم والخيول ، وعثر عليه معه مرةً بشىء من ذلك فى الدولة المؤيّدية فاستُتِيب فأقسم أن لا يعود .

فلما كان فى أثناء العام الماضى[٥] زعم بعض مَن يتعصّب عليه أنَّه توجّه رسولاً مِن ملك الحبشة إلى ملك الفرنج يستحثه على المسلمين ، وهذا عندى لايُقبل لأنَّ معتقد الطائفتين

---

(١) ورد اسمه فى ه « عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة بن قاسم العلوى الحسينى » وفى ز « ... بن جماز ابن منصور بن شيحة » .

(٢) عبارة « ثم قتل فى حرب » غير واردة فى ه .

(٣) راجع ترجمة رقم ٧ ، ص ٤٢٥ .

(٤) فى ه « كلمته » .

(٥) أى سنة ٨٣١ ه .

مختلف ، ويقال إنه دخل بلاد الفرنج بسبب تحصيل صليب عندهم بلغ أمرُه ملكَ الحبشة فأحبّ أن يراه ، ولما شاع ذلك عنه خشى على نفسه فنزل فى مكانٍ بالقرب من الخانقاه الناصرية بسرياقوس فنمّ عليه عبد السلام الجبرتى ووشى به إلى السلطان ، فأمر والىَ القاهرة فقبض عليه فوجد معه أمتعةٌ من ملابس الفرنج وشيئاً من سلاحٍ وناقوسين من ذهبٍ وكتاباً فيه مراسلةٌ من صاحب الحبشة يستدعى منه أشياء يصوغها من صلبان ونواقيس ويحضه على أن يشترى له مسماراً من المساميرِ التى سُمر بها المسيحُ بزعمهم ، والكتابُ كله بالحبشية فعُرب وحُبس ، ثم عُقِد له مجلسٌ ففَوّض السلطانُ أمرَه إلى المالكى ، وذلك فى حادى عشر جمادى الأُولى .

فتسلّمه المالكى[1] وسمَع عليه الدّعوى فأنكر ، فشهد عليه صدرُ الدين بن العجمى والشيخ نصر الله وآخرون ، ومستندُ[2] أكثرِهم الاستفاضة فأُعْذِر إليهفيمن شهد عليه فادّعى عداوةَ بعضهم ، وأُعْذِر لبعضهم فحكم بقتله بشهادة من أعذر لهم ، فضُرِبت عنقه بين القصرين تاسع عشر الشهر[3] المذكور وهو يعلن بالشهادتين وقراءة القرآن ويتبرّأ من كل دينٍ يخالف دينَ الإسلام ، فتسلّمه أهله فغسّلوه وصلوا عليه ودُفِن .

ثم بعد أيام أعاد السلطان لأهله ما كان وُجد له . وتبيّن لأكثر الناس أنه مظلوم ، وذكر لى خادمى فاتن الطواشى الحبشى — وكان علىٌّ هو الذى جلبه من بلاد الحبشة — أنه كان ببلاد الحبشة يواظب على الصلاة والتلاوة ويؤدّب مَن لم يُصَلِّ من أتباعه ، وعنده فقيهٌ يقرئ أولاده وأتباعه القرآن . وللمسلمين به نفعٌ وهم بسببه فى بلاد الحبشة فى إكرامٍ واحترام ، ولم يُمَتّع من شهد عليه بل لحق به بعد قليل كما سيأتى . والله أعلم بغيْبه .

١٣ — على بن محمد بن الصفىّ ، علاء الدين بن صدر الدين بن صفىّ الدين الأَرْدَبيلى شيخ الصوفيّة بالعراق ، قدم دمشق سنة ثلاثين ومعه أتباعُه فحجّ وجاور ، ثم قدم دمشق

(١) فى ز « الوالى » .
(٢) فى هـ « وشهد » .
(٣) أى شهر جمادى الأولى سنة ٨٣٢ .

ولده ومعه جمع كبير ، وذكروا أنّ له ولوالده بتلك البلاد أكثر من مائة[١] ألف مريد . ومات علاء الدين المذكور بعد رجوعه من الحجّ ودخوله بيت المقدس فى شهر ربيع الآخر .

١٤ – على السفطى[٢] ، نور الدين ، كان يتعانى الشهادة عند الأمراء فباشر نظر المارستان مدة ثم ولى كتابة بيت المال والكسوة ، ومات[٣] فى ليلة الثلاثاء سلخ جمادى الآخرة وقد جاوز الخمسين .

١٥ – محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الشيخ شمس الدين الصّوفى [الضرير] ناظر المرستان ، وُلد سنة تسعٍ وأربعين ، واشتغل بالعلم وأحبّ المذهبَ الظاهرىَّ والانتماء إلى الحديث ، ورافق برهان الدين بن البُرهان لمّا دخل بغداد ، ثم اتّصل بالملك الظاهر برقوق وقام معه فلمّا عاد إلى السلطنة رعى له ذلك وولّاه نظر المرستان ، ثم خشى منه فاستأذنه فى الحجّ وتوجّه فدخل اليمَن وجال فى البلاد ، ثم عاد بعد موت الظاهر بمدةٍ فأقام بالقاهرة متجمعاً ، وكان يرجع إلى دينٍ وتعبّد ، وعَمِى مدة إلى أن مات فى مسجده[٤] بالكافورى فى المحرّم منها .

١٦ – محمد بن إبراهيم بن عبدالله ، الشيخ شمس الدين الشَّطَنُوفى[٥] الشافعى ، وُلد بعد الخمسين وقدم القاهرة شابًّا واشتغل ولم يُرْزق الإسناد العالى بل كان عنده عن التقىّ الواسطى ونحوه ، واشتغل بالفقه ومهر فى العربية . وتصدّر بالجامع الطولونى فى القراءات

---

(١) فى الضوء اللامع ٦/٢٣ « ألف مريد » فقط .

(٣) نسبة إلى « سفط الحنا » بالشرقية ، وقد وردت فى القاموس الجغرافى، ق ٢ ج ١ ص ٧٣ باسم « صفط الحنا » وقال إنها من القرى المصرية القديمة ، وأن جوتييه ذكر أن اسمها المصرى القديم هو Per Sepdou أو Sapt ، ومعناها الإله سوبدو إله الشرق ، وقد جاء اسمها العربى من Sopt ، أما تسميتها بسفط الحنا فلوقوعها فى غيط نبات الحنا الذى كان معروفا عند قدماء المصريين باسم Sokhitou hennow لكثرة زراعة الحناء بأرضها ، وعلى كل فهى من البلاد التابعة لمركز أبى حماد بمحافظة الشرقية بمصر .

(٣) فى ه « ومات فى أواخر جمادى الآخرة » ولكنه فى الضوء اللامع ٦/١٧٥ كما فى المتن .

(٤) فى ه ، وفى الضوء اللامع ٦/٨٦٣ « مسجد بالكافورى » .

(٥) شطنوف أو شطا نوف من القرى المصرية القديمة واسمها القبطى Schentnoufi وقد أورد القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١٦٢ – ١٦٣ الصور المختلفة لها عند كتاب العرب والفرنج وتطور اسمها تاريخيا .

وفى الحديث بالشّيخونية ، وانتفع به الطلبة لانتصابه لشغلهم تبرعاً بالجامع الأَزهر ، وكان كثيرَ التواضع مشكورَ السيرة . مات فى ربيع الأَول بعد علةٍ طويلة .

١٧ – [١]محمد بن على ، الحافظ تقى الدين أبو الطيب الفاسى ، ثم المكى المالكى مفيد البلاد الحجازية وعالمها ، وُلد سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، وأجاز له بإفادة الشيخ نجم الدين المَرْجانى ابنُ عوض وابن السّلار وابن المحبّ وجماعة من الدماشقة ، وعنى بالحديث بعد التسعين من جماعةٍ ببلده ، ورحل إلى القاهرة والشام مراراً ، وولى قضاء بلده للمالكية ، وهو أوّل مالكى ولى القضاء بها استقلالاً .

وصنّف « أخبار مكة » وأخبار ولاتها وأخبار من اجتاز[٢] به من أهلها وغيرهم عدة مصنفات طوال وقصار ؛ وذيّل على « العبر » للذهبى ، وعلى « التقييد » لابن نقطة ، وعمل « الأَربعين المتباينة » و« فهرست[٣] مروّياته » .

وكان لطيف الذات حسن الأَخلاق عارفاً بالأمور الدينية والدنيوية ، له غورٌ ودهاءٌ ومعرفةٌ وتجربةٌ وحُسنُ عشرةٍ وحلاوةُ لسان ، ويخلب القلوب بحسن عبارته ولطيف إشارته ، ورافقنى فى السماع كثيراً بمصر والشام واليمن وغيرها ، وكنتُ أودّه وأعظّمه وأقوم معه فى مهماته ، ولقد ساءنى موته وأسفْتُ على فقدْ مثلِه ، فللّه الأَمر .

وكان قد أُصيب ببصره وله فى ذلك أخبار ومكّن من قدْحه فما أطاق ذلك ولا أفاده ، مات فى رابع شوال .

١٨ – محمد بن سعيد الصالحى شمس الدين ، نسبةً للصّالح صالح بن الناصر ، وكان سعيد ولى بشير الجمدار ، وبشيرُ مولى الصالح فنُسب شمس الدين لمولى مولاه ، وكان

---

(١) أمام هذه الترجمة فى هامش ه « التقى الفاسى مؤلف تاريخ مكة » .

(٢) فى ه « احتل » بلا تنقيط وفوقها كلمة « كذا » .

(٣) أشار الضوء اللامع ٣٣/٧ إلى بعض مؤلفاته ومنها « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » و « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » و « الذيل على سير النبلاء » و « الذيل على التقييد » و « مختصر حياة الحيوان للدميرى » وغيرها ، وأشار إلى أن أكثر تصانيفه ضاعت وذلك « لاشتراطه فى وقفها أن لاتعار لمكى سيما وقد تعدى الناظر بالمنع لغيرهم خوفاً منهم » .

أحدَ القراء فى الجوق بالنغم ، ويُلَقب « سُوَيْدَان » وهو آخر الحلبة[١] الأولى من تلامذة الشيخ خليل المشبب ، وممَّنْ قرأ مع الزرْزارى وابن الطباخ ، [مات وقد] جاوز السبعين وقد حظى فى أيام الناصر فرج ، وولى حسبة القاهرة مراراً ، وكانت بيده مشيخة العلائية وإمامة القصر وغير ذلك . مات[٢] فى يوم الإثنين السابع من صفر .

١٩ ـ محمد بن عبد الله بن حسن[٣] المعروف بابن الموّاز ، شمس الدين ، اشتغل كثيراً ونزل فى بعض المدارس وكان يؤدّب أولاد أبى هُرَيْرة بن النقاش ، والغالب عليه الانجماع ، ومات فجأةً فى ربيع الأول .

٢٠ ـ محمد بن عبد الله ، شمس الدين الزفتاوى الملقب « فَتْفَتْ » ، كان يتكسّب بالشهادة ثم عمل التوقيع وتقدّم فى ذلك ، وأقرأ أولاد بعض الرؤساء ، وكان ينوب فى الحكم فى بعض المراكز ، وكان كثير التلاوة خيّراً سليمَ الباطن . أكْمَل الثمانين .

٢١ ـ محمد بن عبد الوهاب بن محمد ، الشيخ ناصر الدين البارِنْباى[٤] الشافعى ، وُلد قبيل السبعين بيسيرٍ ، وقدم القاهرة فاشتغل ومهر فى الفقه والعربية والحساب والعروض وغير ذلك ، وتصدّر بالجامع الأزهر احتساباً . وكان من خيار الناس ، ودرّس[٥] وخطب وأفتى وأقرأ مدّةً بالقاهرة ودمياط ، وقد ذكرتُ ما جرى له مع شمس الدين البِرْماوى فى السنة الماضية ، وأصاب ناصرَ الدين عقب ذلك فالجٌ فأبطل نصفه واستمر به موعوكا إلى أن مات فى ليلة الأحد حادى عشر ربيع الأول وقد[٦] زاف على الستين .

٢٢ ـ محمد ، ويدعى الخضر بن على بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النوَيْرِى الشافعى ، وُلد فى ربيع الآخر سنة اثنتين وستين ، وتفقّه قليلاً ، وأُسْمِع على العزّ بن جماعة

---

(١) فى الضوء اللامع ٦٢٩/٧ « وهو آخر الحلبة من تلامذة خليل المشبب » .
(٢) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .
(٣) فى هـ ، ز « حسين » ، ولكنه « حسن » فى الضوء اللامع ٨٦/٨ .
(٤) راجع ماسبق ، ص ٤١٥ حاشية رقم ٤ سنة ٨٣١ .
(٥) عبارة « ودرس . . . . بالقاهرة ودمياط » غير واردة فى هـ .
(٦) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

وابن حبيب وابنِ عبد المعطى والأَميوطى ومَن بعدهم ، وأجاز له البهاء ابنُ خليل والجمالُ الإسنوى وأبو البقاء السّبكى وغيرُهم ، وناب فى الحكم عن قريبه عز الدين بن محبّ الدين ابن أبى الفضل . وولى قضاء المدينة مدةً يسيرةً ولم يصل إليها بل استناب ابن المطرى وصُرف ، وكان ضخما جدًّا . مات فى رابع عشر ذى الحجة وقد دخل السبعين وانصلح بآخره . وهو والد أبى اليُمْن خطيب الحرم .

٢٣ ــ محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى ، بدر الدين ، وُلد سنة ستٍ وثمانين وسبعمائة ، ونشأ فى كنف أبيه ثم مات أبوه عنه وهو صغير فكفله زوج أخته محيى الدين أحمد المدنى ، وتولّى التوقيع عنده لما ولى كتابة السرّ بدمشق فاتّصل بالمؤيّد وخَدَمَه[1] ، ثم سلّمه إلى نائب القلعة يَشْبك بن أزْدمر فحبسه عنده وضيّق عليه إلى أن وقع الإفراج عنه بعد قتل الناصر فقدم مع التجريدة إلى القاهرة فوَلى نظر الإصطبل وباشر توقيع الدست مع ابن البارزى ، ثم صار نائب كاتب السرّ فى مباشرةِ[2] والده فمهر إلى أن استقرّ فيها استقلالاً ، فكانت مدّته فى ذلك نيابةً واستقلالاً نحو تسع سنين ، لأنّه باشر ذلك عقب وفاة ناصر الدين بن البارزى فى ثامن شوال سنة ثلاثٍ وعشرين ، وباشر فى غضونها نظرَ الجيش نيابةً عن ناظر[3] الجيش لما حجّ فى سنة ستٍّ وعشرين.

وكان فصيحاً مفوّهاً عارفاً بالأمور الدنيوية ، عارياً عن معرفة الأمور الأخروية ، إنّما همّه الأعظم تحصيل الدّرهم ولو كان فلوساً حتّى حصّل فى هذه المدة ما يزيد على مائتى ألف دينار تمزّقت بعده وبقى منها ما اشتراه من العقار فإنه بقى لذرّيّته .

وكان ابتداء مرضه فى أول ربيع[4] الآخر . حصلت له ذبحة فى حلقه فصار ينفث الدم قليلاً ولم ينقطع عن الركوب إلى الحادى والعشرين من الشهر المذكور . وحصل له

(١) وذلك حينما كان المؤيد لا يزال نائب حلب حين عمل موقعا عنده .

(٢) فى هـ « فى مباشرة ولده فمن بعده » .

(٣) كان ناظر الجيش هو الزين عبد الباسط .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ١٠٨/٩ أنه مات فى جمادى الآخرة من السنة .

رعافٌ كثير حتى أفرط فانقطع بسببه ولازمه الأطباء وأكثروا له من الحقن والأدوية إلى أن استفرغوا قوته كلها مع ما يخرج من أنفه من الدم . ثم تنوّعت به الأمراض من القولنج وغيره إلى أن مات وأُشيع أنّه سمّ وكان هو يلوّح بذلك ، ولم يغب ذهنه فى طول مرضه ، وحُرِّض مراراً على أن يوصى ببِرٍّ أو صدقة أو خلاص ذمّةٍ فلم يُقَدَّر له ذلك ، ومات بأحماله لم يُحطّ عنه منها شئ إلاّ إن كان اغتيل فإن فى ذلك كفارة كبيرة ؛ وكثر الثناء السّئ عليه بعد موته بسوء معاملته وطمعه ، والله يسمح له ، فلقد كان يقوم فى الحق أحياناً ، وله برّ وصلةٌ وصدقةٌ لبعض الناس ومحبةٌ فى الصالحين ومروءةٌ وعصبيةٌ لأصحابه . رحمه الله تعالى .

واستقر بعده فى كتابة السر ولدُه جلالُ[1] الدين محمد ، لُقِّب بلقب أبيه بدر الدين ولم يستمر ذلك ، وخُلع على شرف الدين سبطِ ابن العجمى بنيابة كتابة السرّ ، فتَلَقَّى الأمورَ عن جلال الدين لصغر سنّه . ويقال إنه أخذ لأَجْل ذلك من مال أبيه مائةَ ألف دينار .

---

(١) جاء فى هامش م بخط البقاعى « تقدم فى ولاية الجلال هذا ما يدل على أن موت أبيه كان فى رجب والله أعلم » .

سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

فى المحرّم استقر الوزير كريم الدين فى نظر الديوان المفرد مضافاً للوزارة .

وفيه أمطرت فى حمص ضفادع[1] خضراء امتلأت منها الأزقّة والأسطحة ، ووصل الخبر بذلك .

وفيه شَغَب الجندُ المماليكُ فزِيد فى أرزاقهم ، كلٌّ واحدٍ أربعمائة ، فسكتوا .

وفيها رجع إسكندر بن قَرَا يوسف إلى تبريز[2] فملكها بعد رحيل شاه رخ ، ووقع بها الغلاء المفرط حتى أكلوا الكلاب .

وفى شوّال أغار قرْقُمَاس بن حسين بن نُعير على ابن عمه مُدْلِج بن على بن نُعيْر ، فانهزم قرْقُمَاس ودخل مدلج ومن معه بيوت قرقماس فنهبوها ، فكرّ عليهم قرقُماس بمَن معه فقُتل مدلج وذلك فى ذى القعدة وعُمره نحو العشرين سنة ، فقدم سليمان بن عذرا إلى القاهرة فأمَّرهُ الأشرف على العرب عوضاً عن عمه مدلج فوصل إلى حلب فى سابع ذى القعدة ، وورد على يده مثال الأمراء المجردين أن يتوجهوا مع نائب حلب ليقضوا على قرقماس ، فأرسل يطلب الأمان فورد المثال السلطانى بطرده عن البلاد ،فتوجّه الجميع من حلب يوم الجمعة سابع ذى القعدة وقرْقُمَاس يومئذ محاصرٌ مدينة جَعْبر ، فأسرعوا السير فأدركوه وهو على المشهد تجاه جَعْبر على شاطئ الفرات ، فلما رآهم ركب وانهزم فركبوا فى أثره ، وتشاغل بعضُ العرب الذين معهم والعسكرُ بالنهب واستمر العسكر فى أثر قرْقُماس فأبْعد عنهم فنزلوا وقد تعبتْ خيولهم وغلمانُهم ، فكرّ فيهم قرْقُمَاس ومن معه فقتلوا الدّشَارى

---

(١) جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « قصة إمطار الضفادع : أخبرنى الفاضل البارع بدر الدين حسين ألبيرى الشافعى أنه سكن آمد مدة وأنها أمطرت بها ضفادع وذلك فى فصل الصيف ، وأخبرنى أن ذلك غير منكر فى تلك الناحية بل هو أمر معتاد ، وأن الضفادع تستمر إلى زمن الشتاء فتموت ، وأخبرنى أن أهل المدينة – وهى آمد– أخبروه أنها أمطرت عليهم مرة حيات ومرة أخرى دما » .

(٢) أنظر فى ذلك النجوم الزاهرة ٦٦٣/٦ – ٦٦٤ .

وكان على الساقة ، وأخذوا غالب الخيول التى وقعت والتى وجدوها ، وقُتِل من العسكر جماعة فى تلك الوقعة ونُهبت بعض خيامهم وأثقالهم ورجعوا إلى العرب فى إثرهم يتخطفونهم ، ولما تحقّق قرقماس رجوعهم خشى عاقبتهم فتوجّه إلى جهة المشرق فدخل الأمراء إلى حلب سابع عشر ذى القعدة ، وقد نُهِب من أثقالهم وخيولهم وسلاحهم شىءٌ كثيرٌ جدا .

وفيها ورد كتابُ شاه رخ ملك الشرق يستدعى من الأشرف هدايا فيها كتبٌ من العلم منها «فتح[1] البارى بشرح البخارى» فجُهِّزت[2] له ثلاث مجلّدات من أوائل الكتاب ، ثم عاد طلبه لها فى سنة تسعٍ وثلاثين فلم تَتّفِق تتمة الكتاب .

وفيها نَقض عبد الواحد بن أبى حمو بيعة أبى فارس صاحب تونس ، فجهز أبو فارس إليه ابن أخيه ابن الرّكاعنة فظفر بعبد الواحد عمه فقتله واستقرّ فى مملكة تلمسان فى ذى القعدة منها .

* * *

وفيها مات أزبك الدويدار الذى كان قد نُفِى إلى القدس بطّالاً فمات فى شهر ربيع الأول منها بعد ضعفٍ طويل .

وفى مستهل جمادى الأولى سافرَ الناسُ إلى مكّة ليجاوروا بها صحبةَ سعد الدين بن المرأة ، وكان استقرّ ناظراً على مكس البهار الوارد عليه فى جدة .

* * *

وفيها هلك صاحبُ الحبشة إسحقُ بنُ داود بن سيف أرعد الحبشى الأمْحَرِى فى ذى القعدة ، وأُقيم بعده ولدُه أندراوس بن إسحق فملكَ أربعةَ أشهر وأُقيم عمه خرنباى ابن داود فهلك فى سبعة أشهر ، فأُقيم سلمون بن إسحق بن داود المذكور فهلك سريعا ، فأُقيم

(١) وهو لمؤلف الإنباء ، ابن حجر العسقلانى .

(٢) يقرر ابن حجر فى المتن أنه جهزت لشاه رخ ثلاث مجلدات من شرح البخارى ، على حين أن أبا المحاسن يقرر فى النجوم الزاهرة ٦/٦٥٠ أن رسول شاه رخ قدم بكتاب منه يطلب فيه « شرح البخارى للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر وتاريخ الشيخ تقى الدين المقريزى المسمى بالسلوك لدول الملوك ... وأنه يريد يكسو الكعبة ويجرى العين بمكة فلم يلتفت السلطان إلى كتابه ولا إلى رسوله وكتب له بالمنع فى كل ما طلبه » وهذا نص صريح بعدم وصول الشرح إلى شاه رخ ، فهل كان ابن حجر يقصد بما ذكره فى المتن التجهيز دون الوصول .

بعده صبيٌّ صغيرٌ إلى أن هلك فى الطاعون الذى كان عندهم سنة تسع وثلاثين فذكرت ذلك هنا تحصيلاً للفائدة ، وكانت ولايةُ إسحق إحدى وعشرين سنةً منذ مات أبوه[1] .

وفى زمانه حُضِّرتْ دولته بعد أن كانت همجاً ، وكان أبوه يركب وهو عريان كزى بقيّة الحبشة ، فصار هذا يركب فى الملابس الفاخرة وشعار الملك ، والسبب فيه أنَّ قبطيا كاتبا يقال له فخر الدولة فرَّ من حادث حَدثَ له فدخل بلاد الحبشة بكتاب البترك ، فحظى عند إسحق ورتَّب له أُمورَ المملكة وجبى الأَموالَ وصادف دخول أَميرٍ من الجراكسة يقال له « أَلْطَنْبُغا مَفْرَق » وكان يعرف أَنواع العمل بالسلاح والفروسية ، فعلَّم جماعةً منهم رَمْىَ النشاب والطعن بالرمح والضرب بالسيف وكانوا لا يعرفون القتال إلا بالحراب ، وعمل له زَرْدخَاناه ملأَها بجميع آلات السلاح ممّا كان يجلبه له التجار الذين يتردّدون إلى بلاده خصوصا علىّ بن التَّوريزى الذى ذكرنا[2] قتله قبل ذلك ، وقد ذكرت خبره فيما مضى .

* * *

وفى المحرم جهز أَبو فارس عسكرا فى البحر إلى جزيرة صقلية فنازلوا أَوّلاً « مَازَر » فأَخذوها عنوةً ، وحصروا مَالِقَة فانهزم من جملة الجند العلوجِ واحدٌ فانهزم بهزيمته جماعةٌ ، واستشهد بعضُ الأَعيان ثم تَراجعوا وقَبضوا على العلج وبعثوه إلى أَبى فارس فأَمدّهم بجيش .

* * *

وفيها كان الغلاء الشديد بحلب ودمشق ، والطاعون بدمشق وحمص .

* * *

وفى يوم الخميس سادس عشرين صفر صُرِف كاتبه والعينى عن وظيفة الحكم واستقر فيهما التَّفَهْنى والبُلقِينى ، واستقر صدر الدين بن العجمى فى مشيخة الشيخونية عوض التَّفَهْنى ، وشُرط على الشافعىّ عشرةُ نواب والحنفى ثمانيةٌ والمالكى ستةٌ والحنبلى أَربعة ، ولا يُوَلِّىّ أَحدٌ من غير مذهبه .

---

(١) يستفاد مما ورد فى النجوم الزاهرة ٦/٦٦٤ حاشية L مما علق به بوبر ناشر الكتاب اعتماداً على ما جاء فى Perruchon : Les Chroniques de Zar'a yé'eqob أن حكم داود إسحق استمر حتى سنة ٨١٤/٨١٥ ﻫ ثم خلفه تودروس حتى سنة ٨١٧/١٨ ، ثم جاء إسحق حتى سنة ٨٣٣/٨٣٤ ﻫ .

(٢) راجع ما سبق ، ص ٤٢٦ ، ترجمة رقم ١٢ .

وفيها حجّر المحتسب إينال الشِّشْمَانى على جُلاَّب القمح من البيع ، وشَغَل الطَّحانين جميعهم بشراء القمح من شُوَنِ السلطان واستمر على ذلك مدة ، فكثرت الغلال من الجلاَّبة ، فانحط السعر كثيراً ولله الحمد .

وفى الرابع من ربيع الآخر يوم الأَربعاء صرف إينال من الحسبة وأُعيد العينى إليها .

وفى التاسع منه أُمر بإحضار نائب الاسكندرية الأَمير آقْبُغَا التَّمْرَازى . وقُرِّر فى نيابتها شهاب الدين الدويدار المعروف بالأَسود بن الأَقْطع .

وفى خامس عشرينه استقرّ آقْبُغَا الجمالى فى وظيفة الأُستادارية عوضاً عن عبد القادر ابن أَبى الفرج لكونه كان التزم بحملِ مائةِ أَلفِ دينارٍ بعد التكفية ، ثم لما تمادى الحال عجز فآل أَمره إلى الإهانة كما سيأْتى ذكره ، وسلَّم عبد القادر وأَلزامه لآقْبُغا ثم أُفرج عنهم على مال .

وفى رجب مات ياقوت — ويلقب فخر الدين الحبشى — مقدم المماليك ، واستقر عوضه نائبه فيها خُشْقَدم الرومى ، وكان من مماليك يشبك ،واشتهر فى أَيام المؤيد وترقى وعُرف بالحّرية .

وفى رجب أَيضا قدم تغرْى بردى المحمودى من دِمياط فأُمر أَن يتوجه إلى دمشق أَميراً كبيرا .

وفى ذى القعدة أُضيفت وظيفة الأُستادارية للوزير فباشرهما معاً ، وقُبض على آقْبُغَا الجمالى وعُوقب ثم أُفرج عنه ووَلِىَ كشف الجسور فى أَواخر السنة .

وفى ثامن عشره ركب السلطانُ إلى مصر ، ثم ركب النيلَ إلى المقياس وخلَّقه ، وفُتح الخليج بحضرته ، وهى أَوّلُ سنةٍ فعل فيها ذلك بنفسه .

* * *

وفى ذى القعدة ظهر للحاج من جهة البحر كوكبٌ يرتفع ويعظم ثم يرتفع منه شرر كبارٌ ، فلما أَصبحوا اشتد عليهم الحر فهلك من المشاة عالمٌ كثيرٌ وتلف من جمالهم وحميرهم

شيءٌ كثير ، واشتهر أمرُ الطاعون فى الوجه البحرى فيقال مات بالمحلة خمسة آلاف نفسٍ ، وبالنَّحرارية تسعة آلاف ، ومات فى الإسكندرية فى كلّ يوم مائة وخمسون إلى غير ذلك وعُدَّ ذلك من النوادر لأَنه وقع فى قوة الشتاء ، وكان قبل ذلك قد فشا فى برَصَا وغيرها من بلاد الروم حتى بلغ عدد من يموت فى اليوم زيادةً على الأَلف على ما قيل ، فلما استهلَّ ربيع الآخر كان عدة من يموت بالقاهرة اثنى عشر نفسًا ، وفى آخره قاربوا الخمسين .

وفى أَول يومٍ من جمادى الأولى بلغوا مائةً فنودى فى الناس بصيام ثلاثة أَيام وبالتوبة والخروج إلى الصحراء فى اليوم الرابع .

وخرج الشريف كاتبُ السر والقاضى الشافعى وجمعٌ كثير من بياض الناس وعوامهم فضجوا وبكوا ودعوا وانصرفوا قبل الظهر ، فكثر فيهم الموتُ أَضعاف ما كان ، وبلغ فى اليوم ثلاثمائة فى القاهرة خاصةً سوى من لا يَرِدُ الديوان ، ووُجد بالنيل والبرك شيءٌ كثيرٌ من الأَسماك والتماسيح موتى طافية ، وكذا وُجد فى البرية عدة من الظباء والذئاب .

* * *

ومما وقع فيه من النوادر أَنَّ مركبا ركب فيها أَربعون نفسا فقصدُوا الصّعيد ، فما وصلت إلى المَيْمون حتى مات الجميع ، وأَن ثمانية عشر صيَّاداً اجتمعوا فى مكانٍ فمات منهم فى يوم واحدٍ أَربعةَ عشر ، فجهزهم الأَربعة فمات منهم وهم مشاة ثلاثة ، فلما وصل الأَخير منهم إلى المقبرة مات .

وبلغ فى سلخ جمادى الأولى إلى أَلفٍ وثمانمائة .

* * *

وفى رابع جمادى الأولى بلغت عدّة الموتى بالقاهرة خاصةً فى اليوم أَلف نفس ومائتى نفس ، ووقع الموت فى المماليك السلطانية حتى زاد فى اليوم على خمسين نفسا منهم . وانتهى عدَدُ من صُلِّىَ عليه فى اليوم خمسمائة وخمسة أَنفس ، وضبط جميع المصليات فى يوم واحد فبلغت أَلفا نفس ومائتين وستة وأَربعين نفسا .

ووقع الموتُ فى السّودان بالقرافة إلى أن مات منهم نحو ثلاثة آلاف ، وعزّ وجودُ حمّالى الموتى وغُسّالهم ومن يحضر القبور حتى عملوا حفائر كباراً كانوا يُلْقُون فيها الأموات ، وسُرق كثير من الأكفان ونَبَشَت الكلاب كثيرا فأكلتهم من أطراف الأموات ، ووصل فى الكثرة حتى شَاهَدْتُ النعوش من مصلَّى المؤمنى إلى باب القرافة كأنّها الرخم البيض تحوم على القتلى ، وأما الشوارع فكانت فيها كالقطارات يتلو بعضها بعضا .

* * *

وفى جمادى الأولى وعك يوسف ولد السلطان فتصدّق عنه بوزنه فضة .

وفى نصف جمادى الآخرة جمع الشريفُ كاتبُ السر أربعين شريفا اسم كل منهم « محمد » وفرّق فيهم مالاً ، فقرأوا بعد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ما تيسر من القرآن ، فلما أن قَرُبَ العصر قاموا فدعوا وضجوا وكبّر الناس معهم فى ذلك إلى أن صعد الأربعون إلى السطح فأذّنوا العصر جميعا وانفضوا وكان بعض العجم قال للشريف : « إن هذا يرفع الطاعون » ففعل ذلك فما ازداد الطاعونُ إلاّ كثرةً حتى دخل رجب ، فلما دخل رجب تناقص .

قرأتُ بخط قاضى الحنابلة محب الدين : « صحّ لى أن شخصا يقال له على الحريرى كان له أربعة مراكب فيها مائة نفر وعشرون نفراً ما تواكلهم بالطّاعون إلا واحداً »، ولما اشتد الأمر بالطاعون أمر السلطان استفتاء العلماء عن نازلة الطاعون : « هل يُشْرَع الاجتماع للدعاء برفعه ؟ أو يشرع القنوت له فى الصلوات ؟ وما الذى وقع للعلماء فى الزمان الماضى ؟ » فكتبوا الأجوبة وتشعبَتْ آراؤهم ، وتُحُصِّل منها على أنه يشرع الدعاء والتضرع والتوبة ، وتُقَدَّم قبل ذلك التوبةُ والخروجُ من المظالم والأمرُ بالمعروف والنهى عن المنكر وأنهم لا يستحضرون عن أحد من السلف أنهم اجتمعوا لذلك ، إلاّ أن الاجتماع أُرجىء للإجابة ، وأجاب الشافعى بجواز القنوت لأنه نازلة ، وقد صرّح الشافعية بمشروعية القنوت فى النوازل ، وأجاب الحنفى والمالكى بالمنْع ، فأجاب الحنبلى بأن عندهم روايتين ومن جَوّزه وخَصّه بالإمام الأعظم فى غير يوم الجمعة ، ثم طُلب القضاة والعلماء إلى حضرة السلطان

فقُرئت الفتاوى وفسّرها له محب الدين بن الأُقْصُرائى فأجاب : « أنا أُتابع الصحابةَ والسلَف الصالح ولا أخرج ، بل كل واحد يبتهل إلى الله تعالى فى سره » ثم سألهم عن المراد بالمظالم التى كتبوا فى الفتاوى أنهم يخرجون منها ، فذكروا له أشياء مجملة فقال : « مهما تجدد بعد الظاهر برقوق أنا أزيله » فقال له الشافعى : « قد تجدد فى هذه السنة ثلاث مظالم : التشديد على التجار الكارمية فى بَيْع البهار للسلطان وإلا مُنِعوا من التجارة فيه ، والتّشديد على الباعة فى طرْح النطرون ، والتّحكير على القصب أن لا يُزْرع إلا فى بلاد السلطان » فلم يتحصل من الجواب عن ذلك كبير أمر .

وأمر السلطانُ القضاةَ والأُمراء بأَن يأمروا الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصى والإكثار من الطاعات ونحو ذلك ؛ ونودى بالقاهرة بمنع النساء من الخروج إلى التُّرَب وتُوُعِّد المكارى بالشنق والمرأةُ بالتغريق ، وانصرفوا على ذلك . ففى الحال دخل إليه بعض خدمه فأخبره أن ابنه الكبير محمد طعن .

وذكر القاضى زين الدين التَّفَهْنى أنه رآى فى النوم حسام الدين دِرْعَان الخادم بالشيخونية — وكان من جملة من مات فى هذه السنة بالطاعون — فسأله عن حاله فقال : « الجنة مفتحة للمسلمين ! » ، سمعْتُ ذلك منه ، وكان حسام الدين رجلاً جيداً كثير النفع للطلَّبة بالشيخونية منذ أقام بها وباشر الخدمة بها مباشرة حسنة .

وفيها فى جمادى الآخرة أمر السلطانُ القضاةَ والحجاب وغيرهم أن لا يحبسوا أحدا على ديْن ، فاستمر ذلك إلى شوال منها .

وحكى أبو بكر بن نقيب الأشراف — وكان باشر بعد موت أخيه شهاب الدين أمور كتابة السر قبل أن يلبس الخلعة — أنّ السلطانَ ورد عليه كتابٌ فلم يجد من يناوله إياه حتى استُدْعِى مملوكٌ من بعض الطباق .

* * *

وفى ثامن عشر شعبان بلغ السلطانَ أنَّ كمال الدين بن الهَمَام عَزل نفسه عن مشيخة مدرسته الأَشرفية ؛ فسأَل عن السبب فى ذلك فأُخبر أنَّ وظيفةً شَغرت عن صوفِى فعين فيها

شخصاً وعارضه جوهر اللالا ، فنزل غيره فغضب وقام بعد أن حضر التصوف وقْت العصر ، فقال : « إشهدوا علىَّ أنّنى عزلتُ نفسى من هذه الوظيفة وخلعتها كما خلعت طيلسانى هذا ! » ، ونزع طيلسانه ورمى به ، وتحوّل فى الحال إلى بيتٍ له فى باب القرافة ، فلم يعرج السلطان عليه وقرر أمين الدين يحى بن الأُقصرائى فى المشيخة ، ونِعْم الرجلان هما ، فنزل أمين الدين لابن أخيه محب الدين بن مولانا زاده عن المشيخة بمدرسة جَانْ بك .

* * *

وفيها سقط العينى عن بغلته فانكسرت رِجْله فأقام عدّةَ أشهر منقطعا .

واستقر محب الدين المذكور يقرأُ عند السلطان السِّير والقصص التى كان يقرؤها العينى .

وفى ثامن عشرى شعبان شكى برد بك الحاجب فطلبه ، فادّعى عليه الشاكى أنه ضربه بغير ذنب فقال : « طلبته فامتنع » فأرسله إلى الحنفى فحكم بعزله عن وظيفته فعُزل أياما ثم أرضى خصمه فصفح عنه فتكلموا له مع السلطان فأعاده .

وفى[1] تاسع رمضان قَرَّر السلطان فى مدرسته بقيةَ المذاهب ولم يكن نَزَّل بها أولاً إلاَّ الحنفى .

وفى ثامن عشر رمضان استقر القاضى شهاب الدين بن السّفاح فى كتابةِ السر وكانت شغرت بموت جلال الدين بن مزهر وتكلّم فيها شرفُ الدين بن الأشقر نيابةً إلى أن دخل ابنُ السفاح واستقرّ ولده عمر فى وظائفه بحلب .

وفى رمضان وصل كتاب شاه رخ صحبة شريفٍ اسمهُ « هاشم » بغير ختم أوله : « ألم تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأَصْحَابِ الفيل » ثم خاطب السلطان فيه بالأمير[2] وأرْعَد وأبرق وتهدد ، فكُتب إليه جوابه من جنس كتابه .

---

(١) أمامها فى هامش ه : « تقرير الوظائف بالمدرسة الأشرفية » .

(٢) فى ه « بالأمر » .

وفى ذى الحجة وَصل شاه رخ إلى تبريز فى عساكر هائلة ، وتأخَّرت إدارة المحمل إلى ثامن شعبان بسبب شغل المماليك الرّماحة بأنفسهم وبمَن مات مِن رفقتهم، وأداروه على العادة المعهودة .

* * *

وفى شعبان اشتغل بدر الدين بن الأَمانة بتدريس الفقه بالشّيخونية وكمال الدين ابن المجبر بمشيخة الصّلاحية ، وكان ابن المحمرة استنابهما فى وظيفتيه المذكورتين لما توجَّه قاضياً بالشام ، وسعيا إلى أن استقلا ، ثم لما عُزل هو وعاد استعادهما ،ثم لما سار إلى مشيخة الصلاحية بالقدس لم يعد إلى استنابتهما .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة من الاعيـــان

١ ـ إبراهيم بن ناصر الدين بن الحسامِ الصَّقْرى ، صارمُ الدين ، نشأ طالباً للعلم فتأدّب وتعلّم الحساب والكتابةَ والأدب ، والخطَّ البارع ، وقد ولى الحسبة بالقاهرة فى أواخر أيام المؤيّد ومات فى ثامن عشر جمادى الآخرة مطعُونا[١] .

٢ ـ إبراهيم بن أحمد بن وفاء الشاذلى ، أبو المكارم ، وُلد سنة ثمانٍ وثمانين ومات فى هذه السنة مطعونا .

٣ ـ إبراهيم بن المؤيد شيخ .

٤ ـ وأخوه الملك المظفر أحمد ماتا صغيرين بالإسكندرية .

٥ ـ أحمد ولد ناظر الجيش عبد الباسط ، شهاب الدين ، مات فى مستهلّ شعبان وكان قد بَلغ ونَبغ وناب عن والده فى كتابة العلامة فطُعِن ، وكانت جنازته حافلة .

٦ ـ أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان[٢] ، الشريف شهاب الدين الحسينى الدمشقى

(١) نقلت شذرات الذهب ٢٠١/٧ هذه الترجمة من الإنباء حرفيا دون الإشارة إلى مصدرها .

(٢) ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ١٥/٢ ترجمة مطولة ، ويلاحظ أن المترجم كان شافعى المذهب ، وإنما لقب « بالحسينى » لسكنه قرب ضريح الحسين عليه السلام .

وُلد سنة أربع وسبعين وسبعمائة ونشأ بدمشق ومع والده[١] نقابة الأشراف ، وكان فيه بأو[٢] وإقدام ، ثم ترقّى بعد موت أبيه فولى نقابة الأشراف عوضه ، ثم ولى كتابة السر فى سلطنة المؤيّد ، ثم ولى القضاء بدمشق[٣] فى سلطنة الأشرف ، ثم ولى كتابة السّر فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وباشرها إلى أن مات بالطاعون فى جمادى الآخرة .

٧ – أحمد بن على بن عبد الله بن على بن حاتم بن محمد بن يوسف ، البعلى الأصل الحنبلى القاضى شهاب الدين بن الحبّال الطرابلسى[٤] ، وُلد سنة تسعٍ وأربعين وتفقّه وسمع الحديث ، ثم كان مع الذين قاموا فى السّعى فى إزالة دولة الظاهر وأُخِذ معهم وضُرِب ، واشتهر بعْد اللنك بطرابلس وعظم شأنه ، ثم ولى القضاء بها وصار أمرُ البلد إليه ، وكان يقوم على الطلبة ويردّ عنهم ويتعصّب لعقيدةِ الحنابلة ، ثم نَوّهَ به ابنُ الكويز فنُقِل إلى قضاء دمشق فى أوّل دولة ططر فدخلها فى جمادى الأول سنة أربع ، فاستمر إلى أن صُرِف فى سنة اثنتين وثلاثين فى شعبان بسبب ما اعتراه من ضعْفِ البصر والارتعاش وثُقْل السمع ، وكانت الأمور بسبب ذلك تخرج كثيرة الفساد ؛ وكان مع ما أصابه كثير العبادة ويلازم صلاة الجماعة ، وكان منصفا لأهل العلم قليل البضاعة فى الفقه ، ورحل إلى طرابلس فمات بها فى شهر ربيع الأول بعد قدومه بيوم .

٨ – أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله القيرى[٥] ، العلاّمةُ صدر الدين بن القاضى جمال الدين المعروف بابن العجمى ، وُلد سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، واعتنى به أبوه

---

(١) وهو الذى كان يعرف بابن أبى الجن .

(٢) هكذا فى ظ ، لكنها « جرأة » فى بقية النسخ .

(٣) غير واردة فى ظ ، ويلاحظ أن استقلاله به كان بعد استقرار النجم بن حجى فى كتابة السر بمصر وكان ذلك سنة ٨٢٧ ﻫ ، كما أن ولايته الثانية لكتابة السر كانت بمصر أيضا وليست بالشام بعد الجلال بن مزهر سنة ٨٣٢ ، راجع أيضا ترجمته فى قضاة دمشق ص ١٥١ – ١٥٢ وفيها وصف لدخوله دمشق متوليا قضاءها ، على أنه يستدل من ترجمته الواردة فى النجوم الزاهرة ٨١٤/٦ على أنه لم يكن محمود السيرة كما ينبغى .

(٤) لم يرد فى ترجمته بقضاة دمشق ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ لقب « الطرابلسى » ، ومما نقله ابن طولون عن الأسدى أنه لما لبس خلعة الحنابلة اشترط أن لا يركب مع القضاة إلى دار السعادة .

(٥) فى ز « التسترى » ، ولكنه فى بقية المراجع « القصيرى » ، بالصاد أحيانا كما فى النجوم الزاهرة ٨١٦/٦ وبالسين حينا آخر كما فى الضوء اللامع ٦٢٣/٢ ، وشذرات الذهب ٢٠٢/٧ .

فى صغره ؛ وصلىّ بالناس التراويح بالقرآن أوّل ما فتحت المدرسة الظاهرية فى سنة ٨٨ وهو ابن إحدى عشرة سنة لم يكملها ، وأقرأه الفقه والعربية والمعانى وأحضر له المؤدّبين والمعلمين ،وترعرع وبرع وباشر التوقيع فى ديوان الإنشاء ، ثم ولى الحسبةَ مراراً ونظر الجوالى وغير ذلك ، وتنقّلت به الأحوال كما مضى فى الحوادث .

مات فى الطاعون فى الرابع عشر من شهر رجب .

٩ — ازبك الدويدار ، مات بالقدس بطالاً فى سادس عشر ربيع الأول .

١٠ — إسحق بن إبراهيم بن أحمد بن محمد التّدمرى ، تاج الدين خطيب الخليل ، ذكر أنه أخذ عن قاضى حلب شمس الدين محمد بن أحمد بن المهاجر[1] وعن شيوخنا العراقى وابن الملقن وغيرهما . وأجاز له ابن الملقن فى الفقه ، ومات ليلة العيدمن شهر رمضان .

١١ — إسحق بن داود صاحب الحبشة ، مات فى هذه السنة ، وقدّمنا نبأه فى ترجمة أبيه سنة اثنتى عشرة .

١٢ — أبو بكر بن على بن إبراهيم عدنان ، الشريف عماد الدين الماضى أخوه أحمد[2] قريبا ، ولد سنة تسعين تقريباً ونشأ بزىّ الجند ثم بعد ذلك تزيّا بزىّ المباشرين[3] .

١٣ — أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض بن أبى السعادات بن أبى الظاهر محمد ابن أبى بكر بن أحمد بن موسى بن عبد المنعم بن على بن عبد الرحمن بن سالم بن عبد العزيز ابن أحمد بن على بن ضياء الدين عبد الرحمن بن أبى المعالى سالم بن الأمير المجاهد عز العرب وهب بن مالك الفاضل من أرض الحجاز بن عبد الرحمن بن مالك بن زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى ، الشيخ زين الدين القِمْنى[5] ، هكذا قرأت نسبه بخطه وأملاه علىّ بعض الموقّعين ولا أشك أنه مركب ومفترى ، وكذا لا يشك من له أدنى معرفةٌ بالأخبار

---

(١) أنظر إنباء الغمر ٤٤٦/١ ترجمة رقم ٢٨ حيث سماه بابن مهاجر ، وإعلام النبلاء ١١٠/٥ — ١١٢ .

(٢) راجع ترجمة رقم ٦ من وفيات هذه السنة ، ص ٤٤١ .

(٣) أورد ابن حجر ترجمة أخرى له عقب ترجمة ٣٥ ص ٤٤٩ تماثل التى أعلاه ولكنه زاد عليها قوله «وكان الغالب عليه الديانة والخير والقصد وانطلقت الألسن بالثناء عليه وعين بعد أخيه لكتابة السر وباشر بغير تولية فعوجل بالطاعون أيضا ومات فى رجب ولم يبق بعد أخيه سوى ستة عشر يوما » . راجع أيضا النجوم الزاهرة ٨١٤/٦ س ٥ — ٩ .

(٤) راجع فى هذه النسبة ما سبق ص ٣٩٠ ، حاشية رقم ٢ .

أنه كذب ، فليس لزيد بن ثابت ولدٌ يسمى « مالكا » ، وتلقيبه « عبد الرحمن بن سالم » بضياء الدين من أسمج الكذب فإنَّ ذلك العصر لم يكن فيه التلقيب بالإضافة للدين ؛ وكان مولده — على ما كتب بخطه — سنة ثمانٍ وخمسين ، وذكر لى بلفظه أنَّه حضر درس الشيخ جمال الدين — وهو بالغٌ — وعرض عليه « التنبيه » فيُحتمل أن يكون بلغ وهو ابنُ ثلاث عشرة سنة أوْ ذهل حين كتب مولده .

وقدم القاهرة فى حدود السبعين ، وأول شئ رأيْتُه من سماعه فى جمادى سنة أربع وسبعين من الشيخ بهاء الدين بن خليل ، ثم فى رمضان سنة ثمان وسبعين ؛ وسمع فى البخارى على التقى[1] عبد الرحمن بن أحمد البغدادى ، وسمع أيضاً من عبد الله بن الباجى وعبد الله ابن مَغْلَطَاى وصلاح الدين البلبيسى ، ثم تقى الدين بن حاتم وابن الخشاب وعزيز الدين المِلِيجى ؛ ونشأ يتيماً فقيراً بجامع الأزهر ثم اتَّصل بعلاء الدين بن قشتمر فنبه قليلا ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن صحب قَلَمطَاى الدويدار فى سلطنة الظاهر فصار له ذكر .

واتفق تسحّب الشيخ شمس الدين بن الجزرى إلى بلاد الروم فشغرت عنه الصّلاحية فوثب عليها ، وكان رحل إلى الشام قبل التسعين فسمع من ابن المحبّ وابن الذهبى وابن المعز والبرهان بن جماعة — وهو يومئذ قاضى الشام — ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن المنبجى الأسمرى والكمال بن النحاس وابن خطيب يبرود وابن الرّشيد وناصر الدين محمد ابن عمر بن عوض بصالحية دمشق ، وسمع من متأخرى شيوخنا كالشامى والغَزّى والصردى والمطرز وابن صديق وابن أبى المجد ثم الحلاوى والسويداوى ؛ ومن الحافظين : الإنباسى والبلقينى ، والهيثمى شمس الدين ، وأبى بكر حسين المراغى ، وخرّج له ابن الشرائحى مشيخةً عن أربعة وأربعين شيخاً وحدَّث بها مرتين وكان يتبجح بها لكنه لا يعرف عالياً من نازل ، وكان عريضَ الدعوى كثيرَ المجازفة سامحه الله . مات فى رجب مطعوناً .

١٤ — برْدبك[2] السيفى أحدُ مقدَّمى الألوف بمصر مات فى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة

---

(١) راجع ترجمته فى الدرر الكامنة ٢/٢٧٦ .

(٢) لم ترد هذه الترجمة فى هـ ، والظاهر أنها ليست من قلم ابن حجر نفسه لورود كلمة « مخدومنا » ، أو على الأقل أنه كتب هذه الترجمة حتى كلمة « كهلا » .

بالطاعون كهلاً ، وهو والد صاحبنا ومخدومنا الزيني فرج الحاجب الأشقر .

١٥ ـ بيْبُغَا المظفرى التركى ، كان من مماليك الظاهر وتأمّر فى أوّل دولة الناصر وعمَل الأتابكية وقد سُجِن مراراً ونُكب وكان قوىّ النفس . مات فى ليلة[١] الأربعاء سادس جمادى الآخرة .

١٦ ـ حسن[٢] بن أحمد بن حرمى بن مكىّ بن موسى العلقمى ، بدر الدين ، ناظر الأوقاف ، مات بالقاهرة وكان حسن العشرة والأخلاق بسّاماً . جاوز الستين .

١٧ ـ زين خاتون ، بنتى وهى بكر أولادى ، وُلدت فى رجب سنة اثنتين وثمانمائة وتعلّمت الكتابة والقراءة ، وأسمعْتُها من الشيخ زين الدين العراقى والشيخ نور الدين الهيثمى وأجاز لها كثير من المسندين من أهل دمشق ، وماتت ـ وهى حامل ـ بالطاعون فجُمِعَتْ لها شهادتان .

١٨ ـ سَرْدَاح[٣] بن مُقْبِل بن نَخْبَار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن ابن أبى عزيز الحسَنى الينْبعى ، ولى أبوه إمرةَ الينبع مدةً ثم قبض عليه وحُبس بالإسكندرية سنة خمس وعشرين إلى أن مات بها وكُحِّل ولده ، فقال إنه رآى النبى صلى الله عليه وسلّم فى المنام فمسح عينيه فأبْصر واتهم السلطانَ من كحّله والله أعلم . مات[٤] فى أواخر جمادى الآخرة بالطاعون .

١٩ ـ العباس بن المتوكل بن المعتضد أمير المؤمنين المستعين أبو الفضل ، وُلد فى سنة ... ...[٥] واستقر فى الخلافة بعهدٍ من أبيه فى شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة ، فلمّا انهزم النّاصر وحُوصِر بدمشق بويع للمستعين بالسلطنة مضافةً للخلافة فتصرّف بالولاية

---

(١) « ليلة الأربعاء » غير واردة فى هـ ، ويلاحظ أن الضوء اللامع ١٠٦/٣ نقل هذه الترجمة حرفيا عن إنباء الغمر .

(٢) اكتفت هـ بتسميته « حسن العلقمى بد ـ الدين » ، أما تلقيبه بالعلقمى فنسبة إلى مولده بالعلاقة وهى من البلاد القديمة بمركز ههيا ، أنظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٢ ص ١٥٥ .

(٣) وقد يكتب بالصاد المهملة وهذا أصح وإن كان الأشهر بالسين .

(٤) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٥) فراغ فى جميع النسخ ، كذلك خلا الضوء اللامع ٧٠/٤ والشذرات ٢٠٧/٧ من ذكر سنة مولده . كذلك لم يستطع Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 1295. من تحديد سنة مولده .

والعزل ، وفى الحقيقة كانت له العلامة والخطبة . وضُرِبت السكة من الذهب والفضة باسمه ، فلمّا توجّه العسكرُ إلى مصر كان الأمراءُ كلُّهم فى خدمته على هيئة السلطنة ولكن الحلَّ والعقدَ للأمير شيخ ، ثم سكن الإصطبلَ وصار الجميعُ – إذا فرغت الخدمة من القصر – نزلوا فى خدمته إلى الإصطبل ، فأُعيدت الخدمة عنده ووقع الإبرام والنقض ، ثم يتوجه دويداره للسلطان فيعلّم على المناشير والتواقيع ، فلم يزل على ذلك إلى أن تسلطن المؤيد ولم يوافق العباس على ذلك ، فصرح المؤيّد بعزله من الخلافة وقرّر فيها أخاه داودًا ولُقِّب « المعتضد » ، فلمّا خرج المؤيّد إلى نوروز أرسله إلى الإسكندرية فاعتُقِل بها فلم يزل بها إلى أن تكلم ططر فى المملكة فأرسل فى إطلاقه وأُذِنَ له فى المجئ إلى القاهرة ، فاختار الاستمرار فى سكن الإسكندرية لأنه استطابها ، وحصل له مال كثير من التجارة فاستمر إلى أن مات بالطاعون شهيداً ، وخلّف ولده يحيى .

٢٠ – عبد الله[١] بن محب الدين خليل بن فرج بن سعيد ، جمال الدين ، المقدسى الأصل الدمشقى الرَّمْثَاوى[٢] وُلِد فى حدود الستين وقرأ على ابن الشريشى وابن الجابى وغيرهما ، ودخل مصر فحمَل عن جماعةٍ وجاور بمكة مدةً طويلة ، ثم قدم الشام فأقام على طريقةٍ حسنة وعمل المواعيد واشتهر ، وكان شديد الحطّ على الحنابلة وجرت له معهم وقائعُ ، ومات فى ربيع الآخر .

٢١ – عبد البر بن القاضى جلال الدين محمد بن قاضى القضاة بدرالدين أحمد بن أبى البقاء ، كان شابًّا جميل الصورة طيبَ النغمة ، وكان قد أُذِن له فى نيابة الحكم فى

---

(١) أمام هذه الترجمة فى هامش ه بخط البقاعى : « هذا شيخنا الربانى الصوفى العارف المعروف بالقلعى ، كان إماماً عارفاً مسلكا مربيا قدوة ذا قدم راسخ فى علم الباطن ، مشاركا فى الفقه والنحو مشاركة جيدة ، أستاذا فى علم الكلام ، ذا حافظة قوية ، مفتوحاً عليه فى الكلام فى الوعظ ، يحفظ حديثاً كثيراً ويعزوه إلى مخرجيه ، وله عمل فى علم الحديث ، وله مصنفات منها : منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى ؛ بحثت عليه بعضه ، وأقمت عنده مدة بزاويته بالعقبة الصغرى ومات بدمشق يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث هذه . رحمه الله . قاله البقاعى . هكذا بلغنى وأنا فى القدس أن الشهر الذى مات فيه ربيع الأول فالله أعلم » .

(٢) فى الأصل وفى الشذرات ، ز « البرماوى » وفى ه بغير تنقيط ، وفى الضوء اللامع ٥/٦٤ « الرمثاوى » ، ويعرف صاحب الترجمة بالقلعى ، أنظر الحاشية السابقة .

أواخر السنة الماضية ثم سافر إلى الشام ورجع فمات فى سابع عشر شهر رجب ولم يكمل الثلاثين .

٢٢ — عبد الغنى بن جلال الدين عبد الواحد بن إبراهيم[1] المرشدى ثم المكى ، نسيم الدين، اشتغل كثيراً ومهر وهو صغير وأحبّ الحديث فسمع الكثير وحفظ وذاكر ودخل اليمن فسمع من الشيخ مجد الدين الفيروزابادى ، وكتب عنى الكثير ، ومات مطعوناً بالقاهرة .

٢٣ — عبد القادر بن عبد الغنى بن [عبد الرازق بن] أبى الفرج الملكى [الأرمنى] ، ولى الأُستادارية كأبيه ومات فى سابع عشرى جمادى الآخرة .

٢٤ — عبد الكريم ،كريم الدين بن سعد الدين بركة القبطى المعروف بابن كاتب جَكَم؛ كان أبوه يخدم الوزير علم الدين بن كاتب سيدى ثم تعلّق بخدمة الأُمراء فخدم عند الأمير جكم فشُهر به ، واستقر ولدُه سعد الدين إبراهيم بعده ، وصاهر تاج الدين بن الهيْصَم قبلْ أن يلى الأُستادارية ، واستقرّ مستوفى الدولة فى مباشرة ابن نصر الله ، ثم ولى نظر الدولة وباشر ديوان السلطان قبل أن يتسلطن ، ثم سعى فى نظر الخاص لمّا ولى ابنُ نصر الله الأستادارية : فباشر بسكون وحشمة ونزاهة ،وأكثر من زيارة الصالحين ومن الفقراء ، وألزم ولديه إبراهيم ويوسف بالاشتغال بالعلم وأحضر لهما من يعلمهما العربية والكتابة

وكانت[2] وفاته سادس عشر ربيع الأول قبل وقوع الطاعون . واستقر ولده فى وظيفته وهو أمرد فاستمر ولم يظن أحدٌ أنه يستمر لصغر سنه لكنّه استعان أولاً بجدّه لأمّه ثم استقلّ بالأُمور بعد وفاته وقد تدرب ؛ وكان يتكلم بالتركى ويحسن المعاشرة مع لثغةٍ فى لسانه ، وخلَفَهُ أخوه جمال الدين يوسف .

٢٥ — على[3] بن تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى ولى الدين العراقى ، تقى الدين .

---

(١) جاءت فوق كلمة ابراهيم هــذه فى ه إشارة لإضافة فى الهامش هى : « ابن أحمد بن أبى بكر بن عبد الوهاب ابن أحمد » وهذا يتفق مع اسمه الوارد فى الضوءاللامع ٦٥٤/٤ وقال إنه يعرف بابن المرشدى .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٨٠٩/٦ أنه مات فى ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول، هذا ويلاحظ أن التوفيقات الإلهامية ص ٤١٧ جعلت الاثنين أول ربيع الأول سنة ٨٣٣ ومن ثم يكون يوم وفاته المذكور فى النجوم أقرب إلى الواقع .

(٣) ذكر الضو اللامع ٨٦١/٥ أنه كان آخر الذكور من بيتهم وأن الناس تفرقوا الوظائف التى كانت لهم .

٢٦ – على بن عنان بن مُغَامِس بن رُمَيْثَة بن أَبى نُمَى الحسنى المكى الشريف ، مات بالقاهرة فى ثالث جمادى الآخرة مطعوناً وقد وَلِىَ إمرة مكة مرّة ، ودخل الغرب بعد أن عُزل عنها[1] فأكرمه أبو فارس ، وكان حسنَ المحاضرة ويذاكر[2] بالشعر وغيره .

٢٧ – على الأسيوطى الشيخ ، ويقال له أبو الحَلَق ، كان مِمَّن يُعتَقَد وتُذكَر عنه مكاشفات كثيرة .

٢٨ – عمر ، القاضى سراج الدين [بن محمد[3]] النُّوَيْرِى الشافعى قاضى الشافعية بطرابلس ، مات فى جمادى الآخرة .

٢٩ – قاسم بن الأمير كَمَشْبُغا الحموى ، كان أَحَد الحجاب الصغار[4] .

٣٠ – كَمَشْبُغَا الفَيْسِى الكاشف الظاهرى ، كان جريئاً على سفْك الدماء ، مات منفيًّا بدمشق فى رابع عشر ربيع الأول[5] وقد ناهز الثمانين .

٣١ – ماجد بن أبى الفضائل بن سناء المُلك ، فخر الدين بن المُزَوِّق ، كان من أولاد الكتبة وخدم عند سعْد الدين بن غراب فولى بعنايته نظر الجيش وكتابة السرّ : واحدةً بعد أخرى ، ثم ولى نظر الإصطبل ثم تعطل فى الدولة المؤيّديةوما بعدها إلى أن مات فى ليلة الخميس ١٣ رجب .

٣٢ – محمد بن أحمد بن سليمان الأذرعى الحنفى ، شمس الدين ، أخذ عن ابن الرضى والبدر المقدسى فى مذهب الحنفية ، ثم بعد اللنك انتقل إلى مذهب الشافعى ، وولى قضاء بعلبك وغيرها ، ثم عاد حنفيا ، وناب فى الحكم ، ودرّس وأفْتى ، وكان يقرئ البخارى جيّداً ويكتب على الفتوى كتابةً حسنةً وخطُّه مليح ، وتوجّه إلى مصر فى آخر عمره فعنْد وصوله طُعِن فمات غريباً شهيداً فى جمادى الآخرة .

---

(١) أى أنه عزل عن إمرة مكة ودخل بعدها إلى الغرب ثم رجع إلى القاهرة فأقام بها ومات مسجونا مطعوناً بقلعتها .

(٢) عبارة « ويذاكر بالشعر وغيره » لم ترد فى ه ، لكن جاء بدلها « ومات بالقاهرة » .

(٣) الإضافة من الضوء اللامع ٦/٤١٧ .

(٤) وذلك فى زمن الأشرف برسباى .

(٥) فى ه « الثانى » وكذلك فى الضوء اللامع ٦/٧٩٧ .

٣٣ ـ محمد بن عبد الواحد بن أبي بكر بن إبراهيم بن محمد السِّنْقَارى[١]، شرف الدين نزيل هُو ، وُلِد فى المحرم سنة ثلاثٍ وسبعين ، تفقَّه قليلاً وأخذ عن المشايخ ، وكان أبوه موسراً فمات بعد الثمانين ونشأ هو يتعانى التجارة والزراعة ويتردّد إلى القاهرة وتقلَّبت به الأُمور ؛ وكان فاضلاً مشاركاً متديّنا ، وكان يقول : « ما عشقتُ قط ولا طرِبْتُ قط » .

مات بالطاعون فى جمادى الآخرة : وكان يحكى عن ناصر الدين محمد بن محمد ابن عطاء الله ـ قاضى هو ـ أنّه كان بجانب داره نخلةٌ جرّبها بضعاً وثلاثين سنة فإنْ قلَّ حملها توقَّف النيل وإن كثر زاد ، وأنها سقطت فى سنة ست وثمانمائة فقصر[٢] النيل فى تلك السنة ووقع الغلاء المفرط .

٣٤ ـ محمد[٣] تاج الدين بن العماد إسماعيل البَطَرْنى المغربى الأَصل نزيل دمشق ، كان فى خدْمَةِ القاضى علم الدين القَفْصِى وعمل نقيبه ثم بعد موته ولى قضاء طرابلس ثم رجع وناب عن القاضى المالكى ، وكان عفيفاً فى مباشرته ويستحضر طرفاً من الفقه . مات بالطاعون فى صفر .

٣٥ ـ محمد بن فرج بن برقوق بن أنس الناصرى بن الظاهر بن الأَمير ، مات بسجن الإسكندرية فى يوم الاثنين أحد وعشرين جمادى الآخرة مطعوناً عن إحدى وعشرين سنة ، ودُفِنَ بها ثم نُقل إلى مصر[٤] .

٣٦ ـ محمد بن الملك الأَشرف برسباى وكان قد عُيّن للسلطنة بعد أبيه ، مات فى يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الآخرة مطعوناً وقد ناهز الاحتلام ، ودُفِن بمدرسة أبيه[٥] .

---

(١) فى هـ « السفارى » .

(٢) المعروف أنه فى هذه السنة (٨٠٦ هـ) وقف النيل عن الزيادة إلى ثالث أيام النسيء ثم نقص ولم يف ، وشرقت مصر بسبب قصور النيل ، انظر التوفيقات الإلهامية ص ٤٠٣ .

(٣) سقطت هذه الترجمة من ز .

(٤) كرر ابن حجر بعد هذا ترجمة أبي بكر بن على بن عدنان الواردة من قبل ، ص ٤٤٣ ، تحت رقم ١٢ .

(٥) فى هـ « بالمدرسة الأشرفية » .

٣٧ ــ محمد بن ططر ، السلطان الصالح بن الظاهر ، خُلع فى خامس عشر ربيع الأَول سنة خمسٍ وعشرين وأَقام عند السلطان الملك الأَشرف مكرّماً إلى أن طُعِن ومات فى سابع[1] عشرى جمادى الآخرة هذه السنة .

٣٨ ــ محمد[2] بن عبد الحق بن إسماعيل بن أَحمد الأَنصارى السَّبْتى صاحبنا ، كَتَب إلىّ وشرَح « البردة » ، وله يد فى النظم والنثر والتصّوف ، وكان حسن الطريقة .

٣٩ ــ محمد بن عبد الوهاب بن نصر الله ، شرف الدين أَبو الطيب بن تاج الدين الفوّى ،[3] وُلد فى ذى القعدة سنة سبعٍ وتسعين ، ونشأَ فى حجر السعادة وتعلّم الكتابة واشتغل بالعلم وكتب فى الإنشاء ، وعظُم فى دولة الظاهر ططر وولّاه نظر الكسوة ودارَ الضرب ونظر الأَشراف وغير ذلك ، ومات فى سابع عشرى ربيع الآخر بمرض السّل .

٤٠ ــ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أَمين الدولة ، قاضى الحنفية بحلب ، شمس الدين . مات يوم الخميس ثانى عشر شعبان .

٤١ ــ محمد جلال الدين بن بدر الدين محمد بن بدر الدين محمد بن مزهر ، وُلد سنة أَربع عشرة وحفظ القرآن واشتغل قليلاً ، فلمّا مات أَبوه فى سنة اثنتين وثلاثين قُرِّر مكانه فى كتابة السّر فباشرها ، والاعتماد فى ذلك على شرف الدين الموقّع ، وكان قد تقرّر فى نيابة كتابة السرّ فاستمرّ[4] من يومئذٍ إلى أن قدم السيد الشريف شهاب الدين فولى كتابة السرّ ، واستقرّ أَخوه الشريف أَبو بكر فى نيابة كتابة السر وانفصل بدر الدين المذكور ؛

---

(١) أشار الضوء اللامع ٧/٧٠٢ إلى ٢٧ جمادى الآخرة وأنه التاريخ المتفق عليه فى كل من ابن حجر والعينى ، و لكنه جعل وفاته يوم ٢٢ من الشهر ذاته .

(٢) عاد ابن حجر سنة ٨٣٦ ص ترجمة رقم ١٨ فترجم لمحمد بن عبد الحق هذا ، والواقع أن مكانها الصحيح هو سنة ٨٣٦ وليس هنا ، وقد أشار الضوء اللامع ٧/٧٢٠ إلى أن ابن حجر ترجم له مرتين فى سنتى ٣٣ ، ٣٦ ؛ وذكر السخاوى أن إدراجه فى السنة الثالثة خطأ ولذلك اكتفت الشذرات ٧/٢١٧ بإدراجه فى وفيات سنة ٨٣٦ .

(٣) نسبة إلى فوة وهى من البلاد المصرية القديمة ، وهى قاعدة المركز المسمى باسمها ، وكانت تسمى قديما باسم « بوى Poel » وتفضيل ذلك فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١١٣ — ١١٥ .

(٤) عبارة « واستمر من يومئذ » حتى « أبو بكر فى نيابة كتابة السر » س ١٦ غير واردة فى هـ .

وكان لُقِّب فى أيام مباشرته كتابة السِّر بلقب أبيه « بدر الدين » ومات فى الطاعون فى[1] يوم الاثنين سادس عشرى رجب .

٤٢ ــ محمد زين الدين بن القاضى شمس الدين الدَّميرى المالكى ، كان حسنَ الصورة وله قبولٌ تام عند الناس لكثرة حشمته ، وقد تولى الحسبة مراراً وبيده التحدّث على المرستان نيابةً عن الأمير الكبير على قاعدة أبيه ولا أظنه جاوز الخمسين . ومات فى ثالث شعبان .

٤٣ ــ محمد الاسكندرانى المالكى ، شمس الدين المعروف بابن المعلّمة ، ولى حسبة القاهرة مدّةً وكان مالكيا فاضلاً مشاركا فى العربية وغيرها . مات فى شعبان .

٤٤ ــ مدلج بن على بن نُعَيْر ، واسمه محمد بن حيار أمير آل فضل ، وكان وَلِى إمرة العرب بعد أخيه عذرا[2] ودخل فى الطاعة ، ثم وقع بينه وبين ابن عمه قرقماس قاتل أخيه عذرا الوقعة المقدم ذكرها فى الحوادث ، وقتل مدلج فى ثانى ذى القعدة منها .

٤٥ ــ مرجان الهندى ، مملوك شهاب الدين بن مسلَّم ، أخذه المؤيّد قبل أن يلى السلطنة قهراً من أستاذه فنجب عنده وترقَّتْ منزلته جدًّا إلى أن اتضعت فى أيام ططر فمَنْ بعده وصُودر إلى أن مات فى سادس عشرى جمادى الآخرة .

٤٦ ــ ناصر محمد البِسْطامى ، الشيخ ناصر ، من تلامذة الشيخ عبد الله البسطامى ، قدم القاهرة وقطَنَها ومات بها فى الطاعون .

٤٧ ــ نصر الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل الأنصارى الشيخ جلال الدين الرّويانى[3] العجمى الشافعى ،وُلد سنة ستٍ وستين وتجرّد وبرع فى علم الحكمة والتصوّف ،

---

(١) العبارة من هنا لآخر الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) هو عذرا بن على بن نعير .

(٣) نسبة إلى رويان وهى مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة وهى أكبر مدينة فى الجبال ، كما جاء فى مراصد الاطلاع ٦٤٢/٢ ، ويظن أنها من البلاد التى خربها تيمورلنك ، وهى عند لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٤ رستاق كبير من رساتيق البلاد الجبلية عند الحد الغربى لطبرستان ، انظر أيضا ياقوت : معجم البلدان .

وشارك فى الفنون وكتبَ الخطَّ الفائقَ ، وقدم القاهرة مجرّدًا واتصل بأُمراء الدولة ، وراج عليهم لما يُنْسب إليه من معرفة علم الحرف وعَمِل الأَوفاق ، وسكَنَ المدرسة المنصورية[١].

وكان مفضالاً مطعاماً محبًّا للغرباء فهرعوا إليه ولازموه وقام بأَمرهم فصيَّرهم سُوقَةً التى ينفق منها ، وينفق بها ، واستخلص بسبب ذلك من أَموال الأُمراء وغيرهم ما أَراد حتى كان كثير من الأُمراء يُفْرِدُ له من إقطاعه أَرضاً يصيِّرها رزْقه ثم يسعى هو حتى يشتريها ويحبسها .

وكان فصيحاً مفوّهاً حسن التأَنِّى ، عارفاً بالأُمور الدّنيوية عريًّا عن معرفة الفقه ، له اقتدارٌ على التوصّل لما يطلب ، كثير العصبيّة والمروءة ، حسن السياسة والمداراة ، عظيمَ الأَدب جميل العشرة . وله عدّة تصانيف فى علوم الحرف والتصوف ، منها : « غنية الطالب فيما اشتمل عليه الوهم من المطالب » و« إعلام الشهود بحقائق الوجود » .

مات فى ليلة[٢] الجمعة سادس شهر رجب بالطاعون .

٤٨ – هابيل بن قرايلك ، مات مسجوناً مطعوناً بالقلعة فى[٣] ثالث عشر رجب .

٤٩ – هاجر خوند بنت منكلى بغا زوج برقوق ، ماتت[٤] فى ثالث رجب ، وأُمها خوند فاطمة بنت الأَشرف شعبان بن حسين بن قلاون .

٥٠ – ياقوت[٥] الأُرْغُنْشَاوى الحبشى مقدم المماليك السلطانية ، مات مطعوناً فى يوم الاثنين ثانى رجب ودُفِن بتربته التى أَنشأَها بالصحراء واستقر بعده خشقدم .

٥١ – يحيى[٦] نظام الدين بن الشيخ سيف الدين سيف بن محمد بن عيسى السيرامى

(١) يقصد بذلك جامع السلطان قلاوون .

(٢) عبارة « ليلة الجمعة » غير واردة فى هـ ، ولكن هذا التاريخ وارد فى النجوم الزاهرة ٨١٥/٦ والضوء اللامع ٨٥٠/١٠ .

(٣) لم يرد فى هـ تاريخ موته .

(٤) من هنا حتى آخر الترجمة وارد فى ز فقط .

(٥) لم ترد هذه الترجمة فى هـ .

(٦) فى النجوم الزاهرة ٨١٢/٦ والضوء اللامع ١٠٥٦/١٠ « يوسف » وإن قال . « وربما قيل يحيى ابن سيف » .

الحنفى ، وُلد قبل الثمانين ، وكان حسن التدريس والتقرير ، جيّد الفهم قويّه ، قليل التكلُّف ، متواضعاً مع صيانة ، قليلَ الشرّ كثير الإنصاف ، ولم يكن فى أبناء جنسه مثله .

وكان قد اختُصّ بالمؤيّد وسامره وكان يبيت عنده كثيراً من الليالى ويثق به وبعقله ، ولما وقع الطاعون استكان وخضع وخشع ولازم الصلاة على الأموات بالمصلىّ إلى أن قَدَّر الله أنّه مات بالطاعون فى أواخر[1] جمادى الآخرة . أرّخ[2] المقريزى وفاته يوم الثلاثاء[3] تاسع عشرة جمادى الآخرة . واستقر فى المشيخة بعده عضد الدين عبد الرحمن[4] .

٥٢ ـ يحيى[5] بن الإمام شمس الدين محمد بن على بن يوسف بن على ، الشيخ تقىّ الدين الكرمانى الشافعى ، ولِى نظر المرستان ، وكان ثقيل السمع ، وكان قد ضعف وطال ،[6] وأصابه رمدٌ إلى أنْ كفَّ ثم مات مطعوناً فى يوم الخميس ثانى عشرى جمادى الآخرة .

٥٣ ـ يَشْبك ، أخو السلطان ، وكان أسَنّ منه لكن السلطان أسرع إليه الشيب دونه ، طُعِنَ فأقام أياماً يسيرة ويقال إنه مات ساجداً ، وكان شديد العجمة وتعلَّم اللسان التركىّ ولم يفقه بالعربى إلاّ اليسير ، وكانت فيه عصبيةٌ لمن يلتجئ إليه ومكارمُ أخلاق . مات[7] فى رابع رجب .

٥٤ ـ يعقوب بن إدريس بن عبد الله بن يعقوب الشهير بقرا يعقوب الرومى النِّكْدِى الحنفى ـ نسبة إلى نَكْدة ـ من بلاد ابن قرمان . وُلد سنة تسع وثمانين ، واشتغل فى بلاده

(١) فى هـ « أواخره » ولعله يقصد آخر أيام الطاعون .

(٢) من هنا حتى آخر الترجمة غير واردة فى هـ .

(٣) أشار الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٦٧ ، س ٨ ـ ٩ إلى أن البعض جعل وفاته يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى والبعض الآخر جعلها يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة ، والأصح هو جمادى الآخرة بدليل ما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٧ من أن أوله هو يوم السبت على حين أن أول جمادى الأولى هو الخميس ، واكتفت النجوم الزاهرة ٦/٨١٢ وشذرات الذهب ٧/٢٠٧ بالنص على شهر جمادى الآخرة فقط دون تحديد اليوم .

(٤) وهو ولده ، راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٤/٤١٣ ، وكان مولده سنة ٨١٣ .

(٥) راجع ترجمته بتطويل فى الضوء ١٠/١٠٤٠ .

(٦) فى هـ « وطال رمده ثم مات مطعونا فى يوم الخميس .... الخ » .

(٧) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

ومهر فى الأُصول والعربية والمعانى ، وكتب على « المصابيح » شرحاً ، وعلى « الهداية » حواشى ، ودخل البلاد الشامية ، وحج سنة تسع عشرة ثم رجع وأقام ملازماً مدةً يدرس ويُفتى ، ثم قدم القاهرة بعد موت المؤيّد فاجتمع بمدبّر المملكة ططر فأكرمه إكراماً زائداً ووصله بمال جزيل ، فاقتنى كتبا كثيرة ورجع إلى بلاده فأقام بلارَنْدة إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل .

٥٥ ــ يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن داود بن أبى الفضل بن أبى المنجب ابن أبى الفتيان الداودى الطبيب ، جمال الدين ، مات فى أول شهر رجب ، وله زيادة على التسعين .

* * *

سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

استهلّت هذه السّنة وقد غَلا سعر الذهب إلى أن بلغ مائتين وخمسةً وسبعين ، وانتهت فيه زيادةُ النيل إلى تسعة عشر ذراعاً وعشرين إصبعا ، وخرج الأُمراء المجرّدون فى أواخره ثم أُمر بعودهم فعادوا من خانقاه بسرياقوس .

وفيه رخص الفول جدا حتّى صار بدرهمين ونصف فضةٍ وزناً : كلٌّ إردب ، والشعير: كل إردبٍ بثلاثة ، والقمحُ :بستةٍ ونصف ، وهذا غايةُ الرُّخص إلاَّ ما تقدم فى دولة المؤيد فإنَّ القمح نزل فيه إلى ستة دراهم بندقية .

وخرج السلطان إلى الصّيد فى الهيئة الكاملة فشَقَّ المدينة وخرج من باب الشَّعْريَّة ثم عاد من يومه .

وفيها حصل للحاجّ عطشٌ عند رجوعهم بمنزلة الوجه فمات منهم ناسٌ كثيرٌ قيل قدر ثلاثة آلاف ، كلُّهم من الرّكب الأَول ، ومات من الجمال والدواب شيءٌ كثيرٌ جدا ونُهِب لمَن مات من الأَموال ما لا يُحْصَى .

* * *

وفيها[1] حجرّ السلطان على الباعة أن لا يتبايعوا إلا بالدراهم الأَشرفية التى جعل كل درهم فيها بعشرين من الفلوس ، وانتفع الناس بها بالميزان يومئذ ، وشدّد فى الذهب أن لا يزداد سعره فإذا غفل ازداد ، ولم يزل الأمر يتمادى على ذلك إلى أن بلغ كل دينار أشرفى مائتين وخمسةً وثمانين درهما من الفلوس ، واستقر الأَمر على ذلك إلى آخر الدولة الأَشرفية .

وفيه استبدّ ابن الرّكاعنة صاحب فاس وتلمسان بالمملكة فسار إليه أبو فارس صاحب تونس بنفسه فظفر به وقرر فى المملكة أحمد بن حمو وذلك فى رجب سنة أربع وثلاثين.

* * *

وفى ربيع الآخر جهز السلطان الفَعلة وأهل المعرفة بالبناء لإصلاح الآبار وأماكن المياه التى فى طريق الحجاز .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « وفى سنة أربع وثلاثين هذه ورد كاتبه إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعى فى صفر منها إلى القاهرة من القدس يطلب علم الحديث من شيخنا مصنف هذا الكتاب » يعنى بذلك ابن حجر .

وفيها[١] حُفرت بعيون القصب بئر عظيمة فعظم النفع بها ، وكانت عيون القصب تجرى من وادٍ عظيم ينبت فيه القصبُ الفارسى ويجرى الماء بين تلك الغابات ، وكان للحاج به رفق بحيث يبيتون فيه ليلةً ، ثم عمرت تلك العيون وصاروا ينتفعون بالحفائر وكان الماء الذى يخرج منها يفسد فى ليلته ؛ فأشار ناظر الجيش - لما حجّ - بحفر بئرٍ هناك فخرج ماؤها عذباً ، وحفروا قبل ذلك بئرين بزعيم وقبقاب فاستغنى الناس بهما عن ورود الوجه ، والوجه مكانٌ فيه بئران لا يحصل الماء فيهما إلاّ بالمطر ، فإذا لم يقع المطر لم يجد الحاج فيهما إلا النزر اليسير ففى الغالب يقع لهم العطش والهلاك ، فاستغنوا بالبئرين عن الوجه .

وفيها استقر تاج الدين عبد الوهاب بن الخَطِير فى نظر الديوان المفرد بعد موت تاج الدين بن الهَيصَم وهو من بيت كبير فى القبط ،وكان اسمه جرجس ولقبه الشيخ التاج ، فأسلم على يد السلطان الأشرف قبل أن يتسلطن وذلك فى الأيام المؤيدية وخدم فى ديوان الخاص ، ثم ولاّه الأشرف نظر الإصطبل بحكم شغوره عن بدر الدين بن مزهر لما ولى كتابة السر وأُستادارية ولدِ السلطان ، فشُكرت سيرته وأمانته وحسنُ سياسته وكثرةُ بره .

وفى ثالث عشر جمادى الأُولى سار سعد الدين [إبراهيم] القبطى المعروف بابن المرأة إلى مكة بسبب المكس المتعلّق بالتُّجار الواصلين إلى جدة ، وخرج معه نحو ألف نفس للمجاورة ، فلما كانوا فيها بين الوجه وأَكْبِرَة[٢] وجدوا عدة موتى ممّن مات بالعطش فى العام الماضى ، فلما نزلوا رابغ[٣] خرج عليهم الشَّريف زهير بن سليمان بن زيّان بن منصور ابن جماز بن شيحة الحسينى ومن معه وكانوا نحو مائة فارس وأرادوا نهْبه فصالحوهم على مالٍ بعد أن وقعت بيْنهم مهاوشة ، وقتل ناسٌ قلائل من الطائفتين ودخلوا مكّة فى ثامن عشرى جمادى الآخرة فكانت مدة سفرهم ستة وأربعين يوماً ، وعارضهم فى تاسع عشرى جمادى الآخرة عربُ زَبيد وقيل بل صالحوهم على ألف[٤] دينار بذلها ابن المرأة من ماله .

---

(١) كان ذلك فى ذى القعدة ، أنظر فى ذلك النجوم الزاهرة ٦/٦٧٠ - ٦٧١ .

(٢) عرفها مراصد الاطلاع ١٠٧/١ بأنها من أودية سلمى الجبل المعروف بطيء وبه نخل وآبار .

(٣) هو واد بين البزواء والجحفة ويمر به الحاج ، أنظر مراصد الاطلاع ٥٩٢/٢ .

(٤) فى ه « مائة دينار » وهو خطأ .

وفى ثانى عشر رمضان نودى بمنع المعاملة بالفضة اللنكية وبأنّ الذهب الأشرفى بمائتين وخمسين .

وفى سادس عشرى جمادى الأولى أُعيد كاتبه إلى وظيفة القضاء الشافعية للمرة الثالثة[١] .

وفيها مات شهاب الدين الدّويدار نائب الإسكندرية ، فاستقر جانى[٢] بك الناصرى رأْس نوبة إبراهيم بن المؤيد نائبها ، وكان من مماليك يَلْبُغا الناصرى .

* * *

وفى ذى القعدة جرى بين شخص فى خدمة كاتب السر ابن السفاح — يقال له ابن الناظر الصّفَدى — وبين مملوك لابن السفاح مشاجرة فاغتاله فقتله بسكين ، فاطّلع عليه بعض الخدم فنمّ عليه ، فانزعج كاتب السّر لذلك وحرص على أنه يعرف السبب ، فقيل إنه بسبب صبىٍّ تغايرا عليه ، وقيل إن ابن الناظر ذكر لقاتله أنه يعرف السحر وأنه قَتل شخصا بسحره ، وأن العلماء أفتوه بقتل مَن يَقتل بسحره فما أفادَتْه هذه الفتوى ، وبلغ السلطانَ الخبرُ فاستدعاه فلما اعترف أمر بقتله ، فحَرِص كاتب السر أن يؤَخر قتله إلى أن يحضر أولياءُ المقتول ، فامتنع السلطان وأمر بتوسيطه ، وحصل لكاتب السر من ذلك مشقةٌ شديدةٌ لقصّةِ مملوكه وكان يميل إليه ولقوم صديقه ، وكان يأْتمنه على كثيرٍ من أحواله ، فلله الأَمْر .

وفى ذى الحجة استقر التاج الوالى الشَّوْبَكِى فى نظر الأَوقاف الحُكْميَّة وقُرِّرَ له من مال الأَوقاف فى الشهر ثلاثةُ آلاف [درهم ؟] ، ولم يباشر شيئا بل قنع بالمعلوم المذكور .

وفى يوم الاثنين [الثانى عشر[٣]] من ذى القعدة الموافق لثامن عشرى أبيب أوفى النيل وكُسر الخليج وزاد بعد ذلك فكان فى أول يوم من مسرى سبعةَ عشر ذراعاً وأصابع من الثامن عشرة ، ولا يُحفظ ذلك فيما مضى قط .

وأعجب منه أنه زاد ثانى يوم الوفاء نصفَ ذراعٍ ولم يُحفظ فيما مضى مثل ذلك إلاَّ فى سنة ست عشرة ، فإن الملك المؤيد صاحب حماة ذكر فى تاريخه بنظير ذلك فى هذا العصر أن النيل أوفى تاسع عشرى أبيب وقال : إنه غريب .

* * *

وفى شعبان كانت الزلزلة فى غرناطة وخسفت عدة أماكن ومواضع ، وانهدم بعضُ

---

(١) فى ه « الثانية » .

(٢) جاء فى هامش ه « كان يقال له جنبك الثور » .

(٣) لم يرد ما بين الحاصرتين فى الأصل ، ولكنه أضيف بعد مراجعة جدول سنة ٨٣٤ فى التوفيقات الإلهامية .

القلعة ودامت الأرض تهتز أياما ، وسقط من جدار الجامع الأعظم وخاف أهل البلد كُلهم فخرجوا إلى الصحراء .

وفيها غزاهم الفرنج وكادوا يقبضون عليهم قَبْض اليد فأدركهم الله بالفرج ، فخرج الشيخ يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق شيخ الغزاة فى ألفين من الجند وسار نصف الليل حتى بُعد عن عسكر الفرنج وقرر مع أهل البلد أن يخرجوا إلى الفرنج فإذا حملوا عليهم انهزموا أمامهم ، وطمع الفرنج فى أخذ البلد فدهمهم الشيخ يحيى من خلفهم فأطلق النيران فى معسكرهم ، فجاءهم الصريخ فرجعوا فركب المسلمون أقفيتهم أسرا وقتلاً ، فقيل بلغ عدةُ القتلى زيادةً على ثلاثين ألفا والأسرى إثنى عشر ألفا .

* * *

وفى الرابع والعشرين من المحرم عقد مجلس بين أمير آخور جقمق العلائى الذى ولى السّلطنة بعد ذلك وبين القاضى زين الدين التَّفَهْنى — وكان يومئذ مدرس الحنفية بمدرسة قانباى — فقُرِئَ محضرٌ يتضمن أنَّ قَانِبَاى فوض النظر للتَّفَهْنى والزّمام ، ثم عزلهما ، وأحضر جقمق جماعةً يشهدون بذلك ، فأسرَّ السلطان لناظر الجيش كلاماً فغاب والشهود معه ، ثم عاد فقال : « اتَّفَقَتْ شهادتهم » ، ثم أمر السلطان بعقْد مجلسٍ بالصالحية وادّعى وكيل جقمق على وكيل التَّفَهْنى أن التَّفَهْنى تكلَّم فى المدرسة المذكورة بغير طريق شرعى ، فأجاب وكيلُ التَّفَهْنى بأَن جقمق ليس ناظراً إلى أن يثبت ذلك ، فوصل كتابُ الوقف بالشّافعى فوجد فيه أن النظر بعده لمن يكون أمير آخور يوم ذلك ، فقال الوكيل : « هذا يقتضى التقييد بذلك الوقت وليس فيه تعميم » فقال الشاهدان على الواقف :« نحن نشهد على الواقف أنه جعل النظر بعده لمن يكون أمير آخور » فوقع البحث فى ذلك فادّعى وكيل الحنفى أن له دافعاً ، فأُمهل ثلاثة أيام فحكم الحنبلى فى غضون ذلك بمقتضى ما شهد به الشاهدان ، وأن ذلك مقبول ولا يقدح فى شهادتهما وإنما هو تفسير لما أُبْهِمَ ، وانفصل الأمر على ذلك .

وفى سابع عشر المحرم وصل الأُمراء الذين كانوا مجردين بحلب ، وأمر السلطان بإخراج بعض العسكر إلى البلاد الحلبية لدفع قَرايُلُك عن مَلَطْية ، وكان نائبها قَانِبَاى البهلوان أرسل يطلب المدد .

فلما تجهّز الأُمراء وصل الخبر بالاستغناء عن ذلك فأَمر برجوعهم فرجعوا بعد أن رحلوا مرحلةً واحدة ، وقيل كان السبب أنّ نائب الشام أرسل يذكر للسلطان أنّه لا حاجة إلى إرسال أحدٍ من مماليك السلطان ، فتخيلَ منه وأراد اختبار حاله ، فأَرسل له كتاباً صحبة ساع يستدعى حضوره إلى القاهرة ، فوصله الكتاب وهو راكبٌ ، فخرج فى الحال إلى ظاهر دمشق ، واستدعى آلَةَ السفر وتجهّز فوصل فى سادس جمادى الآخرة فأَكرمه السلطان وخلع عليه بالاستمرار ، وعمل له السلطان ضيافةً بخليج الزّعفرانى ، وسافر فى ثالث عشر الشهر الذى جاء فيه .

***

وفى هذه السنة قرئ البخارى على العادة فكثر من يحضر من آحاد الطلبة الذين يقصدون الظهور ومُنِعوا ، فتَشَفَّعوا وصار لَغَطُهم يزيد وسوء أدبهم يفحش فهُدِّدوا فلم يرتدعوا ، فأَمر السلطان فى المجلس الثانى أن تكون القراءة فى القصر التحتانى ، وصار إذا جاء يجلس فى الشباك الذى يطلّ من القصر الفوقانى على القصر التحتانى ، وحصل بذلك للقضاة وأَعيان المشايخ اتضاعُ منزلة ، وعظم اللغط بالنسبة لما كان بحضرة السلطان ، وصار السلطان بعد ذلك يتشاغل بكتابة العلامة فيجتمع عنده من يتعلق بها وتصير بالتبعية له فى أعلى منزلة بالنسبة لمن هو فى الحقيقة فوقهم . ولما رأى البُلقينى أنه ما بقى يظهر له مقصود انقطع عن الحضور واستمر إلى سنة أربعين ، فسعى فى العود كما سيأْتى إن شاء الله تعالى .

***

وفيها توجه قرْقُماس الشعبانى — وهو يومئذ الحاجب الكبير — إلى الصّعيد ، فلاقاه موسى بن عُمَير شيخ عرب هوّارة وقدم له تقدمة ، فلما رجع بلغ موسى ان ابن عمه عمران استقرّ مكانه وعُزل هو ، فخاف موسى ودخل البرّية بمن أطاعه ، وتوجه الوزير إلى قرْقُماس ليتعاونا على رجوع موسى فعجزا عنه ، ثم لم يزل الوزير يراسل موسى ويتلَطَّف به حتى عاد وأَحضره إلى السلطان فخلع السلطان عليه ثم أمسكه بعد أيام ثم حبسه ، فبلغ ذلك عربَهُ فأَفسدوا فى البلاد وأَحرقوا الغلال ، ووصل عبد الدايم شيخ القرافة[1] ومعه طائفةٌ من الفقراء فى شوال فهرع إليه الناس للسلام عليه والتبرك به ، وكان قد أذن لموسى بن عمر فى التوجه

(١) فى ه « الفقراء » .

إلى السلطان وضمن له السلامة ، فلما سمع بحبسه جاء للشفاعة فيه ، فأرسل لهم السلطان القاضى بدر الدين العينى فأحضرهم عنده وتأدب معهم ، وكانوا ثلاثة : عبد الدايم وشجاع والعربان وأتباعهم ، وقبل السلطان شفاعتهم وأذن لهم فى تسليم ابن عمر بعد أن يحلفه كاتب السر عند العينى ، ففعل ذلك ورجعوا .

* * *

وفى جمادى الأولى شاع عن أهل التقويم أنهم اتفقوا أن الشمس تكسف ثامن عشر هذا الشهر بعد الزوال فتأهب السلطان وغيره لذلك وترقبها إلى أن غربت ولم يتغير منها شئ ألبتة .

وفى يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب تزوج سيدى محمد — ولد الأمير جقمق — بنت أحمد ابن أَرْغُون شاه ، وعَمل له أبوه وليمةً عظيمة ، وقدَّم له السلطان ومَن دونه تقادم سنية .

* * *

وفى شوال أرسل السلطان ثلاثمائة مملوك إلى جزيرة قبرص بمطالبة صاحبها بما استقر عليه من المال فى كل سنة ، وأوصاهم أن يرسوا على بعض الجزائر ويراسلوه ، فإن أجاب بالامتثال رجعوا وصحبتهم مايوصله لهم ، وإن امتنع اعتصموا ببعض الجزائر وراسلوا السلطان ، فعادوا بعد بضعةٍ وعشرين يوما وصُحْبتُهم أثوابُ صوف بقيمة ثلاثة آلاف دينار .

* * *

وفيها حجت خَوَنْد جُلْبَان زوج السلطان ، وكانت أمَتَه فأعتقها وتزوجها وصيّرها أكبر الخوندات ، وجهزها فى هذه السنة تجهيزا عظيما ، وأرسل صحبتها جوهر اللالا وناظر الجيش ، ونَصب الروك المتعلق بها على شاطىء النيل ، فكان أمراً مهولاً وسافروا بالمحمل من أجلها فى سابع عشر شوال ورحلوا به من البركة يوم الحادى والعشرين منه قبل العادة بثلاثة أيام .

* * *

وفى ١٢ ذى القعدة أوفى النيل ستة عشر ذراعا ونودى عليه بزيادة نصف ذراع بعد الستة عشر ، وذلك فى تاسع عشر أبيب ، وقد تقدم فى سنة خمس وعشرين أنه أوفى فى تاسع عشرى أبيب أيضا ولكن بزيادة إصبعين على الستة عشر فقط ، وأوفى قبل ذلك فى سنة ست عشر آخر يوم من أبيب وهى من النوادر ، وأفسد تعجيل الزيادة من الزروع التى بالجزائر شيئا كثيرا كالبطيخ والسمسم .

وفيها قدم الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك فى ذى القعدة فأخبر أن نائب الشام أقام أياما محتجبا ، فأنكر عليه برسباى الحاجب الكبير ، فأجابه بالشتم والضرب والإهانة ، وخرج النائب إلى ظاهر البلد وأقام هناك ، فوقع الرأى على رجوع ابن منجك بخلعةِ استمرار للنائب وأخرى للحاجب وأن يصلح بينهما ، فبادر ، وصحبته سودون ميق — وهو أمير آخور ثانى — فأصلحا بينهما ، واستمر الحال .

واشتهر فيها وقوع زلزلة بالأندلس هُدم فيها من الأمكنة شئٌ كثير .

وفيها نودى على الذهب بأنّ كلّ أشرفى بمائتين وخمسة وثلاثين ومن خالف ذلك سُبِك[1] فى يده ، فاستمرّ على ذلك .

وفيها قدم عاذر بن نُعَير على السلطان مفارقًا لأخيه قَرْقُمَاس فأكرمه وأمّره عوضا عن أخيه ، فلما رجع عصى وأذى بعض الناس ، فأرسل السلطان إلى نائب حلب ونائب حماه أن يركبوا عليه ، فبلغه ذلك فهرب وأحاطوا بما وجدوه من ماله .

وفيها أرسل شاه رخ قرايلك فى طلب إسكندر بن قرا يوسف فواقعه ، فانهزم اسكندر وفرّ إلى بلاد الكرج ، فنزل بقلعة شَلْمَاس وبعث إليه شاه رخ عسكراً فقاتلوه إلى أن انهزم ونجا بنفسه جريحا ، فاتفق أنه وقع الوباء ثم الغلاء فى عسكر شاه رخ فكرّ راجعا إلى بلاده .

وفى العشرين من ذى الحجة مات فارس الذى كان رأس المماليك المقيمين بمكة لكف أذى المفسدين[2] ، وكان غيره قد توجه عوضه مع الحج ورجع هو مبشرا فمات فى الطريق ، وتأخر قدوم المبشرين بسبب ذلك يومين عن العادة فقدموا فى ثامن عشرى ذى الحجة وأخبروا بالرخاء ، لكن كان الماء قليلا .

***

ذكر من مات فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ — إبراهيم بن على بن إسماعيل بن إبراهيم ، برهان الدين ، البلبيسى الأصل المعروف بابن الظُّرَيِّف — بالظاء المعجمة وتشديد التّحتانية . ولِىَ نيابة الحكم بالحسينية فى ولاية البلقينى ، ثم أُضيفت إليه نيابة الحكم بالقاهرة ومصر ، وباشر مباشرة حسنة ، وكان حسن العشرة والمعاملة كثير الإسراف على نفسه سامحه الله . مات فى[3] يوم السبت خامس عشر شوال بعد مرضٍ طويل .

---

(١) فى ز ، ه « شنق » ولكن جاء فى هامش ه « لعله سبك » .
(٢) فراغ فى الأصول
(٣) عبارة فى يوم السبت خامس عشر » غير واردة فى ه .

٢ ــ أحمد بن الدوادار نائب الإسكندرية ، ويُعرف بالأقطع[1] ، مات فى يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة بالقاهرة .

٣ ــ إسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عبد[2] الله البِرْماوى الشافعى[3] . وُلد فى حدود الخمسين ودخل القاهرة قديماً وأخذ عن المشايخ ، وسمع ومهر فى الفقه والفنون ، وتصدى للتدريس وخطب بالجامع العمرى بمصر ، ومات فى نصف ربيع الآخر يوم[4] الأحد عن أربع وثمانين سنة .

٤ ــ إسماعيل الرومى[5] الطبيب ، الصوفى المقيم بالخانقاه البيبرسية ، كان يقرئ العربية والتصوف والحكمة ، وامتحِن بمقالة ابن العربى ونُهى مراراً عن إقرائها ، ولم يكن محمود السيرة ولا العلاج ، وكان من صوفية البيبرسية . مات فى تاسع شوال .

٥ ــ حمزة بن يعقوب الحريرى الدمشقى ، مات فى صفر .

٦ ــ شاهين الرومى المَزِّى ، عتيق تقى الدين أبى بكر [المزى] الذى كان عارفاً بالتجارة على طريقة سيّده فى محبة أهل الخير ووصّاهُ على أولاده فربّاهم ثم مات بالقولنج وهم صغار فأُحيط بموجوده ، فيسّر الله تعالى القيام فى أمرهم مع السلطان إلى أن أسعدته فصار الذى لهم فى ذمّة شاهين ، وظهر لشاهين أخ شقيق فلمّا أثبت نسبه قبض ما بقى من تركة أخيه بعد مصالحةِ ناظر الخاص ؛ وكان موته فى ثالث عشرى ذى القعدة .

٧ ــ عبد الرزّاق بن سعد الدين تاج الدين إبراهيم بن الهَيْصَم ، كتب فى الديوان المفرد ثم ولى الأُستادارية بعد جمال الدين ، ثم ولى الوزارة المؤيّدية ونكب مراراً ومات فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة .

---

(١) أشارت النجوم الزاهرة ٨١٨/٦ إلى ما يقال من أن أباه كان أقطع يتكسب بالكدية ، ويلاحظ أن هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) فى الضوء اللامع ٩١٦/٢ « عيسى » وقال «رأيته بخطه » ، وسقط من هـ «، عبد الله » ، ولكنها واردة أيضا فى النجوم الزاهرة ٨١٩/٦ .

(٣) ساقطة من هـ .

(٤) من هنا لآخر الترجمة غير وارد فى هـ .

(٥) فى ز « الروقى » ولكنه « الرومى » فى الضوء اللامع ٩٧٢/٢ ، ويعرف أيضا بالتبريزى ، وقد يقال له «كردنكس لكونه كان أعوج الرقبة » .

٨ — عبد[١] الرحمن [بن محمد بن أبي بكر] وجيه الدين بن الجمال المصرى ، وُلِد بزَبيد وتفقَّه وتزوّج بنت عمه النجم المرجانى ، وقطن مكة وأشغل الناس بها فى الفقه واشتهر بمعرفته ، ومات فى سابع عشر رجب .

٩ — عبد الله بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسى ثم الصالحى ، الشيخ شمس الدين بن الشيخ شرف الدين ، أخو القاضى تقى الدين ؛ وُلِد فى ربيع الأول سنة خمسين[٢] ، ومات أبوه وهو صغير فحفظ « المقنع » و« مختصر ابن الحاجب » وأخذ عن بعض مشايخ أخيه وسمع الحديث ، وأجاز له عز الدين بن جماعة وجمال الدين بن هشام النحوى وغيرهما ، وسمع من جده لأمه — جمال الدين المرْداوى — وشرف الدين بن قاضى الجبل وغيرهما ، وأفتى ودرّس واشتغل وناظر ، وناب فى القضاء دهراً طويلا ، وصار كثير المحفوظ جدا ، وأما استحضار فروع الفقه فكان فيه عجيباً مع استحضار كثير من العلوم ، وكان يُنسب إلى المجازفة فى النقل أحياناً وعليه مآخذ دينية ، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة فى زمانه ، وعُيِّن للقضاء غير مرة فلم يتفق ذلك ، وولى [عمر] ابن أخيه فى حياته وقدم عليه .

مات فى ليلة الجمعة ثانى ذى القعدة ، أرّخه مؤرخ الشام وأرّخه قاضى الحنابلة فى خامس عشر شوال .

١٠ — عمر بن منصور ، الشيخ سراج الدين البَهَادُرى الحنفى . وُلد سنة بضع وستِّين ، واشتغل بالفقه والعربيّة والطبّ والمعانى وغير ذلك حتى مهر واشتهر ، ودرّس وناب فى الحكم وصار يُشَار إليه فى فضلاء الحنفية وفى الأطباء ، إلاَّ أنه لم يكن محمود[٣] العلاج أيضا . مات[٤] فى يوم السبت ثانى عشر شوال .

---

(١) نقلت الشذرات ٢٠٨/٧ هذه الترجمة عن إنباء الغمر وأغفلت هى والضوء اللامع ٣٣٤/٤ سنة مولده ، وقد كناه الأخير « وجيه الدين » ولكنه فى الأصل والشذرات « وحيد الدين » .

(٢) فى الضوء اللامع ٢٣٩/٥ « سنة سبع وخمسين » .

(٣) تختلف رواية النجوم الزاهرة ٨٢٠/٦ عما هنا فى معناها حيث يقول « لم يخلف مثله فى التقدم فى علم الطب ومتونه » .

(٤) وردت هذه العبارة فى هـ على النحو التالى . « مات فى العشر الثانى من شوال » .

١١ — محمد ، ناصر الدين بن أرغون الماردانى القُبَيْبَاتى ، وُلد سنة خمسين وسبعمائة ، ونشأً فى خدمة الأُمراء من عهد آقتمر عبد الغنى النائب وهلمّ جرا ، وولى الجيزة والحجوبية والأُستادارية عند غير واحد ، وكان عارفاً بالأُمور ، وصحب الناس وعرف أخلاقَ الدولة وعاشرهم ومازجهم[١] ، ثم أقبل على الاشتغال فى الفقه حتى صار يستحضر كثيراً من المسائل الفقهيّة ويقرأ عنده فى « الروضة » وغيرهما ، ويكثر من مساءلة مَن يلقاه من العلماء ؛ وسمعْتُ منه فوائد ولطائف ، وكان[٢] ينتمى إلى أصهارنا بقرابةٍ من النساء . مات فى رمضان[٣] .

١٢ — محمد بن الحسن بن محمد ، الشيخ شمس الدين الحسنى[٤] ابن أخى الشيخ تقى الدين الحِصْنى ، اشتغل على عمّه ولازم طريقته فى العبادة والتجرد ودرّس بالشامية ، وقام فى عمارة البادرائية[٥] ومات فى شهر ربيع الأَول ، وكان شديد التعصّب على الحنابلة .

١٣ — محمد بن حمزة بن محمد بن محمد الرومى ، العلاّمة شمس الدين الحنفى المعروف بابن الفَنَرِى[٦]— بفتح الفاء والنون مخففا — وُلد سنة ثمانٍ وخمسين فى صفر ، وأخذ ببلاده عن العلاّمة علاء الدين المعروف بالأَسود شارح « المغنى » ، وعن الكمال محمد بن محمد المعرى ، والجمال محمد بن محمد بن محمد الأَقصرائى وعن غيرهم ، ولازم الاشتغال ورحل

---

(١) فى الضوء اللامع ٣١٣/٧ « مازجهم » ولكنها فى المتن بمعنى داخلهم وامتزج بهم .

(٢) فى ه « وكان من جملة من ينتمى إلى أحرارنا بقرابة إلى النساء . مات فى رمضان » .

(٣) جاءبعدهذا« محمدبن الأشرف برسباى » وقد سبق أن ترجم له المؤلف ، راجع ماسبق ص ٤٤٩ ، ترجمة رقم ٣٦ .

(٤) « الحسينى » فى الدارس فى تاريخ المدارس ٢١٣/١ ، ولكنه « الحسنى » فى شذرات الذهب ٢٠٩/٧ ؛ هذا ويلاحظ أنه لم يرد فى ترجمته فى الدارس ٢١٣ - ٢١٤ ما يشير إلى أنه درس بإحدى الشاميتين .

(٥) كانت البدرائية من مدارس الشافعية بدمشق وهى من إنشاء نجم الدين أبىمحمدبنعبد اللهبن أبى الوفاء محمد بن الحسن ابن عبد الله الباذرائى البغدادى وكان من أجلة العلماء فى الفقه وتولى القضاء ببغداد ومات فى ذى القعدة سنة ٦٥٥ ، انظر النعيمى : الدارس ٢٠٥/١ — ٢٠٦ والشذرات ٢٦٩/٥ .

(٦) أمامها فى ه : « العلامة شمس الدين الفنارى رحمه الله ، وهو من كبار العلماء فى البلاد الرومية وإمام زمانه وكان معتبرا سلطانا وشيخ عصره ،وتقدم . نشأ ولده الشهير بابنالفنارى ذلك فى الدرجة العليا من العلم والفضل والجاه العريض ، رحمهما الله برحمته الكاملة » .

إلى الديار المصرية سنة ثمانٍ وسبعين وله عشرون سنة ، فأخذ عن الشيخ أكمل الدين وغيره ، ثم رجع إلى الرّوم فولى قضاء برصا مدة ، ثم تحوّل إلى قونية فأقام بها . فلما وقعت الحرب بين أبى عثمان وابن قِرْمان وانكسر ابن قرمان أخذ ابن عثمان الشيخ شمس الدين المذكور إلى برصا ففوّض إليه قضاء مملكته وارتفع قدْرُه عنده وحلَّ عنده المحلَّ الأعلى وعذق[1] به الأُمور كلها وصار فى معنى الوزير واشتهر ذكره وشاع فضله . وكان حسنَ السَّمْت كثير الفضل والأفضال ، غير أنه يُعاب[2] بنحلة ابن العربى وبأنّه يقرئ « الفصوص» ويقرّره ، ولما قدم القاهرة لم يتظاهر بشىء من ذلك ، وحجّ سنة اثنتين وعشرين ، فلما رجع طَلَبَهُ المؤيّد فدخل القاهرة ، واجتمع بفضلائها ولم يظهر عنه شئ مما كان يُرْمى به من المعاملة المذكورة . وكان بعض من اعتنى به أوصاه أن لا يتكلّم فى شىء من ذلك ، فاجتمع به فضلاء العصر وذاكروه وباحثوه وشهدوا له بالفضيلة ، ثم رجع إلى القدس فزاره ثم رجع إلى بلاده .

وكان قد أثرى إلى الغاية حتى يقال إن عنده من النقد خاصةً مائةً وخمسين ألف دينار ؛ وكان عارفا بالقراءات والعربية والمعانى ، كثير المشاركة فى الفنون ، ثم حج سنة ثلاث وثلاثين على طريق أنطاكية ورجع فمات ببلاده فى شهر رجب ، وكان قد أصابه رمدٌ وأشرفَ منه على العمَى ، بل يقال إنه عمى ثم ردّ الله عليه بصره فحج هذه الحجة الأخيرة شكراً لله على ذلك .

وله مصنّف فى أُصول الفقه جمع فيه « المنار » و « اليزدوى » وغيرهما ، وأقام فى عمله ثلاثين سنة ، وأقرأ « العضد » نحو العشرين مرة ، كتب لى بخطه بالإجازة لما قدم القاهرة .

١٤ ــ محمد تقى الدين بن الشيخ نور الدين على بن أحمد بن الأمين المصرى . وُلد سنة ستين وتفقّه قليلا ، وتكسّب بالشهادة مدةً طويلة . وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الآداب والنوادر ، واشتهر بمعرفة المُلَح والزوائد المصرية وَتَلْب الأعراض خصوصا

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « الذى فى اللغة مما يصلح أن تخرج عليه هذه اللفظة قولهم : عذق فلانا بكذا إذا اختصه به » .

(٢) فى هامش ه « بل ذلك من جملة محاسنه وإنما لا يعاب » .

الأكابر فكان بعض الأكابر يقربه لذلك ، ولم يكن متصوّناً فى نفسه ولا فى دينه ، والله يسامحه . مات فى شوال .

١٥ ــ محمد بن الناصر فرج .

١٦ ــ محمد[1] بن محمد بن محمد بن محمدبن على بن يوسف ؛ الحافظ الإمام المقرىء شمس الدين بن الجزرى[2] ، وُلد ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين بدمشق وتفقه بها ولهج بطلب الحديث والقرآن وبرز فى القراءات وعمّر مدرسةً للقراء سمّاها « دار القرآن » وأقرأ الناس ؛ وعُين لقضاء الشام مرة وكتب[3] توقيعَه عمادُ الدين بن كثير ثم عرض عارض فلم يَتمّ ذلك ، وقدم القاهرة مراراً .

وكان مثريًا وشكلاً حسناً وفصيحاً بليغا ، وكان باشر عند قطلبك أُستادار أَيْتَمُش فاتفق أنه نقم عليه شيئاً فتهدّده ففرّ منه فنزل البحر إلى بلاد الروم فى سنة ثمانٍ وتسعين ، فاتّصل بأَبى يزيد بن عثمان فعظَّمه ، وأخذ أَهلُ البلاد عنه علم القراءات وأكثروا عنه ، ثم كان ممَّنْ حضر الوقعة مع ابن عثمان واللَّنكية ، فلمّا أُسر ابن عثمان اتصل ابن الجزرى باللنك فعظَّمه وفوّض[4] له قضاء شيراز فباشره مدّة طويلة ، وكان كثير الإحسان لأَهل الحجاز ، وأخذ عنه أَهل تلك البلاد فى القراءات وسمعوا عليه الحديث ، ثم اتفق أنه حجّ سنة اثنتين وعشرين فنهب ففاته الحج وأَقام بينبع ثم بالمدينة ، ثم دخل مكَّة فجاور إلى أن حجّ ورجع إلى العراق ، وكان كَاتَبَ المؤيّد أن يأذن له فى دخول القاهرة فمات المؤيد فى تلك السنة فرجع .

ثم عاد فى سنة ستٍّ وعشرين وحجّ ودخل القاهرة سنة سبعٍ وعشرين فعظَّمه الملكُ الأَشرفُ وأكرمه ، وحجّ فى آخرها وأقام بها قليلاً ، ودخل اليمن تاجراً فأَسمع الحديث

---

(١) ورد اسمه فى هـ على الصورة التالية : « محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحافظ الإمام المقرئ » وفى هامشها بخط البقاعى : تعليقا على نسخة هـ : « الذى عندى فى نسبه بعد محمد الثالث بن على بن يوسف والله أعلم » وهذا هو الرسم فى كل من ز ، والضوء اللامع ٩/٢٥٥ .

(٢) نسبة لجزيرة ابن عمر .

(٣) يقصد بذلك أن العماد ابن كثير كتب مرسوم تعيينه للقضاء ولكن لم يتم التعيين .

(٤) أشار الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٥٧ س ١ ــ ٣ أنه دخل مع تمرلنك سمرقند فأقام بها حتى مات تمرلنك فتحول لشيراز وولى قضاءها من جهة أولاد تمرلنك .

عند صاحبها ووصله ورجع ببضاعةٍ كثيرة فقدم القاهرة فى سنة سبعٍ [وعشرين] وأقام بها مدّةً إلى أن سافر على طريق الشام ثم على طريق البصرة إلى أن وصل شيراز ، وقد انتهت إليه رئاسة علم القراءات فى الممالك .

وكان قديما صنّف « الحصن الحصين[١] » فى الأدعية ، ولهج به أهل اليمن واستكثروا منه ، وسمعوه علىّ قبل أن يدخل هو إليهم ثم دخل إليهم فأسمعهم ، وحدّث بالقاهرة بمسند أحمد ومسند الشافعى وبغير ذلك ، ، وسمع بدمشق وبمصر من ابن أميلة وابن الشيرجى ومحمود بن خليفة وعماد الدين بن كثير وابن أبى عمرو وإبراهيم بن أحمد بن فلاح والكمال بن حبيب وعبد الرحمن بن أحمد البغدادى وغيرهم ، وبالإسكندرية من عبد الله ابن الدّمامينى ، وببعلبك من أحمد بن عبد الكريم ، وطلب بنفسه وكتب الطباق وعنى بالنظم وكانت عنايته بالقراءات أكثر ، فجمع « ذيل[٢] طبقات القراء » للذهبى وأجاد فيه ، ونظم قصيدة فى قراءة الثلاثة ، وجمع « النشر[٣] فى القراءات العشر » جوّده ، وذكر أن ابن الخباز أجاز له واتُّهِم فى ذلك .

وقرأتُ بخط القاضى علاء الدين بن خطيب الناصرية أنه سمع الحافظ أبا إسحق إبراهيم سبط ابن العجمى : سمعت من أصحابه الذين سمعوه منه يقول : لما دَخلتُ دمشق قال لى الحافظ صدر الدين الياسوفى : لا تسمع من ابن الجزرى شيئاً » : قلت . وقد سمعت بعض العلماء يتهمه بالمجازفة فى القول وكذا[٤] الحديث فما أظن إلاّ أنه كان إذا رأى للعصريّين شيئاً أغار عليه ونسبه لنفسه ، وهذا أمرٌ قد أكثر المتأخِّرون منه ولم ينفرد به .

وكانت وفاته فى أوائل سنة ثلاثٍ[٥] وثلاثين ، وكان يلقب فى بلاده « الإمام الأعظم »

---

(١) اسمه فى الضوء اللامع ٦٠٨/٩ « الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين فى الأذكار والدعوات » ، كما أشار إلى بقية أسماء مؤلفاته .

(٢) فى ه « وذيل طبقات القراء » .

(٣) فى الضوء اللامع « طيبة النشر فى القراءات العشر . فى ألف بيت » .

(٤) فى ه « وأما الحديث فما أظن ذلك به إلا أنه كان ... » ألخ .

(٥) ومع هذا فهو مذكور هنا فى سنة ٨٣٤ ، ويلاحظ أنه جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « قوله سنة ثلاث صحيح فذكره فى سنة أربع سهو ، والله أعلم » .

ولم يكن محمود السيرة فى القضاء ، وأوقفنى بعض الطلبة من أهل تلك البلاد على جزءٍ فيه أربعون حديثاً عشاريّات فتأملتها فوجدته خرّجها بأسانيد من جزء الأنصارى وغيره ، وأخذ كلام شيخنا العراقى فى أربعينه العشاريات بنصّه ، فكأنه استخرج عليها مستخرجاً بعضه بالسماع وأكثر بالإجازة ، ومنه ما خرّجه شيخنا من جزء ابن عرفة فإنه رواه عن ابن الخباز بالإجازة .

١٧ — محمد جمال الدين بن الشيخ بدر الدين يوسف بن الحسن بن محمود الحلوانى ، قدم القاهرة سنة أربعٍ وعشرين فأُكرم ، ثم طلبه صاحبُ الحصن من الأشرف فجهزه إليه فمات بمصر فى هذه السنة ، وكان فاضلاً فى عدة علوم ، وما أظنه أكمل أربعين سنة .

١٨ — محمد بن الشيخ بدر الدين الحمصى المعروف بابن العُصَيَّاتى[1] ، اشتغل كثيراً ، وكان فى أوّل أمره جامدَ الذهن ، ثم اتفق أنه سقط من مكانٍ فانشقَّ رأسه نصفين ثم عولج فالتأم فصار حَمَظة ، ومهر فى العلوم العقلية وغيرها ، وكان يرجع إلى دين ، وينكر المنكر ، ويوصف بحدّةٍ ونَقْصِ عقل . مات فى صفر .

١٩ — محمد ناصر الدين الشيخى ، تولَّى الوزارة للناصر ، ثم عُزِل فى سنة أربعٍ وثمانمائة وصودر بسبب أنه ظهر عنده من يعمل الزغل ويخرجه على الناس فقُبض عليه وعوقب إلى أن مات فى ذى القعدة ، واستقر بعده فى الوزارة سعد الله بن عطايا .

٢٠ — محمود بن أحمد بن محمد ، الفيّومى[2] الأصل ، نور الدين الحموى ابن خطيب الدهشة ، وُلد سنة خمسين وسبعمائة ، وسمع من جماعةٍ ، وتفقَّه ببلده[3] على علمائها فى ذلك العصر ، ودخل الشام ومصر طالبَ عِلْمٍ ؛ ثم ولى قضاء حماة فى أول دولة الملك المؤيّد وباشر مباشرةً حسنة بعفةٍ ونزاهة ، وصُرف بزين الدين بن الجزرى فى أوائل سنة ستٍّ

---

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٦٠ ، كما رجح نفس المرجع ٨٦٩/٦ موته فى ربيع الأول .

(٢) فيما يتعلق بمدينة الفيوم من أعمال مصر راجع عنها النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم وبلاده (القاهرة . المطبعة الأهلية ١٨٩٨) .

(٣) المقصود هنا حماة ، فقد جاء فى الشذرات ٢١٠/٧ أن أباه ولد بالفيوم ثم « رحل إلى حماة واستوطنها وولى خطابة الدهشة وولد له ابنه هذا » يعنى محمودا ، وانظر حوليات دمشقية (تحقيق حسن حبشى) ص ٣ .

وعشرين ، واختصر « القوت » للأذرعى وسمّاه « لباب القوت » ولم يكمله[١] ، وشرح « المنهاج » للسّبكى ، وشرح « الكافية الشافية » فى العربية ، وله منظومة فى الخط وشرحها ؛ وهذّب « المطالع » لابن قرقول فى قدر ضعفه ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بحماة مع الدّين والتواضع المفرط والفقه والانكباب على المطالعة والاشتغال والتصنيف ، وكان مشاركاً فى الأدب وغيره ، حَسَنَ الخط . مات فى يوم الخميس[٢] تاسع عشر شوال بحماة وكانت جنازته مشهودة ، ومن نظمه :

وصْل[٣] حبيبى خبرٌ لأنّه قد رَفَعَه
ينصِبُ قلبى غرضاً إذْ صَار مفعولا مَعَه

وبينه وبين الشيخ بدر الدين بن قاضى أذرعات مكاتباتٌ منظومة .

---

(١) فى هـ : « وله تكملة شرح المنهاج للسبكى » ، لكن ورد فى الضوء اللامع ١٠/٥٤٤ س ٩-١١ أنه صنف « مختصر القوت للأذرعى . سماه إغاثة المحتاج إلى شرح المنهاج ، وقيل إنه سماه لباب القوت ، وتكملة شرح المنهاج للسبكى » .
(٢) أنظر حوليات دمشقية ، ص ٣ .
(٣) فى هـ « نظم » .

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

فى ثامن عشر المحرّم وصل الأمير طَرَاباى نائب طرابلس فسلّم على السّلطان وخلع عليه ، فأقام خمسةَ أيّام ورجع إلى بلده .

وفى شهر رمضان منها استقر دُولات خَجَا الظَّاهرى فى ولاية القاهرة عوضا عن التاج [الشوبكى] واستمر التاج فى وظائفه ، وكان هذا[1] ظالما غاشماً ولى كشف الوجه القبلى فتعدّى الحدّ فى العقوبة حتى كان يأمر بأن يُنْفَخ فى دبر من من يريد عقوبته حتى تبرز عيناه أو ينفلق دماغه ، ثم ولى كشْفَ الوجه البحرى ، ثم استقرّ فى الولاية فجمع كلَّ مَن فى سجن الوالى مِن أُولى الجرائم فأطلقهم ، وحلف جهد يمينه أنه متى ظفر بأحد منهم وسّطه ، وفعل ذلك ببعضهم فكَفّوا ، وركب فى الليل وطاف وأكثر من ذلك ، وألزَم الباعةَ بكَنْس الشوارع ورشّها ووقيد القناديل فى حوانيتهم كلَّ ليلة ، ومنع النساء من الخروج إلى الترب أيّام الجمع ، فاستمرّ على ذلك قدر شهرين ثم أُعيد التاج .

* * *

وفى الخامس من صفر انتشر بمصر جرادٌ كثير فى الآفاق ولكن لم يحدث منه شر ، ووردت الأخبار بأنّه وقع فيما بين بغداد وتبريز فلم يدع خضراء فكثُر فساده وعمّ البلاء حتى حدث منه الغلاء الشديد وأعقبه الوباء المفرط .

وفيه[2] أُعيد آقبغا الجمالى لكشف الوجه القبلى .

وفى ربيع الآخر نزل بعض[3] المماليك من الطِّباق لنهب بيت الوزير وكان استعدَّ لهم

(١) يعنى بهذا دولات خجا الظاهرى ، ويلاحظ أن أبا المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦٧٥/٦ ، كان ناظراً إلى ما كتبه ابن حجر حتى لقد كان ينقل منه ألفاظه ، كما أنه أخطأ فيما أخطأ فيه ابن حجر دون أن ينص على مصدره .

(٢) حدث هذا فى منتصف صفر ، وأعيد بدلا من مراد خجا الذى شكى الناس من شدة جوره عليهم ، راجع نزهة النفوس ، ورقة ١٤٣ ب .

(٣) كان هذا البعض من الأجلاب ، أما الوزير إذ ذاك فهو الصاحب كريم الدين وكان يشغل فى الوقت ذاته وظيفة الأستادارية .

فلم يظفروا به ولا بشيء فيه ، فلما أصبح استعفى من الأُستادارية فقرر السلطان فيها الصاحب بدر الدين بن نصر الله فى ثالث عشرى ربيع الآخر فباشرها شَهْرين ، ثم انفصل وأُعيد آقْبُغَا الجمالى فى جمادى الآخرة ، وسبب ذلك أنه[١] كان حَصَّلَ من الصعيد الأعلى - بالظّلم والعسْف - مالاً كثيراً فرافعه فيه بعض الناس ، فسعى فى الحضور فأُجيب ، فسعى فى الأُستادارية على أن يزن عشرة آلاف دينار ويلتزم بالتَّكْفِية فأُجيب ، ثم حُوقِقَ على جهات احتاط عليها فزيد على الذى وعَد به خمسة آلاف دينار فالتزم بها .

* * *

وفيها أُجريت العيون حتى دخلت مكة فامتلأت بِركُ باب المعلى ومرت على سوق الخيل إلى الصفا فعمّ النفع بها ، وكان القائم على ذلك سراج الدين بن شمس الدين ابن المُزَلّق كبير التجار بدمشق ، وصرف على ذلك من مال نفسه شيئاً كثيرا .

وفى السابع والعشرين من جمادى الآخرة صُرف القاضى زين الدين التَّفَهْنى من قضاء الحنفية وأُعيد العينى ، وكانت عِلةُ التَّفهْنى طالت لأنها ابتدأت به من ذى الحجة فأقام مدةً وعوفى ثم انتكس واستمر ، وتداولته الأمراض إلى أن أُشيع موته ، واستقر فى قضاء الحنفية بدر الدين العينتابى[٢] ، وبلغ التفهنى ذلك فشق عليه وركب فى اليوم الثانى إلى القرافة حتى شاهده الناس ليحقق أن العينتابى يقول عليه أنه بلغ الموت لكن لم يفد ذلك ، فلما دخل شوال مات ؛ وكان مولده سنة بضعٍ وستين فإن القاضى شمس الدين البساطى ذكر لى[٣] أنه يعرفه من سنة ثمانين وهو بالِغٌ ، وكان فى غضون مرضه نزل لولده شمس الدين محمد عنْ تدريس الصَّرْغُتْمُشِيّة فشَقَّ ذلك على العينتابى وقام فيه وقعد ، فصدَّه ناظر الجيش عنه وأمضى السلطان النّزول ، فلما مات التَّفَهْنى صُودر ولدُه على خمسمائة دينار ، وكان

---

(١) الضمير هنا عائد على آقبغا الجمالى ، ويلاحظ أن مدة ولاية ابن نصر الله للأستادارية كانت شهرا وتسعة أيام كما جاء فى نزهة النفوس ، ورقة ١٤٤ ا ، وقد أشار هذا المرجع إلى أن آقبغا الجمالى طلب الأستادارية لنفسه بمبلغ عشرة آلاف دينار ، وتعهد - إن سافر السلطان إلى الشام - أن يحمل معه نفقة شهرين وهى أربعون ألف دينار ، وهذه النفقة هى التى يسميها ابن حجر فى المتن « بالتكفية » .

(٢) الواقع أن العينى ولى هذه المرة القضاء والحسبة ونظر الأحباس كلها مرة واحدة .

(٣) كلمة « لى » ساقطة من هـ .

التّفَهْنى قد سمع الحديث من النجم بن الكشك وغيره واشتغل على جماعة من المشايخ ، وأوّلُ من نَوّه به كاتبُ السر بدر الدين الكُلُسْتَانى ؛ وكان أصله من تَفَهْنة[1] ـ إحدى القرى الغربية ـ وأبوه طحّان ، ومات وهو صغير فرباه أخوه شمس الدين محمّد ، فلما ترعرع دخل القاهرة ونزل فى كُتّاب السبيل بالصُّرْغُتْمُشِيّة ثم صار عريفاً بالمكتب ، ثم نزل فى الطلبة ، ثم نزل فى صوفية الشيخونية ، فلما نَوَّه به الكُلُسْتَانى ناب فى القضاء وحُمِدَت سيرته ولازم الاشتغال وحَسُنَ حظه ، وكَتَبَ على الفتاوى فأجاد ، وكان حسنَ الأخلاق كثيرَ الاحتمالِ شديدَ السّطوة ،إذا غضب لا يُطاق ، وإذا رضى لا يكاد يُوجد له نظيرٌ ؛ رحمه الله تعالى .

* * *

وفى شعبان صُرف القاضى شهاب الدين بن المحمرة[2] عن قضاء الشام واستقر كمال الدين البارزى وخلع عليه فى يوم الجمعة ثانى شعبان مع استمراره[3] فى كتابة السر الشام ، فلما بلغ الشام توجه إلى بيت المقدس فصام شهر رمضان هناك وقدم بعد شوال إلى القاهرة ، وكان لما سار إلى الشام استناب بدر الدين بن الأمانة فى تدريس الشيخونية وجمال الدين ابن المجير فى مشيخة الصلاحية ، فلما تمادت إقامته هناك استنجز مرسومَ السلطان بالاستقلال ، فلما عاد إلى القاهرة استعادالوظيفتين منهما بإذن السلطان ، ولم يلتفت إلى شرط الواقف أنّ من غاب عن وظيفته أزْيد من مدّةِ مجاورةِ الحاجّ أُخْرِج منها ، وهذا بخلاف شرط سعيد السعداء فإن شرط واقفها بأنّ من غاب عن وظيفته يعود إليها إذا عاد ولو طالت غيبته ، فحُجّة ابن الأمانة قائمة وحجة ابن المجير داحضة .

وفيها وصل من جُنُوك الصّين عدة ومعهم من التحف مالا يوصف فبيع بمكة .

---

(١) وردت فى القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٥٦ باسم تفهنة الغرب (بفتح التاء والفاء وسكون الهاء وكسر النون) وقال إنها قرية من القرى القديمة سماها معجم البلدان تفهنا (بفتح التاء وكسر الفاء وسكون الهاء) ، كما وردت فى بعض المعاجم الجغرافية الأخرى باسم « تفهنة » الكبرى تمييزاً لها عن « تفهنة الصغرى » أو « تفهنة الأشراف » بمركز ميت غمر .

(٢) أنظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١٦٠–١٦٢ ، أما عن الكمال البارزى فانظرنفس المرجع ص١٦٢–١٦٤ .

(٣) لاحظ هذه المسألة أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦/٦٧٥ فقال إنه لم يحصل لأحد قبله الجمع بين قضاء دمشق وكتابة سرها .

وفيها أُسِرَ حمزة بن قَرَايلك صاحب آمد ، أَسَره ناصر الدين أمير ماردين وسجنه لأَنَّ أَباه كان يغير على معاملة ماردين ويكثر الفساد ، فسار قَرَايُلُك حتى نازل ماردين وحاصرها مدةً إلى أن ملكها وهرب ناصر الدين أميرها ، وخلص حمزة قرايلك واستمرت ماردين فى يد قرايلك .

* * *

وفى رجب قدم نائبُ الشام[1] أيضاً مطلوبا فحضر فى حادى عشرى رجب فخُلع[2] عليه فى ثانى عشرى رجب واستقر أتابكَ العساكر عوضا عن جَارقطلِى ، وخلع على جَارقُطْلِى بنيابة الشام عوضه وتوجه فى أول شعبان منها .

* * *

وفيها صمم السلطان على السفر إلى البلاد الشمالية بسبب قرايلك وتجهيز غالب الناس ولم يبق إلا السفر ، فقدم قاصد قرايلك ومعه مفاتيح قلعة ماردين وكان قد غلب عليها ونقل صاحبها ، ففتر العزمُ فى هذه السنة .

وفيها أراد السلطانُ عَمَلَ دار العدل كما كانت فى أيّام الظَّاهر برقوق ، فبادر إلى ترميمها وإصلاحِ ما تشعَّبَ فيها ، وجلس يوما ثم تركها .

وفيها حَجَّ ركبُ المغاربة وركْبُ التَّكرُور ، ومعهم بعض ملوكهم .

وفيها اشتدّ تحجير السلطان على التجار وألزمهم بعدم بيْع بضائعهم إلا بإذنه ، ثم جمعهم فى رمضان وسأَلهم أن يبيعوا عليه جميع ما عندهم من الفلفل سعر خمسين الحمل ، فشق عليهم جداً ولم يجدوا بدًّا من المطاوعة وكانوا قد باعوه عليهم من قِبَل السلطان من قبل ذلك بسعر ثمانين ، وذكر له بعضهم ذلك فلم يلتفت إليه ، ثم كُتبت مراسيم وأُرسلت إلى الشام والحجاز والإسكندرية ، وأن لا يبيع أَحد البهار ولا يشتريه إلاَّ السلطان .

---

(١) هو سودون من عبد الرحمن وقد ذكرت النجوم الزاهرة ٦٧٣/٦ أن السلطان بعث فى طلبه إلى مصر فلما جاءها وانقضت الخدمة نزل بغير خلعة فعرف الناس أن السلطان عزله ثم ما لبث أن ولاه أتابكية العساكر ، أنظر أيضا نزهة النفوس ، ورقة ١٤٤ ب .

(٢) عبارة « فخلع عليه فى ثانى عشرى رجب » غير واردة فى ه .

وفى ذى القعدة عُقد مجلس بحضرة القضاة الأَربعة وقُرْقَماس الحاجب الكبير بإذن السلطان بسبب ما حَكم به نائب الحنفى من هَدْم دار ابن النقاش ، وكان السبب فى ذلك أن علَم الدين البُلْقِينى كان سأَل ناظرَ الجيش أن ينتزع له من كاتِبه نظر جامع طولون ونظر الناصرية ليَسْكُت عن طلب العود للقضاء والسعى فيه ، فرضى كاتبه بذلك وفوض له ذلك وأخذ توقيعاً سلطانياً ، فمِنْ حمقه أنه هنأَ السلطان بعيد الفطر فشكر السلطان ، فقال ينبغى أن تشكر القاضى الذى أعطاك فقال : « أنا ما أعطانى إلا السلطان » وهذا غاية فى الحمق والجهل ، فإنّ الواقف شَرَط النَّظَرَ للقاضى الشافعى فلو ولاه السلطان بغيره لمْ تصحّ ولايته ، فلما بلغنى ذلك صَّرحْت بعزله فما بَالَى بذلك واستمرّ يتحدّث فيهما افْتِيَاتًا من غير مبالاة ، فلما استمر على التحدّث فى جامع طولون استخرج من أوراق أَخيه محضراً كان كتبه على ابن النقاش يتضّمن أن أمين الدين الطرابلسى — حين كان قاضى الحنفية — حكم عليه بسدّ السراب الذى فتحه فى جدار الجامع ليستطرق منه إلى الدخول ، وأنّ البيت الذى بناه من جملة حريم الجامع فيكون له حكم المسجد ، وسأَل القاضى بدر الدين العينتابى بأَن يأذن لأَحد نوّابه أن يحكم بذلك فأَسند ذلك للقاضى ناصر الدين الشَّنَشِى فحكم وعرض ذلك على السلطان ، فاستعظم الناس هَدْمَ البيت المذكور بعد مضى أَربعين سنة أو أكثر ، وشاهد ذلك أكابر العلماء والأئمة ، فأَمر السلطان بعقد مجلس ، فلما اجتمعوا ادعى مدع على ابن النقاش بأَن البيت الذى بأَيديهم يجب هدمه لأَنه عُمر فى حريم الجامع فله حكم المستجد[1] ، وأنه يجب عليهم أجرة المثل عن المدة الماضية فى تركة أبيهم إلى أن مات ثم فى المدة التى منذ مات يجب من ريعه ، فأَجاب بأَن أباه استأْذن القاضى جلال الدين البلقينى فى استئجار الأَرض المذكورة ، فأَذن لنائبه القاضى ولى الدين العراقى فى النظر فى ذلك ، فاستوفى الشروط وأَذن لبعض العدول فى إجارته فأَجَّره بأُجرةٍ معينةٍ مدةً معينةً ليبنى فى ذلك الزمان ما أَراد ، واتصل ذلك بالعراقّى وحكم به ، وذلك أَن الأَرض المذكورة ليست مسجدا ، فاتَّصل ثبوت ذلك بالقاضى المالكى فى المجلس لكونها شهادة على الخط ، ثم اتصل بالشافعى فحكم بإِبْقَاء البناء المذكور وعدم التعرض لهدْمه ؛ وكان ابن النقاش قد سَدّ الاستطراق المذكور فحاول المعلم

(١) فى ه المسجد .

أن يهدم ما سدَّه ثم يُبنى فلم يوافقه أحد ، وانفصل المجلس على ذلك وَقَصُرَ حُكْمُ نائبِ الحكم[1] بأن السّاحة المذكورة الدائرة حول الجامع من حريم الجامع وأنَّ لها حكم الجامع على ما ينافيه مما لم يتقدم به حُكْمُ أحدٍ من الحكام ، وحصل للعَلَم والحنفى من ذلك حُنْقٌ زائدٌ ، فأمَّا العلَمَ فبذل جهده فى السعى ليعود إلى القضاء فتعذرعليه ذلك ، وأما الحنفى فصار يمتنع من حضور المجالس مع الشافعى ولله الحمد .

وأُدير المحمل فى هذه السنة فى ثالث رجب .

وفى هذه السّنة مُنع الناس من السفر فى وسط السنة إلى الحجاز صحبة ابن المرأة خشيةً عليهم من نهب العرب .

* * *

وكان كسرُ الخليج فى الخامس من مسرى وانتهت الزيادة فى هذه السنة إلى إحدى وعشرين إصبعا من ثمانية عشر ذراعاً إلى آخر مسرى[2] ، ووصل المبشر يوم الجمعة خامس عشرى ذى الحجة فقطع المسافة فى أربعة عشر يوما ، وهذا أسرع ما سمع فى ذلك .

وفى سابع عشرشعبان ــ وهو الثالث والعشرون من برمودة ــ أرعدت[3] السماء وأمطرت مطراً غزيراً . وفى هذه السنة تقطع غالب الجسور التى عملت للنيل فشرّق بسبب ذلك كثير من البلاد .

وفى أول رمضان تراءى الناسُ الهلالَ فخفى عليهم ، فشهد به إثنان بعد العشاء فثبت ، فلمّا أصبح السلطان استغْرب ذلك لكونه تراءى هو ومن معه ومكانهم بالقلعة مرتفع جداً وكانت السماء صاحيةً[4] فاستدعى بالشهود فحضروا عنده فامتحنهم بأن فرّق بينهم ، وبأن

---

(١) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى « لعله الحنفى » .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٨ ، أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة فى هذه السنة لم تكن معلومة ، وإنما كان الوفاء فى الخامس من مسرى .

(٣) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما يقال رعدت ثلاثيا مجردا » ؛ ثم جاء بخط غيره « عبارة المختار : رعدت السماء وأبرقت وبابه نصر ، وأرعدت السماء وأبرقت أيضا ، وأنكر الرباعى الأصمعى فيهما » ، هذا ويلاحظ مطابقة التاريخين العربى والقبطى لما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٨ ، وكان ذلك يوم ١٨ أبريل سنة ١٤٣٢ .

(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما يقال مصحية » .

ألزمهم أن يشيروا إلى الجهة التى رأوا الهلال فيها فى أوّل ليلة ، ففعلوا فلم يخطئوا فمضى الأمر ؛ واتّفق فى هذه السنة أنهم لم يروا الهلال ليلة التّرائى ، ثم ثَبت فى اليوم الثّانى من ذى الحجّة فتوافق العيدان فى المعنى المذكور .

وفيه أكثر السلطانُ من الركوب إلى العسر[1] والنزهة حتى ركب فى يومٍ واحد إلى بيت ناظر الجيش ثم إلى بيت ناظر الخاص ، فحملا له تقادم جليلة .

وفيه[2] استقر الوزير كريمُ الدين بنُ كاتبِ المناخات فى كتابة السّرّ مضافا إلى الوزارة فى ثالث شوّال عوضا عن ابن السفاح ، وكان السّلطان أرسل إلى شهاب الدين بن الكشك قاضى الحنفية بدمشق بأن يحضر ويستقرّ فى كتابة السر ، فأرسل بالاعتذار وبذل مالاً على الكف عنه فأُجيب[3] . واستقرّ كريمُ الدين فباشر قليلًا ثم صُرف بعد قليلٍ لمّا حَضر ابنُ البارزى .

وفى ذى القعدة استقرّ القاضى عزُّ الدين عبدُ العزيز بنُ علىٍّ البغدادى[4] الحنبلىّ فى قضاء الحنابلة بدمشق .

وفى أواخر جُمادى الأُولى صُرف العينتابى من الحسبة واستقرّ صلاحُ الدين بنُ بدر الدين ابن نصر الله .

* * *

وفى شوال قُتل نصرانى وقع فى حق داود عليه السلام فحبُس مدةً ليسلم ، فأصرّ فقُتِل .

وفى[5] هذه السّنة ثارت فتنةٌ عظيمةٌ بيْن الحنابلة والأشاعرة بدمشق ، وتَعصّب الشيخُ

---

(١) هكذا فى جميع النسخ وفوقها فى بعضها كلمة « كذا » إشارة للتشكيك فى قراءتها .

(٢) أمامها فى هامش ه « ولاية ابن كاتب المناخات لكتابة السر » .

(٣) أنظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٢ — ٢١٤ .

(٤) راجع ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٧ .

(٥) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « قصة العلاء البخارى فى تكفير ابن تيمية وتكفير من أطلق عليه أنه سلخ من الإسلام ، وهى تدل على أن تكفيره من قال إن كلام أهل الاتحاد يؤول كابن عربى وابن الفارض مجمع عليه لم يخالفه فيه أحد من أهل عصره كما مضى فى سنة ٣١ » .

علاءُ الدين البخارى نزيلُ دمشق على الحنابلة وبالغ فى الحط على ابن تيميّة وصَرَّح بتكفيره ، فتعصَّب جماعةٌ من الدماشقة لابن تيمية ، وصنَّف صاحبُنا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين جُزءا فى فَضْل ابن تيمية – وسَرَدَ أسماء من أَثْنى عليه وعظَّمه من أهل عصره فمَنْ بعدهم على حروف المعجم مبينا لكلامهم – وأرسله إلى القاهرة ، فكتَب له عليه غالبُ المصريّين بالتصويب ، بل خالفوا علاء الدين البخارى فى إطلاقه القول بتكفيره وتكفير من أطلق عليه أنه « شيخ الإسلام » ، وخَرج مرسوم السّلطان إلى كل : « أَنَّ أَحداً لا يعترض على مذهب غيره ، ومن أظهر شيئا مُجْمَعاً عليه سُمع منه » ، وسَكَن الأَمر .

واستقر جَارْقُطْلِى فى نيابة الشام فى ثامن عشرى رجب .

وفيه أُلزِم أهل سوق الخيل أن لا يبيعوا لمتعمّم فرساً ولا لجندىٍّ من أولاد الناس ، ثم بَطُلَ ذلك عن قريب .

وفيه وقع الفناء فى الخيول فأخِذت خيولُ الناس من الرّبيع ثم شفع فيهم فأُعيد أكثرْها ، وتوجَّه عدةٌ من الأُمراء إلى بلاد الريف لأَخْذ الخيول من أيدى الفلّاحين .

وفى ثالث ربيع الآخر أَمر السلطانُ بإخراج مَن فى السجون على الدّيون والمصالحةِ عنهم .

وفى أَوّلها اهتمَّ السلطانُ بأَمر الأَسعار وأَمر بإخراج البذر من حواصله للأَراضى البائرة ، فكثر الزرع وفُرِّج عن الناس بذلك وتراجع السعر .

وفى[1] ربيع الآخر عقد مجلسٌ آخر عند كاتب السر اجتمع فيه القضاةُ ومشايخُ العِلْم بسبب أن السلطان اشترى من وكيل بيت المال أَرضاً وقفها ، وثبت ذلك عند الشافعى ونفَّذه الباقون إلاَّ الحنفى ، فادَّعى أن الحكم باطل واستَند إلى أن عَلَمَ الدين ، وَلدَ شيخنا البلقينى ، ذكر له البُطلان ووافقه بعض نواب الحكم من الشافعية المنفصلين ، وكان القائم فى أمْرِ الشراء المذكور ناظر الجيش بأَمْر كاتب السر أن يستفتى علماء الشافعية عن ذلك فأفتوه بالجواز إلاَّ القِمْنى وقال : « إذا استوفى الحاكم الشروط صحّ البيع » ، وكان قبل ذلك كتب أن البيع لا يصح وأطلق . وأما العَلَم فاعتلّ بأَنه يلزم من ذلك اتِّخاذ الموجب والمقابل وذلك

(١) من هنا حتى ص ٤٨١ س ٤ ساقط من هـ .

يختص بما يتعاطى الجدّ لحفيديه وأنَّ وكيلَ بيت المال وكيلُ السلطان ، فإذا اشترى السلطان من وكيله فكأنه اشترى من نفسه ، وفاته ما صرَّح به جماعةٌ من العلماء بأَنَّ وكيل بيت المال وكيلٌ عن أئمة المسلمين لا عن خصوص السلطان ، وإنمّا وظيفتُه ولايةٌ لا نيابة ؛ وقد صرّح بذلك السُّبكى وغيره . ثم ظَفرْتُ بأَن ذلك صَنَعَهُ السّلطانُ صلاحُ الدين فى وقْفِ الصّلاحية ببيت المقدس ونَقَله السّبكى فى فتاويه ، وقال الأَذرعى فى « شرح المنهاج » : « اغتر بعض الناس بتسميته وكيلا فقال إنه يَنْعزِلُ بموْت السلطان وهو غلط » ، ثم أحضر حكمه جلال الدين البُلْقِينى فى مثل ذلك وكذلك مِنْ قَبْلِه أبو البقاء وعز الدين بن جماعة ، فأَصر على دعوى البطلان ، وأصرّ الحنفى على الامتناع من التنفيذ اعتماداً على قول المذكور مع تحقُّقٍ فى الفهْم وغزارةِ ما عنده من العلم ، ثمّ حملته العصبيَّةُ على أن اجتمع بالسلطان وعرَّفه أن البيع باطلٌ ، وأنَّ الشافعية راعوا القاضى الشافعى فوافقوه فيما عمل ، فأَمرهم بالاجتماع عنده ، فحضروا يوم الاثنين ثامن الشّهر المذكور ، فبدأَ الشافعى فسأَل الحنفى : « لِمَا امتنعت من تنفيذ هذا الحكم ؟ » ، فقال : « لأَنَّ الشافعية قالوا إنه باطلٌ فوقفته على فتاوى الشافعية » فأَسند الأَمر للقِمْنى ، فوقَّفْتُه على فتوى القِمْنى الثانية ، فقال : « هذا لا يعتمد عليه لأَنه تناقض » ، فسْئِل العلم فى المجلس عن مستنده فى دعوى البطلان ، فقال : « نَصَّ الشافعىُّ فى عيون المسائل أَن الوالى فى رعيّته بمنزلةِ الوصِىّ فى مالِ اليتيم » ، فسْئِل : « ما وجْهُ الدلالة من هذا النص بصورة المسأَلة » ، فخلط فى جوابه وانفعل ، فأُخْرِج له نَصُّ الشافعى فى مختصر المازنى بأَن المراد فى ذلك مما يتعلق برعاية المصلحة للجهتين ، فكابَرَ ، فَردّ عليه من حضر وقالوا : « إذا كان الكلام مطلقا ، وذُكر له فى موضع آخر قيد أوجب الحمل عليه وعمل بالخاص » ، ثم استَظهر الشافعىّ بأَنَّ للسلطان أن يقف ما يراه من أراضى بيت المال على من رآه ، وأن الوصىَّ ليس له ذلك فى مال اليتيم ، فدلّ على أَنَّ النص ليس له عمومته ، فاستمر على العناد فبان للجماعة حصْرُه وتعصبه .

وأما الحنفى فبَيّن له أن لا حجة للقمنى والعلم قاصر على التعصب وقال : « لا يجب التنفيذ » ؛ وكان يخشى أن ينفذ فى الحال فيقال إنه غلب فجنح إلى هذا العذر ، وانفصل المجلس على هذا ، وسئل علماءُ الحنفية عن ذلك فقالوا : بل يجب على الحاكم إذا اتَّصل به

حُكْمُ غيره وسأله صاحب الحق التنفيذ أن يفعل . وممن كتب بوجوب ذلك عليه وأنه إذا لم يفعل : التفهنى وابنُ الدّميرى ونظام الدين وصدرُ الدين بن العجمى وعبدُ السلامُ البغدادى وكمالُ الدين بنُ الهُمام وبدرُ الدين المقدسى وأمينُ الدين الأُقصرائى والقاضى المالكى والقاضى الحنبلى . فلما بلغه ذلك استفتى فيما « إذا حصلت عند الحنفى ريبَةٌ فى الحكم هل يجب عليه أن ينفذه مع الريبة ؟ » فطافوا بها فلم يكتب عليها أحد . فأُشير عليه بأن يرجع وينفذ ، فآل الامر إلى أن نفَّذ الحكم بعد ذلك فى السادس عشر من الشهر المذكور .

* * *

وفى أواخر شهر ربيع الآخر قدم فَيْرُوز من المدينة وخُلع عليه بعد أيامٍ وعاد إلى مكانه وزاد تمكيناً بحيث اقتصر السلطان من الندماء عليه وعلى التاج الوالى وولى الدين بن قاسم وأحمد بن الأَحدب الشامى ومراد العجمى ، هؤلاء ندماء السلطان ، والحصنى ومن طرأ عليهم من غيرهم مقتوه إلى أن يخرجوه .

وفى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة استقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن صلاح المعروف بابن المحمرة وبابن السمسار فى قضاء الشام عوضاً عن أبى البقاء بن حجى وبقيت مدةَ مشيخةُ سعيد السعداء وتدريس الشيخونية وغير ذلك من خطابة القاهرة ، فاستناب فيها وسافر فى رجب . وكان السلطان طلب العلَم البَلْقِينى وفوَّض إليه قضاء الشام فامتنع وقال : « أنا أُوثر رؤية السلطان فى الشهر مرة » فقال له : « قد بَعَثَ النبى صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن فلم يعتذر بمثل هذا » ، فتَعجَّب مَن حضر من استحضاره هذه القصة المناسبة ولم يؤثر ذلك فى العلَم لشوقه إلى العود بالقاهرة ، فلما استقر ابن المحمرة أرسل له السلطان محفةً وأذن له أن يستنيب فى وظائفه بالقاهرة .

* * *

وفيه استقرّ جمالُ الدين يوسف بن الصفىّ الكَرْكى فى نظر الجيش بدمشق عوضاً عن

الشريف شهاب الدين ، واستقرّ شمسُ الدين محمد بن على بن عمر الصفدى[١] فى قضاء الحنفيّة بدمشق عوضا عن القاضى شهاب الدين بن الكشك نقلا من قضاء القضاة بطرابلس. واستقر فى قضاء طرابلس ولدُ الصفدى المذكور .

وفى ليلةِ الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة هبّت ريحٌ بالتراب فأثارت منه ما ملأ البيوت وكاد الناس يهلكون من الغم ، وأصبح الجوُّ أصفر .

وفى ليلة النصف خُسِفَ القمر ولم يشعر به أكثر الناس .

وفى ثالث شعبان استقرَّ نظامُ الدين عمر بن القاضى تقى الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين محمد بن مفلح فى قضاء الحنابلة بدمشق عوضاً عن القاضى شهاب الدين بن الحبّال[٢] ، وكان ابن الحبّال قد ضعف بصره حتى قيل إنّه عمى وقوى صممه وضعفت قوته ، فلما استقرّ نظامُ الدين وبلغه ذلك تَحَوَّل إلى بلده طرابلس فأقام بها إلى أن قام فى السنة المقبلة .

* * *

وفى شعبان هجم جماعةٌ من المماليك بيتَ الوزير فنهبوه وكانت كائنة شنيعة .

وفيه اشتدّ فسادُ المماليك الجلب وأفسدوا حتى مَنع السلطان الناس من العمل إلا بإذنه إشفاقاً عليهم منهم ، وسار الأمراء إلى خَرْتَ بِرْت فأوقعوا بمن فيها .

وفيه وقع الوباء بفرندا .

وفيه قدم نائب الشام سودون من عبد الرحمن وقدم معه كاتب السر ابنُ البارزى ثم رجعا إلى وظيفتيهما ،وسار بعدهما العسكر المجهز إلى البلاد الحلبية وهم : الحاجب الكبير والدويدار الكبير وغيرهما ، ومعهم من الطبلخاناة والعشرات جماعةٌ ، ثم وقعت لهم مع التركمان وقعةٌ قُتِل فيها ولدٌ لقرايلك صاحب تلك البلاد ، وصادف وصول الخبر بذلك يوم وفاء النيل فحصل للناس بذلك بشْران . وشاع أن قرايلك مات ثم تبين كذب الإشاعة .

---

(١) كانت وفاته سنة ٨٥٢ هـ ، راجع عنه ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، وشذرات الذهب ٢٠٢/٧ .

وفيها قدم بِيَرَم التركمانى صاحب هيت فارًا من أصبهان بن قرا يوسف ، فأكرمه السلطان وأجرى له راتباً ثم أقطعه ناحيةً من الفيوم .

وفيها فى رجب استقرّ سودون من عبد الرحمن أتابكَ العساكر نقلاً من نيابة الشام ، واستقر فى نيابة الشام جارْقُطْلى عوضاً عنه .

* * *

وفيها[1] مات جينوس بن بابى الفرنجى متولى قبرص الذى كان أُسر ، ووصل الخبرُ بذلك فى ذى القعدة ، واستقرّ ولدُه مكانَه فبذل الطاعةَ لصاحب مصر والتزم ما كان أبوه التزم به ، وأرسل مع رُسل السلطان إليه بذلك أربعةً وعشرين ألف دينار ، وكان السلطانُ الأشرف جهَّز إلى جوان بن جانوس الفرنجى متولى قبرص رسولاً ، فقابله بالإكرام وقبّل الأرض قائما أمام الكتاب وأجاب بالطاعة وأنه نائب عن السلطان ؛ وجهز المال الذى كان تأَخَّر على والده وجهز سبعمائة ثوب صوف ملونة ، وسألوا السلطان أن يكون عندهم نائبٌ من جهته ، فأرسل إليهم أميرا ومعه أربعون مملوكا .

* * *

وفيها اشتهر خراب الشرق من بغداد إلى تبريز وكثر الغلاء حتى بيع رطل اللحم بنصف دينار وأكلوا الكلاب والميتات ، ثم فشا الوباء فى العراق والجزيرة وديار بكر .

* * *

وفيها أُمِر القضاة بإحضار جميع نُوَّابِهم إلى السلطان ليعرضهم ففعلوا ذلك فى أوائل ذى القعدة ، ثم أُمِروا بتأخير النّوَّاب ، فسألهم السلطانُ عن النّوَّاب فوقع الكلام إلى أن قال السلطان : « يستقر للشافعى خمسة عشر ، والحنفى عشرة ، والمالكى سبعة ، والحنبلى خمسة » ، فامتثلوا ذلك ثم قال : « لا يستنيب أحدٌ من غير مذهبه بالقاهرة ، وأما فى الضواحى فيستنيب الشافعى من شاء[2] » .

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة استقر القاضى عز الدين الحنبلى فى قضاء الشّام عوضًا عن نظام الدين بن مفلح .

---

(١) راجع ما سبق ، ص ٤٧٧ ، حاشية رقم ١ .

(٢) بعد أن أوردت نزهة النفوس ، ورقة ١٤٥ ا هذا الخبر علقت عليه بقولها : « وقد رسم بمثل هذا المرسوم كثيراً ولا عمل به فياليته لو دام » .

ذكر من مات فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة
من الأعيـــــان

ــ أحمد بن إسماعيل الإبشيطى[١] ، الشيخ شهاب الدين . تفقّه قليلاً ولزم قريبه الشيخ صدر الدين الإبشيطى وأدّب جماعةً من أولاد الأكابر ، ولهج بالسّيرة النبوية فكتب منها كثيراً إلى أن شرع فى جمع كتابٍ حافلٍ فى ذلك وكتب منه نحواً من ثلاثين سِفرا تحتوى على سيرة ابن إسحق وما وُضع عليها من كلام السُّهَيْلى وغيره . وعلى ما احتوتْ عليه « المغازى » للواقدى ، وضمّ إلى ذلك ما فى السّيرة للعماد بن كثير وغير ذلك ، وعنى بضبط الألفاظ الواقعة فيها ، ومات فى سلخ شوال وقد جاوز السبعين .

٢ ــ أحمد بن صالح بن محمد بن محمد بن أبى السّفاح ، شهاب الدين بن السّفاح كاتب السر بحلب[٢] ثم بالدّيار المصرية ، وُلد سنة اثنتين وسبعين بحلب ، وسمع من الكمال بن حبيب وجماعة من الحلبيّين ، وحفظ القرآن وتعانى الكتابة فى التوقيع إلى أن مهر فيه ، وولى نظر الجيش بحلب فباشر التوقيع عند يشْبك بعد أخيه ناصر الدين ، ثم ولى كتابة السر بصفد ثم بحلب مرتين ، ثم قدم القاهرة واستقرّ فى توقيع السلطان قبل سلطنته ، فلمّا تسلْطن استقرّ به كاتبُ السرّ ابنُ الكُوَيْز فى كتابة السرّ ببلده حلب إرادةً للراحة منه فتوجه إليها بعد أن كان يباشر توقيع الدست مدّة ، فلما كان من وفاة الشريف شهاب الدين كاتب السر ما كان وتبعه أخوه أبو بكر شغرت وظيفةُ كاتبِ السرّ وذُكر لها جماعة ، فاقتضى رأىُ السلطان تقريرَ هذا فأرسل إليه فقدم فى شهر رمضان سنة ثلاث

(١) نسبة للإبشيط من قرى المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر ، وقد أشار محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٢ ص ١٥ إلى أن العامة حرفت اسمها فقالت : « لابشيط » مخففة بغير ألف فى أولها مع فتح اللام وسكون الباء ، أما فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢٣٥ فقال : إبشيط بكسر الهمزة ثم موحدة ساكنة بعدها معجمة .

(٢) بنى ابن السفاح بحلب أيضا مدرسة وجامعاً ، أما المدرسة فتسمى بالسفاحية وكانت وقفا على الشافعية و من شرطها ألا يكون لحنفى « حظ فيها إلا فى الصلاة ، وكان جامعه بلا منبر بل بكرسى يحمل ويوضع » ، أنظر ذلك بالتفصيل فى الطباخ : إعلام النبلاء ، ٥/١٩١ – ١٩٤ .

من حلب واستمرّ فى أواخره[1] واستمرّ فيها[2] إلى أن وعك فى شهر رمضان هذه السنة فلم يلبث سوى خمسة أيام ومات .

وكان قليل الشرّ غيرَ مهابٍ ، ضعيفَ التصرّف ، قليلَ العلم جدا ، وكان السلطان يمقته فى طول ولايته مع استمرار خدمته له ببدنه وماله ، ويقال إنه أزعجه بشيءٍ هدّده به فضعف قلبُه من الرّعب ، ومات ليلة الأربعاء .

قال القاضى علاء الدين : « هو أخى من الرّضاعة وكان صديقى . وفيه حشمةٌ ومروءةٌ وعصبيّةٌ وقيامٌ فى حاجة مَنْ يقصده ، ومات فى[3] رابع عشر رمضان عن ثلاث[4] وستين سنة ، وعُيّنَتْ[5] بعده للقاضى شهاب الدين بن الكشك قاضى الحنفية بدمشق فعاد جوابه بالاستعفاء ، فعِيب عليه والتزم بمالٍ يحمله بسبب الإعفاء ، وعُيّن القاضى كمال الدين فإلى أن يحضر استمر الوزير مضافاً إلى الوزارة ، واستقرّ فى الأستادارية آقْبُغَا الجمالى إلى أن قدم كمال الدين » .

٣ — أحمد[6] بن تقى الدّين عبد الرحمن بن العّلامة جمال الدين بن هشام المصرى ، النحوى ، شهاب الدين ، اشتغل كثيراً بمصر وأخذ عن الشيخ عز الدين بن جماعة وغيره والشيخ يحيى الصّيرامى والعُجَيْمى ، وفاق فى العربية وغيرها ، وكان يجيد لعب الشطرنج ، وانصلح بأخرة وسكن دمشق فمات بها فى رابع جمادى الآخرة[7] .

٤ — أحمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله الحنفى بن الكُلُوتَاتى ، الشيخ شهاب الدين وُلد فى شهر رمضان سنة ستٍّ وستين وسبعمائة ، وأجاز له قديماً القاضى عزّ الدين بن جماعة

---

(١) يعنى بذلك أواخر شهر رمضان ٨٠٣ هـ ، لكن انظر س ٧ .

(٢) أى فى وظيفة كاتب السر .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى « كان ذلك يوم الأربعاء ، أنظر أعلاه س ١ — ٢ .

(٤) عبارة « عن ثلاث وستين سنة » غير واردة فى هـ .

(٥) يعنى وظيفة كاتب السر .

(٦) راجع حوليات دمشقية (تحقيق حسن حبشى) ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٧) أضاف البقاعى بعد هذا فى هامش هـ العبارة التالية : « عن نيف وأربعين سنة ، وكان شريف النفس لم يتدنس بشيء من وظائف الفقهاء ، وكان ثاقب الذهن نافذ الفكر ، فاق جميع أقرانه فى هذا السن مع صرف غالب زمانه فى باب الشطرنج » .

وأَحبّ[١] الحديث بعناية صديق أبيه شمس الدين بن الرّفّا فسمع وهو مترعرعٌ منه الكثير ، ثم طاف على الشيوخ فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة وهلمّ جرا إلى أن مات : ما فتر ولا وَنَى ولكنه لم يُنْجِب ، ولم ينتقل عن الحدّ الذى ابتدأ فيه فى الفهم والمعرفة والحفظ والقراءة درجةً ، بل كان شديد الحرص على الاشتغال فى الحديث والفقه والعربية والقراءات ، وأعْلَا مَن عنده السماع ناصر الدين محمد بن على الحرّاوى صاحب الدمياطى ، وسمع من أصحاب ابن الصّواف وابن القيّم ثم من أصحاب ست الوزراء وابن الشِّحنة والوانى والدَّبُّوسى والخَتَنِى ، ثم من أصحاب أصحاب النجيب ، ثم من أصحاب أصحاب الفخر ثم من بعدهم حتى أَقْرَانه ومَن سمع بعده ، وخرَّج لنفسه شيئاً لم يكمله ، وشرع فى اختصار « تهذيب الكمال » فكتب منه شيئاً وتركه ، ونسخ بخطه من تصانيف شيوخنا ثم من تصانيف أقرانه كالقاضى ولىّ الدين وكاتبه[٢] وغيرهما شيئاً كثيراً . وخطّه ردئ ، وفهمهُ بطئ ، ولحنه فاش ، لكنه كان ديّناً خيّراً كثير العبادة على وجهه وضاءة الحديث ، وكان فى أكثر عمره متقلّلاً من الدنيا حتى كان يحتاج أن يتكسّب بالشهادة ، ثم قُرِّر فى قراءة الحديث بالقلْعة بأخرة بعد الشيخ سراج الدين قارئ الهداية ؛ ومات فى يوم الاثنين رابع عشر[٣] جمادى الآخرة .

٥ - حسين بن علاء الدولة بن أحمد بن أُويْس آخر ملوك العراق من ذرية أويس ، وكان اللنك أسره وأخاه حسناً وحملهما إلى سمرقند ثم أُطْلِقا فساحا فى الأرض فقيرَيْن مجرَّدَيْن ، فأما حسن فاتصل بالناصر فرج وصار فى خدمته ومات عنده قديما ؛ وأما حسين فتنقّل فى البلاد إلى أن دخل العراق فوجد شاه محمد بن شاه ولد بن أحمد بن أُوَيْس ، وكان أبوه صاحبَ البصرة فمات ، فملك ولدُه شاه محمد فصادفه حسين وقد حضره الموت فعهد إليه بالمملكة ، فاستولى على البصرة وواسط وغيرهما ، ثم حاربه أصبهان شاه

---

(١) أشار المنهل الصافى ج ١ ص ٣٦٨ (ط . القاهرة) إلى أنه قرأ صحيح البخارى نحو خمسين مرة .

(٢) يعنى ابن حجر بذلك نفسه .

(٣) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « رأيت فيما علقته أنه مات رابع عشرى جمادى المذكور » .

ابن قرا يوسف فانتمى حسين إلى شاه رخ بن اللنك فتقوّى بالانتماء إليه وملك الموصل وإرْبِل وتكريت – وكانت مع قرا يوسف – فقوى أصبهان[1] شاه واستنقذ البلاد ، وكان يخرّب كل بلد ويحرقه إلى أن حاصر حسينا[2] بالحلة مدة سبعة أشهر ثم ظفر به بعد أن أعطاه الأمان فقتله خنقاً[3] فى ثالث صفر من هذه السنة .

٦ – خالد بن قاسم بن محمد العاجلى ثم الحلبى زين الدين ، وُلد فى رمضان سنة ثلاث وخمسين ولازم القاضى شرف الدين بنَ فيّاض وولده أحمد ، وأخذ عن شمس الدين ابن اليونانية وأَحَبَّ مقالة ابن تيمية ؛ وكان من روس القائمين مع أحمد بن البرهان على الظاهر وهو آخر من مات منهم ، وتنزل بالآثار النبويّة ، وكان قد غلب عليه حبّ المطالب فمات ولم يظفر بطائل ، ونزّله المؤيد بمدرسته فى الحنابلة ، ومات فى ثالث ذى الحجة .

٧ – عبد الله بن نور الدين محمد بن قطب الدين عبد الله بن حسن بن يوسف ابن عبد الحميد بن أبى الغيث البَهْنَسى ، قطب الدين ويقال له أيضا جمال الدين ، وُلد فى رجب سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، واشتغل وسمع الحديثَ وقال الشعر ، وكان موسراً لكنه كان كثير التقتير على نفسه جداً ، وأُصيب فى عقله بآخره وأكمل الثمانين . مات فى شهر رمضان .

قرأْت بخط الشيخ تقىّ الدين المقريزى : « أنشدنى جمال الدين البهنسى لنفسه :

إذَا الخِلُّ قَدْ ناجاك بالهَجْر فاصْطَبِرْ وسامِحْ لَهُ واغْفِرْ بنُصْحٍ ودَارِهِ

فإنْ[4] عَادَ فَاقْلِيه وَلَا تَذْكُرِ اسْمَهُ وحوِّل طَرِيقَ القَصْدِ عنْ باب داره

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ٨٢١/٦ حيث ورد « اصبهان بن قرا يوسف »

(٢) فوق هذه الكلمة فى ه « كذا » ولكنها « حسينا فى نسخة ظ .

(٣) نقلت شذرات الذهب ٢١٣/٧ هذه الترجمة من أولها حتى هذه الكلمة دون الإشارة إلى أخذها إياها عن الإنباء ، على أنه لم ترد عبارة « فى ثالث صفر » فى ظ .

(٤) الوارد فى ز ، ه ، وشذرات الذهب ٢١٤/٧ « فإن عاد فاقله لا تذكر اسمه » ، لكن راجع الضوء اللامع ٢٠٠/٥ .

٨ ــ عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على بن هاشم التَّفَهْنى القاضى زين الدين الحنفى ، وُلد سنة بضع [١] وستين ، وسألتُ أخاه شمس الدين ــ أحد من ينوب بدمياط فى الحكم عن النائب بها ــ عن مولده فذكر أنَّه وُلد سنة ٤٣ وأنَّه أسَن من القاضى زين الدين بعشرين سنة ، ولستُ أرتاب فى مجازفته [٢] فى كل ذلك .

ومات أبوه وهو صغير فانتقل إلى القاهرة وهو شاب وتنزل فى مكتب اليتامى بمدرسة صرغتمش ، ثم ترقّى إلى أن صار عريفاً به وتنزّل فى الطلبة هناك ، ولازم الاشتغال ، ودار على الشيوخ فمهر فى الفقه والعربية والمعانى ، وجاد خطّه وشهر اسمه ، وخالط الأتراك وصحب بدر الدين محمود الكُلُسْتَانى ــ كاتب السرّ ــ فاشتهر ذكره ، وناب فى الحكم عن الطرابلسى ، ثم عن ابن العديم كمال الدين ، ونَوَّه به كمالُ الدين عِنْد الأكابر ، وكان قد تقرر فى طلبة الشَّيخونيَّة وولى كمال الدين مشيختها فصار من أفاضلهم [٣] ، وولى تدريس الصرغتمشية بعناية ابن العديم بعد أن تنازع فيها هو والشيخ شرف الدين التبّانى وحضرها التبانى ثم انتزعت منه .

وتزوّج فاطمة بنت شهاب الدين المحلّى كبير التجار بمصر فعظُم قدره ، وسعى فى قضاء الحنفية بعد موت ناصر الدين بن العديم وراج أمره ، ثم لم يتم ذلك وولى شمس الدين ابن الدَّيرى ، ثم لما قَرّر المؤيدُ الديرىَّ فى مشيخة المؤيدية فوّض إليه [٤] قضاء الحنفية فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين فباشرها مباشرة حسنة .

وكان حسنَ العشرة ، كثير العصبية لأصحابه ، عارفاً بأمور الدنيا ومخالطة أهلها ، على أنَّه يقعُ منه فى بعض الأمور لجاج شديدٌ يُعاب به ولا يستطيع أن يتركه ، وصُرف عن القضاء فى سنة تسع وعشرين بالعَيْنى ، ثم أُعيد فى سنة ثلاث وثلاثين ، ثم صُرِف قبل موته فى جمادى الآخرة ومات فى تاسع [٥] شوال ، وكان قد انتهت إليه رئاسة أهل

---

(١) ذكر الضوء اللامع ٤/٢٨٥ أنه ولد سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « تقدم قريبا فى الحوادث أن قاضى القضاة شمس الدين البساطى شهد بمعرفته سنة ثمانين بالغاً ، فانتفت المجازفة » .

(٣) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٢٨٥ إلى أن صاحب الترجمة صار من أفاضل طلبة الشيخونية وقت أن كان شيخها الكمال بن العديم يجلس ثانى من يجلس عن يمينه فى الدرس والتصوف .

(٤) الضمير هنا عائد على التفهنى .

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان ذلك ليلة الأحد منه » .

مذهبه ، ويقال إن أم ولده دسَّتْ عليه سما لأن زوجته لما ماتت ظنت أم ولده أنها تنفرد به فتزوّج امرأةً وأخرج الأمَة فحصلَتْ لها غِيرة ، والعلم عند الله تعالى ، والله يسامحه[1] .

٩ ــ عمر بن أبي بكر بن عيسى بن عبد الحميد ، المغربي الأصل ، البصروى . زين الدين ، قدم دمشق فاشتغل بالفقه والعربية والقراءات وفاق فى النحو ، وشغل الناس وهو بزىّ أهل البر ، وكان قانعاً باليسير ، حسنَ العقيدة ، موصوفاً بالخير والدين ، سليم الباطن ، فارغاً من الرئاسة . مات فى رابع جمادى الآخرة .

١٠ ــ عيسى بن محمد بن عيسى الأَقْفَهْسى الشافعى ، شرف الدين ، أحدُ نواب الحكم ، مولده سنة خمس وخمسين[2] وتفقَّه وعرف كثيراً من الفروع وكان يستحضرها ، وناب فى الحكم مدّةً طويلة ، ومات فى ليلة الجمعة فى سادس عشرى جمادى الآخرة ــ ولم يكن مشكوراً ــ وأظنه جاوز الثمانين ، وكان يذكر أنه حضر دروس الشيخ جمال الدين الإسنوى ثم لازم شيخنا البُلْقينى وقرأ عليه « منهاج الأصول » ورأيت خطَّهُ له بذلك ، وفيه أنه أذن له فى التدريس ، وفيه إلحاق الفتوى بخط شرف الدين نفسه الذى لا يخفى فوق كشط ، وسمع « الصحيحين » ، وكانت إجازة الشيخ له فى سنة ٧٥ فعاش بعدها ستين سنة ، وكان يذكر أنه ناب فى الحكم فى بعض البلاد عن البرهان بن جماعة . سامحه الله .

١١ ــ محمد بن سعد الدين ، جمال الدين ملك الحبشة المسلمين ، قُتِل فى جمادى الآخرة وكانت ولايتهُ بعد فقْد أخيه منصور فى سنة ثمانٍ وعشرين ، وكان شجاعاً بطلاً مُدبماً للجهاد . وكان عنده أميرٌ يقال له « حوب جوشن » وكان نصرانيا فأسلم وحسُن إسلامه وكان لايُطاق فى القتال فهزم الحبشة الكفارَ مرارا وأنكى فيهم ، وغزاهم جمال الدين مرةً ومعه حرب جوشن فغَنِم غنائمَ عظيمةً حتى بيع الرأس الرقيق بربطة ورق ،

---

(١) عبارة « والله يسامحه » غير واردة فى ز .

(٢) فى ظ « وسبعين » وقد صححت السنة بناء على ما ورد فى نهاية ترجمته من أنه مات وقد جاوز الثمانين ، كما أنه أخبر فى سنة ٧٧٥ ، « فعاش بعدها ستين سنة » . هذا وقد ذكر الضوء اللامع ٦/٥٠٣ مولده سنة خمس وسبعمائة وهو خطأ ، ولم ترد أية إشارة فى ظ ، ولا فى شذرات الذهب إلى سنة مولده .

وانهزم منهم مرة الحِطِّىُّ صاحبُ الحبشة ، ولم يزل جمال الدين على طريقته فى الجهاد حتى ثار عليه بنوعمه فقتلوه فى هذه السنة .

وكان من خير الملوك ديناً ومعرفةً وقوةً وديانةً ، وكان يصحب الفقهاء والعلماء ، وينشر العدل فى أعماله حتّى فى ولده وأهله ، ومن جملة سعده هلاك الحطى إسحق[١] بن داود ابن سيف أرعد فى أيّامه فى سنة ثلاث وثلاثين وأقيم بعده أندراس ؛ وأسلم على يد جمال الدين خلقٌ كثير من الحبشة ، واستقرَّ بعده فى مملكة الحبشة المسلمين أخوه شهاب الدين أحمد ويلقب « بدلاى » ، فأوّل ما صنع جَدَّ حتى وجد قاتل أخيه فاقتصّ منه .

١٢ ــ محمد أبو عبد الله بن صاحب المغرب أبى فارس عبد العزيز ، مات وكان ولىّ عهد أبيه فأسف عليه أبوه أسفاً كثيراً ، وكان موصوفاً بالشهامة ومكارم الأخلاق ، ولا تُعْرف له صَبْوَةٌ إلاّ فى الصّيد ، وكان أبوه قد تخلّى له عن المُلْك غير مرة فيمتنع ويبالغ فى الامتناع فقُدّرتْ وفاته بطرابلس الغرب بزاويته التى أنشأها هناك وكثر الأسف عليه ، ويقال إنه كان مغرماً بالجوارى وكان أبوه يعرف ذلك فكان يقول له : « إيّاك والنّساء ! » ويكرّر ذلك فى المجلس حتى يخجله ولا يرتدع ، وكان حَدث له ورم فى ركبتيه فكان أبوه يخشى عليه من كثرة الجماع فقُدِّر أنَّ وفاته كانت بسبب ذلك فيما يقال .

١٣ ــ محمد بن ناصر الدين محمد بن محمد [بن[٢] محمد بن مسلم بن على ابن أبى الجد] الحافظ تاج الدين الكركى ، ابن الغَرَابيلى سِبط العماد الكركى ، وُلد سنة ستٌ وتسعين بالقاهرة حيث كان جدُّه لأمّه حاكماً ونقله أبوه إلى الكرك حيث عمل إمرتها ، ثم تحوّل به إلى القدس سنة سبع[٣] عشرة فاشتغل وحفظ عدة مختصرات كالكافية لابن الحاجب و«المختصر» الأصلى ، و«الإلمام» و «الألفية فى الحديث» ، ولازم الشيخ عمراً البلْخِىَّ فبحث عليه فى « العضد » والمعانى والمنطق ، وتخرّج أيضاً بنظام الدين قاضى العسكر

---

(١) راجع ص ٤٤٣ سنة ٨٣٣ ترجمة رقم ١١ .

(٢) الإضافة من هـ ، هذا وقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٧٥٧/٩ أنه يعرف بابن مسلم « كمحمد » ومكانها فى ظ فراغ .

(٣) هكذا أيضا فى شذرات الذهب ٢١٥/٧ نقلا عن ابن حجر ، لكنها « سبع وعشرين » فى الضوء اللامع ٧٥٧/٩ .

وبابن الدَّيْرى الكبير ، ومهر فى الفنون ، إلاّ الشعر ، ثم أقبل على الحديث بكليته فسمع الكثير وعرف العالى والنازل ، وقيّد الوفيات وغيرها من الفنون ، وشرع فى شرحٍ على « الإلمام » ؛ وذكر لى بعض أصحابه أنه أقبل على الحديث من سنة خمسٍ وعشرين فأقبل على النظر فى التواريخ[1] والعلل ، وسمع الكثير ببلده ورحل إلى دمشق ، ورحل إلى القاهرة فلازمنى إلى أن حرّر نسخته من « المشتبه » غاية التحرير ، واغتبط به الطلبة لدماثة خلقه وحُسْنِ وجهه وفعله ، وقُدِّرت وفاته فى جمادى الآخرة بعد أن هم بالحج صحبةَ ابن المرأة[2] فلم يتهيّأ له ذلك ووعك إلى أن مات .

وكان من الكملة : فصاحةَ لسانٍ وجرأةً ومعرفةً وقياماً مع أصحابه ومروءةً وتودّداً وشرفَ نفس وقناعةً باليسير وإظهاراً للغنى مع قلة الشئ ، وقد عُرِض عليه كثيرٌ من الوظائف الجليلة فامتنع واكتفى بما كان تحَصّل له من شيءٍ كان لأبيه ، وكان الأكابر يتمنون رؤيته والاجتماع به لما بلغهم من جميل أوصافه فيمتنع إلاَّ أنْ يكون الكبيرُ من أهل العلم . رحمه الله تعالى .

١٤ — يحيى بن عبد الله القبطى ، علم الدين أَبُوكُمْ ، باشر نظر الأسواق ثم ولى الوزارة فى دولة فرج ثم خمل وحجّ وجاور بمكّة إلى أن مات فى ٢٢ رمضان بالقاهرة وقد جاوز السبعين ، وكان إسلامه حسناً .

* * *

---

(١) أمامها فى هامش د بخط البقاعى : « وله مصنف فى الحمام ، مجلد لطيف جمع فيه بين المنقول والمعقول ، ذكر فيه ما ورد فى الحمام من الأخبار والآثار محللا له بأقوال العلماء فى دخوله وما يتعلق بالعورة واستعمال الماء فيه والاستياك والوضوء والغسل وقدر المكث فيه وحكم الصلاة وأفضل الحمامات وأحسنها وما يتصل بذلك من الطب ، وحكم أجرة الحمام وغير ذلك . وهو حسن جداً » ، ويلاحظ أن هذا الوصف قد نقله بنصه السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ٩ ص ٣٠٧ س ٨ — ١٢ ، إذ كثيراً ما ينقل السخاوى عن عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران للبقاعى الذى يحققه ناشر إنباء الغمر .

(٢) يعنى بذلك إبراهيم بن المرأة .

سنة ست وثلاثين وثمانمائـــة

فى المحرم حُوِّلَت السنةُ الخراجيّةُ على العادة ، وكان أول السنة الخراجية ثانى يوم المحرم . وكان أوّله[1] يوم الجمعة فأول السنة الخراجية يوم السبت ، وكان الذهب الأشرفى حينئذ بمائتين وسبعين ، وانتهت زيادةُ النيل إلى خمسة أصابع بعد العشرين .

وفى السادس والعشرين منه غضب السلطان على آقْبُغَا الجَمَالى الأُستادار فضربه بحضرته عدة مقارع ونحو ثلاثمائة عصا على ما قيل وأُنزل على حمارٍ إلى بيت والى الشرطة ، وأُعيدت الأُستادارية إلى الوزير وانْفصل من ولايةِ كتابة السر ، وكوتب كمال الدين محمد ابن ناصر الدين محمد البارزى — وكان قد استقر قاضىَ الشافعية بدمشق — لِيَلِىَ كتابةَ السّرّ ، فوصل يوم الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول ، ولم يلبس[2] حتى حَمل المال الذى قُرِّر عليه بسبب ذلك ، وخُلع عليه فى يوم السبت العشرين منه وقرئ تقليده فى يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ، فلم يقم إلا قليلا حتّى تحرك السلطان للسفر إلى الشام فخرج معه واستقرّ فى قضاء دمشق صهرُه بهاء الدين بنُ حِجّى ، وعُرضت كتابة السر على شهاب الدين بن الكشك فاعتذر بضعفِ بصرِه فقرر فيها تاج الدين عبد الوهاب بن أَفْتَكِين وكان أحدَ الموقّعين بها ويتوكّل عن كاتب السر بمصر ابن مزهر .

وكان الشّتاء فى هذه السنة معتدلاً بحيث لم يقع به بردٌ شديدٌ سوى أسبوعٍ ، وبقيّته يشبه مزاجه مزاج فصل الربيع فى الاعتدال .

وفى هذا الشهر أَظهَرَ السّلطانُ الجِدَّ فى التوجّه إلى بلاد الشّمال وأَعلم الناس بذلك فتجهّزوا .

وفى حادى عشر جمادى الاخرة أُنْفِق على العسكر ثم أُنفق فى المماليك فى سلخ جمادى الآخرة وهم أَلفٌ وسبعمائة .

---

(١) أى أول محرم .

(٢) أى لم يلبس خلعة كتابة السر حتى حمل المال المفروض عليه .

وفى ربيع الأوّل استقر محيى الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحَيْحَانى[١] المالكى فى قضاء دمشق عوضاً عن الشهاب الأموى بحكم وفاته .

وفى ثانى عشر شهر رجب أُدير المحملُ المكىُّ بغير زينةٍ ولا سوْق الرِّماحة ولا رَمْيِ النفط ، ولم يصل المحمل إلى مصر على العادة[٢] بل رجعوا من الصّليبة .

وفيها حجّ صاحبُ التّكرور فى جمع كبير ، ولمّا رجع من الحج وسار إلى الطور ليركب البحر مات ودُفن بالطور .

وفى رجب كانت كائنة القاضى سراج الدين الحمصى بطرابلس مع الشيخ شمس الدين ابن زُهْرة شيخ الشافعية بطرابلس ، وذلك أنه بلغه ما وقع بين علاء الدين البخارى والحنابلة فى أمر الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وأن الشيخ علاء الدين البخارى أفتى بأن ابن تيمية كافرٌ وأن من سماه « شيخ الإسلام » يكفر ، فاستفتى عليه بعض من يميل لابن تيميّة من المصريين فاتّفقوا على تخطئته فى ذلك وكتبوا خطوطهم ، فبلغ ذلك الحمصى فنظم قصيدةً تزيد على مائة بيت بوفاق المصريين .

وفيها أن من كَفَّرَ ابنَ تيمية هو الذى يكفر ، فبلغ ذلك ابن زهرة فقام عليه ، فقال : « كفر القاضى » ، فقام أهل طرابلس على القاضى وأكثرهم يحب ابن زهرة ويتعصّب له ؛ ففر الحمصى إلى بعلبك ، وكاتَبَ أهلَ الدولة فأَرسلوا إليه مرسوماً بالكف عنه واستمراره على حاله ، فسكن الأمر .

* * *

وفى صفر استقر فى نيابة البحيرة حسن[٣] بَاكْ بن سالم الدّكْرِى أحد أُمراء التركمان وخُلع عليه ، وأُمر له بمائةِ قرقل ومائة قوس ومائة تركاش وثلاثين فرسا .

---

(١) وردت فى ه « الحيحائى » وفى هامشها بخط البقاعى : « الحيحى المغربى » وضبطها بسكون الياء وكسر الحاء الثانية .

(٢) تفسير ذلك عند أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦٨٨/٦ أنه بسبب اشتغال الرماحة بالتجهيز للسفر صحبة السلطان ، أما ابن الصيرفى فقد اكتفى فى نزهة النفوس ، ورقة ٤٧ ا ب ، بما أورده ابن حجر فى المتن دون الإشارة إلى السبب .

(٣) كان حسن بك هذا ابن أخت قرايلك ، ويلاحظ أن النجوم الزاهرة ٦٨٢/٦ س ٧ — ١٠ نقلت هذا الخبر عن ابن حجر .

وفى أواخره ضُربت رقبةُ نصرانىٌّ كان أسلم خوفاً من الوالى ، لأنه ظُفِر به مع امرأة سلمة ، ثم بدَّله بعد ثلاثةِ أيّام فارتدّ فقُتِل وأُحرِقَت جثته .

وفى سابع عشر جمادى الآخرة أُعيد دُولَات خَجَا إلى ولاية القاهرة .

* * *

ذكر السفرة الشمالية

فى يوم الجمعة تاسع عشر شهر رجب ، وهو أول يوم نزلت فيه الشمس الحمل ، رَحلَ السلطانُ من الرّيدانية قبل صلاة الجمعة بقدر نصف ساعة ، فصلَّينا الجمعة بالقاهرة وسرنا فبتنا مع العسكر بالعكرشة ، ورحل سحراً فوصل بلبيس قبل الظهر ، ورحل عند طلوع الفجر فنزل الخطَّارة[1] بعد الظُّهر وحَلَّ نصفُ الليل فوصل إلى الصَّالحية بعد طلوع الشمس يوم الاثنين ، ثم رحل منها فى تاليه — الثلاثاء — إلى الغَرابى[2] بعد العشاء بكثير ، فقطع أربعة برد : بير الوالى ثم العاقول ثم بير حيوه ثم الغرابى ، ورحل يوم الأربعاء وقت الزوال فوصل قَطَيَا بعد العصر ، والأَثقالُ بعد المغرب ، وأقام إلى أن رحل منها بكرةَ يومِ الجمعة فوصل السوادة[3] بعد العشاء وهى ثلاثة : معن[4] ثم المُطَيْلِب[5] ثم السّوادة ، ثم رحل

---

(١) يوجد فى مصر أكثر من مكان باسم « الخطارة » ، على أن الموضع المقصود فى المتن هو قرية قديمة من أعمال محافظة الشرقية ، راجع القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ١١٢ .

(٢) الغرابى من البلاد المندرسة بين مصر وغزة ، وقد ذكر المرحوم محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ج١ ص٨٩ أن البحث دله على أن مكانها اليوم حوض أبو غرب فى رمال دبة الغرابيات على بعد أحد عشر كيلو مترا بأراضى قسم سينا الشمالى .

(٣) السوادة من محطات البريد بين مصر والشام على طريق فاقوس وتعرف باسم ناحية سوادة ، انظر القاموس الجغرافى ٧٢/١ .

(٤) معن قرية من قرى محافظة الشرقية ولكنها اندثرت ، وقد ذكر محمد رمزى أن تحرياته دلته على أن مكانها اليوم تل الجارودية بناحية التّرزية بمركز منيا القمح ، انظر القاموس الجغرافى ج ١ ص ٤١٢ .

(٥) المطيلب محطة من محطات البريد بين مصر وغزة ، انظر القاموس الجغرافى ١١٢/١ .

قبل طلوع الشمس فوصل إلى العريش بعد العشاء وهى ثلاثة برد : الواردة[١] ثم بردويل[٢] فبات بالعريش ليلة الأحد ورحل فى الثالثة إلى الخرّوبة ثم الزَّعْقَة قبل المغرب ، ثم رَحَل بعد نصف الليل أول يوم من شعبان فاجتاز على رفح ثم خان يونس ، ثم نزل خارج غزة ثم دخلها وقت العصر سلخ رجب فدخلها فى موكب عظيمٍ فبات خارجها إلى جهة الشام ، وسَلَّمنا على السلطان يوم الثلاثاء وهنيّناه بالسلامة وبالشهر ، وكان ثَبَتَ عندهم يوم الاثنين ، وحَصَلَ من الجند فى زَرْعِ الناس فسادٌ كبيرٌ ، وأقام بها إلى ليلة الخميس فرحل فوصل إلى المجدل[٣] بعد طلوع الشمس ونزل بموضع يقال له السّكريّة ، ووقع فى تلك الليلة برد شديدٌ عند السحر أشدّ من الشتاء المعتاد بعد أن كان فى النهار شديداً إلى الغاية ؛ ورحل بعد المغرب على طريق العَوْجَاء ولم يدخل الرَّمْلة ، واجتاز ببازور ورحل قبل طلوع الشمس يوم السبت إلى قاقون[٤] ، وهى منزلةٌ[٥] نزهةٌ لكثرة الخضرة والنضارة ، فترك بعد العصر إلى اللّجون وهى منزلةٌ وعرة إلى الغاية فنزل بعد الظهر ، ورحل يوم الإثنين أول النهار فنزل بيسان وهى طريق وعرة بعد المغرب ، ورحل قبل الفجر إلى جسر المجامع ، وحَصل فيه لهم وحلةٌ عظيمةٌ عند القنطرتين ، وهناك النَّهر من بحيرة طبرّية فوصل إلى الكرى آخر النهار ليلة العاشر .

---

(١) الواردة من البلاد المندرسة وهى منزل فى طريق مصر من الشام فى وسط الرمل والماء والملح ، وهى فى إقليم سيناء أنظر أيضا المرحوم محمد رمزى فى النجوم الزاهرة (ط . القاهرة) ١٣/٧ حاشية رقم ١ حيث ذكر أنه تبين له أن مكانها اليوم يعرف باسم « المزار » على بعد ١١٠ كم شرق القنطرة الشرقية ، أما الخروبة فهى محطة للبريد بين مصر وغزة ، وفى خط سير سعاة البريد بين العريش ورفح ، انظر القاموس الجغرافى ، ق ١ ص ١٢٤ — ١٢٥ ، ٥٣ ، أما الزعقة فهى الأخرى من البلاد المندرسة ، كما أنها محطة بريد بين العريش ورفح ، ص ٦٦ .

(٢) فيما يتعلق بسبخة بردويل راجع الانتصار لابن دقاق .

(٣) وردت فى كتاب .Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 496 نقلا عن أبى الفداء أنها فى الطريق بين بعلبك ووادى التيم ، ثم ذكر أن المقدسى يسميها « بمجدل سلم » ، ويعتمد مرة أخرى على أبى الفداء فى أنها قريبة من « عين الجر » التى عرفها مراصد الاطلاع ٩٧٧/٢ بأنها بين بعلبك ودمشق ، ويبدو أن « المجدل » هذه غير ما يراد بها فى المتن .

(٤) عرفها معجم البلدان ومراصد الاطلاع ١٠٥٩/٣ بأنها حصن بفلسطين قرب الرملة وأنها من عمل قيسارية من ساحل الشام ، ونقل هذا التعريف عنهما لسترانج فى Palestine under the Moslems, p. 475 وأضاف أنها هى التى عرفها الصليبيون باسم Caco أو Cohaco أو Quaquo

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « المنزلة النزهة هى التى سماها السكرية من جهة طواحين العوجاء لاقاقون ، واللجون غير وعرة ، إنما الوعر الطريق إليها من وادى عارا فلو قال « مرحلة » لاستقام .

وطلع العقبة وهى كثيرة الوعر مع الخضرة فى أرضها فنزل بالخربة الظهر ، وبات ليلة الحادى عشر فوصل نائبُ الشام والقضاة أول النهار وسلموا ، وسار ليلةَ الجمعة سحرا إلى العَذْوانية فنزل الظهر ، وفى الطريق قنطرة حصل عندها ازدحامٌ شديد . ورحل ليلة السّبت إلى شقحب بعد الظهر والطريق إليها شديد الوعر جدا وفيه مخاضات ، وهى أرضٌ فيحاء خضرة . ووصل ليلةَ الرابع عشر قبل الفجر إلى قُبّة يلْبغا ومَرّ على خان ذى النون والكسوة فبات ليلةَ النّصف ،وأصبح فعمل الموكب ودخل دمشق من أول النهار إلى أن وصل الخيام ببرزة ، وهبت فى آخر النهار ريحٌ شديدة .

وفى صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشره هنّيْنا السّلطان بالسلامة . وعَقَدْتُ مجلس الإملاء بدمشق ، فاستملى[1] القاضى نور الدين بن سالم ، وحَضَر الحافظُ شمسُ الدين بنُ ناصر الدين والقاضى شهاب الدين بن الكشك وجمعٌ وافر .

وفى السابع عشر عُقد مجلسٌ بسبب وقفٍ حكمَ فيه نائبُ الحنفىّ فاعترضه الشيخُ علاءُ الدين البخارى وأفتى بنَقْص[2] حكمه ، فاتّفق الجماعةُ على استمرار الحكم ونفّذوه بحضرة الدويدار الكبير ، وامتنع ابنُ حجّى من التنفيذ حتى يأذن له الشيخ علاء الدين فلم يلتفتوا إليه ، وصلينا الجمعة بالقابون ، ورحل السلطان بعد طلوع الفجر العشرين فنزل بمرج عذرا ، ورحل بعد صلاة الفجر ، وفى الطريق مخاضاتٌ ووعْرٌ ؛ ونزل القطيفة ووصل إلى النّبك فى صبيحة الثانى والعشرين .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « هذا وهم محقق ، والذى استملى إنما هو ابراهيم العجلونى ، وأما ابن سالم فاستملى فى حلب ، وإبراهيم هذا يعرف بين أهل عجلون بابن العرز وهو مشهور بدمشق بفضائح وسبب استملائه أنه كان من ملازمى الشمس بن ناصر الدين محدث دمشق فلاقى شيخنا إلى منزلة الخربة وأهدى إليه وسأله فى ذلك فأجابه ، فلما ذهب بينت لشيخنا ما يقول الناس فيه وأنه ساقط الاعتبار عندهم لا سيما عند الشافعية فإنهم ينسبونه إلى الميل مع الحنابلة ، وأنه إن استملى شق عليهم كثيراً فسكت ، فلما احتبك المجلس استملى فلم يمنع » . ونضيف إلى ما ذكره البقاعى أن السخاوى فى الضوء اللامع ٧٥٣/٥ أورد فى ترجمة على بن سالم بن معالى الماردينى الشافعى المعروف بنور الدين بن سالم أنه ممن لازم ابن حجر «أتم ملازمة وعظم اختصاصه به ، وقرأ عليه صحيح البخارى فى سنة خمس عشرة » ثم قال إنه كان ممن سافر معه فى سنة آمد ، يعنى سنة ٨٣٦ هذه ، ثم قال « وقدمه للاستملاء عليه بالديار الحلبية » وبذلك تصح ملاحظة البقاعى ، انظر أيضا : عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران للبقاعي وهو قاموس الأعلام الذى يحققه ناشر إنباء الغمر .

(٢) يجوز فيها أيضا « نقض » .

ورحل وقت الظهر إلى مكان عُيُونِ القصب واجتاز فى هذه الرحلة بقارا وحسبان[١] وكانت شديدة المشقة ، ووصل هناك نائبُ طرابلس ونائبُ حماة .

ورحل قبل الفجر رابع عشرى شعبان إلى حمص فنزل بظاهرها يوم الخميس ورحل منها صبح يوم الجمعة ، وزار [قبر] خالد بن الوليد وأمر لمن فيه بمائة دينار ، وكان الزحام على جسر الرستن شديدا ، ونزل الرَّسْتن فى أرضٍ وعرة ، ورحل سَحَراً ودخل حماة بعد طلوع الشمس يوم السبت ، ورحل بعد صلاة الجمعة فنزل العيون يوم الإثنين نصف الليل ورحل قبل الزوال فنزل تل السلطان ، وأمطرت السماء على الناس مطرا شديداً ولاقوا شدَّةً حتى نزلوا نصف الليل تلَّ السلطان فبات إلى ليلة الخميس[٢] .

وهُنِّئَ السلطانُ بالشَّهر ، ووصل قضاة حلب فسلموا وذكروا أنهم لم يروا هلال رمضان ليلة الثلاثاء ، ثم تبين أنه ثبت لغيرهم .

ورحل يوم الخميس ثم نزل قنسرين[٣] ليلة الجمعة ثم رحل فنزل عين مباركة بعد الظهر يوم الجمعة ، ثم رحل صبيحة يوم السبت خامس شهر رمضان فى موكب هائل إلى حلب ، فنزل الشافعى عند القاضى الشافعى ، والحنفى فى منزلٍ وحده ، والمالكىُّ والحنبلى جميعاً فى مدرسة .وكانت الإقامة بحلب خمسةَ عشر يوماً . وفى أثنائها استقر القاضى محب الدين بن القاضى محب الدين بن الشِّحنة فى قضاء الحنفية بحلب وكانت الوظيفةُ شاغرةً منذ تَّحوَّل باكير إلى القاهرة . وحضر إلى السلطان أكابرُ أمراء التركمان مثل ابن رمضان وابن قراجا ، ومن أُمراء العرب .

---

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « لعله حشية » .

(٢) فى ه « السبت » .

(٣) انظر عنها Le Strange : op. cit. pp. 486-87. حيث ذكر أنها تسمى عند الأوربيين باسم Chalcis

وفى الثامن من شهر رمضان أغار[١]..

وفى السّادس عشر من شهر رمضان تقدّم إلى جهة الفرات نائبُ طرابلس ونائبُ صفد ونائبُ حماة ونائبُ غزة ، وجاء الخبر بأن الجسر عمر وأُتْقِن ، وأن قَرْقُماس البدوى العاصى أرسل جماعةً ليحرقوه فأُمسِك منهم أكثر من عشرين ، وسافر بعدهم نائبُ حلب فى تاسع عشر رمضان ، ورحل السلطان وجميع العسكر فى ليلة الحادى والعشرين من رمضان ، وأُذن للقاضيين المالكى والحنبلى فى الإقامة بحلب وسافر صحبتَه الشافعى ، وكان الحنفى استأذنه أن يزور أهله بعينتّاب فأذن له ؛ فلما رحل السلطان من حلب أرسل إليه مرسوماً أن يلاقيه بالبيرة .

وفى رابع عشرى رمضان أغار قَرْقُمَاس البدوى على ابن الأقرع البدوى فقتله واستاق من ماله نحو مائتى بعير ، وخَرج نائبُ الغيبة بحلب فى طلبه فلم يظفُر به .

وفى يوم الجمعة اجتاز السلطانُ الجسرَ المعدَّ على الفرات ، واجتاز العسكر بعده[٢] أوّلا فأولاً فلم يتكاملوا إلى بقية يوم الأحد لكثْرتهم ، فلما كان الأحد وقت الظهر أذِن السلطانُ القاضِيَيْن الشّافعى والحنفى فى الرجوع ، فلما سلّم عليه الشافعى خَيَّرَهُ بين الإقامة بالبيرة أو بحلب ، فاختار التوجّه صحبةَ الحنفى إلى عينتاب ليأكل ضيافَته ببلده ، ثم يتوجه إلى حلب ، فأذن له فى ذلك وأصحبه أميراً وصحبته خمسةٌ من الرّماة . وتوجها صحبة الأمير

---

(١) فراغ فى الأصول بقدر ثلاث كلمات ، وأمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « أخبرنا القاضى محب الدين المشار إليه أن ساعة شافهه الأشرف بالولاية استنطقه بالولاية وكيفياتها ونجالها وطال استدعاؤه لذلك ، وعارضه القاضى كمال الدين البارزى كاتب السر فى بعضه فأجابه السلطان إلى جميع ما سأل فيه فانصرف ، ونسى أن يقرأ الفاتحة ويدعو للسلطان ، فشكره السلطان بعد ذهابه على حسن استدعائه وتفصيله للأمور وقال : ما ولى عنى أحد ولاية أصبح منه ، لكنه لم يدع لى . قال : فلما بلغنى ذلك خجلت منه فقلت :

يا أشرفاً بالنصر دام مؤيـــداً ... عم الورى لمـا قـدمت سرور
ولسان حال الكون أصبح منشداً ... سر حيث شئت فجيشك المنصور

ثم لما ودعناه للسفر إلى جهة آمد أنشدته إياهما فسر بذلك وقال : «ماشاء الله» ؛ وقال : والله وجهك حسن وقولك أحسن » .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٦٩٥ أن السلطان نزل البر الغربى من الجسر -- أعنى ناحية حلب -- وأمر الأمراء أن تقوى الجسر بأطلابها قبله ، ثم يشير بعد ذلك إلى أنه بعد مرورهم جاء السلطان فعبره ونزل قلعة البيرة ، وكان ذلك يوم ٢٦ رمضان سنة ٨٣٦ ؛ ونحن نرجح هنا رواية أبى المحاسن فقد كان شاهد عيان حيث يقول فى وصف نزول السلطان على الرها « وجدناها خراباً » ، أما ابن حجر فقد بقى فى حلب واكتفى بمصاحبة السلطان حتى هذه المرحلة من السفرة .

فدخلا عينتاب قبل العيد بثلاثةِ أيام ،ثم صلَّينا العيد وتَوجَّهْتُ إلى جهة حلب، وتخلَّف العينى ببلده أياماً ثم وصل إلى حلب فى حادى عشر شوال .

وفى الثامن والعشرين من شوال كُسفت[1]الشمس بعد العصر واستمرت إلى قرب الغروب فانجلت بعد أن صلَّيْتُ بالجماعة بالجامع الكبير صلاة الكسوف على الصورة المشروعة فى السُّنةِ النبوية ، فما سلَّمْتُ إلاَّ وقد انجلت وغربت الشمس ، فصلَّينا المغرب بالجامع وانصرفنا بغير خطبة ؛ وكنت بعد السلام من الصَّلاة أَرْسلتُ بعض الشهود ليصعد المنارة ليشاهدَ الشمس هل تم انجلاؤها ؟ فصعد وعاد بأنها انجلت انجلاءً تاما ، وذكر أنه صادفَ فى طلوعه رجلاً يفجر بشاب فى سُلَّم المنارة وتعَّجبْتُ من جرأته فى مثل تلك الحال .

وأمّا العسكر فاستمر السلطانُ حتى وصل الرها فعبروها فوجدها خاليةً ، واستمر إلى آمد فنازلها أوّلَ يوم ، وقُتل من الفريقين جماعةٌ ، وتُبُيِّن أَنَّ بها ولد قَرَايَلك وجماعةً من العسكر، وأنها فى غاية الحصانة فلم يقدر عليها ، فنصب عليها منجنيقا وأقام فى عمله مدّةً ، ثم تبين أن قرايلك مقيمٌ بجبل بالقرب من آمد فتوجَّه إليه بعض العسكر وأوقع به فساقه العسكر فانهزم مكيدةً ، ثم عَطَف عليهم لَمَّا عَرف بُعْدَهم من الجريدة فأَوقع بهم فانهزموا ، ورَامُوا من أَمير الجريدة أن يتبعه فخشوا من كيده فتركوه ، وبلغَ السلطانَ ذلكَ فغضب منه ، ويقال إن نائب الشام[2] كان غضب من تَقَدُّمِ إينال الجَكَمى عليْه فقَصَّر فى طلب قرايلك مع قدرته عليه لشهامته وفروسيته ، وكلٌّ شيءٍ له أجل محدود لا يتعداه ، وصاروا فى شدّةٍ فى زمن حصار آمد من كثرة الحرّ والذباب ووخم الأَرض من الجيف المقتولة ، وعزّت الأَقوات فوضعوا أيديهم فى الزروع التى فى ضواحى البلد فأَفسدوها ونقلوا ما بها من

(١) أمام هذا الخبر فى هامش ه « كان كسوفاً كثيفاً بحيث أن الوقت أظلم حتى ظننا أن المغرب حضر وقته ، ثم تيقظنا فغلب على الظن أن الوقت العصر فكشفت الشمس فإذا هى قد كسفت كسوفاً عظيما ، فبادرنا صحبة المصنف إلى الجامع الأعظم فصليناه (أى صلاة العصر) ورآه فى الصحن حتى انجلت ». هذا ويشير الصيرفى فى نزهة النفوس ، ورقة ١٤٨ ا ، إلى أنه كسف من جرم الشمس نحو الثلثين فى برج السرطان واستمر الكسوف أزيد من ساعة ، فلما أخذت الشمس فى الغروب انجلى الكسوف .

(٢) عرفه البقاعى فى هامش ه بقوله : « وهو شرافنظل » .

الشُّون فتوسّعوا به واتخذوا أَرْحيةً ليطحن لهم غلمانُهم فيقتاتوا بذلك ، ودام الأَمر على ذلك خمسة وثلاثين يوما إلى أن ملُّوا ولم يظفروا بشيء فتراسلوا فى الصّلح ، فاستقرّ الأَمْرُ على أن يَخْطب للسلطان ببلاده وأن لا يتعرّض لأَحدٍ من جهة السلطان ولا مِن معاملات بلاده ، ولا يمكِّن أحداً من جهته بقطع الطريق على التجار ولا على القوافل ، وأن يسلم أكثرها ، فأَجاب إلى ذلك وانتظم الأَمر ؛ وتوجه القاضى شرف الدين سبط ابن العجمى كبيرُ موقعى الدست لتحليفه .

وتوجه السلطانُ بالعساكر إلى الرّها فدخلها فى تاسع ذى القعدة وقرر بها نائباً إينال[1] الأَجرود الذى كان نائباً بغزة وجعل عنده مائتى مملوك ليحفظها ، وأعطاه تقدمة قَانِبَاى البهلوان بحلب ، وأَعطى قَانِبَاى تقدمةَ تغرى بردى المحمودى بدمشق ، وقَدِم إلى حلب فتلقَّيْنَاه بالباب وبزاعة فى يوم الأَحد رابع عشرى ذى القعدة ودخل حلب ليلة الاثنين بغير موكب وأَقام بالمخيم أَيضا ، واستهل به شهر ذى الحجة ثم خرج منها يوم السبت السابع منه فدخل دمشق يوم الخميس التاسع عشر منه ونزل بقلعتها ، ونزل الجند ينهبون الناس وحصل الضَّرر بهم ولكن لم يَفْحش ، ثم رحل منها يوم السبت الثانى والعشرين منه[2] .

* * *

وفى مستهل ذى الحجة أرسل قَرْقُماس بنُ نُعَير ولدَه إلى السلطان بهديَّةٍ سنيَّةٍ ومن جملتها فرسٌ كان اشتراه بألف دينار ، ورَدّ على السلطان فرساً سرقه منه تركمانيان فظفر به معهما فجهزهما مع الفرس ، فأَعجب السلطانَ ذلك وخلع على ولده وأمر بشنق التركمانيين .

وذكر الشيخ شهاب الدين أبو بكر بن محمد بن شاذى الحصنى[3] أن يعقوب ابن قَرَايَلك أمير خَرْتَ بِرْت على معتقد النَّسيمى المقتول بحلب ، وأَنَّه يرى تحريم مقاتلة

---

(١) فى ه بخط الناسخ « الذى هو الآن فى عصرنا سلطانا » .

(٢) فى الهامش ه بخط الناسخ « سقط من هنا فرخة من الأصل » .

(٣) كان التقى الحصنى هذا من مواليد سنة ٨١٥ بمدينة حصن كيفا ومن ثم نسب إليها وكان أبوه من أثريائها وكبار تجارها ، وقد اهتم التقى أبو بكر بالقرآن والحديث والفقه فدرسها على أئمة الشيوخ فى عصره ، ولما لقيه البساطى فى حلب سنة ٨٣٦ أعجبه منه ذكاؤه ودقة فهمه حتى قال عنه : « لم يجئنا مما وراء النهر مثل هذا الشاب » ، أنظر الضوء اللامع ج ١١ ص ٧٦ — ٧٧ .

خادم الحرمين ، وأرسل ينكر على أبيه وكذا أنكر عليه أخوه على باك أمير كماخى ، وأن قرايلك راسل إينال الأجرود يتهدّده فأراد قتل رسوله ثم شُفع فيه فضَربه ورَدّه ردًّا عنيفاً ، فبلغ ذلك قرايلك فندب عسكره إلى القتال فامتنعوا ، وأنّه بلغه أن السلطان أراد العود إلى آمد فأمر بإحراق جميع المراعى التى حولها ،وكان قرايلك خرج من آمد إلى أرْقَنِين وترك بآمد ولده ، فلما زحف العسكرُ على آمد قُتل مراد بك بن قرايلك بسهمٍ ، ونزل محمود ابن قرايلك فى عسكرٍ على جبل يشرف على العسكر ، فصار يتحدّى من خَرج ، فندب السلطان سريةً فأحضروا عشرين رجلاً منهم فوسطوا تجاه القلعة .

وفيها حاصر إسكندر بنُ قَرَا يوسف قلعَة ساهى وكان صاحبُها من نوابه ، فلما رجع إسكندر من محاربته مع شاه رخ أرسل إليه النائب ولده لتهنئته بالسلامة ، وكان شابا جميلاً فحبسه عنده يرتكب معه الفاحشة فيما قيل ، ثم أرسله إلى أبيه ، فلما أخبر أباه بما جرى له عصى على إسكندر فتوجّه إليه وحاصره فلم يظفر منه بشىء ، وكان لإسكندر فى تلك القلعة عدةٌ من النساء ، فخشى عليهنّ من أيدى أعاديه [فأقامهن فى القلعة] لحصانتها ، فنفذ الأمير إلى النسوة المذكورات فقسّمهن بينه وبين ولده الذى أفحش فيه الاسكندر وبين ابن عمه ، فجعلوهن بمنزلة السرارى لهم ، فبلغ ذلك الإسكندر فزاد فى حنقه.

* * *

وفى ذى الحجة توقف النيل عن العادة ونقص منه عدة أصابع قبل الوفاء واستمر ذلك ستّةَ أيام ، فضجّ الناس وغَلَا السّعر قليلا ، ثم وقعت الزيادة وأوفى ، وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى فى السنة المقبلة .

* * *

وفى هذه السنة قبض[1] مراد بك بن أبى يزيد بن عثمان صاحب الروم على أخيه أرضر بك فأكحله وسجنه مدة طويلة ، فاتفق أنه بات فى هذه السنة ، وكان له مملوك يخدمه فى السجن اسمه طُوغان ، فدسّ له جاريةً فى صورة مملوك فأقامت عنده للوطء حتى اشتملت

(١) فى « هايدكى بن أبى يزيد » بدلا من « مراد بك بن أبى يزيد » .

منه على حِمْل ثم على حمل آخر ، فولدت منه ذكراً سماه سليمان ، وبنتا ، فلما مات أخذهما طوغان وأمهما فهرب بهما من السجن إلى حلب ، فلاقى السلطانَ لما عاد من آمد وشكى له حاله فأكرمه وجهَّزَ الأخوين إلى القاهرة ورتب لهما راتباً وأسكنهما القلعة إلى أن جرى لهما ما يأْتى ذكره فى سنة أربعين .

* * *

ذكر الحوادث فى غيبة السلطان الأشرف بالقاهرة

قرأتُ بخط الشريف صلاح الدين الأسيوطى : فى أوائل شعبان دخل سائلٌ إلى سوق الحاجب فسأَل ، فقال له تاجر : «يفتح الله» فتناول من يد التاجر أوراقَ حسابٍ خطفاً وهرب ، فاتَّبعه وضربه بمُدية ، فخطف من جَزَّارٍ سكينةً وضرب بها التاجر فمات فى الحال ، فأظهر الفقير التجانن فحُمل إلى المرستان وذهب دمُ التاجر هدرا .

وفى رمضان تخاصم اقسماوىٌ ولَحَّامٌ على نصف فضة فخنق أحدهما الآخر فوقع مغشيا عليه فمات بعد يومين ، وتخاصم إثنان من المسحرين فضرب أحدهما الآخر فسقط ميتا ، وطلَّق عجمى زوجته ثم ندم فتبعها فى زقاق فضربها بسكين فماتت ، وتزوج بعض مساتير البزازين بنت أمير فعشقت عليه عبدا أسود فأدخلته فى زىّ امرأة وقالت لزوجها إنها بنت أمير كبير فعَمل لها ضيافةً وجلست يومها مع ذلك العبد ، والزوج لا يجسر على دخول البيت إكراماً لها ، فلما دخل الليل سألته أن يبيت فى طبقة وحده وتبيت هى مع خوند إكراما لها فقبل ذلك ، وباتت هى مع محبوبها فسكرا ، فسوَّلَت لها نفسها أن اتفقت معه أن يقتل زوجها فهجم عليه بسكّينٍ فضربه فخابت الضربة ، فاستغاث فأُمسك العبد وضُرب فَأَقَرّ فأُمْضى فيه الحكم ، وأما الزوجة فحَلَفت لزوجها أنها هى وبنت الأمير باتا تلك الليلة وما علمتا بقصة ذلك العبد أصلا ، فصدّقها واستمر معها .

* * *

وفيها احترق بيت البرهان المحلى التاجر الذى على شاطىء النيل بمصر ، وكان أُعجوبةَ الدهر فى إتقان البناء وكثرة الرّخام والزخرفة والمنافع الكبيرة من القاعات والأَروقة

فاحترق جميعه ، وسلِمت المدرسة التى بجواره وهى من إنشاء المحلى أيضا ، وكان يقال إن مصروف بيت المحلى المذكور خمسون ألف مثقال ذهبا ، وذلك فى شعبان ؛ ووقع الحريق فى مصر والقاهرة فى عدّة أماكن ولكنها لا تقارب هذا .

وكان سعر القمح بكل دينار أشرفى إردبٌ ونصف مصرى . يكون عنها من الفضة بالوزن ستةُ دراهم الإردب ومن الفضة الكاملة دون العشرة ، وهذا فى نهاية الرخص .

وحج بالناس إينال الشِّشْمانى والحاج قليل جدا ، فساروا ركبا واحدا .

وفى غيبة السلطان وقع فى عدة أماكن الحريقُ : منها بيت المحلى كما تقدم واحترقت غلال كثيرة فى الجرون بناحية شبين القصر .

وفى رابع عشر ذى القعدة خُسف القمر .

وفى ليلة الثالث عشر من جمادى الأُولى خُسف القمر كله قدْرَ ثلاث ساعات .

وفى الثامن عشر من جمادى الآخرة سُفِّر أَسَنْبُغَا الطَّيّارى إلى جدّة لتحصيل المكوس الهنديّة ، وأُرسل معه سعد الدين بن المرأة كاتباً على عادته ، وأَسَنْبُغَا شاداً عليه ، وسافر معه جماعةٌ لقصد المجاورة من تجّارٍ وغيرهم .

وفيها قدم مقبل الرومى نائب صفد وقَدَّم هديةً هائلة ، وخُلع علية خلعةُ استمرارٍ وتوجّه إلى بلاده فى جمادى الأُولى ، وكان له الآن فى نيابة صفد نحو عشر سنين .

وفى شهر رمضان منها ذكر لى رفيقُنا الفاضل إبراهيم بن حسن بن عمر البقاعى أنه رأى فى النوم قبل أن يدخل إلى حلب أن السّلطان مات ، وأنه صار يتعجب من كونه مات على فراشه ، واستيقظ ثم لم يظهر لنا تعبيرُ ذلك المنام ، والعلم عند الله تعالى .

* * *

وفيها انتزع إصبهانُ بنُ قرا يوسف بغدادَ من مراد بن محمد ، فبعث أربعين رجلا فى زى القَلَنْدَرِيّة وقرر معهم أن يقتلوا البوابين ويفتحوا له الباب فى يوم معين . ففعلوا ، ففر محمد ، ثم استولى إصبهان على بغداد فسار فيها أفحش سيرة ، ولله الأمر .

* * *

ذكر من مات فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ إبراهيم بن حجّاج بن محرْز[١] الأنباسى[٢] ، برهان الدين ، ولد سنة ٨٧٩[٣] واشتغل كثيراً وسكن زاوية سميّه الشيخ برهان الدين الأنْباسى وانتفع به الطلبة ، ومات بعد ضعفٍ طويلٍ فى سابع عشرى ربيع الآخر ، ورأيْتُ[٤] سماعه فى بعض مجالس من أمالى الزين العراقى .

٢ ـ أحمد الملك الأشرف بن العادل سليمان[٥] بن المجاهد غازى بن الكامل محمد

---

(١) « ابن محزز » فى ه .

(٢) نسبة إلى إنباس بمركز قويسنا ، وقد ذكر فى القاموس الجغرافى للمدن المصرية ق ٢ ج ٢ ص ١٩٩ أنها تسمى ابنهس وقال إنها من القرى القديمة واسمها على لسان العامة « انباس » .

وقد جاء فى هامش ه بخط البقاعى فيما يتعلق بصاحب الترجمة : « هذا الرجل كان علامة وقته ومحقق زمانه ، وكان ملازما لشيخنا ، معظما له ، وتفقه كثيرا عند استطالة العلاء البردى عليه ، ولكن شيخنا لاينصف من ينصفه ، عفا الله عنه ، والذى فى تعاليق أن وفاته كانت سابع عشرى ربيع الأول من السنة بزاوية شيخه البرهان الإنباسى بالمقس ودفن بباب الشعرية بمكان هناك كان زاوية ؛ وكان إماماً عالماً بالمعقولات فقيها نحويا مفوها فى قوله ، شهم النفس حديد الذهن فحل المناظرة ، ثابتا عند المضايق ، حدثنى من لا أتهم أن شخصاً من أصحابه وقع عند قرقماس الذى كان حاحب الحجاب على أيام الأشرف برسباى فى دعوى ، وكان قرقماس ظالماً غاشما جريئاً ، فلما سمع الشيخ برهان الدين أتاه ثم طلبه إلى مقعد قرقماس غير هائب له ، فلما رآه مقبلا تعجب فقال لموقعه ـ وكان شريفاً ـ من هذا الآتى ؟ » فقال : هذا يقال له كذا . وترجمه بما يليق به ، فلما سلم وجلس قال له : ما حاجتك ؟ قال : هذا الفقيه الواقف تحت مقعدك ادفعه مع غريمه إلى قاض من قضاة الشرع . فقال : أو لست أنا أحكم بالشرع ؟ فقال : لا ، لأنك لا تعرفه . فاستعظم ذلك ؛ فقال له : « شخص وجب عليه قطع يده اليمنى فلما أريد قطعها أخرج يسراه من كمه الأيمن فقطعت ، فما حكم الله فى ذلك : أيسقط قطع يمناه أم لا ؟ وماذا يجب فى قطع يسراه ؟ فبهت قليلا ثم قال : خذ صاحبك وامض » فقال : سلام عليكم ، وأخذ صاحبه ومضى » .

(٣) الوارد فى الضوء اللامع ، ج ١ ص ٣٧ قوله « بعد الثمانين » .

(٤) العبارة من هنا لنهاية الترجمة غير واردة فى ه .

(٥) عبارة « بن المجاهد غازى ... ... بن مروان » ص ٥٠٣ ، س ٢ غير واردة فى ه .

ابن العادل أبي بكر بن الأوحد عبدالله بن المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر بن العادل أبي بكر صاحب مصر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان الأيوبي صاحب حصن كيفا ، وكان خرج فى عسكره لملاقاة السلطان على حصار آمد فاتفق أن نزل لصلاة الصبح فوقع به فريق من التركمان فأوقعوا به على غرة فقتل ، ووصل بقية أصحابه وولده[1] إلى السلطان ، فقرّر ولده فى مملكة أبيه .

وكان فاضلاً ديّنا له شعر حسن ، وقفْتُ على ديوانه وهو يشتمل على نوائح فى أبيه وغزلٍ وزهديات وغير ذلك ، وكان جواداً محبًّا فى العلماء ، رحمه الله تعالى .

واستقرّ فى مملكته ولده الملك الصالح خليل ، وماهو على طريقة والده فى محبّة العلماء خصوصاً الشافعية ، وله نظم أيضاً ؛ وقدم أخوه شرف الدين يحيى بتقدمة أخيه على السلطان بآمد فخلع عليه وكتب عهد أخيه ولقب بالملك الكامل وسار فى بلاده سيرةً حسنة ونشر العدل ، واستوزر القاضى زين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن المجد وهو قاضٍ شافعى عالم حسن السيرة ، ووقع من قرايلك تعرّضٌ للإفساد ببعض بلاده فأرسل إليه يهدّده فخضع له وصالحه على أنَّ كلا منهما لا يتعرّض لبلاد الآخر ، واستمر الصلح بينهما .

٣ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد الأموى ، القاضى شهاب الدين المالكى ، نشأ بدمشق وتعاطى الشهادة وكتب جيداً ، وخدم البرهان التّادلى ، ثم ولى قضاء طرابلس ثم قضاء دمشق سنة خمسٍ وثمانمائة نحو ثلاثة أشهر ، ثم أُعيد فى سنة ست وثمانمائة فامتنع النائب من إمضاء ولايته ، ثم ولى من قِبل شيخ سنة اثنتى عشرة وانفصل بعد أربعة أشهر وهرب مع شيخ إلى بلاد الروم وقاسى شدة ، ثم لمّا تسلطن شيخ ولّاه القضاء بالديار المصرية وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة ، فباشر دون السنة بأيّام ، وكان شيخٌ يكرهه ويسميه : « الساحر » ، ولكن كان بعض أهل الدولة راعيه ، ثم استقرّ فى قضاء الشام سنة إحدى وعشرين نحو أربعة أشهر ، ثم أُعيد فى جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين

---

(١) واسمه الصالح خليل وقد استقر فى مملكة آمد هذه السنة وظل حاكماً لها حتى وثب عليه ابن له فقتله سنة ٨٥٦ ، راجع أيضا التبر المسبوك . أما أخوه يحيى الذى سترد الإشارة إليه بعد قليل س ٩ ، فلم يرد له ذكر سوى قدومه على الأشرف بهدية أخيه ، أنظر عنهما السخاوى : الضوء اللامع ٧٣٤/٣ ، ٩٣٨/١٠ .

واستمر[١] إلى أن مات بسبب أن الأشرف كان يعتقده لأنَّه بشَّره — وهو فى السجن — بأنه سيلى السلطنة ، فلما تسلطن اتفق أنه كان حينئذ قاضياً فاستمرَّ به ولم يَسمع فيه كلامَ أحدٍ مع شهرته بسوء السِّيرة والجهْلِ الزائد ، وكان متجاهراً بأَخْذ الرشوة وحصّل مالاً طائلاً تمزَّق بعده .

مات ليلة الثلاثاء حادى عشر صفر .

٤ — أحمد بن غُلام الله بن أحمد بن محمد الميقاتى ، شهاب الدين الكُوم رِيشى ، اشتغل فى فن النجوم وعرف كثيراً من الأحكام وصار يحلّ الزيج ويكتب التقاويم واشتهر بذلك . مات فى صفر وقد أناف على الخمسين[٢] .

٥ — أبو بكر زين الدين الإِنْبَابى الشافعى ، أحد نوّاب الحكم وكان كثير الاشتغال ، أخذ عن الشيخ علاء الدين الأَقْفهْسى وابن العماد والبلقينى وغيرهم ، وكان خيراً . مات فى شعبان .

٦ — تَنْبكْ الناصِرى ، أحد أُمراء العشرات ويعرف بالبهلوان[٣] . مات فى شوال بآمد وخرج إقطاعه باسم الأَمير آقْبُغا الجمالى الذى ولى الأستاداريّة مرّتين ، وتقدّم ذكره فى الحوادث .

٧ — تغرى بردى المحمودى . تنقل فى الخدم إلى أن ولى تقدمه ألف وقُرر رأس نوبة كبيراً ثم صُرف وحُبس بعد أن كان رأْس الذين غزوا الفرنج بقبرس ثم أُفْرِج عنه وقرّر أميراً بدمشق ومات فى قتال قرايلك فى ذى[٤] القعدة .

---

(١) يعنى ابن حجر بذلك أن الأشرف استبقاه فى القضاء بدمشق منذ سنة ٨٢٤ لاعتقاده فيه ، أنظر ابن طولون : قضاة دمشق .

(٢) ورد بعد هذا فى ز الترجمة التالية : « أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن سعد الله المقدسى مسند الآفاق ، شهاب الدين ، الشهير بالواسطى ، ولد سنة خمس وأربعين وسمع من الميدومى . مات ليلة الأربعاء حادى عشر رجب » .

(٣) ويعرف أيضا بالمصارع ، ويلاحظ أن هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٤) الوارد فى النجوم الزاهرة ٨٢٤/٦ أنه مات فى شوال ، ويشير نفس المصدر فى ترجمته له إلى أنه كان أول من لبس التخافيف الكبار العالية من الأمراء ، « وتداول الناس ذلك من بعده حتى خرجوا عن الحد » .

٨ ـ جَانْبك[١] الحمزاوى ولِىَ نيابة غزة ومات[٢] قبل وصوله إليها فى ذى الحجة .

٩ ـ حسن[٣] بن شرف الدين أبى بكر بن أحمد الشيخ بدر الدين المقدسى الحنفى وهو يومئذ شيخ الشيخونية ، قُرِّر فيها لمّا أُعيد[٤] التَّفَهْى فى رجب سنة ثلاث وثلاثين إلى القضاء وكان أوّلاً ينوب عنه واشتغل قديماً من سنة ثمانين وهلمّ جرًّا بالقدس ثم بدمشق ثم بالقاهرة ، وكان فاضلاً فى العربية[٥] وغيرها .

مات ثالث[٦] شهر ربيع الآخر وقد قارب السّبعين ، واستقر بعده فى تدريس جامع الماردانى الشيخُ سعدُ الدين بنُ الدَّيْرى فلبسّ بعضُ الناس على السلطان أنه نزل له وكان السلطان أمر بترك النزولات وعدم إمضائها ، فغضب وأمر بتقرير محب الدين بن الشيخ زاده فيها فتألَّم الناس لسعد الدين ، واعتذر محب الدين بأنّه لم يكن له فى ذلك سعْىٌ ولا يقدر على مخالفةِ السلطان خشيةً على نفسه ، واستقرّ فى مشيخة الشيخونية عوضاً عن المقدسى الشيخ باكير الملطى[٧] نقلا من قضاء حلب ، وتأخر حضوره إلى رجب وباشر .

وهو أبو بكر بن إسحق الحنفى . وأصله من ملطية وسكن حلب مدة . وهو كثير السكون قليل البضاعة[٨] حسن الهيأة .

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٢) وقد دفن بدمشق .

(٣) ويعرف بابن بقيرة ، وبقيره لقب أبيه ، كما جاء فى الضوء اللامع ٣/٣٨٩ ، هذا وقد جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « كان مشهوراً فى القدس بابن بقيرة بالتصغير وإمالة الراء » .

(٤) فى هامش ه : « أى إلى القضاء » وهى العبارة التى سترد بعد قليل .

(٥) أضاف البقاعى بخطه فى هامش ه قوله : « وكان مفوها » .

(٦) فى هامش ه بخط البقاعى « وكان ذلك يوم الخميس » وهو يطابق ما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٨ من أن أوله كان الثلاثاء .

(٧) هو الشيخ أبو بكر بن إسحق بن خالد الزينى الكختاوى الحلبى ثم القاهرى ، ويعرف بباكير ، وكان مولده سنة ٧٧٠ بكختا ، ويلاحظ أن الخبر حتى نهاية الترجمة خاص بباكير هذا ، أنظر أيضا الضوء اللامع ، ج ١١ص ٢٦-٢٧ .

(٨) جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « كأن شيخنا استدل على قلة بضاعته بكثرة سكوته وإلا فما زلت أسمع الفضلاء يثنون عليه بالمعرفة والفضيلة فى علوم العجم من المعانى والبيان وغيره » .

١٠ ـ عبد الرحمن بن محمد القزوينى المعروف بالحَلّالى[١] بمهملة ولام ثقيلة ـ الشيخ زين الدين من أهل جزيرة[٢] ابن عمر ، وهو ابن أُخت العالم نظام الدين[٣] عالم بغداد ، وُلد سنة بضع وسبعين وأخذ عن أَبيه وغيره ، وبرع فى الفقه والقراءات والتفسير ، وحجّ وقدم حلب لطلب زيارة القدس فزار ثم رجع إلى حلب وهو فى سن الكهولة وظهرت فضائلهُ ، ودخل القاهرة فى سنة أربعٍ وثلاثين وأخذوا عنه ثم رجع ، فلما وصل إلى بلده مات[٤] بعد أربعة أشهر وذلك فى سنة ستٍ وثلاثين ظنا . قاله القاضى علاءُ الدين .

قال[٥] : « واجتمعت به فرأَيْتُه عالماً بالفقه والمعانى والبيان والعربية ، وله صيتٌ كبير فى بلاده وكان عالماً » .

« قرأتُ[٦] بخط عبد الرحمن بن محمد الحلالى الشافعى القزوينى أنّه يروى البخارى عن قاضى المدينة عن الحجار ولم يسمه وأنا أظنه شيخنا زين الدين بن حسين فإنّه كان يروى عن الحجار بالإجازة وهو آخر مَن حدَّث عنه بهـا[٧] فيما أعلم ، وأنّه يرويه عن المحدث شمس الدين محمد الفنَكِى الشيرازى بروايته له عن الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير بسماعه له على الحجّار ، وكتب خطه فى أواخر سنة احدى وثلاثين وثمانمائة » .

١١ ـ عبد الوهاب بن أَفتَكِين الذى ولىّ كتابةَ السرّ فى العام الماضى بدمشق ومات[٨] فى أَواخر السنة وقرّر السلطانُ عوضه فى كتابة السرّ بدمشق نَجمَ الدين بن المدنى نقلاً من نظر

(١) الضبط من شذرات الذهب ٢١٧/٧ ، وقد يقال فيه « الحلال » بغير ياء النسب والصفة نسبة لحل أبيه المشكلات التى اقترحها العضد عليه ، أنظر الضوء اللامع ٣٩٩/٤ ، ج ١١ ص ١٩٩ .

(٢) ولذلك يعرف أيضا بالجزرى .

(٣) هو نظام الدين محمود السويدائى .

(٤) أى أنه مات بجزيرة ابن عمر وذلك فى جمادى الآخرة .

(٥) يقصد بذلك علاء الدين بن خطيب الناصرية .

(٦) ضمير المتكلم هنا عائد على ابن خطيب الناصرية كما يستدل من مراجعة الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٥ س ١ ـ ٢ .

(٧) فى هامش هـ بخط البقاعى : « أى مع كونه كان قاضى المدينة الشريفة » .

(٨) ودفن بمقبرة باب توما .

الجيش بالشام[١] إليها وأرسل توقيعه بذلك فى أواخر ذى الحجة فوصل فى آخر المحرم وباشر . ونعم الرجل هو .

١٢ ــ عثمان ، الأمير فخر الدين بن الأمير ناصر الدين محمد بن الطحان ، الحاجب بحلب كان ، مات فى خامس عشر المحرّم خارج حلب وأُحْضِر إليها فى سابع عشره ودفن فيه .

١٣ ــ على بن عمر الكَثِيرى ، انتزع ظفاراً من عبد الله بن محمد بن عمر بن أبى بكر ابن عبد الوهاب بن على بن نزار الظَّفَارى واستمر فيها إلى هذه الغاية .

١٤ ــ على بن محمد بن نور الدين بن جلال الدين الطَّنْبَدِى ، انتهت إليه رئاسة التجار بالدّيار المصرية ، وكان كثير الحجّ كثير الإسراف على نفسه حسنَ المعاملة ، وشاهدْتُه يقرض المحتاج بغير ربحٍ مراراً ، وكان له بِرٌّ لجماعةٍ ومروءةٌ فى الجملة على ما فيه .

مات ليلة الجمعة رابع عشر صفر وقد جاوز السبعين .

١٥ ــ على بن يوسف بن عمر بن أنور صاحب مَقِدْشُوه فى عصرنا ، ولقبُه : المؤيد ابن المظفر بن المنصور .

١٦ ــ محمد بن جوهر المدبّر[٢] فى الجيش . مات بحلب فى رمضان .

١٧ ــ محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المِنْهاجى[٣] ، المعروف بسبط ابن اللبّان ، الشيخ شمس الدين الشافعى ، وُلد[٤] بعد السبعين واشتغل قديماً ، وأخذ عن مشايخ العصر كالعزّ ابن جماعة وشمس الدين بن القطّان ، وقرأ على ابن القطّان « صحيح البخارى » بحضورى ، وقرأ علىّ « ترجمة البخارى » [من جمعى[٥]] يوم الختم ؛ وتعانى نظم الشعر فتمهّر فيه وله

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « صوابه : بحلب » .
(٢) « المدير » فى الضوء اللامع ٧/٥٣٠ .
(٣) أشار الضوء اللامع ٨/٥٥ إلى أن « المنهاجى » شهرة جد المترجم وذلك لحفظه « المنهاج » .
(٤) الوارد فى الضوء اللامع ، شرحه ، أنه ولد سنة ٧٧٢ تقريبا أو فى التى بعدها .
(٥) الاضافة من الضوء اللامع ٨/٥٥ .

عدة قصائد ومقاطيع ، ومهر فى الفقه والأُصول وعمل المواعيد وشغل الناسَ ولزم بآخره جامع عمرو بن العاص يقرأ فيه الحديث والمواعيد ويشغل الناس ، وكان حسن الإدراك واسع المعرفة بالفنون . حجّ فى هذه السنة من البحر فسلم ودخل مكة فى شهر رجب فجاور إلى زمن إقامة الحجّ فحجّ وقضى نسكه ورمى جمرة العقبة ثم رجع فمات بمِنًى قبل أن يطوف طواف الإفاضة . سمعْتُ من نظمه وطارحنى مراراً وكتب عنّى كثيراً .

١٨ ــ محمد بن[١] عبد الحق بن إسماعيل السَّبْتى ، أبو عبد الله الأَنصارى[٢] ، وُلد سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، وأخذ عن الحاج أَبى القاسم بن أَبى حُجْر ببلده ، ووصل إلى غرناطة وتفرّد بالأَدب وقدم القاهرة سنة اثنتين وثلاثين فحجّ ، وحضر عندى فى الإملاء وأوقفنى على « شرح البردة » له ؛ وله آداب وفضائل . مات فى صفر .

١٩ ــ محمد[٣] بن على بن موسى ، الشيخ شمس الدين الدمشقى المعروف بابن قُدَيْدار ، وُلد سنة اثنتين وخمسين تقريباً فإنه قال : « كنت فى فتنة بَيْبغا رُوس رضيعاً » ، وقرأ القرآن فى صغره ، وحفظ « المنهاج » و « العمدة » و « الأَلفية » ، وتلا بالسبع على جماعة منهم ابن اللَّبان ، وصحب الشيخ أَبا بكر الموصلى والشيخ قطب الدين وأقبل على العبادة ، واشتهر مِن بعد سنةِ تسعين حتى إنَّ اللنك لما طرق الشام أرسل من حماة[٤] وحمى مَن معه ، وكان شيخ يعظمه وأَرسله فى سنة ثمانٍ وثمانمائة رسولاً عنه إلى الناصر فاجتمعنا به بالقاهرة ومصر وسمعنا من فوائده .

وكان سهلَ العريكة ليّنَ الجانب متواضعاً جداً محبًّا فى العلماء والمحدثين ، وكان قدم رفيقاً له فى ذلك الشيخُ شهابُ الدين بنُ حجّى فنزلا بمدرسة البُلْقينى ثم بمدرسة المحلىّ علَى

---

(١) راجع ترجمة رقم ٣٨ وفيات سنة ٨٣٣ ص٤٥٠ ، وحاشية رقم ٢ .

(٢) « الأنصارى » غير واردة فى ه .

(٣) أشار إليه السخاوى فى الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٦٦ فقال أن اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله ، وهكذا ترجم له فى الضوء اللامع ١٠٦٨/٦ ، وأشار إلى تسمية ابن حجر له بالوارد بالمتن وخطأه فيها ، ولقد أخذت شذرات الذهب ٢١٧/٧ باسمه نقلا عن الإنباء هنا .

(٤) بناء على ما ذكره السخاوى والشذرات هى « حماة البلد » ، على أنه يمكن قراءتها « من حماه » بفتح ميم « من » وجعل حماه فعلا .

شاطئ النيل ثم رجعا ، وبنى الشيخ له زاوية[1] ، وكان يتردّد إلى بيروت للمرابطة بها وله بها زاوية فيها سلاح كثير ، وكلمته عند الفرنج مسموعة يكتب لهم بسبب المسلمين فيقْبلون ما يكتب به . وحصل له فى آخر عمره ضعف فى بدنه ، وثَقُل سمعه . ومات ليلة عيد الفطر ودفن صبيحتها ، وكانت جنازته مشهورة وصلَّيْنَا عليه بحلب صلاة الغائب .

٢٠ ـ مَنْكَلِى بُغَا الحاجب وهو من مماليك الظاهر واشتغل كثيراً وكتب الخط الحسن ، ووليَ حسبة القاهرة فى دولة المؤيّد ، وأرسله الناصر فرج إلى اللنك؛ وكان يذاكر بشىء من الفقه . مات فى ليلة الخميس حادى عشر ربيع الأوّل .

٢١ ـ يوسف جمال الدين بن صاروجا بن عبد الله المعروف بالحجازى ، تنقلت به الأحوال فى الخدَم وعمل أُستاداراً ، وتقدم فى أواخر دولة الناصر عند الدويدار طوغان وكان زوج ابنته ويدعوه « أبى » وكثر ذلك حتى صار يقال له « أبو طوغان »؛ وكان عارفاً بالأمور .

٢٢ ـ خوند والدة عبد العزيز بن برقوق .

❊ ❊ ❊

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « هى قرب باب الحبانية » .

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أوّلها الثلاثاء بلا نزاع[١] فإنّ الهلال غاب ليلةَ الثلاثاء قبْل العشاء نحو نصف ساعة ، وفى الحساب أوّلها الاثنين .

وفى أوّل يوم منها أوفَى[٢] النيل ثم كُسر الخليج فى يوم الأربعاء الثانى منه ، واستمرّت الزِّيادة إلى يوم وصول العسكر . واستَهلت ونحن بالطريق إلى غزَّة ، ورحل السلطان منها يوم الخميس يوم عاشوراء وساق إلى الطريق التى توجّه فيها . وأرسل إلى القدس خمسة آلاف دينارٍ صدقةً ، وكان الوصول إلى بلبيس يوم الجمعة ثامن عشره ، ومات ما بين غزة وبلبيس من الجمال والبغال والحمير والخيول مالا يحصى كثرةً بحيث صارت الأرض منتنةَ الرّيحة مع شدة[٣] الحر ، ووصل[٤] إلى الخانقاه بسر ياقوس ليلةَ السبت فأصبح فدَخل القاهرةَ فى موكبٍ عظيمٍ جداً . وشقّ القاهرةَ وأمامه الخليفةُ والقضاةُ والأُمراءُ ، وزُيّنَت له المدينة ، وبعد يومين وصل الحاج وأخبروا بالرخاء والأمن وأنه مات منهم فى طريق المدينة خلقٌ كثيرٌ من شدة الحر ، وأمطرت السماء مطراً غزيراً فنقص النيل نقصاً فاحشاً وكان انتهى إلى سبعة عشر إصبعاً من ثمانية عشر ذِراعاً فبادروا إلى كسر سد الأمبوبة وظهر النقص فيه وانكشف كثير من الأراضى واستشعر الناس الغلاء فبادروا إلى خزن الغلال والله المستعان ، ثم تراجَعَت الزيادة إلى أن نودى بإصبع من ثمانية عشر ثم عادَ النقص.وأظنه لكسر الصليبى ، فنوُدِى فى يوم الأحد رابع[٥] صفر الموافق لثالث عشرى توت بإصبع لتكملة ستَّةَ عشر إصبعاً

(١) يتفق هذا مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٩ ، وكان أولها يعادل ٢٥ مسرى سنة ١١٤٩ ق ، ١٨ أغسطس ١٤٣٣ .

(٢) أشارت التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ ، إلى أن النيل زاد فى هذه السنة مرتين إحداهما فى أوائلها والثانية فى أواخرها ، ثم إنه زاد بعد الوفاء ثمانية أصابع ، ثم فى ثالث يوم من الوفاء زاد خمسة عشر إصبعا « وعدت هذه الزيادة من النوادر » ، راجع أيضا تقويم النيل .

(٣) كان الوقت إذ ذاك فى النصف الثانى من شهر أغسطس ١٤٣٣ .

(٤) المقصود بذلك السلطان .

(٥) فى الأصل « خامس » ، ولكنه فى نسخة هـ « عاشر صفر » وهو خطأ لما يترتب عليه من أن يكون الجمعة أول صفر ، أى أن شهر المحرم كان ٣١ يوما وهو ما لا يمكن حدوثه قط فى الشهور العربية ، والصواب أن يكون أول صفر هو يوم الخميس ومن ثم يكون الأحد رابعه وهو يطابق الثالث والعشرين من توت سنة ١١٥٠ ق ، أنظر التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ .

من سبعة عشر ذراعاً ، وبلغ سعرُ القمح مائةً وثمانين بعد أن كان بتسعين ، والفولُ بمائةٍ وعشرة ، والشعيرُ كذلك ؛ وامتدَّت الأَيدى إلى تحصيل الغلال إما للمُونَة وإما للتجارة ، فاشتد الخْطب ولله الأَمر ، ومع ذلك فلَطف الله بأَهل مصر لطفاً عظيما كما سيأْتى بيانه بحيث أنَّ جميع مَن خَزَن القمحَ نَدم على ذلك لعدم ارتفاع سعره فى طول المدة .

* * *

وفيها أَرسل يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن الأَحمر إلى أَبى عبد الله محمد بن نَصر بن أَبى عبد الله بن الأَحمر المعروف بالأَيْسَر عسكراً حاصره وهو بالمَرِيَّة ، وكان من شأْنه أَنَّه ثار على محمد بن الموال ففرّ إلى مالقة فجمع عسكراً ونازل ابن الموال فغلب عليه فقتله ، ثم ثار عليه محمد بن يوسف والد يوسف المذكور فغلب على غرناطة ففر الأَيسر إلى تونس ، فأَقام فى كنف أَبى فارس حتى جهز معه عسكراً إلى غرناطة فملكها ثالث مرة ، وقتل محمد بن يوسف ، فثار عليه يوسف ولده فقتله ، وكان صحبة أَبى فارس منذ قُتِل أَبوه ، فلما مات أَبو فارس توجّه إلى صاحب قشتالة الفرنجى فأَمّده بعسكر ، وكتب إلى أَهل رَنْدة ومالقة وغيرهما أَن يعينوه ، وإلى أَهل غرناطة أَن يطيعوه ، ويتهدّدهم إنْ خالفوه ، فسار يوسف فملك رندة ودخل غرناطة وفر منه الأَيسر واستقرَّ فيها ؛ فلما كان فى هذه السنة جهز إلى الأَيسر عسكراً وهو بالمريّة .

* * *

وفى شعبان طُلب من البلاد بالوجه البحرى[1] خيولٌ فُوظِّف على كل بلد فرسٌ واحدٌ ، وعلى البلد الكبير إثنان أَو ثلاثة وإن لم يوجد فيه خيل أُخِذ عوض الفرس خمسة آلاف ، فكانت مظلمةً حادثة .

* * *

وفيه — فى التاسع والعشرين منه — كان ختانُ يوسف بن السلطان وعمرُه يومئذ نحو تسع

---

(١) أضافت النجوم الزاهرة ٧١٧/٦ إلى ذلك أيضا سائر بلاد الوجه القبلى .

سنين أو هو ابن عشر ودخل فى الحادية عشرة ، وخُتن معه عدّةٌ من أولاد الأُمراء وغيرهم ، وكان مُهمًّا حافلا .

* * *

ورأيْتُ فى كتاب بعض من يذكر الحوادث أنَّ امرأةً طُلِّقَتْ وهى حامل فكتمت حملها وتزوجت ثم طلَّقها الزوج فتزوجت بثالث ثم بعد ذلك أخذها الطلق ووضعت ولدا صورته صورة الضفدع فى قدْر الطفل ، فسترها الله بأن أماته ، قرأْت ذلك بخط الشيخ تقى الدين المقريزى .

وأُعيد التاج إلى ولاية القاهرة عند[1] قدوم السلطان إلى القلعة وعُزل دُولَات خَجا ، ثم أُعطِيَ ولايةَ القليوبية والمنوفية فى ربيع الآخر .

وانتهت زيادةُ النيل إلى سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً ، ثم نقص بعد النيروز دفعة واحدة قدر ذراع ، ثم عادت الزِّيادة إلى أن كاد يكمل الذراع السابع عشر فنقص أيضاً قدر خمسة عشر إصبعاً ، ثم عادت الزيادة فى العشرين من توت فتناهت إلى قدر عشرين إصبعاً من السابع عشر، ثم عاد النقص واستمر وشرقت غالبُ البلاد العالية من الصعيد الأعلى فما دونه وشرق بعض بلاد الجيزة وما والاها ، ومع ذلك لطف الله تعالى بالمسلمين فى هذه السنة المباركة لطفاً عظيماً ، بحيث أن القمح ـــ مع ارتفاعه قليلا ـــ لم ينقطع الواصل منه ، واستمر ذلك إلى أن جاء المغل الجديد وتناقص السعر .

* * *

وفى صفر أُعيد[2] آقْبُغَا الجمالى إلى كشف الوجه القبلى .

وفى ليلة السبت تاسع ربيع الأول هبت ريح شديدة قلعت كثيراً من الأشجار بدمياط من أصولها فتساقطت [أشجار] نخيل كثيرة وفسدت أشجار الموز ، وفسد كثير من الأقصاب وأسف كثير من الناس على ما تلف من ماله .

---

(١) وكان ذلك فى شهر صفر من هذه السنة .

(٢) وذلك عوضا عن داود التركمانى .

وشاع أن فى أوائله وقع سراق الفرنج على سبعة مراكب للمغاربة المسلمين ، فأسروا من فيها ونهبوا الأموال والبضائع وأحرقوا ثلاثة منها وساروا بأربعة .

وفى ثانى عشر ربيع الأول أُخرج إقطاع الأمير الكبير سودون من عبد الرحمن الذى كان نائبَ الشام وأُمر[١] بلزوم بيته ، فأرسل سودون فى صبيحة ذلك اليوم جميع ما عنده من الخيل والجمال والبغال للسّلطان ولم يُقرِّر فى نظر المرستان أحداً ولا فى الأتابكية وأضيف إلى الديوان المفرد ، ثم أمر بنفيه إلى دِمياط فى جمادى الآخرة فاستمر بها إلى أن مات ، والعجب[٢] أنه ولد له فى هذا الشهر مولودٌ من جاريةٍ ولم يكن له ولدٌ ذكر . وقيل إنهم تكلموا مع السلطان فى إحضاره إلى القاهرة ثم لم يتم ذلك .

وفى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الآخر نزلَ السلطانُ فى عددٍ يسيرٍ فدخل المرستان وقَرّرَ أمره ، ونادى بأنَّه الناظرُ عليهم ، ومن كانَتْ لهحاجةٌ أو ظلامةٌ فليحْضُر إلى باب السلطان.

وفيه استقرّ إينال الشِّشْمانى فى نيابة صفد بحكم وفاة مقبل .

وفيه فى ثالث عشرى شوال استقرّ خليل بن شاهين الصّفوى فى نظر الإسكندرية ، وكان أبوه يسكن القدس ، ونشأ ابنه هناك ، ثم قدم القاهرة وتزوج أُخت خوند جلبان زوج السلطان فعظُمَتْ حرمته وسعى فى حجوبية الإسكندرية ثم فى نيابتها .

وفى صفر أُلزم الوزيرُ بحَمْل ما توفَّر من العليق فى ديوان الدولة وفى ديوان المفرد ، وكان جملة ذلك سبعين ألف إردب .

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٧١٣/٦ أن السلطان رسم بإخراجه إلى القدس بطالا ولكنه إستعفى من السفر وسال السلطان أن يسمح له بالإقامة بداره بطالا فلم يبخل عليه السلطان بذلك ، هذا ويلاحظ أن نزهة النفوس ، ورقة ١٥٠ ا لم تخرج فيما أوردته عما هو بالمتن فى إنباء الغمر .

(٢) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « ليت شعرى أى شئ فى هذا من العجب » ولعل البقاعى أراد بذلك قول الإنباء : « ولم يكن له ولد ذكر » ، وربما كان المراد « ولم يكن للولد» مع حذف له ، ومن ثم ينتفى استنكار البقاعى ويصح التعجب .

وفى ربيع الأَول عملت مكحلة[1] — لرمى المنجنيق — من نحاس ، وزْنُها مائةٌ وعشرون قنطاراً بالمصرى ونُصِبَت خارج باب القرافة ، ورموا بها إلى جهة الجبل بأَحجار زنةُ بعضِها قدْرُ ستمائة رطل .

وفيه وصلت كتُبٌ من دِمياط بأَنَّه هبت بها رياحٌ عاصفة فتقَّصفت نخيل كثيرة وتلفت أَشجار الموز وقصب السكر من الصَّقيع ، وانهدمت عدة دور ،وفزع الناس من شدة الريح حتى خرجوا إلى ظاهر البلد ، وسقطت صاعقةٌ فأَحْرقت شيئاً كبيراً ، ثم نزل المطر فدام طويلا .

وفيها وقع بمكَّة سيلٌ عظيم طبَّق ما بين الجبلين ، وانهدمت بمكةَ دورٌ كثيرة ، ووصل الماء إلى قرب باب الكعبة ، وطاف بعضُ الناس سبحاً ، وأَقام الماء يوماً بالحرم إلى أن صُرف ، وفاضت زمزم .

قرأْتُ فى كتاب على بن إبراهيم الإِبِّى[2] الزَّبيدى نزيل مكة : « لما كان فى ليلة الحادى والعشرين من جمادى الأُولى وقع بمكة مطر غزير سالت به الأودية ، وكانت ليلة الجمعة فأَصبحوا وقد صار فى المسجد ارتفاعُ أَربعةِ أَذرع ، فأُزيلت عتبة باب إبراهيم فخرج الماء من المسقلة فبقى من الطين فى المسجد نحو نصف ذراع ، وتهدَّمت فى تلك الليلة دور كثيرة ، ومات تحت الردم جماعة » .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « لا يصح أبداً أن المكحلة تكون علبة لرمى المنجنيق ولا جامع بينهما إلا مطلق رمى الحجارة ، والمكحلة يرمى عليها بالنفط بواسطة النار ، والمنجنيق بواسطة الحبال والرجال على يمين المقلاع » على أنه ورد بشأن هذه المكحلة فى نزهة النفوس ، ورقة ١٥٠ أ قوله : « فى ١٥ ربيع الأول رسم السلطان بنصب المدفع الذى أعد لحصار قلعة آمد ، وهو عبارة عن مكحلة نحاس زنتها مائة مائة وعشرون قنطاراً مصريا ، وكان نصب هذا المدفع فيما بين القرافة وباب الدرفيل ، فرمى إلى جهة الجبل بعدة أحجار مازنته خمسمائة وسبعون رطلا ، هذا والسلطان جالس بأعلى سور القلعة يشاهد ذلك ، واستمر الرمى بذلك عدة أيام » ، هذا ويلاحظ أن هذا الخبر غير وارد فى النجوم الزاهرة .

(٢) ضبط هذا اللفظ على منطوقه فى الضوء اللامع ٥/٥٣٧ ، وكان مولده قبل سنة ٧٩٠ ﻫ بتعز باليمن ، وحفظ القرآن وشابه ابن حجر فى أنه صلى به وهو ابن ثمانى سنوات ، وتتلمذ على أجلة علماء عصره فى اليمن والحجاز ، ثم رحل إلى دمشق وحلب وحمص وحماة وبعلبك والرملة وبيت المقدس والقاهرة ومصر والإسكندرية ، وكانت وفاته سنة ٨٥٩ بمكة .

وقرأت فى كتاب صاحبنا شهاب الدين الجَرْهِى[١] أنه تلف له كتبٌ كثيرة من السيل ، وعقب هذا السيلَ وباء .

وفى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة توعك السّلطان فاستمرّ بالقولنج خمسة أيام ثم تماثل ، وعُدْتُه فوجدْتُه ملما به ، ثم عدته فى أول يوم شهر رجب فوجدته تماثل ، ثم صلى الجمعة ثانى شهررجب ، وكانوا أرجفوا بموته وتحَزَّبوا أَحْزاباً ووجل الناس من إثارة الفتنة .

* * *

وفى أوائل شعبان قرىء البخارى فى القلعة على العادة ، وحضر شخص عجمى[٢] يقال له شمس الدين محمد الهروى ، ويقال له ابن الحلاج [وهو] ، كهلٌ من أبناء الأربعين ، ادّعى أنه يعرف مائةً وعشرين علما فأظهر بأْواً عظيماً وشرع يسأَل أَسئلةً مشكلة ، وظهرت منه أمور تدلّ على إعجابٍ زائد ، فآل أمره إلى أن وقعت منه أُمور أُنكرت من جهة المعتَقَد فزُجر ، فخذل بعد ذلك وصار كآحادِ الطَّلبة ، واعتذر بعد ذلك أن بعض[٣] الناس أغراه بذلك ظناً منه أن ينتقص من قدر كاتبه ، فأَبى الله ذلك وحاق المكر السيئُ بأَهله ، ولله الحمد .

وفيه فى الجملة ذكاء ، وعلى ذهنه فوائدُ كثيرة ، وعنده استعدادٌ ويعرف الطبَّ ، وعُدَّتْ عليه سقطاتٌ ، وبحث مع سعد الدين بن الديرى فلم يُجِبْهُ وقُرِّر من جملة المشايخ ورُتب له ما يكفيه .

* * *

(١) ضبط السخاوى هذا الاسم بصورتين مختلفتين فى الضوء اللامع إحداهما فى ج ٤ ص ١٨ وهى بكسر الجيم والراء، وثانيتهما بكسر الجيم ثم فتح الراء فى ج ١١ ص ١٩٦ ، ولكنه ذكر أن النطق الأول هو الجارى على الألسنة كما ذكره له العلاء بن السيد عفيف الدين ، وقال إن بعضهم قد يقول فيه « الجرهرينى » .

(٢) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « كان شيخنا يقاسى من هذا والعلاء الرومى وأمثالهما من العجم بواسطة إغراء البدر العينى لهم وتحسينه للسلطان ذلك و . . . . أن شيخنا مزجى البضاعة فى العلم جدا وناله منه مالا يوصف من الأذى ، ذلك كله بواسطة تمكن العينى بقراءة التاريخ عند السلطان وقلة بضاعة شيخنا فى المعقولات التى يتعاناها العجم ويصرحون بأنها هى العلوم وما وراءها ضياع للزمان ، ويمشى لهم ذلك عند الأتراك الذين هم الحكام بواسطة جهلهم وميلهم إليهم بواسطة اللسان . وكان شيخنا لا يستعين على مثل هذا ، إلا بالقاياتى والونائى والانباسى مع قلة إنصافه لهم فى حياتهم وبعد وفاتهم ، رحمهم الله أجمعين » .

(٣) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « هو البدر العينى ».

وفيه استعفى الوزير كريم الدّين من الوزارة وشكى من كثرة المصروف وقلةِ المتحصل ، فاستُرْضِيَ بزيادة بلدٍ أضيفت له فاستمر ، ثم تغيّب فى يوم السبت ثالث عشرى رجب بعد أنْ طلع القلعةَ ، واستقر فى الوزارة أمينُ الدين إبراهيم الذى كان ولىَ نظر الدولة ، وهو ولد مجد الدين عبد الغنى بن الهَيْصَم الذى كان وَلِيَ نظرَ الخاص فى دولة الناصر فرج ، ولبس الخلعة فى هذا اليوم المذكور وهرع الناس للسّلام عليه بمنزله ظاهر باب القنطرة بالقرب من المقس ، فلما كان يوم الثلاثاء استقرّ ولدُه – وهوصغيرالسن– فى نظر الدولة وأُلبس خلعةً لذلك ، وشغرت الأُستادارية ، وتكلَّموا مع السّلطان فى استقرار جانِبِك مملوك ناظرِ الجيوش عبد الباسط فيها فأَجاب لذلك ثم بطل ذلك ، وسعى ناظر الجيش فى إعفائه ، وتغيَّظَ السلطانُ على المباشرين وأُلزم ناظر الخاص – فيما قيل – بالمباشرة فيها ، فاستعفى فأُمر أن ينادى بأَمان الأُستادار فبلغه ذلك فظهر ، وذلك فى السابع والعشرين منه ، وطلع إلى السلطان فخلع عليه قباء كان عليه ، ونزل إلى داره وفرح الناس به وكان يوماً مشهوداً .

* * *

ومن حوادث سنة ٣٧ أنه أُحصى[١] من فى الإسكندرية من الحاكة فوجد فيها ثمانمائة نول ، وكان ذلك وقع فى سنة ٧٩٧ فبلغوا أَربعة عشر أَلف نول بمباشرة جمال الدين محمود الأُستادار ، ونحو هذا أَنَّ كُتَّاب الجيش أَحْصُوا قرى مصر قبليّها وبحريها فبلغت عدَّتُها أَلفين ومائةً وسبعين قرية ، وقد ذكر بعض القدماء فى أَوائل دولة الفاطميين أَن عدّتها عشرة آلاف .

وفيها أُعيد جلال الدين أَبو السعادات[٢] على القضاء[٣] فى جمادى الاخرة عوضاً عن الجمال محمد بن على الشَّيْبى .

وفى رجب سافر الناس صحبة أَرْنُبُغَا إلى مكة .

---

(١) كان ذلك فى أول جمادى الآخرة من هذه السنة ، راجع النجوم الزاهرة ٦/٧١٤ .
(٢) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « أى ابن ظهيرة المخزومى » ، وقد ضبطها بضم الظاء وفتح الهاء .
(٣) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « أى بمكة المشرفة » .

وفى ذى القعدة استقرّ الشّيخ شمس الدين محمد بن أحمد المالكى الفُريَّانى[1] المُغَيْربى فى قضاء نابلس وتحوّل شافعياً وسار إليها ، وهو كثير الاستحضار للتواريخ ، وكان يتعانى عمل المواعيد بقرى مصر وبدمياط وبلاد السواحل ، وصحب الناس ، وهو حسن العشرة ، [وكان] نزها عفيفا ، وقَدْ حدّث بحلب عن أبى الحسن البَطَرْنى وما أظنّه سمع منه ، فإنه ذكر لنا أنَّ مولده سنة ثمانين ببلده ، وكان البَطَرْنِى بتونس ومات بعد سنة تسعين ، ورأيت له بحلب إسناداً للمسلسل بالأولية ، مختلقاً إلى السِّلفى ، وآخر أشد اختلاقا منه إلى أبى نصر الوائلى ، وسئِلْتُ عنهما فبيَّنْتُ لهم فسادَهُما[2] ، ثم وَقَفْتُ مع جمال الدين بن السّابق الحموى[3] على كراسةٍ كتبها عنه بأسانيده فى الكتب السّتة أكثرها مختلق وجلها مُرَكَّب .

وأوقفنى الشيخ تقى الدين المقريزى له على تراجمَ كتبها له بخطه كلها مختلقة إلا الشئ اليسير ، والله المستعان .

ثم وقفتُ على ذلك بخط الفُرّيانى المذكور وهو بضم[4] الفاء وتشديد الراء بعدها ياء آخر الحروف وبعد الألف نون .

* * *

وفى رمضان أَلْزَم السلطانُ القاضىَ بدرَ الدين بنَ الأمانة بالحجّ لأنه ترجم له بأنه من المياسير وأنه قارب الثمانين ولم يحج ، فسأله فقال : « حججْتُ وأنا صغير » فقال لابد أن

(١) فى هامش ه «ترجمة الفريانى » ، هذا وقد ضبطنا الاسم فى المتن حسبما جاء فى الضوء اللامع ١٣١/٧ حيث نسبه إلى فريانة التى عرفها مراصد الإطلاع ١٠٣٤/٣ بأنها قرية كبيرة من نواحى إفريقية قرب سفاقس ، على حين أن الضوء اللامع جعل موقعها فيما بين قفصة ويبشه بالقرب من بلاد قسطنطينة ؛ وكان مولد الفريانى سنة ٧٨٠ بتونس ثم قدم القاهرة عام ٨١٢ وأقام بها ، وكان مالكياً ولكنه مالبث أن تحول شافعياً ، وكان استقراره فى قضاء نابلس استقلالا ، ويختلف تقدير ابن حجر للفريانى من تقدير المقريزى له اختلافاً بيناً ، هذا ولم يتفق من ترجموا له على سنة موته فهى عند بعضهم ٨٥٩ ، وعند آخرين ٨٦٢ ، وجازف بعض فزعموا أنه مات سنة ٨٦٩ ، وهناك من اعتبر ٨٥٤ سنة وفاته .

(٢) ضمير المثنى هنا عائد على الإسناديں المختلقين المنسوبين للسلفى والوائلى

(٣) أخذ ابن السابق الحموى — وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود الحموى المعرى الحنفى — عن الفريانى « الشفا » لابن عياض ، هذا وقد كانت ولايته سنة ٨١١ ، وكان ابن حجر كثير الثناء عليه مقدراً لعلمه ، وشهر هو باقتناء الكتب والضن بها وكان لا يفارقها حتى فى أسفاره ، وتولى بآخره خزانة الكتب بالظاهرية القديمة ومات سنة ٨٧٧ بالقاهرة ، راجع عنه الضوء اللامع ٧٥٦/١٠ .

(٤) أنظر ضبط الإسم فى الحاشية رقم ١ .

تحجّ حجة الإسلام هذه السنة » ، فأَجاب وحَجّ ورجع سالماً ؛ وجرى نظيره للعراقى فمات كما تقدم[١] ، ومن العجب أن ابن الأَمانة لما أُلْزِم تكرَّه ذلك كثيراً[٢] .

* * *

وفى يوم السبت عاشر ذى الحجة يوم عيد الأَضحى وُلد لمحمد ولدى ابنة سماها بَيْرم ، ثم ماتت عن قريب بعد أن استهلت السنة .

وفى يوم السبت ثالث[٣] عشرى ذى الحجة ووافق سابع مسرى كسر الخليج على العادة وحصل للناس السرور بالوفاء ، وكانت الوقفة بمكة يوم الجمعة وكان الحج كثيراً . وحج جقمق[٤]ــ وهو يومئذ أميرُ سلاح ــ فى أَواخر ذى القعدة على الرواحل ، وصُحْبَتُه خلق كثير ، فحج ورجع أيضاً فى العاشر من المحرم .

وفى هذه السنة كثر فساد الفرنج الكتلان فأَخذوا عدة مراكب للتّجار وأسروا من فيها وباعوهم أسرى ، وكاتب صاحبُهُم السلطانَ ينكر عليه إلزامه للفرنج بشراء بضائعه من الفلفل وغيره ، فمزَّقَ السلطانُ كتابه لما قُرِئَ عليه .

* * *

وفى التاسع والعشرين من شعبان ليلة السبت ترآءى الناس الهلال فلم يروه ، وأجمع أهل الفن أنه تغَيَّب مع غيبوبة الشمس ، فحضر[٥] ولدُ شهاب الدين أحمد بن قطب الدين

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « صوابه ــ كما سيأتى ــ فيمن مات هذه السنة » .

(٢) أمام هذا الخبر فى ه بخط البقاعى « أى وأن العراقى لما التزم بذلك أظهر السرور به على ما كان ينسب إليه من التهافت فى الأحكام و التساهل فى الدين . والله الموفق » .

(٣) فى الأصل « خامس عشرى » لكن الصحيح هو « ٢٣ » كما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة جدول السنين الهجرية والقبطية فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ حيث أشارت إلى أن أول ذى الحجة هو الجمعة ويوافقه ١٥ أبيب ١١٤٩ .

(٤) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « جقمق هذا هو الذى ولى السلطنة بعد الأشرف ولقب بالظاهر ، وكان ناسكاً فاتكاً ، فالنسك فيما يظهره ، والفتك فيما يستشعره ويؤثره ، فهو خاق والأول تخلق » .

(٥) لم يستطيع المحقق العثور على اسم الابن ، لكن الأب هو أحمد بن محمد بن عمر بن وجيه الشيشينى ، وقد ضبطه السخاوى فى الضوء اللامع ، ج ١١ ص ٢١٠ س ٥٤ فقال : « بمعجمتين مكسورتين تلى كل واحدة تحتانية وآخره نون » ، ولكنه ورد فى ترجمته بالضوء اللامع أيضاً ٥٩/٢ ؛ « البشنشى » ولعلها تصحيف من ناسخ النسخة التى اعتمد عليها ناشر الضوء فى نشره له ثم فاته تصحيحها ، ولقد ولد الأب سنة ٧٨٤ بالمحلة ، ثم قدم القاهرة فحفظ القرآن والتنبيه ، كما ناب فى القضاء عن ابن حجر ، ومات سنة ٨٤١ .

محمد بن عمر الشَّيشينى فأخبر أنه رآى الهلال ، وكان المحتسب حاضراً ، وكانوا كتبوا الورق على العادة يتضمن عدم الرؤية ، وجُهِّزت إلى السلطان فقلت للمحتسب : « استصحب هذا معك » ، فتوجّه به فذكر أنه صمّم على أنه رآه ، فسأل السلطان عنه فأثنوا عليه لكونه يَقْرُب لجليس السلطان ولى الدين بن قاسم ، فأمر بالعمل بما يقتضيه الشَّرع ، فحكم الحنبلىّ بمقتضى شهادته ونودى فى الناس بالصيام ، وذُكِر أن الناس بعد عدة ثلاثين تراؤا الهلال ليلة الإثنين فلم يروه ولم يجئ أحد من البلاد يخبر برؤيته ليلة الأحد ، لكن نحن اعتمدنا على حكم الحنبلى وأكملنا العدة ثلاثين ، ولم نتعرض للترائى ؛ ومن زعم أن الناس خرجوا للترائى فقد وهم وإنَّما شاع أن بعض الناس تراءى فلم ير شيئاً ، واتفق أن غالب الجهات المتباعدة وكثيراً من المتقاربة عيَّدُوا يوم الإثنين .

وكان وفاءُ النيل فى الثامن عشر من ذى الحجة فصادف أنه أول[1] يوم من مسرى ، وكان فى العام الماضى تأخر إلى العُشْر الأخير منه ، فبسبب ذلك التأخير وهذا الإسراع وقع الوفاءُ فى أوّل العام وفى آخره[2] ، ولكن لزم منه أنه لم يقع فى العام المقبل وفاءٌ بل تأخَّر إلى أن دخل العامُ الذى يليه فصار فى العام الواحد الوفاءُ مرّتين ، وخلا عن العام الذى يليه وهو من النوادر .

* * *

وفيها كانت لإينال الأَجْرُود النَّائب بالرها وقعة مع التركمان ، وسببها أن بعض أتباعه كان فى تسيير خيله ، فوقف لطائفة منهم فصار بهم فقتل منهم ، فخرج إينال نجدة لهم فخرج عليه كمينُهم فوقع بينهم قتالٌ ، فقتل بين الطائفتين جماعة ، ودخل إينال المَرْقَب فبلغ ذلك السلطانَ ، فكتب إلى نائب حلب قَرْقُمَاس أن يتوجّه بالعسكر إلى الرها ، وكتب إلى سائر الممالك الشامية أنهم إن تحققوا نزول قرايلك على الرها أن يتقدّموا بعساكرهم إلى اللحاق بقرقماس لقتال قرايلك .

---

(١) إذا أخذنا بما ورد فى جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ ، كان أول مسرى يعادل يوم ١٧ من ذى الحجة ٨٣٧ .

(٢) راجع ما سبق حاشية رقم ٢ ص ٥١٠ .

وفيها أخرب أصبهان بن قرا يوسف بغداد وتشتّت أهلها منها ، وأخرب قبل ذلك الموصل .

وفيها جهّز السلطان الجُنَيْد أمير آخور إلى المغرب لمشترى الخيول فعاد ومعه كُتُبٌ من تونس وهديّةٌ من صاحبها[1] وخيولٌ جيادٌ اشتراها .

* * *

ذكر من مات فى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة من الأعيـــــان

١ـ إبراهيم بن داود بن محمد بن أبى بكر العبّاسى ، ولَدُ أمير المؤمنين المعتضد بن المتوكل العباسى ولم يكن بقى له ولدٌ غيره ، وكان رجلاً حسناً كبير الرئاسة ، قرأ القرآن وحفظ « المنهاج » ، واشتغل كثيراً وخلف أباه لما سافر خلافةً حسنةً شُكِر عليها ، ومات بمرض السّل فى ليلة الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول[2] بالقاهرة ولم يُكمِل الثلاثين ، ولم يبْقَ لأبيه ولدٌ ذكر ، وذُكِر أنه تمام عشرين[3] ولداً ذكراً .

٢ـ أحمد[4] بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز الدمشقى ، شهاب الدين الحنفى المعروف بابن الكشك ، انتهت إليه رياسة[5] أهل الشام فى زمانه ، وكان شهماً قوىّ النفس يستحضر الكثير من الأحكام ، وولى قضاء الحنفية استقلالا مدة ، ثم أُضيف إليه نظر الجيش فى الدولة المؤيّدية وبعدها ثم صُرف عنهما معاً ، ثم أُعيد لقضاء الشام وعُيّن لكتابة السّر بعد موت شهاب الدين بن السّفّاح فاعتذر لضعف يعتريه وهو عُسْرُ البول .

---

(١) هو المنتصر بالله أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز المتوفى سنة ٨٣٩ راجع النجوم الزاهرة ٨٣٧/٦ – ٨٣٨ .

(٢) فى ز « الآخر » ، ولكنها ربيع الأول فى الضوء اللامع ج ١ ص ٥٠ .

(٣) هكذا أيضاً فى شذرات الذهب ٢١٩/٧ ، ولكنه « ٢٨ » فى الضوء اللامع ج ١ ص ٥٠

(٤) خلطت الشذرات ٢١٩/٧ بينه وبين أبيه فقالت « المتقدم » .

(٥) فى هامش « أما رئاسته الحنفية فنعم لكثرة المال ، وأما الرئاسة مطلقا فلا ، بل وكان لايعد إلا بعد النجم بن حجى وابن نقيب الأشراف ، وكان ابن حجى أرأسهم لأنه صم إلى المال والمكارم العلم ، وأما الآخران فكانا يعدان بالنسبة إليه عاميين » .

وكانت بينه وبين نجم الدين بن حجّى معاداة[١] فكان كل منهما يبالغ فى الآخر ، لكن كان ابن الكشك أجود من ابن حجّى ، سامحهما الله تعالى ، وعاش ابن كشك بضعاً وخمسين سنة ، وكانت وفاته فى صفر[٢] بالشام .

٣ - إسماعيل بن أبى بكر بن المقرئ ، عالم البلاد اليمنية شرفُ الدين ، أصله من الشَّرْجة[٣] من سواحل اليمن ووُلد فى خامس عشر جمادى الأُولى سنة خمسٍ وستين وسبعمائة - كذا كتبهُ بخطه - بأَبيات حسين ،وسكن زبيداً ومهرفى الفقه والعربية والأَدب ، وجمع كتاباً فى الفقه سماه « عنوان[٤] الشرف » يشتمل على أَربعة علوم غير الفقه يخرج من رموز فى المتن عجيب الوضع ، اجتمعتُ به فى سنة ثمانمائة ثم فى سنة ستّ وثمانمائة ، وفى كل مرة يحصل لى منه الودّ الزائد والإقبال ، وتنقّلتْ به الأَحوال ، وولى إمرة بعض البلاد فى دولة الأَشرف ، ونالته من النَّاصر جائحةٌ تارةً وإقبالٌ أُخرى ، وكان يتشوق لولاية القضاء بتلك البلاد فلم يتفق له .

ومن نظمه : « بديعيةٌ » التزم أن يكون فى كل بيت تورية مع التورية باسم النوع البديعى ، وله مسائل وفضائل ، وعمل مرة ما يتفرّع من الخلاف فى مسأَلة الماء المشمس فبلغَتْ آلافاً ، وله « شرح الحادى[٥] » فى مجلدين ؛ وحجّ سنة بضع عشرة وأسمع كثيراً من شعره بمكة . رحمه الله تعالى .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « فى هذا نظر بل العكس أولى » .

(٢) جاء بعد هذا فى ز « وفى نسخة : ليلة الخميس سبعة ربيع الأول » ، وهذا هو التاريخ الذى أوردته النجوم الزاهرة ٨٣٠/٦ ، ويلاحظ أنه جاء فى هامش ه أمام هذا بخط البقاعى قوله : « مراده بالشام : دمشق » .

(٣) عرف مراصد الإطلاع ٧٩٠/٢ « الشرجه » بأنها من أول أرض اليمن .

(٤) ورد اسمه فى الشذرات ٢٢١/٧ « عنوان الشرف الوافى » وقالت عنه « هو كتاب حسن لم يسبق إلى مثله يحتوى على خمسة فنون ، وفيه يقول بعضهم :

عروض وتاريخ ونحو محقق ... وعلم القوافى وهوفقه أولى الحفظ
فأعجب به حسناً وأعجب بأنه ... بطين من المعنى خميص من اللفظ

وانظر ما جاء عنه أيضاً فى الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩٣.س ٤ - ٨ .

(٥) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « إنما شرح كتابه المسمى إرشاد الغاوى فى مسائل الحاوى ، وهو اختصار الحاوى بزيادة مسائل وتصحيح النووى » .

٤ ــ آقبُغا الجمالى الذى كان عمل الأُستادارية الكبرى غير مرّة وفى الآخر ولّاه السّلطانُ كشْفَ البحيرة فتوجّه إلى هناك ، فأغار على بعض العرب فتجمعوا عليه وقتلوه وذهب دمُه هدراً ، وكان أهوج[1] مقداما غشوماً ، وهو من مماليك كمشْبغَا الجمالى ، وخرج الوزير الأُستادار عبد الكريم بن كاتب المناخات بعسكرٍ فجمع العرب وأمّنهم وأحضرهم إلى السلطان ، وذهب دم آقبغا هدراً فى ٢١ ربيع الآخر .

٥ ــ أبو بكر بن على بن حجّة الحموى الحنفى ، الشيخ الأَديب الفاضل شاعر الشام تقى الدين الأَزرارى ، كان فى ابتداء أمره يعقد الأزرار وكان يخضب بالحمرة ، ثم تعانى النظم فولّع أولاً بالأَزجال والمواليا ومهر فى ذلك وفاق أهل عصره ، ثم نظم القصائد ومدح أعيان أهل بلده ، ودخل[2] الشام فمدح برهانَ الدين بنَ جماعة قبل التسعين بقصيدة كافيّةٍ أعجبتْه فطاف بها على نبهاء عصره فقرظوها له . ودخل بسبب ذلك إلى القاهرة فدُلّ على القاضى فخر الدين بن مُكَانِس ومدحه وطارح ولده ، وكتَبا له على القصيدة ، واجتمعْتُ به إذ ذاك ، ثم عاد مرة أُخرى فتأَكّدت الصحبة .

ولمّا رجع فى الأَوّل صادف الحريقَ الكائن بدمشق لمّا كان الظّاهر يحاصر دمشق بعد أن خرج من الكرك، وكان أمراًمهولا فعمل فيه رسالته وكاتبه بها ابن مكانس وهى طويلة ، وأقام بحماة يمدح أُمراءها وقضاتها ؛ وله قصيدة فى علاء الدين بن أبى البقاء قاضى دمشق ، ومدح أمينَ الدين الحِمصى كاتب السّر حينئذ وغيره . ودخل القاهرةَ ثم نوّه به القاضى ناصرُ الدين بنُ البارزى فى الدولة المؤيّدية فعظم أمره وشاع ذكره . وكان نظم قصيدةً بديعية على طريقة شيخه العزّ الموصلى وشرحها فى ثلاثة مجلدات ، وجمع مجاميع أُخرى مخترعة ، وله فى المؤيد غُرر القصائد ، وقُرِّر فى ديوان الإنشاء منشىءَ الدّيوان ، وعمل فى طول

---

(١) وصفته النجوم الزاهرة ٨٣١/٦ بأنه « كان وضيعاً من الأوباش لا يشبه فعله أفعال المماليك فى حركاته وسكونه ولا فى قتاله . . . وشجاعته كانت مشتركة بجنون وسرعة حركة . . . وفى الجملة أنه كان من الأوغاد » .

(٢) عبارة « ودخل الشام فمدح » غير واردة فى هـ .

الدولة المؤيدية من إنشائه مجلّدين فى الوقائع ، ودخل مع المؤيّد بلاد الروم ، فلما انقضت الدولة المؤيّدية رقّ حاله فرجع إلى بلده حماة فأقام بها على خيرٍ إلى أن مات فى الخامس والعشرين من شعبان .

سمعْتُ من نظمه كثيراً ، وسمعْتُ عليه معظم شرحه على « بديعيّته » وجملةً من إنشائه ، ولقيتهُ بحماة سنة ستٍ وثلاثين ذهاباً وإياباً وبيننا مودّة أكيدة ، والله تعالى المسئول أن يرحمه ونعم الرجل كان . رحمه الله تعالى ، ومن نظمه :

سِرْنَا ولَيْلُ شَعْرِهِ مُنْسدِلٌ وقَدْ غَدا جمالُه مُسفِرا[1]
فَقَال صُبْحُ ثَغْرِهِ مُبْتَسِمًا عند الصَّباح يحمدُ القومُ السّرى

ومنه :

فِى سُوَيْداءِ مُقْلَةِ الحُبِّ نَادى جفْنُه وهْوَ يَقْنَصُ الأُسْد صَيْدَا
لَا تَقُولُوا ما فى السُّوَيّدَا رِجَالٌ فأَنا اليَوْم مِنْ رجال السُّوَيْدَا[2]

٦ ـ أبو بكر ، المقيم ببولاق ، أحدُ من كان يُعتقَد ، وكان مقيماً بالحسينية[3] ظاهر القاهرة ثم تحوّل إلى بولاق وبُنِيتَ له زاوية ، ثم اتّفَق أنه أمرَ أن يُبْنَى له بها قبرٌ فبُنِى ، فلمّا انتهت عمارته ضعف فمات فدُفِن فيه فى المحرّم ؛ وتُحْكى عنه كرامات ومكاشفات وكان فى الغالب هملا[4] .

٧ ـ جارقُطْلِى[5] نائب الشام : تنقَّل فى الخدم إلى أن ولى نيابة حماة فى الدولة المؤيّدية ، ثم نُقل إلى نيابة حلب عوضاً عن قَانِى بِكْ واستقرّ البجَاسى فى نيابة دمشق ، وكان دخولهُ

---

(١) هكذا فى النجوم الزاهرة ٨٣٣/٦ .

(٢) علق البقاعى فى ه على شعره بقوله : « وشعر المذكور كله من هذا الدرب ، وهو والله بوصف السفساف أولى لما تراه من اتباع معانيه لألفاظه فهو زائد التكلف لذلك ، وكل من نحا نحوه فهو مثله » .

(٣) ولذلك يسمى « الحسينى » نسبة لسكنه الحسينية ، و « البولاقى » نسبة لسكنه بولاق مصر .

(٤) فى ز « كاهلا » وكذلك فى ه ، غير أن الأخيرة وضعت فوقها كلمة « كذا » تشككاً فى اللفظ ، أما عبارة الضوء اللامع ج ١١ ص ١٠٠ فهى « وكان فى الغالب كأنه ثمل » .

(٥) أشار السخاوى : الضوء اللامع ١٩٨/٣ إلى أن العامة تنطقه بالشين المعجمة بدلا من الجيم .

إلى حلب فى شوال سنة ستٍ وعشرين ثم نُقِل إلى القاهرة فى سنة ثلاث وثلاثين فأُمِّر تقدمة، ثم قُرِّر أتابك العساكر بها، ثم نُقل إلى نيابة دمشق بعد عزْلِ سودون من عبد الرحمن فكانت مدّةُ ولايته لها قدْر سنةٍ واحدة إلى أن مات فى شهر رجب. وكان شهماً مسرفاً على نفسه يحب العدل والإنصاف، ولم يخلف ولداً.

واستقر بعده فى نيابة الشام قَصْرُوه نائبُ حلب نقلا منها، واستقرّ عوضه فى نيابة حلب قَرْقُمَاس الحاجب الكبير، واستقر عوضه فى الحجوبية يَشْبك المِشَدّ. ومن الاتفاق أنَّ رفيقاً لى[1] رأى لما كُنَّا فى سفرة آمد – قبل أَنْ ندخل حلبا وذلك فى رمضان – أنَّ النَّاس اجتمعوا فطلبوا مَنْ يؤمّ بهم فرأَوا رجلاً يُنْسبَ إلى الصلاح فسألوه أن يؤمّ بهم فقال: «بل يؤمّ بهم قَرْقُماس»، فى الحال حضر قرقماس فتقدم فصلَّى بهم، فوليها بعد ذلك بدون السنة، ونُفِى سودون مِن عبد الرحمن الذى كان نائبَ الشام إلى دمياط بعد أن كان بذل فى نيابة الشام ستين ألف دينار يُعَجّل نصْفَها ويُجهّز نصفها بعْد الولاية فلم يجب. واستقر عوضه فى إمرته الأَمير الكبير إينَال الجكمى أمير سلاح، واستقر عوضه آقْبُغَا التَّمْرازى أمير سلاح وكان أَمير مجلس، واستقر عوضه أَمير مجلس جَقْمقَ أمير آخور، واستقر عوضه أَمير آخور تغرى برمش الذى كان نائب الغيبة فى سفر الشام.

كل ذلك يوم الخميس سلخ شهر رجب[2].

٨ – رُمَيْثَة بن محمد بن عجلان الحسنى الذى كان وَلِى إمرة مكة، وكان خرج فى طائفة من العسكر للوقيعة ببنى إبراهيم على نحو ثمانية أيام من مكة فقُتِل فى المعركة.

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى: «حكى لى ذلك الرفيق المنام لما كنا فى حلب وفيه أن الناس كانوا مجتمعين فى صفد، وأخذ العسكر المصرى وغيرهم وكانوا فى اضطراب شديد وأن المشار إليه بالخير الشيخ إبراهيم بن ذو القاعة، وأنه لما أشار بقمرقاس نظر الرائى إلى مكان إشارته فرآى قرقماس آتيا فوق رءوس الناس، فلما صار أمامهم استقروا وبطل اضطرابهم ومرجهم، فأولت ذلك أنا بالصلاة عليه بعد قتله، فإن أهل المملكة كانوا فى اضطراب شديد إلى أن قتل فاستقروا».

(٢) ورد بعد هذا فى بعض نسخ المخطوطة الخبر التالى: «وفى الثالث من شعبان ماتت أم تغرى برمش المذكور وكان الجمع فى جنازتها حافلا، ومنع ابنها أكابر الناس من المشى فى جنازتها وركب وركبوا إلى مصلى المؤمنى». وموضع هذا الكلام كما يبدو فى الحوادث لا فى الوفيات.

٩ ـ عبد[١] الله العفيف المعروف بالأشْرفى ، كان مملوكاً رومياً اشتراه أرْغُون الفاخورى وربّاه فتعلّم الخطَّ وحذق اللِّسان العربى وتعانى الخدم ، فرآه البرهان المحلِّى التاجر فأعجبه فاشتراه من أرْغُون ثم أعتقه ، ثم تنقّلَتْ به الأحوال حتى اتصل المذكور بالملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن فعظم عنده جدًّا وفوّض إليه أمر المتاجر بعدن ، وصار يكتب بخطه « الأشرفى » واشتهر بها فشرق بها المحلى وتولّدت بينهما العداوة ؛ وكان يباشر بصرامةٍ وشهامةٍ وبعضِ عسفٍ مع معرفةٍ تامة ، فلم يزل على ذلك من سنةِ ثمانمائة يتنقّل الحال فى ذلك بينه وبين نور الدين ابْن جُميع[٢] إلى أن مات الأشرف وولى ولده الناصر ، ومات ابن جُميع فتحوّل الأشرفى إلى مكة فسكنها نحواً من عشر سنين ، ثم تحوّل إلى القاهرة فقطنها واستقام أمره إلى أن قُدّر أنه خرج فى تجارةٍ إلى جهة طرابلس فاشتراها فأسرتْه طائفةٌ من الفرنج وقعوًا بالمركب الذى هو فيه فانتهبوا ما معه ، واستمر فى الأسر نحواً من أربع سنين إلى أن مات فى هذه السنة فى ربيع الآخر .

١٠ ـ عبد الله ، جمال الدين بن الشيخ شمس الدين محمد بن محمد العراقى ، الحلبى الأصل ، نزيل القاهرة ، وُلد سنة أربع وستين تقريباً بحلب ، وكان أبوه من صدور علمائها وتربىّ هو بعد موْته عند الشيخ شهاب الدين الأذْرُعى وحصل له وظائف أبيه ، ثم تعلّق ـ بعد أنْ كبر ـ بولاية الحكم فناب فى عدّة بلاد ، وولى قضاء بعض البلاد على غير مذهبه ولم يكن متحرّياً ، وكان يعرف الشروط ، واستكثر من شراء الكتب مع عدم فراغه للاشتغال .

وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين فقطنها إلى أن مات[٣] ، وفى هذه السنة قيل للسلطان إنّه لم يحج فأرسل إليه فى العُشْر الأخير من شوال فسأله عن ذلك فاعترف فأمره بأن يحجّ

(١) أمامها فى هامش ه بخط الناسخ « كان اسمه شاهين وولى وزارة اليمن . رحمه الله »

(٢) ضبطتها ه بضم الجيم .

(٣) أدرجه الضوء اللامع ٥/٢٦١ فيمن مات سنة ٨٢٧ بناء على ما ذكره ابن أخت صاحب الترجمة ثم قال : « ورأيت فى نسختى أيضاً من الإنباء : سنة سبع وثلاثين فيحرر أى التاريخين أصوب ، وكأنه الأول » ، هذا وقد أوردته الشذرات ٧/٢٢٣ فيمن مات سنة ٨٣٧ ، راجع ماسبق ، ص ٣٣٦ حاشية رقم ٢ .

فى هذه السنة ، فبادر إلى الإجابة وأظهر الفرح بذلك ونزل فى الحال فتجهّز وتوجّه صحبة الركب الأوّل فقدِّرت وفاته بمغارة نبط ذاهباً على ما بلغنا ، ولم أعرف له سماعاً فى الحديث ولا حدّث . وكان مبغِضاً للناس بغير سبب غالباً ، عفى الله عنه .

١١ ــ عبد[1] العزيز عز الدين بن القاضى بدر الدين محمد بن عبد العزيز بن الأمانة ، مات فى سابع عشرى جمادى الأُولى وكان شاباً صالحاً عفيفاً فاضلاً . اشتغل كثيرا ودرّس وعمل المواعيد بالجامع الأزهر .

١٢ ــ عبد العزيز[2] السلطان أبو فارس بن أبى العبّاس أحمد صاحب تونس ، مات وهو قاصدٌ إلى تلمسان وقد مضى كثيرٌ من أخباره فى الحوادث ؛ قرأتُ بخط صاحبنا أبى عبد الله محمد بن عبد الحق السّبْتى ــ فيما كتب من سيرته ــ أنه بلغه أنه كان لا ينام من الليل إلاَّ قليلا حتى حرّز مقدار ما ينامه بالليل أربع ساعات لا تزيد قط بل ربما نقصت ، وليس له شغل إلاَّ النظر فى مصالح ملكه ، وكان يؤذّن بنفسه ويؤم بالناس فى الجماعة ويُكثِر من الذكر ويقرّب أهل الخير ، وقد أبطل كثيرا من المفاسد والتركات بتونس منها « العيالة » وهو مكان يباع فيه الخمر للفرنج ويُتحصّل منه فى السنة شئٌ كثير ، وكان لأكثر الجيش عليه رواتب فأبطله وعوّضهم وأخرج للجيش بدله ، قال : وشُكِى إليه قلة القمح بالسوق فدعا تجّاره فعرض عليهم قمحاً من عنده وقال :« أُريد أبيع هذا بسعر دينار ونصف» ، فاسترخصوه فأمر ببيْعه بذلك السعر وأنْ لا يشترى أحدٌ من غيره بفوْق ذلك ، فاحتاجوا أن يبيعوه بذلك القدر فترك هو البيع ، فبلغه أنهم زادوا قليلاً فأمر بأن يُباع ما عنده بسعر دينار واحد ، وتقدم إلى خازنه أنه إن وجد القمح بالسوق لا يبيع مِنْ عنده شيئاً ، وإلاَّ باع بسعر دينار ، فاضطروا إلى أن مشى الحال فكانت تلك من أحسن الحيل فى تمشية حال الناس .

ولم يكن ببلاده كلها شئ من المكوس ، ولكنه كان يبالغ فى أَخْذ الزكاة والعُشْر

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) سعيد ابن حجر ترجمة أبى العباس هذا فيما بعد ص ٥٥٩ ، ترجمة رقم ١٩ .

وكان محافظاً على عمارة الطرق حتى أمنت القوافل فى أيّامه فى جميع بلاده ، وذكر أنه حضر محاكمةً مع منازع له فى بستان إلى القاضى فحكم عليه فقبل الحكم وأنصف الغريم .

وكان إذا مرّ فى الأسواق يسلّم ، ولا يلبس الحرير ولا يجلس عليه ولا يتختّم بالذّهب ، وكانت صدقاتُه إلى الحرميْن وإلى جماعةٍ من الصلحاء بالقاهرة وغيرها مستمرة ، وما سافر قطّ — مع كثرة أسفاره — إلاَّ قَدَّم بين يديه صدقات للزوايا وكذلك إذا عاد ، وكتب إليه ابن عرفة مرة : « والله لا أعلم يوماً يمرّ علىّ ولا ليلة إلاَّ وأنا داعٍ لكم بخيْرىْ الدنيا والآخرة ، فإنكم عماد الدين ونصرة المسلمين[1] . ومات[2] فى ذى الحجة عن ستٍ وسبعين سنة بعد أن خُطب له بفاس وتلمسان وماوالاهما من المدن والقرى إحدى وأربعين سنة وأزيد ، وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى عبد الله محمد ابن أبى فارس .

١٣ — على بن حسين بن عُرْوة المشرقى ثم الدمشقى الحنبلى أبو الحسن بن زَكْنُون ، وُلد قبل السّتين وكان فى ابتداء أمره جمَّالا[3] ، وسمع على يحيى بن يوسف[4] الرحبى ويوسف الصيرفى ومحمد بن محمد بن داود وغيرهم ، وكان يذكر أنه سمع من ابن المحبّ ثم أقبل على العبادة والاشتغال فبرع ، وأقبل على « مسند أحمد » فرتَّبه على الأبواب ، ونقل فى كل بابٍ ما يتعلق بشرحه من كتاب « المغنى » وغيره ، وفرغ فى مجلدات كثيرة .

وكان منقطعاً فى مسجد لله يعرف بمسجد القدم[5] خارج دمشق ، وكان يقرئ الأطفال ثم انقطع . وكان يصلِّى الجمعة بالجامع الأموى ويُقرأ عليه بعد الصلاة فى الشرح ..

---

(١) « المسكين » فى الضوء اللامع ٥٤٧/٤ ص ٢١٥ .

(٢) بقية الترجمة من هنا غير واردة فى ه .

(٣) بالجيم فى شذرات الذهب ٢٢٢/٧ ، وبالحاء فى الضوء اللامع ٧٢١/٥ .

(٤) اشتغل بالتجارة ثم اهتم بسماع الحديث واتصل بابن كثير وكتب عنه فوائد حديثية وكان موته سنة ٧٩٤ ، انظر الدرر الكامنة ٥٠٥٥/٥ وإنباء الغمر ٤٤٩/١ .

(٥) أشار إليه النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ٣٦٢/٢ فقال عنه إنه قرب عاليه وعويله ، وهو قديم وجدد سنة ٥١٧ ، وقد دفن به كثير من الصلحاء والزهاد ،

وثار بينه وبين الشافعيّة شرٌ كبيرٌ بسبب الاعتقاد ، وكان زاهداً عابداً قانتا لا يقبل لأحد شيئاً ولا يأكل إلاّ من كسْب يده . وتوفى[1] ثانى عشر جمادى الآخرة ، وكانت جنازتهُ حافلةً .

١٤ – عمر[2] بن على بن حجىّ ، الشيخ الحنفى البِسْطَامى . أصله من العجم وصحب بعض الفقراء ودخل القدس فلازم الشيخ عبد الله البسطامى فعُرف به ، وأخذ عن الشيخ محمد القرمى ثم قدم مصر فقطنها وسكن بدرب[3] اللؤلؤة بالعارض .

وكان خيراً ساكناً يعتقد الناس فيه ، وله مددٌ من عقار يملكه ويستأجره ، وكان قَدْ أُقْعِد وهو مع ذلك ملازمٌ الصلاة والذكر وقلَّ أن تُردّ رسائلهُ ، مات فى حادى[4] عشر ذى الحجة وقد قارب التسعين ، وسمعْتُ بعضَ النّاس يذكر أنّه جاوز المائة وليس كما ظُنَّ .

١٥ – قَطْلُوبُغَا حجى البانَقُوسى ، حمو الظاهر ططر ، وقدولِى نظرالأَوقاففى أيام الأَشرف برسباى مدةً وباشر بعسفٍ شديد ثم لانَتْ عريكتُه ثم انفصل ومات فى يوم السبت ٢٥ صفر .

١٦ – محمد بن أحمد المالكى ، فتح الدين بن النّحاس – بالعين والسين المهملتين – أحدُ موقعى الحكم ، كان حسن الخطّ عارفاً بالوثائق ، وولِى الخطابة بمدرسة[5] ناظر الجيش عبد الباسط ، وكان متتلمذاً لابن وفاء وتقدّم فى الصّلاة عليه بإشارة ناظر الجيش مع حضور القاضى الحنبلى وغيره من الأعارف ، ولم يتفق لى حضورها .

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ٦/٨٣٥ أنه مات ثانى جمادى الأخرة .

(٢) عاد ابن حجر فترجم للشيخ عمر البسطامى فى السنة التالية ، ترجمة رقم ٢٤ ، وقد لاحظ هذا التكرار السخاوى فأشار إليه دون أن يرجح فى أى السنتين كانت وفاته ، على حين أن شذرات الذهب أسقطته من مات فى هاتين السنتين .

(٣) فى ه ، والضوء اللامع ٦/٣٣٢ « قريب » .

(٤) أشار الضوء اللامع ٦/٣٣٢ إلى أن ذلك كان يوم دفنه ، وأن وفاته كانت يوم عيد الأضحى .

(٥) وتعرف بالباسطية نسبة لناظر الجيش عبد الباسط .

١٧ – محمد[١] بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن سلامة الماردينى الحلبي الحنفى ، الشيخ بدر الدين ، اشتغل ببلده مدّةً ، ولقى أكابر المشايخ ، وحفظ عدة مختصرات ، ومهر فى الفنون وشغل الناس ، وقدم إلى حلب مراراً فاشتغل بها ، ثم درّس فى أماكن وأقام بها مرةً عشر سنين ورجع .

ولما غلب قَرَايلُك على ماردين نقله إلى آمد فأقام مدةً ثم أُفرج عنه فرجع إلى حلب فقطنها ، ودرَّس فى عدّةٍ مدارس ، ثم حصل له فالج قبل موته بنحو عشر سنين فانقطع ، ثم خفَّ عنه وصار ثقيلَ الحركة .

وكان حسنَ النظم والمذاكرة ، اجتمعْتُ به فى حلب فذكر لى أنَّ مولده سنة خمسٍ[٢] وخمسين ، ومدَحنى بقصيدةٍ رائيةٍ وأجبتُه عنها ، ومات ثانى صفر سنة ٨٣٧ . وكان فقيهاً فاضلاً صاحب فنونٍ من العربيّةِ والمعانى والبيان ، وأخذ عن سَريجا وجماعة ، وقد ذكرْتُ له ترجمةً حسنة فى معجمى ، ومات وله اثنتان وثمانون سنة ولم يخلف بعده بحلب مثله .

١٨ – محمد بن أبي بكر بن محمد السّمنودى المقرئ ، تاج الدين الشهير بابن ثمرية وُلد قبل الثمانين بيسير ، وكان أبوه تاجراً بزازاً فنشأ هو محبًّا فى الاشتغال مع حُسْن الصّورة والصيانة . وتعانى القراءات فمهر فيها ولازم الشيخ فخر الدين بالجامع الأزهر والشيخ كمال الدين الدّميرى، وولى خطابة جامع بشتك ومشيخة الإقراء بالخانقاه الشيخونية ، وأخذ أيضاً عن الشيخ خليل المشبّب . مات[٣] يوم الجمعة عاشر صفر .

١٩ – محمد بن شقيل[٤] شمس الدين الحلبي أحد الفقهاء بها اشتغل كثيراً وفضل ، مات فى جمادى .

---

(١) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « هو محمد بن أبي بكر بن محمد بن عثمان بن أحمد بن عمر بن سلامة» ويلاحظ أن السخاوى ذكره أولا باسم « محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة » ثم قال : « يطلب فى محمد بن أبي بكر بن محمد بن عثمان ابن أحمد بن عمر بن سلامة » .

(٢) علق البقاعى على ذلك فى ه بقوله : « الذى حررته أنه ولد سنة ثمان وخمسين وأن وفاته بعد عصر يوم الاثنين سادس عشرى صفر المذكور » كذلك وافقه السخاوى فى الضوء اللامع ٥٧/٧ ؛ فى سنة مولده وإن أشار إلى رواية ابن حجر كذلك ووافقه فى تحديد شهر الوفاة واليوم ؛ على أنه لو أخذنا بروايتى البقاعى والسخاوى لكان عمره وقت موته تسعا وسبعين سنة وليس اثنتين وثمانين كما أكد ابن حجر فى المتن .

(٣) فى هامش ه بخط البقاعى : « وهو إذ ذاك شيخ الإقراء بالقاهرة وكان نصيحاً » .

(٤) سماه السخاوى فى الضوء اللامع ٦٨٠/٧ « شفليش » بفتح الشين وسكون الفاء ثم قال « ورأيت من كتبه شقيل » كما هو بالمتن ، وهو وارد فى ه باسم « شفنتيل » ، وعلق البقاعى فى هامش ه على اسمه بقوله : « صوابه شفليس بتقديم اللام على الياء ، وهو محمد بن أحمد ، وفى تعاليق أنه مات ليلة الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر فى هذه السنة » .

أضاف البقاعى لهذا فى هامش ه قوله : « وخلف ولده القاضى محب الدين محمد ، وكان جيد الخط عارفاً بالوثائق ، دمث الأخلاق ، موثوقاً به فى ذلك ، ومات فى سنة خمس وستين فى دمشق ، وخلف ولده القاضى برهان الدين إبراهيم جبره الله» .

٢٠ ـ محمد بن عبد الله السُّلَمى ، الشيخ بدر الدين . مات فى تاسع عشر ذى الحجة .

٢١ ـ محمد بن على بن محمد بن أبى بكر قاضى مكة جمال الدين القرشى العَبْدرى المكى الشَّيْبى ، أبو المحاسن . وُلد فى رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وسمع على برهان الدين بن صدّيق وغيره ، وله إجازة من النشاورى والحافظ العراقى وغيرهما ، وتعانى الأدب والنظر فى التواريخ ، وصنّف أشياء لطيفة منها ذيل على حياة الحيوان سماه «طيب[1] الحياة». ومن نظمه قوله فى القاضى جلال الدين لمّا أُعيد إلى القضاء بعد الهروى فى سنة اثنتين وعشرين :

عوْدُ الإمَامِ لَدَى الأنَامِ كَعِيدِهِم بل عَوْدُ لا عِيْدٌ أُعِيدَ مثالُهُ
أَجْلَى جَلَالُ الدّينِ عَنَّا غُمَّةً زالَت بعَوْنِ اللهِ جلَّ جلالُهُ

وولى سدانَةَ البيت سنة سبع وعشرين ، ثم أُعيد وولى قضاء مكّة بعد صرْف أبى السعادات فى سنة ثلاثين فباشرها فحُمِدتْ سيرتُه وأُضيف إليْه نظرُ الحرم ، ولم يكن يُعاب إلاَّ بما يُرْمى به من تناول لبن الخشخاش .

ثم قال القاضى تقى الدين الشهبى : « وَلِى حجابة البيت سنة ثمانٍ وعشرين ، وولى قضاء مكة سنة ثلاثين » وجمع مجاميع كثيرة منها تعليق على الحاوى ، وطيب الحياة « ومختصر حياة الحيوان ، مع زوائد ، وكان رحل إلى شيراز وبغداد ، وكتب بخطه حوادث زمانه . مات فى ليلة الجمعة ثامن عشرى ربيع الأَول عن نحو سبعين سنة » .

٢٢ ـ محمد بن على الحِكْرى ، بدر الدين ، ولى أبوه القضاء مدّةً لطيفةً كما تقدم ذكره فى سنة ستٍّ وثمانمائة ونشأ ابنُه هذا نشأةً حسنة واشتغل كثيراً ثم ناب فى الحكم مرة ، وكان جميل الصورة حسنَ العشرة متواضعاً فاشتغل ومهر ، وبحث « المقنع » و « المستوعب » على القاضى الحنبلى وكتب بخطّه كثيراً ، ومات فى أول [2] شهر ربيع الأوّل ؛ طلعَتْ له جمرةٌ فى قفاه فمات بها ؛ وعاش ثلاثا وخمسين سنة .

---

(١) انظر س ١٤ ، ١٥ .

(٢) فى الشذرات ٢٢٤/٧ « ثالث ربيع الأول » .

٢٣ ــ قُطُلْبِك[1] الكَمَاخِي ــ بالخاء المعجمة ــ شمس الدين أحد نوّاب الحنفى ، مات فى الخامس من جمادى الآخرة ، وكان مذموم السيرة .

٢٤ ــ محمد بن محمد بن محمد بن القماح التُّونسى المحدّث بها[2] أبو عبد الله ، سمع من ابن أبى عبد الله بن عَرَفة وجماعة ، وحجّ فسمع من شيخنا تاج الدّين بن موسى خاتمة مَن كان عنده حديث السِّلفى بالعلوّ بالسماع المتصل بالقاهرة من شيخنا حافظ العصر زين الدين العراقى ، ومن مسند القاهرة برهان الدين الشامى وجماعة ، ورجع إلى بلاده فعنى بالحديث واشتهر به ، وكاتبنى مراراً بمكاتبات تدلُّ على شدّة عنايته بذلك ولكن بقدْر طاقته فى البلاد .

وقد ولى قضاء بعض الجهات بالمغرب ،وحدّث بالإجازة العامة عن البطرنى الأندلسى بسند يونس وخاتمة أصحاب ابن الزبير بالإجازة ، وعن غيره من المشارقة ، وحدّث بالكثير .

مات فى أواخر شهر ربيع الآخر ، وكَتب إلىَّ بوفاته الشيخُ عبد الرحمن البَرْشكى من تونس وقال : « كان حسن البشر ، سمْحَ الأخلاق ، محبًّا للحديث وأهله » ، رحمه الله تعالى .

٢٥ ــ محمد بن الفخر[3] المصرى ، ناصر الدين المعروف بابن النَّيْدى[4] ، كان أبوه

---

(١) سماه السخاوى « محمد بن عمر بن محمود » وقال : « ذكره العينى فسمى أباه قطلوبك » .

(٢) أى بتونس .

(٣) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ٣٤١/٨ إلى اسمه بالكامل ، وذكر أن ابن حجر أسقط منه « فخر الدين » حتى لا يعرف أن أصله من القبط .

(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « كتب لنا نسبه ــ أعنى ابن النيدى ــ محمد بن عثمان بن عبد الله وكان يقال إنه قبطى الأصل ، ولعل تسميته الفخر بعثمان وأبيه بعبد الله من صنعه ؛ ولم يكن موصوفاً بين الناس بمهارة فى علم من العلوم لاعربية ولا غيرها ؛ والله أعلم » .

تاجراً فنشأ هو محبًّا فى العلم فمهر فى العربيّة ، وصاهر شيخنا العراق على ابنته ثم ماتت معه فتزوّج بركة بنتَ الشيخ ولىّ الدين أخيِ زوجته ومات[١] وهى فى عصمته ، وخلّف ولىَّ الدين ، وكان معروفاً بكثرة المال فلم يظهر له شئ ، مات وله بضع وستون[٢] سنة .

٢٦ ــ محمد بن فَنْدو[٣] ملك بنجالة ، جلال الدين أبو المظفّر ويلقّب بكاس ، وكان سببُ مملكته لها أن أباه كان كافراً فثار عليه شهاب الدين مملوك سيف الدين حمزة بن غياثِ الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين فغلبه على بنجالة وأسَره ، وكان أبو المظفر قد أسلم فثار على أبيه واستملك منه البلاد فأقام شرائع الإسلام ، وجدد ما خرّبَهُ أبوه من المساجد ، وراسَل صاحبَ[٤] مصر بهديّة واستَدْعَى بعَهدٍ من الخليفة ، وكانت هداياه متواصلة بالشيخ علاء الدين البخارى نزيل مصر ثم دمشق ، وعمّر بمكة مدرسةً هائلة.

وكانت وفاته فى شهر ربيع الآخر ، فأُقيم بعده ولده المظفر أحمد شاه وهو ابن أربع عشرة[٥] سنة .

٢٧ ــ محمد [بن محمد[٦] بن عبد الله] الدمشقى المعروف بابن تيمية ، ناصر الدين ، كان يتعانى التجارة ، ثم اتّصل بكاتب السرّ فتح الله وشمس الدين بن الصاحب وسار فى التجارة لهما ، وولِى قضاء الإسكندرية مدّة ، وكان عارفاً بالطبّ ودعاويه فى الفنون أكثرُ من علمه . مات فى تاسع[٧] شهر رمضان وقد جاوز السبعين .

---

(١) فى ه ، والشذرات ٢٢٥/٧ « وماتت وهى فى عصمته » على حين أن السخاوى فى الضوء اللامع ١٤٨/٨ س ٦ وكذلك فى ز ، والرسم المثبت بالمتن هو الصحيح ، إذ المعروف أن بركة هذه ماتت سنة ٨٤١ بالقاهرة كما جاء فى ترجمتها بالضوء اللامع ج ١٢ ص ١٣ .

(٢) علق البقاعى فى هامش ه على ذلك بقوله : « ولد فى العشرين الآخر من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة » .

(٣) بالفاء فى ه .

(٤) وهو الأشرف برسباى .

(٥) أمام هذه الترجمة فى ه بخط البقاعى وإن لم يكن لها صلة بما ورد فى هذه الترجمة قوله : « توفى الشيخ جمال الدين ابن الشيخ حسن بن البدرانى المصرى الشافعى فى العشر الأخير من رمضان سنة سبع وثلاثين هذه » .

(٦) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « ابن محمد بن عبد الله بن عبد .... باللام ابن عبد السلام ناصر الدين ابن تيمية السكندرى الأصل المصرى الشافعى » راجع عنوان الزمان .

(٧) فى شذرات الذهب ٢٢٥/٧ « الأحد سابع » وجاء فى ه بخط البقاعى : « إنما هو سابعه ، وهو يوم مات ابن النيدى وصلى عليهما معاً ، وكان ذلك يوم الأحد ، ومولد هذا على ما ذكر لنا سنة سبع وخمسين وسبعمائة » . انتهى . على أنه وارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٩ أن أول رمضان كان الأحد .

٢٨ - مِقْبِل بن عبد الله [الحسامى[1]] الرومى الذى كان دويداراً عند موت المؤيّد وفرّ إلى الشام فَرَقاً من ططر ثم أمّنه واستعان به على جقمق الذى كان نائب الشام ، ثم استقرّ فى النيابة بصَفَد فباشرها مدةً طويلة وحَسُنَتْ سيرته فيها وسُمْعَتُه ، وكان فارساً بطلاً عارفاً بالسياسة .

مات بصفد فى يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الأول[2] واستقرّ فى نيابتها بعده إِيْنَال[3] الشِّشْمَانى وكان قريبَ العهد من المجئ من إِمْرة الحاج وهم يشكون من جوْره ووهنه ؛ ولله الأمر[4] .

* * *

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النجوم الزاهرة ٨٢٨/٦ والضوء اللامع ٦٩٦/١٠ وذلك تمييزاً له عن آخر بنفس الاسم .

(٢) راجع النجوم الزاهرة ٨٢٨/٦ .

(٣) هو إينال الششمانى الناصرى فرج ، وكان تأخيره على المحمل أميراً أولا أول سنة ٨٣٦ ، وإن تأمر قبل ذلك على الركب الأول سنة ٨٢٧ ومات فى ربيع الثانى أو جمادى الأولى سنة ٨٥١ ، راجع النجوم الزاهرة ٣١٢/٧ - ٣١٣ ، والضوء اللامع ١٠٧٨/٢ .

(٤) ورد بعد هذا فى بعض النسخ « وقدم جماعة من المقادسة والخليلية يشكون من نائبها أركماس الجلبانى أنواعاً من الظلم والأذية لجميع الطوائف ، ومما اعتمده أنه حبس القاضى شمس الدين البصروى - وهو يومئذ قاضى الشافعية - وزعم أنه استنقذه من العوام لئلا يرجموه ، وحجر على المياه التى ببيت المقدس فجثم على الآبار ومنع الناس من الاستسقاء منها إلا بثمن إلى غير ذلك ، فلما علم السلطان بسيرته أمر بعزله وقدر غيره فى الإمرة ، وهو أخو تغرى برمش الذى ناب عن السلطان فى الكعبة ، هذا وقد قال السخاوى فى الضوء اللامع ٨٣٤/٢ فى ترجمة أركماس الجلبانى المتوفى سنة ٨٣٨ « قال شيخنا فى آخر سنة سبع وثلاثين من انبائه »

سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة

كان أوّلها يوم السبت[1] .

فيها كائنةُ شمس الدين محمد المعروف بابن الأدمى الجوهرى[2]، كان أحد طلبةِ العلم واشتغل كثيراً وتنزّل فى بعض المدارس ثم ترك فلزم التسبّب بالبضاعة ، فاتّفق أنه حضر مجلسَ جوهر الخزندار فأراد أن يطريَه فقال له : « أنت سُئلت بهذه الوظيفة ويوسف عليه السلام سئل عنها ، فانظر كم بين السّائل والمسئول » ، وأعاد ذلك مرةً أخرى ، فقال : « فانْظُرْ كَمْ بين المقامين » ، فشاع ذلك عنه فبادر إلى الحنفى فاعترف وحَقن دمه وحكم له باستمراره على الإسلام ونفذ ذلك ، وبلغ ذلك الشيخ يونس الألواحى[3] فثار كعادته فاستشكى وأكثر من الاستفتاء على ذلك ، فبلغ ذلك الخزندارَ فشَقّ عليه وتوعّد يونس ، قلت :

واستمرّ ابن الأدمى على حالته وتَنَصّل من ذلك وتألّم لما نُسب إليه من ذلك ومن غيره .

* * *

وفيها أُعيد ناصر الدين بن عز الدين البكرى إلى قضاء الفيّوم عوضاً عن رجب ابن العماد الفيّومى ، ثم صُرف وأُعيد رجب بعناية جوهر الخزندار .

وفيها فى المحرم قدم السيد الشريف تاج الدين [على] بن عبد الله الحسينى الشيرازى رسولا من قبل السلطان شاه رخ بن تيمور وقدّم هديةً للأشرف وسأل أن يؤذن له فى كسوة البيت الحرام ، وكانت الهديةُ ثمانين ثوباً من الحرير الأطلس ، وألْف قطعةِ فيروزج ، وتاريخْ كتابهِ فى ذى الحجة سنة ستٍّ وثلاثين ، ولقيتُ السيد الشريف فوجدتُه

---

(١) فى الأصل « الخميس » ولكن أثبت ما بالمتن بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ والنجوم الزاهرة ٧٢٢/٦ س ٤ حيث ذكر أن الخميس كان ٢٧ المحرم مما يصبح معه الست أوله .

(٢) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « واقعة ابن الأدمى » .

(٣) ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ١٠٣٨/١٠ بالرسمين : « الألواحى » و « الواحى » ، وأشار إلى أن مولده كان سنة ٧٥٥ بالقاهرة وقد تنزل — حين كبر — بصوفية سعيد السعداء ومات سنة ٨٤٢ .

فاضلاً متواضعاً ، فذكر لى أنه تزوج بنت السيد الشريف الجُرْجَانى صاحب التصّانيف ، وأنَّ الشَّريف المذكور ذكر له أنه اشتغل بالقاهرة وأخذ عن أكمل الدين وغيره ، وأقام بالخانقاه السّعيدية أربع سنين ، ثم خرج إلى بلاد الروّم ، ثم لحق ببلاد العجم وَرأس هنالك ، وكان قدومه[1] من جهة الحجاز فحجَّ ووصل مع الحاج ، ثم عُقد الموكب وأُحضر الرسول المذكور ومعه ولدُه وذَكر أنه رُزقَه من بنت الشريف الجرجانى وهو كهل[2] من أبناء الثلاثين وله فضيلة أيضا ، ثم فى أثناء صفر أحضر[3] الرسولَ والقضاة المصريّة ودار بينهم كلامٌ يتعلّق بالرسالة المذكورة ، وانفصل المجلس على أنَّ السلطان اعتذر عن الإجابة خشيةَ أن يتطرق إلى ذلك غيرُه من الملوك ، وقنع الرسول بهذا الجواب ، ثم جهَّز معه أَقْطوة [الأَسدى الظاهرى] الذى كان دويداراً صغيراً ثم صار مهمندارَ السلطان رسولاً من قبل سلطان مصر بهدية وجواب ، وسافروا فى العشرين من صفر من طريق الشام ، وأظهر السلطان بعد ذلك حُنقاً على القضاة فى عدم مبالغتهم[4] فى الرّد على الرّسول فيما احتجّ به على تَعْيين إجابة سؤالِ مُرسِلِه ، وكانوا استفتوا على ذلك أهلَ العلم بالقاهرة فأَجابوا ، وتواردت أجوبتهم على المنع ، ومنهم من أجاب مِن قَبْل أن يسألَ بل كتب السؤال والجواب بخطّه معا . فمن عجيب ذلك أن بعضهم كتب : « لا يجوز ذلك لما فيه من تعطيل الوقف » . وكتب آخر : « لا يجوز لسلطان مصر الإجابة لذلك لما فيه من الافْتِيَات على سلطان مصر » ، إلى غير ذلك من الاسْتدلالات الواهية . كل ذلك زعموا لطلب مرضاة السّلطان ، فقدَّر الله تعالى أنه لم يعجبه شىء مما كتبوا به أجمعين ، ولم أُعَرّج فى جوابى إلاَّ على ما تقدم من أن ذلك يُفْضِى إلى تسليط غيره لطالب ذلك فينخرق السياج وتقع الخصومة .

---

(١) أى قدوم السيد الشريف تاج الدين الشيرازى .

(٢) هكذا فى النسخ .

(٣) كانت هذه هى المرة الثانية فى هذه السنة التى يحضر فيها رسول شاه رخ بمجلس العدل ، وكانت يوم ٦ صفر .

(٤) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٧٢٢/٦ أنه لم يتكلم أحد من القضاة الأربعة فى هذا المجلس فى الرد على سؤال شاه رخ سوى العينى ، هذا ويلاحظ أن رواية ابن حجر أصدق من رواية أبى المحاسن لأنه كان أحد من استشير فى الرد على جواب شاه رخ وإلى ذلك يشير هو نفسه فيما بعد .

ولما شاع غضبُ السلطان من القضاة تحرّك صالح البُلْقِينى فى العَوْد إلى القضاة ، وذكر شمس الدين بن القاضى زين الدين التفهنى الذى كان أبوه فى وظيفة القضاء بالقاهرة أن يستقر فى وظيفة أبيه ، فيقال إنه مال إلى ذلك ، وسعى أو سعى له فيه ولم ينبرم لواحد منهما أمر ، والأَمرُ بيد الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار .

***

وفى المحرّم شرع الأَمير سودون المحمدى فى عمل سقف الكعبة بأَمر الملك الأَشرف فبدأ فيه فى نصف الشهر سقفاً جديداً فشرع فيه فى أوائل ربيع الأَول منها ، وهدم منارةَ باب السّويقة وعمّرَها جديدةً فوجد فيها مالا .

***

وفى أَوائل صفر صُرِف بهاء الدين أبو البقاء محمد بن القاضى نجم الدين بن حِجّى عن قضاء الشام وقُرّر بها شهاب الدين بن المحمرة عوداً على قَدْرٍ ، والْتُمِس منه أن يَدفَع للمسفِر بعد ذلك خمسمائة دينار فامتنع وصمّم ، فغضب السُّلطان وأَمر بنَفْيه إلى القدس بطَّالا أو إلى مكة قاضياً ، فأَجاب إلى مكة واستَمهَل إلى رجب أو شوال ، فسعى حينئذٍ سراج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصى الذى كان نائبَ الحكم بأُسيوط من الصعيد ثم ولى قضاء طرابلس فأُجيب ساعته على مالٍ جزيل ، وأرسل إليه خلعته ، وصُرِف شمس الدين محمد ابن شهاب الدين بن الكشك عن قضاء الحنفيّة بدمشق أيضا ، وقرر شمس الدين الصفدى على مالٍ جزيل ، وتوجَّهَتْ خلعةُ الصفدى أيضا .

***

وفى وسط صفر قَصَّر الوزير المستقر عن قربٍ ، وهو أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم[1] الذى كان ناظرَ الدولة وكان أبوه ناظرَ الخاص ومن قبل فى الديوان المفرد ، فقصَّر فى تجهيز المرتَّبات السّلطانية ، فهجم جماعةٌ من المماليك الجُلْبُ على داره

(١) فى هامش ه : « تسمية الأمين ابن الهيصم ونسبه » .

فنهبوا ما وجدوا فيها ، ثم توجهوا إلى منزل الأُستادار وهو كريم الدين عبد الكريم بن تاج الدين عبد الوهاب بن كاتب المناخات فنهبوا ما وجدوا فيه أيضا ، ثم توجهوا إلى منزلِ ناظرِ الجيوش زينِ الدين عبد الباسط بن خليل فأفحشوا فى نهْب ما قدَروا عليه ، فلما أصبحوا بكَّر الوزير والأُستادار فشكيا[1] حالهما ، ثم أراد ناظرُ الجيش أن يحضر بين يدى السّلطان فمنعه وراسله بأن لا يتوجّه إلى الاسكندرية حتى تنكسر شوكةُ المماليك . فصَعُب ذلك عليه وراسل السلطانَ يستعفيه فأعفاه وأمره بالحضور فحضر ، واستقرّ الحال على أنه يتكفل بأمر الوزير ويسعِفُه فى جميع ما يحتاج إليه ، واستمر الأُستادار على حاله ، ثم بعد يومين استقر جَانِبكْ دويدارُ ناظرِ الجيش فى وظيفة الأُستادارية وقُبض على الأُستادار وصودر ، واستقر الوزير فأمر السلطان ناظر الدولة وهو سعد الدين إبراهيم ابن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين كاتب جكم فى الكلام فى الوزارة ، فلما أصبح ألزمه السلطانُ بأن يستقر وزيراً فامتنع ، فأمر بضَرْبه ضرباً مبرحا وتوجّه إلى منزله ملزوماً بتكفيةٍ عن الوزارة ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ثالث عشرى صفر ، فسار ينظر فى أمور الوزارة إلى أن استقرّ أخوه جمال الدين يوسف فباشر بشدةٍ وعسفٍ ، واستقر قبطىٌّ يقال له ابن قَطَّارة فى نظر الدولة وألزمه بسد الأمور .

ثم فى يوم الأربعاء ضُرب الأُستادار ضرباً مبرحاً وعُصِر و أُلْزِم بخمسين ألف دينار ، فشرع فى بيع دوره ودواليبه وقماشِ أهله وعَرض مماليكه وجواريه للبيع .

* * *

وانتهت زيادة النيل فى سابع عشرى توت إلى عشرين ذراعاً ونصف ذراع ، وانفتق من الخليج فتق فنفذ إلى ناحية شبرا ومِنْية السيرج فغرق من ذلك شىءٌ كثير ، وبقى الناس أياما فى شدّة ، وصُرِف والى الشرطة عُمر أخو التاج الشوبكى عن ولايته وأُعيد دُولات خَجا الذى كان استقر فى سنة ست وثلاثين وصرفه نائب الغيبة فأُعيد وباشر سد القطع المذكور .

---

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « صوابه فشكوا ، وذلك يتكرر لشيخنا وهو واوى بلا شك » .

وفى ربيع الآخر قدم أرغون شاه من الشام وهو الذى كان ولى الوزارة قبل ذلك بالقاهرة واستمرّ عِوضَ الحمصى بطرابلس ولدُ قاضيها شهابُ الدين ، وهو صدر الدين محمد بن أحمد ابن محمد النويرى ببذل ثلاثمائة دينار .

* * *

وفى ربيع الآخر قَبض قرقماس نائب حلب على ولد ناصر الدين بن صدر الباز التركمانى بسبب أنَّ أباه نزع ابنَ أخيه من نيابة مَرْعَش ، وكان السلطان قرره فيها فانتمى إلى نائب حلب ، فكاتب فيه فأُذن له أن يسير إلى مرْعش وتقرّر فى نيابته ويخرج من عَانَدَه ، فتوجّه لذلك فوقع بينهم مناوشة فكسَرَهم وقَبض على ابن ناصر الدين المذكور وجماعة وأحضرهم إلى حلب ، وكاتب بذلك فعاد إليه الجواب عن ذلك .

* * *

وفى جمادى الأولى – أوّل يوم منه – أَمَرَ السلطان القضاة بقراءة كتب الأوقاف بالمدارس الكبار والخوانق واتِّباع شرط الواقف فيها ، وشدَّد فى ذلك ، فلما كان يوم الأربعاء رابعه اجتمعوا بالشَّيخونية وقرئ كتاب الوقف ، فقال لهم الشافعى : « يقام ناظرٌ بشرط الواقف ليعمل بالشرط وينفذ تصرفه » ، فانفصلوا على ذلك ، ثم حضر المشايخ والطلبة يوم الثلاثاء حادى عشره عند السلطان فقال لهم : « ما فعلتم ؟ » فقالوا : « الحال يتوقف على ناظرٍ يتكلّم » فقال للشيخ : « أنت ناظر » فقال : « وكذلك كاتب السر » فأمر كاتب السر فى الكلام معه ، فحضروا يوم الأربعاء وقرئ شرط الواقف فتكلّموا أولا فى البيوت فوجدوا الشرط أنْ يسكنها العزاب ، فوجدوا من المترددين نحو العشرين فأمر أن يخرج من المتزوجين بعددهم ويسكن المترددون ووعدوا بأن يحضر لكتابة ذلك من يوثق به فلم يحضر أحد ، وحضروا يوم العشرين بالصّالحية فقُرئ كتاب الوقف الناصرى فتردّدوا فيمن يستحقّ النظر : هل هو الشافعى أو المالكى ؟ ونزل إلى الشيخونية جَمْدَار فأخبر الشيخَ وهو فى الحضور أن السلطان رسم أن كلَّ أحدٍ على حاله ، فَسُرّوا بذلك وقرؤوا للسلطان . ثم تبيّن للسلطان أن الذى قام فى ذلك كان له فيه هوًى وتعصب ، وأُشير عليه بترك الناس على حالهم وأن الذى يصل إليهم من المعاليم هو من جملة أموال المسلمين وهم يستحقون ذلك ،

إلى غير ذلك من الاعتذارات ، إلى أن أمر بتَرْك ذلك وخمدت الكائنة ، واستمر الأمر على ما كان .

وفى المحرم قَدِمَتْ هديَّةُ قَرَايُلُك وفيها دراهِمُ مكتوبٌ عليها سكّة السلطان الأشرف .

وفيه استقرّ جَانِبكْ الذى كان نائبا بالإسكندرية حاجباً عوضاً عن بَرْدبِك الإسماعيلى بحكم نقله إلى دمياط .

ونودى يومَ النَّوروز بزيادة إصبعين فصار على أربعة عشر إصبعاً من الذراع العشرين ، ولا يُحفَظ مثل ذلك فيما مضى .

* * *

وفيها استمر إسكندر بن قَرَا يوسف على قلعة شاهين وكان الأمير بها — من قبل أن يستقر رمضان — وقد قدَّمْتُ سبب عصيانه عليه ، وهى على مسيرةِ يومين من تبريز ، فاستمرّ فيها إلى الآن ، فحاصرها إلى أن نفذ زاده ومات فى الحصار فملكها إسكندر واستنقل نساءه بها .

* * *

وفيها رفع داود الكيلانى التاجر عن قاضى مكَّة أُموراً عظيمةً من الظلم والأحكام الباطلة ، وسعى فى أن يُقَرَّر فى نظر الحرم عوضَه على مال بذله فأُجيب ، فراجع أميرُ مكة وذَمَّ داود المذكور ، وذكر أنه أمر سُودُون المحمدى الذى جُهِز من القاهرة لترميم البيت[1] الحرام أن ينظر فى ذلك إلى أن يعود المرسوم من القاهرة ، فأُجيب بتقرير سودون المذكور فى ذلك .

وفيها استقرّ سَفَرُ الذى تجهَّز من مصر لقبض المكوس الهندية بجدة فى البحر وبطل السفر من البر ، وكان للناس فيه فرجٌ كبيرٌ لأن كثيراً من المسلمين يحبّون المجاورة بمكة ، وكان السفر فى هذه الأيام يحصل لهم به صيام رمضان بمكة والعمرة والمجاورة ، وفى غضون ذلك يحصل لكثير منهم المكاسب .

وجُدِّدَ فى هذه السنة مرسومٌ بأن لا يؤخذ من تجار الهند إلاَّ العشر من كل شىء معهم بضاعة من غير تكليف للدرهم الفرد ، فإن وُجد بينهم مصرىٌّ أو شامىٌّ يؤخذ منهم الخُمْس عقوبةً

(١) فى ه « البيت والحرم » .

لهم على مخالفة الأمر ، وإنْ وُجد يمنىٌّ أُخِذ جميع ماله . واتفق أن قرئ هذا المرسوم تجاه الحجر الأسود ، ثم راجع أميرُ مكة السلطانَ بذلك حتى أمر بالتسوية بين الجميع بعد ذلك .

* * *

وفى ليلة التاسع والعشرين من صفر سقط صبىٌّ لعبد الرحمن بن فيروز عمره ست ستين من منزلهم الذى على الخليج الناصرى فى الماء فغرق فَتبعوه فى الماء فلم يقدروا عليه ، فبعد يومين وجدوه فى بركةٍ فى آخر الخليج فدفنوه فى الحال .

فلما كان بعد ذلك ظهروا على أن جارية لهم سوداء غضبت من أُمّه فألْقَتْه فى الماء وهو نائم ، فتحيّلوا عليها حتى أَقرّت كينية ذلك ، فرفعوا الأمر إلى بعض نواب المالكى فحكم بتغريقها فى المكان الذى ألقَت فيه الصبىَّ فألقوها موثقةً بالكتاف فتخبّطت فى الماء قليلا وانغمست فماتت ، وذلك فى تاسع عشرى الشهر المذكور .

* * *

وانتهت زيادة النيل على ما زعم القيّاس إلى عشرين ذراعاً ونصف ، والحسُّ لا يَقبل ذلك بل لم يكمل العشرين ولكنَّ الرَّىَّ كان عاما فى جميع البلاد العالية .

* * *

شهر ربيع الأول أوله الثلاثاء الموافق لثامن[1] بابه .

نقص النيل نحو الذراع وتشاغل الناس بزرع البرسيم على العادة .

وفيه ادُّعِىَ على والى الشرطة عند المالكى بأنه ضرب شخصاً حتى مات فأجاب أنه أُتِىَ إليه به وهو سكران فضربه الحد ومازاد عليه وأقام البيّنةَ بذلك فدرأ عنه القتل . وبلغ السلطانُ ذلك فأنكره واتّفق أنَّ أولياء المقتول أبرؤوا الوالى وطاح دم ذلك القتيل .

* * *

(١) يطابق هذا ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٤١٩ ، وأن ذلك يعادله الخامس من أكتوبر سنة ١٤٣٤ .

وفى أول يوم منه استقر يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بن كاتب جكمَ فى الوزارة ، وخُلع عليه وهَرع الناس للسلام عليه ، وخُلع على أخيه خلعة الرضا واستقر فى نظر الخاص ، واستمر الأُستادار فى المصادرة فعرض جميع عقاراته وكلَّ ما يملكه واستقرت مصادرته على عشرين ألف دينار ، فَسُلِّم للتاج أُستادار الصُّحْبة على المال المذكور فأقام فى منزله حتى أورد نحو أربعةَ عشرَ ألف دينار .

* * *

وعُمِل المولدُ السلطانى يوم الخميس الثالث منه .

* * *

وفيه أغار ولد قَرَايُلُك على معاملة مَلَطْيَة ودُوْركى فنهب شيئاً كثيراً ، وتوجّه أبوه للإغارة على الرها .

* * *

وفى أواخر جمادى الآخرة استقر تاج الدين عبد الوهاب بن الخَطِير بن نصر الله القبطى ناظرُ الإسطبل فى الوزارة بعد القبض على جمال الدين يوسف بن كريم الدين بن كاتب جكم ومصادرته ، وكان يوسف قد استعفى بسبب قلّة المتحصّل وكثرة المصروف ، فأعفاه السلطان ولكنّه قبض عليه وعلى أخيه ناظر الخاص وصادرهما على مال يقال إنّه ثلاثون ألفَ دينار . ثم خُلع فى صبيحة ذلك اليوم — يوم الاثنين السابع عشر من جمادى الآخرة — على ناظر الخاص مستمرا .

وأُمر الخَطِير أن يتكلّم فى الوزارة بغير ولاية إلى أن يرى رأيه ، فتكلم فى ذلك يوم الأحد ويوم الاثنين ثم خلع عليه يوم الثلاثاء بالوزارة ؛ وشَرع ناظرُ الخاص وأخوه فى بَيْع أملاكهم ورزقهم من أراض وعقار ، ثم خُفّف عنهما من مال المصادرة نحو النصف ، واستمرّ ناظرُ الخاص . واستقرّ أبو الحسن بن تاج الدين فى نظر الإسطبل عَوض والده .

* * *

ومن الحوادث فيها توليةُ دُولَات خَجا كَشْفَ منفلوط ، واستقرارُ علاء الدين علىّ ابن محمد بن الطَّبْلَاوى الذى كان والياً فى الأَيام الناصريّة فرج وبعدها فى الولاية ، وكان له مدةً طويلةً خاملاً ، فاستقرّ فى سابع عشر جمادى الأولى .

* * *

وفيها استقر جُلْبَان نائباً بطرابلس نقلا من حماه ، واستقرّ قَانِبَاى الحمزاوى فى نيابة حماة نقلاً من إمرته بالقاهرة ، واستقر خُجا سُودون عوضا عن قَانِبَاى وأُضيف إقطاع سودون خُجا للوزير تقويةً له .

وفى هذا الشهر جَدَّد سُودون المحمدى سقفَ الكعبة وأَتْقَنَه وحَمَل إليه من الرخام من القاهرة لمرمّة الحجر وشاذروان البيت .

* * *

وفيها كانت وقعةٌ بين بعض الأُمراء وبين عرب هوّارة فقتل منهم جماعة . فعين السلطان يوم السبت أول[1] يوم من جمادى الآخرة وهو السادس من كانون الثانى كريمَ الدين الذى كان أُستاداراً ووزيراً ، فتوجه لكشف الوجه القبلى وأُلبس خلعة بزىّ الأُمراء وفرح الناس بذلك ، وصحبته محمد الصُّغيّر ــ الذى كان كاشفاً فيها ــ دويداراً فى خدمته وأُمّرَ على الدم ، وولى لكشْف القبلى أَيضا والوجه البحرى مرة أخرى واستمر ناظرُ الخاص رأْسَ نوبةٍ بين يديه فتوجه إلى الصعيد فأَصلح أَحوال العرب ورجع . والسبب فى ذلك أن تغرى برمش أَمير آخور خرج فى السّرحة التى جرت بها العادة فالتزم له الكاشِفُ ــ واسمه محمد الصُّغيَّر . ــ بمقدارٍ من المال ، فبلغ ذلك أَكابر العرب فتحالفوا على أن لا يعطوا أحداً شيئا ووقع بينهم تناوش . فراسل أَمير آخور السلطان فجرّد له جماعةً من أَكابر الأُمراء فتوجّهوا فى هذه السنة ، وكان ما سيأتى .

---

(١) فى هـ بخط البقاعى « يكون ثامن شهر طوبة من أشهر القبط » . ويستفاد من التوفيقات الإلهامية ص ٤١٩ أن أول جمادى الآخرة كان الأحد ويوافقه السابع من طوبة ١١٥١ والثانى من يناير (كانون الثانى) سنة ١٤٣٥ ، كما أن هذا المصدر أشار إلى أن أول يناير = ٦ طوبة = ٣٠ جمادى الأول .

وفيها وثب فياض بن ناصر الدين محمد بن ذلغادر على ابن عمه حمزة أمير مرعش ، فأَخْرَجه واستقرّ بها نعير تولية من السلطان ، فتوجه قَرْقُماس نائبُ حلب فقبض على فيّاض المذكور وولاها لابن عمه حمزة باك بن على باك ابن ذُلْغَادِر ، فبلغ ذلك ناصرَ الدين والدَ فياض المذكور وهو يومئذ أمير الأَبْلُسْتِين وقَيْصَرية فشق عليه ، وجهز قرْقُمَاس فيّاضاً المذكور إلى القاهرة فسُجن بالقلعة ، فبعث ناصر الدين زوجته خديجة والدة فياض تشفع فى ولدها ، وجهّز معها هديةً ومفاتيح قيصرية ، وأن يكون زوجها نائباً عن السلطان فيها ، فوصلت حلب فى رمضان ووصلت القاهرةَ فى أواخر شوال ، فقُبِلت هديّتها وأُفرِج عن ولدها وأُعطى نيابة مَرْعش واستقر أبوه على حاله بقَيْصَرِيّة ؛ وكان إبراهيم بن قِرْمان راسل السلطان أن يعطيه قيصرية على أن يَحْمِل كلَّ سنةٍ عشرةَ آلاف دينار وغيرها ، فأَمر قَرْقُمَاس نائب حلب أن يتوجه لأَخذها ويسلّمها لابن قرمان ، فوقع لصاحبها ما ذُكر فبَطُل ذلك ، وفى أثناء ذلك لجأَ حمزة إلى ابن عمه سليمان بن ناصر الدّين ، واجتمع جَانِبكْ الصوفى الذى كان أميراً بمصر وسُجن بالإسكندرية وهرَب من أول الدولة الأَشرفية بعد أَن اختفى ثلاث عشرة سنة ، واستمرّ السلطان فى التّنْقيب عليه ، فجهز دواداره ومحمد بن كَشْغَدى بن رمضان إلى ناصر الدين باك بن ذلغادر بالأَبْلُسْتِين فحلَّفاه على أنه إذا قدم عنده جَانِبك الصوفى لا يُسْلِمُه ولا يخذله ، ثم اجتمع جانى بك بسليمان بن ذُلْغَادِر فتلقاه هو وأمراؤه وأمير الماس ابن كبك ومحمد بن قُطْبُك ونزلوا بملْطية ، فجاء إليهم ناصر الدين بك ، ثم توجّهوا جميعاً إلى محمد بن قَرَايُلك وهو بقلعة كَرْكَرْ فقوّاهم ، ثم نزلوا قلعة دُرْكِى وضايقوا أهلها بالحصار ، وجاء قاصدُ شَاهْ رُخْ إلى قَرايُلُكْ يأْمره بالمسير إلى قتال إسكندر ابن قَرَا يُوسف ، فنزل جانِى بِكْ ومَن معه بدُوركى ، وتوجَّه بجماعته إلى مَلطْية فحاصرها فمشى عليه إسكندر وأَغار على أَرْزَن الرّوم ، فأَخذها ففرَّ قَرَايُلُكْ إلى آمد فأَقام بها ، ثم خرج إلى أَرْقين .

فلما كان فى صفر سنة تسع وثلاثين التقى إسكندر وقَرايُلُكْ على أَرْزَن الرّوم فخرج على قَرَايُلُكْ كمينٌ لإسكندر فهزمه ، فلما كاد أَن يوخذ رمى بنفسه فى خندق المدينة فغرق وطلع به أولادُه بعد ذلك فدفنوه هناك ، فجاء إلى إسكندر من عَرَّفه بذلك فأَرسل من

أخرجه من قبره بعد ثلاثة أيام وحَزَّ رأسه ورأَس اثنين من أَولاده وثلاثةٍ من أَلزامه وأرسلهم إلى القاهرة ، فنصبت على باب زويلة ، وذلك فى ربيع الأَول وزُيِّنَت القاهرة فرحاً بذلك ، وأَكرم السلطانُ قصّاد إسكندر وأَعطاهم مالاً وقماشاً بقدر عشرةِ آلاف دينار .

وكتب سليمان بن ذُلغادر إلى جانِبك بأَنه معه فاغترّ بذلك فاجتمعا فبالغ فى إكرامه والمناصحة له ، وأقاما على ذلك مدة ، ثم خرجا يوما للصيد والتنزه فأَبعدا فى ذلك ، وكان جانبك قدرتب فرسانه وجماعته على حصار دوركى ، فقبض أَصحاب سليمان على جانبك[1] وقيدّوه وسرى به سليمان ليلةً كاملة حتى صَبّح الأَبلستين فسجنه ، وراسل السلطانَ الملكَ الأَشرف يُعْلِمُه بالقبض عليه .

* * *

وفيها جُرِّد أربعة أُمراء من الألوف إلى عرب البحيرة وكانت طائفةٌ من عرب لبيد مَحلت بلادُهم فدخلوا البحيرة وصالحوا أهلها فمكّنوهم من التوجه إلى عرب محارب بالوجه القبلى ، فنزلوا فى الأَراضى التى بارت من الزرع وطلع فيها مرعى يقال له الكُتَيْج - بكاف ومثناة مهملة مصغرا - ولم - يُمكِّنْهم الكاشف من الرعى فيه إلا ببذل مال ، فأَنفوا من ذلك ووقع بينهم قتالٌ ، فكان ذلك سببَ بعْثِ الأمراء ، فتوجّه العرب إلى الواحات ثم نزلوا الأَشمونين فأَوقع بهم الأمراء فنهبوا منهم كثيراً من جمالهم وفرّوا من أيديهم ، فرجع الأُمراء فى شعبان .

* * *

وفى رمضان الموافق لبرموده من أَشهر القبط عند دخول فصل الصيف[2] وقع بمصر مطر غزير ذلقت منه البيوت ، وجاء سيل عظيم بحيث أَقام بالصحراء أياماً .

* * *

(١) أمامها فى هامش ه بخط الناسخ : « لعله قرمش » .

(٢) ربما كان الأصح أن يقال فصل الربيع بدلا من الصيف ، ذلك لأن هذين الشهرين : العربى و القبطى يعادلهما إبريل .

وقرأت بخط الشيخ تقى الدين المقريزى ورأيت فى كتابٍ ورد من أرض الحبشة فيه :

« وفى أول رجب أى سنة ثمان وثلاثين غزا الأمير خير الدين أخو السلطان بدلاى ابن سعد الدين بلادالكفرة ، فنتح سبعة أبواب من أبواب الحِطِّى وانتصر عليهم، وقتل أميراً من ألزام الحطى ، وحَرَّق فى بلادهم ، وأخذ من المال غنيمةً شيئاً كثيراً ، وقتل منهم عدداً كبيرا ، ورجعوا ومعهم من الذهب والفضّة والزَّرد والدروع والوصفان كثير ، ولم يسوقوا شيئاً من الإبل والبقر والغَنم ولا العجائز والشيوخ بل جعلوا عليهم علامات ، وخرّبوا ستَّ كنائس وعدّةَ قرى ، وردّ ألفَ بنت من المسلمين ، ووصفوا خير الدين بعدلٍ كثيرٍ ، والرخاءُ عندهم كثير » .

وفيها مات الحِطِّى ووقع الخُلف بعده ، ثم اتفقوا على صبى صغير وسلطانهم بدلاى عادل خير .

وفيها وقع الوباءُ فى بلاد المسلمين والكفّار فمات به خلقٌ كثيرٌ جداً .

وفى شوال منها خرج خير الدين أيضاً غازياً .

* * *

وفى شعبان راجت الفلوس التى ضربها السلطان عن كل درهم ثمانية عدداً منها ، وأبطل الفلوس الأُولى ، وصار الرّطل من هذه بحساب سبعة وعشرين درهما ، ومن القديمة بثمانية عشر فكانت تؤخذ من الباعة وتحمل لدار الضرب لتضرب جديدة وتَمشّيَّ الأَمر على ذلك ولكنها قليلة لعدم الاعتناء بها لكثرتها وقلة المتحصل منها .

* * *

وفيها نقل قانِصُوه من نيابة طرسوس إلى الحجوبية بحلب ، ونُقل الحاجب طُوغان إلى إمرة مائة بدمشق وقرر يوسف بن علوان فى نيابة طرسوس .

* * *

وفى هذا الشهر استقرّ سراجُ الدين عمر بن موسى الحمصى فى قضاء حلب نقلاً من قضاء طرابلس عوضاً عن بهاء الدين بن حِجِّى ، ويقال إنه بذل ثلاثةَ آلاف دينار ؛ واستقرّ

شمس الدين محمد بن علي بن عمر بن علي بن مهنا بن أحمد الصّفدى فى قضاء دمشق عوضاً عن شمس الدين بن الكشك ، وشرط عليه بَذْلُ ألفى دينار ، فلما وصل إليه التّوقيع والخلعة امتنع ورَحل إلى القاهر مُسْتَعْفِياً ، وكان قد أقام فى قضاء طرابلس مدةً طويلة ، ثم ولى قضاء دمشق عوضاً عن شهاب الدين بن الكشك ، ثم صُرف وأُعيد ابن الكشك ، فلما رحل السلطانُ إلى جهة حلب قرّره - لما رجع - فى عدة بلاد[1] انتزعها من نواب ابن الكشك.

واستمر ابن الكشك فى القضاء ، فلما مات ابن الكشك أمّل أن يعود ، فقدم عليه ولد ابن الكشك على مال كثير بذله واستقرّ هذه المدة اللطيفة ثم صرفه ، فلما امتنع ابن الصفدى من الولاية بالشرط المذكور واستعفى أُعْفِيَ ورجع إلى دمشق من فوْره على ما بيده من المدارس واستمر ابن الكشك ، ثم أُلْزِم ابنُ الصّفدى بالتوجّه إلى صفد فسار إليها فيما قيل .

وُلد فى ذى القعدة سنة ٧٧٥ ، وذكر أنه سمع موطأ القعبنى[2] على ابن حبيب الكمال ، قرأ عليه ابن فهد منتقىً منه ، وقرأه عليه كاملاً صاحبنا البقاعى .

وفيه ثار شمس الدين الهروى[3] على القاضى علم الدين صالح وادّعى أن بيده[4] وظائف كثيرة بغير شروط الواقفين ، فتعصّب له ناظرُ الجيش ودَفع عنه واستمر على ما بيده ، وانتفع الهروى بذلك ، ثم عمل ناظر الجيش مولده فى السابع والعشرين من الشهر وأرسل إليه وأصلح بينهما ، والله المستعان .

شهر ربيع الآخر : أوّله[5] الأربعاء بالرؤية .

فى أوائله منع الوالى السّقّائين من الملء من الخليج الحاكمى ثم الناصرى ونقص الماء إلى مقدار الوفاء ، فكانت مدّة ما انتفع أهل البلد بالخلجان نحو المائة يوم .

وفى الرابع منه وقعت زلزلة لطيفة وزالت بسرعة .

---

(١) علق البقاعى على ذلك فى هامش ه بقوله : « لعله مدارس نزعها من يد ابن الكشك » .

(٢) علق البقاعى على ذلك فى هامش ه بقوله : « لما لم يثبت سماعه له من ابن حبيب والله أعلم » .

(٣) أمامها فى هامش ه بخط البقاعى وإن كان التصوير قد طمس بعض الحروف : « يحرر أى هروى هذا ، فالهروى الشمس المعروف مات قبل هذا الوقت بكثير ، ثم تبين هذا المعروف بالحلاج الذى كان قدم إمام الأشرفية وناظر المصريين فى قراءة البخارى وادعى أنه يعرف مائة وعشرين علماً » .

(٤) أى بيد صالح البلقينى .

(٥) الوارد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ص ٤١٩ أن أوله كان الخميس ويطابقه الثامن من هاتور ١١٥١ قبطى والرابع من نوفمبر ١٤٣٤ ميلادى .

وفى أوله وصلت البنادقة — وهم تجار القطائع من الفرنج — فتأخّروا عن عادتهم نحو العشرين يوماً ، ولم يصلوا فى العام الماضى وعجلوا عن عادتهم فى الذى قبله بنحو الشهرين ، ولم يحفظ ذلك فيما مضى بل الذى تمادى عليه حالُهم أنهم يَصِلُون فى أول العشر الثانى من بابه ويرجعون فى أوائل هاتور ، فألزم السلطانُ التجّارَ بعدَم البيع إلى أن يباع ما يتعلّق به ، وطَلب من الفرنج أن يشتروا منه الفلفل بمائةٍ وعشرين كل حمل فامتنعوا وتَرَاضُوا مع نائب الإسكندرية إلى أن اشتروا منه ثلاثمائة حمل ، سِعْرُ كلّ حملٍ مائةٌ ، وتوجهوا ولم يشتروا من المسلمين حِملا واحداً ، وكسدت بضائع التجار واشتدّ أسفهم وشقّ عليهم ذلك مشقة شديدة ، والأمر بيد الله .

وفى السادس منه — ووافق ثانى عشر هاتور — أمطرت السماء وقْتَ العصر وسرح السلطان فى هذا اليوم ورجع وقد صاد .

وفى أواخر أمشير فى العُشر الأَخير من رجب وقع بردٌ شديدٌ وحصل المطر أيّاماً وسُرّ الناس بذلك ، وتمادى البرد نحواً من عشرة أيام أشد مما كان فى طوبة وكيهك ، ثم عاد فراح الوقت كما كان ، وفى الجملة — من نحو ثلاثين سنة — ما عهد أقلّ برداً من فصل الشتاء فى هذه السنة .

وفى نصف شوال أُعيد التاج الوالى إلى ولاية القاهرة وعُزل ابن الطَّبْلاوى .

وفيه قطعت إصبع عبد[1] القدوس بن الجيعان لما تكرر منه من التزوير .

وفيه اهتمّ السلطان بأمر الجسور وأمر بإتقانها وندب لذلك تَمَرْبَاى الدويدار الثانى والوزير فاجتهدا فى ذلك ، ثم ضاق بالوزير الحال فى المصروف فاستعفى ، وكان ما سنذكره .

* * *

(١) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « عبد القدوس هذا [كان بارعاً] فى محاكاة خط من أراد من الناس بحيث إن خطه يعرض على المزور عليه فلا يشك أنه خط نفسه ، ووقع ذلك غير مرة ، فلما كثر تكرر مثل ذلك منه سجن فى المقشرة ، فلما تكرر ذلك منه قطعت إصبعه ثم كان يكتب ببقية أصابعه ، فصار إلى مثل ما كان وأجاد ما يريد صنعته ، واستمر أهله منه فى علاء إلى . . . . » ولم يرد بعد ذلك تكملة لهذا التعليق .

وفيها نازل أصبهانُ بن قرا يوسف صاحبُ بغداد الموصلَ فراسل صاحبها وسأل قرايلك فأمدّه بولده محمود فى مائتى فارس فأنزله عنده كالمسجونين ، وراسل محمود أباه فأمدّه بأخيه محمد بن قرايلك فى ألف نفس ، فنزل على الموصل ولم يمكن من رؤية أخيه ، وكان قَرَايُلُك برأس العين ، فتوجه على نصّيبين ، فبلغه أن إسكندر بن قرا يوسف قصد محاربته بعد فراره من شاه رخ ملك المشرق .

* * *

وفى التاسع عشر من جمادى الآخرة سافر تغرى برمش أمير آخور إلى الصّعيد فى تجمّل كبيرٍ ، ونزل معه غالب الأُمراء فودّعوه ، ووقع له مع عرب الصعيد وقعةٌ قُتل فيها من أصحابه جماعة وبعث يَطْلب نجدة ، فأُمر تمراز رأس نوبة بالتوجّه إليه ، وأمر كل أمير مقدمٍ أن يُرْسل معه عشرين مملوكاً ويكمل له من غير المقدّمين ثلاثمائة ، وسافر فى سابع جمادى الآخرة .

وفى أول شعبان أمر السلطانُ القاضى الشافعى إذا حضر المجلس لسماع الحديث أن يحضر صحبته فلقة[١] وعصا ، ومن تعدى فى كلامه أو أساء الأدب أُدّب ، وأكد فى ذلك .

وفى رمضان أمر السلطان بترك أكثر الخلع التى قُرِّرت لمن يحضر سماع الحديث ثم شفع فيهم ، وقيل له لو كان هذا قبل أن يحضروا فإن كان ولابد وقد قضوا المدة كلها يصرف هذا العام ثم يعلمون ويقطعون فيما يستقبل ، فأمر بالصرف لهم .

* * *

وفى أواخر رمضان حضر عند السلطان شريفٌ من الشام ومعه أوراقٌ بخط الشيخ علاء الدين البخارى فيما يتعلق بالنسيمى وشيخه فضل الله ، وأنّ بالشام ومصر جماعةً على عقيدته ، وأنه تصدّى لتتبّعهم وكَشْف عوراتهم ، وأنه وجد بالقاهرة شخصاً منهم ، فقُرِئ كتاب الشيخ علاء الدين فأمر السلطان بإحضار الرجل وما فى بيته من ورقٍ ففعل ذلك ، وهذه هى الطائفة المبتدعة المعروفة بالحَرّوفية ثم النسيمية ، فلما كان فى رابع شوال عُقِد مجلسٌ

(١) جاء فى هامش ه بخط البقاعى : « الفلقة خشبة فى طول ذراعين يكون فى وسطها رزتان بينهما أكثر من شبر يوثق بهما حبل توضع فيه رجلا من يهان ويلوى عليهما من اثنين ثم يضرب . ولها أصل فى اللغة نقلت منه » .

بالقصر عند السلطان وأُحضرت الكتب وبعضها من كلام شيخه وهى باللسان الفارسى ، فقرأ من أوّل واحدٍ منها شيئاً يسيراً وفسّره بالعربى وهى مقالة مركّبة من قول المشبهة والاتحادية ، فقرأ الشافعى خطَّ الشيخ علاء الدين وفيه : « أن شعر الإنسان فى رأسه ووجهه سبعة شعور ، شعر أجفانه الأربعة وحاجبيه ورأسه ، وأن فى وجهه شيئاً آخر سبعة ، وأن عقد أصابعه فى اليدين أربعة عشر فذلك عدد حروف المعجم » ، ونحو هذا .

وفيه : «أن الإلهية انتقلت من الله لآدم ، ومن آدم لآخر ، إلى أن انتقلت لفضل الله» ، وكلاماً من هذا حاصله : « أنَّ الله هو الحروف » ، ثم أُحضر الرجل فسُئل عنها فقيل إنه اشتراها من حصن كيفا بثلاثين درهماً ولا يعتقد شيئاً ممّا فيها ، وأعلن بالشهادتين والتبرى من كل مَن يخالف دينَ الإسلام ، وصرّح بكفر من صنّف هذه الكتب وشيخِه أو يعتقد بما فيها ، فقال له الشافعى : « إن كنْتَ صادقاً فأحرق هذه الكتب بيدك ! » فامتثل ذلك بعد أن حاد عن الجواب وباشر إحراق ذلك بنفسه ، ثم سأل السلطانُ : « هل علىَّ إثم إذا أخرجْتُ هذا وأمثاله من بلادى ؟ » فقال : « لا » ، فنودى : « مَن عَرف من أهل المذهب النّسيمى ووُجد عنده شئٌ من كُتُبه وأحضره للسلطان كان له مائةُ دينار » ، ثم أُمر فنودى أن يخرج جميع العجم من القاهرة والقلعة بأُسَرِهم ولا يتأخر أحدٌ منهم إلى ثلاثة أيام ، ثم لم يتم ذلك .

* * *

وفى يوم الأحد ثانى عشر شعبان أُشيع موت زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعى وكان مولده فى المحرم سنة ٧٨٨[1] ، واشتغل على أبيه وغيره ، وسمع من الصدر [محمد بن يونس بن أحمد] بن غَنّوم جزءاً من الخلعيات سنة بضعٍ وستين بسماعه من العراقى ، أنا ابن عماد؛ وسمع الكثير من شيوخ ذلك العصر بحلب وغيرها ، وقدم مع أبيه دمشق فأسمعه من [محمد[2] بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عوض ومحمد

(١) الوارد فى الضوء اللامع ١٥٤/٤ أنه ولد سنة ٧٥٩ بحلب .

(٢) فراغ فى الأصل والإضافة من السخاوى : شرحه .

ابن قليج بن كيكلدى] ، وأجاز له جماعة تفرّد بالرّواية عنهم ، لكنى لا أعلم أنه حَدث عنهم بشيء غير جزء أو جزين ، ثم ظهر أنه لم يمت إذ ذاك ، فذكر لى ابن فهد أنه توجّه إليه ابنُ[1] فهدٍ وغيره من الرحالة فى هذه السنة فمات بعد وصولهم إليه بقليل ، وكان قدومُه القاهرة سنة بضع عشرة فاستوطنها وولى نيابةَ الحكم ثم ولى قضاء دمنهور والبحيرة فاستقرّت قدمه بها بعد منازعات ، وأقام على ذلك بغير منازعةٍ أكثرَ من عشْر سنين ؛ وكان فاضلاً يستحضر أشياء فى الفقه ، ويذاكر بأشياء حسنة ، وله نظم حسن قديماً وحديثاً .

واستهل شهر رمضان بالخميس ووافق كذا[2] برمهات .

* * *

وفيها وصلت هدية نائب الشام وفيها مائة وخمسون فرساً وعشرة قطر جمال وألف ثوب بعلبكى ومثلها بطاين وخمسون قباء سمور ووشق ، وعشرة آلاف دينار ونعالات خيل من ذهب ومسامير فضة ، قيل إن فى كل نعلٍ خمسين ديناراً ، وقيل إن مجموع قيمتها ثلاثون ألف دينار ، وكان قدومهم سابع عشر ذى الحجة .

* * *

وفى سادس شهر رمضان هبّت ريحٌ شديدةٌ باردةٌ وترابٌ كثير عَمَّ القاهرة وسقطت عدة من الدور .

وفى الثالث عشر منه أمطرتْ ليلاً وتمادى ذلك فى أوّل النّهار مع رعدٍ وبرق وذلك عند حلول الشمس برجَ الثور ، ثم تمادى المطر ذلك اليوم كله لكن بغير توالٍ حتى توحّلت الأرض كلها وزلقت البيوت ، ثم أمطرت صبيحة ذلك اليوم بعد الفجر مطراً غزيراً جداً حتى زلقت البيوت وفسدت الأمتعة والزروع ، والأمر لله وحده .

---

(١) فوقها فى هـ كلمة « كذا » ولا محل لها .

(٢) هكذا فى الأصول ، ولكن الصحيح أن يقال « ووافق الخامس من برمودة » وذلك بناء على ما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص٤١٩ .

وهبت ريح شديدة وقت العصر من اليوم الماضى حتى انتصف النهار ثم انجلت عن قرب .

وفيه استقر . . . . . فى كشف الوجه القبلى وصُرف كريم الدين ودخل القاهرة .

وفى آخر يوم من رمضان خَطَبْتُ بجامع عمرو بن العاص ، قايَضْتُ الشيخ شمس الدين محمد بن يحيى بما كان معى من خطابة الجامع الأزهر بما معه من نصف خطابة جامع عمرو.

وكان أكثر الفاكهة فى هذه السنة غير ناجب[1] بسبب كثرة الماء وتعقده فى البساتين ، ثم تأخّر المطر فى الشتاء كلّه فكان الورد قليلاً وكذا المشمش والليمون ، حتى بيعت الليمونةُ الواحدةُ بنصف درهم .

وأمطرت فى عشاء يوم الجمعة سابع شوال قبيل المغرب مطراً خفيفاً ووافق ذلك الحادى[2] عشر من بشنس ، والشمس يومئذ فى أواخر برج الثور ، وأمطرت يوم السبت بعد أن هبت ريحٌ عاصفٌ بترابٍ ثم انجلت ، واستمر البرد فى طرف النهار شديداً بنحو ما كان فصل الشتاء أو دونه يسيراً ، ولكن فى وسط النهار وفى جوف الليل يقع فيهما بعض الحر ، وتأخّر لِبْسُ الصوف إلى يوم الجمعة سابع شوال المذكور فتأخّر عن العام الماضى نحواً من عشرين يوماً ، وزاد النيل فى غير أوانه فى أول العشر الثالث من بشنس فعجل بنحو عشرين يوماً وغرقت بعض الأمتعة .

وفى الثامن عشر من شوال طيف بالمحمل وخرج الحاجّ إلى بركة الجب ، وأميرهم تَمرْباى الدويدار الثانى وأمير الأول المحتسب صلاح الدين بن الصاحب بدر الدين ابن نصر الله ، ورحلوا من البركة فى الحادى والعشرين منه .

وفى أواخر بشنس من الأشهر القبطية زاد النيل قبل أوان عادته زيادة عظيمة وغرق غالب ما زرع من المقاتى والبطيخ والسمسم وغيره فى الجزائر ، وفسد للناس شئ كثير من

(١) فى هامش ه بخط البقاعى : « صوابه نجيب أو منجب » .

(٢) يتفق هذان التاريخان مع ما هو وارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٩ ، ويوافقهما السادس من مايو سنة ١٤٣٥ .

البطيخ ونحوه ، ثم عادت الزيادة فى أوائل بئونة ، وكُلٌّ ذلك قبل الوقت الذى جرت فيه العادة بالزيادة ، فلما كان الثانى عشر من بئونة — وهو أوّل الوقت المعتاد — زاد أيضاً بحيث بلغت الزيادةُ فى المدة المذكورة نحو ستة أذرع ثم نقص نحو ذراع ونصف ، ثم لما كان فى الخامس والعشرين من بئونة — وهو اليوم الذى جرت فيه العادة بابتداء القياس — وُجِد الماء قد بلغ إلى أحد عشر ذراعاً وعشرة أصابع ، وقد كان بلغ ثلاثة عشر ذراعاً ، لكن نقص فى أوّل[1] العشر الأخير وهذا شىء لم يُعهَد مثله بمصر ، وأكثر ما وصل إلى الخامس والعشرين إلى عشرة أذرع ولكنها لم تقع زيادتها قبل الأوان ، وزاد فى اليوم السادس والعشرين إصبعين ، وفى الذى بعده إصبعين ثم ثلاثة ، ثم توقّف عن الزيادة من ثامن عشرى بئونة إلى رابع أبيب ، ثم زاد فيه إصبعاً ثم إصبعين وتمادى ، وكان نَقُصَ سبعة عشر إصبعاً ، وتحرك سعر القمح كل يوم شيئاً إلى أن وصل إلى مائتين وخمسين بعد أن كان بمائة وثمانين .

وفى آخر يوم من المحرم وهو اليوم الثانى من أيام النسيء[2] كانت الزيادة خمسة أصابع فانتهى إلى تسعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع ، وصادف أنه كان فى العام الماضى فى مثل هذا اليوم من أيام النسيء كان انتهى إلى هذا القدر سواء ، وهذا من عجائب الاتفاق .

* * *

وفى أوّل ذى القعدة وصل الخبر من شيراز من شاه رخ بأنه جَهّز إلى مكّة كسوةَ الكعبة وهى التى كان عُقِد المجلس بسببها فى أوائل هذه السنة ، وجهّزت الرسل بالأجوبة فجَهَّز هو الكسوة من قبل أن يعود عليه الجواب ، وانزعج السلطان ، وكان ما سيأتى ذكره .

* * *

وفى الرابع والعشرين من ذى القعدة كسرت عدةُ جرارٍ تزيد عن المائتين من الخمور ، فيها كبارٌ تسع الواحدة نحو القنطار . وذكر إنها لشخص يقال له أبو بكر بن الشاطر سمسار

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « أى من بؤونه » .

(٢) فى بعض النسخ « النسيم » ولكن أمامها فى هامش هـ بخط الناسخ : « صوابه النسىء » .

القماش الإسكندرانى ، وكان لكسرها فى وسط البحر رجّة ، واجتمع فيه خلق كثير ، والسبب فيه أنه عثر عليه فى بعض الحواصل بساحل بولاق فاستعان أُناس من الجند فهجموا على الذين عثروا عليهم فضربوهم فهربوا فحوّلوا جميع ذلك إلى مركب ، وانحدروا بهم إلى قرب شبرا ، فتوجه إليهم الوالى ، فقبض عليهم فتمكنوا منهم وأخذوا الجرار فرجعوا بها إلى الساحل فكسروها ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها وقع بين جماعةٍ من نواحى الزَّبدانى فتنة ، فقُتل خطيب الجامع وجماعةٌ[1] نحو الستة عشر نفساً ، واتُّهِم بذلك زين الدين بن صادر الأُستادار ، فبلغ السلطانَ ذلك فأَرسل يستدعيه ويأمره أَن يحضر معه بتقدمةٍ فبادر إلى الحضور ، فلما وصل إلى قَطَيا جَهَّز السلطانُ عمراً الوالى وأَمره أَن يقتله حال اجتماعه به ، فلاقاه إلى بلبيس فقتله وحمل رأْسه إلى السلطان ، وهو عبد الرحمن بن محمد بن صادر ، وَلِىَ الأُستادارية فى المتاجر والجبايات السلطانية وكان أُستادار جقمق ودويدار الملك المؤيد بالقاهرة ، وتنقّلت به الأَحوال بعده إلى أَن مات عن نحو من سبعين سنة .

* * *

وفيه خرج عرب بنى لام على المبشرين بالوجه فقتلوا منهم اثنين ، وسلم المبشر وهو خجا القُرْمُشى فدخل فى الثامن والعشرين من ذى الحجة وليس معه شئ من الكتب ، وذكر أنه نُهِب لهم أشياء كثيرة ، وأنه كان معه نفائس حصّلها فجاء مسلوباً .

* * *

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة خرج شهاب الدين بن المحمرة على مشيخة الصلاحية بالقدس فصادف قدوم عز الدين القدسى فالتقيا بالخانقاة النَّاصرية ، ودخل

---

(١) أمامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان المباشر لقتالهم إسماعيل بن يوسف البجدى [بكسر الباء والجيم وتشديد الدال المكسورة] الذى ولى تقدمة بلاد الزبدانى بعد ذلك بتعصب بعض أركان الدولة له فاستمر إلى أن قتل فى شعبان سنة أربع وستين وثمانمائة ، وكان شكلا حسناً وقامة معتدلة ، وله عقل متين وصدق وأمانة ووفاء وثبات عندما يقول . وله من الشجاعة والإقدام ما تهابه به العقول ، واتفق أنه يوم قتل لم يضرب ضربة ولا طعن طعنة بل لحقه إثنان ممن كان قتل أبويهما فى هذا اليوم الذى ذكره شيخنا وهو هارب على فرسه ، فقالا له : قف لمن يتمتهما من أبيهما ؛ ثم لما وصلا إليه طعناه معاً فقتلاه ، ثم جزا رأسه ورجعا إلى جماعتهما » .

عز الدين يوم الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة القاهرةَ واستمر بها على نيابة القضاء فقط ، وصُرف عز الدين النّاعورى عن قضاء حمص وأُضيف ذلك إلى قاضى الشام .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة من الأعيـان

١ ـ إبراهيم[١] السلطان أمير زاده بن ألقان معين الدين شَاهْ رُخ بن الطَّاغية تيمور ، كان صاحب شيراز ، فكتب الخطَّ المنسوب يقارب ياقوت ، ومات فى رمضان ووجد عليه أهل شيراز .

٢ ـ أحمد[٢] بن عبد المحيي بن عبد الخالق بن عبد العزيز الأَسيوطى ، شهاب الدين ، سمع من أبيه[٣] ومن عبد الرحمن بن القارئ وأجاز له ، وكان يواظب التكسّب بالشهادة فى جامع ظاهر الوراقين ، وكتب فى الاستدعاءات بأجْرة وحدّث[٤] وسمع منه الفضلاء ، ومات فى ثانى عشر ربيع الآخر ، وهو والد القاضى ولىّ الدين الأَسيوطى .

وُلد سنة خمس وسبعين تقريباً ، وسمع على جُوَيْرية[٥] الهَكَّارية بعض « الدارمى » ومجلساً من « أمالى البحترى » وأبى بكر الشافعى ، وعلى عمّه عز الدين عبد العزيز جزءا لشيخنا ،وعلى عبد الله بن قيم الكاملية جزءا من حديث الآجرى الحنبلى وعلى التنوخى وحدث ، وسمع منه الفضلاء .

٣ ـ أحمد بن عمر البلبيسى البزاز ، شهاب الدين ، مات فى يوم الجمعة ثانى عشر رجب

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢) جاء فى هـ بخط البقاعى : « إنما هو ابن عبد الخالق بن عبد الحى بن عبد الخالق » .

(٣) فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٢٣ « عمه العز عبد العزيز » ، ولكنها فى الشذرات ٧/٢٢٥ كما بالمتن .

(٤) العبارة من هنا حتى بقية الترجمة غير واردة فى هـ ، لكن جاء فى هامش هذه المخطوطة بخط البقاعى بشأن تاريخ موته : « إنما هو ثانى عشرى ربيع الأول » ، وهذا يطابق ما جاء فى الضوء اللامع ج ١ ص ٣٢٣ .

(٥) راجع إنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٤٥ وترجمة رقم ١٨ .

وقد جاوز الثمانين ، وكان مِن خيار التجّار ثقةً وديناً وأمانةً وصدْق لهجة ، وله عدةُ مجاورات بمكة ، وسمع الحديث الكثير وأنجب أولاداً ؛ رحمه الله تعالى .

٤ ــ أحمد بن ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن رسلان بن نُصَيْر البلقيني ، شهاب الدين ابن أخى شيخنا سراج الدين ، مات فى السادس والعشرين من رجب بعلّة السّل . وُلد سنة ست وتسعين ولما ترعرع كان ابن عمّ أبيه القاضى جلال الدين قاضياً وقد استناب إيّاه ، وتعلّم القرآن وحفظ كتباً ودَرَّبَه أبوه فى توقيع الحكم واشتغل فى القراءات والعربية ، وكان حسنَ الصّوْت بالقرآن ، وأمّ بالمدرسة الملكية بالقرب من مشهد الحسين ، ووقع فى الحكم ثم ناب فى القضاء بأُخرة وخدم ابن الكويز وهو كاتبُ السّر ، ثم [خدم] ابنَ مزهر فأثرى وصارت له وجاهة وحصّل جهات ، ثم مرض أكثر من سنة [ومات] ودُفِن عند أبيه بمقابر الصوفية .

٥ ــ أحمد بن محمد ، ناصر الدين المعروف بابن أمين الحكم ، وكان ينوب فى الحكم بمصر وعدة بلاد من البهنساوية ، وكان له مدةً منقطعاً بمرضٍ عَرَض له منه فالجٌ فانقطع بسببه .

٦ ــ أحمد[1] شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بَهْمَن سلطان كلبركة ، شهاب الدين أبو المغازى ، أقام فى ملكه .

٧ ــ أحمد بن محمد المَاجِرى[2] المصمودى ، الشيخ أحمد الحنبلى شهاب الدين الحلبى المعروف بالخازوق ، وَلِىَ قضاء الحنابلة بها[3] مراراً ، وفى سنة خمس صُرِف وتقرّر ابن الرسام فدخل القاهرة ليعود إلى القضاء فتعذّر ذلك مدّة إلى أن قرّر ، فلما وصل لدمشق ضعف فتوصّل إلى حلب فى محفة فدخلها مريضاً فاستمر على ذلك إلى أن مات بعد دخوله حلب بقليل .

---

(١) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٢) فى الضوء اللامع ج ٢ رقم ٦١٦ « الماجوزى » ، ولكنه عاد فقال : « صدر ترجمته بأنه الماجرى وكأنه أصوب من الماحوزى » ، على أنه وردت ترجمته فى ه على الصورة التالية « : أحمد بن محمد الماحرى المصمودى الشيخ . . . » فقط .

(٣) أى بحلب .

٨ــ إسماعيل بن على بن محمد بن داود بن شمس بن عبد الله بن رستم البيضاوى الزمزمى المؤذِّن بمكة ، يُكنَى « أبا الطاهر » ويُلَقَّب « مجد الدين » ، وُلد[1] سنة ستٍّ وستين ، وأجاز له صلاح الدين بن أبي عمر وعمر بن أميلة وأحمد بن النجم وحسن بنَ هبل وآخرون ، وكان يتعانى النظم ، وله نظمٌ مقبولٌ ومدائح نبويّة من غير اشتغالٍ بآلاته ؛ ثم أخذ العروض عن الشيخ نجم الدين المرجانى ومهر ، وكان فاضلاً . ورحل إلى القاهرة فسمع مِن بعضِ شيوخنا ، وكان قليل الشرّ مشتغِلاً بنفسه وعيالهِ ، مشكورَ السِّيرة ، ملازماً لخدمة قبة العبّاس ، وله سماع من قدماء المكيّين وحدّث بشيء يسير ؛ وسمعْتُ من نظمه .

وأخوه إبراهيم[2] وُلد سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وأجاز له فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة النَّشاورى والشهاب بن ظهيرة وآخرون ، واشتغل فى عدّة فنون ، وأخذ عن أخيه حسين عِلم الفرائض والحساب فمهر فيهما .

٩ــ أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن الهَلِّيس[3] رفيق زكىّ الدين ، المَهْجَمى[4] الأصل ثم المصرى ، وُلد بعد[5] السّبعين بيسير ونشأ فى حال بزة وترفّه ، ثم اشتغل بالعلم بعد أن جاوز العشرين ولازم الشيوخ ، وسمع معى بعض عوالى شيوخى مثل البرهان الشّامى وابن الشيخة وابن أبي المجد وبنت الأذرعى وغيرهم فأكثر جدًّا ، وأجاز له عامّة مَن أخذتُ عنهم فى الرحلة الشامية ، ورافقنى فى الاشتغال على الإنباسى والبلقينى والعراقى وغيرهم ، ثم دخل اليمن فى سنة ثمانمائة فاستمرّ بالمهجم وبعدن إلى أن عاد من قربٍ فسكن مصر ، ثم ضعف بالذّرب واختل عقله جدًّا وسئم منه جيرانه فنقلوه إلى المرستان المنصورى فأقام به نحو شهرين . ومات وصلّيْتُ عليه ودفنْتُه بالتربة الركنية بيبرس فى سلخ المحرّم .

---

(١) وكان مولده بمكة .

(٢) هو إبراهيم بن على بن محمد بن داود ، أبو اسحق الشمبارى المعروف بالزمزمى لأنه كان كأبيه يلى أمر بئر زمزم مع سقاية العباس نيابة عن أمير المؤمنين العباسى ، وقد تفرد بعلمى الميقات والفرائض ، وكان موته بمكة سنة ٨٦٤ ، انظر عنه السخاوى الضوء اللامع ج ١ ص ٨٦ ــ ٨٧ ؛ أما عن أخيه فراجع الضوء اللامع ٥٧٦/٣ .

(٣) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٥١ .

(٤) نسبة إلى المهجم وهى ــ كما عرفها مراصد الاطلاع ١٣٣٧/٣ ــ ولاية من أعمال زبيد باليمن .

(٥) فى الضوء اللامع ٥١/١١ « سنة ٧٧٥ تقريباً » .

١٠ — أبو بكر بن الشيخ تقى الدين اللوبيائى الفقيه الشّافعى أحد الفضلاء الشافعية بدمشق ، باشر تدريس الشّامية الجوانية وغيرَها ومات فى شوال .

١١ — بابى سنقر بن شاه رخ بن تيمور صاحب مملكة كرمان . مات فى العشر الأول من ذى الحجة[١] .

١٢ — حسين بن على بن سبع المالكى شرف الدين وبدر الدين البوصيرى ، وُلد سنة خمس وأربعين[٢] ، وسمع على المحبّ الخلاطى أكثر الدّارقُطْنى ، أنا الدمياطى « صِفَة التصوف » لابن طاهر خلا من أوّل الزّهد إلى آخر الكتاب ، وسمع أيضاً على عز الدين ابن جماعة غالب « الأدب المفرد » [للبخارى] ، وعرض على مَغْلَطَاى شيئاً من محفوظه وأجازَ له وكان من الطلبة بالشيخونية ، وحدّث وسمع منه رضوانُ وابنُ فهد والبقاعى وغيرهم ، وأجاز لابن محمد ومن معه ، ومات فى ربيع الأوّل .

١٣ — خضر بن أحمد ، وأصله من القصور[٣] ، وكان يتجر فى الزّيت ثم فى البُر يجلبه ويبيعه ، وأنجب ولده إبراهيم صاحبنا ، وذكر أنّ مولده[٤] سنة سبع وأربعين فبلغ التسعين ، وكان عجز بآخره وانقطع فآواه ولده إلى أن مات .

---

(١) ذكر الضوء أنه مات سنة تسع وثلاثين « وقيل فى التى قبلها » ، ولقد عاد ابن حجر فترجم له فى السنة التالية فقال : « بابى سنقر بن شاه رخ صاحب كرمان ، مات فى ذى الحجة وكان ولى عهد أبيه ، وفيه شجاعة موصوفة » ، ويلاحظ أن هذه الترجمة كلها غير واردة فى هـ .

(٢) هكذا أيضاً فى شذرات الذهب ٢٢٧/٧ ، ولكنها سنة خمس وخمسين فى الضوء اللامع ٥٧٢/٣ ، ثم قال « كتبه بعضهم سنة ٤٥ » ولعله يقصد شيخه ابن حجر .

(٣) فراغ فى الأصل وكذلك فى الضوء اللامع ٦٩٥/٣ ، ونحن نرجح « القصورى » فقد جاء فى الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ فى ترجمة ولده إبراهيم « القصورى » وقال : نسبة لقرية من أعمال الصعيد تسمى القصور بضم القاف والمهملة » ، وأمام هذه الترجمة فى هامش هـ بخط البقاعى جاء قوله : « إما من البلاد فمن القصور من صعيد مصر ، وإما من الناس فمن قريش من ذرية عثمان بن عفان رضى الله عنه ، كذا أخبرنى ولده الإمام العلامة برهان الدين رحمه الله » هذا ولم يرد فى رمزى : القاموس الجغرافى للمدن المصرية ذكر لكلمة « القصور » ولكن ورد فى ق ٢ ج ٤ ص ٥٤ « القصير بمركز ديروط » ؛ أما ابنه إبراهيم الذى يشير إليه البقاعى فى تعليقه فقد ولد بالقاهرة سنة ٧٩٤ وأكثر من السماع والحفظ ، وكتب الكثير من كتب ابن حجر ، وكانت وفاته سنة ٨٥٢ ؛ انظر عنه الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ — ٤٧ ، والبقاعى : عنوان الزمان .

(٤) أى مولد صاحب الترجمة خضر بن أحمد .

١٤ ــ زهير بن سليمان بن زَيَّان[١] بن منصور بن جماز بن شيحة الحسنى ، قُتل فى حرب وقعت بينه وبين أمير المدينة مانع بن على بن عطية بن منصور جماز فى شهر رجب وقُتل جمْعٌ من بنى حسن ، منهم علان بن غرير بن هيازع الذى كان أبوه أمير المدينة ، وكان زهير فاتكاً يقطع الطريق ومعه جماعة كما تقدم فى حوادث سنة أربع وثلاثين[٢] .

١٥ ــ طَرَبَاى[٣] نائب طرابلس الظَّاهرى ، وبها[٤] مات فى يوم السبت فى رجب فجأة .

١٦ ــ عبد الرحمن[٥] بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن حمزة المقدسى ، زين الدين ، وُلد فى السادس من رمضان سنة ٧٨٩ وأسمعه عمه الكثير من ابن المحب وابن عوض وابن داود وابن الذَّهبى وابن العز . مات فجأةً فى رابع عشر شهر ربيع الآخر ، فمِنْ مسموعه على ابن العز السادس من أمالى المحاملى رواية أبى عمر بن مهدى ، انا سليمان بن حمزة .

١٧ ــ عبد الرّحمن بن نجم الدين عمر بن عبد الرحمن بن حسين بن يحيى ابن عبد المحسن المسند زين الدين أبو زيد[٦] القِبَابى[٧] ثم المقدسى الحنبلى ، وُلد فى ثالث عشر شعبان سنة تسع وأربعين وأجاز له أبو الفتح الميدومى وجُلّ شيوخ شيخنا العراقى ، وسمع من الشيخ تقى الدين السّبكى وصلاح الدين بن أبى عمر وابن أميلة وصلاح الدين

---

(١) « زبان » فى الضوء اللامع ٣/٨٩٤ بالباء الموحدة .

(٢) انفردت نسخة ز بالترجمة التالية بعد هذه الترجمة « عبد الرحمن بن أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد الأوزاعى ثم الحلبى ثم الدمنهورى ، تاج الدين ، ابن عالم البلاد الحلبية ، شهاب الدين الفقيه الشافعى ، ذكره المؤلف فى القسم الثانى من معجمه فإنه مات يوم الثلاثاء العشرين من رمضان » .

(٣) هذه الترجمة غير واردة فى ه .

(٤) أى فى حلب .

(٥) فى ه بخط البقاعى : « سقط ابن عمر » .

(٦) فى ه بخط البقاعى : « وأبو هريرة أيضاً » .

(٧) جاء فى شذرات الذهب ٢٢٧/٧ أن ذلك نسبة للقباب الكبرى من أشموم بالوجه الشرقى من أعمال مصر ، وقد خطأ السخاوى هذا فى الضوء اللامع ٣٠٢/٤ فقال : « نسبة لقباب حماة لا للقباب الكبرى من قرى أشمون الرمان بالصعيد وإن جزم به بعض المقادسة » ؛ هذا وقد عرف القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ١ ص ٢٣١ القباب الكبرى بأنها من القرى القديمة وكانت تسمى قباب البازيار وهى على بحر أشموم .

العلائى وناصر الدين التونسى والتّبانى وابنِ رافع وأحمد بن النجم إسماعيل والخلاطى وابنِ جماعة ومُغْلَطَاى وابن نباتة والزنبارى وحسن بن هبل ، وشيوخُه بالسماع والإجازة نحو المائة وخمسين نفساً ، خرَّجْتُ له عنهم مشيخةً وأجاز لى غير مرة ، مات فى سابع[1] شهر ربيع الآخر ببيت المقدس ، وقد أَكْثَرَ عنه الرحالة وقُصِد لذلك وبلغ تسعين سنة إلَّا قليلاً وتفرد بأَكثر مشايخه .

١٨ ــ عبد الله بن سليمان المحلى جمال الدين ، أحد موقِّعى الحكم وقد ناب فى الحكم فى بعض الجهات وبعض النواحى بالقاهرة قليلا ، مات فى يوم الاثنين ثانى عشر رجب .

١٩ ــ عبد العزيز[2] ، أبو فارس صاحب المغرب ، مات فى يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين وحُمل إلى تونس فدُفن بها عند ولده المنصور محمد[3] الّذى مات قبله سنة خمسٍ وثلاثين وكان ولىَّ عهده ففُجع به وعَهد إلى حفيده المستنصر ، فلما استقرّ كحّل عمَّه المعتمد بنَ أبى فارس وقتل أخاه أبا الفضل بن المنصور وولدَه الفضل ، ففجأَه الموتُ سنة تسعٍ وثلاثين واستقر أخوه عثمان وخرج على عمه الحُسَيْن بن أبى فارس من بجاية ووصل إلى قسطنطينة فى سنة تسع وثلاثين ، وعمه الفقيه المجد الحسين وولده عبد المؤمن .

٢٠ ــ عبد[4] الواحد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى بكر بن عبد الوهاب ، الفُوِّى الأصل ثم المكى العلّامة النحوى جلال الدين أبو المحامد الشهير بالمرشدى ، وُلد فى جمادى الآخرة سنة ثمانين بمكّة ، وأُسمع على النّشاورى والأُميوطى والشهاب بن ظهيرة وغيرهم ، ورحل إلى القاهرة فسمع بها من بعض شيوخنا ، ومهر فى العربيّة وفى الأصول والمعانى والفقه ، وكان نعمَ الرجل مروءةً وصيانة . مات فى يوم الجمعة رابع عشرى شعبان وكثر الأسف عليه .

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما هو ثالث عشر وذلك ليلة الثلاثاء » ، ولعل هذا التصويب من البقاعى هو الأصح فقد ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤١٨ ، أن أول ربيع الآخر سنة ٨٣٨ كان يوم الخميس ، وعلى ذلك يكون يوم الثلاثاء هو الثالث عشر منه كما أشار البقاعى .

(٢) هذه الترجمة غير واردة فى هـ ، لكن راجع ما سبق ، ص ٥٢٦ حاشية رقم ٢ .

(٣) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٨٧/٨ .

(٤) فى هـ : « عبد الرحمن » ، راجع شذرات الذهب ، ٢٢٨/٧ ، وانظر فيما سبق ، ص ٤٢٣ سطر ١٣ ، وحاشية رقم ١ .

٢١ ـ عبد الوهاب بن عبد الغنى ، تقى الدين بن الجيعان ، أخو كاتب ديوان الجيش ، وكان ساكناً وقوراً يباشر فى عدة جهات ، وكانت جنازته حافلة وكثر أسفُ الناس عليه .

٢٢ ـ على بن طَيْبُغَا بن حَاجِّى بك التركمانى ، الشيخ علاءُ الدين العينتابى الحنفى ، كان فاضلاً وقوراً ، مهر فى الفنون وقرّرهُ السلطان الأشرف مدرساً وخطيباً بالتّربة التى انشأها بالصحراء ؛ مات فى طريق الحجاز ودُفن بالقرب من الينبع .

٢٣ ـ على بن محمد بن موسى بن منصور المحلِّى ثم المدنى ، الشيخ نور الدين ، كان مولده فى جمادى الأُولى سنة أربعٍ وخمسين بالمدينة ، وسمع على ابن حبيب وابن خليل وابن القارئ وأبى البقاء السّبكى وغيرهم ، وأجاز له ابن أميلة وابن الهبل وابن أبى عمر ، وحدّث باليسير وأجاز ، ومات فى الثالث من شوّال ، وليس ببلاد الحجاز أسند منه .

٢٤ ـ عمر البسْطامى المقيم بالعارض بسفح المقطم ، كان كثير الذكر مستمراً عليه لا يفتر عنه لسانه ، وتُحكَى عنه كراماتٌ وللناس فيه اعتقاد ، وعمر نحو التسعين[١] .

٢٥ ـ فاطمة بنت خليل[٢] بن أحمد بن أبى الفتح المقدسية ثم القاهرية زوج غازى الحنبلى ، ولدت فى سنة [خمسين[٣]] وسبعمائة تقريباً ، وأجاز لها [الشرف بن قاضى الجبل والعلائى السبكى] وأكثر شيوخ التبانى الذين ذكروا قبل ، وخَرَّجْتُ لها مشيخةً مع القبابى وحدَّثت بآخرها ، سمع منها الطلبة وماتت فى أول يوم من جمادى الأولى وقد تفرَّدتْ عن بعضهم .

٢٦ ـ محمد[٤] بن المنصور بن أبى فارس بن عبد العزيز بن المنتصر ملك الغرب عم

(١) جاء أمام هذه الترجمة فى هامش هـ بخط الناسخ : « تقدم فى التى قبلها فيحرر »انظر ما سبق ، ص ٥٢٨ ، ترجمة رقم ١٤ .
(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى قوله : « . . . بنت خليل بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن حسن بنت الصلاح الكتانية » .
(٣) فراغ فى جميع الأصول والإضافة من خط البقاعى فى هامش هـ ، انظر أيضاً الضوء اللامع ١٢/٥٦٤ .
(٤) راجع ترجمة رقم ١٢ ، ص ٤٨٨ .

ابيه الحسين ، وكان فاضلا ذكياً مناظراً[1] يحفظ المذهب ويعرف كثيراً من معانى الحديث، وكُحِّل .

٢٧ ـ محمد[2] بن عبد الله بن عبد القادر الشيخ نجم الدين الواسطى السكاكينى ، وقال إنه قرأ على العاقولى ومهر فى القراءات والنَّظم والفقه ، ويقال إنه أقرأ[3] الحاوى ثلاثين مرة ، وله شرحٌ على « منهاج البيضاوى » ، ونظم بقية « القراءات العشرة » تكملةً للشاطبى على طريقته حتى يغلب على ظن سامعه أنه نظم الشاطبى ، وخَمَّس « البردة » و « بانت سعاد » ، ومات بمكة فى سادس عشرى شهر ربيع الآخر .

٢٨ ـ محمد بن على ، جمال الدين النُّوَيْرى التاجر ، تنقَّلت به الأَحوال وتولَّى ببلاد اليمن التحدّث فى المتجر السلطانى بعدن ثم صرف ، وكان قد تسحّب من القاهرة من ديونٍ رَكِبَتْه فى سنة أَربعٍ وعشرين ولم يعد إليها ومات فى هذه السنة بمكة ، وهو أخو المذكور قبل بسنين ، المقتول فى سنة أَربعٍ وثلاثين .

٢٩ ـ محمد[4] بن عمر ، تقى الدين بن بدر الدين بن شيخنا سراج الدين البلقينى ، مات فى أوّل ليلة الثانى عشر من شوّال ودُفن صبيحةَ ذلك اليوم يوم الأَربعاء على أبيه وجدِّه ، وكان مولده سنة تسع وثمانين ، مات أَبوه وهو طفلٌ فرباه جده وحفظ القرآن وصلى بالناس وهو صغير له نحوعشر سنين ، ودرّس فى « المنهاج » ، ولازم الشيخ كمال الدين الدميرى وغيره ، وكان ذكياً حسنَ النغمة ونشأ فى إملاق ، ولمّا ولى عمّه القضاء نَبُه قليلا وولى

(١) فى ه « شاطرا » .

(٢) سماه الضوء اللامع ١٢١/٨ ، ج ١١ ص ٢٠٧ بمحمد بن عبد القادر بن عمر ، وقال : « سمى شيخنا والده عبد الله بن عبد القادر » ولكنه وارد كما بالمتن فى شذرات الذهب ٢٢٨/٧ ، وأمامها فى هامش ه بخط البقاعى : « حررت فى نسبه من أصهاره بالمدينة أنه محمد بن عبد القادر بن عمر » .

(٣) علق البقاعى على هذا فى ه بقوله : « الذى أعرفه أنه لما قدم إلى دمشق قرأ عليه شيخنا الشهاب اليمنى وأخذ عنه العروض ، وكان لا يقدر على نظم بيت واحد ، فمن بركة الشيخ صار ينظم وجادت قريحته ، وما خرج الشيخ تلك السنة من دمشق حتى نظم اليمنى قراءات الأئمة الثلاثة أبوجعفر ويعقوب وخلف فى بحر الشاطبية وعلى رويها وقافيتها ، ومزج النظمين بحيث كانا كالنظم الواحد ، ويمكن أن يكون الشيخ استحسن ذلك ، فلما قطن المدينة نسج على منواله والله أعلم ، وقال كما كتبه لى على استدعاء أنه قرأ الفقه على الشيخ فريد الدين بن الشيخ صدر الدين الإسفرايينى . والصدر هذا مصنف ينابيع الأحكام فى مذاهب الأئمة الأربعة الأعلام » .

(٤) فى شذرات الذهب ٢٢٩/٧ « محمد بن محمد بن عمر البلقينى » ، وهكذا سماه الضوء اللامع ٤٣٩/٩ .

بآخره نيابةَ الحكم بمنية[1] الأُمراء وغيرها من الضواحى ، ودرّس بعد موت عمه جلال الدين فى الفقه بجامع طولون وكذا[2] درّس بالحجازية فى الفقه وولى بها الخطابة ومشيخة الميعاد ، وتموّل بملازمة ناظر الجيوش عبد الباسط ، وحصّل وظائفَ وإقطاعاتٍ ورزقاً وصار كثير المال جداً فى مدّة يسيرة ، وسيرته مشهورة ؛ وسبب تقدمه عند المذكور مشهور ، وتقدّم فى الصلاة عليه عمه علمُ الدين وله نحو الخمسين . وخَلّف ولداً كبيراً وآخر صغيراً وابنتَيْن ، وقد حدّث عن جده بشىءٍ يسير ، قرأ بعضُ الطلبة عليه « كتاب الجمعة » للنّسائى بسماعه من جده ، انا إسماعيل التفليسى بسنده .

٣٠ - محمد ، ناصرُ الدين الشِّيرازى نقيبُ الجيوش ، مات فى يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الآخر عن بضعٍ وخمسين سنة وكان تامَّ القامة كثير المداراة محبباً عند الناس ، لكنّه كان مسرفاً ؛ وله فى هذه الوظيفة[3] مدة طويلة .

٣١ - عماد الدين السَّرْمينى موقع الدست بدمشق وكان فاضلا ذكيًا . مات فى شوّال وقد بلغ الأَربعين أَو قاربها .

٣٢ - الحِطى الحبشى ملك الحبشة الكافر ، لا رحم الله فيه بغرز إبرة .

---

(١) فى الشذرات ٢٢٩/٧ « منية الأمل » ، والصحيح ما هو وارد فى المتن ، على أنه يوجد مكانان فى مصر يعرفان بمنية الأمراء ، أحدهما ما أشار إليه القاموس الجغرافى للبلاد المندرسة من أنها من القرى الدارسة ، وذكر أنها وردت فى تحفة الإرشاد وفى المشترك لياقوت بأنها من أعمال جزيرة قويسنا ؛ ووردت فى الانتصار لابن دقاق وقوانين الدواوين مع سنبومطبة من الغربية ، وتعرف باسم منية الأمير ، أما ثانيهما فقد أوردها نفس المرجع ق ٢ ج ١ ص ١٤ - ١٥ باسم منية السيرج وقال إنها وردت فى تحفة الإرشاد باسم منية الأمراء وهو اسمها الأصلى ، وفى خطط المقريزى « منية الأمراء وهى منية السيرج ويقال لها منية الأمير » ، والأرجح أن الأخيرة هى المقصودة بما أشار إليه ابن حجر فى المتن .

(٢) العبارة من هنا حتى « مشيخة الميعاد » فى نفس السطر غير واردة فى هـ .

(٣) أى وظيفة نقيب الجيش .

فهرست الوفيات والأحداث

الواردة فى الجزء الثالث

من انباء الغمر بأنباء العمر

وفيات سنة ٨١٦

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨١٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٢٠

وفيات سنة ٨٢١

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٢٢

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٢٣

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٢٤

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٩٢٥

الموضوع | الصفحة

وفيات سنة ٨٢٦

الموضوع	الصفحة
فارس بن عبد الله الطواشي	٣٢٠
قطلو بغا التنمى	٣٢٠
محمد بن الحسين بن عبد المؤمن الكازرونى	٣٢٠
محمد بن خالد الشنشى	٣٢١
محمد بن عبدالله بن عمر بن المكى	٣٢١
محمد بن على بن أحمد الغزى ابن الركاب	٣٢١
محمد بك بن على بك بن قرمان	٣٢٢
محمد بن محمد بن عبد الدائم البرماوى	٣٢٢
محمد المعروف بابن النحاس المقرئ فى الجوق	٣٢٢
محمد القادرى الصالحى	٣٢٢
محمد القبارى الحنبلى الصالحى	٣٢٢

وفيات سنة ٨٢٧

الموضوع	الصفحة
أحمد بن إسماعيل بن عباس بن على	٣٣١
أحمد بن عبد الله البوتيجى	٣٣٢
أحمد بن عيسى بن أحمد الصنهاجى	٣٣٢
أحمد بن محمد بن محمد بن ظهيرة المخزومى	٣٣٢
أحمد الحجيرانى اللؤلؤى	٣٣٢
أبو بكر بن عمر بن محمد الطرينى	٣٣٢
تانى بك البجاسى	٣٣٣
سليمان بن غازى بن محمد بن توران شاه	٣٣٤
سودون بن عبد الله الظاهرى الأشقر	٣٣٥
عبد الرحمن بن على بن يوسف الزرندى	٣٣٥
عبد الرزاق بن عبد الله	٣٣٥
عبد الله بن محمد بن محمد بن زيد البعلبكى	٣٣٥
عبد الله بن مسعود بن على ابن القرشية	٣٣٦
عبد الوهاب بن كاتب المناخات	٣٣٦
على بن لؤلؤ الشافعى	٣٣٧
على بن محمد بن عبد الكريم الفوى	٣٣٧
فاطمة بنت قجقار	٣٣٧
قاسم بن سعد بن محمد الحسبانى	٣٣٨
محمد بن أبى بكر بن على بن يوسف المرجانى	٣٣٨
محمد بن سعد بن محمد بن سعد الديرى	٣٣٩

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٢٨

وفيات سنة ٨٢٩

الموضوع	الصفحة
على بن عبد الله بن محمد بن سلام	٣٧٧
عمر بن على بن فارس قارئ الهداية	٣٧٩
قجق الظاهرى	٣٨٠
محمد بن أحمد بن ظهيرة	٣٨٠
محمد بن محمد بن أبى القاسم الزجاجى	٣٨٠
يوسف بن خالد بن أيوب	٣٨٠

وفيات سنة ٨٣٠

وفيات سنة ٨٣١

الموضوع	الصفحة
بكتمر بن عبد الله السعدى	٤٠٧
جانبك الدويدار الأشرفى	٤٠٨
جانبك بن حسين بن محمد بن قلاون	٤٠٩
حسن بن أحمد بن محمد البرديني	٤٠٩
حسن بن نجم الدين السامرى	٤١٠
سعيد بن عبدالله المغربى	٤١١
شرف بن أمير السرائى الماردينى	٤١١
عبد الغنى المعروف بابن الجيعان	٤١١
قجقار شغطاى	٤١٢
كمشبغا بن عبد الله الجمالى	٤١٢
محمد بن أحمد بن على الرملى الحنبلى	٤١٢
محمد بن أحمد بن موسى الكفيرى	٤١٣
محمد بن حسين التروجى المالكى	٤١٣
محمد بن عبد الدائم بن عيسى البرماوى	٤١٤
محمد بن يعقوب البجانسى	٤١٦
محمد بن يوسف بن عبد الرحمن القرشى	٤١٦
محمد بن خطيب قارا	٤١٧
يشبك بن عبد الله الساقى الأعرج	٤١٧

وفيات سنة ٨٣٢

الموضوع	الصفحة
أحمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدى المكى	٤٢٣
أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى	٤٢٤
أحمد بن عمر بن أحمد الشاب التائب	٤٢٤
برسبغا الجلبانى	٤٢٤
رابعة بنت المذلف ابن حجر	٤٢٥
حمد بن عبد الله الآمدى	٤٢٥
خشرم بن درغان بن حماز	٤٢٥
عبد الغنى بن عبد الواحد بن إبراهيم الرشيدى	٤٢٥
عبد المعطى زين الدين الكوم ريشى الحنفى	٤٢٥
عجلان بن نعير بن منصور	٤٢٦
على بن حسين بن على الحاضرى	٤٢٦
على بن محمد بن محمد التبريزى	٤٢٦
على بن محمد بن الصفى الأردبيلى	٤٢٧
على السفطى	٤٢٨

الموضوع | الصفحة

وفيات سنة ٨٣٣

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٣٤

وفيات سنة ٨٣٥

الموضوع	الصفحة
محمد بن سعد الدين ملك الحبشة المسلمين	٤٨٧
محمد بن أبي فارس عبد العزيز	٤٨٨
محمد بن محمد بن محمد الكركي	٤٨٨
يحيى بن عبد الله القبطي	٤٨٩

وفيات سنة ٨٣٦

وفيات سنة ٨٣٧

الموضوع	الصفحة

وفيات سنة ٨٣٨

الموضوع	الصفحة

* * *

فهرس حوادث الجزء الثالث

من انباء الغمر بأنباء العمر
لابن حجر
(من سنة ٨١٦ حتى ٨٣٨ هـ)

حوادث سنة ٨١٦

حوادث سنة ٨١٧

الموضوع | الصفحة

حوادث سنة ٨١٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

حوادث سنة ٨١٩

الموضوع	الصفحة
قدوم النجم بن حجى لمصر وإعادته لقضاء الشام . نزاع الأستادار وناظر الخاص أمام السلطان . توسيط ابن جوجر ومصادرة أمواله للسلطان . موت ابن العديم	٩٦
ولاية ابن الديرى لقضاء الحنفية مكانه . موت الحبيني وولاية الزين قاسم العلائى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل. قدوم خديجة زوجة ناصر الدين بالك فى طلب ولدها . غضب ابن المغلى من ابن الدويدار الكبير وسببه . موت أيدغمش التركمانى بدمشق معتقلا	٩٧
تولى الزين عبد الباسط أمر الكسوة . القبض على محمد بن عبد القادر وأخيه . وصول هدية كرشجى وبيعها وصرف ثمنها فى حارة الجامع المؤيدى . استقرار أقبغا شيطان فى ولاية القاهرة بدلا من خرز الذى تولى نيابة الجيش . قدوم حسن بن عجلان إلى القاهرة وتقليد ابنه امرة مكة . الحرب فى مكة	٩٨
استفتاء السلطان العلماء فى قضية بحضرة ابن حجر واختلاف الرأى فيها بين الفقهاء . الفتن بين عرب البحيرة ووصول الأستادار إليهم وتعقبه أصحاب الفتنة . قدوم ركب التكرور للحج ومعه الكثير من الرق والتبر ...	٩٩
حج زوجة أيدكى . الإفراج عن سودون الأشقر وإرساله للقدس بطالا . شراء المؤيد باب مدرسة حسن وتنورها وتركيبهما بجامع المؤيد . إعادة قاسم البشتكى إلى نظر الجوالى . مرض المفاصل يعاود المؤيد . تسعير الذهب والفلوس . قدوم رسل قرا يوسف إلى المؤيد . موت قمارى أمير الركب الأول . فخر الدين وزيراً وأستاداراً . غلاء البنفسج بالقاهرة	١٠٠
استيلاء نائب طرابلس على قلعة الخوابى . موت محمد بن هيازع . استعراض أخبار الحلقة للمسافرة صحبة السلطان فى ركوبه للبلاد الشمالية . إنزال المستعين بالله إلى ساحل مصر وإنزال فرج ومحمد وخليل أولاد فرج	١٠١
مجموع النفقة على الجامع المؤيدى . توجه السلطان إلى الربيع . موت أحمد بن رمضان صاحب سيس ودرندة . غضب السلطان على القاضى الشافعى . تغلب بهار بن فيروز شاه على هرمز	١٠٢

حوادث سنة ٨٢٠

الموضوع	الصفحة
استعداد السلطان للسفر للبلاد الشمالية . توزيع النفقة على الجميع . قدوم أقباى الدويدار على السلطان للإعتذار وتقريره فى نيابة الشام . حزب الدنانير زنة عشرة وخمسة مثاقيل . مواقف السلطان من الأمراء والأجناد والبطالين	١٢٥
خروج السلطان وتقريره الأمراء فى غيبته . خروج عسكر إبراهيم بن المؤيد . وصول الخبر من دمشق بالقبض على ألطنبغا العثمانى . قدوم بعض الأمراء على السلطان فى غزة ، وقدوم أمراء العربان والتركمان عليه فى دمشق	١٢٦
عمل المولد بدمشق . إرسال السلطان زين الدين الخواجا إلى محمد بن قرمان . قدوم يشبك نائب طرابلس . دخول السلطان حمص . الإفراج عن سودون القاضى . وصول السلطان إلى حماة ووصوله إلى قنسرين . السلطان يعبئ العسكر بنفسه	١٢٧
قدوم كثير من التركمان والعربان على السلطان . تجهيز العسكر إلى ملطية . تقرير بعض الأمراء فى العمق ونيابة حلب ونيابة القلعة . استكمال بناء برجين بالقلعة . السلطان يأمر بتكميل سور حلب . قدوم رسل محمد بن قرمان على السلطان فى العمق ورسول ابن عثمان والتركمان الأوجقية . السلطان يرسل فى طلب مفاتيح طرسوس	١٢٨

الموضوع	الصفحة

حوادث سنة ٨٢١

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
من أجل ولدها واعتقالها . إختيار من يصحب إبراهيم بن السلطان من أجناد الحلقة . أخذ طرسوس . محاصرة نائب حلب وتركمان الطاعة لقلعة كركر دون فائدة	١٧٢
الشروع فى بناء المارستان بجوار القلعة . عسف ابن الطبلاوى وضربه فى حضرة السلطان . انتزاع محمد بن قرمان طرسوس من نواب المؤيد وتجهيز حملة بقيادة إبراهيم بن المؤيد . النيل فى زيادة ونقص	١٧٣
إرتفاع الأسعار وقلة الخبز بالأسواق . منع التعامل بالافرنتى الناقص . النزاع بين الفخر الأستادار وابن نصر الله أمام السلطان. تسليم البدر للفخر وحسن معاملته له	١٧٤
القبض على ابن المحب الوزير وأتباعه . تقرير ابن نصر الله فى الوزارة. إتمام عمارة المدرسة الفخرية بين الصورين واستقرار شيوخ بها للمذاهب الأربعة . تعيينات جديدة . غضب السلطان من الحنبلى	١٧٥
خروج السلطان للسرحة بالدلتا ورجوعه...	١٧٦
استقرار الكازرونى فى قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها	١٧٧

حوادث سنة ٨٢٢

الموضوع	الصفحة
تجهيز حملة إبراهيم بن السلطان وخروجها للبلاد الشمالية وانتصاراته . وصول عجلان بن نعير مقبوضاً عليه ورجوع بكتمر السعدى بكتاب وهدية من صاحب اليمن	١٨٩
تقرير ناصر الدين باك فى قيسارية والأبلستين عن المؤيد وتسليمه طرسوس . استقرار مقبل الدويدار شاد عمارة المؤيد . السلطان يسأل القضاة من أى جهة يكون المصروف على عمارة المسجد الحرام : النزاع بين الهروى والديرى أمام السلطان وإهانة الهروى . السلطان يعين ابن حجر حكماً بين الهروى وأهل الخليل والقدس . التوكيل بالهروى واضطراره لبيع بعض موجوده	١٩٠
منع الديرى نواب الهروى من الحكم . إعادة البلقينى للقضاء . استقرار الصدر العجمى فى الحسبة . توجه ابن المحب أميراً بطرابلس . عمل الوقيد بالبحر . ثورة مماليك الطباق لقلة جامكيتهم وأمر السلطان بزيادتها ذهاب ألطنبغا المرقبى للصعيد وهزيمته عرب الميمون. إنتشار الطاعون فى صفر . تعمير قناطر شبين ...	١٩١
كسوف الشمس قبل الزوال . وقوع زلزلة فى أرزنكان والقسطنطينية . تشدد المحتسب والوالى فى منع المفاسد والتضييق على اليهود والنصارى . تنازع الوزير والأستادار . القبض على محمد بن بشارة...	١٩٢
إرسال ابن بشارة للقاهرة . فرار الهروى إلى بيت قطلبغا التنمى وسجنه بالبرج بأمر السلطان . إطلاق سراحه . ولادة أحمد بن المؤيد . تقرير ابن حجر فى تدريس الشافعية بالمؤيدية	١٩٣
تقرير مدرسى المالكية والحنابلة بها . موت رئيس الأطباء إبراهيم بن خليل . التضييق على الأقباط بمصر إنتقاماً لمسلمى الحبشة	١٩٤
الإيقاع بفضائل النصرانى وتشهيره عرياناً وقتله . التضييق على النصارى ونسائهم . رجوع ألطنبغا المرقبى وأبى بكر الأستادار من الصعيد بالأسلاب من هوارة . عمل الصهريج بجوار خانكاه بيبرس . تغير الناصر البارزى على الصدر العجمى المحتسب	١٩٥
تعزير ابن العجمى من غير بينه . رضاء السلطان عنه . ذهاب السلطان فى محفة إلى بيت ابن البارزى...	١٩٦
رجوع السلطان إلى القلعة. وصول إبراهيم بن السلطان إلى قيسارية ولارندة وأرنكلى . إرساله العسكر لقتال التركمان . تقريره على بن قرمان فى المملكة . انتصارات قوات ابن المؤيد فى البلاد القدمانية والشمالية ...	١٩٧
طلوع إبراهيم إلى أبيه ومعه الأسرى . وصف ابن حجر لسفرة إبراهيم هذه ورأيه فيه . تقرير بعض الأمراء	

الموضوع الصفحة

حوادث سنة ٨٢٣

حوادث سنة ٨٢٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

حوادث سنة ٨٢٥

الموضوع	الصفحة

حوادث سنة ٨٢٦

حوادث سنة ٨٢٧

حوادث سنة ٨٢٨

الموضوع الصفحة

حوادث سنة ٨٢٩

حوادث سنة ٨٣٠

الموضوع — الصفحة

حوادث سنة ٨٣١

حوادث سنة ٨٣٢

حوادث سنة ٨٣٣

حوادث سنة ٨٣٤

حوادث سنة ٨٣٥

حوادث سنة ٨٣٦

الموضوع	الصفحة
دخول السلطان الرها وتقرير إينال الأجرود نائبا بها . عودة السلطان إلى حلب . مجئ ولد قرقماس بن نعير بهدية أبيه السلطان . عقيدة يعقوب بن قرايلك أمير خرتبرت	٤٩٨
حصار اسكندر بن قرا يوسف قلعة شاهين . توقف النيل عن الزيادة . غلو السعر . النزاع بين أمراء الترك العثمانيين	٤٩٩
بعض الحوادث بالقاهرة فى أثناء غيبة السلطان : المنازعات . احتراق بنت البرهان المحلى	٥٠٠
سعر القمح . قلة عدد الحجاج . وقوع حريق فى بعض الأماكن . خسوف القمر . سفر أسنبغا الطيارى لتحصيل المكوس الهندية من جدة . قدوم مقبل الرومى نائب صفد بهدية للسلطان والخلع عليه . حلم البقاعى بموت السلطان	٥٠١
كيفية استيلاء إصبهان بن قرا يوسف على بغداد وسوء سيرته بها	٥٠٢

حوادث سنة ٨٣٧

وفاء النيل وكسر الخليج وبعض الأحداث فى أثناء رجوع السلطان من حملته على آمد	٥١٠
أسعار القمح والغلال . النزاع بين ابن الأحمر والأيسر . تحصيل الخيول من الوجه البحرى . ختان يوسف ابن السلطان برسباى	٥١١
إعادة التاج الشوبكى لولاية القاهرة . انتهاء زيادة النيل . إعادة أقبغا الجمالى لكشف الوجه القبلى . رياح شديدة تخلع الأشجار بدمياط وتفسد كثيرا من الزرع	٥١٢
إغارة جماعة من الفرنجة على مركب للمغاربة . نفى سودون من عبد الرحمن إلى دمياط . دخول السلطان إلى المرستان ومناداته بأنه هو الناظر عليه ، استقرار إينال الششمانى فى نيابة صفد وابن شاهين فى نظر الإسكندرية . إلزام الوزير بالنفقة فى ديوان الدولة وديوان المفرد	٥١٣
عمل مكحلة لرمى المنجنيق . الخبر بهبوب الريح عاصفة فى دمياط . السيل العظيم بمكة	٥١٤
قراءة البخارى فى القلعة . قدوم الشمس الهروى وسقطاته أمام علم ابن حجر	٥١٥
استعفاء كريم الدين من الوزارة وهروب الأستادار ثم ظهوره بالأمان . قلة عدد الحاكمة بالإسكندرية . عودة الجلال أبى السعادات إلى القضاء . سفر الحجاج صحبة أرنبغا	٥١٦
استقرار الشمس الفريانى فى قضاء نابلس الشافعى . السلطان يلزم البدر بن الأمانة بالحج	٥١٧
ولادة حفيدة لابن حجر وموتها . كسر الخليج . كثرة عدد الحجاج بمكة كثرة فساد الكتلان فى البحر الأبيض . الاختلاف فى رؤية هلال رمضان	٥١٨
وفاء النيل . وقعة إينال الأجرود مع التركمان	٥١٩
تخريب إصبهان بن قرا يوسف بغداد . شراء برسباى خيولا من بلاد المغرب	٥٢٠

حوادث سنة ٨٣٨

كائنة ابن الرومى الجوهرى . إعادة الناصر البكرى إلى قضاء الفيوم . قدوم الشريف الشيرازى رسولا من شاه رخ للسلطان	٥٣٤
طلب شاه رخ كسوة الكعبة وعقد مجلس بسبب ذلك	٥٣٥
الشروع فى عمل سقف للكعبة . صرف البهاء بن حجى عن قضاء الشام واستقرار ابن المحمرة مكانه . تنقلات فى مناصب القضاء بسبب المال . هجوم الجلبان على بيت الوزير ابن الهيصم	٥٣٦

فهرست عام
للجزء الثالث من إنباء الغمر

الموضوع	الصفحة

مطابع الأهـــرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٢/٢٧٥٦